إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف
ابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد السجلماسي
تحقيق
الدكتور علي عمر

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسى

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٣
تاليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسى ، تحقيق: على عمر
- ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : ٨ ٣٩١ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء ـ معاجم
أ- عمر ، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع :٧٦٦٨/ ٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب السيادة الأستاذ الجليل السيد عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأسرة الشريفة السلطانية والمدير العربي للمدرسة الحربية بمكناس

سلام الله وتحيته عليكم وعلى عشيرتكم الطاهرة وأسرتكم الكريمة

وبعد: فقد تلقيت السفرين القيمين من كتابكم الكريم [illegible] يرفعهما إلى سدة مولاى صاحب الجلالة الملك العظيم [illegible] أبديه لما فطر عليه من رعاية العلم وإجلال العلماء [illegible] الناطقين من سائر المسلمين.

وإني مع تقديم أجمل الشكر لتنويهكم بمآثر مولاي المليك على الشرق وجلالة أثره في نهضته أهنئكم من أعماق صدري بهذا الكتاب الذي جمعتم فيه إلى دقة البحث صفاء اللفظ وطلاوة الأسلوب مما يزيد ثروة الأدب العربي وذخر التاريخ الإسلامي.

وتفضلوا يا صاحب السيادة بقبول تحيتي الخالصة وإعجابي العظيم.

القاهرة في ١٩ شوال سنة ١٣٤٩ (٩ مارس سنة ١٩٣١)

رئيس ديوان جلالة الملك

كان المؤلف قد أهدى لجلالة الملك فؤاد ملك مصر نسخة مما طبع من التاريخ فورد عليه الرد من حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الوزارة المصرية سابقا ورئيس الديوان الملوكى حالا

إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

* * *

١٢٤ - الحسن بن عثمان بن عَطِيَّة التجانى المكناسى المعروف بالوَنْشَرِيسى أبو على.

حاله: فقيه عدل متقن نقاد، مفت مدرس نفاع، صالح فرضى حيسوبى، له عناية بفروع الفقه ومعرفة بقرض الشعر، والأدب.

وهو من جملة من لقيه لسان الدين ابن الخطيب من أئمة مكناسة وجلة أعلامها وقد قال فى حقه: وكان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ومن ذوى السذاجة والفضل ويقرض الشعر، وله أرجوزة فى الفرائض مبسوطة العبارة مستوفية المعنى هـ.

وقال ابن الأحمر فى حقه: شيخنا الفقيه المفتى المدرس القاضى الفرضى الأديب الحاج أبو على بن الفقيه الصالح أبى سعيد عثمان التجانى المنعوت بالونشريسى أجازنى عامة(١) هـ.

ذكر له صاحب المعيار فتاوى عدة فى غاية الإتقان تبرهن على تبحره وتضلعه.

---

١٢٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٧٩، وكفاية المحتاج ١/ ١٢٠. ونفح الطيب ٥/ ٣٥٢ - ٣٥٣، ونفاضة الجراب - ص٣٧٥، ونيل الابتهاج ١/ ١٧١، ووفيات الونشريسى ولقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٦٩٢، ٦٩٣.

(١) نفح الطيب ٥/ ٣٥٢، ٣٥٣.

مشيـخته: منهم الفقيـه الإمام النظار أبو عبد الله محـمد بن أبى الفضل بن الصباغ الخزرجى المكناسى.

الآخذون عنه: منهم ابن الأحـمر أجازه موطأ مالك برواية يحـيى بن يحيى [ولد فى حدود أربع وعشرين وسبعمائة، وكان حيا فى حدود التسعين](١).

١٢٥- الحسن بن عطية(٢) أوردهما معا ابن غازى فى روضه.

حاله: فـقيه جليل. علامـة أصيل. عدل رضى من عدول مكناسـة المبرزين ومدرسى جـامعهـا الأعظم، له مهارة تامـة ويد طولى وعناية كاملة بفروع الفـقه وتضلع فى الحساب والفرائض وقرض الشـعر ولى القضاء أظنه بفاس ثم رحل إلى الحج فى خلق ورجع لفاس وهم أن يتخلـى عن القضاء ويتفرغ للعبـادة حتى يأتيه أمر الله فقالت له امرأته: إما أن ترجع للقـضاء وإما أن تطلقنى فإنى استأنست أن يخدمنى النساء فرجع إلى القضاء ثم مات بعد خمسة عشر يوما.

مشيختـه: منهم الفقيه الراوية الحافظ خاتمة محـدثى المغرب أبو البركات بن الحاج البلفيقى(٣).

---

(١) مكان ما بين الحاصرتين فى المـطبوع: «وفاته: توفى عام واحد وثمانين وسبـعمائة». وما بين الحاصرتين هو ما ورد لدى المقـرى فى نفح الطيب ٥/ ٣٥٣، وابن القاضى فى جذوة الاقتباس ١/ ١٨٠ ولديه: «لم أقف على وفاته»، والـتنبكتى فى كفاية المحتاج ١/ ١٢١، ونيل الابتهاج ١/ ١٧١.

١٢٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٧٩، ونيل الابتهاج ١/ ١٧٠.

(٢) بعدها فى المطبـوع: «ابن أخى الذى قبله» وهذا إنما ينطبـق على الحسن بن عثـمان الذى قبل هذه الترجمة.

(٣) من هنا حتى نـهاية الترجـمة خاص بالحـسن بن عثمـان كما نص عـلى ذلك المقرى فى ترجمتـه. والمؤلف هنا خلط بين ترجمة الحسن بن عثـمان ابن أخى الذى بعده، دون أن يتنبه.

الآخذون عنه: منهم ابن الأحمر، وجماعة. قال ابن الأحمر: وأجازني عامة[1] هـ.

مؤلفاته: منها رجز في الفرائض مبسوط العبارة مستوفي المعنى. قال في نفح الطيب: وله شرح عليه هـ.

وفتاوى عدة نقل منها صاحب المعيار جملة وافرة وحلاه عند التعرض لذكره بالقاضي العلامة.

ومن ذلك قوله في القضية التي وقعت له مع عدول مكناسة لما عينه السلطان أبو عنان في جملة من وقع عليه اختياره حين أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بالمدينة المذكورة وأنف شيوخ عدولها من ذلك لحداثة سن المترجم:

نبدأ أولا بحمد الله ... ونستعينه على الدواهي[2]
ثم نوالي بالصلاة والسلام ... على النبي دونه كل الأنام
وبعد ذا نسأل رب العالمين ... أن يهب النصر أمير المؤمنين
خليفة الله أبا عنان ... لا زال في عز مع الأمان
ملكه الله من البلاد ... من سوس الأقصى إلى بغداد
ويسر الحجاز والجهادا ... وجعل الكل له مهادا
يا أيها الخليفة المظفر ... دونك أمرى إنه مفسر
عبدكم نجل عطية الحسن ... قد قيل لا يشهد إلا إن أسن

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٣٥٣.

(٢) الخبر والأبيات لدى المقرى ٥/ ٣٥٣ وقد نسب الأبيات إلى الحسن بن عثمان بن عطية وليست للحسن بن عطية، ومثله لدى التنبكتي في نيل الابتهاج ١/ ١٧١ - ١٧٢.

وهو فى أمـــركم المعـــهـــود　　من جـمـلة العـشـرة الشــهـود
نص عليـه أمـــركم تعــيــينا　　وسنـه قـــارب أربعـــــينا
مع الذى ينتـسـب العـبـد إليـه　　من طلب الـعلم وبحـثـه عـليـه
على الـفــرائض لـه أُرجــوزة　　أبرز فـى نظـامـــهـــا إبـريزه
ومـــجلس له عـلى الرســالة　　فكيـف يرجــو حــاسـد زواله
حـاشــا أمـيـــر المؤمنيـن ذاكـا　　وعـــدله قـد بـلغ الســمـاكـا
وعلمـــه قـــد طـبق الآفــاقـا　　وحلمــه قـد جــاوز العـراقـا
وجــوده مــشــتــهــر فى كل حى　　قَـصَّـــرَ عن إدراكـه حـــاتم طىّ

ويقال إنه لما وصلت الأبيات للسلطان أمر بإقراره على ذلك.

ولادته: ولد فى حدود أربع وعشـرين وسبعمـائة وكان حيا قرب التـسعين وسبعمائة.

١٢٦ - الحسن أبو الطيب بن محمد السهلى الشهير بآمكراز.

دفين خارج باب أبى العمائر أحـد أبواب مكناسة الزيتون، وضريحه هنالك شهير كان عليه بناء حافل أخنى عليه الدهر اليوم فَهُدّ ومزقت بهجته كل ممزق بعد حلول الدولة الحامية.

ولعبت بضريحه أيدى الحـدثان تارة يكون مقيلا للفاسقـين، وتارة مرحاضا للمتغوطين، وآونة لربط الدواب وأخرى لطرح القاذورات والأوساخ.

حاله: شيخ جليل القدر. شهير الذكر. حسن السيرة. منور السريرة. طريقه راجعة إلى الشيخ أبى عبد الله الجزولى.

الآخذون عنه: يقال منهم السيد عياد والد أبى زيد عبد الرحمن المجذوب.

وفاته: توفى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة.

١٢٧ - الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن حرزوز المكناسى أبو على.

من ذرية أبى على منصور.

حاله: كان رحمه الله فقيها جليلا علامة فهامة إماما عارفا محدثا ماهراً، متقنا مشاركا متضلعا، أديبا كاتبا، خطيبا فصيحا بليغا، لم ير بالمغرب خطيب أفصح منه، ولم يكرر خطبة قط.

رحل إلى المشرق ولقى به المشايخ وأخذ عنهم، وكان يروى كتب السنة الستة والموطأ لإمامنا مالك بأسانيدها إلى مؤلفيها بالإجازة العامة، وقد كان بلغ الغاية القصوى من الحظوة والوجاهة عند ملوك عصره، وكانت له نية صالحة فى طريق القوم.

امتحنه السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى لكلام بلغه عنه وأنه كان يعرض فى خطبه به ويحذر الناس من اتباعه والانقياد إليه ويقول على المنبر: جاءكم أهل السوس الأقصى البعاد، ثم يذكر الشيخ ويقول: وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فى كلام غير هذا.

فقتله هو وولده صبرا، وعلقهما على باب دارهما، وكان قد أخبر الممتحن بذلك الشيخ أبو الرواين الآتى فى حرف الميم فى قصة تأتى هناك بحول الله، ولما أشخص مع ولده لمصرعهما قال لولده: اصبر يا ولدى هى والله شهادة كشهادة شهيد الدار يعنى ابن عفان رضى الله عنه.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محـمد الوقاد حسبما أفصح بذلك هو نفسه فى فتواه بالموافـقة على جواز اعتـمار الممنون عليهم بالإسلام من الذمـيين بأسواق المسلمين، وهى من جملة مشمولات نصيحة المغترين وكفاية المضطرين فى التفريق بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين، ولا أخـبر به الصادق الأمين، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين.

وأخذ عن أبـى حفص عمـر بن نور الدين أبى الحـسن على بن علم الدين الربيع سليمان الجـزائرى مسكنا التونسى موطنا وألبسه الخـرقة، وذلك يوم الأربعاء ثامن عشـر حجة الحرام سنة اثنتين وتسـعمائة، وقد لبـسها هو من يد شيـخه أبى إسحـاق إبراهيم التـازى عن المراغى بسنده الشهـير كـما ذلك بفـهرسة المـترجم، وصافحه وشابكه وأضافه بالأسـودين، وسمع منه حديث الرحمة وهو أول حديث سمعه منه وأجازه، بجمـيع ما ذكر، وأبو حفص هذا يروى عن التازى المذكور عن الزواوى بأسانيده.

وأخذ أيـضا عن الحـافظ فخـر الدين عثـمان الديمى المصـرى بمنزله بالديار المصرية وأجازه بالكتب الستة، وموطـأ إمام دار الهجرة إمامنا مالك بن أنس رضى الله عنه.

وعثمان هذا يروى صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن عز الدين عبد الرحيم ابن محـمد بن الفـرات، وصحيح البـخارى عن أبى إسـحاق إبراهيم بن صـدقة الصـالحى الحنبلى، ويروى مـوطأ مـالك برواية يحـيى بن يحيى وسـنن الترمـذى وشمائله وسنن النسائى، وسنن أبى داود قراءة وسمـاع قراءة لبعضه عن الشيخ عز الدين المذكور حسبما وقفت على ذلك فى إجازات شيوخه له بخطوطهم رحم الله الجميع بمنه.

الآخذون عنه: سمع منه أبو عبد الله محمد بن عسكر صاحب الدوحة وغيره.

وفاته: توفى شهيدا فى ذى القعدة عام ستين وقيل واحد وستين وتسعمائة.

١٢٨ - حسن نور الدين بن أحمد بن العباس بن أبى سعيد المكناسى.

حاله: فقيه علامة له مشاركة فى سائر العلوم دخل مصر سنة أربع وسبعين وألف ورحل إلى الحج واجتمع على السيد عبد الرحمن المحجوب المكناسى بمكة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الفاسى نزيل مكناس وحضر دروس سيدى عبد القادر الفاسى ودروس الشبراملسى ومنصور الطوخى وأحمد البشبيشى ويحيى الشهاوى وغيرهم.

ولادته: ولد بمكناس سنة إحدى ومائة وألف.

وفاته: توفى بمصر سنة إحدى ومائة وألف.

١٢٩ - الحسن بن رحال بن أحمد بن على التدلاوى ثم المعدانى - كذا قرأته فيما كتبه بخطه منه نقلت - الإمام الكبير أبو على.

حاله: كان نادرة الزمان، وأعجوبة الأوان، حافظا لافظا متضلعا ماهراً، له ملكة واقتدار فى سائر الفنون حتى كان يدعى بصاعقة العلوم والتدريس، له عارضة كبيرة فى الفقه، واتساع زائد فى النوازل والأحكام، وملكة عجيبة فى الفتوى، وصبر هائل فى مجلس الإقراء، متسع الصَّدر والعارضة لما يلقى عليه فى مجلس درسه من الأبحاث، يجلس للدرس عند طلوع الشمس ويتمادى إلى الزوال من غير ملل ولا ضجر، وهذا لا ريب تأييد إلهى.

وكان لا يعجز عن الجواب مع استحضار النصوص المحيطة بالمرام، كثير المطالعة والتقييد، مرجوعا إليه فى الفتاوى، مستحضراً للفروع، كثير الإنصاف

والتواضع، سليم الصدر، كريم الأخلاق، حلو المداعبة، بعيداً عن التصنع، مطنبا فى الكلام، مفضالا جواداً.

ولى قضاء فاس العليا ثم أُخر عنه وأكب على التدريس والتأليف، ثم ولى فى آخر أمره قضاء مكناسة وبها توفى قاضيا.

وكان كثير العيال، كثير التزوج مطلاقا، ولد عدة أولاد، أفنى الموت الكثير منهم، وكان أكولا، قال بعضهم: بات عنده ضيف فأتى بطعام كثير فى إناء كبير يشبع جماعة من الناس فأكل الضيف مثل عادته، وأكل المترجم جميع الطعام الذى بقى، وشرب ما يناسبه من اللبن العقيد، وبقى الضيف متعجبا.

وبات يطالع إلى أن طلع الفجر فصلى الفجر والصبح، ثم جلس للمطالعة إلى أن خرج للتدريس فجلس يدرس إلى الزوال على عادته، وكان قليل النوم كلما أدام الأكل زادت قواه فى المطالعة، وذلك أمر عجيب لمخالفته للعادة، فقد اتفق الأطباء على أن كثرة الأكل تورث النوم والعكس بالعكس، والله على كل شيء قدير، ومستند ما اتفق عليه الأطباء هو العادة ؛ لأن كثرة الأكل ينشأ عنها السمن وكثرة الدم وهما يقتضيان كثرة النوم.

مشيخته: منهم الشيخ الإمام الحسن بن مسعود اليوسى، وسيدى عبد السلام القادرى ونظراؤهم.

الآخذون عنه: جم غفير، منهم المحدث الكبير الإمام القدوة ذو القدر الخطير سيدى الكبير السرغينى، ومنهم العلامة الصالح المتبحر سيدى أحمد بن مبارك السلجماسى، وأبو الحجاج يوسف المجيلدى، وأبو عبد الله محمد بن البكرى الشاذلى الدلائى، وأبو عبد الله محمد بن عبد الصادق الدكالى، وغيرهم من الفحول.

مؤلفاته: له شرح جليل المقدار على المختصر الخليلى من باب النكاح إلى آخره، وقفت عليه بالخزانة السلطانية فى نحو خمسة عشر جزءا ضخما، وحاشية

عجيبة المثال على شرح الخرشى وقفت عليها فى أربع مجلدات ضخام بالخزانة المذكورة وعلى الربع الأول منها فى غيرها، وغالب ظنى أن ذلك الربع من مبيضة المؤلف، وحاشية على شرح الشيخ ميارة على التحفة مطبوعة متداولة بأيدى الناس، وتأليف سماه الإرفاق فى مسائل الاستحقاق وغير ذلك، وبالجملة فقد كان حافظ مذهب مالك فى زمانه.

شعره: من ذلك قوله:

إياك والتفريط فى الأقوات ... فهى قوام الدين والحياة
مع فتنة ومحنة قد عظمت ... فى ظاهر وباطن كما ثبت
سيما فى مغربنا وشبهه ... فاجهد لما ذكرته وانتبه
فالقوت روح الجسم والحياة ... وفقده طبعا هو الممات

وفاته: توفى بمكناس ثالث رجب عام أربعين ومائة وألف ودفن بضريح أبى عثمان سعيد المَشَنْزَائى[1] خارج باب وجه العروس من مكناس، وتوفى وهو يقرأ كتاب الشفا للقاضى عياض ابتدأ قراءته وهو مريض والطلبة يدخلون عليه للقراءة بداره رحمه الله، وإلى الرمز لوفاته أشار أبو العباس أحمد المنصورى بقوله كل مشكل من قوله:

إن ابن رحال تفرد بالعلا ... وأوضح فى فتح لدا (كل مشكل)

١٣٠ - حمادى أبو المواهب بن عبد الواحد الحمادى نسبة لفخذ من قبيلة برابرة بنى مطير الشهيرة الشهير بالمكناسى.

حاله: فقيه ناسك، دين ورع سالك، ولى شهير، عارف كبير، ممن يشار إليه بالخير والصلاح، والبركة والنجاح، موسوما بالولاية، ملحوظا بعين الرعاية

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «المشترائى» وصوابه فى موسوعة أعلام المغرب - ص ٨٨٠.

والعناية، يذكر أنه كان فى أول أمر ذا سياحة فاشتد عليه الأمر وطال به الفتح فأنشد مستغيثا بالنبى الطاهر:

بما بوجهك من حسن ومن بهج ... وما بغرتك الغراء من بلج
وما بعينك من سِرٍّ وَمِنْ دعج ... وما بثغرك من در ومن فلج
أغثنا يا خير خلق الله عن زعج ... فإننا يا رسول الله فى حرج

فأتاه الفتح والفلاح. ونال ما يرجوه من مولاه الفتاح. فأنشد لسان المقال منه من غير خوف لوم ولا جناح:

أبشر هنيئا لقد ظفرت بالفرج ... ولن ترى بعد هذا اليوم من حرج
علاك طالع صبح الوصل فى وهج ... فقل لبارقة الأيام ايت تج
فالسعد فى شرف والذكر فى هرج ... وليس بعد قوام الأمر من عوج

وقد كان يزوره الولى الصالح الشريف مولاى عبد القادر العلمى، والشيخ التاودى بن سودة، وقد تحدث الناس عنه بكرامات، وأمور خارقات، وكان ورده الذى يلقن أصحابه لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية إلى السورة مائة مرة فى كل يوم وعقب كل مرة: اللهم إنى توكلت عليك لأعلى غيرك، اللهم اكفنى ما أهمنى، وما لم يهمنى، مما علمته وما لم أعلمه من أمور الدنيا والآخرة، إنك على كل شىء قدير.

وكانت له معرفة بعلوم الأسماء والجدول، محبا فى آل البيت معظما لهم وله أحزاب وصلوات على النبى ﷺ.

وفاته: توفى أواسط المائة الثالثة بعد الألف بمحروسة فاس، ودفن قريبا من وادى الزيتون، وقبره هنالك مشهور مزار متبرك به، إلى الآن.

١٣١ - الحسن بن مبارك السوسى المكناسى الوفاة الولى الصالح المجذوب المكاشف.

حاله: كان فى أول أمره قاطنا بحانوت حجام قرب سيدى عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة يتكلم بكلام كالمخاطب لشخص، وهو يقصد غيره، يرى فى بعض الأحيان كالأسد لا يقدر أحد أن يكلمه، وكانت تفد لزيارته الوفود من الحواضر والبوادى، وكان ذا أحوال ومكاشفات ولا يتكلم إلا باللسان البربرى، وقل ما يؤمه أحد وفى نفسه حاجة إلا وكاشفه بمراده وما يئول إليه أمره تصريحا.

وحكى عنه صاحب سلوك الطريق حكايات من هذا الباب وقعت له معه أعرب له فيها عما فى ضميره، وحكى أن الحاجب ابن الرضى المراكشى جاءه وقد كان سلطان الوقت مرض مرضا مخوفا، فقال له: يا سيدى إن السلطان مريض وإنا نخاف عليه الموت، فقال له لا تخف إلا على نفسك، فكان من قضاء الله وقدره أن السلطان برىء وقتل الحاجب المذكور، بعد أن عظم مكانه عنده.

وحكى أن بعض أهل مكناسة عزم على الحج فقال لولده: اشتر خبزة ولحما واذهب لسيدى الحسن واسمع منه ما يقول فى شأن الحج، ففعل الولد، فجعل سيدى الحسن يقول: يذهب للحج يذهب للحج من يأخذه عزرائيل، قال: فكرهت أن أقول ذلك لأبى وقلت تكلم بالبربرية فلم أفهمه فيما سافر الركب حتى كان الوالد فى قبره ويتحدث الناس عنه من هذا النوع بكل غريب باهر.

وفاته: توفى سنة خمس وسبعين ومائة وألف، ودفن قرب ضريح سيدى عمرو بوعوادة، وبنى عليه مقام ومسجد وصارت له عمارة أكثر من عمارة سيدى عمرو المذكور.

---

١٣١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٧٥.

١٣٢- الحارث بن المفضل الحسناوى السهلى أصلا المكناسى دارا.

حاله: فقيه عـلامة من أعيان مهرة محققى عصـره، وأوحد فضلاء مصره، كان معاصرًا للشيخ الرهونى محشى الزرقانى وبنانى، وربما كان فى عداد شيوخه.

وهو من جملة أعيـان العلماء الذين وافقوا على تأليف له نقله فى حاشـيته المذكـورة عند قول المتن، وقـدمت بينة الملك من باب الـشهـادات وقد صـرح بأن الموافقين له عليه من مـحققى أعيان علماء عصـره، وأثبت تقاريظهم ثمة وهم أى المقرظون الموافقـون: الشيخ الطيب بن عبد المجـيد بن كيران، والشيخ مـحمد بن أحمد بن محمـد بنيس، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بـن عبد الرحمن الحائك المصمـودى التطوانى، والشيخ المترجم، والشـيخ سيدى مـحمد بن الخضـر النجار الحسنى السماتى، والشيخ سيدى محمد بن محمد الجنوبى الحسنى، والشيخ سيدى محـمد بن الصـادق بن أحمـد بن الحسين بن ريسـون الحسنى العلمـى هكذا ذكر نصوص موافقاتهم له على هذا الترتيب، ولـم أقف على تاريخ وفاته.

١٣٣- الحـسن بن مولاى المهـدى بن مـولاى أحمـد بن مولاى المهـدى بن سميه أيضا نجل تاج مفرق الدولة العلوية أبى النصر مولانا إسماعيل.

قدس الله سره الشريف الأصيل. البركة الجليل. الصالح الأنزه.

حاله: بركـة صالح، ذاكـر ناسك صبور مـقبل على الله، دال عليـه بحاله ومقـاله، معرض عن سائر الخطط والمناصب الـعلمية، وربما تعاطى بعض أسـباب المعـاش من بيع وشراء إذا ضـاق به الأمـر فى تحصـيل ضـروريات عيـاله، قنوع باليسير، مكتف بأدنى بلغة.

رحل لطلب العلم بمحروسة فاس وتلقاه من أفواه جلـة حملته وجد واجتهد حتى حصل ما قسم الله له، ثم قفل لمسقط رأسه زاوية زرهون، وصار حامل راية

دروسها فانتفع به كل طالب للعلم وقتئذ بها، ثم انتخبه السيد عبد الله بن أحمد لإقراء ولده السيد عبد السلام العلم بفاس مدة مديدة، وبعد موت المذكور رجع للزاوية وانكب على تدريس العلم وإفادته، ثم انتقل لمكناس وأقبل على نشر العلم وبثه فى صدور الرجال راض بالقليل من الطعام والدون من الثياب، مقبل على الله فى سره ونجواه، ولوع بمحبة الصالحين ومجالسة أهل الخير، والأنس بحديثهم.

ولم يزل هذا شأنه وديدنه إلى أن ألبسه المولى سبحانه حلة مرض مزمن أقعده بل أضجعه، فتلقى ذلك بكمال الرضا، بحيث صار لا يتمنى زواله، ولا يبحث عن طريق التخلص منه.

ولم تزل أسراره القلبية تنمو، ومرضه يتزايد حتى صار نصفه الأسفل لا يتحرك إلا بمشقة، وقلبه مع ذلك ممتلئ بالأسرار طافح بالأنوار، فكان وهو بهذه الحالة يفيض على زائريه مما هو فيه فيجدون فى ذلك من الرقة والإنابة والخشية ما كانوا قبله بُعَدَاء عنه، وقد لازمه المرض الموصوف وهو معه على هذا الحال المعروف مدة سنين إلى أن لبى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى الشيخ سيدى محمد بن المدنى جنون وهو عمدته ومن فى طبقته من أعلام ذلك الزمان.

الآخذون عنه: منهم إمام وخطيب مسجد الضريح الأنور الإدريسى العلامة سيدى الفاطمى بن الفضيل ومنهم سيدى محمد بن الفاطمى الإدريسى ومنهم ابن عمنا العلامة الأقعد ابن أخى المترجم سيدى محمد بن أحمد وخلق وستأتى تراجم هؤلاء فيما بعد بحول الله.

وفاته: توفى بمحروسة مكناس صبيحة يوم الجمعة ثانى شوال عام ثلاثين وثلاثمائة وألف ودفن بضريح سيدى عبد الله الدراوى المدعو الضاوى ضجيعا له قرب ضريح سيدى أحمد بن خضراء المتقدم الترجمة.

١٣٤- الحسين بن الحسن بن حفيد بن محمد - فتحا - بن زين العابدين بن فخر الملوك مولانا إسماعيل الحسنى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه أستاذ مجود، كان يحفظ قراءات السبع ويؤدب الصبيان بمسجد الشاوية المعروف اليوم بجامع الستينية، نسخ كتبا عديدة وكانت طريقته تيجانية، وكان مقدما فيها وله الإذن الخاص فى تلقين أورادها وأسرارها، ولم يزل متمسكا بذلك العهد إلى أن لبى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن سيدنا الجد دنية مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان، والسيد فضول بن عزوز، وابن الجيلالى[١] السقاط وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه القرآن غير واحد، وتخرج على يده من حملة القرآن عدد وافر من الأشراف وغيرهم.

* * *

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من الموسوعة ص ٢٧٦١.

حرف الخاء

* * *

١٣٥ - الخياط الزرهونى.

حالـه: ولد بمدشر العـامة من جبل زرهون، ثم رحل لفاس فـقرأ الـقرآن بالروايات العـشر وأتقن حفظهـا، وقرأ الخـزرجية والقلصـادى والمنية، ومـهر فى الحسـاب والفرائض والتاريخ وأيام الناس وسـياسة الملوك، ثـم اتخذ مكتبـا لتعليم الصبـيان بحومة زقاق الحـجر من مدينة فـاس، ثم رشحه جارى الحومـة المذكورة لمباشرة زمـام ما يقبضه من اللوازم، ثم صـار يباشر زمامات سـائر المكلفين بقبض الأداءات البلدية بسـائر حومـات فـاس، وعددها إذ ذاك أربعـة وعشـرون حومـة وبجميع حسابات ذلك.

فقربه واصطفـاه إليه عامل فاس إذ ذاك من قبل السلطان سيـدنا الجد مولانا إسمـاعيل وهو أبو على الروسى، فولاه على الجـميع حتى لم يبق لأحد مـعه فى تلك الجهـة من الأمر شىء، حـتى صار يضرب المغـارم على من يستـمع للوعاظ والقصـاص بمسجد القـرويين، ويوقع القبض على من لم يؤد مـا وظف عليه من المغرم، فترك الناس لذلك الإتيان للمسجد والاستماع للوراقين.

ثم لما أراد الله أفول طالع ظلمـه، وإراحة المسلمين من بغيـه، اتفق أن قدم لفاس اسى المـؤذن مسامـر مولانا الجـد السلطان مولانا إسـماعيل لزيارة ابـنته فى مرض أصـابها، فدخل لمسجـد القرويين بقصـد سماع كتـاب الحلية من القلص، فوجد المسـجد فارغا لا يسمع من الوعاظ إلا النزر الـقليل من الناس، فبحث عن السبب فأخبر بفعل المترجم فأسرها فى نفسه.

ولما رجع لمكناس وجلس مع الـسلطان على عادتـه سأله عن أحـوال الناس

وعن الأسعـار والرخاء وتأمين البلاد والطـرق وعمارة المساجـد وقراءة العلم وأهل الدين والخيـر وسيرة عمـاله فيهم، فأخـبره عن ذلك، إلى أن بلغ لخبـر القرويين فأخبره بفعل الخياط المذكور مترجما فيها.

فـاغتـاظ لذلك الفعل الـسيئ الشنيع وأصـدر أمـره حالا لعـامله أبى على الروسى مضمنه: وليتك أمر المسلمين لتنظر إليهم بعين الشفقة والرحمة وتسعى فى المصالح فإذا بك أطلقت عليهم فى كل حومة سـفيها ابن زنا يأكل لحومهم ويمص دماءهم ومن سلمه الله منه يتبعه للمسـجد الأعظم ويقبض عليه فيه ويسجنه، فإن كان هذا فى علمك فسترى إن شاء الله منى ما تكره، وإن لم يكن عن إذنك فعلى بهؤلاء، فإن تركت منهم أحدا فإنك مكانه وكلكم راع والكل مـسئول عن رعيته. فقـبض القائد المذكـور على جميـعهم امـتثالا للأمـر العالى وجـعل لهم الأغلال والسلاسل إلا المترجم تفلت واسـتجار بحرم مولانا إدريس رضى الله عنه، فكلف العسس بالقبض عليه عـندما يخرج لقضاء حاجة الإنسـان، فقبض عليه بالكنف، وفتحوا فى أحد جدرانه نقبا أخرجـوه منه فغل وقيد ولحق بإخوانه، وسار بالجميع العامل المذكـور، فلما مثلوا بـين يديه أمر بضرب أعناقـهم ردعا لأمثـالهم وإراحة للمسلمين منهم، وضـمت أموالهم لبيت مال المسلمـين، وأمر السلطان العامل أبا على بأن لا يزيد على جـاريين أحدهما على اللمطيـين والآخر على الأندلسـيين، وأمـر السلطان أن لا يعطى للجـارى سـوى مـوزونتـين، ولجارى الحـبس سـوى موزونة، ولعـون الشرع سوى نصف مـوزونة، فمن زاد على ذلك ضـربت عنقه، وبسبب ذلك اطمأنت البلاد والعباد، وانطفأت نيران ذوى الجور والفساد.

وفاته: قتل بمكناس صبرا عام خمسة أو أربعة وعشرين ومائة وألف.

١٣٦ - الخياط الخياطى من عقب الولى الصالح سيدى عبد الله الخياط، دفين جبل زرهون.

حاله: من أهل الخير والصلاح والعناية والنجاح. والرعاية والفلاح. مشار إليه بالولاية والفضل، متبرك به معتقد أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات.

الآخذون عنه: منهم أبو حفص الشريف سيدى عمر بن أحمد العراقى المتوفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف.

وفاته: توفى أوائل القرن الثالث عشر بفاس، ودفن بإزاء سيدى عبد السلام التواتى بمقابلة من درب أهل تادلا.

١٣٧ - خناثة بنت الشيخ الأكبر الأشهر بكار بن على بن عبد الله المغافرى السيدة المباركة زوج سيدنا الجد الأعظم مولانا إسماعيل سلطان المغرب.

حالها: فقيهة عالمة أدبية دينة من أصرح العرب نسبا وأجلهم حسبا وأعرقهم مجدا وفخرا، وأعزهم جانبا، وأرفعهم قدرا من صميم قبائل المغافرة، وهم من ظهر حسان من عرب اليمن وأصل اليمانية من قحطان على ما تقرر عند علماء الأنساب النقاد.

قال فى حقها الشيخ محمد بن على بن فضل الحسينى الشافعى الطبرى إمام المقام الإبراهيمى ما لفظه: ثمرة الشيوخ المعتبرين المنتخبين من أكرم سلالة. وأفلاذ أكباد العلماء المتغذين بلبان الجلالة. مغارس طابت فى ربى المجد فألقت على الخلف معدن السودد وكيمياء السعادة. وعنصر الحمد ومفرق السيادة. الملكة خناثة بنت المرحوم المبرور الشيخ بكار المغفرى زوجة المرحوم المقدس مولانا السلطان

---

١٣٧ - من مصادر ترجمتها: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ١١٥٥.

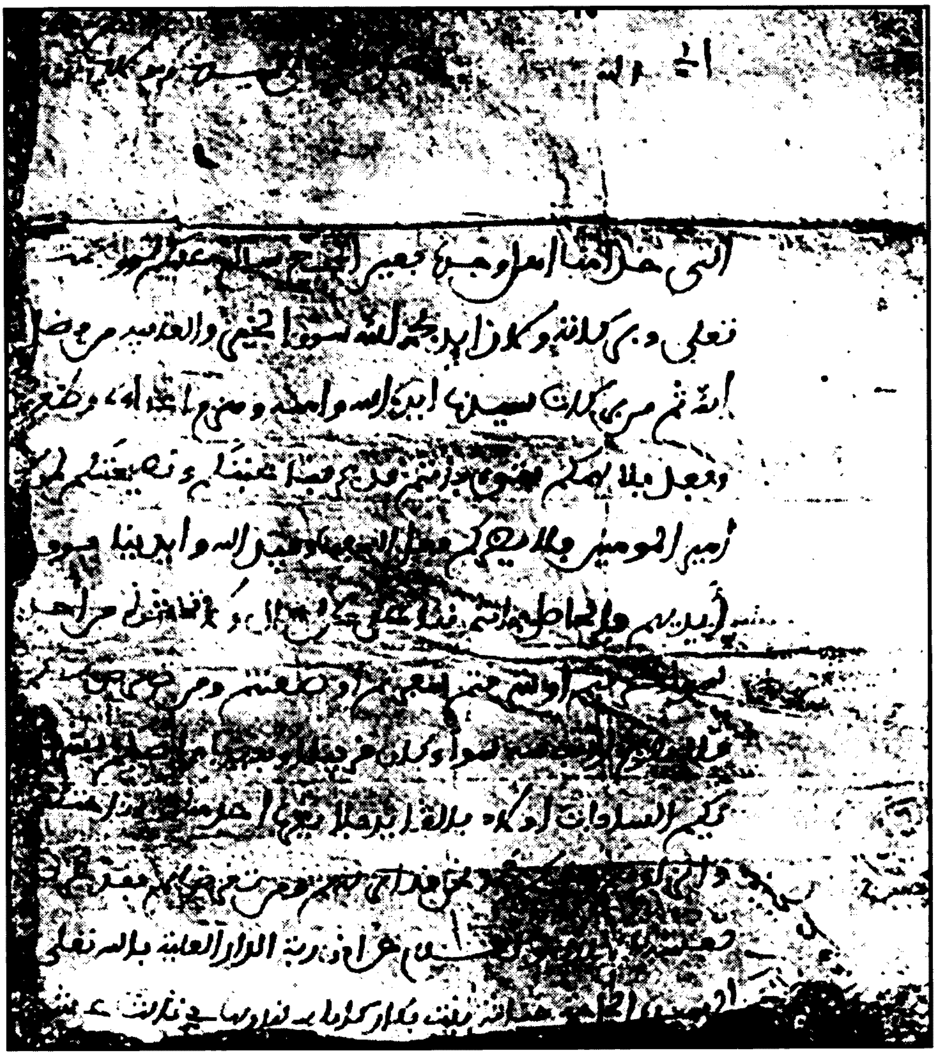
إسماعيل أعلى الله مقامه فى الجنان ورفع لهذه الملكة أعلام السيادة على مر الزمان.

وقال أبو عبد الله الوزير الشرقى الإسحاقى فى رحلته التى ألفها بمناسبة سفره إلى الحج فى معية صاحبة الترجمة ما نصه: فما نعلم واحدة من الحرائر التى دخلت دار الخلافة من أزواج مولانا السلطان مولانا إسماعيل رحمه الله تشبه هذه السيدة ولا تدانيها همة وصيانة، وعفافا ورزانة، وحصانة عقل ومتانة دين، فهى من المسلمات المؤمنات القانتات المستجمعات للأوصاف التى أعد الله لهن عليها مغفرة وأجرا عظيما.

وكان لها كلام ورأى وتدبير مع مولانا أمير المؤمنين رحمه الله ومشاورة فى بعض أمور الرعية، وكانت له وزيرة صدق وبطانة خير، تأمره بالخير وتحرضه عليه وتتوسط فى حوائج الناس ويقصد بابها أهل الحياء والحشمة وذوو الحاجات وكانت فى ذلك ركنا من الأركان جزاها الله بالخير.

رحلت إلى الحج وزيارة خير الأنام مع حفيدها سيدى محمد بن عبد الله وكان خروجها من دار الخلافة بمكناسة الزيتون بعد صلاة الجمعة الحادية عشرة جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهى السنة الرابعة من إمارة ولدها السلطان مولاى عبد الله، وقد بلغ عدد ما زودها به ولدها المذكور من الدراهم بقصد التوسعة على أهل الحرمين الشريفين مائة ألف دينار كما قاله حفيدها العلامة الثبت أبو محمد عبد السلام بن محمد بن عبد الله فى مؤلفه، درة السلوك وريحانة العلماء والملوك.

وكان خروجها للحج فى أبهة من أبهات الملك كبيرة. وأسباب من أسبابه أثيرة. وكان مبيتها على الربوة المشرفة على وادى ويسلين حيث ضربت لها هنالك القباب الملونة، التى جللت الأرض وملأت الأعين منظرا وبهاء وكثرة أمتعة



كتاب السيدة خناثة بنت بكار لأهل وجدة وعليه طابعها

وأكـداش ودواب وعبـيد وخـدم وطواشـية، وهم الـذين يلون القبـاب ونصـبهـا ومباشرتها والحاشية أهل الحرس من وراء ذلك على بعد، ومن الغد نهضت نهوض يمن وإجلال وواصلت المسيـر إلى أن خيمت على ضفة وادى النجـا فباتت هنالك والعناية تقدمها. والرعاية تخدمها.

ومن الغد حلت بـدار الملك من فاس، وذلك قرب الظهـر فأقـامت بها فى انتظار اجتماع وفد الحاج، وفى يوم الخميـس خامس عشرى جمادى الثانية بارحت فاسا على أحسن حال. وأجمل احتفال.

وكان مخـيمها بولجـة العسال على عدوة وادى سـبو من العدوة الشـرقية، جرت العادة بنزول ركب الحجاج بها يوم انفصاله عن فاس، وأقامت به يوم الجمعة لانتظار اجتماع بقية الركب.

وفى عشية الجمعة نفسها خرج ولد صاحبة الترجمة السلطان مولانا عبد الله فى أعيان جيشـه وذوى الحيثيات من وجهاء دولته لوداعـها، وبعد أدائه ما يناسب من مناسك البرور رجـع لحضرته الفـاسية، وكـان شيخ الركب إذ ذاك الحاج عـبد الخالق عديل، وعند إسفار يوم السبت أقلع الركب مرتحلا والمترجمة فى مقدمته مع خاصتها وحاشـيتها وواصلوا السير يومهم إلى أن خيموا عـشيته بضفة وادى اناون من بلاد الحـيـاينة بالمحل المعـد لنزول الركب كل سنة المعـروف بسـبت بوجـابر، وهنالك تلقتهم قواد القبيلة المذكورة بكل حـفاوة وإجلال، وقاموا بواجب الضيافة كما يلزم أتم قيام، فباتوا فى اطمئنان وأمان، ومن الغد ارتحلوا وواصلوا السير إلى أن وصلوا المحل المعروف بالملاعب، فخيموا به وضربت قـباب صاحبة الترجمة مع حفيديها على عقبة بنى فكاره.

ومن الغد خيمـوا بتازا وكان وصولهم إليها وقت الزوال وأقـاموا بها يومين كـاملين ثم ارتحلوا ثانى رجب وعـبـروا وادى بوالاجـراف ومـروا بالبلد المسـمى

بالفحـامـة، واتصل مسـيـرهم إلى أن وصلوا وادى القـطف فنزلوا به، ثم وادى ملوية، ثم تافـراطه من قـبـيلة الأحـلاف، ثم فم بزور، ثم المريجـات، ثم وادى الشـارف، ثم المنقوب، ثم أبـيار السلطان، ثم بـوالدروس، ثم جنان لصطم وهو شجرات مجتـمعات كهيئة الجنان وليست به، ثم بالغفـر عن يمين حبل عنتر، ثم بوهاد الظهرا، ثم أصبحـوا بعين الحسينى فأقاموا بها يومهم حـتى استقى الناس ما يكفيهم من الماء لمرحلتين.

ثم ارتحلوا وباتوا قـرب القصيـعات، ثم نزلوا بعين الحـجر ثم المشـرية آخر منازل الظهرا، ثم النخيل، ثم الأمشط الأحمر، ثم عين ماضى، ثم الحميضة، ثم على مقربة من عبد المجيد، ثم التومـيات، ثم سيدى خالد، ثم أسفل الغيث، ثم بأطراف الزاب ملجأ ملوك بنى زيان ومـعتصمهم حين يضـايقهم بنو مرين عن دار مملكتهم تلمسان، ثم بسكرة بظاهر البلد وأقاموا بها يومين، ثم وادى الناموس، ثم غمـران، ثم توز، ثم الحامـه، ثم قابس ومنـها الجرف المقـابل لجزيرة جـربة، ثم حمادة بن قردمان، ثم شوشـة، ثم الزوارات الغربية، ثم زواغة، ثم قردادش، ثم طرابلس.

قـال الوزير الشـرقى الإسحـاقى فى رحلتـه: لما حلوا بطرابلس خـرج ولد صاحب البلد وحاكـمه أحمد باشا فى لمة من أصحـابه مع أهل البلد رجالا ونساء حفاة فى الطريق، وعلـى السطوح مظهرين الفرح والسرور بولد سـيدنا نصره الله وأمه وبوفد الحجاج، وأخرج مدافع كبارا سلاما على ولد السلطان نصره الله على عادة أهل البحر فى التسليم والتوديع بالمدافع.

واحتفل ولد سيدنا نصره الله سيـدى محمد أصلحه الله للدخول لهذا البلد فيمن معـه من الوصفان عبيد الـبخارى نفع الله به فتناولوا من لباسهم ومـراكبهم وحسن زيهم ما كانوا أعـدوه لذلك، ولعبوا بالبارود لعبا قـضى منه الترك وغيرهم العجب، واعترفوا بأنهم لا قدرة لهم على ذلك اللعب ولا مـعهم من الفروسية ما يقاوم ذلك.

وأهل البلاد المشرقيـة كلهم يتعجبون من زى مخـزن سلاطين المغرب مولانا إسماعيل وولده هذا مولاى عبد الله نصره الله وأدام وجوده، فقد تقرر عندهم من فروسيته وشهامته وحزمه وعزمه وضبطه وجوده ما أوجب تعظيمه فى نفوسهم كل التعظيم، ويقول منهم من علم من يشابه أباه فما ظلم، واحتفل الباشا بضيافة ولد السلطان مع أمه غاية الاحتفال، فما تركوا شيئا قدروا عليه إلا وقدموه وداموا على ذلك مدة إقامتهم بطرابلس وكذلك فعلوا حال الأوبة.

قال: فقد قام بالحـقوق. قيام الحر لا المرقوق. وقد قامت المتـرجمة بمكافأته على حسن صنيعه بأضعاف مضاعفة مما يستغرب وجوده فى تلك الديار من الطرف والتـحف الملوكيـة، ولـم تقصـر فى إسـداء الخيـر وأنواع التبـرعات التى أوجـبت استلفـات الأنظار إليهـا فى تلك الفلوات سيـان فى ذلك الغنى والفقـير. والجليل والحقير. تقبل الله منها أعمالها. وأنالها من الخير آمالها هـ. بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى.

ثم قال: خرجنا من طـرابلس يوم السبت الثامن من شهـر رمضان من السنة ونزلنا بقرية تاجورى، ثم من تاجورى للمسـيل، ثم النقيرة، ثم لبدة، ثم الدفينة، ثم مصراته حيث مدفن أبى العبـاس أحمد زروق، ثم بوشعيب، ثم سرت، وهى كما قال البكرى فى مسالكه(١): مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخيل وبساتين وفيها يقول:

يا سـرت لا سـرّت بك الأنفس ... لسـان مـدحى فـيكم أخـرس
ألبـسـتم القـبح فـلا مـنظر ... يـروق منـكم لا ولا مـلبـس(٢)

(١) المسالك والممالك للبكرى ٢/ ٦٥١ - ٦٥٢.

(٢) فى المطبـوع: «منكم ولا ملبس» وهو غيـر صحيح عـروضيـا، والتصويب مـن المسالك والأبيات من بحر السريع.

بخســـتم فى كل أكـــرومـــة وفى الخنا واللوم لم تبـخسـوا[1]

ومن سرت هذه لشـرف حسان، ثم التنعـيم، ثم وادى مسعـود، ثم مقطع الكبريت فوغبة، فبرقة المدينة الأزلية المسماة قديما أنطابلس - أى خمس مدن كما للبكرى، ثم من برقة للزجيجـيفية، فكلود، فالنخيلى، فالتمـيمى، فعين الغزالة، فالنبـعة، فالدفنة فظهـرة عزيز، فمطعن مـقرة، ثم أبى المطامر، ثم الأخـصاص، فأنْبَابة[2] وهى مدينة على ساحل النيل فى الجانب الغربى ثم مصر القاهرة.

وكان دخـولهم مصر يوم الخمـيس التاسع عشر من شـوال عامه ولم يبيـتوا بمصر بل خيـموا بالمحل المعروف بالبركـة - بالراء المرققة - على عشـرة أميال من مصر يجتمع فيه الركب المصرى، ومن بركة للدار الحمراء، ثم عجرود، ثم رءوس النواظر، ثم وادى التيه المحل الذى تاه فيه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، ثم النخيل، فبـئر الزعالك، فسطح العقبة عـقبة أيلة القرية التى كانت حـاضرة البحر وهى معدودة من كور مصر.

قال العبدرى: وقـد ذكرها القاضى عياض فى مشارقه وغلط فـيها، فحكى عن أبى عبيـدة أنها مدينة على شاطئ البحـر من بلاد الشام، وهى نصف الطريق من فسطاط مـصر إلى مكة هـ، ثم ظهـر الحمـار ثم شراجة ابن عطيـة، فمـعابر شعيب، فعيون القصب، فالبندر، فبيار السلطان، فالأزلام، فالإصطبل، ثم وادى لكره، فالحوراء، فالنبط، فالينبوع.

وبه قدم على السيدة المباركة صاحبة الترجمة الشرفاء أهل الينبع لأداء مراسم التهنئة والتحيـة بسلامة القدوم، فأكرمت وفادتهم وأحسنت إليـهم كعادتها المألوفة

---

(١) المسالك والممالك للبكرى - ص ٦٥١ - ٦٥٢.

(٢) فى المطبوع: «فالنبابة» تحريف.

وبالأخص مع الأشراف آل البيت المصطـفى، وأهدت لهم كساوى من أرفع طرز، وأدت لهم مائتى مثقال ذهبا مطبـوعة كانت توجه لهم أيام زوجها السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، ومائة مثقال ذهبا منحة من عندها شطرها للشرفاء والشطر الآخر للشريفات.

ثم من الينبع، لبـدر، فبروة القـاع، فرابغ، فـقديد - سمـيت قديد لتـقدد السيول بها - ومن قديد لعسفان، فوادى فاطمة.

ومن الغد نهضت المترجمـة قبل الركب وواصلت السير إلى أن أناخت بذى طوى وصلت به المغرب واغتسلت وتهيأت لدخول مكة شرفها الله تعالى وعظمها، ودخلتهـا عشاء وذلك ليلة السابع من ذى الحـجة الحرام، دخول جـلالة ووقار فى محفل من الأجناد، وطافت طواف القدوم وبعد أيام التشريق نفرت إلى مكة وأتت بعمرتها.

وكانـت مدة إقامـتهـا بمكة تنزل كل يوم فى جنح الظلام. وتطوف بالبـيت الحرام. وتبـذل بغير حـصر. وتعطى عطاء من لا يخـشى الفقـر. ودخلت جوف الكعبة. وأفـاضت فى سدنتها ما علا للـمغرب كعبه. وخلدت بمكة المشـرفة ذكرا جميلا. وبذلت عطاء جزيلا.

وأوقفت أوقافا ذات بال منهـا دار اشترتها من أولاد العلامة أبى محـمد عبد الله بن سالم البـصرى بباب العمـرة أحد أبواب المسجد الحـرام بما يقرب من ألف مثقال ذهب مطبوعة وحبستهـا على طلبة يختمون كل يوم ختمة من القرآن، وعلى من يدرس صحيح أبى عبد الله البخارى وعينت ناظرا على الدار المذكورة.

وبعد أن قضت من الحرم المكى وطرها، وأدت من المناسك سنتها وفرضها، تاقت نفسها لطيبة الطيبة، وزيارة قبر خير العالمين فنهضت والسعادة تحرسها وعيون

الحفظ ترمقها، وكان خروجها من مكة المشرفة زادها الله شرفا ورفعة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذى الحجة والمبيت بوادى فاطمة، ومن الغد ارتحل الركب ووجهته المدينة المنورة على الطريق التى جاء عليها داراً داراً إلى بدر ومنه أخذ طريق الصفراء.

فكان المبيت بالموضع المسمى بالجديدة، فقبور الشهداء، فبير على، فوادى العقيق، فمهد الفضائل المشهورة ومقعد ألوية الدين المنشورة، مدينة المظهر الأعلى، والبرزخ الأسنى، مشرق الأنوار، ومعدن الأسرار، من له الفتح والختام، الحائز للمقامات العلية بالتمام، رسول رب العالمين، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ تسليما كثيرا وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكان مقامها بالمدينة ثلاثة أيام بدار مفتى الشافعية بها أبى الفخرزين العابدين المنوفى، وبعد بلوغها الوطر من تلك البقاع الطاهرة عجلت الأوبة لدار مملكتها والكل لحسن الصنيع شاكر، ولها فى كل حين ذاكر.

بعض ما قيل فيها من الأمداح: من ذلك قول أبى عبد الله محمد بن على الحسينى الشافعى الطبرى إمام المقام الخليلى:

غنى على عود السعود هزارى … وشدا على الأوتار بالأوطار
والأنس طاب لنا بأوقات الهنا … بسلامة الحجاج والزوار
لا سيما بسلامة الست التى … حظيت ببيت الله والأستار
فلها المنى بوصال من قد جاورت … والأكرمون يرون حق الجار
فاحت بها أرجاء مكة رغبة … ومحبة من سائر الأدوار
وهى الحقيقة بالجلالة فى الورى … فجلالة الأضياف ليس بعار

والله قــد ألقى عليــهـــا دائمــا حـسن القبـول كسـيمـة الأخيـار
وهى الحليـمة والكريمـة ما لهـا فى الجـود ثان مـثل غـيث جـار
ولهـا كـمـال وافـــر فى عـفـة ولهـا حـــيــاء فــاق فــى المقـدار
فــالله يحـملهـا بحـسن رعـاية مـنـه إلـى مكـنـاس بـالأوطـار
ويحـفـهـا بـسـعـادة وسـيـادة من كل ســوء مـــاضى أوطارى
وعلى الـنبى وآله وصـــحـــابه صلى وسلـم ذو الجـلال البـــارى
ما غردت ورق الريـاض بدوحها وترنمت فــى ســائر الأســحـــار

وفاتها: توفيت رحمة الله علينا وعليهـا بفاس فى جمادى الأولى عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ودفنت بروضة الأشراف من المدينة البيضاء فاس الجديد.

١٣٨- خليل بن صالح الخالدى.

قاضى مكناسة الحشـمى، نسبة إلى الحشم إحدى قبـائل عرب تلماس، نشأ بتلمسان ثم استوطن فاسا.

حاله: كان فقيها نحويا آية فى صناعة التدريس، وبالأخص ألفية ابن مالك، ذا تؤدة لا يتزحزح ولا يتحرك حالة إلقائه الدروس، فصيح اللسان، حلو العبارة، يحصل ما ألقاه فى درسـه تحصيلا عجيبـا، مجلسه بالقرويين حفيل يحـضره نجباء أعيان طلبة وقته.

تولى نيابة القضاء بمقـصورة القرويين عن قاضيها العلامة المشـاور السيد عبد الله بن خضراء السلوى، ووقعت له رحـمه الله فى مدة نيابته نوادر عجيـبة يسخر

١٣٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٥٣.

منها صغار الولدان ومن له أدنى مسكة من الفقه، من ذلك أن رجلا طلب منه الإذن فى إقامة بينة على بغلة له وجدها بيد الغير فقام فيها بالاستحقاق، فأمر أعوانه بجعل البغلة فى محل خاص ويغلق عليها بحيث لا يراها الشهود لئلا يستند بعضهم على بعض فى وصفها ونعتها، والحال أن عوام الأعوان فضلا عن الوكلاء يعلمون أن شهادة الاستحقاق لا تكون إلا على عين الشىء المستحق.

ومنها أنه ادعى لديه رجل على أخيه بأنه تقاعد له على حقوق انجرت له من ميراث أبيه، فطلب وكيل المدعى عليه من المدعى إثبات موت أبيه وعدة ورثته فحكم بإلغاء طلبه وعدم قبوله شرعا، وألزمه الجواب من غير مهلة أو عزل نفسه عن الدعوى.

ومنها أن ورثة هالك قاموا بغبن فى دار اشتراها موروثهم استوفت صورتها شروط القيام بالغين، وأدلوا بفتوى شيخنا أبى العباس ابن المأمون البلغيثى أطال الله بقاءه تؤيد مدعاهم، ووافق على فتواه عالمان جليلان، فلما أدلوا لديه بالفتاوى المذكورة حكم بإلغاء أولى الفتاوى التى هى الأصل معللا لإلغائها بأن صاحبها سافر للاتجار بالشام، وقبول الفتويين المعضدتين لها، وقد هجاه شيخنا المذكور بعدة قطع وقصائد من ذلك قوله:

وذى سفه قد خلا قلبه	وقلبه من كل شىء على
تسمى خليلا بدون علوم	وليس خليلا ولكن خلى

ثم رشح لقضاء الحضرة المكناسية وزرهون وما انضم لذلك بعد وفاة قاضيها أبى العباس ابن سودة المرى المترجم فيما سلف، وذلك عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، ولما حل بمكناس، لبست نحوياته حلة التناس، حتى حفظ عنه

فى خطبه اللحن الصراح من ذلك جزمه للمضارع المقرون بحرف التنفيس من قول سيدنا عـمر بن عبد العزيز الوارد فى الصـحيح فإن أعش فسأبيـنها ونبا عنه أنه لا يصلح أن يكون شرطا ولذلك وجب قرنه بالفاء لما وقع جوابا، اللهم إلا أن يجاب عنه بأنه سكنه تخفيفا على حد قراءة إن الله يأمركم بالجزم.

وقد حـكى عنه بعض أهل العدل من شـيوخنا أنه كـان يوما بمجـلسه فـمر بجنازة فسـأل من هى؟ فقيل له: امرأة نفـساء، فقال: وهل ينعت المفـرد بالجمع؟ فقيل له: أين الجـمع؟ فقال: نفساء، فـقيل له: نفساء ليس بجـمع وإنما هو مفرد وأنشد له المسئول على سبيل التمثيل قول البوصيرى.

من لحواء إنها حملت أحمد أو إنها به نفساء

فقال ضـرورة، فقيل له: وعلى أنه جمع فمـا المفرد؟ فقال: نفيـسة فسكت المسئول وقال فى نفسه الآن آن لأبى حنيفة أن يمد رجليه.

ثم ختمت أعـماله فى مكناسة بنكبـة شنعاء وذلك يوم خلع السلطان المولى عبد العزيز ومبـايعة أخيه السلطان المولى عبد الحفيظ وحـشد الناس لذلك بالمسجد الأعظم وتم الأمر فيمـا حشدوا إليه على ما سنشرحه بـعد بحول الله، قام بعض من لا خـلاق له من الأوباش بإغـراء ممن فى قلبه مـرض وأعلن بسب المتـرجم، فقامت ضجة عظيـمة فى المسجد وكان قصد موقـد نار تلك الفتنة الفتك بصاحب الترجمة، فقمت فى وجه أولئك وعززنى من حضر ثم من أبناء عمى العلويين وفر الله جمعـهم، وعضدنا عامل البلد حيث قلت له: إن لم تحسم هـذه المادة حسما كليا فلا ريب أن هذه النار تجر ذيلها عليك وعلى كل موظف ووجيه حالا، ويتسع الخرق على الراتق، وتكون العاقبة وخيمة.

فأصـغى لى بأذن واعية ووقع منه مـقالى كل الموقع وقـام لإطفاء تلك النار

بنفسه وأعوانه، وأدخلنا القاضى لمقصورة الخطيب وكلفنا به من يحرسه إلى أن يصل لداره فى حفظ وأمان.

ولما حيل بين أولئك الرعاع وبين ما يشتهون هجموا على بيت كان لولد القاضى المترجم بمدرسة العدول ودخلوه عنوة، ونهبوا ما فيه مما لست أذكره ولا أتيقن حقيقة ذلك، والذى يغلب على الظن أن ذلك مختلق.

ومن ذلك الحين لزم المترجم بيته ولم يخرج إلا يوم سفره لفاس، والذى تصدر للفصل بين الخصوم مكانه هو شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، ولم يزل على ذلك حتى أقر على الخطة واستقل بها حيث أعانه على ذلك قوم آخرون.

مشيخته: أخذ عن حامل لواء التحقيق فى النحو المشار له فيه بالبنان بين معاصريه الفقيه الخطيب السيد محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة المرى المدعو الجلود، وعمن هو فى طبقته من محققى معاصريه.

الآخذون عنه: كثير منهم شيخنا الفقيه سيدى محمد النميشى، ومنهم الفقيه مولاى الشريف التاكناوتى، والفقيه السيد عبد الرفيع الإِيرارى، وأخوه الفقيه السيد محمد ومن فى طبقة هؤلاء من النجباء المحققين.

مؤلفاته: وقفت له على رحلة منظومة نظما ساقط الوزن غير مرتبط لمعنى وقافية، وختمه للألفية، ومقامة فى قصة الفيل المهدى لسلطان المغرب مولانا الحسن من الدولة البريطانية عام تسعة وثلاثمائة وألف، فى نحو كراسة.

نثره: من ذلك قوله فى فصل من مقامته المشار لها يصف الفيل:

ذو جسم جسيم، وشكل وسيم، ظريف بهى، نبيل شهى، من أعظم الحيوانات وأبهر المصنوعات، منظره بديع، وهيكله رفيع، طويل الخرطوم، واسع الحلقوم، مبسوط الأذنين، حديد العينين، طويل الأنياب، أسنانه تبلغ ثلاثمائة سن

فى الاستيعاب، كأنه طود علاه سحاب، يحسبه الناظر إليه ربوة تمشى على ساق، أو سحابة أظلمت الآفاق، يهرول فى مشيته، ويسارع فى خطوته، كثيف فى المرأى، خفيف فى الوطأى، لو فاجأ عنترة وسليكا، لعجزا عن الإقدام وهلكا، ليس فى سيره انزعاج ولا اضطراب، تحسبه جامدا وهو يمر مر السحاب، تفزع منه الطيور، وتتقى صدمته النسور، وخرطومه يتقلب تقلب الأفعى، يتلفف به الملتقم حين يدعى، ويسير به إلى الجهات الست، ويقلع به الصخور والأشجار قطع البت، ظهره عريض بسيط، وصوته رقيق غطيط، غليظ الجثة المرتقبة، قصير الجيد منقبض الرقبة، وعيناه كإكسير زحل، إذ لم يمتز فيهما بياض من كحل، وقوائمه الأربع ويداه ورجلاه أجمع، كأجسام نخل باسقة، أو سوارى متناسقة، يخاله من لا يعرفه عند رؤيته، أن الأرض انقلبت بهرولته، أو زلزلت زلزالها، أو أن الله بذلك أوحى لها، أبصر من هدهد، وأسمع من قنفد.

وفاته: توفى بفاس صبيحة يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن قرب ضريح سيدى أبى بكر بن العربى المعافرى خارج باب الشريعة المعروف بباب محروق.

* * *

حرف الدال

***

١٣٩ - الدبيز: المجذوب المطلسم.

حاله: من أهـل الفضل والصلاح، له كـرامات ظاهرة ومـتواترة، أخـبرنى بعض العـدول المبرزين أنه كان مـريضا مـرضا شديـدا فأتاه بعض أصدقـائه منهم قاضى مكناسة شـيخنا أبو عبد الله محـمد بن عبد السلام الطاهرى واقـترح عليه التوجه لزيارة البضعة الطرية مولانا إدريس الأكبر وتبديل الهواء وترويح النفس به، فلم يسعـه غير مسـاعدته ولما وصلوا للمحل المعـروف بخييـر هنالك، ورد عليهم المترجم وأقبل على المريض المذكور وقال لـه: إذا وصلت إلى والدتك فلتأخذ عصا وتجعلهـا على مائدة ظهرك وتدلكه بهـا هكذا وباشر الدلك بيـده فنشأت بالمريض حرارة عظيـمة بمجرد مبـاشرة يد المترجم لظهـره، ثم أخذ رداءه وخنقه به وعـقد أصابعه وصار يضربه ضربا وجيعا والحاضرون يقاومون المترجم فى فك المريض منه فلم يقدروا.

وبعد أن خلى سـبيله أصـابه عرق شديد، ثم قـام كأنما نشط من عـقال فى الحين، وأن جماعة من المحـترفين بعصر حب الزيتون توافقوا على ليـمونة حامضة فخرج المترجم وأتى لهم بها حينا منقوشة، فلما أصبح الصباح ورد عليهم لزرهون بعض شركـائهم من أهل مكناس، فوجدوا قشـر الليمونة عندهم فسـألوهم عمن أتاهم بها فـأخبروهم الخبـر فكشف الغيب أن الليمـونة لأحد الشركاء المكناسـيين نقشها بيده، وأنه فقدها ليلا.

أصل المترجم من أولاد عيسى إحدى فرق قـبائل الغرب، يقال: إنه كان فى أول أمره يسرح البقر ثم ورد على الزاوية الإدريسيـة وعمره نحو اثنتى عشرة سنة،

فاستخدمه بعض الأشراف لسقى الماء لداره، وإذا جن الليل اشتغل بتنظيف الأزقة، ثم وقع له جذب وفـشا فيـه حتى صار لا يضـبط أحواله، وظهرت عليـه خوارق عادات فقد كان يضرب الحجرة العظيمة برجله وهو حاف فتطير كأنها رميت بمقلاع من غير أن يصيب رجليه أدنى أذى.

وكان الرجل يذهب لفاس ويتركه بالزاوية الزرهونية، فإذا وصل فاسا وجده أمامـه وربما رآه بعض الناس بمقره بزرهون بعـد العشاء وقـد سدت أبواب المدينة، فيجده آخـر قرب الفجر بمكناس وهكذا، ولم يزل على هذه الحال مـعتقدا منظورا إليه بعـين الإجلال إلى أن قتل شهـيدا بالبارود خطأ فى الفتنة البـربرية التى كانت آخر الدولة الحفيظية على أبواب فاس رحمه الله.

* * *

حرف الراء

***

١٤٠- الرشيد: بن الشريف بن على الشريف دفين مراكش بن محمد بن على بن يوسف بن على الشريف دفين سجلماسة الشريف الحسنى الينبوعى السجلماسى سلطان المغرب الأقصى.

ولادته: ولد بسجلماسة عام أربعين وألف.

صفته ونشأته وحاله: حسن الخلقة، واسع الجبين، قصير القامة، غليظ الجسم، أسمر اللون، أشهل العينين واسعهما، كأنهما مرآة لقلبه الكريم، تشفان عن ذكاء مفرط، ويعلم منهما على البديهة فرحه وحزنه، شديد بياض الأسنان، كث اللحية أسودها خالطه شيب، له تأثير على القلوب يحبه كل من رآه، نشيط خفيف الحركة، لباسه لباس الأتراك، ملامح الذكاء والنباهة والشجاعة والإقدام لائحة بين عينيه.

نشأ فى حجر والده فى صون وعفاف، لم يأل والده قدس الله روحه جهدا فى تهذيبه وتدريبه وتعليمه وتأديبه بالآداب النبوية، حتى شب متين الديانة كامل الدراية والرواية، كريم الأخلاق، حسن العشرة، أبى النفس، عالى الهمة، طموحا إلى المعالى، لا يرضى بالدون ولا سفاسف الأمور، طاهر الذيل، ثابت الجأش، طويل النجاد، عارفا بسير الأمم وأحوالها وأخلاقها وسياسة الملوك ونواميسها، مشاركا فى فنون من العلوم، حازما ضابطا شجاعا مقداما لا يبالى فى الحروب بنفسه، شديد الشكيمة على من عصاه أو هتك حرمة من حرم الله، يتولى القصاص وإقامة الحدود الشرعية بنفسه من غير أن تأخذه رأفة ولا رحمة فى دين الله، جمع الله فيه من الخصال الحميدة والسجايا الكريمة ما تفرق فى غيره.

---

١٤٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/١٥٦٧.



السلطان الأعظم مولاى الرشيد بن الشريف العلوى

قال فى نزهة الحـادى: كان محـبا فى جانب الـعلماء، مؤثرا لأغـراضهـم، مولعا بمجالستهم، محسنا إليهم حيث ما كانوا، جواداً سخيا، رحل الناس إليه من المشرق فما دونه وقصده بعض طلبة الجزائر فامتدحه ببيتين وهما:

فـاض بحر الفـرات فى كل قطر   من ندى راحـتـيـك عـذبا فـراتا

غـرق الناس فيـه والتمس الفـقـ   ـر خـلاصـا فلـم يجـده فـمـاتا

فوصله بألفين ونصف دنانير، وشـأوه فى السخاء لا يلحق، والحكايات عنه بذلك شهيـرة، وفى أيامه كثر العلم، وظهرت للعلمـاء أبهة، وأعز العلم وأهله، وكانت أيامه أيام سكون ودعة ورخاء عظيم هـ.

ووصـفـه صاحب نـشر المثـانى: بأنه مـحـيى رسـوم الدين، وقـاطع دابر المفسدين، مفضال أهل البيـت النبوى، ومظهر الفخر الطاهر العلوى، ليث الإقدام وبدر الظلام، وشـمس الأنام، وظل الله للـخاص والعـام، ورحـمـة للمـسكين والضـعيـف، كان من أهل المكـارم التى لا تحصى، والـفضـائل التى لا تعـد ولا تستقصى، من سـاداتنا شرفاء سجلماسة البلدة الغـرا، وحق لها أن تنال بآل البيت علوا وفخرا، حاضرة ملوك المغرب المدعوة بتافلالت القادمين عليها من الحجاز كما تقدم مبينا.

قال سيدنا الجـد رحمه الله فى كتابه الدر السنى ما نـصه: وهم من صرحاء الأشراف نسبا، وفضلائهم حسبا، وكبرائهم أقدارا، وعظمائهم اشتهارا، طلعوا فى سمـاء المجادة بدورا، وبرزوا فى مـحافل السـيادة صـدورا، وتساموا فـى المشارق والمغارب ظهـورا، وحملوا من المهـابة والجلالة لواء منـشورا، لهم فى علو الهـمة ونفوذ العزيمة منصب لا يضاهى ومرقب لا يباهى، آبية نفوسهم، طيبة غروسهم، عزيز جارهم، مـحمى زمارهم، كريمـة سجاياهم، عظيمة مـزاياهم، تلقاهم فى

المكاره ليوثا، وفى المكارم غيوثا، أحرزوا من الفطر العلية قديمها، ومن السير العلوية فخيمها، وبرعوا أقرانهم من الأشراف، تجمع شعبتهم المباركة ثلاثة أصناف، فكان فيهم الأكابر من الأعلام، والكثير من الصلحاء الكرام، ومنهم ملوك وقتنا وسلاطينه العظام، خلد الله فى الخيرات مآثرهم، وأيد بالتوفيق أوامرهم.

ثم قال: نهض للخلافة السلطان الأعظم والملك الأفخم، ركن الفخار المشيد، أبو المكارم مولانا الرشيد، طيب الله ثراه، وعمه بعفوه ورحماه، فظهر أولا ببلاد آنكاد ثم استولى على مدينة تازا وما والاها ثم على فاس فدخل دار الملك بمدينتها البيضاء ليلة يوم الاثنين الثالث من ذى الحجة متم سنة ست وسبعين وألف واستوطنها، ثم ملك المغرب بأسره قطراً بعد قطر إلى وادى نون من السوس الأقصى، وإلى قرب الأغواط من ناحية الجريد فكان مجددا للملك بالمغرب[1] انتهى.

ثم قال فى النشر: ولما مر صاحب الترجمة بالموضع المسمى بالشط من الظهراء، أمر بحفر آبار شتى وهى تدعى إلى الآن بآبار السلطان، فهى مضافة إليه، فيسقى منها ركب الحجيج فى مروره وإيابه، فهى من آثاره، تقبل الله منه، وكان على يده هذا الفتح العظيم، لضعفة المسلمين بل لجميعهم، فى هذه المدة اليسيرة، لما جبل عليه من حسن السيرة، إذ كان من السراة الغطارف، ومن الأعجوبات فى الإقدام بين المراهف، أحيا الله به رسوم الدين بعد دروسها، وأنعم المساكين بعد شدة بؤسها، خاض أمواج الأهوال حتى أهمدها، وقام فى نار الفتن حتى أخمدها، فيالها من نهضة لله ما أحمدها، تدارك الله به المغرب بما فيه من قوى وضعيف، وأغنى به الوضيع والشريف، ولا زال بسيرته المباركة كريما

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٦٧.

فاضلا، زكى الأخلاق كاملا، يتنازل على مقامه الرفيع، فيجبر خاطر المتخفض والوضيع، ومن شيمه الجليلة، ومنحه الجزيلة، مجالسة العلماء وإكرامهم، ومباسطتهم بين الملإ وإعظامهم، ومع تحمل النهوض بأمر الخلافة حتى ألقت إليه زمامها فى مدة قليلة، أبدى مآثر فى مصالح المسلمين جليلة، كبناء المدرسة التى بحومة الشراطين من فاس، وأتى على بنائها من الأساس، فبالغ فى إتقانها صنعا، وبذل المجهود فى إحسانها وضعا، وتجديد ما اندرس من القنطرة البديعة المعتبرة التى لا يعرف بالمغرب مثلها، وقلما اتفق فى معمور الأرض شكلها، وهو أربعة أقواس منها، وهى على نهر سبو على نحو فرسخ من فاس(١).

قال: ولما أكمل قنطرة سبو بالبناء، نقشت فيها أبيات من نظم العلامة القاضى أبى عبد الله المجاصى ومنها:

صاغ الخليفة ذا المجاز ... ملك الحقيقة لا المجاز

فوقع الاعتراض عليه بأن ملك الحقيقة هو الله تعالى لا غيره، وأجيب بأجوبة منها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية، والملك بمعنى العقلية لا يكون إلا لله وفى غيره مستحيل، فيحمل على إحدى الحقائق الباقية، والأقرب منه حمله على الحقيقة العرفية بمعنى أنه لا يقال فى العرف ملك حقيقة إلا له، أما باعتبار الحاضرين فى زمنه فلا إشكال، وأما باعتبار من مضى فهى على طريق المبالغة، وذلك سائغ فى باب المدح، والله الموفق(٢) هـ.

والاعتراض المذكور هو للشيخ اليوسى فى المحاضرات، قال فيه: ومن البشيع الواقع فى زماننا فى الأوصاف أنه لما بنى السلطان المولى الرشيد بن الشريف جسر نهر سبو وصنع بعضهم أبياتا كتبت فيه برسم الإعلام أولها فذكر البيت

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٦٧ - ١٥٦٨.

(٢) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٦٨.

المذكور وقال أثره: فحمله اقتناص هذه السجعة والتغالى فى المدح والاهتبال بالاسترضاء على أن جعل ممدوحه ملكا حقيقة لا مجازا، وإنما ذلك هو الله وحده وكل ملك دونه مجاز، الممدوح وغيره هـ.

وهو فى باب التحذير حسن، كما أن الجواب المتقدم فى باب الاعتذار، وخصوصا عمن ثبت علمه وتحقيقه من الأبرار لا بأس به.

قال في النشر: ومن مزايا المترجم العظيمة، وعطاياه الفخيمة، وفطره السليمة، أنه كان حيث ما دخل بلدا تعاهد مساجدها ومدارسها وسأل عن مجالس إقراء العلماء بها، وعمن يحضرها، وربما حضر مجلسا لبعض الكبراء، فرأينا فى بعض التقاييد أنه حضر مجلس الشيخ اليوسى، وكان يدخل للمساجد بنفسه، ودخل مرة فاسا على حين غفلة من أهله فدخل القرويين وتلك كانت عادته فى دخولها، ثم دخل للمدرسة المصباحية، فتعرض له الإمام سيدى الحسن اليوسى مع فقيه آخر فأعطى لكل منهما مائة مثقال، وما اجتمع مع علماء وقته إلا وحض فى مجلس اجتماعه معهم على نشر العلم وبثه وإتقانه وتحقيقه وتعظيم طلبته، وقد صادف ذلك كل مرام، وأحيا الله به نعم المغرب بعد الانعدام. لطلوع شموسه، على ين تغير من وجه الدهر وعبوسه. فجاء المغرب على فترة من هلكه، فأقبل على التعلم والتعليم، وعمرت أسواق العلم وقد عفت منذ قديم[1].

قال: ولما قبض الله تعالى والده إليه، خرج من تافلالت فى ثالث عشر رمضان عام تسعة وستين وألف.

قال: وفى ثامن عشرين من شوال وصل إلى تدغة، ثم إلى دمنات، ثم الزاوية البكرية ثم إلى آزرو ثم إلى دار ابن مشعل هكذا وجدت مقيدا عن الحافظ الفاسى.

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٦٨.

وسيأتى أن وصوله إلى دار ابن مشعل كان عام خمسة وسبعين، وموت أخيه مولاى محـمد، واستيلاءه على فاس الجـديد والقديم كان فى عام ستة وسـبعين، وفى عام سبعة وسبعين أخذ الزاوية البكرية، وفى عام ثمانين أخذ فى حفر أساس قنطرة سبو، وفى العـام الذى بعده استولى على تارودانت وسائر البـلاد السوسية، وفى العام الذى بعـده وهو اثنان وثمانون توفى فحاصل أمـره من موت والده عام تسعة وستين إلى موته عام اثنين وثمانين.

وحدثنى بعض الفقهاء الثقـات عن والده، وأعرفه من الثقات وقد أدرك هذا الزمن، أن مولاى رشيد لما نزل بالزاوية أن لا يقيم بها وأن يسرع بالخروج، وأخبره أن مما هو شـائع عندهم أن مولاى الرشـيد هو الذى يخلى زاويتـهم تلك، وأنهم استفادوا ذلك من بعض الأخباريين عن كشف أو غيره، مخافة أن يهجم عليه أحد من رؤسائهم بسبب ذلك.

وقـد كانت لأهل الـدلاء زيادة محـبـة فى آل البيت عن غـيـرهم من أهل وقتهم، فخـرج مولاى رشيد من الزاوية فصادف قافلة خـارجة منها فطلبوا منه أن يحمـيهم إلى مـحلهم الذى يريدونه لأن الوقت وقت نهب ففـعل، فتـعرض لهم خلال الطريق بعض أهل البوادى يريدون نهبهم فـأخبرهم مولاى الرشيد بأنهم فى حمايته ليحترموهم بحرمتـه إذ تلك كانت عادة أسلافه فى حماية القوافل وغيرها، فلم يعبئوا به فتجرد لقتالهم مع مملوكين له اثنين فقط من رقيق السودان، وبيد كل واحد منهما مكحلة فأخذ المكحلة من يد أحدهما وحمل بفرسه على القوم فأصاب واحدا منهم برصاصة ورد المكحلة للمـملوك، وأخذ المكحلة الأخرى من يد الآخر فحمل كـذلك فأصاب رجلا آخـر وما رد المكحلة حتى وجد المملوك الآخـر عمر المكحلة الأخرى فأصـاب منهم آخر أيضا، وبقى كلما حمل عليـهم أصاب واحدا منهم مع حفظ الله إياه منهم.

فما أمكن القوم إلا الفرار منه مع كثرتهم، فكان مقدمة لما قدر فى سابق العلم من تولى إمارة المغرب فما رجع عنهم حتى أعطوه ثلاثة عشر فرسا التى أصاب فوارسها برميه، فحمل على كل فرس رجلا ممن اختار لمتابعته، ورجع فى الحين واستقبل فاسا العليا ونزل أمامها فرآه رئيسها الدريدى من بعض بروج سورها، فسأل من هو؟ فأخبر به، فأرسل له فى الحين دراهم نحو خمسة مثاقيل مع وسق من الشعير، وقال لرسوله إليه قل له: هذه عشاؤه يعنى الدراهم، وهذا علف دوابه يعنى الشعير، فليرتحل ولا يقيم عندنا قسطا.

فرحل مسرعا فوفد على رئيس يدعى الشيخ اللواتى، وكان يتفقر ويعظم نسبة الشرف فبالغ فى إكرامه، فبينما هو مقيم عنده إذ رأى رجلا بهيئة من خيل وأتباع ومماليك وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل من هو؟ فقيل له: ابن مشعل من يهود تازا، فتنحى سريعا وجعل السكين فى فمه واستقبل الشيخ اللواتى، فلما رآه بادر إليه قائلا لبيك لبيك يا سيدى لبيك لا أعز عنك رقبة ولا مالا لأن ذلك عندهم علامة على تأكيد الاستعطاف فى أخذ الثأر إن ظلم أو شبه ذلك.

فاقترح عليه أن يهيئ له خمسمائة أو نحوها من إخوانه الأبطال ليفتك باليهودى غيرة منه جزاه الله خيرا على دين الله، فقال له: لا تخلف عنك واحد منهم أينما توجهت، فتواعد معهم أن يمروا خفية متفرقين ويلحقوا به دار اليهودى ابن مشعل، وهى على نحو نصف مرحلة من تازا شرقا فى البيداء أو أزيد من ذلك، ثم تقدمهم إليها واستضاف اليهودى فأضافه وتبعه الأبطال فأحاطوا بالدار بعد أن أظلم الليل بحيث لم يشعر بهم أحد، وبحيث يتصل بهم إن احتاجهم واحتال حتى اتصل باليهودى فى خلوته فبطش به وقتله وأدخل الرجال باحتيال صادف به مرامه.

فاستولى على دار اليهودى وأخذ منها أموالا كثيرة وذخائر نفيسة فنال ما قدر الله له من موعده، وسطعت فى فلك السعادة منازل سعوده، انتهى.

زاد غيره أن ابن مشعل هذا كانت له صولة على المسلمين واستهزاء بالدين وأهله، قلت: بذلك يكون ناقضا لعهد الذمة، ليس لماله ولا لدمه حرمة.

وتذكر هنا قضية كعب بن الأشرف اليهودى وتوجيه النبى ﷺ من فتك به ليلا على نحو الصفة التى فعلها المترجم هنا، وهى فى صحيح البخارى وغيره، قال فى النشر: ولاحت للمغرب السعادة والبشائر، وانتعش به بعد الإشراف على الموت كل حيوان من ناطق وصاهل وطائر، وكل خير من ربنا الملك الوهاب، ولكل أجل كتاب.

وذكر لى بعضهم مما هو شائع عند بنى يزناسن بالزاى أن اليهودى المذكور كان بدار له متحصنا بجبالهم وهم محزبون عليه، فما زال المولى الرشيد يلاطفهم فى أمره حتى فهم اليهودى أنهم قد أسلموه، فنزل إليه بهدية فقبض عليه وقتله ودخل داره واستخرج ما فيها من الأموال، فالله أعلم أى ذلك كان وكيف كان هـ.

هذا وقد وقع فى أصول التاريخ للكنت دو كاسترى المؤرخ الفرنسى نقلا عن أسير الدولتين الرشيدية والإسماعيلية أن خروج المترجم من تافلالت كان فى رفقة قواد ثلاثة، أحدهم أسود اللون والآخران عربيان وأنهم قصدوا وادى درعة مع من كان معهم من الجنود بقصد شن الغارات.

وأن أخاه المولى محمد لما علم بذلك أرسل بعض الفرسان فى طلبهم، ولما مثلوا بين يديه أوقع القبض على صاحب الترجمة وأودعه السجن، وأقام الحد الشرعى على بقية أتباعه بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ثم بعد أيام قلائل فر المترجم من السجن وجمع عليه جنوداً صار بها ذا قوة وبأس شديد، ثم ظفر به أخوه المذكور ثانية رغم جنوده المجندة وأودعه السجن وشد فى حراسته، وبقى بالسجن مدة طويلة إلى أن استعان ببعض مواليه فى فتح نقب بجدار السجن انفلت منه، وأنه بعد انفلاته قتل ذلك المعين، لأنه صار لا يأمن خيانته بعد أن خان

الملك، ثم قصد الزاوية الدلائية وبقى مختفيا بها إلى أن أوجس فى نفسه خيفة من أهلها، ففر إلى قبيلة كبدانة على الضفة اليسرى من وادى ملوية، واتصل بقائدها على بن سليمان، وبقى فى خدمته إلى أن سنحت له الفرصة بأخذ قلعة ابن مشعل ونهبها، ثم بعد ذلك جمع الناس وألقى عليهم خطبة قال فيها:

أيها الناس، إننى أحكم بينكم بالعدل، وأقابلكم بالحلم الذى عرف به البيت الفلالى إذ أنا ابن مولاى الشريف وأخ مولاى محمد ملك تافلالت الآن، ومن العسير أن تجدوا أميراً أعرق منى فى النسب الشريف، وقد رأيتم من أفعالى ما يدلكم على كرامة أصلى، وأننى سأكون ساعيا على الدوام فى مرضاتكم وسترون إن يسر الله لى فى الملك فوق ما صرحت لكم به مما تكونون به سعداء مطمئنين، ولا يصدنكم عن مبايعتى ما لكم من الاحترام نحو أميركم فإنه ليس أهلا للولاية، لكونه لا يحب دولته ولا يهتم بأمورها.

وما ترقى الملك والأمراء إلا بالنظر فى مصالح بلادهم والقيام بشئونها، ومن الواجب عليهم الزهد فى مصالحهم الشخصية وشغل أوقاتهم بالنظر فى مصالح أوطانهم، فإن عكفوا على اللهو والتمتع باللذات تعين خلعهم، وإنى أطلب منكم أن تبايعونى على ذلك، فإن وفيت فذاك، وإلا فلكم إنزالى عن العرش، ولا شك أن أهل كبدانة وغيرهم من القبائل يوافقونكم على فعلكم ويستحسنونه.

ثم بعد ذلك تمت له البيعة، فلما سمع بها على بن سليمان اغتاظ غيظا شديدا فحشد جنودا مجندة، وزحف بها لمحاربة الرشيد، ولكن كان أمره خسراً، إذ صارت تلك الجنود المجندة تدخل فى طاعة الرشيد ولم يقف بها الأمر عند ذلك الحد، بل ألقت القبض على أميرها وسلمته للرشيد فسلبه مما كان بيده من الأموال وأمر بقتله، وأنفق بعض ذلك المال فى الجند قائلا هذا جزاء تعبكم وتفانيكم فى خدمتنا.

ولما سمع بذلك مولاى محمد نهض للايقاع به قبل استفحال أمره، فأخرج الرشيد لقواده القيود والأغلال التى كانت عليه لما كان فى سجن أخيه، وقال لهم: هذه الأغلال التى كانت على بسجن أخى فهل لكم أن تنتقموا لى منه، فأجابوه بالموت دون نصرته، ولو أتى السيف على آخرهم.

فوصلهم بأموال طائلة، ولما التقى الجمعان كان النصر للرشيد فهزم ثانية، واقتفى أثره الرشيد لتافلالت وحاصره إلى أن مات.

ثم بعد ذلك بمدة أتاه يعنى الرشيد وفد من مكناس لتقديم طاعتهم له، فولى عليهم أخاه مولانا إسماعيل هـ الغرض فليحرر.

والأمير المذكور فى كلامه ليس هو مولاى محمد بدليل أول الكلام، وإنما المراد به على بن سليمان المذكور، ثم لا يصح أن يكون هذا الأسير المنقول عنه شاهدا ما حكاه، لأنه إنما أسر فى الدولة الرشيدية، وهو هنا يحكى ما كان قبل زمن أسره، فبالضرورة أن حديثه هذا إنما رواه عن غيره، ولعل ذلك الغير غير ثقة إن لم نقل الراوى لم يتثبت أو تعمد الزيادة والنقصان، خصوصا وكلام مؤرخى الإسلام لا يساعده فى كثير من فصوله، فلهذا أشرت إلى أنه فى عهدته بقولى فليحرر.

وانظر قوله وحاصره إلى أن مات، فإنه ظاهر فى أن الحصار والموت كانا بتافلالت، والواقع يفنده.

قال فى نشر المثانى[1] فى حوادث عام ١٠٧٥: حرك مولاى محمد لأخيه مولاى رشيد فهزم مولاى محمد وقتل يوم الجمعة الثامن من المحرم، ودفن بدار ابن مشعل على نصف مرحلة من تازا، أو أكثر شرقا، وأنه لما قتل ابن مشعل

---

(١) موسوعة أعلام المغرب ٤/١٥٢٨.

وحصل من عنده على مال كثير جدا قصده أخوه مولاى محمد لانتزاعه منه لئلا يستقل بالملك فلم يقدر له على شىء هـ.

قال فى الدر المنتخب المستحسن بعد أن حكى القول بمدفن مولاى محمد المذكور بدار ابن مشعل ونسبه لغير واحد، والذى رأيته فى بعض تآليف بعض الشرفاء أنه دفن بسجلماسة قرب والده، وقد يجمع بينهما بأنه دفن حيث ذكر ثم نقل لسجلماسة هـ.

قال فى النشر: وفى يوم السبت حادى عشر رمضان انتهض رؤساء فاس لأمر أهلها بشراء الخيل والمكاحل واجتمع أهل فاس، والحياينة، وصفرو، والبهاليل، وغيرهم خارج باب الفتوح للميز وتأكيد عدم الدخول فى طاعة مولاى رشيد فأغضى عنهم مولاى رشيد وحاصر أهل تافيلالت تسعة أشهر ثم نزل بتازا فخرج أهل فاس من الحياينة إلى الغارة عليه فى خامس عشر شوال، فرجعوا فارين فتبعهم إلى قنطرة سبو ورجع، فبعثوا إليه بصلح فلم يكمل بينهم وبينه حتى أكمل الله مراده وبلغه أمر المغرب فأنقذه به من أهل العناد، وأحيا الله به البلاد والعباد[١].

وكانت أيامه مباركة على كثير من المسلمين اتفق له فيها ما لم يتفق لغيره فى كثير من المسلمين.

قال ومن حوادث عام ستة وسبعين وألف: أن مولاى رشيد نزل على فاس فقاتل ثلاثة أيام، وجرح برصاصة فى أذنه، فرجع سالمًا، ثم عاد مرة أخرى فى ثالث ربيع الأول فأوقع فيهم القتل والجرح ما يقرب من سبعين رقبة، ورجع لأنه لم يكن أتى مستعدا لهم، ثم سار إلى الريف فحاصر أعراس[٢] وأخذه فى رمضان بعد منازلات، وفى ضحوة الثلاثاء ثامن وعشرين من ذى القعدة نزل أيضا

---

(١) الموسوعة ٤/١٥٢٩.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «أعراض» وصوابه من نشر المثانى الذى ينقل عنه المصنف..

على فاس فحاصرها إلى الخميس، وبقى جيشه مقاتلا إلى يوم الاثنين ثالث ذى الحجة، فأصبح بفاس الجديد وقد دخل من أعلى السور ليلا من جهة الملاح، وفر رئيسهم الدريدى، ثم نزل عشيته فاسا ففر ابن الصغير رئيس اللمطيين ليلا إلى بستيون باب الجيسة، وفر أحمد بن صالح رئيس الأندلسيين صبيحة غده وطلع أهل فاس فبايعوا مولانا الرشيد ونصروه، وقبض ابن صالح قبل الزوال بحوز البلد، وقتل جماعة من أصحابه وسجن بباب دار ابن شكره[1] بفاس الجديد، وولى القضاء حمدون المزوار يوم الخميس سادس الحجة[2] هـ.

وفى شرح الزيانى على نظمه التاريخى المعنون بألفية السلوك: أن تولية حمدون القضاء كان بإشارة من الأستاذ أبى زيد عبد الرحمن بن القاضى، وذلك أن المترجم لما جلس على أريكة الملك بالعاصمة الفاسية، وجه للأستاذ المذكور يستقدمه عليه فأجاب بعدم قدرته على القدوم لكبر سنه وملازمته لبيته، فلما جاء جوابه للمترجم قال للرسول: إنى آتيه يخرج لمحل قريب من بيته آتيه فيه، فخرج لغرسة درب الدرج حائطها موال لمصمودة، ولما قدم السلطان فتحوا له فى حائط الغرسة نقبا دخل منه إليها واجتمعا معا، فقال له: جئتك لأستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر، فقال له: أما الحاكم فلا أتقلده، والقاضى حمدون المزوار، والمحتسب عبد العزيز المركنى الفلالى، والناظر العدل مسعود الشامى.

ولما خرج من عنده أمر أن يبنى بالمحل الذى دخل منه باب وبقى طريقا، فهو درب الدرج لم يكن قبله، ولما بلغ دار الإمارة نفذ الإمارة لسيدى محمد بن أحمد الفاسى، والقضاء للمزوار، والحسبة والنظارة لمن ذكر.

---

(١) فى المطبوع: «دار ابن شقراء» والمثبت من المثانى.

(٢) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٣٧.

فامتنع الشامى من النظارة فسجن سبعة أشهر، ولما ضاق به الأمر أجاب على شرط أن لا يتعرض له قاض ولا وال لأن الأحباس كلها حازها اللصوص والأشراف أيام الفترة، حتى كادت أن تستأصل كلها واشتغل بالبحث عنها واستظهارها، ومن اتهم بربع أو أرض أو جنان أو دكان يحوز ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له وما وجد مغصوبا أولا رسم عنده علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس، حتى رد الأوقاف كلها وزاد عليها ما وجد مغصوبا من الوقف أو غيره.

ولما ولى المزوار القضاء كان كثيرا ما يرد أحكامه المفتى عبد الوهاب الفاسى فى نوازل وأحكام تقع منه مخالفة للمشهور، وعلم بذلك ابن القاضى كتب لمولاى رشيد يقول له إن من أشرت عليك بولايته له أصهار، وأصحاب تجار، ومخالط لأعيان فجار، فأقلنى من عهدته أقالك الله من عذاب النار، فكتب له أن ينظر للقضاء من هو أهل غريب الدار، لا قرابة له ولا أنصار، خامل الذكر فذكر له المجاصى الغياثى فولاه القضاء بفاس هـ.

قال فى النشر: وفى يوم الخميس الذى بعده يعنى بعد الخميس الذى ولى فيه حمدون المذكور خطة القضاء قتل ابن صالح وابن الصغير ثم ولديه، ثم خرج مولاى الرشيد بحركته للغرب فانهزم منه الرئيس الخضر غيلان ومن معه، وتبعهم فدخل القصر، وخرج إلى آصيلا، ورجع مولاى رشيد من القصر ثم عاد لحصاره[1] هـ.

وقال الأسير مويت كان خروج المولى الرشيد لقتال عبد القادر غيلان فى ثمانية آلاف فارس واثنين وثلاثين ألف رام، فتلقاه غيلان بستة وعشرين ألف جندى كلها مدربة على القتال لما كان بينهم وبين النصارى من المحاربة بالشواطى، ولما التقى الجمعان كان النصر الأخير لمولاى الرشيد وانهزمت جيوش غيلان أمام

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٣٧.

الجنود الرشيدية إلى أبواب آصيلا، ومن هنالك فَرَّ غيلان إلى الجزائر ودخل فى طاعة الرشيد القصر وتطاوين وسلا وكانت إذ ذاك بلدة مستقلة هـ.

قال فى النشر: ومن المحكى أن ابن صالح والدريدى وأشياعه لما أحسوا من الناس الضجر وكثر ذكر مولاى الرشيد على الألسنة والتشوف إليه لما اشتد بهم الحال من الحصار والفتن، وكان أغلب ذلك فى شرفاء فاس أظهروا مشاحنة على سبيل المكيدة، فاختصم الدريدى مع ابن صالح وأظهروا المقاطعة بينهما، فجاء أشياعهما لكل من يعرفونه من الشرفاء والفقهاء الذين يحبون مولاى الرشيد، وطلبوا منهم أن يصلحوا بين الرئيسين، مدلين بأن هذا وظيف الشرفاء والفقهاء[١].

ومن جملة من كان فيهم العلامة حمدون المزوار، وأبو عبد الله محمد بوعنان الشريف، وآخر من أقاربه فامتنعوا أولا كراهية الدخول فى أمر الولاة، فاعتل أهل فاس بأن لا ملجأ فى مثل هذا إلا لهم، وحتموا عليهم ومن تغيب من الأشراف وغيرهم ممن عزموا عليه اتبعوه حتى حضر، ومن تمرض كلفوه المشقة، والبعض من الشرفاء، اختفى من ذلك كل الاختفاء، لكونه أخبر بالمكيدة من بعض أصدقائه، حتى جمعوا جميع من قدروا عليه ممن يظنون به الميل إلى السلطان ووجهوهم إلى الدريدى بفاس الجديد على حالة الشفعاء فى أن يصطلح مع ابن صالح، فلما أقبلوا عليه أظهر لهم الترحيب وأدخلهم مصرية وأنزل لهم مائدة من طعام ملون يعرف بطبخ الدار، وقال لهم: عشاؤكم من أسبوع بنية تزيدت لى، وخروجكم من هذه المصرية يوم خروجكم من زفافها، فعلموا أنهم مسجونون، وأنه توعدهم بطول سجنهم جدا، وأن توجيههم له من أصله إنما هو مكيدة واحتيال، وأنهم لو سجنهم جهارا لما أمنوا من انتصار بعض العامة لهم أو شبه ذلك، فلما وقع جميعهم فى ذلك أسفوا وبقى الطعام بينهم لم يتناول أحد

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ١٥٣٧/٤ - ١٥٣٨.

منهم شيئا، فقدر الله تعالى ظهور مولاى الرشيد ودخوله فاسا الجديد فى تلك الليلة، فالمائدة ما زالت بموضعها وطعامها وهم يسمعون الإعلان والصياح بنصر مولاى الرشيد فى كل الجهات ففرج الله عنهم.

ربما تجزع النفوس لأمر   وله فرجة كحل العقال(١)

فمنهم من لم يخرج إلا بعد أن أكل من تلك المائدة زيادة فى الفرح، ومنهم من حمل معه من ذلك الطعام وخرج مسرعا، ومنهم من بقى ثمة حتى دخل عليه السلطان مولاى الرشيد ومنهم البوعنانيون المذكورون فسر بهم وبقى يرعاهم(٢).

وهذا من أسباب تولية أحفادهم القضاء من قبل مولانا إسماعيل، لما يعلم فيهم من تقرر محبة الإمارة، وكأنه بحث عن أحوالهم، وممن كان حاضرا بهذه القضية سيدى محمد بن أحمد الشريف العراقى الحسنى(٣) سمعت هذه الحكاية من بعض أحفاده لبنته وهى شائعة عنه وعن غيره، ويذكرونها بزيادات لم أذكرها لأنى هذا الذى حققت منها، ولله الأمر من قبل ومن بعد(٤).

قال: ومن حوادث سنة سبع وسبعين وألف رجوع السلطان مولاى الرشيد من الحركة أوائل ربيع الثانى، فكتبت له البيعة من فاس وقرئت بين يديه زوال يوم السبت الثامن عشر ربيع الأول، ثم خرج إلى مكناسة فى ربيع الثانى بقصد آيت ولاَّل من البربر فأخذهم، ورجع ثم نزل الرئيس محمد الحاج قرب وادى فاس بأبى مزُّورة(٥)، فقاتل قتالا خفيفا ورجع نحو ثلاثة أيام، ثم خرج السلطان مولاى

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٣٨.
(٢) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٣٨.
(٣) فى نشر المثانى: «الحسينى».
(٤) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/١٥٣٨.
(٥) فى المطبوع: «بأبى مرورة» والمثبت من المثانى الذى ينقل عنه المصنف. ومثله فى الاستقصا ٧/٣٦.

الرشـيد لتـازا حادى عـشـر رجب، ورجع فى شوال فـفـزع الرئيس العكين عن مكناسة، ثم خـرج السلطان لبنى زروال ثانى يوم النحـر فأخذهم وبعث رئيـسهم الشريف إلى فـاس ثانى محرم عـام ثمانية وسـبعين، ثم نزل على تطاوين فـأخذ رئيسها فى صفر وأتى به فسجنه مع جماعته ورجع أوائل ربيع الأول[١].

قال: ومن حوادث ثمان وسبعين خـرج مولاى رشيد لحركة الزاوية الدلائية ضحوة الخميس الثانى عشر من ذى الحجـة، وولى بفاس العلامة سيدى محمد بن أحمد الفاسى زوال يوم السبت من ربيع الثانى[٢].

قال: ومن حوادث سنة تسع وسـبعين أخذ الزاوية الدلائيـة، قال الشيخ أبو على اليوسى فى محاضراته: كان الرئيس أبو عبد الله الحاج بن محمد بن أبى بكر قد ملك المغـرب سنين عديدة، واتسع هو وأولاده وإخـوته وبنو عمـه فى الدنيا، فلما قام الشريف السلطان رشيد بن الشريف ولقى جيوشهم ببطن الرمان فهزمهم، وذلك أوائل المحرم فاتح سنة ست وتسعين وألف، فـدخلنا عليه، وكان لم يحضر فى المعركـة من عجـزه لكبر سنه فـإذا بالفلّ يدخلون فدخل عليـه أولاده وإخوته وأظهروا جزعا شـديدا وضيقا عظيما فلمـا رأى منهم ذلك، قال لهم: ما هذا! إن قال لكم حـسبكم فـحسبكم، يريد الـله تعالى. وهذا كلام عـجيب وإليـه يساق الحديث، والمعنى: إن قال لكم تعالى حسبكـم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين[٣] هـ.

قال: والإشارة بهذا إلى أن الله تعالى وضع لعـباده فى الدنيا مائدة وجعلها بينهم دولاً، كما قال تعالى: ﴿... وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ... ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٤٠] فكل من جلس على هذه المائدة وتناول منها ما قسم له فلابد

(١) نشر المثانى ٤/١٥٤٦ فى موسوعة أعلام المغرب.

(٢) نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٥٢.

(٣) نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٥٧.

أن يقوم عنهـا بالموت أو بالعزل ليجلس غيره، ولا تدوم لأحد ولا ينام عنها من أقيم غالبا إلا بمرارة وعنف، ولذا قال ﷺ فى الولاية: نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ثم من الناس من لم يشعر بهذا المعنى ولم يتنبه له، فهو يسعى إليها عجبا بأوائل زخرفها وانخداعا بظهور زينتها، ومن الناس من علم ذلك وتنبه له، ثم من هؤلاء من نفعه الله بعلمه فأوجب له أفعالا محمودة إما قبل ولوجها بالزهد فيها والفرار منها علما بغايتها دينا وتقوى، أو حزما فى الدنيا بعد الولوج فيها بالتعفف والإحسان والعدل والرفق ومجانبة الجور والبغى والخرق، إما دينا أيضا وحذرا من المطالبة فى الآخرة، وإما خرقا دنيويا وحذرا من اختلالها واضمحلالها، إلى أن قال: وقال أبو عمر بن عبد البر: تكلم معاوية رضى الله عنه يوما، فقال: أبو بكر هرب منها وهربت منه، وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب منها وأصابت منه، وأما أنا فداستنى ودستها، قال أبو عمر: وأما على فأصابت منه ولم يصب منها.

ثم قال فى المحاضرات بعد كلام طويل: وكل من تعرض لها من السلف فإما انتهاضا لنصح المسلمين من نفسه بإقامة الحق لئلا يضيع، وإما نزغة بشرية حركها لسبب من الأسباب، أما على هذا الثانى فلا يقتدى بهم، وأما على الأول فيقتدى به من بلغ مقامه فى التمكين القوة والنزاهة، وفى مثل زمنه الصالح الذى لم يزل به الدين طريا، والحق جليا، والأعوان عليه قائمون، وهيهات ذلك فى آخر الزمان الذى غلب فيه حب الدنيا واستولى على الناس سلطان الهوى، فلا ترى إلا حريصا على الجمع والمنع، ولا ترى إلا نفاقًا ومداهنة، فالمرء الكيس لا يعدل لنفسه بالسلامة شيئا، ومن له بوجودها إن لم يكن له من المولى لطف ظاهر هـ المراد من كلام الشيخ اليوسى باختصار.

فكان أخذ الزاوية يوم الاثنين ثامن المحرم، ومن لطف الله على أهل الزاوية فيما سبق لهم فى علمه ببركة جدهم محبتهم فى أهل البيت أن جعل خلاء زاويتهم على يد مولاى الرشيد الذى حلم عليهم الحلم المعهود لأمثاله من صرحاء أهل البيت، فما أسال من دمائهم ولو قطرة، ولا كشف لهم عن عورة، وربما مد بعض الظلمة يده فانتقم منه أشد الانتقام.

ولا يقال إن تخريب المترجم لهذه الزاوية وإجلاء أهلها منها وترحيل رؤسائهم لتلمسان وتغريبهم هناك بدليل العيان غير مناسب لما كان فيهم من علم ودين، وزائد ود، لأبناء السبطين، لأنه يقال إن ذلك ضرورى عادى فى جمع الكلمة، إذ ما دام من كان بيده فى مأوى سلطانه إلا ومواد الثورة لا تنحسم وعين التشوف لا تنسد، ولو من رعاع الاتباع والمشاهدة أعظم برهان، ولأمر ما قال تعالى عن بلقيس: ﴿ ... **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً** ... ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة النمل ٣٤].

فحيث كان هذا المقتضى الأكيد فى سياسة الأمة وجمع كلمتها وانضمام شمل ألفتها على من يحمى بيضتها قائما، فالعلم ومعطوفاته التى توجد حشو من يراد إقامته فى ذلك على المحجة البيضاء لا تعد موانع، من تنفيذ ذلك المقتضى، لأن درء المفسدة أهم، ولإمكان الجمع بظهور نتائج العلم ومعطوفاته من صاحبها فى أماكن أخرى لا تتطرق فيها مفسدة، وكذلك كان فإن جميع من كان من تلك العائلة له علم ودين قد استقر بحاضرة المغرب فاس، ونصبوا بها وبأحوازها للمناصب اللائقة بعلمهم ودينهم، كما حفظ ذلك كله التاريخ، وفى كتاب البدور الضاوية من ذلك ما فيه مقنع فحصلت لهم بذلك الكرامة، مع الأمن والسلامة، ولله فى خلقه شئون.

قال أبو على اليوسى: وكان محمد الحاج فى ابتداء أمره طالبا فقيرا صعلوكا قليل ذات اليد، ووالده مـثله فكلف والده أن يشترى له فـرسا فقـال له: والله ما عندى ما أشـترى لك به حـمارا، اشتـغل بقراءتك مع بنى عـمك واترك مرافـقة البطالين، وأقـبل على ما ينفـعك فلم ينفع فـيه وعظ فهـجره والده وأعـرض عنه وتركه وشـأنه، فكان يأوى إلى كـهف فى جبل فـوق قريتهم بالـدلاء مع أحداث مثله.

فـاتفق ليلة لم يأت أحـد منهم غـيره فـأتى بقـبس نار وحطب وأوقـد نارا بالكهف فرأى فى زاوية محـلا كالباب مبنيا بحـجارة فتأمله فإذا هو بناء، فـتوجه للقرية وأتى بآلة حديد قلع بها البناء ودخل من ذلك النقب بقـبس نار فوجد محلا منقورا فى الجـبل وبه سبـعة قمـاقم من نحاس مخـتوم على أبوابهـا بالرصاص، فدحرج واحدا منهـا إلى الكهف لثقله وكسر ختمه فـوجده مملوءا بالدنانير المرينية، فأخرج القـماقم كلها إلى خارج الكـهف وحفر لها فى الأرض ورد عليـها التراب وسواه.

ورجع إلى الكهف فأغلق الباب كما كـان بالحجر والطين ونكسه ونقص من القمقوم الذى فـتح مقدار ما يحمل وتوجه به لدار والده، فـوضعه بمحله، ورجع إلى القمقـوم فحمله وأبلغه لمحله، ولما أصبح اسـترضى والده ببعض ذلك وجلب خاطره به ووصل أقاربه وبنى عمه واشترى لرفقائه وله خيلا وسلاحا واشتهر بينهم بأنه يحسن صنعة الكيمياء، وأقبل عليه البطالون.

فلم تكمل السنة إلى أن كان يركب فى مائة من الخيل، فـجاءه أحداث قبيلة مجاط فـاجتمعوا عليه وكـان يستركبهم، وعظم أمـره وصار يشن الغارة على أهل تادلا، وعلى أهل ملـوية وأمـر أمـره فـدعا لـنفـسـه هـ بنقل صـاحب الروضـة السليمانية.

وفى البدور: وكـان أهل صاحب الترجمـة - يعنى الرئيس محمـد الحاج - كـارهين لولايتـه لما كانوا عليـه من الاشـتغـال بالعلم والدين والـسيـر على سنن المهتـدين، ولما سمـعوه من الشيخ والـدهم رضى الله عنه فإنه كـان يقول له أنت سبب خراب هذه الزاوية، وكان يقـول سيجعل لكم محمـد سلما تصعدون به إلى درجة ثم ينكسر السلم وتنهدم الدرجة، وفى ذلك يقـول أخوه الشيخ الإمام سيدى محمد الشاذلى رحمه الله:

بلـينـا بذى نـسب شـــــائـك قليـل الجـدا فى زمـــان الدعـــه
إذا نالــه الخـــيـــــر لم نرجـــه وإن ضـعـفـوه ضـعــفنا مـعـه

وفى البدور أيضا أن أبا عبد الله محمد بن أبى بكر قال لأخت له ذات يوم: سيجـعل لكم محمد يعنى والده مـحمد الحاج سلما تـصعدون معه فـيه وتدعون اخنيف يعنى ثيـاب المسكنة، فترجـعون فلا تجـدون اخنيف وتلتمسـون السلم فلا تجدونه هـ.

قال فى نزهة الحـادى: حدثنى غـير واحد من أشـياخنا أنه أى أبا عـبد الله مـحمـد بن أبى بكر لما دنـت وفاته جـمع أولاده وذويه وقـال لهم: ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ... ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [سورة البـقرة ٢٤٩] وأنا أقـول ولا من اغترف بيـده يشيـر بذلك إلى ما يتجاذبـونه من الرياسة بعده ويبتلون به من أبهـة الخلافة وذلك فى مكاشـفاته وقد اعترض عليـه بعض الطلبة بقوله وأنا أقول بأنه سوء أدب بمقـابلة كلام الله بكلامه وأجاب عن ذلك حفيده شيخنا الفقيه العـلامة الشهير أبو عبد الله محمد المسناوى برسالة مستـقلة ولولا الإطالة لجلبناها بنصها هـ وهى مطبوعة فى فـتاويه المطبوعة بفاس ٢٢٢.

وفى البدور أيضا: قـد نقل بعض الأثبات الثقات أن الأمير مـحمد الحاج لما وصل بمن مـعه من أهلـه وبنيه. وأقـاربه وذويه. لمدينة تلمـسـان، ولم يعبـأ بهم إنسان، ونزلوا منهـا بحرم العباد مسـتمطرين الفرح بالمآب، من ملك أمـور العباد ورب الأرباب. قال: لا إله إلا الله الله أكـبر، كنا نظن أن ندخل مـدينة الجدار، دخول عز وافتخار، فدخلناها دخول ذل واحتقار، والأمر لله الواحد القهار.

قال: وبقى رحمـه الله بتلمسان نحـوا من عامين وأربعة أشهـر، وتوفى بها عشية يوم الخميس رابع محـرم الحرام فاتح عام اثنين وثمانين وألف ودفن من الغد قريبا من ضريح الشيخ مـحمد بن يوسف السنوسى، فكانت مدة أيامه. من وقت قيامـه. وجمع شمل نظامه. بمبايعـته أولا وثانيا وصيرورته إمـاما واليا. إلى وقت ارتحاله وخلـعه وإخراجـه من وطنه إحدى وثلاثين سنة، إلا أن أيامـه كانت غـير متمحضة للحرب ولا للسلم.

قال: وبقى من كـان معه بتلمـسان من بنيه. وأقـاربه وذويه، إلى تمام العام فتوفى السلطان الرشيد فـكان بين وفاتيهما معا أحد عشـر شهرا وستة أيام، وبقى أهل الزاوية بمكانهم نحوا من عامين وأشهر.

قـال: وكان خـروج أهل الدلاء من العـباد - يعنى منـقلبهم لفـاس - فى جمادى الأولى عام خمسة وثمـانين وألف، فلما رجعوا كان نزولهم بقرب روضة سـيدى على بن حـرزهم، وبقـوا به مدة ثـم أمرهم السلطان مـولاى إسـماعـيل بالدخول للمـدينة الإدريسية، وأن يسكنـوا منها حيث شـاءوا وعظمهم وأعطاهم، وأكرم نزولهم ومثواهم وبالتوقير والاحترام أولاهم وآواهم هـ.

قال الأسيـر مويت: وكان ابن أبى بكر هذا عالما بنوايا الرشـيد لذلك، أخذ يستـعد لملاقاته فـأرسل أولاده إلى الجبـال بقصد حـشد الجيـوش ثم وزع الأموال واستـخلف الأشياخ على أن يعينوه بأمـوالهم وأنفسهم حـتى النهاية، فأقسـموا له

على ذلك، إلا أن فريقا وجه إلى السلطان يستقدمه لزاويتهم ظنا منهم أنهم سينالون شيئا من السبى فأجابهم إلى ذلك، ومر فى طريقه على جبل الحديد فأخذه عنوة، ثم قصد ابن أبى بكر والتقى الفريقان ببطن الرمان غرة عام ١٠٧٩، إلا أن أولئك الأشياخ الذين كانوا يقبضون الأموال من الرشيد احتالوا فى قبض ابن أبى بكر وسلموه لعدوه فعفا عنه، ووجهه إلى فاس ومنها إلى تلمسان حيث قضى نحبه يوم ١٥ ماى ١٦٧١، ثم إن الملك قضى فصل الشتاء كله فى الزاوية هـ الغرض.

وما زعمه من الاحتيال فى قبض ابن أبى بكر والإتيان به للمترجم يفنده ما فى البدور الضاوية نقلا عن الأزهار الندية ونصه: ذكر لنا بعض الأثبات أن السلطان الرشيد لما قدم الزاوية الدلائية بقصد الاستيلاء عليها، لقبه الأمير أبو عبد الله محمد الحاج وكان متناهيا فى السن، فقال له: ما تريد؟ فقال له: الملك، فقال له: هو الآن فى محله فباعه ودفع له مالا فقبض منه المال. وألان له فى المقال. وذهب بأهله وحشمه إلى تلمسان هـ.

وقال نقلا عن تحفة المعاصر ما نصه: أخبرنى الشريف البركة الخير المرابط سيدى أحمد بن عبد القادر القادرى الحسنى ثم الفاسى أنه كان بها يعنى الزاوية الدلائية حين دخول السلطان الرشيد إليها حاضراً، وكنت ممن لفظته يد الاكتئاب، ورمت به قوس المحن والاغتراب، لما شاهدت يومئذ من تغير الأحوال، وكثرة الأحزان والأهوال، إلى تادلا فلما وصلت الصومعة منها ولقيت الفقيه الصالح سيدى عبد الرحمن بن إسماعيل والد الفقيه العلامة الولى الصالح سيدى محمد ابن عبد الرحمن صاحب سيدى أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله معن الفاسى رحمهم الله تعالى وسألنى عن خبر الزاوية المذكورة وأهلها وما فعل

هنالك، لم أملك عينى من البكاء بتذكره أيام تلك الأيام والمعاهد، وما خص الله تعالى به أولئك السادات الكرام الأماجد.

قلت رضى الله تعالى عن سيدنا حسان، ذكرنى لفظ التذكر والبكاء قوله يبكى أصحاب مؤتة بقوله:

يؤرقنى ليل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة ... سفوح وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

هـ.

وفى نزهة الحادى وغيرها أن الشريف الرشيد غير من الزاوية الدلائية المحاسن، وصير محاسن معينها العذب آسن، وصحبها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وكانت مشرقة إشراق الشمس، فمحت الحوادث ضياءها، وقلعت ضلالها وأفياءها، وقد أطال فانظر بقية كلامه.

وكان ممن حضر هذه الحادثة الإمام أبو على الحسن بن مسعود اليوسى ورثى هذه الزاوية بقصيدته الرائية الشهيرة المشتملة على جودة الرثاء المقصود، والتأسف على فوات حسن الحال المعهود، والتحنن إلى معاهد تلك الأطلال، والتشوق لمن كان بها من القطان والآل، والتنبه إلى الدهر والبائه، وتقلبه بأهله وأبنائه. والتأسى بذى التصبر لصروفه، والتسلى بما بيديه من نكره عن معروفه، وعدم الاهتبال بما يحدثه من الحوادث وترك الركون لنعيمه الحادث، وعدم الثقة بود بنيه، وتلون شيم أهله وذويه، ورفع الهمة عنهم ثقة بالمولى، فيما لابد وأولى، والتخلى عن خلل الخزايا والكبائر، والتحلى بحلل المزايا والمثاثر، والترقى فى أدراج خير السجايا لإدراك المعالى والمفاخر، إلى غير ذلك من الأخلاق والأوصاف الحسان. التى

يحصل الشرف بها فى الدين والدنيا وينجو بسببها فى الآخرة الإنسان. قال فى مطلعها:

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا ... فيأبى ويعتاض العقيق به جمرا
وأساله أن يكتم الوجد ساعة ... فيشقى وإن اللوم آونة إغرا
وقد كنت أستصحيه حين توقدت ... جذى الوجد فاستسقيته يطفئ الجمرا
على أن دمع العين فضل حشاشة ... تذاب فماذا ينفع الدمع أن يجرا
وكانت سروح الهم عنى عوازبا ... وبعد النوى أضحت مراتعها الصدرا
وكانت عيون الحادثات غوافلا ... زمانا وخطب الدهر كان بنا غرا
ليالى كان البين عن جيرة الحمى ... صدودا ونظم الشمل لم يستحل نثرا
وكانت رياض الحسن تزهو نضيرة ... فكاهتهم أضحت بأرجائها زهرا
ومجنية منها طرائق تجتلى ... إذا تجتنى فى كل مظلمة بدرا
وكانت مدامات الوصال مدامة ... على القوم صرفا لا مزيجا ولا نزوا
تجاذب أخدان الصفاء كئوسها ... فلا تختشى منها خمارا ولا سكرا
فبينا ليال الوصل بيض وروضه ... يفيض الندى كانت مرابعه خضرا
عدت عدوة أيدى الحوادث فاختلت ... خلاها فعادت بعد نضرتها غبرا
وأبدلن مانوس الديار وأهلها ... بوحش وحولن الأهيل بها قفرا
وبين جموع الحى كالراح شبتها ... بماء فما تخشى جفاء ولا نفرا
وكالفرقدين الطالعين تآلفا ... وصاحبى الملك الذى نادم الشعرى
أصابتهم عين الكمال فغادرت ... أكفهم من كل ما جمعت صفرا

وردتهم مثل الثريا إذا رأت سهيلا بشحط البين أو واصل والرا
فأصبح فى أرجائها البوم منشدا يردد مما قال من قد خلا شعرا:
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس بلى لكن هوى جدهم عثرا
فلا جفن إلا وهو مغض على القذا ولا عين إلاّ مِنْ نجيع الشجا حمرا
ولا وجد إلا وهو مرخ سدوله ولا هم إلا وهو يكتشف الفكرا
صبرت فؤادى للخطوب فلم يزل به رشقها حتى تقضى فلا صبرا
وأزمعت نهر الدمع عنى تعزيا فلما جرى كالنهر لم أملك النهرا
ووجهت نحو الحى أعرب عن هوى ضميرى فما ألفيت زيدا ولا عمرا
وأحسب ما قد كنت أحسب دائما فخطت بنان البين فى راحتى صفرا

إلى أن قال:

هو الدهر لا يبقى على متخشع ذليل ولا ذى نخوة مزده كبرا
حسام إذا ما صمم الدهر فى امرئ غدا دمه بين الورى خضرا مضرا
ورح سموم حيث ما هب مرة تعفت معافيه وإن بعدت مرا
وسيل إذا ما يمم الأرض أصبحت أخاديد وانفلت كرادسها كسرا
وليث هصور ما تغشى حظيرة فيسطو إلا أنعم العض والعقرا
غشوم فما يرتاع من بأس خادر لحى ولا من حسن ساكنة خدرا
فليس عجيبا ما أتى من عجائب ولو أطلع الغبراء واستنزل الخضرا

إلى أن قال:

ألم تر أن الدهر حبلى أنينة ولادتها يوما وإن لم تكن تدرا

فمن منح تسلى ومن محن تسى ... نتائجها صغرى على المرء أو كبرى
ولا تأمنن أبناءه أن تحببوا ... إليك فمن يشبه أباه فقد برا
وكل بنى دهر فأشباه دهرهم ... على ما قضى الله الكريم وما أجرى

إلى أن قال:

ومن لم يكن مستغنيا بقناعة ... فليس بمنفك عن الناس معترا
ومن لم يكن يسترغد العيش بالرضا ... بقسمته لم يبرح الدهر مضطرا
ومن لم يكن بالحزم محتزما فقد ... فرى حبله عن نجحه قبل أن يفرا
ومن لا يبادر صيده وهو معرض ... ليرميه كان العناء له قصرا
ومن يشر بخسا نوقه وهى شول ... عجاف تمناها لدا غيره شكرا
ومن يحتسب يهمل كما الغيث وابلا ... فلا الحقل يجفو بالعباد ولا الصبرا
ومن لا يثقف متنه الدين والحجا ... ويرم الورى يلق المثقفة السمرا
ومن لا يجنب قوله دنس الخنا ... فلا يمتعض يوما إذا أسمع الهجرا
ومن يبغ نذلا بالسباب وبالنوى ... يكن بنضار جيد يشترى الصفرا
ومن يصحب الأمجاد تنظف ثيابه ... ومن يصحب الأرذال يكسى بها العرا
ومن لا يجالس من يجانس لم يدم ... له أحد فالأسد ما ترأم الحمرا
ومن لا يجاوز بالصديق ويلحه ... يجد لبه نغلا إذا نزع القشرا
ومن يرم بالبغض الودود معنفا ... ليصفو يورث قلبه البغض والغمرا

وهى أطول من هذا تشتمل على مائة بيت واثنين وستين بيتا، وقد شرحها غير واحد من فطاحل العلماء والأدباء ما بين موجز ومسهب.

وقد رثى أهل هذه الزاوية غير واحـد من جلة العلم، وقد ألم بجملة وافرة أبو الربيع سليمان الحوات فى البدور الضاوية تركنا جلب ذلك روما للاختصار.

هذا وإن المترجم قدس سره، قد نقل علمـاء هذه الزاوية المباركة لفاس لنشر العلم، ومن جملتهم الإمـام اليوسى، قال فى تحفة المعاصـر: إن الشيخ اليوسى لما أمـره الرشيـد بالرحـيل من الزاوية البكرية وألزمـه النزول بمدينة فـاس والتصـدير للتدريس بها امتثل أمره ودخل مدينة فاس، وأقـام متصدراً للتدريس فأخذ عنه ملأ كثيـر، وجم غفير، ولزمه أهل الاعـتناء المنصفون، وانتفع به أهل المغرب انتـفاعا ظاهرا، وكان الرشـيد يحب إقامـته بفاس ويأبـى هو إلا البادية فعـاتبه فى ذلك، فـاعتـذر له بأنه رجل بدوى المولد والمنشـأ وحنينه أبداً لأول منزل هـ بنقل البـدور لأبى الربيع سليمان بن مـحمد الحوات الحسنى المتوفى عام واحـد وثلاثين ومائتين وألف.

وفى النشر: أن الرشـيد لما فرغ من إخـلاء الزاوية فى الثانى والعـشرين من صفر قصد مراكش فأخذها وقتل رئيسها عبد الكريم المدعو كروم الحاج الشبانى مع جماعة من حزبه[1] وقرابته وبعد مـوته بشهر رجع مولاى رشيد من حـركته تلك يوم الجمعة تاسع عشرين ربيع الثانى.

وخرج صـاحب تافلالت ابن أخـيه مولاى مـحمـد بن الشريف مع أتبـاعه وخلى سبيل البلد وكذلك الخضر غيلان ذهب فى البحر إلى الجزائر، وخلى سبيل آصيـلا. وعزل القاضى المزوار، والمفـتى محمـد بن أحمد الفـاسى زوال الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الثانية، وولى محمد بن الحسن المجاصى القضاء يوم الجمعة بعد عزل المزوار المتقدم والفقيـه سيدى محمد البوعنانى خطبة القرويين بعد عزل سيدى محـمد بن أحمد الفاسى، ثم خرج مولاى الرشيـد للشاوية عصر يوم السبت سابع عشر رجب ورجع سابع رمـضان، فأمر بإخراج أهل الزاوية من فاس

(١) التقاط الدرر - ص١٧٦.

ثم سمح للبعض منهم وبقى البعض بضريح سيدى على بن حرزهم[1] إلى آخر العام ثم سمح فردهم جميعا[2].

ثم خرج لحركة آيت عياش ظهر يوم السبت سابع عشر ذى الحجة، وأحدثت السكة الرشيدية ثانى وعشرى الحجة وأقرض التجار من فاس وغيرها اثنين وخمسين قنطاراً مدة من سنة حتى ردوها وبها بنى قنطرة سبو وفى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة أخذ فى أهبة بنائها[3].

قال: ومن حوادث عام ثمانين وألف بدء أساس قنطرة سبو، وفى خامس عشر جمادى الثانية بدأ البناء فيها بالآجر[4]، وخرج المولى الرشيد لحركة الأبيض يوم الاثنين الثانى والعشرين من رجب ورجع يوم الخميس ثامن رمضان، ومات أولاد أخ الأبيض من الغد قبضهم هنالك وقُتلوا بعد وصولهم لتازا، ثم مرض السلطان مولانا الرشيد مرضا أشرف على الهلاك، وأخرج جميع من كان بالسجن يوم السبت السابع عشر وبرئ من الغد، وفى يوم الأحد خامس عشر ذى القعدة عمل عرس مولاى إسماعيل أخى السلطان وفى شوال[5] جددت قنطرة الرصيف[6].

---

(١) فى نشر المثانى: «على بن حرازم».

(٢) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٥٧ - ١٥٥٨.

(٣) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٨ - ١٥٩.

(٤) فى المطبوع: الاجر بدون علامة فوق الألف، وفى نشر المثانى: «الأجر» بهمزة فوق الألف، وكلاهما خطأ صوابه لدى الناصرى فى الاستقصا ٧/ ٣٩. والآجُرّ: اللَّبن المُحْرَق المُعَدّ للبناء.

(٥) فى هامش المطبوع: «والذى فى البستان الظريف أن التجديد كان فى ذى القعدة من العام».

(٦) نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٥٦٣، وانظر فى ذلك أيضًا: الاستقصا ٧/ ٣٩.

قال: ومن حوادث عام واحد وثمانين وألف استولى مولاى رشيد على تارودانت وهى مدينة فى أقصى سوس بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة، وأسعار رخيصة، والطريق منها إلى أغمات وريكة فى أسفل جبل ليس بالأرض مثله إلا القليل فى العلو وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والفواكه، وبأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين[1] حصنا وقلعة، منها حصن منيع هو عمارة محمد بن تومرت ملك المغرب، إذا أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الدنيا حفظوه لمنعته[2].

فوقع فتح المدينة رابع صفر واستولى على هشتوكة يوم الأحد ثامن عشر صفر وقتل منهم نحو الألف ونصف فيما قيل، واستولى على أهل الساحل ومات منهم أزيد من أربعة آلاف على ما قيل يوم الأحد خامس عشر صفر، وفى مهل ربيع الأول أخذ أهل إيليغ دار ملك سيدى على بن حسُّون، ومات منهم بسفح الجبل نحو ألفين على ما قيل، وفى سابع ربيع الأول قتل بفاس خليفة السلطان نحو ستين من أولاد جامع، وعلقوا بالبرج الجديد لأجل قطع الطريق هـ[3].

قال الأسير مويت: ولما تم الأمر للرشيد على الشبانة عام تسعة وستين وستمائة وألف [ميلادية] توجه إلى مراكش، ثم بعد ذلك وردت عليه كبراء الشبانات ببيعتهم فأمنهم، ثم جند الجنود منهم ومن غيرهم وتوجه إلى حاحة فكان لا يمر بقبيلة إلا بايعه أهلها لما يعلمونه من شدة بأسه، وكان وما معه من الجنود يبلغ ٦٣ ألفا منهم ٢٥ ألفا من الفرسان.

ولما قرب من سوس أراد أهل الجبال أن يمنعوه من المرور إلى تارودانت فحاربهم وقهرهم، ولما قرب من أكادير تلقاه أهلها وبايعوه، ثم توجه نحو إليغ

---

(١) فى نشر المثانى المطبوع: «من عشرين» وفى إحدى نسخه الخطية «من سبعين» كما هنا.

(٢) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٦٥.

(٣) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٦٥.

بأولاد سيدى أحـمد وموسى فحاصر القـصبة حتى أضر الجـوع بأهلها فطلبوا من أمـيرهم أن يسلم نفـسـه للسلطان فأبى، ولما جـن الليل خرج من باب سِـرْبِه[1] وهرب، ثم إن أهل إليغ لما علموا بفـرار أميرهم خرجـوا إلى السلطان وبايعوه ثم بعد ذلك، رجـع السلطان إلى فاس سنة سـبعين وسـتمـائة وكتب لجـميع الولاة باستئصال شأفة قطاع الطريق، وإقامة الحدود على الزناة وشراب الخمر[2] هـ.

وفى نزهة الحادى لما تمت البـيعة له يعنى للمترجم أفـاض المال على العلماء وغمرهم بجزيل العطـايا وبسط جناح الشفقة على أهلها يعنى فاسـا، وأظهر إحياء السنة ونشـر الشريعة فـحل من قلوبهم المكان الأرفع، وتمكنت مـحبتـه من قلوب الخاصة والعامة هـ الغرض.

قال فى النشر: وفى جمادى الأخيرة خرجت سكة الفلوس الجديدة المدورة، وجعل أربعة وعشرين منها فى الموزونة الرشـيدية بعد أن كان فى كل موزونة ثمانية وأربعون، وبطلت الفلوس الأشـقوبية المربعـة، وفى يوم الاثنين ثالث رجب رجع مـولانا الرشيـد من حـركـة سوس. وفى أوائل شـعـبان ابتـدأ بناء المدرسـة التى بالشراطين من فـاس المنسوبة لمولانا الرشيـد بموضع دار عزوز، وفى أوائل شعـبان أمر المولى الرشـيد ببناء قصبة بعـرصة ابن صالح وديار لمتون والدكـاكين، وأعطى ألف مثقال لبـناء سورها وأمر قواده ببناء الدور فيهـا، وأمر شراكة[3] ببناء قصبة

---

(١) فى المطبوع: «من باب سرّية» والسَّرب: المسلك فى خُفْيَة.

(٢) نشر المثانى فى الموسـوعة ٤/ ١٥٦٥ فى حوادث ١٠٨١هـ، ومثله فى الاستـقصا ٧/ ٤٠ حوادث ١٠٨١هـ.

(٣) فى هامش المطبـوع: «قال فى البسـتان: إن هؤلاء شـراكة قدمـوا معه يعنـى المترجم من الشرك واستخـدمهم فى جنده منهم العرب الشجع وبنى عامـر ومنهم من البربر مديونة=

الخميس وأعطى ألف دينار لبناء سورها، وخرج لزيارة سيدى أبى يعزى رابع رمضان ثم إلى سلا، ورجع لفاس ثامن وعشرين من رمضان(١).

وقال فى حوادث عام اثنين وثمانين: بعث المترجم خيلا للجهاد نحو طنجة أول صفر، وبعث خيلا لسوس وقائدها عبد الله أعَرَّاص وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى، وسافر لتافراطة للصيد يوم الاثنين قرب الزوال فسمع قيام ابن أخيه [بمراكش](٢) فدخل فاسا يوم السبت حادى عشر رمضان وخرج من يومه عصرًا، فلقيه محبوسا بيد خدامه عند فزارة(٣) فبعثه إلى تافيلالت وسافر إلى مراكش وبعث قائده زيدان لفاس يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة ليأتى بالجيش، فأتاه أهل سوس وغيرهم طائعين ولم يبق للحركة موضع بعد أن خرجت الأخبية لوادى فاس(٤) هـ.

قال أبو محمد عبد السلام بن السلطان الأعدل أبى عبد الله محمد بن عبد الله إسماعيل السلطان الأعظم فى درة السلوك، وريحانة العلماء والملوك ما لفظه: كان مولانا الرشيد يقسم أيامه بين المقام بمراكش والمقام بفاس، وكان إذا ارتحل لفاس يترك بمراكش خليفته ابن أخيه مولاى أحمد بن محرز، وإذا رجع يترك أخاه مولاى إسماعيل بالغرب.

=وبنى سنوس وأنزلهم بقرب فاس فحصل منهم الضرر لأهل المدينة وتشكوا منهم فأمرهم بالانتقال بحلتهم لبلاد صدينة وفشتالة بين النهرين سبو وورغة، وأقطعهم تلك الأرض وعزل عزابهم، وأمرهم ببناء بيوتهم بقربه، وأعطاهم ألف دينار لبناء السور، وجعلهم قبيلة واحدة حيث أنفوا من ولاية الترك وفروا إليه هـ مؤلف».

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٦٦.

(٢) من نشر المثانى.

(٣) تحرف فى المطبوع إلى: «فتراوة» ورواية نشر المثانى: «فنزارة» والمثبت رواية الاستقصا ٧/ ٤٢.

(٤) نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٧١، والاستقصا ٧/ ٤٢.

وكانت أيام مولانا الرشيد أيام راحة ودعة وسكون جامعة للمحاسن وأشتات الفنون، وكان محبا فى العلماء مطالعا لكتب الأقدمين فقيها متضلعا، إلا أن أيامه لم تطل وكانت مدة خلافته سبع سنين، وكان مختصا به الفقيه الأديب السيد عبد المالك التجموعتى، والفقيه الأديب السيد سعيد التلمسانى، والفقيه الأجل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى، وله مع فقهاء المغرب وأدبائه أخبار حسان يطول ذكرها هـ.

ومن مفاخر المترجم شدة اعتنائه بتحقيق الشرف والنسبة للبيت النبوى حتى قال فى السر الظاهر: إنه كان مثلا مضروبا فى ذلك، وكان يسند ذلك لأهل العلم والدين، ويزجر أهل الإفك والزور فى ذلك بما يليق بهم من الزواجر البالغة، قال: وجرى فى أمرهم على طريقة ملوك الفرس، فإنها كانت تضبط أهل بيتها بضوابط أسلافها، حتى كانت تمنعهم من مناكحة من لا يليق بهم هـ.

قلت هو إشارة لتوجيه ما كان عليه المترجم وملوك آل بيته بعده من التحجير فى مناكح آل بيتهم بأن لا تكون إلا فى أبناء عمهم، أما النساء منهم فعلى سبيل الإطلاق والشمول والاستغراق من غير استثناء، وأما الرجال فكذلك إلا إذا اقتضى الحال فى بعض الخواص تسريحه له بإذن خاص، ولكن تخريج صاحب السر الظاهر ذلك على التأسى بملوك الفرس ليس على ما ينبغى، فإن اعتبار النسب فى الكفاءة فى النكاح هو القول الخامس فى المذهب حكاه ابن عرفة وغيره.

وقال الحفيد ابن رشد فى بدايته: إن قول أبى حنيفة وأصحابه إن القرشية لا تزوج إلا من القرشى ولا العربية إلا من العربى، وأن قول الثورى وأحمد: إن العربية لا تزوج من مولى، وكذا نقل ابن العربى فى الأحكام أن أبا حنيفة والشافعى يعتبر أن فى كفاءة النكاح الحسب.

ونقل ابن جزى فى قوانينه أن أبا حنيفة والشافعى يعتبران فيها الحسب والنسب ونبه فى البداية على أن مستند هذا القول هو الحديث الصحيح تنكح المرأة لدينها وجمالها ومالها وحسبها، قال: فلا يخرج من الاعتبار فى الكفاءة من هذه الأوصاف المذكورة فى الحديث إلا ما أخرجه الإجماع وهو الجمال، فانظره، وعليه فلا ملام على ملوكنا الفخام. فيما اختاروه لمناكح آل بيتهم الكرام. إذ لا اتفاق فى المذاهب على خلافه وكذا خارج المذهب كما تراه.

***

علائقه السياسية

لما كان عام ستة وستين وستمائة وألف ميلادية ورد التاجر (رولان افرجس) الفرنسى على المترجم وهو إذ ذاك بتازا يطلب منه الإذن ببناء محل للتجارة بالريف بنواحى وادى انكور، وكان قبل وصوله لصاحب الترجمة وجه له كتابا يطلب منه الأمان والإذن له فى القدوم لحضرته، وذكر أن بيده كتابا من ملك فرنسا كلفه بتقديمه إليه، وإليك ملخص ترجمة ما كتب به:

إلى الشريف العظيم القوى مولاى رشيد حرسه الله، لما كان سبب مجيئى لهذه البلاد مهما جدا ومفيدا لدولتكم أطلب من جلالتكم الإذن لى فى القدوم على أعتابكم وأن تسمحوا لى باللقى بكم لأتشرف بشرح أسباب مجيئى لإيالتكم، ولأسلم لكم كتابا من ملك فرنسا من مرسى البوزيم ٥ أفريل عام ١٦٦٦.

ولما اتصل هذا الرقيم بالمترجم أجابه بالإذن بالقدوم والأمن على نفسه وماله، وعين له ستين بعيراً لحمل أثقاله ودونك ترجمة جوابه له:

بسم الله، من التقى المرضى عبد الله القائم بالله المنصور بالله أمير المؤمنين الشريف الملك بمعونة الله مولاى الرشيد حفظه الله بمنه إلى القبطان (رولان

افرجس) تـوصلنا بكتابك طالبـا الإذن فى الدنو من حضـرتنا، فلك أن تدنو وقد أعطيناك تمام الأمان فى قضاء ما أتيت من أجله، وإذا دنوت فلا تجد بحول الله إلاّ الأمن التام والاطمئنان، والسلام على من اتبع الهـدى، كتب فى أوائل شوال عام ١٠٧٦.

ولما ورد السفير على حضرة المتـرجم اعتنى به وأكرم وفادته، ثم لما مثل بين يديه وذلك بالقصر الفـاخر المشيد بفاس فـاتح إبريل سنة ١٦٧١ أملى خطبة إليك ملخص ترجمتها:

أيها الشـريف الجليل جئت بإذن مـولاى ملك فرنسـا لأقدم لجلالـتكم فائق احتراماته وأؤكد لكم أنه راغب كـثيراً فى صداقتكم ومستعـد لقضاء ما يهمكم فى مملكته، وتصديقـا لما أقوله هأنا أسلم لجنابكم رسالة كلفنى مولاى بتسليـمها إليكم وأنتظر الجواب بما يظهـر لكم، وإنى أعد نفسى أسـعد الخلق حيث كلفنى أمـيرى بهذه المهـمة، وسـأكون أول من يحـمل إلى فرنسـا خبر هذا اللقـى الحسن الذى اقتـبلتنى به جـلالتكم، وأسأل الله أن يطيل بقـاءكم وأن يمتـعكم بدوام السـعادة ويبلغكم ما تتمنون هـ.

ثم قدم لصـاحب الترجـمة كتـاب ملك فرنسـا الذى جاء متـأبطا له وإليك فحواه: إلى الشريف العظيـم مولاى رشيد، فإن ما نسمعـه عن جلالتكم من أنها تقتبل اقتبـالا حسنا كل من تشرف بالوصول إلى أعتابكم حقق لنا سـتقبلون بفرح التاجر (رولان افرجس) الذى أوفدناه إليكم سعـيا فى ربط علائق الصداقة معكم، وقد كلفناه أن يـعرض عليكم قضـاء كل ما يخـصكم من مملكتنا وأن يكلمكم فى شأن أمـور أُخر وفى فتح باب التجـارة بين رعيتكم ورعـيتنا، وقد أذنا للتـاجرين (ميـشيل) و(رولان افرجس) أن يؤسســوا شركة من أعيـان دولتنا فنطلب منكم أن تساعـدوهما على ذلك، وإننا مـستعـدون لإعطاء دلائل المحبة والاحـترام اللذين

نضمرهما لجلالتكم، وهذا ما نريده منكم، ونسأل الله أن يديم عزكم وأن يجعلكم سعداء أولا وآخراً، وكتب بباريز فى ١٩ نونبر سنة ١٦٦٥هـ.

ثم إن السفير طلب من جلالة الأمير المترجم أن يأذن له يجعل شركة فرنسية بفاس بقصد التجارة فى الجلود والشمع والنحاس والصوف فلم يجبه لذلك، وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وجه المترجم للسفير جواب كتاب أميره الذى أتى به وها نصّ ترجمته:

الحمد لله ولا غالب إلا الله المنصور بالله أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين رشيد إلى عظيم النصارى لويز، السلام على من اتبع الهدى، وبعد: فقد بُلغنا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من طلبك إلا من لمن أراد من رعاياك التجارة فى بلادنا فقد أعطينا الأمان كل من أتى إلى بلادنا ومن سيأتى بقصد التجارة وفى ٢٦ شوال عام ١٠٧٦(١) كتبه كاتب عن أذنه حرسه الله بمنه(٢) وأمر السفير بالرجوع من حيث أتى، ولما رأى أن حيلته بارت ومساعيه لم تنجح أخذ فى بيع ما أتى به من السلع، ثم بعد مدة حدث له شنئان مع بعض التجار قضى عليه برفع الشكوى به لحضرة المترجم فسار إليه لأجل ذلك، والحال أن المترجم كان يعتقد أن هذا السفير رجع إلى بلده وأدى مأموريته التى أتى من أجلها، ولما رآه وعلم أنه لا زال بالديار المغربية لم يبق له أدنى ريب فى أنه مفتر فيما ادعاه من

---

(١) فى هامش المطبوع: يوافق هذا التاريخ فاتح ماى سنة ١٦٦٦.

(٢) فى هامش المطبوع: سجل أصل هذا الكتاب فى صحيفة ٢٠ من الجزء ٣ فى الوزارة الخارجية الفرنسية قال بعض مؤرخى أوروبا كان هذا الكتاب محررا باللغة العربية ولكنه لم يقع العثور على أصله ولا على ترجمته الإصبانية وإنما الموجود ترجمته من اللغة الإصبانية إلى الفرنسية وقد كان المولى الرشيد أصدره من تازا وكان مغشى بمنسوج الحرير الأزرق وتوجيهه للويز كان بواسطة الوزير كولبير هـ مؤلف».

السفارة محتال فى جر النار لقرصه فنزع منه ما كان دفعه إليه من الأجوبة، وألزمه مغادرة المملكة المغربية من حينه ولم يسمح له بملاقاة ثانية.

وقد فند الكنت دو كاسترى كون ذلك الكتاب الذى جاء متأبطا له هذا السفير صدر من ملك فرنسا للمترجم قائلا: لأن مولاى الرشيد إذ ذاك لا زال لم يظهر أمره حتى يعلم به ملكهم، وإنما كان الملك دفع لزاعم السفارة كتابا للشيخ عراس لكونه كان مشهورا مسموعا به ولما جاء التاجر رولان المذكور للديار المغربية وعلم بسلطنة مولاى الرشيد زور ذلك الكتاب ليتوصل به لغرضه.

وانظر تفنيده هذا مع ما جاء فى صحيفة ١٩٦ كتاب من ينابيع التاريخ له نفسه من رسالة لويز الرابع عشر التى كاتب بها المترجم من (سان جرمان) بتاريخ ٨ دجنبر سنة ١٦٦٦ وإليك ترجمتها:

«من الملك إلى مولاى رشيد ملك فاس الأمير المعظم الأفخم، صديقنا الأعز، لقد بعث إلينا بكتابكم التاجر رولان فرجس الذى كنا أوفدناه عليكم بقصد إنشاء محلات للتجارة بين أهل رعيتنا ورعيتكم لما فى ذلك من الفائدة للجانبين، فجاء ذلك الكتاب جوابا للرسالة التى كنا كلفناه حملها إليكم، وقد سرنا قبولكم لطلبنا بفتح أبواب المتاجر قبولا حسنا كما يستفاد ذلك من جوابكم ومما أخبرنا به هو نفسه، كما سررنا بإكرامكم لوفادته فشكرا لكم على اعتباركم لجانبنا، ونرجو أن تدوم هذه العلائق الحسنة بيننا وأن تزيد الروابط متانة بين أهل دولتنا ودولتكم، لذلك فإنا نكتب إليكم مرة أخرى طالبين منكم أن تعضدوا التاجر (فرجس) المذكور مع أخيه وشريكه (مالبنى) وأحسن برهان تبدونه على محبتكم إلينا هو إعانة الشركة المذكورة وإجابتها إلى كل طلب تقدمه إليكم. هذا ونؤكد لكم بأننا أخذنا حظًا وافرًا من فرحكم بعد انتصاركم على المرابط (الخضر غيلان) الذى كان

قام عليكم، وختاما نسأل الله أن يحرسكم أيها الملك المعظم الأفخم، وكتب فى قصر (سان جرمان) فى اليوم الثامن من دجنبر سنة ١٦٦٦» هـ.

ويوجد هذا الكتاب بسجلات وزارة الأمور الخارجية الفرنسوية ضمن ما يتعلق بالمغرب من المكاتبات القنصلية وهو مسجل بصحيفة ٨٧ من الجزء الأول.

وفى سابع شتنبر ١٦٦٦ كتب الملك لويز من «فان سين» بالأمر لسفيره الذى كان بالجزائر المسمى (اطروبر) أن يذهب براً أو بحراً إلى ملك تافلالت مولاى رشيد ليطلب منه الإعانة على حصار طنجة التى كانت بيد الإنجليز، ويكون حصاره لها برا وحصار الأسطول الفرنسى بحرا، ولكن السفير لم يجد سبيلا للذهاب لمولاى رشيد انظر صحيفة ١٨٩ من الجزء الأول من ينابيع التاريخ المذكور للكنت دوكاسترى.

وكتب الملك لويز للمترجم كتابا من باريز ٢٣ يبراير سنة ١٦٧٢ يوصيه فيه بشامويل ازو الذى كلف بالمفاوضة فى شأن بعض الأسارى، وإليك فحوى ذلك الكتاب:

إلى الملك الأكبر الأفضل المقتدر حبيبنا الأعز، لقد طبق خبر انتصاراتكم جميع أنحاء أوروبا، ويسرنا بهذه المناسبة أن نؤكد لكم بأننا أخذنا حظا وافراً من فرحكم وإننا نتمنى لكم النجاح والفلاح فى جميع أعمالكم، هذا وبما أن ما بيننا من الصداقة وحسن المعاملة يقضى علينا أن نرأف برعايا بعضنا بعضا فلا ريب أنكم ستعتبرون اقتراح التاجر شمويل دورد الذى أوفدناه عليكم ليخاطبكم فى شأن معاوضة الأسارى الذين أخذتهم السفن المعدة لحماية تجارتنا بالأسارى الذين أخذهم منا أهل سلا، وقد كلفناه أن يسلم لكم عشرة من رعاياكم بعد أن تسلموا له مثل ذلك العدد من أهل رعيتنا الذين قد اتخذتموهم عبيداً بقطركم، واعتماداً على ما أبديتموه لهم من دلائل العدل كلما سنحت لكم الفرصة فلا نشك أنكم

ستلبون هذا الطلب، وبذلك نكون مدينين لكم بحسن الاعتراف، ولنا اليقين بأنكم ستصدرون أوامركم لقوادكم ولأهل رعيتكم بتأمين تجارنا الذين يفدون على مملكتكم حتى لا يلقى عليهم قبض ولا يسجنون، وهذا ما نؤمله من حسن التفاتكم الذى يمتن علائقنا، ونطلب الله المتعال أن يزيد فى عزكم يا أيها الملك الهمام المعظم وأن يختم عليكم بالسعادة وكتب بعاصمة باريز فى ٢١ فبراير ١٦٧٢ حبيبك المخلص لويز.

وتحته توقيع «كولبير وزير التجارة» هـ من صحيفة ٤١٤ من الجزء الأول من ينابيع التاريخ.

وقال مؤلفه الكنت دو كاسترى فيما علقه على هذا المكتوب إن هذا الكتاب لم يبلغ لمولاى رشيد لأنه توفى بمراكش فى ١١ حجة سنة ١٠٨٧ موافق ٩ إبريل سنة ١٦٧٢، ولما لم يصل هذا الكتاب طلب فرمون أحد وزراء لويز من الوزير الأعظم كولبير كتابا آخر مثله لمولاى إسماعيل هـ.

وفى سنة ١٦٧٠ وجه ملك الإنجليز وهو يومئذ كرلوس ٢ [هارى هوراس] سفيرا للمترجم يهنئه بالانتصار ومعه هدايا فاخرة من جملتها رماح طوال وستة مدافع من النحاس وعربة مزخرفة يجرها اثنا عشر فرسا وثياب.

ولما وصل السفير إلى طنجة وجه إلى صاحب الترجمة بالرماح فسر بها وأصدر أوامره لعمال القصر وتطاوين بإمداد السفير بسائر ما يحتاج إليه من لوازم السفر الكافية لوصوله للحضرة السلطانية، وبينما السفر يتهيأ من طنجة إذ ورد عليه الأمر السلطانى بتأخير سفره نحو الخمسة عشر يوما حيث عرض له ما أقلق راحة الرعية، وكدر صفو الأمن العام بسببها، ورأى أنه لابد له من النهوض لحسم مادة ذلك الفساد بنفسه قبل اتساع خرقه فأجاب السفير بالسمع والطاعة.

ولما سكن المترجم هيعة البلاد، وقطع جرثومة العناد، وجه للسفير بأمره بالقدوم لحضرته، ثم بدا لصاحب الترجمة أن يكون مجىء السفير بحرا من طنجة إلى سلا، فلم يرض بذلك واغتاظ وطلب الإذن له فى أخذ ما أتى به هدية وقدمه أمامه لسلا والرجوع من حيث أتى، فساعده المترجم على ذلك فأخذ الهدية وانقلب إلى وطنه.

* * *

بناءاته وآثاره

من ذلك مدرسة الشراطين المتقدمة الذكر، وكان ابتداء العمل فيها أول شعبان عام واحد وثمانين وألف، وجدد ما اندثر من قنطرة سبو، وكان صدور أمره ببنائها يوم السبت الرابع عشر من ذى القعدة والشروع فيها فى منتصف جمادى الثانية عام ثمانين وألف، وجدد القنطرة التى بخارج باب الجديد من فاس، وقنطرة وادى فاس، والقنطرة التى بخارج باب البوجات من فاس المرينية المعروفة اليوم بالقنطرة الطويلة، وقنطرة وادى النجا، وقنطرة وادى ويسلن، وقنطرة وادى أم الربيع، وآبار السلطان المشار لها فيما مر المعروفة إلى الحين الحالى بآبار السلطان الواقعة بالوضع المعروف بالشط من بلاد الظهراء، وقنطرة الرصيف داخل فاس الإدريسية، وكان تجديده لها فى شوال، والذى فى الروضة أنها فى ذى القعدة سنة ١٠٨٠، وبنى القصبة الجديدة المارة الذكر بعرصة أحمد بن صالح المرينى الأندلسى وديار لمتونة بالموضع المعروف بالدكاكين، وأدار السور على الموضع المعروف بدور كرواية من جيش السعديين حيث بنى شراكة دورهم، وقبة ضريح جده المولى على الشريف دفين مراكش.

وفاته: توفى وهو ابن اثنتين وأربعين سنة بحضرة مراكش يوم الخمس التاسع من ذى الحجة المذكور، وسبب وفاته أنه كان بجنان المسرة فى اليوم المذكور لابسا

زينتـه وأراد أن يركب فرسًـا لم يركب قط ورديا فى لونه وحضـر من حضـر من أصحابه فنهاه عن ركوبه قائلا له: إنه فـرخ شرير لم يركب قط وما تعلم ما يصدر منه فأبى، وقال ما عسى أن يصدر منه! كم ركـبت من فرس جموح فغلبته وأذعن تحتى، وأمر به فأسـرج وركبه داخل الرياض فما استوى عـلى ظهره حتى شرد وجمح فمر به على عود من ليمونة به أثر قطع الحديد محرفا فدخل العود فى عنقه ما بين الودج والترقوة من الظهر فتركه معلقا به وزاد الفرس فى جموحه وشروده وكان أمـر الله قدرا مقـدورا، وأنشأ الشعـراء فى موته على الحالة المذكـورة قطعًا وقصـائد مضمنهـا أن عود الليمـون غار عليه فـقبضـه ولم يفلته وقد رمـز لوفاته صاحب الدر السنى بقوله (فشب) ١٠٨٢ من قصيدة فقال:

وأما الرشيد بن الشريف إمامهم (فشـب) له نصـر بملك مكمل

١٠٨٢

١٤١ - راشد بن منصة الأوربى خديم آل بين الرسول المخلص مولى الإمام الأكبر رحمه الله ورضى عنه.

حاله: صـرح غير واحـد من ثقات المؤرخـين ومحقـقيهم بـأنه كان له إلمام بالعلوم ومعرفة تامة بـالسياسة والأخبار وأيام العرب ووقائعهـا والفروسية والرماية ومكايد الحـرب، ذا قوة وحـزم ونجـدة وإقدام ودهاء ونبـاهة ودين مـتين، وثبـات ورسوخ وأمـانة، وصلاح وورع وزهد وتقى وإخلاص حب ونصيـحة فى آل بيت الرسول، يوالى بموالاتهم ويعادى بمعاداتهم، وكفاه فخرا وشرفا أنه من أهل القرون الثلاثـة المشهود لـهم بالفضل على لسـان من لا ينطق عن الهوى، ومـا أبداه من صدق الولاء والقيام بسـائر الشئون والخدمات اللازمة لجناب بضعـة الرسول الغضة الطرية شمس اليـمن والفلاح المشرقة بالـديار المغربية، مولانا إدريس بن عـبد الله الكامل، وبذل نفسـه النفيسة ابتـغاء مرضاته، خرج مـعه خديما ودليـلا وحارسا

ومعززا ونديـما، ولم يزل تحت أوامره يصافـيه ويصطفيه ظعنا وإقـامة إلى أن نقله الله إليه شهيدا.

وبالغ جهده وطاقـته فى الأخذ بثأره من المارق الممقوت اللعـين سليمان بن جرير المعـروف بالشمـاخ، فاقـتفى أثره إلى أن لحقـه بوادى ملوية فضـربه بسيـفه ضربات قطع بإحداهن يده وأثخنـه بالباقى جراحا، ومع ذلك عبر الوادى فـأعجز المترجم لحاقه فرجع وجهز مـولانا إدريس ودفنه، ثم ألح القوم عليه بالقيام بأمرهم كمـا كان مـولاه من قبله إلى أن تضـع جاريته كـنزة حملهـا، فإن وضعـت ذكرا بايعـوه، وإن وضعت أنثى لم يعـدلوا عنه، لأنه أحقّ بالإمـامة من غـيره لعلمـه وفضله ودينه وشهامته ونصحه لملة الإسلام.

فقـام بالأمر أحـسن قيـام، وجعل فى حكمـه بينهم الكتاب والسـنة إمام، وحفظ حرمـة مولانا إدريس فى أهله وولده من بعده حملا ورضـيعا إلى أن شب على هدى سلفه فى صيانة وعفـاف، وتحلى بأشرف الأوصاف، وتجلى على منصة الجلال والكمال، حفظ القرآن وهو ابن ثمانية أعـوام وتفهمه وتعلم السنة والسياسة وحفظ أشعار العرب واستطـلع على سياستها وأمثالها وحكمهـا ووقائعها وحروبها ودربه على الرماية بالسهام وركوب الخـيل وخدع الحرب والمكر والفر، ولما بلغ من السن إحدى عشرة سنة أخذ له البيعة العامة على المنشط والمكره من سائر القبائل.

وأصل راشد هذا قيل من المغرب وبه نشأ أوربى من القبيلة الشهيرة وهو ابن منصة، سبى مع أبيـه فى غزوة موسى بن نصير، وقفل مـعه إلى المشرق، وقيل: من المولدين، وقيل: من العرب من موالى العـلويين، وقيل: غير ذلك والله أعلم بحقـيقة الأمـر، وأيا كان فله يد بيضـاء فى الإسلام وفضل لا ينكر، وأثيل مـجد يجب أن يذكر به ما طلع نجم ويشكر.

وفاتـه: توفى رحمـه الله شهـيدا سنة ست وثمـانين ومائة بإغـراء من ابن الأغلب عليه، ودفن قريبا من ضريح مولانا إدريس فى الجهة الجنوبية يمين الخارج للمزارة العليا من المسـجد الأعظم هناك وضريحه ثم مزارة شهيـرة تفد إليها الزوار من كل صوب وصقع، حتى إن زوار الضريح الإدريسى وخصوصا الأمراء والملوك يبدءون بزيارة المترجم ثم ينقلبون لزيارة الضريح الإدريسى رضى الله عنهما.

١٤٢ - رحمـة بنت الجنان زوجة أبى عبد اللـه محمد بن عـزوز الصنهاجى المعروف بالحاج عزوز، آتى الترجمة فى حرف الميم.

حالها: كانت حافظة لأحاديث كثـيرة من الصحاح، وكادت أن تحيط حفظا بالأدعية الواردة فى الصحاح، وكـانت ملازمة لدرس القرآن العظيم فى المصحف، عالمة بكثير من تفسير قصصه وأخـباره، وتزوجت بعد وفاته بأحمد بن محمد والد الإمام ابن غـازى، ورزقت[1] الإمام مـحمـد بن غازى صـاحب الروض الهـتون وغيره المترجم فيما يأتى:

مشيختها: أخذت عن زوجها المذكور.

الآخذون عنهـا: منهم الإمام ابن غازى، قال: حـفظت منها كثـيرا من أيام الصغر فلم أتعب كثيرا فى حفظه فى الكبـر وقال فنفعتنا بذلك فى الصغر غاية برد الله ضريحها.

١٤٣ - روان المدعو أبا الروائن ابن محمد بو مـدين بن عبد السلام بن على ابن الولى سـيدى عـيسى بن الشـيخ محـمد بن عـيسى بن عـامر دفـين مكناس.

حاله: قال الزبادى فى سلوك الطريق لدى تعداده لشـيوخه الذين أخذ عنهم

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ورقت»..

الطريق العيســاوية فى حق المترجم: الفقير المسن الصالح المتــمسك الناسك، أخذنا عنه ورد سيــدى بن عيــسى لقيناه فى غرفــة داره ببراكــة من مكناسة الزيتــون بعد امتناعه من ذلك.

وفاته: توفى عام الزلازل سنة تسع وستين ومائة وألف.

***

حرف الزاى

***

١٤٤ - زيدان أبو المعالى ابن السلطان أبى العباس أحمد المنصور الذهبى فخر الملوك السعديين.

حاله: فقيه علامة مشارك متضلع نقاد شهم، أديب بارع، شجاع عالم بمكايد الحروب وخدعها، ذو مروءة ومتانة، دين جامع لخصال الفضل والكمال، ولكنه غير محظوظ ولا متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظائم، كثير المراء والمجادلة استخلفه والده على مكناس وتدلا وأحوازها فأحسن السيرة قال ابن القاضى فى الدرة: «ولاه والده أبقاه الله تعالى مكناسة وهو أميرها فى هذا العصر أعنى بعصر تسع وتسعين وتسعمائة»(١).

ولما توفى والده اجتمع أهل الحل والربط من أعيان فاس والجمهور من جيوش والده على بيعته محتجين بأن والده استخلفه قيد حياته ومات فى حجره، وكان ممن تصدى لبيعته قاضى الجماعة بلقاسم بن أبى النعيم، والقاضى أبو الحسن على بن عمران السلاسى، والأستاذ أبو محمد الشاوى، والإمام النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار، وكان الذى قام خطيبا فى القوم القاضى ابن أبى النعيم قال فيما ألقاه: أما بعد السلام عليكم، فإن رسول الله ﷺ لما مات اجتمع الناس على أبى بكر، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان أولى بالملك من إخوته، فبايعه الحاضرون وذلك يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة وألف.

---

١٤٤ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٢٧٧، وموسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٢٨٣.

(١) درة الحجال ١/ ٢٧٨.

ولما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور وكتب إليهم أهل فاس بمبايعتهم للمترجم امتنعوا وبايعوا أخاه أبا فارس وذلك يوم الجمعة أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة.

ثم لما تمت البيعة الشرعية للمترجم بفاس بارحها ووجهته البلاد الحوزية لعلمه بما صدر من أهلها من شق عصا الطاعة، وإباية الدخول فيما دخلت فيه الجماعة.

ولما علم أبو فارس بذلك جهز لقتاله جيشا عرمرمًا جرارًا وألقى زمام رياسته لأخيه المأمون هكذا قال بعضهم، والذى فى نزهة الحادى أن أبا فارس أمر على الجيش ولده عبد المالك مع الباشا جؤذر، ثم إن بعض أهل الرأى من حاشيته أشار عليه بتسريح أخيه الشيخ وإسناد قيادة الجيوش إليه لمحبة الرعية فيه ولميلها له فلا يقاومونه ولا يقابلونه إلا بالسمع والطاعة، لأنه كان الخليفة عندهم.

فاستحسن الإشارة، وسرح الشيخ وأخذ عليه العهود والمواثيق على إبداء النصح وعدم شق العصا، ثم أوعز أبو فارس لخاصته من رؤساء الجيوش بالقبض على الشيخ إذا وقعت الكرة على المترجم، وانهزمت جيوشه، والشيخ لا يعلم بما دس له، فخرج يزحف فى جيوشه إلى أن التقى الجمعان بوادى أم الربيع بالموضع المعروف بحواتة، فكان النصر لجيوش أبى فارس وانهزم المترجم بسبب ما لحقه وجنوده من الحنو والحنان رعيا لسالف عهده ووثوق رابطة إخائه وإخلاص وداده القديم، ورجع القهقرى إلى فاس وتحصن بها فاقتفى أثره الشيخ إذ لم يقدر أحد من أصحاب أبى فارس له على شيء.

ولما اتصل الخبر بالمترجم راود أهل فاس على القيام معه فى الحصار فأبوا وشقوا عصا الطاعة فى وجهه، وأعلنوا بنصر الشيخ والبيعة له، فخرج المترجم فى جيشه وأثقاله إلى تلمسان فأقام بها مدة، وبعث لترك الجزائر يستنصر بهم على

إخوته، ولما يئس من نصرتهم ذهب لسجلماسة فدخلها من غير قتال، ثم انتقل منها إلى درعة، ثم لسوس فكتب إليه أهل مراكش يستقدمونه ولو وحده فقدم عليهم ليلا فأعلنوا بنصره، وقتلوا عبد الله أعراس عامل الشيخ وشبت حروب.

ثم لما اتصل الخبر بالشيخ بفاس اهتم لذلك واغتاظ، وصار يضرب الأخماس فى الأسداس، وأخذت الأنفة والحمية أهل فاس لما وقع بإخوانهم الذين كانوا بمراكش، فتعصبوا للشيخ وتحزبوا وتطوعوا بالمقاتلة، ولما رأى ذلك الشيخ هيأ ولده عبد الله وعقد له على جيش لا يستهان به، فخرج قاصداً مراكش.

ولما بلغ الخبر زيدان وجه الباشا مصطفى بجيوش جرارة، ولما التقى الجمعان وقعت الكرة عليه، وقتل من جيشه نحو التسعة آلاف، وذلك بموضع يقال له تفلفلت على طريق سلا.

ثم توجه عبد الله فى جيشه لمراكش منصوراً، فخرج إليه أهلها فى ستة وثلاثين ألف مقاتل فالتقى الجمعان أيضا بموضع يقال له رأس العين فهزم أهل مراكش، ودخل البلد عنوة، ففر المترجم إلى المعاقل وشواهق الجبال وفعل عبد الله فى مراكش أفعالا فظيعة، أنتجت له حنق الأمة عليه، وشق عصا الطاعة فى وجهه فخرج من مراكش مهزوما مكسور الشوكة، وكتب أهل مراكش للمترجم يستقدمونه فقدم عليهم وقابل المسيئين بالإحسان وذلك آخر شوال عام ثمانية عشر وألف.

ثم بعث الباشا مصطفى لفاس وخيمت محلته بظاهر الزاوية واستولى على زروع أصحاب المأمون وفرقها فى أصحابه.

وفى عام تسعة عشر وألف انتهز صاحب الترجمة الفرصة فاحتل مدينة تازا، وبعث قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل فاس والإعلان بنصره، ولما أمر بالنداء

بذلك قام فى وجهه بعض لصوص العدوة وجرحه فكثر الهرج والمرج وخاب مسعاه، ولما بلغ المترجم الخبر اشتد غيظه ونهض من تازا، وخيم على ضفة وادى فاس واستولى عليها وسَبَى[1] أهلها وجذع بل همّ بقتلهم ولكن الله عصم دماءهم.

وفى حادى عشر رجب من العام نزل عبد الله برأس المال، فخرج إليه صاحب الترجمة فهزم ومات من جنده نحو الخمسمائة، ولحق بمحلة كانت له بالدلاء، ودخل عبد الله فاسا.

ثم ثار أبو العباس أحمد بن أبى محلى الساورى وكان فى أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل التصوف، وصار يصرح بأنه المهدى المنتظر، ثم دعا لنفسه وزعم أن السبب الداعى له لذلك تفاقم البدع وتكاثر المناكر وأنه بصدد الجهاد شأن كل ثائر فتان، فاستخف أفئدة العوام، إلى أن كان من أمره ما هو مسطور فى بطون التواريخ، فخرج على عامل المترجم على سجلماسة الحاج المير فهزمه ودخل سجلماسة.

ولما بلغت الهزيمة صاحب الترجمة عقد لأخيه عبد الله المدعو الزبدة على جيش جرار فلما علم به أبو محلى سار لدرعة وبها لحق به عبد الله، ولما التقى الجمعان كانت الهزيمة على جيوش صاحب الترجمة، وقويت شوكة أبى محل وملأت مهابته القلوب، وشاركت فى طاعته سجلماسة ودرعة ثم تشوفت نفسه لاحتلال مراكش فتوجه إليها.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة وجه جيشا للقائه فهزم الجيش وفر زيدان لآسفى، وهم بالعبور لبلاد العدوة ودخل أبو محلى مراكش.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وسب أهلها».

ولما رأى المترجم مـن فشل ريحه مـا أرى وعلم أنه لا طاقة له بمقـاومة أبى محلى كتب للـفقيه أبى زكرياء يحـيى بن عبد الله بن سعـيد الحاجى ثم الداودى يستغيـث به وهو بزاوية أبيه من جبل درن، وكان فى جملة ما كـتب له: إن بيعتى فى أعناقكم وأنا بين أظهركـم فيجب عليكم الذب عنى ومـقاتلة من ناوأنى، فلبى أبو زكرياء نداءه وكـانت له شهرة عظيمـة بالقطر السوسى، فحـشد الجنود من كل فوج، وخرج يؤم مراكش وذلك فى ثامن رمضـان عام اثنين وعشرين وألف، ولما بلغ يمين فم تنت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه أبو محلى ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيـم، من أحمد بن عبد الله إلى يحـيى بن عبد الله بلغنى أنك جندت وبندت، وفى يمين تنوت نزلت، اهبط إلى الوطا لينكشف بينى وبينك الغطا، فالذيب ختال، والأسد جـوال، والأيام لا تستقام، إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام».

فأجابه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من يحيى بن عبـد الله إلى أحمد بن عبد الله، أما بعد:

فليست الأيام لى ولك إنما هى للملك العـلام، وقد أتيت لك بأهل البنادق الأحرار، من الشبانة ومن انتمى إليهم إلى بنى جرار، وأهل الشرور والبؤس، من هشتـوكة إلى بنى كنســوس، فالوعد بينى وبـينك جائز هناك حيث ينـتقم الله من الظالم، ويتبين الذليل من العزيز والسلام».

ثم زحف يحـيى لمراكش إلى أن نزل قـرب جبل جليـز المطل على مـراكش فشب القـتال وكانت أول رصاصـة فى نحر أبى محلى فـمزقت جنوده كل ممزق، ونهبت محلته وقطع رأسه وعلق فى رءوس من أصحابه على سور المدينة نحوا من

اثنتى عشرة سنة، وحملت جثته فدفنت بروضة أبى العباس السبتى تحت المكتب المعلق هنالك على المسجد الجامع، وقد رمز لقتل أبى محلى وموته أبو العباس أحمد المديد المراكشى بقوله: (أقام طيشا، ومات كبشا) وهو من بديع التلميح وحسن التورية.

قال صاحب نزهة الحادى: زعم أصحابه أنه لم يمت، وحدثنى من أثق به أن أهل وادى الساورة إلى الآن فيهم من هو على هذا الاعتقاد.

ولما قتل أبو محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة وألقى بها عصا تسياره، ورام أن يتخذها دار قراره، فكتب له المترجم قائلا: إن كنت جئت لنصرتى وكف يد ذلك الثائر عنى فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وإن كنت رمت جر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك به، فتجهز يحيى للرجوع لوطنه وأظهر العفة عن الملك، وأنه إنما جاء ليدافع عن الملك الذى بيعته فى عنقه، وانقلب لبلاده ورجع صاحب الترجمة لمراكش:

مؤلفاته: منها تفسير القرآن المجيد اعتمد فيه على ابن عطية والكشاف.

شعره: من ذلك قوله:

أهلكتنا سوالف وخدود	وعيون مدعجات رقود
ووجوه يبارك الله فيها	وشعور على المناكب سود
أهلكتنا الظبا ونحن أذلة	وخضعنا لها ونحن أسود

وقوله:

مررت بقبر رائق وسط روضة	عليه من النوار مثل النمارق
فقلت لمن هذا فقالوا بذلة	ترحم عليه إنه قبر عاشق

وفاته: توفى فى المحـرم فتح سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بجنب قـبر أبيه بروضتهم الشـهيرة بالحاضرة المراكشيـة، قرأت فى نقش رخامة قبره رحـمه الله ما لفظه:

هذا ضـريح من به تفـتخـر المفاخـر ... زيدان سـبط أحـمـد مـبـتكر المآثر
حـامى حمـى الدين بكل ذابل وباتر ... أجل من خاض الوغى وللأعادى باهر
لازال صوب رحـمة الله عليـه ماطر ... ومن شـذا رضوانه نفـحة كل عـاطر
أرخ وفـاة من غدا جـارا لرب غافـر ... بمقعد الصدق عـلا أبو المعالى الناصر

١٤٥ - زين العابدين السلطان بن السلطان مولانا إسماعيل الجد الأعظم.

حاله: فاضل زكى صبور حليم، راضى بما قدره الرحمن له، قال عنه رفيقه الإمام الثبت أبو العلاء إدريس بن محمد فـتحا العراقى لما آب من رحلته معه لأداء فريضة الحج فيـما تلقاه منه ونقله عنه ابن عمه الشريف العـلامة مولاى الوليد بن العربى العراقى فى مؤلف له ونصه:

كان لمولاى زيـن العابدين، عـقل رصين وكان مـعتنيـا بدينه محـافظا على الصلاة فى وقتها، وأنه منذ خرج من هنا إلى أن رجع ما تيمم قط، بل يتوضأ لكل صلاة من السـفر، وشدة الحـر والقر، وكان ذا خلق حسن، وسـمت مستـحسن، محبا لجانب الله تعالى، ومعظما لحرمته ذا همة علية، ونفس أبية.

اشترى جنانـا بالمدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام وحبـسه، وهو من نخـبة أولاد مـولانا إسمـاعيل رحـمه الله، فلـذلك اختـاره للبعث لذلك المقـام الشريف، قـال: وإن السلطان مولانا إسـماعيل وجـه العراقى المذكور برفـقة ولده يعنى المتـرجم للحـج بعـد أن آخى بينهـمـا وعاهدهمـا وقـال لوالده: هات يدك وللشريف كـذلك، وشبكهـما وجعـل يده فوق يديهمـا وقال هذا عـهدك، وهذا

ولدى، وأنت ولدى وأوصاهما بما يجب من حسن المعاشرة والقيام بالحقوق، ودفع للمولى إدريس ياقوتة عظيمة يبلغها للروضة الكريمه على صاحبها الصلاة والسلام لتعلق هناك، وقد رأيتها فما رأيت مثلها فى الصفاء والكبر وزنها رطل وست أواقى، وعليها شباك من ذهب مرصع باليواقيت، وجعل لها سلسلة لعلاقتها، وجعلت فى صندوق من الذهب سترة لها أهديت إليه من بلاد النصارى، وقد قومت بأربعة وعشرين قنطارا من المال فوصلت وعلقت هنالك.

وكان لما سافر مرة أخرى قيل أعطاه ياقوتة وهى أصغر من الأولى قومت بأربعة عشر قنطاراً فى كل قنطار ألف مثقال، وهما للآن معلقتان بالروضة المباركة هـ ملفقا.

وقد كان المترجم عند موت والده مستقرا بسجلماسة، ثم لما قامت الفوضى بين العبيد وإخوته وامتدت أطنابها واشتدت شوكة العبيد وكثر الهرج والمرج، ولاسيما بين الإخوة المولى عبد الله والمولى المستضىء، وأبى عبد الله محمد بن عربية على ما سيمر بك فى تراجمهم إن شاء الله قدم المترجم لمكناسة من سجلماسة زائراً لا طامعا فى الرياسة فلما حل بمكناسة اتفق أن كان الدور للمستضىء، فألقى عليه القبض وأودعه السجن ثمانية أشهر على ما فى الدر المنتخب، ثم أخرجه للمشور وأوجعه ضربا أشرف به على التلف فصبر واحتسب ولم ينطق ببنت شفة، ثم رده للسجن ثم أمر بإخراجه وتوجيهه مقيداً لسجلماسة مع بعض المساجين من الأشراف للسجن بها.

فلما بلغ الخبر العبيد وجهوا من اقتفى أثره ليرده، فلحق به لصفرو فأزال قيده ووجه به لبنى يازغة للجلوس عند القائد أحمد القعيدى، وأوصاه به خيراً فأكرم وفادته وأنزله منزلا رحبا ولم يزل عنده محل إجلال وتكريم إلى أن أعزل المستضىء، وبويع المولى عبد الله بيعته الثانية ففرح المترجم وابتهج بخلع الأول

وبيعة الثـانى، وذهب من بنى يازغة لفاس وبقى به مدة ثم فى ثالث عشـرى قعدة عام اثنين وخمسين ومائة وألف ذهب لمكناسة وبقى بها مدة، ثم ذهب إلى طنجة، وأقام عند الباشا أحمد الريفى فى شفوف مكانة.

وكان الباشا أحمد يعلم أن ذلك لا يستقر له وأنه لا بد له من شريف يستند إليه، وكان لا يـحب مولاى عبد الله لسـابق منافرة تقدمت بينهمـا أدت إلى قتل مـولاى عبـد الله من أتاه من أصحـاب القـائد المذكورة فـسارع الريفى إلى نصـر المترجم، وبايعـه العبيـد الذين كانوا معـه على وفاق واتفقـوا على قبض السلطان مولاى عبد الله وقتله فأوعز إليه بعـضهم ما وقع تظافرهم عليه، فوجه لأمه خناثة بنت بكار فهربـت لفاس الجديد ولما أصبح تبعـها هو إلى أن نزل برأس الماء ثم إن العبيد كتبوا للباشا أحمد ووجـهوا له جريدة من الخيل لتشييع المترجم وخفارته إلى أن يحل بدار ملك أبيه ويتـسنم أريكته، فأحضـر الباشا المذكور القضـاة من مدينة تطوان وطنجة والعـرايش والقصر وشـفشاون والعلمـاء وأعيان القبـائل الفحصـية والحياينة فى يوم مشهود، وعرض عليـهم بيعة المترجم فبايعوه، وذلك فى أول يوم من ربيع الأول عام ثمانيـة وخمسين ومائة وألف ووصل الباشـا الأشراف والعلماء والأيتام والأرامل الضـعاف والجـيوش بصلات سنـية،ووجه لعـبيد مـكناسة أهل الديوان حظهم من ذلك بمناسبة بيعة المترجم ثم توجه قاصداً مكناسة دار ملك أبيه فيمن جاء لخفارته وغيرهم من فرسان العبيد.

ولما دخلها حضر القاضى والفقـهاء والأشراف وأهل الحل والإبرام من العبيد وبايعوه البيعة العامة وكتبوا ببيعته للآفاق ووفدت إليه الوفود من الحواضر والبوادى ما عدا الودايا وأهل فاس فـإنهم كانوا شيعة مولاى عبـد الله وكان دخوله لمكناس وجلوسه على أريكة الملك بهـا يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الثانى أحـد شهور العام المذكور، ثم لما اتصل الخبر بذلك لمولاى عبد الله فر من رأس الماء إلى الجبال

البـربرية وذلك يوم الثلاثـاء تاسع جمـادى الثانيـة، وأقـام عندهم، أما صـاحب الترجمة فـقد أمر قواده ورءوس ديوانه بجمع الحركة لفاس فى تأخـرهم عن بيعته هم والودايا، فـامتثلوا أوامـره وهيئـوا الحركة وخـيمـوا بها على مكناسـة الزيتون يترقبون ما يصدر لهم من الأوامر، وفى منتصف جمادى الأولى خرج المترجم من مكناسة قـاصداً حصار فـاس فنزل بسيدى عـميرة فى جيـوش جرارة، وذلك يوم الثلاثاء الذى فر فيه أخوه مولاى عبد الله للبربر.

ومن الغـد خيم بظاهر فـاس ووقع الحرب علـى باب المسافـرين بقنطرة ابن طاطوا، ودام القتال من الضحى إلى الزوال، واشتد الحال وعظمت الأهوال،وبقى الودايا وأهل فاس يموج بعضهم فى بعض، وبات الناس فى شدة عظيمة.

ومن الغد اخـتلفت كلمة العـبيد ووقع بينهم التنـازع الذى هو أصل الفشل والسبب فى ذهاب ريح النجح والفلاح، ورجعـوا بالمترجم لمكناس بعد ان أحرقوا نوادر الودايا بالخمـيس، ولما حلت محلتـهم بمكناسة عاثت ونـهبت الأجنة وأكلت الثمـار، وسعت فى الأرض الفسـاد، وفى ضحوة يوم الخـميس خامس عـشرى، جمادى المذكور رجع مولاى عبد الله من البربر، ودخل فاسا الجديد، فتلقاه أهلها والودايا بالترحاب والفرح المزيد، ومن يومه خرج لدار الدبيبغ وأقام بها، أما العبيد فقد ذهبـوا لمشرع الرملة، وأقام المترجم بمكنـاسة ألعوبة بين يدى عبيـدها تعبث به كـيف شاءت لا حـول له ولا قـوة ولا قدرة على حـل أو إبرام دون مشـورتهم، والوقوف عند تنفيذ أوامرهم.

ولما جـاءوا على ما كـان بيده من المال بالخـزائن ولم يبق لهم مـال ينهبـونه صمـموا على عزلـه ومبايعـة أخيه لما كـان لديه من الأموال وألفـوه منه من البذل إليهم، وفى ثالث عـشر رمضان عـام أربعة وخمـسين ومائة وألف صرحـوا بعزله

فبارح البلاد ناجيا بنفسه، وكانت مدة دولته نحو الخمسة أشهر نظراً لكون بيعته لم تتم إلا بعد حلوله مكناسة مستقر عرش مملكة أبيه.

بناءاته: لم يحفظ التاريخ منها غير الباب الواقع فى جنوب بطحاء الهديم مشهور النسبة إليه لحد الآن، لا يعرف بغير باب زين العابدين اتصل بهذا الباب بين البطحاء المذكورة ومدينة الرياض العنبرى السالفة الذكر فيما قدمناه من البناءات الإسماعيلية تلك المدينة العظيمة الشأن التى كان أسسها والده لصدور دولته وعظماء مملكته التى أحدث فيها الآن بناء دور اليهود وأعطى اسم الملاح.

١٤٦ - زكرياء الفران أبو يحيى:

حاله: فقيه صابر، منور الظاهر والباطن، مواظب على تلاوة القرآن، من رجال مكناسة الزيتون، وفضلاء خيار عبادها، حسن اللقاء، كثير البشاشة، مسترسل الطلاقة والبشر، دائم القبول، متصل اللهجة، جميل التعطف، واسع الصدر على سجية أهل الفضل والدين أمثاله، يحدث عن سيره فى عبادته واجتهاداته وتصرفه وورعه فى كسبه وتحفظه على أمر دينه من باشره ما تقر به أعين الأولياء، ويعز وجوده فى زمانه، وكذلك كثر التحدث على إيثاره غيره على نفسه بما يكون لديه، وعن اشتغاله بطهارة قلبه وعما ظهر على محله من علامة توفيقه، والله تعالى يمن على من يشاء من عباده بفضله ورحمته. قال الحضرمى فى غالب الظن: إنه من أهل القرن الثامن من العشرة السابعة منه.

١٤٧ـ زيدان أبو محمد سيدنا الجد ابن فخر الملوك العظام، مولاة إسماعيل ابن الشريف بن على الحسنى السجلماسى.

حاله: بطل شجاع مقدام قوى الجنان أعرف بنى أبيه بالكر والفر، وأمهرهم فروسة، ذو نجدة وجد وحزم وعزم وهمة أبية، ونفس علية، وأخلاق حميدة

..سية، وشفقة وحنان، وميل لجانب الله، محب فى الصالحين، موال لهم، متحاش لأهل الفضل والدين، صلب فى دينه، مؤتمر بأوامر والده.

ولما بلغ أشده وظهرت نجابته استخلفه والده على مكناس كما فى الترجمان المعرب، وقيل: إنه استخلفه بفاس، والأول أصح وذلك عام اثنين ومائة وألف، وعقد له على جيش أهل فاس، ووجهه إلى الترك حيث بلغه أنهم تعدوا الحدود وأضروا بالمجاورين لهم من إيالته المغربية، ثم بدا لوالده اللحوق به فلحق بأطراف المغرب الأوسط، وأبرم الصلح مع الأتراك ورجع لحضرته السلطانية.

وقيل: إن الذى تولى عقد الصلح مع الأتراك هو أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسى اختاره السلطان المولى إسماعيل لقضاء هذه المهمة لعلمه وحذقه ونباهته، وفى ربيع سنة ست ومائة وألف خرج المترجم فى عسكر جرار تتلاطم أموجه إلى ناحية تلمسان، بعد أن قتل النائب بفاس أبا العباس أحمد السلاوى، فقاتل الترك ونال منهم، ورجع وفى سنة إحدى عشرة ومائة وألف نقل من ولاية مكناسة كما فى الترجمان.

وولى على بلاد الشرك، فكان يغير على بلاد الترك إلى أن شردهم عن نواحى تلمسان أخذًا بالثار منهم، وانتهى فى بعض أيام غاراته إلى مدينة معسكر فاقتحمها واستولى على دار أميرها عثمان باى وأخذ جميع ما فيها من الذخائر والأمتعة، وعثمان إذ ذاك غائب فلم يرض ذلك والده للصلح الذى كان أبرمه مع السلطان مصطفى العثمانى، ولذلك عزله عن البلاد الشركية، وولى مكانه أخاه المولى حفيد.

وفى سنة ثلاث عشرة ومائة وألف عين من قبل والده خليفة على فاس، وبعث معه حمدون الروسى عاملا عليها.

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف وجهه والده لقتال أخيه الولى محمد العالم الذى ثار بالبلاد السوسية ودعا لنفسه واقتحم مراكش ودخلها عنوة، فسار فى عساكر ذات بال، ولما وصل مراكش وجد المولى محمداً بارحها وعاد لتارودانت، فاقتفى أثره إلى أن خيم على تارودانت وشبت الحرب بينهما ودامت وتسعرت نيرانها إلى أن كان الظفر للمترجم، فاستولى على تارودانت وقبض على أخيه المولى محمد ووجهه لوالده ومكث خليفة بتارودانت إلى أن وافته منيته فيها.

شعره: من ذلك قوله حسبما نسبه له العلامة الثبت مولاى عبد السلام بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان الجليل ومن خطه نقلت:

لم أنس يوما زارنى قمرى ... فكمل الأنس به إذ جلس
قبلت منه الخد مختلسا ... وإنما العيش الشهى خلس
وملت للثغر على غرة ... منه فما أطيب ذاك اللعس
فجادلى بالريق حيث درى ... أنى عليل لا أطيق النفس
وبت نشوانا بعافية ... أغتنم الفرصة عند الغلس

وقوله:

أتتك على رغم الرقيب حمائلى ... وهى بأسباب الوصال وسائلى
فدونك فاختر ما يزينك لونه ... وزرنى ولا يشغلك عذل العواذل
على أن سيف اللحظ أمضى من الذى ... أتاك فكن يامنيتى خير واصل

وفاته: توفى بتارودانت عام تسعة عشر ومائة وألف، وحمل فى تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا إلى جنب أخيه المولى محمد العالم، هكذا قال الزيانى ومن تبعه، وعندى أن ذلك وهم لا يكاد يصح إذ فى سنة سبع وثلاثين كان لازال حيا يرزق قطعا فى منتصف رمضان منه.

إذ فى التـاريخ المذكور أوقع والده السلطان مـولانا إسمـاعيل مـحالفـة بين المترجم وبين أخيه مولاى أحمد الذهبى، وعقد المحالفة والمؤاخاه عندى شهد عليه على إشهاد والدهما، وهو بكرسى ملكه، وعلى أبى العباس الذهبى المذكور بما فيه عنه العدول والفقهاء والـقضاة فمنهم عبد الله تعالى الشريف بن أحـمد بن محمد ابن عمر الحسنى، وأبو العباس أحمد بن سعـيد العميرى، وأبو عبد الله محمد بن ذكرى وأبو القـاسم بن سعيـد العميـرى، وأبو الحسن على بن سعـيد العمـيرى، ومحمد بن الشرقى فى آخرين.

* * *

حرف الطاء

***

١٤٨ - الطيب بن الشيخ سيدى الشاذلى بن العارف سيدى محمد - فتحا - ابن العارف سيدى أبى بكر بن محمد الدلائى.

حاله: قال فى البدور الضاوية: هو الفقيه الإمام العالم الهمام الولى الصالح العارف الناصح المشارك الأجل المحب لله وفى الله عز وجل.

ولد رضى الله عنه بالزاوية الدلائية، وبها نشأ وقرأ، وكان رضى الله عنه آية من آيات الله فى الحفظ والتحصيل، صاحب تحرير وتدقيق، ودراية وتحقيق أخذ من كل علم بنصيب، وله فى التدريس والتقرير اليد الطولى والباع الرحيب، متفننا فى الفقه والأصول والعربية والأدب، ذا حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم، واتباع السلف الصالح، حسن الأخلاق فى الشدة والرخاء.

صحب جماعة من الأشياخ وتخلق بأخلاقهم، وكان زاهدا عابدا ورعا تقيا، كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى ثم خرج من الزاوية مع من خرج عند الحادثة العظمى، واستوطن مدينة فاس، وتصدر للتدريس والفتيا، ثم دخل مكناسة الزيتون واستوطن بها، وتولى الإمامة والخطابة بمسجدها الأعظم إلى أن توفى رحمه الله تعالى ورضى عنه بها.

مشيخته: أخذ عن والده وجماعة من المشايخ أقاربه وعنه خلق.

شعره: من ذلك قوله

حيتك نافحة الشذا بعبيرها ... وسقتك مغدقة الحيا بنميرها

ودعاك منصبك العلى مملكا ... وغدوت فى الدنيا أجل أميرها

وفـدت رسـائلك الجليلة طيـهـا نشـــر المودة فى خـــلال سطورها
فكأنما الصــهـبـاء رق مزاجـهـا وكـأنما الـديبـاج فى تحـبـــيـرها
وتنكبت عــن منزلى إذ خـيـمت ما عــرجت بســلامهـا وسفيـرها

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام سبعة بموحدة ومائة وألف، ودفن بها وفيه يقول صاحب حدائق الأزهار الندية:

فـمنـهم البكاء من قـد أقــبـلا لطـاعـــــة الإله جـل وعــــلا
وترك الفـــانى لنـيل البـــاقى ومص كـاس الحب قـبل الســاقى
الطيب الأخـلاق طبعـا كاسـمه وكـاشف الدعـوى بنيل شـمسـه
ذاق الحـمــام بعـد كـأس الحب فـاستـوجب الرضـا وعز القــرب

١٤٩ - الطيب بن عبد الرحمن بن أبى القاسم بن القاضى.

المكناسى الأصل، الفاسى النشأة والدار والوفـاة، وهو ممن شملهم قول ابن غازى عند تعرضه لعلماء مكناسة بلده وبنو العافية والمترجم منهم.

حاله: شيخ صـالح، فقيه أستـاذ فالح، علامة نبيل، مـدرس متقن جليل، كان معتـنيا بتقييد مـهمات المسائل متبـعا لآثار الصالحين، سالكا سبـيل أهل الخير والدين.

مشيخته: أخذ عن والده شيخ الجماعة فى عصره، وكان من أصحاب سيدى أحمد اليمنى، وسيدى أحمد بن عبد الله معن الأندلسى، وظهرت عليه بركتهما.

وفاته: توفى فى رمضان عام أربعة وعشرين ومائة وألف، ترجمه فى السلوة والنشر والتقاط الدرر.

١٤٩ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٩٤٥.

١٥٠ - الطيب بن محمد بصرى المكناسى قاضيها.

حاله: فقيه وجيه، علامة نزيه، مدرس فاضل، قدوة كامل، عدل رضى مبرز، تولى خطة العدالة مدة، وقفت على رسم بشهادته بتاريخ أحد عشر شوال عام اثنين وتسعين ومائة وألف، ثم رشح لقضاء الجماعة بالحضرة المكناسية، والإمامة بمحراب مسجدها الأعظم، وقفت على خطابه على رسم مسجل عليه بتاريخ عاشر رمضان عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف، وآخر بتاريخ خمسة وتسعين وآخر بستة وتسعين وآخر بتسعة وتسعين، وآخر بمنتصف شعبان عام مائتين وألف.

وكذا وقفت على تسجيل عليه بإثبات رسوم واستقلالها حلى فيه بالعلم والتدريس وإمامة المسجد الأعظم بهذه الحضرة، تاريخه ثامن رجب عام واحد ومائتين وألف، وآخر بتاريخ اثنين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ ثلاثة ومائتين وألف محلى فيه بالفقيه العالم المدرس الأفضل، القدوة البركة الأحفل، قاضى الجماعة بمكناسة أحد عدوله مولاى أحمد بن على العلوى الذى تولى القضاء بها بعد، وقد مرت ترجمته.

١٥١ - الطيب بصرى المكناسى الدار والقرار.

حاله: فقيه مبين، علامة ناسك، خير دين فاضل، صوام قوام، ذاكر، معتزل عن خلطة الناس، لا يأوى إلا للفقراء، ذو مائدة مبسوطة، كثير الزيارة للصالحين الأحياء والأموات، حسن الاعتقاد فى أهل الله، ولى خطبة جامع الزيتونة.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس السوسى دفين مراكش المتوفى عام ثلاثين ومائة وألف، ولقى ولده أحمد العباس.

وفاته: توفى سنة تسع وستين ومائة وألف كما فى سلوك الطرق الوارية.

١٥٢ - الطيب بن الشريف النقيب مولاى على الشريف القادرى.

حـاله: محـتـرم وجيـه، فـاضل ألمعى نزيه، كـان من الملازمـين للسلطان الأعظمى أبى عبد الله مـحمد بن عبد الله بن فخر الملوك وجـد السلاطين مولانا إسمـاعيل، لا يفارقه لا فى ظـعن ولا فى إقامة، وكان مـتوليا النقـابة على سائر الزوايا القادرية بالمغـرب الأقصى، أسند إليه ذلك بعد وفـاة والده مولاى على بن أحمد بظهير للسلطان أبى محمـد بن عبد الله بتاريخ أواسط ربيع الثانى عام ثلاثة وخمسـين ومائة وألف، ثم جدد له ذلك بظهير مـحمدى نصه بعد سطر الافـتتاح والطابع:

«كتابنا هذا أيد الله أوامره العلية، وخلد فى صـفحات الدهر مثاثره السنية، يستقر بيد حامله الشريف الأرضى، الوجيه المحترم المرتضى، سيدنا مولاى الطيب ابن على سليل الولـى الصالح، والكـوكب الضئـضـئى اللائح، سلطان الأوليـاء وقطب الصـالحـين، والمتـبرك به فـى كل وقت وحيـن محط رحـال الأمـانى ذى الكرامـات الشهـيـرة، سيـدى عـبد القـادر الجـيلانى أفـاض الله علينا من بحـر فضله،وجعلنا من المستظلين بوريف ظله.

يعلم منه أننا بسطنا يده على جميع الزوايا المنسوبة للشـيخ سيدى عبد القادر نفعنا الله ببركـاته حيث كانت بهذه الإيالة المباركـة، وجعلنا زمامها بيـده وقصرنا الكلام فى كل ما يرجع إليـها عليه، وأسندنا له النظر فى جمـيع أوقافها المحـبسة عليها، منه إليـها، وأحللناه فى ذلك كله محل والده قبله وأنزلناه منزلتـه من غير معارض يعارضه، ولا مناقض يناقضه، وأسدلنا عليه وعلى جميع السادات إخوانه أردية التوقيـر والحرمة والأثيلة، ونزهنا جانبهم المصون من كل مـا تسام به العوام، وجعلنا لهم مزيد التعظيم والإكرام، وحـررنا لهم كل من يحسب على جانبهم من

الأصحاب والأتباع والخدام، بحيث لا يندرجون فى وظيف. ولا تشملهم قطعة تكليف.

كما حررنا لمولاى الطيب المذكور أصحابه الحراثين من الخلط وهم أحمد بن الطاهر الصالحى وإخوانه، وابن دح البيجرى، وإخوانه، وابن منصور الرياحى وإخوانه، والمعلم محمد بن دير وإخوانه، ومحمد بن العسرى وإخوانه فلا يطلبون بوظيف، لا قوى ولا ضعيف، رعيا لنسبتهم الطاهرة.

ومن خرق على أحد من أصحابهم جلباب التوقير. أو طالبهم بجليل أو حقير. يخاف على نفسه وحسب الواقف عليه من خدامنا بالحواضر والبوادى أن يعملوا به، ولا يحيدوا عن كريم مذهبه، والسلام وفى ثالث عشر شوال المبارك من عام اثنين وسبعين ومائة وألف» هـ من أصله مباشرة.

ويوجد ظهير آخر يتضمن إقرارهم على ما لهم من التوقير والاحترام على مقتضى ما عندهم من الظهائر الشريفة الموجبة لهم ذلك ولمن انتمى إليهم وانتسب، وأن زاويتهم التى بسلا محترمة فمن دخلها كان آمنا وحرمها من دار سيدى عبد الرازق ممتد إلى باب شعفة تاريخه ١٨ صفر عام ١١٧٢ ، وهذه الظهائر موجودة بيد أحفاده بسلا، ولولا الإطالة لجلبنا نصوصها ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، وأتينا بهذا ليعلم الواقف عليه ما لسلفنا الصالح من الاعتناء والمحبة فى جانب أهل الفضل والدين والصلاح.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون بعد الثمانين ومائة وألف، ودفن بزاويتهم المباركة منها.

١٥٣ - الطيب بن إبراهيم بسير - بسين مـهملة مشددة - الأندلسى الأصل الرباطى الدار والإقبار قاضيها.

حاله: فقيه علامة مشارك، متضلع نقاد ورع ناسك، له يد طولى فى جميع الفنون عـقليهـا ونقليـها، أديب مـاهر، ناظم ناثر، مناظر ظريف المنزع، مـفاكـه منبسط، مليح العـشرة، جيـد الخط، له نظم رائق، ونثر فائق، لو جـمع ماله من المنظوم والنثور لجاء فى مجلد، وقد رويت له فى مجموعتى فى الأمداح النبوية من سهل النظم الممتنع ما يسحر الألباب. وينشط أولى الألباب.

تصدر للإفتاء والتدريس، وتولى عدالة مـرسى الرباط وإمامة جامع السويقة به أيضا كمـا نص على ذلك الضعيف، ورشح لقضاء بلده رباط الفتـح عام تسعة عشر ومائتين وألف، ثم عزله عامل الرباط الغازى السكيرى، وذلك فى رجب عام عشرين ومائتين وألف ثم أعد لقضاء الرباط أيضا على سبيل النيابة، ثم استقل فى حدود الأربعين، ثم نقل بعـد عام تسعة وثلاثين من قضاء الرباط لقـضاء مكناسة الزيتون، وكان يتداول قضاء الرباط ومكناسة الزيتون مع القاضى الحكمى نحو ستة أشهر أو العام، لكل واحد وذلك فى الدولة السليمانية.

وبالجملة فقد كـانت تعد مزاولة المترجم لخطة القضاء بنحـو الخمسين سنة، وقفت على عدة من خطاباته والتسجيل عليه محلى فـيها بقاضى الجماعة بالحضرة الإمامية وخـطيب جامع قصبتهـا السعيدة، العالم العلامـة الأمثل. المدرس النفاع الأكمل، من ذلك عقد بتاريخ ثانى عشر جمـادى الثانية عام اثنين وأربعين ومائتين وألف، وآخر بعام ثلاثة وأربعين.

ولا زال له عند أهل بلده ذكر طيب، حـيث قام بوظيفه أحـسن قيام إلى أن أعفى من الخطة لكبر سنة أواسط عام سـتة وستين ومائتين وألف، ثم رحل لوزان وأقام لدى سيدى على بن أحمد مدة هـ.

كذا قيل، والصواب أن إقامته بوزان كانت فى حال بدايته، وفى مدة إقامته بها كانت قراءته على الشيخ الرهونى، وذلك قبل ولايته القضاء بأزمان هـ من خط حفيده الثبت علامة الرباط وبركته سيدى المكى بن محمد بن على البطاورى حفظه الله.

وقد ترجمه مؤرخ سلا السيد محمد بن على الدكالى فى نظمه المسمى إتحاف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا. بما لفظه:

ومنهم القاضى أبو المسك التقى ... محمد الطيب نعم المرتقى

وهو ابن إبراهيم بسير الذى ... يعرف بالشيخ الأديب الأحوذى

نادرة العصر وفرد وقته ... وحامل الآداب قل فى نعته

كان فقيها عالما مدرسا ... أخا بلاغة خطيبا ندسا[1]

قاضى رباط الفتح قل وعينها[2] ... ركن فخرها وحائز الدها

له أياد فى المعالى والعلا ... وجمع العرفان طرا فاعتلى

وكان ذا فكاهة وبسط ... ونخوة تزيل كل قنط

كان ينوب فى القضا قديما ... ثم استقل حائزا تكريما

فى عام (يط) بعد عزل الحكمى ... ودام خير ماجد محكم

ولى دولة القضاء مرتين ... إحداهما بعيد خمسين تبين

له النوادر التى تستملح ... ولم يحاك مثلها ممازح[3]

---

(١) فى هامش المطبوع: «الندس المراد به هنا الفهم الفطن الكبير كما فى القاموس وشرحه».

(٢) فى هامش المطبوع: «فيه عيب من عيوب القافية وهو جعل الضمير راويا كما لا يخفى».

(٣) فى هامش المطبوع: «تستملح غير مؤسس وممازح مؤسس وذلك مما لا يجوز عند علماء الفن لأن القافية إن كانت مؤسسة يجب أن يكون التأسيس فى جميع القصيدة هـ».

عـجبـا ولطفـا وغـريب منزع وغـور أصل وجـميل مـوقع

فكـم مـوشح يزيـل حـزنا وكم مـربع يـقـر الأعـينا

وكم نسـيب يـستـفـز الأريحى وكم غـزال يـصطفى بـالفـرح

وسل عـيون الشـعـر عن مقـاله تعـرف جـمـالا بَان فى أقـواله

فـهـو الأديب الشـاعر المـعتبـر أو البـليـغ فى الـنظـام النـاثر(١)

وكـان فى الفـقه نسـيج وحـده وفى المعـالى حكـما فـى جنده

وكم تـرسل يحـل العـقـدا وكم ضـراعـة تنيل مـددا

وكم مـديح للرسـول المجـتـبى أقـر بالقـصـور عنه الـنجـبـا

وكـان فى الفـتـاوى لا يجـارى وفى القـضـا والحكم لا يمـارى

وكـان يخـتـم القـوافـى بالملح مما يثـيـر ضـحـكا للانشـراح(٢)

كـبـيـتى الطيب الـذى يشم سلبـا وإيجـابا وذاك يسـمـو

وغـيـرها وهو كـثـيـر تعـرف من شـأنه وهو بهـا مـتـصف

مـثل نـدائه كـذى السـكربوو وبألا لـدامـجـىء مـارجـوا

ضـمن ذا الأشعـار والتوشـيحـا فـجـاء فى انبـسـاطه مليـحـا»

وقد اعـتراه جذب فى آخـر عمره وقـيل افتعل ذلك لـلانسلاخ من وظيف القضاء، وقد شوهدت له فى ذلك الإبان مكاشفات، من ذلك ما أخبرنى به بلديه قاضى الرباط الحالى العلامة السيد محـمد بن عبد السلام الرندة أنه أخبره الأشيب

(١) فى هامش المطبوع: «فيه من العيوب ما فى البيت السادس ترقيا هـ».

(٢) فى هامش المطبوع: «فـيه من عيـوب القافية الـردف وليس فى البيت الأول وذلك مما لا يجوز».

الحاج محمد فتحا الرجراجى الرباطى، أنه أخبره المسن المنتسب سيدى بنعاشر الحداد الرباطى، أنه كان جالسا بدكان مع بعض بسوق السبيطريين برباط الفتح، فرأيا المترجم وقد اعتراه الجذب وهو برأس باب الخزازين فتذاكرا فيما حصل له بعد ما كان فى رتبة القضاء، فقال أحدهما للآخر: إنه يقال إنه فى رتبة سيدى أبى العباس السبتى، ثم خاضا فى حديثهما الأول ونسيا حديثهما الاستطرادى فى شأنه، والحال أن بينهما وبينه مسافة بعيدة يستحيل عادة سماعه كلاهما، ثم بعد مدة طويلة وصل إليهما وحياهما، وأعقب التحية بقوله: ومن هو أبو العباس السبتى؟ يبول ويتغوط كالناس، قال الرجراجى: قال الحداد: فتيقنا أنه كاشفنا فيما قلنا عنه هـ.

وقول ذلك القائل: إنه فى رتبة سيدى أبى العباس السبتى، لعل سبب هذا القيل ما كان يشاهد منه فى حال جذبه من كثرة بذل الدراهم للمساكين وللصبيان، فكان يحمل العدد من الدراهم فى وعاء ويمر فى طريق الرباط، فإذا رأى جماعة من صبيان المكاتب يبدد لهم ذلك فيتخاطفون على ذلك وهو ينظر إليهم ويتبسم، وحال أبى العباس السبتى فى مثل ذلك شهير، وترجمته فى نفح الطيب وغيره وقد أفردت بالتآليف.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الرهونى، وهو من أحذق تلامذته وأعلمهم، وهو أحد من قرض حاشيته على الزرقانى والشيخ بنانى، كما قرضها بلديه ابن التهامى ابن عمرو، وكما أخذ أيضا عن العلامة الغربى الرباطى، والقاضى ابن العروسى، وعن السيد أحمد الحكمى قاضى العدوتين وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة الخطيب السيد المكى بوجندار، والعلامة السيد الطاهر بريطل وغيرهما.

شعـره: من ذلك قوله من موشح سـمعته مـن حفيده العـلامة النقاد بقـية السلف فى الخلف أبى حـامد المكى الـبطاورى قاضى الرباط سـابقا وحـامل لواء التحقيق به أطال الله بقاءه ومن خطه نقلت:

مـا أحسـن اللين فى القـدود ... والسـحـر فى العـين والفـتـور
وأعـذب الوصـل عن صـدود ... ورشـفـة الخـمـر فى الثـغـور
فى ذاك يحلو الغـرام جـهـرا ... وعـاذل الصـب مـا عـدل
لو ذقت كـاس الرحيق عـذرا ... مـشـمـولة والدجى نـسـدل
أبديت لـلشـاربيـن عـذرا ... ولمت مـن مـال للـعـذل
فـارتح لراح براح غـيـد ... حـور قـصـرن على القـصـور
يبـسـمن عن لؤلؤ نـضـيـد ... غنين عن جـوهر الـنحـور
إن مـسن يومـا هززن رمحـا ... فـوقـه شـمس عـلى كـثـيب
يسـدلن من شعـرهن جنحـا ... يكاد أن يـسـتـر الكـثـيب
وإن رنـا لحظـهن لمحـا ... أتين بالـسـحـر العـجـيب
يا طالـب العـز والـسـعـود ... مـبـتـغـيـا ربة الخـدود
اجمع عـلى الشرب نقـر عود ... واسـدل على سـرك الستـور

وقوله:

سـلا بسلا قـلبى فشـد ارتبـاطه ... ولولا سـلا مـا جـاء قلبى رباطه
على التـزامـات الـرباط بثـغـره ... ولو شق عن قلب المشـوق نيـاطه

وقوله:

محياك شمس الضحى المشرقة ... به حدقات الورى محدقه

وأسهم لحظك ترمى الحشا ... تخالها شهب السما المحرقه

وقوله:

يا من إذا الصبح أقبل ... حكى ضياء جبينه

ومن إذا الليل أسبل ... حكى سواد جفونه

وقوله:

ليت شعرى بعد بعد ونوى ... هل ترى يجمعنا ذاك الوطن

فنقضى من سليمى مأربا ... ونرى من وسط قلبى قد سكن

وقوله:

حرك الوجد فى هواكم سكونى ... وعليكم عواذلى عنفونى

خلفونى فى الحى ميتا طريحا ... وعلى النوم بعدهم حلفونى

إن أنا مت فى هواهم شهيدا ... بدموعى بحقكم غسلونى

ولروض العشاق سيروا بنعشى ... فهم جيرتى بهم أنعشونى

ثم نادوا الصلاة هذا محب ... مات ما بين لوعة وشجون

واشرحوا للورى قضية حال ... علهم عند ذكرها يرحمونى

وقوله:

لله در إمام مفرد علم ... أتى بنظم بديع مظهر الحكم

يهدى ويرشد من ضلت مذاهبه ... كأنه البدر فى داج من الظلم

إن شئت تحصيل ما ترجموه مغتنما بمجلس المرتضى اللحلاح فالتزم
شيخ الأساتيذ والقراء فاعن بما يسدى إليك من العلوم واغتنم
يا حاملى الذكر أهل الله عبدكم بباب فضلكم مستمطر الكرم
قد أثقلت ظهره الزلات وارتكمت فهل شفاء يداويه من الألم

وقوله:

ولما بدا الورد الجنى كأنه خدود عذارى قد حمتها السوالف
أتى باسما ثغر الأقاح مقاوما فقالت خدود الورد هل لك سالف
فلم ير إلا أن تناثر عقده يقبل ساق الورد والعقد تالف

وقوله:

كأنما الزهر إذ بدت محاسنه لعين ناظره فى ناضر القضب
أنامل صاغها الرحمن من درر تضم كفاعلى كاس من الذهب

وقوله فى الأحماض والفكاهة:

أتانى أتانى بحمل أتاى شربته صيفى وزدت شتاى
قوالب سكره عظمت إذا ما رأيتها قلت: الاى

وقوله وقد مر بعطار يخلط أنواعا من الطيب:

مررت بعطار يدق قرنفلا ومسكا وكافورا فقلت له:
(وأشار بأنفه مستنشقا)

فقال لى العطار رد قرنفلى ومسكى وكافورى فقلت له:
(وأشار بأنفه مستنثرا)

وفاته: توفى عام واحد وسبعين بتقديم السين ومائتين وألف برباط الفتح رحمه الله رحمة واسعة، وإلى وفاته أشار السيد محمد بن على المذكور فى نظمه المتقدم بقوله:

قضى بواحد وسبعين وألف   مع مائتين والى الله انصرف

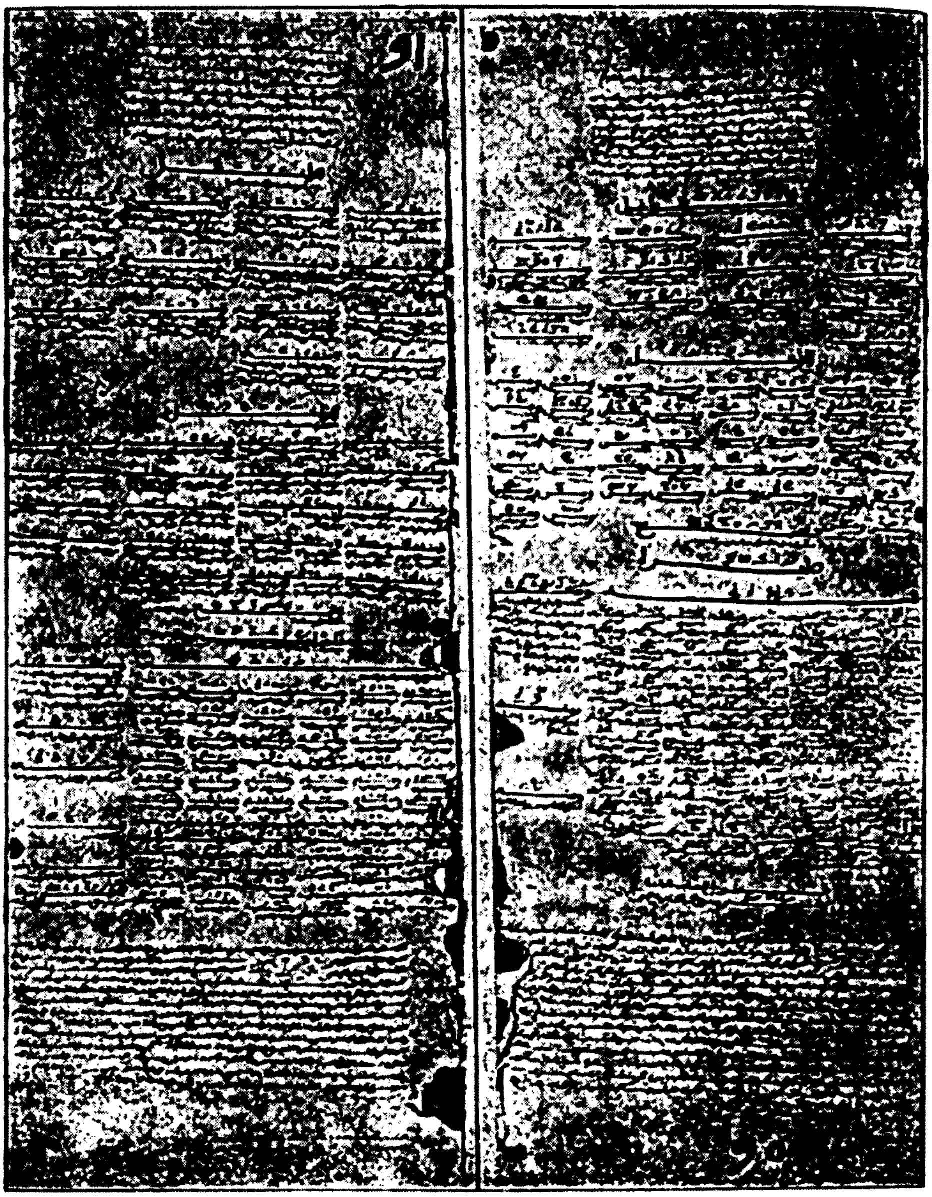
١٥٤ - الطيب أبو محمد بن الفقيه العدل السيد أحمد غازى المكناسى.

حاله: فقيه عدل رضى من جلة عدول الحضرة المكناسية المبرزين المتصدرين لتلقى الشهادة بسماط عدولها.

وقفت على رسم بشهادته بتاريخ أوائل رجب الفرد عام سبعة بموحدة وخمسين ومائة وألف: وجيه نزيه مبجل، علامة مدرس نفاع، كانت له رياسة وزارة الأوقاف المغربية، فى سائر الإيالة العلوية، والنظر التام، والتصرف العام، فى جميع الأحباس على عهد السلطان مولانا عبد الله بن الجد الأعظم، السلطان الأفخم، مولانا إسماعيل قدس الله ثرى الجميع بمنه.

وقفت على عقد محاسبة أوقعها مع ناظر أوقاف الجامع الأعظم بالحضرة الهاشمية الإمامية المكناسية على ما تحصل بيده من أوقاف الجامع المذكور مشاهرة ومسانهة ومدركا فى مدة من خمسة عشر شهراً، أولها المحرم فاتح عام ثمانية وأربعين ومائة وألف وآخرها ربيع الأول من عام تسعة وأربعين محلى فيه بما لفظه:

من له النظر التام، والتصرف العام، فى جميع الأحباس بالإيالة السعيدة بالله تعالى الفقيه الأرضى العدل المرتضى، السيد محمد الطيب بن المرحوم بمنة الله تعالى الفقيه العدل السيد أحمد غازى، فانظر ما كان لسلفنا الصلح من الاهتمام والاعتناء بشأن الدين فى القديم والحديث.



محاسبة السيد الطيب بن أحمد غازى الناظر العام لأحباس المغرب مع ناظر مكناس السيد الطيب بن عبد الواحد المسطاسى عما بيده من أحباس مسجدها الأعظم من فاتح ١١٤٨ إلى ١١٤٩ وبعده الشهادة على اطلاع القاضى بذلك.

محاسبة السيد على بن سعيد العميرى للناظر المسطاسى عام ١١٥٠

واعلم أن هذا الوظيف، أعنى وزارة عمـوم الأوقاف ليس مما أحـدث، بل كان مؤسسا منذ أعصر خَوَالٍ وغـايته أن متوليها لم يكن يطلق عليه لفظ وزير وإن كانت وظـيفة الوزارة قـديمة من قـبل الطوفان، وكـانت للأنبيـاء عليهـم الصلاة والسلام فلم يكن أحد يلقب بالوزير ولا يخاطب بوصف الوزارة فى ذلك العهد.

قال ابن فـضل الله فى المسالك: لم تكن للوزارة رُتْبـة تعرف مدة بنى أمـية وصدرًا من دولة السفاح، بل كان كل من أعان الخلفاء على أمر يقال له فلان وزير فلان بمعنى أنه مـؤازر له، لا أنه متولّى رتبة خـاصة يجرى لها قـوانين وتنتظم بها دواوين. هـ[1].

فائدة: أول من لقب بالوزير فى الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير الخليفة السفاح أول خلفاء بنى العباس، وأول وزير منع أصحاب الدواوين من الوصول إلى الخليفة أبو أحمد العبـاس بن الحسن بن أحمد بن أيوب وزير المعتضد كما أفاده السيوطى فى حسن المحاضرة[2].

هذا وسيـمر بك فى حـرف العين بحـول الله أن متولى رياسـة هذه الخطة الحبسـية كانت تسجل عليه العـقود، وبالاستقراء يعلم أنـه إنما كان يرشح لها أهل العلم والدين، وقال فى الدر المنتخب: كتب بعضهم هنا ما نصه: ولاية أهل النظر فى الحـبس، كانت من أشـرف ما تطمح إليـه الأنفس، ولا يرضى لها إلا شـديد الشكيمة فى الدين، مؤيدا بدلائل العلم فى مدافعة المعتدين، لا يبالى بالخلق، فى مضايق الحق، يعدل فى القسمة، ولا يمنع أحـدًا سهمه، يخص بالصدقة من كان مصرفـها، ويمنع من كان فى البلاد مـترفها، ويقوم للـرباع بالحزم فى الإصلاح،

(١) نقله السيوطى فى حسن المحاضرة ٢/ ١٧٤.

(٢) حسن المحاضرة ٢/ ١٧٤، ١٧٧.

بقدر مقتضيات الأحوال فى مراعاة الصلاح، حتى ربما تولاها القضاة بأنفسهم، وإلا أطلقوها فى يد من رأوه من أهل العلم والعمل من أنفسهم فكم من شيخ عظيم، قام لها فى القديم، كأبى شامة بن إبراهيم المَشْنْزَائى[1]، وأبى عبد الله القصار القيسى.

وكانوا ينظرون فى الأوقات المعينة. فلا يصرفونها إلا لمن كانت له مبينة، من إمام أو مؤذن أو غيرهما ولا يصرفون المعين فى غيره، لأن لفظ المحبس كلفظ الشارع كما نص غير واحد من الأئمة على ذكره، انظر بقية كلامه.

رجع: وقد وقفت على نظم المترجم فى سلك زمام العلماء المدرسين بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية أصحاب المرتب العلمى.

وفاته: توفى فى حدود الخمسين ومائة وألف.

١٥٥ - الطيب البيجرى.

لم أقف له على ترجمة غير أنه فى تقييد زمام العلماء المدرسين أصحاب المرتب العلمى.

١٥٦ - الطيب الزكارى.

لم أقف له على ترجمة أيضًا، غير أنه كالذى قبله ممن عاصر المترجم قبلهما، إذ أنهما ممن شملهما زمام العلماء أهل المرتب الذين شملتهم المحاسبة المشار إليها وغالب الظن أن وفاة الثلاثة فى عام واحد، لأن محاسبة فاتح الخميس أوقعها أبو الحسن بن سعيد العميرى كما سيمر بك، ولم يذكر فيها واحد منهما.

١٥٧ - الطيب الفيلالى.

هو مثل اللذين قبله من أعيان علماء الحضرة المكناسية المدرسين بمسجدها الأعظم حسبما بمحاسبات ناظر الوقت على عهدهم المؤرخة بتاريخ تسعة وأربعين

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «المشترائى» وصوابه من لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٨٩٧.

وفاتح الخمسين، لغاية أوائل المحرم فاتح عام واحد وخمسين، وكان الناظر إذ ذاك أبا القاسم بن عبد الواحد المسطاسى رحم الله الجميع بفضله.

١٥٨ - الطيب ابن الفقيه الكاتب السيد عبد الرحمن كدران - بالقاف المعقودة - المكناسى.

تعرض لذكره صاحب جمهرة التيجان فى جملة الآخذين عن الأمير الأعدل مولانا سليمان إذ قال:

والطيب الأخلاق نجل كدران لنبله سعى إليه الحرمان

ولم أقف له على ترجمة غير ما رثاه به حامل لواء الأدب فى زمانه بالثغر الرباطى العلامة السيد محمد بن التهامى بن عمرو المتوفى عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف ولفظه:

عز الكتابة فى لسان قلامها[1] وابك المصاب به بوبل صيب

واعلم بأن الدهر لم يسلب اسى مكناسة الزيتون مثل الطيب

مشيخته: أخذ عن السلطان مولانا سليمان وغيره.

١٥٩ - الطيب الحناش.

ذكره أبو القاسم الزيانى فى خاتمة البستان من جملة أهل الطبقة الرابعة من كتاب الدولة المحمدية.

١٦٠ - الطيب بن عبد السلام الواسترى.

حاله: فقيه أديب، عدل رضى مبرز كاتب، ناظم ناثر نزيه، ذو حظ بارع نسخ بخطه عدة كتب، وكانت له وجاهة عند السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام، وكان ينظم الأزجال الملحونة، وله يد طولى فى جيد النظم.

(١) فى هامش المطبوع: «قلامها: جمع قلم». .

أصله من تادلا، كان سكنى سلفه بجبل الدقيق المعروف اليوم بقفص، وبه مدفنهم، واستوطن بعضهم مكناسة، من عقب ذلك البعض المترجم.

شعره: من ذلك ما هو مرقوم بأعلى باب ضريح الولى الشهير السيد عبد الله بن حمد آتى الترجمة:

روضة قد أصبحت منها لنا جنة الفردوس فى باب البلد
إن تزرها راغبا فى حاجة قل أعبد الله جد يابن حمد

وقوله مادحا ومهنئا سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بما حصل له من الظفر والفتح لزاوية المهدى الشرادى ومؤرخًا لذلك:

فتوح لا يماثلها فتوح بها للغرب توبته النصوح
تواترت البشائر فاستمعها فها سند الحديث بها صحيح
رواة حديثها سعد وبشر ومليها ومقرئها فصيح
تخبر بالتهانى سامعيها فيطرب عندها جسد وروح
وحيا اليمن من كل النواحى به يغدو لنا وبه يروح
وكاسات المسرة مترعات وطاب بها اغتباق والصبوح
وللنفس انبساط وانشراح به لذ التهتك والشطوح
رأينا الحق أكرمنا وأعطى عطايا لا توضحها شروح
حبا السلطان تأييدا ونصرا على من ظن تحميه الصروح
وجيش للشقاق عظيم جند يضيق بها لكثرتها الفسيح
وحصن بالمدافع والعوالى حصونا فى دواخلها [شلوح]

(زرارة) والذى يقفو هواهم	فأمسوا ما لهم إلا الضريح
أتاهم سيد مالك همام	بجند لا يقيل ولا يريح
بأبطال كماة كل شهم	له سيف ومركبه سبوح
فشرد جمعهم فى كل وجه	ومكن من رقابهم الصفيح
فهاهم بعد رفعتهم بخفض	أسير أو قتيل أو جريح
فأين هداية (المهدى) فيهم	وزعمه أنه هو المسيح
وأنه فى الكهانة أعلى شيخ	وعنه يروى شق أو سطيح
ألم يخبره شيطان وسحر	بأنه فى مصارعه الذبيح
وأن إمامنا المنصور يحوى	ذخائره وحصنه يستبيح
ويتركه يبابا بعد أنس	فبان بأنه الغر الوقيح
فمن يهدى الإله فلا مضل	ومن يضلل فلا هاد يزيح
فلو جنح البغاة إلى إمام	له للفضل والعليا جنوح
لألفوا سيدا ملكا حليما	أما يدرونه وهو الصفوح
تعطف فى الشبيبة بالمعالى	وليس لغير علياء يشيح
فكيف وقد أتاه الله ملكا	عظيما عنده المجد الصريح
سرى من سراة بنى على	لهم والخالق النسب الصحيح
سرت أسرار خير الخلق فيهم	مشارق نوره منهم تلوح
أفديهم وأفديهم بروحى	وما لى عن ودادهم نزوح
أدين بحبهم رب البرايا	وفيهم دائما يحلو المديح

جعلت مدائحى فيمن تسامى وبدره فى السعود له وضوح

أمير المؤمنين وخير من قد زال به عن الدين الكلوح

إليك (أعابد الرحمن) أهدى مديحا عرف مدحته يفوح

تشرف نظمه لما تحلى بوصف كمالكم فهو الفصيح

بقيت الدهر ترفل فى المعالى تغاديك المسرة والفتوح

بعام (مرشد) أعطيت فتحا وما من بعدها إلا فتوح

١٢٤٤

وقد أثبت له هذه القصيدة على علاتها لفائدتها التاريخية.

وفاته: توفى أواسط القرن المنصرم بهذه الحضرة المكناسية.

١٦١ - الطيب أبو الإجلال ابن العدل الثقة أبى زيد عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن العباس بن أحمد بن أبى محمد عبد القادر آل الولى الأشهر سيدى عبد المغيث زغبوش القرشى المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه جليل، نبيه نبيل، ماجد أثيل، فاضل أصيل، عدل رَضِيٌّ، تقى نَقِيٌّ، ثقة ثبت من بيت مجد وحسب وديانة، وصيانة ونزاهة، عنصر المجد اللباب، ومن له بسلفه علو الشأن، كان رحمه الله من أماثل أهل زمانه ديانة وجلالة ونبلا وشرف نفس وطهارة عرض، مقتفيا سنن سلفه الأماجد السراة.

وفاته: توفى عام أحد عشر ومائتين وألف حسبما بزمام تركته.

---

١٦١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٥٨.

١٦٢ - الطيب بن العلامة السيـد محمد - فتحا - بن العـلامة السيد الطيب بصرى الولهاصى.

حاله: كان من أعيـان عدول هذه الحضرة وفقهائهـا، تولى نيابة القضاء عن السيد العـباس بن كيران، وعن السيـد المهدى بن سودة من بعده، وخطبة مـسجد القصبة المولوية الأعظم مدة نيابته، ولـم يزل نائبا إلى أن توفى.

وكان ذا نبـاهة وذكاء، مثنى علـيه لدى أهل زمانه، حـدثنى حفيـده العدل السيد محمد، أنه سمع من الثقات أن مولانا الجد السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام لما عين لقضاء مكناس العلامة المشاور السـيد المهدى بن سودة بعد وفاة السيد العبـاس بن كيـران، قال مخـاطبا لأهل مكناس: إنى انتـخبت لكم عـالم المشرق والمغرب بقصد أن تنتفعوا بعلومه، وأما القضاء ففى الطيب بصرى كفاية، وحدثنى بعض العدول أن المترجم كان يروم شراء دار جـدته للأم السيدة عائشة قدارة، ولم يأل جهداً فى اتخاذ الأسباب التى توصله لتـحصيل منيته وزوج المرأة المذكورة يأبى ذلك كل الإباية، حتى إنه قال لزوجته المذكورة: إن بعته الدار فأنت طالق ثلاثا.

والمترجم مع هذا كله يحتال حتى حصلت المرأة فى شبكته فابتاع منها الدار، وأحضـر لها العـدول وأوقع عليها الإشـهاد، ثم لما فطنت المرأة وتـذكرت مما علق زوجها بتاتهـا عليه، ذهبت للولى الصالح مولانا عبد القـادر العلمى آتى الترجمة وقصت عليه القـصص، فوجه من حينه على المشترى وعرفـه بما تورطت فيه المرأة وطلب منه إقالتها لله فامتنع كل الامـتناع، وقال له: يا سيدى لو طلبت منى عينى لقلعتها وقـدمتها إليك، وأما الدار فلا، فقال له السـيد: اذهب لله الأمر، فذهب وقال للمرأة قومى اجـعلى وكيلا يرفعه لمجلس الشرع فـإن دارك لابد من رجوعها إليك، وأنه لا محالة يفـقد عينه لأنه كاذب فى قولـه، فقالت المرأة: ليس لى من وكيل غـير أخى فلان الطراز حرفـة وهو لا معرفـة له بالتداعى، فقال لهـا قومى

فانصبيــه فإنه ينصر عليه وعلى يده ترد لك دارك، فامتــثلت الأمر، ووكلت أخاها من حينها.

وكان من عجيب الاتفاق أنه لما رفع المشــترى لمجلس الشرع وجد عدلين من أعيان العدول المــبرزين بمجلس القاضى بقصد الأداء على شهــادة لهما، فكانا أول من تقدم للأداء ليتفرغ القاضى لفصل الخصوم، فلما جلسا بين يديه أخبراه أن تلك المرأة لا تحسن معرفة بيع خبزة فضلا عن الدار، فطلب منهما الإشهاد بذلك فشهدا فى مجلسه وأديا شهادتهما قبل أداء العقد الذى أتيا لأجله، فحكم من حينه بفسخ البيع، وقام المشترى بخفــى حنين، وبأثر ذلك مرضت عينا المترجم مدة، ثم برئت إحداهمــا، وتمادى بل ازداد مرض الأخــرى، فأتى بمتطبب فكانت باكــورة نتيــجة علاجه إخراج عيــنه من محلها حتى وقعت فى كف صاحبهــا، نسأل الله السلامة والعافــية، من كان يؤمن بالله واليــوم الآخر فليقل خــيراً أو ليصــمت، إن البلاء موكل بالمنطق.

مشيخته: أخذ عن والده العلامة الســيد محمد حامل لواء التدريس فى وقته وعن غيره.

وفاته: توفى عــام سبعة وســبعين بالحضــرة المكناسية ودفن بضريــح سيدى الحارثى آل الشيخ الكامل من حومة براكة.

١٦٣ - الطيب بن اليمانى بن أحمد بوعشرين الأنصارى الخزرجى.

على ما صرح به غير واحد، وجزم به ســيـدى محمد بن عبد القادر الفاسى فى تقييده فى مشاهر أهل فاس فى القديم.

حاله: فقيه أستاذ علامة مــفوه، مشارك نقاد، سياسى محنك، ذو خط بارع وإنشــاء بديع. قال اللجــائى فى دوحة المجــد والتمكين: نشــأ حرس اللــه علاه،

١٦٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٤٠.

وحفظ عليه ما أولاه، بمكناسة الـزيتون صدر صدورها، وواسطة شذورها، ووالده رحمه الله قطب مدارها، ومـقام حجها واعتمارها فقـرأ فى صباه القرآن، وتغذى بحـفظه بأعذب لبـان، ثم قـرأ على والده جملة مـن المتون، فى غـير واحـد من الفنون، ثم أخذ عن جـماعة من الأعيـان من أكابر مشايخ هذا الشـان، واعتكف على طلب العلم، فنبغ فيه بالحفظ والفهم، واستمر على نعته المذكور إلى أن صار يتيمة عقد أولى الصدور. هـ.

وبالجملة فقد تربى فى حجر العفاف والصيانة والسعادة، وتغذى بلبان النباهة والسيـادة بين أولى المجادة، انتقـاه مولانا الجد الـسلطان مولاى عبـد الرحمن بن هشام لتأديب أولاده الكرام، الجلة الفخام، فكان لهم خير مرشد وإمام.

ولما قدم نجله السلطان من بعده سـيدى محمد من سجلماسة مـراهقا أضافه إلى تربيته ونظره، فكان له خدنا موافقا، وخـصه بكفالته لما تيقنه من كفاءته، فلم يأل جهده فى تأديبه وتربيته وتهذيبه حـتى جمع عليه القرآن العظيم حفظا ورسما، وأدرك غاية الكمال مسمى واسما.

وقرأ مقـدمات العلوم وأمهاتها وأحـاط بصورة النجابة من جميع جـهاتها، فلازمـه بعد ذلك حـتى تجلت شمـس الخلافة عن والـده فى مشرقـه، ولاح بدر السعود على مفرقه، فعند ذلك اسـتقل لديه بالحجابة، واختص بقصب السبق بين أولى النجابة وذلك عام خمسة وخمسين ومائتين وألف.

ولما عقد الخليـفة سيدى محـمد على جبينه للإمامـة العظمى فاتح سنة ست وسبعـين بتقدم السين على الموحدة ومـائتين وألف استوزر شيـخه المترجم، فكان قطب دولته ومرجع آرائه وإصداراته إلى محاسن جليلة، وأخلاق كاملة جميلة.

وقد ترجمه فى الجـيش وأطال. فيما له من أوصاف الكمـال، والامتياز بين سراة الرجال، وما كان من الجاه والوجاهة، والمكانة القعساء فى الدهاء والنباهة.

وقد وقفت على تقييد بخط يد المترجم موقع عليه بخط السلطان سيدى محمد ولفظه:

«الحمد لله خدمت أعتاب سيدنا أول وقت الشباب وأفنيت عمرى فى الخدمة إلى أن صرت معدودا من الشياب، وقد ظهر على هذا العبد من فضل الله تعالى ثم من فضل المقام الأنفع، والجناب الأرفع، من الخير الدنيوى والأخروى ما هو أظهر من شمس الظهيرة حتى ملك بوجودكم ما لم يملكه أبوه ولا جده، وتزوج وتسرى وولد أولاداً فى أيامكم السعيدة فقرءوا ونجبوا، وبلغوا فى النباهة مبلغا استحقوا به الجلوس على منصة التدريس من فضل الله ولا فضل إلا فضل الله ثم فضلكم، وقد عرف جنابكم العزيز بمراعاة من خدم سنة أو شهرا، فكيف بمن خدم دهرا، فإن لى الآن فى الخدمة أربعا وأربعين سنة ما قصرت فيها فى الخدمة، بل قمت ولا زالت قائما بما أقدرنى الله عليه مما أرجو أن ينيلنى الله به أرفع الدرجات، والصفح عن الزلات، وأن يسدل سيدى على أولادى رداء التوقير والاحترام، فإنه لا عز لهم إلا بالله ثم بسيادتكم ومطلوبى أن يظهر عليهم أثر العناية بكتب ظهير يكون متضمنا لتوقيرهم رعيا لما سلف من خدمة والدهم ووالده ومن قبلهم من أسلافه الذين كانوا شيعة لأول سلاطين هذه الدولة العلوية، السلطان مولاى محمد، قدس الله روحه، فإنى رأيته أيده الله علامته بخط يده الشريفة الذى كتب لهم ونوه بهم، وما أظن سيدنا أيده الله إلا عقل عليها يكون الظهير الشريف، عزاً لأولادى من بعدى وينبه سيدنا فيه على إقرار من أسكنته منهم بمراكش على السكنى، خشية العين باجتماعهم بمكناسة، لأن فيهم من لا يعرف أصلا ولكونهم نشئوا بمراكش وما رأوا الغرب رأسا، وعلى من داوم على السكنى منهم بفاس، لأنى أهلت بعضهم للسكنى بفاس وأسكنته بها ليبقى متعاطيا للعلم تعلما بها وتعليما، وحاصله أردت ظهيراً يعم الساكنين من أولادى بمكناسة

وفاس ومراكش بوجود سيدنا أيده الله» هـ من خطه بلفظه وبعده التوقيع الشريف بقلم أزرق ونصه: «اكتب الظهير على نحو ما ذكرت ويطبع».

ووقفت على ظهير السلطان المقدس مولانا الحسن بإقرار أولاده على محل سكناهم حيثما كانوا ولفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«يعلم من كتابنا هذا الطالعة فى سماء الهداية أقماره، المتوالية بتوالى المدى أنواره، أننا بحول الله وقوته، وعناية توفيقه ومنته، أقررنا حملته المنحاشين لشريف أعتابنا، الصادقة محبتهم فى على جنابنا، وهم أولاد كاتب شريف أوامر مولانا المقدس بالله الطالب الطيب بن اليمانى بوعشرين رحمه الله حيثما كانوا، ساكنين مجتمعين أو متفرقين على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا الكرام، قدسهم الله من التوقير والاحترام، والرعى الجميل المستدام، بحيث لا يسامون بمكروه، ولا تنتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه، ولا يعطل ما أصدره سيدنا الوالد فى فردهم وجمعهم من البرور والاستيصاء بهم وإخراجهم من غمار العامة حتى لا يسامون بوظيف، ولا يكلفون أدنى تكليف، وزكواتهم وأعشارهم يدفعونها للضعفاء من أقاربهم، فإن المقصود فيمن نكسبه عزنا إظهار الملاحظة ومزيد الاعتناء، ومن عكس فيهم قصدنا الحميد، فقد تعرض لعقوبة الله وعقوبتنا بالنكال الشديد، فنأمر عمالنا وولاة أمرنا أن يعلموا بحكم فحواه، ويجروهم على سواء سنن هداه، فلا سبيل لمن يخرق عليهم عادة، أو يحدث فى أمرهم نقصا أو زيادة، تقريرا تام الرسم، نافذ الحكم، المرضى العزم، يعلمه الواقف عليه ولا يحيد عن كريم مذهبه صدر به أمرنا المعتز بالله فى خامس عشر رجب عام عشرة وثلاثمائة وألف».

وإلى الحين الحالى لا زال عقب أولاده بمحال استقرار آبائهم.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن يشار إليه بالرسوخ فى العلم والإتقان.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان بن السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن ابن هشام، وحاجبه، ووزيره السيد موسى بن أحمد وغيرهما.

وفاته: توفى فجأة بمراكش الحمراء عشية يوم الخميس الرابع عشر من شعبان عام ستة وثمانين ومائتين وألف، ودفن من غده بعد صلاة الجمعة والصلاة عليه فى مسجد المواسين بضريح مولاى عبد الله الغزوانى المعروف بمولى القصور.

١٦٤ - الطيب بن إدريس بن الفضيل بن محمد دعى حم بن هاشم بن حم آل سيدى على منون.

حاله: فقيه أستاذ مقرئ له معرفة كافية، ومهارة تامة وافية، بالتوقيت، ومشاركة فى غيره من الفنون، ومعرفة زائدة بعلم الأوفاق، تولى نظارة أحباس الولى الشهير سيدى عمرو بوعوادة وسيدى الحسن بن مبارك، وسيدى بربار واستكتبه أحد القواد وهو محمد الشاذلى نحو العامين.

مشيخته: أخذ القراءات السبع عن السيد اليزيد شيخ الجماعة فى وقته، والتوقيت والتعديل ومتعلقاتهما عن السيد الجيلانى الرحالى، والجيلانى بن حم، وعن ابن عمه مولاى محمد - فتحا - بن محمد الموقت.

ولادته: ولد عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف.

وفاته: توفى فى قعدة الحرام عام تسعة وتسعين ومائتين وألف ودفن بروضة سيدى عمرو بوعوادة.

١٦٥ - قاضيها: الطالب بن العلامة القاضى السيد عبد الواحد بن العلامة المحدث الشهير محمد - فتحا - البوعنانى الفاسى ثم المكناسى.

حاله: شريف إدريسى من ذرية داود بن إدريس.

فقـيه جليل، علامـة نبيل، مدرس نفاع، لـه فى كل فن طويل باع، حافظ لافظ خطيب مصقع بليغ، تولى خطة الـقضاء بمكناسة الزيتون، والخطبة بجـامعها الأعظم المولوى.

وقفت على عدة عقـود بخطابه والتسجيل عليه من ذلك عـقد بتاريخ حادى عشـر جمادى الأولى عام سـتة وثلاثين ومائة وألف مـحلى فيه بما لفظه: الفقـيه الأجل، العلامة الأفـضل، الشريف الأحفل، المدرس البركة الحافظ الحـجة قاضى الجماعة بالحضرة السلطانية وخطيب جامعها الأعظم وإمامه.

وتولى قبل ذلك قضـاء الثغر الرباطى وذلك بعد العشـرين من القرن الثانى عشـر على ما قاله مؤرخ الرباط صـديقنا الأديب أبو عبد الله بوجندار، وقـد كان عزله السلطان مولاى على بن إسماعيل عن قـضاء مكناسة وذلك يوم الجمعة مهل جمادى الثانية إثر فراغه من الخطبـة، وولى مكانه أبا القاسم العميرى، وذلك عام سبعة بتقديم السين وأربعين ومائة وألف، وفى صفر عام تسعة وأربعين ولاه مولاه عبد الله قضاء مكناسة، وعزل العميرى، وفى أواخر جمادى الثانية من العام عزله سيدى محمد ولد عريبة، وولى السيد أبا القاسم العميرى كما فى الدر المنتخب.

هذا وبيت صاحب الترجـمة من البيوتات العريقة المجـد والشرف، والفضل والدين سلفـا عن خلف، تولوا المناصب العالـية، وتصدروا فـى الخطب الشرعـية الغـالية، وتداولوا القـضاء، وأحـسنوا الاقتـضاء، وتصدروا لـلإفتاء والتـدريس، واستبعدوا بحسن سيرتهم كل مرءوس ورئيس.

استوطنوا أولا مدينة تلمـسان ونواحيها، وانتقل البعض مـنهم لقبيلة دكالة، ومنهـا لمدينة فاس ونالـوا فى صدر هذه الدولة العلـوية رياسة ووجـاهة، نوه بهم السلطان مولانا الرشيـد الحسنى أول من بايعته فاس وغيرها مـن قبائل المغرب من

هذه الدولة العلوية، وبقوا على ذلك فى دولة أخيه السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل وولاهم القضاء فى مدن المغرب كافة.

وفاته: توفى بثغر تطوان أواسط المائة الثانية بعد الألف، وكانت بينهم وبين أبى القاسم العميرى منافسة وشحناء بسطها أبو القاسم فى فهرسته.

١٦٦ - الطاهر بن عثمان المكناسى.

ناظر أحباسها الكبرى.

حاله: فقيه ذو جاه ووجاهة، فاضل نبيه، تولى نظارة الأحباس الكبرى بالحضرة المكناسية على عهد السلطان مولاى عبد الرحمن بن هشام، وكان لديه شفوف ومكانة، وكان بقيد الحياة عام ستة وسبعين ومائتين وألف.

١٦٧ - الطاهر بن محمد بن المكى بن حساين المكناسى.

حاله: فقيه أديب مطالع مطلع، له مشاركة لا بأس بها، ذو فكاهة وظرف وسرعة جواب، محاضر لطيف، رقيق الطبع، بارع الخط، له إشراف تام على أخبار الماضين، مستحضراً لأمثال العرب وحكمها ووقائعها وظرف أخبارها، واعية راوية لأشعارها، فاق أقرانه فى ذلك وتبرز عليهم، وكان دينا عفيفا مبتلى بوجع الصدر يمنعه فى غالب أحيانه من تتابع الكلام، وكان ناصرى الطريقة، وقد أخنى به الزمان حتى صار يقبض المكس بفندق الجلد وغيره بعد ما كان كاتبا عند بعض أمنائه بفندق رحبة الزرع القديمة ومن أجره يتعيش، وكان يأنف من تعاطى خطة الشهادة، ويقول ارتزاقى من هذا المحل أحب إلى من تعاطى الشهادة، وفى آخر عمره تجرد عن سائر الأسباب وحببت إليه العزلة، ولزم الخلوة وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد الهادى بادوا، وشيخ الجماعة السيد مبارك ابن عبد الله الفيضى وغيرهما من أعيان شيوخ عصره.

وفاته: توفى فى العشرة الأولى من هذا القرن بالحضرة المكناسية رحمه الله.

١٦٨ - الطاهر بن الحاج الهادى بن العناية بن محمد بن أحمد بن الحاج أبو العناية بن عبدو بفتح العين وسكون الباء بعدها دال مضمومة مشبعة ابن الولى الأشهر سيدى عبد الله الجزار دفين مكناسة الزيتون.

قال أبو العباس الناصرى: وأولاد بوحدو أصلهم من سلا، ثم انتقلوا لفاس ومكناسة.

حاله: علامة لدقائق العلوم، إنسان عين، دراكة يسقى الأرواح المتعطشة من معين أروق عين، أودعته التحقيقات ذخائرها، وأبرزت له الغوامض ضمائرها، وملكته البراعة رسنها، وأولته اليراعة أحسنها، وخاطبته البلاغة فأجابها، وخطبته الفصاحة فأدخلته حجابها.

ورث الأدب بالتعصيب والفرض، وأخذ بحجز المعقول فى طول الأرض والعرض، مجالس دروسه بإبراز المعقول محسوسا حافلة، إلا أن شموس بدائع النكت فيها بازغة غير آفلة، فكم بفرائد الفوائد قرط الآذان، وبحسن الإلقاء والتعبير فتق رتق الأذهان، علوم العرب لولاه درست رسومها، وأفلت من أفق مكناسة نجومها، له اقتدار زائد، على التحصيل وقنص الشوارد، تبرز بذلك على الأقران، فلم يسع معاصريه إلا الإقرار والإذعان.

وقد كان ذا طبع أرق من عليل النسيم، ولطف أحلى وأشهى من التسنيم، يصبو لكل وصف محمود، ويهوى الطرب ويحسن نقر العود.

تعاطى فى أول أمره خطة الإشهاد، ثم أخر عنها لغير ريبة توجب الإبعاد، وإنما السبب الوحيد حسد بعض الأوغاد، الذين بجهلهم سعوا فى الأرض الفساد، وأعانه على ذلك قوم آخرون، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

١٦٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٧٧٨.

وذلك أن بعض أهل الاعتداء، الذين سلبهم الله نور الاهتداء، من تجار السوء، الذين ما منهم إلا من بالخزى يبوء، وَشَى ببعض العدول للسلطان أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الرحمن، وأظهر من الضجر، ما هو شأن من ظلم وفجر، حتى قال: إننا أصبحنا على النفس والمال غير آمنين، فأذن لنا بالرحيل قبل أن نغدو من الهالكين، فصدق السلطان ما اختلقوه من الافتراء، وأمرهم بأن يختاروا لأنفسهم من يرضون من الشهداء.

فكان ممن لم يقع عليهم الاختيار، صاحب الترجمة كغيره من الأخيار، فانتقل لمراكش ومكث بها نحو عشرة أعوام، ملحوظا معظما بين فضلائها الجلة الأعلام، وابتهجت به تلك البلاد، ونفق فيها سوق العلم والأدب بعد الكساد.

ثم بعد أن قطع الله دابر أولئك المبطلين، وكفى الله شرهم المومنين، آب لبلده ورجع إلى خطة العدالة، ثم رغب عنها وصار يراها أعدى له، وكان كثيرا ما يقول: كل الناس عدول إلا العدول.

وهو من بؤس المعيشة فى شدة، ليس له على نوائب الدهر من عدة، راض من العيش واللباس بما خشن، معرض عن زهرة الدنيا وكل ما لبنيها فيها حسن، مقبل على الله فى الخلوات والجلوات، يختم فى كل يوم ختمة من دلائل الخيرات، طريقته عيساوية جزولية، سالك فيها ما وافق الحنيفية، يبغض بالطبع ما أحدثه من البدع رعاع الأتباع، وشوهوا به وجهها فى سائر البقاع.

مشيخته: منهم السيد الحاج المهدى ابن سودة، والسيد العباس ابن كيران، وكان قارئ مجلسه، وأبو حامد سيد العربى بن السائح الشرقى آتى الترجمة، وشيخ الجماعة فى وقته السيد مبارك بن عبد الله الفيضى، والعلامة المتبحر فى علم المعقول السيد العربى بصرى المدعو قطيطة، وغيرهم من نقاد الأعلام.

الآخذون عنه: منهم السيد الهاشمي المدعو بوعبولة المراكشي، والفقيه ابن داني المدعو مخوخ، ووالدنا المقدس، وعمنا مولاى عبد القادر، وشيخنا سيدى محمد العرايشي، وسيدى محمد بن إدريس الشبيهى، وسيدى عبد القادر العرايشي، وابن عمنا مولاى الطيب بن عبد الله الإسماعيلى، والسيد الغالى الستيتيسى وجماعة.

شعره: من ذلك قوله مَادِحًا آل البيت الأطهار من قصيدة:

في شكو حب للحبيب حبيبا ... من بينها بشرى الوصال قريبا
ياليت موعد وصله وافى به ... مستنجزا بسلامة مصحوبا
تختال في أزهار أخلاق زرت ... بأزاهر فيه تضوع طيبا
ليت انتظام الشمل حال لازم ... لو لم يكن حال الرضا المطلوبا
كل الذى يأتى قريب فالهنا ... بالوعد فهو الصدق لا تكذيبا
ما وعد عرقوب له مثلا ولا ... مالا فلا مترقب عرقوبا
فالرأس صدق وعده والوعد من ... أخبار عرقوب حوى التكذيبا
وإذا بدا منه توان في تدا ... ن فالتماس العذر لا تأنيبا

إلى أن قال:

يا آل أحمد كل فضل لم يزل ... لجناب ساحة عزكم منسوبا
أولاكم الرحمن ما أعلاكم ... قدرا به أعلى مقام هيبا
ولقد ألتم جانبا للناس من ... شكر فأسكنتم بذاك قلوبا
وندى سحائب جودكم ما انفك من ... جذب القلوب لحصنها مرقوبا

لأصولهـا تنمى الفروع وتقـتضى فـيـهـا بألطف حكمـة ترتـيـبـا

لله مـا أزكى الفـروع مـبـاركـا فـيـهـا وأذكاها شـمـائل طيـبـا

المثـمـر الميـمــون أقـربهـا إلى قطف الجنى مـن الرطيب رطيـبـا

وقوله مـجيبـا صديقـه العلامة الأديب المجـيد أبا العبـاس أحمـد بن قاسم جسوس الرباطى:

وفتـنى ذات الخال تختـال من سـعد بحـالى فـوفت لـلغـريم بلا وعـد

مـهـفـهـفـة تحكى الـنسـيم لطافـة شـمـائلهـا أكـرم بمنشـئـهـا الفـرد

تبدت كـشمس فى الظهيـرة أشرقت وليست تكل الطرف فى القـرب والبعد

تميس بقـد الـبـان قـد دق خـصـره وقـد قـدمنى البـال أفـديه من قـد

تتـيـه دلالا فى الحلـى بجـلالهـا بأوج العـلا فـى ذروة العـز والمجـد

فأحـيا بوصل فـضلها الصب بعـدما أماتت بفـصل حيث حـيت وبالصد

زهت إذ زرت بالعفو فى القفر وازدهت فـخد به الأخـدود للدمع فى الخـد

فـشـمت به وردا ولما شـمـمـتـه تأرج عـــرف منه أذكى مـن الورد

وقـبلت منه جـوهر الـثـغـر باسـمـا فكان (ربـاطى) كى أرى جنـة الخلد

وأسـكرنـى منـه رحـــيق زلالـه فصرت حريق القلب من صـرفه الشهد

وغنت بـألحـان تريـح الشـجى من شـجـاه ورنت إذ رنت بغنا الرصـد

بأفـــصح لـفظ بالـغ من بلاغـــة إلى حــد إعـجــار تنزه عن حــد

كـــريمـة بـكر بنت فكر عـلى منى لآلئ المعـانى غـاص فى لجج تردى

سـلالة شهم فـاق إن هو فى الوغى يفوق سـهمـا صاب كـالأسد الورد

فـتى جـامع أفـراد زين ومـانع لأفـراد شـين حـد بالعكس والطرد
أديب أريـب فـائـق ذو نبـاهة حسـيب نسيب مـا له الوقت من ند
علـيم حـكيم رائـق مـتـفنن كريم السجايا الغـر من ضئضئى المجد
فـخذ يا أبا العـبـاس ما عن لامـرئ يحبك قـدما خالصا فى صـفا الورد
وسامحه فى التقـصير فى العفو عنه فى جواب وإن لم يسـتجد غاية القـصد
ودم مبـرزا فى مذهب اللفظ لؤلؤ الـ ـمـعـانى مبـرزا على كل مـا فـرد

هـ من خط المجاب بواسطة.

وقوله يمدح شيخه أبا حامد العربى بن السائح بعد استيطانه الرباط وهو من غرر قصائده:

إذا مـا دلـيل من ودود يقـام على وده[1] فكيـف عنه يقـام
وإن يف فى وفـائه شبـه شـبهـة نفـتـه وفـاها بالدليل انـحـسام
بلـى لجناب فـاق تاق وعـنده لفـرط هواه لـوعـة وغـرام
جناب أدام الـله عـز وجـوده وإن عـز منه بـالودود انتـظام
رجا من زمان كـالح للمغيب أن يشـاهد مـنه للشـهـود ابـتـسام
وقـد ألقـيت أتراحـه بلقـائه وأفـراحـه مـدامـهـا مـسـتـدام
ومن بحره الطامى اعترافا بفضله اغتـرافا لفـضل حسـبه منـه جام
لـه وهـو مـن تموج زهـوه بأمـواج عـذب الـواردات التطام
وفـاض على دان ونـاء مـواهبـا ومـا غـاض بل لـه بفـيض دوام

---

(١) فى هامش المطبوع: «فيه القبض وقل من أبياتها من سلم منه مع ما فيه».

يميـر ولا خمص ويروى ولا ظـما ... فـــمنه شــــراب طيب وطعـــام

فلو أن حـالى تسـتـــقـيم لكان لى ... ولا حـــائل عن ذاك مـنه قـــوام

وذلك فى الدنيـا مــرامى وبغـيـتى ... وحــقك مــــالى دون ذاك مـــرام

ومـا البـحـر هو الحـبر لـيس بنقله ... ولا نقـــده غـــمــــز ولمـز يلام

هو الفرد فى ذى الأمـة اليوم والذى ... لهـم قـــدوة وأمـــــة وإمـــــام

بلى هو طود فى الوقـار وفى الندى ... خضـم وفى العزم الصـميم حـسام

وروض أريض طاب من زهـر شـيم ... بأكـمـامـهـا شـــيم له واشـتـمـام

على دوحـهـا من فرط وجـد ترنمت ... بأســـرار حـسنه البـــديع حـــمـام

ثنيـت زمــام العـــزم نحـــو ثـنائه ... فـــصادفنى عـند الزحـام زحـــام

وما عـد وصاف وقد جـد بعض ما ... له بنـثـــار يقـــتـــفـــيــــه نـظام

وأســــهــمـــهم أجل ود جــــمـــاله ... فكلـهم من أجله مـــســـتــــهـــام

ولكننـى قـد زدت فـيـه صـبـابة ... ومـنـــى لـه فـــى كـل يـــوم أوام

وفى خـاطرى لا زال معناه خـاطرا ... أمـــا هـــو مـــغناه وفـــيــــه يرام

وإنى فنـيت فـــيــــه حـــتى كـأنه ... أنا وإنى مـــن لحـمـــة الالتـــحـــام

وأنى لنفـسى أن تخـاطب نفـسهـا ... ومنهـــا لغــيـــرها الخطاب كـــلام

فـلا عجب مـن عجـمـة مدة فـإن ... لك الـرق فى رق لذاك ارتـســـــام

فـــأقـــــسم بالـبـــر الأبر أنـنى ... لبـــــر به مــــا لـى عليك انـبـــرام

ولا استـحـسنت عينى بوجه وسـامة ... بوجـه سـواك واسـتـحـال الوسـام

وإن كـــلامـا منه لـى فى كـمـــاله ... وإعـــجـــابه لفـى الفــؤاد كـــلام

أدرت على كـــاس نفــشــتـك التى ... أفـــادت ســرورا لم تـفـده مـــدام

ومـا زالت عنى دافــعـا نافـعـا بما ... يســـــــر وانـى يافـع وغــــــلام

وطول بـه منت يـمـــــينك طـائل ... وكـــفـــران صنعـــه على حـــرام

فـمنك رياشى ثم مـعك هواى هب ... زيـارتك الـفــــــضلـى لدى لمـام

إلى أن قال:

وظن طـغـــــام إذ طغـى أننـى به ... بغــيت بديـلا واسـتـطال الطغـــام

ومــا هم بســوء الظن فــينا إذاية ... على ضــغن الأرعــاع وهى هوام

فـأضـرع فى إغضـائه كـرمـا وعن ... جـــرائر أهل الود تـغـضـى الكرام

ولى ذمـــة وهو الـوفى بذمــــة ... ومـا يـسـتـفــز ذا الذمـــام ذمـام

وليس يـرام المســـتــجـيــر به لما ... له جــر يومــا جــائرا أو يضــام

بأسـلافـــه الغـر ائتـســـاء له ومن ... وســيم ســمـــاتهم علـيـه اتســـام

بدوا فى الدجى نورا عـلى علم بهم ... لمن ضل فى المسـرى اهتـدا وائتمـام

وهم غـرر فى أوجـه الدهر إن ثوى ... كـــريم تسـنى من كـــريم قـــيــام

إذا نام جـــحـجـــاح أشم بهـمـــة ... سـمت قـام جحـجـاح أشم همـام

فـــروع أمـــيـــر المؤمنين وبـابهم ... أبى حـــفص القـــوى له والقـــوام

ونخـبـتـهـم فى وقـتـه العـربى من ... لعـــزتـه دانت رقـــاب جـــســـام

ومنى يضـــوع فى عـــلائه عـــاطرا ... على غـاية مـن الخـضـوع السـلام

وفـاحت تحـيـات بحـيـك بعـده ... وقـد لاح مـختـومـا بمسك ختـام

وعـذرا علـى بنت لفكر مـشـتت ... بصـــر همـــوم مـــا لـهن انعـــدام

اخل انعــجـــام مـن تمام مـــرادها ... لعى بهـا واخـتـل فـيـهـا انسـجـام

وقد أقبلت تبغى القبول وقبلت   ثرى قدميك قد عراها احتشام

وقوله معزيا قاضي مكناسة العلامة المسند أبا العباس ابن سودة المرى فى ابنه وراثيا له:

عظم الله أجر سيدنا القاضي   معوضا وجده بالسرور
فى ابنه البر قرة العين برد الـ   ـكبد الحرة الزكى الطهور
ذى الكرامات والفتوحات واليمن   والأمن والمرتقى والنور
شب فى عزة وعز كشبل   فى البراز شاكى السلاح هصور
واستلانت أطرافه اللدن خلقا   فاستبانت من لينها كالحرير
آه من لوعة عليه وإن لم   يجد آه على مصاب خطير
لا رعى الله من نعى راعنا فى   نعيه ويحه بقصم الظهور
رشح البر للتأهل بالذى   وشح اليوم من معالى الأمور
عله ينجلى عروسا مع الاتراب   مثل الهلال بين البدور
ثم لم يرض بالتأهل إلا   أن ينال تأهلا بالحور
فمآل الدنيا خراب ومن فيـ   ـها ذهاب عن عاجل للقبور
إذ درى أن ليست لمثله دارا   دار عن شرها إلى خير دور
ضل من يصطفى لديها سرورا   وهو ضمنها يصطلى بالشرور
قد أعد السراب منها شرابا   فتعدى وذاك محض غرور
بارك الله فى علاك على ما   ترتضيه حالا ممر الدهور
وكذا فى المبارك العابد اللـ   ـه بإخلاصه الولى الكبير

وقوله مادحًا القاضى المذكور:

كل يوم وساعة لك عيد   مستعاد وموسم مستفاد
وتولى على علاك بمن   فى التهانى والإقبال والإسعاد
إنما العيد أنت للناس فلنهـ   ـنأ بمرآك نحن والأعياد
فمتى أورد الفتى من كلام   فى كمال للعيد أنت المراد
كم أعيد بالفتح ذلكم العيـ   ـد علينا وبالنجاح يعاد
لا يراد الجدا على الجد إلا   من نداك الأندى ومنه يفاد
حبر علم وبحر حلم وتقوى   ليس تقوى بمجده الأمجاد
خص بالمكرمات طردا وعكسا   فله بأفرادها أفراد
وله من مستطرف فى قديم   وحديث طرائف وتلاد
ساد من سودة وقد ساد من قد   ينتمى لأجلة قدما سادوا
أحمد الأحمد العواقب قاضى الـ   ـفصل والفضل يقتفيه سداد
كيف ينبغى البليغ حصر خصال   فيه جف عن حصرهن المداد
دم معافى من الزمان مكافى   فالأمانى إلى حماك تقاد

وقوله:

أى شىء إن تذق قلبا له   صار حتفا وهى من أسنى منال

وقوله:

قد أتى سائلا بحسن اتئاد: أى شىء يكون معنى الدلال
قلت تيه الحبيب تيها يضاهى   فى فؤاد المحب ضرب النصال

فــهو كــالشهــد للمحب وإن كــا   ن به الحـــتف يا مــليح الســؤال

وقوله:

من بعــذل لفقد العــدل منه رمى   سكــان مكناســـــة إذا رام تدويــنا
فليس عدل يحــيق باشعــيرى من   جميعــهم بل ولا من بعضهم حينا
إن بايعــوا ملكا وفوا بــبيــعتــهم   ولا يخــونوا إذا فى بــيــعــة خــينا
جل الوفــاء بهــم لجــارهم فلمــا   لم يــرتدوا بالوفـــــاء مــنهم ديــنا
رمــيتــهم أنهم صــاموا بعلمــهم   فى العــيــد مع أنــه رمى به مــينا
سيما العلا حللا ســاموا فسمتهم   صامــوا بعيــد فقــد سلبتهم مــينا
بنيت إثمــهم والغير مــعك على   حــديثــه وهو مــوضــوع مــعــانينا
مـــؤنبــا لــهم لعلــة بجـــفـــا   وكـــان علتــك الغـــائبـــة اللــينا
بالنثــر والشعــر لكن غيــر متــزن   والشــعــر لابــد أن يكون مــوزونا
إن تقصد الكل فى نداك أهل وذا   هو المبــيــن من فــحــواه تبــيــينا
فــقــد ضللت بدون مــرية ودنى   بك المراء لأقـــصى مــدية مـــينا
كــلا أتى خيــر بالعــدل قاضــينا   فى يومــه فــغــدا بالفطر يقــضــينا
ثم اقتــفاه جــميع الناس مــستندا   للشــرع إذ خــبــر الآحــاد يكفــينا
باللــه قل لى ألم يبلــغكم ذاك أم   تجــاهلا تنســبــون لــلمــلا الهــونا
وإن ترد بعضـــهم أين القرينة فى   إطلاق كل عن بعــض فــتــهــدينا

وقوله جامعا معانى حجا العشرة:

حجوت إلى أن حــجوت العلوما   فلم أحجــها إذ حــجوت العليــما

وما إن حجا ذو حجا سائلا | وعنه حجا فحجا مستديما
وإن أحجه معنتا أحجه | عنيفا وأحجو عفيفا كريما

وقوله ناظما لاثنى عشر فعلا جاءت عن العرب مثلثة العين عند قراءته للامية الأفعال وتعرض بحراق شارحها لسرد الأفعال المشار لها:

وقد أتى الفعل الثلاثى على | ثلاثة فى العين فيما نقلا
كمرؤ الطعام ثم كدرا | ماء وبالمرء الزمان عثرا
وخمص البطن وكان نضرا | وجه وغصن والحليب خثرا
وعقمت زوجته فزهدا | فيها وما رفث فى القول اهندا
بنفسه رفق ما إن قنطا | وسفل الإنسان رام شططا

وقوله جامعا للفعل المضعف مفتوح عين المضارع الآتى ماضيه من فعل مكسور العين وكذا المضعف من باب فعل بضمها:

وذاك حكم مضاعف يلى فعلا | وافتح لآت من الآتى على فعلا
من ذاك بر وقر هش وبش ومص | غص بح ولذ مله مللا
وود عض ومسه وشم وبح | ضن وظل وشل عضوه شللا
وامتاز ذو الفتح عن ذى الكسر منه إذا | بتا الضمير ونونه قد اتصلا
هناك تحذف عين مع تحركها | أو التحرك نحو فائه نقلا
ولم يرد فعل المضموم عندهم | مضاعفا غير ما عنهم لنا وصلا
شررت ثم ذممت أو فككت به | لببت فلتعين هذه المثلا

قوله وذاك حكم مضاعف إلخ الإشارة فى قوله وذاك راجعة إلى ما ذكره المصنف من الفرق بين المضعف اللازم فتكسر عين مضارعه والمضعف المعدى فتضم إلا ما شذ منهما، وقوله وافتح لآت أى لمستقبل وهو المضارع، وقوله وامتاز إلخ يعنى أن الفعل المضعف إذا اتصل به تاء الضمير أو نونه يفك إدغامه ويرجع إلى أصله من كسر عينه أو فتحها، وقوله هناك تحذف عين أى عند اتصال الضمير بالفعل المضعف المكسور العين تحذف عينه مع حركتها أو تنقل حركة العين إلى الفاء وأشار بذلك إلى قول ابن مالك فى الخلاصة: ظلت وظلت فى ظللت استعملا إلخ.

وقوله أيضا جامعا الأفعال التى جاءت حروفها من نوع واحد:

ولم يلف فعل من ثلاثة أحرف قد اتحدت جنسا سوى ما يقيد
وذلك قق صص هه ودد قد أضيف إليها بب زز فتفرد

وقوله ذاكرا ما يعرف به عجمة الاسم ليمنع من الصرف مع العملية:

إذا من أحرف الذلاقة خلا سوى الثلاثى فعجمة جلا
ورمزوا لها بـ «مر بنفل» والراء بعد النون بدء القول
كذا إذا الجيم أتى مع قاف أو مع صاد مهمل أو كاف
والزاى بعد الدال ثم ما نقل عن الثقات أعجميا فعقل

وقوله مخاطبا جماعة من أفاضل سلا منهم علامتها الفذ أبو العباس الناصرى صاحب كتاب الاستقصا وذلك عند ورود المترجم على سلا سنة اثنين وثمانين ومائتين وألف ومقامه بها أياما ثم عبوره للرباط ونزوله على العلامة الشيخ البركة سيدى العربى بن السايح الشرقاوى:

يا سمى السمى يا طاهر الوسم م والاسم لطاهر الأعراق

إننى وعـــلاك قـــدرا على مـــا ... تعــــهـــدن من المحـــبـــة باق

فـاعـــذرنى بما جنيت بجـــهلى ... دون إذنك ســـيـــدى بفـــراق

وكـــذا جلســـاؤك الغـــر إذ أثـ ... ـقـلـهـم ظهـــرنـا من الأرزاق

منكم القلــب قَــدَّدَنِى هب نأ الـ ... ـقلب فـالقـلب مـغـرم بالتـلاق

والســـلام الأتم يغـــدو علـيكم ... ويروح شـــذاه من مـــشـــتـــاق

وخـصوصـا على الذى برز الأقـ ... ـران فى الميـــادين عند الســـبـاق

من إذا حـــاول الأديب بلوغـــا ... حـــد وصـفـــه باء بالإخـفـــاق

أحمد الأحمدين فـى العصر أفعا ... لا وأبلـغــــهــم علـى الإطلاق

وابن طاهـر المحـــيل عـــقـــولا ... عـند لحـن الخـطاب فـى الأذواق

وأبى عـــبـــد اللـه خـيـــر أديب ... الرفـــيع الـعـلا الـفـــتى الوراق

واغـفـروا من عبـيـدكم هدرا لا ... ينـبـــغـــى أن يبـث فى الأوراق

نظم الله عـقـــد جـمـعكم الوا ... فــــر نظـم قـــــلائد الأعـناق

فأجابه أبو العباس المذكور بقطعة على بحره ورويه لفظها:

يا أديبـــا غـدا بـحـسن اتفـــاق ... ينفث السـحر فـى المعانى الرقـاق

قـــد أتتـنا حـــدائق من سـناكم ... جـددت أرسـمـا لعـهـد التـلاق

وعلـمنا مـنهـــا بأنـك لا زلت ... بهـــا ذا صـبـــابة واشـــتـيـــاق

لسـت أدرى أهى قـــــلائد در ... أو نجـوم مـحت ديـاجى الفـراق

توجهت مفرق الـزمان على فترة ... شـــعـــرى من الورى وانمحـــاق

ولقد ســاءنى الذى قلت من جهـ ... ـل وأنت الفـتى الـكريم الوفـاق

أنت تحكى النسيم فى الخلق والصا ... رم فى العــزم والطـلا فى المذاق
وبنا من فـراقـك الصـعب مـا لو ... كـان بالبـدر لاكــتـسى بالمحـاق
فـأزل ما بالقلب من وحـشة البيـ ... ـن ومــا بالجـــفــون من إيراق
مـا مـحـيـاك حـين تغـدو علينا ... غـــيـر يســـر أتى على إمـــلاق
فــعلـيك الســلام مـن هائم لا ... زال من فرط وجدكـم فى احتراق
وعلى خـدنـك الإمـام الذى حل ... من المجـــــد فى أعـــــز المراق
سـيدى الأعـربى من أعـربت عن ... فـــخـــره ألسن الـورى باتفـــاق
مـا شدا فى مـحافل الأنس شـاد ... وحـدا بالحـســان حـادى النيـاق

هـ من خطه ومراده بالأعربى سيدى العربى بن السائح.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول العلامة الحجة الأديب الكبير أبى العباس أحمد بن قـاسم جسوس الرباطى وذلك أواسط شعبان عام سـبعة وتسعين ومائتين وألف:

أمكناســة الزيتـون لله مــا تبـدى ... لنا من سـرات مصطفـين ذوى المجد
نعـمت بلاد فى الـبـرية أصـبـحت ... كـبـيت قـصيـد بل زمـردة العـقـد
سـقى الله ذاك الربع وبل غـمـامـة ... وأبقى بهـا نوء الـسـيـادة والسـعـد
ولا برحت تخـتـال فى حلل البـهى ... مـضـمـــخـة بالعطر والمسك والند
بلاد تفـوق الشـام حـسنا وبهـجـة ... وتسلى عن الأوطان ذا الخطب والوجد
بلاد تحلـت بالفـــضـــائل وازدهت ... فـعـرج بهـا تلق المحـاسن من بعـد
بلاد بهـا سـحب العـلوم تهـاطلت ... فلم تـر إلا عـــالما وهو فـى المهـــد

أتانا سمى القدر قطب رحاهم ... حليفا التقى جرثومة الفضل والمجد
أتانا كما يأتى الغمام بوبله ... فأحيا رسوم العلم والفقه والجد
رئيس بليغ لوذعى ذكاؤه ... ينسيك إياسا أخا الحل والعقد
تخاله إن تلقاه يوما هو الورى ... ولا نكر كون الناس فى رجل فرد
أيا طاهرا والطهر بعض صفاته ... فدتك نفوس فى المصادر والورد
أيا مخجلا سحبان بالله عطفة ... لصب بشغر يشتفى به من كد
ويأيها الشهم الرفيع مكانة ... تفضل بذاك النظم ذى الطر بالشهد

إلى أن قال:

وهاك أبا عبد الإله عروسة ... مكعبة الثديين مائسة القد
فخذها أخا الإجلال وانظر جمالها ... بعين الرضا تعلم بأنك ذو الود
وكن معذرا خلى فإنى مقصر ... مجل بجهلى بالثناء وبالحمد
ونهدى سلاما طيبا لجنابكم ... تحمله أيدى البنفسج والورد

أوردها أوائل شرحه على الشمقمقية ونقلتها من خط من نقل من خطه من حفدته:

وفاته: توفى عشية الأربعاء ثالث وعشرى حجة الحرام عام ستة وثلاثمائة وألف ودفن بضريح جده الولى الأشهر سيدى عبد الله الجزار رحم الله الجميع وقد رثاه بعض تلاميذه بما لفظه:

رنت حمامة أيك ... تقول للعين فابك
كمزنة الودق سحى ... ورقرقى الدمع منك

فـإن فـقــدت دمـوعـا بطـول مــــا أنـت تبـكى
وقـد عـيـيت فـدمع الـ ـغـيـر اسـتـعـيـرى إليك
عـــينى طول حــيـــاتى على ســمـــا العلم تـبكى
هيـهات إن قـيل صبـرا لهـــــا اترك الـدمع عـنك
فـإن تجــرعت صــبـرا يومـــــا فـــذاك بـالإفك
هجـرا هجوعك جـفنى أمــــــا علـمت بـضنـك
أمـــا علمت فـــريد الأ عـصـــار من غـيـــر شك
عـصم الأفاضل من حـا ز غــــــــاى ذوق ودرك
يتـيـمـــة إن نظمت إلا عـــلام حـــقــــا بسـلك
العــــالم المتــــحـلى بـكل فــــــضـل ونسـك
الطـاهر المظهــــر المشـ ـكلات حـــــــلا بفـك
رمـــاه ســـهم المنـايا فــاقــتنصــتــه بشــرك
فــأصــــبح العلـم منه مـنسـكـب الدمـع يـبكـى
بادت كـراسيـه من فـقـ ـده وعـــــادت لـتـــــرك
عــلــم الـــعـــلـــم قــــــد أصــــيب بدك
لهفى على باقـر ذى التد قـــيق فـــيك بـفـــتك
يا رب فــانشـر عليـه رضــــاك مــــدة عــــتك
لكى يرى نفــحـات الر حـمـن تضـوع كـمـــسك

١٦٩ - الطاهر بن الهادى بن أحمد بن المجذوب الفقيه.

المؤدب صنو العارف بالله سيدى الطيب ابـنى على بن عبد الرحمن بن على ابن عزوز.

دفين زغوان البلاد الشهيـرة قرب تونس، وقد عرف بالعارف ابن عزوز هذا صاحب الصفوة، كما وجد ذلك بخط أخى المترجم هنا، العلامة السيد فضول آتى الترجـمة فى حرف الفـاء بحول الله قائـلا والله أعلم أى ذلك كان كمـا قال ابن خلدون.

فلو تسأل الأيام ما اسمى مادرت ولا عن مكانى ما عرفن مكـانيا

حاله: كـان ورعا خيراً دينا، فـاضلا تاليا ناسكا ذاكراً، حـافظا لكتاب الله مجوداً له يحفظ قـراءة البصرى حفظا متقنا، وكان يؤدب الصبـيان، وتخرج عليه عدد وافر من حمـلة القرآن، تولى خطة الشهادة وقصر تقـدير الفرض عليه وذلك أواخر عـام خمسة وتسـعين من القرن المنصـرم، وكان سليقى اللسـان، لا يعرف النحو ولا يلحن فى كلامه ولا فى كتابته.

مشيـخته: أخذ قراءة نافع، والبـصرى على البركة الفـقيه السيد مـحمد بن الحاج أغربى، وعن غيره من جلة مشايخ وقته الأعلام.

الآخذون عنه: منهم الشريف البركة الأصيل الحيى سيدى مشيش ابن مولاى يوسف بن السلطان مولاى سليمان قدس الله أرواح الجميع.

وفاته: تـوفى يوم الاثنين فاتح جـمادى الأولى عـام سـتـة عشر وثلاثـمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من حضرتنا المكناسية.

١٧٠ - الطيب بن العناية بنُّونَة الضرير.

حاله: فقيه نبيـه ذو إدراك وقاد، وإنصاف وتواضع، كف بصره بعد ما شب

---

١٦٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨١٤.

١٧٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٤٨.

وقرأ، ولم يزل ملازما دروس شيوخه إلى أن شاب، كثير التهجد معمر الأوقات بالذكر والصلاة على النبى ﷺ، ذو مزح لطف، ودعابة لا تخلو من حكم وحقائق، رشح للتدريس بالضريح الإسماعيلى بعد وفاة شيخنا أبى عبد الله محمد ابن عبد الهادى، وكان لطيف التعبير حسن التعليم.

مشيخته: منهم السيد فضول السوسى وهو عمدته وأخذ عن غيره ممن عاصره.

الآخذون عنه: لا أستحضر منهم الآن غير نفسى قرأت عليه المرشد المعين من أول كتاب الطهارة إلى آخر الزكاة.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف.

١٧١ - الطيب بن عبد الله محمد بن الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن فخر الملوك مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه عدل رضى أريحى مهذب، أديب خير دين لطيف، حلو الشمائل، لا تمل مجالسته، ولا تخلو من ظرف، بارع الخط، نساخ للكتب، وكان متوليا خطة العدالة ومتصدرا للشهادة بسماط العدول، ثم رشح للشهادة بمراقبة الأحباس.

مشيخته: أخذ عن الفقيه السيد الغالى السنتيسى، وعن السيد فضول بن عزوز، والسيد الطاهر بوحدو، وشيخنا السيد محمد بن عبد الهادى، وعن عمنا مولاى عبد القادر ووالدنا وغيرهم.

ولادته: ولد يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف كما وجد ذلك بخط والده.

وفاته: توفى فى فاتح جمادى الثانية عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة ضريح جده المولى إسماعيل قدس الله أرواح الجميع.



الشريف مولاى الطيب بن عبد الله العلوى

حرف الكاف

***

١٧٢ - الكمال أبو البركات بن أبى زيد المكناسى.

حاله: عالم فاضل جليل قدوة كبير شهير نبيل وناهيك بمن روى عنه الحافظ العسقلانى وأجازه مكاتبة بحديث المصافحة، قال فى الاصابة فى القسم الرابع من الجزء الثالث فى حرف الميم فى ترجمة المُعَمَّر: أخبرنا الكمال أبو البركات بن أبى زيد المكناسى إجازة مكاتبة قال صافحنى والدى وقد عاش مائة قال صافحنى الشيخ أبو الحسن على الحطاب بالحاء المهملة بمدينة تونس وعاش مائة وثلاثين سنة قال صافحنى الشيخ أبو عبد الله الصقلى وعاش مائة وستين سنة قال صافحنى أبو عبد الله المعمر وكان عمره أربعمائة سنة قال صافحنى رسول الله ﷺ ودعا لى وقال عمرك الله يا معمر ثلاث مرات(١).

قال الحافظ هذا المعمر شخص اختلق اسمه بعض الكذابين من المغاربة وهو من جنس رَتَن الهندى(٢)، قال: وقد بسطت ترجمة المعمر بالتشديد فى لسان الميزان(٣).

مشيخته: أخذ عن والده أبى البركات وغيره.

الآخذون عنه: منهم الحافظ ابن حجر العسقلانى وغيره.

---

١٧٢ - تحرف فى المطبوع إلى: «الكمال بن أبى البركات» وصوابه من الإصابة ٦/٣٦٨..

(١) الإصابة ٦/٣٦٨.

(٢) الإصابة ٦/٣٦٨ - ٣٦٩.

(٣) انظر فى ذلك: لسان الميزان ٧/ ١٠.

١٧٣ - الكامل بن عبد الله بن الطاهر بن محمد.

ابن الطاهر بن محمد بن عبد الواحد بن العربى بن محرز بن على بن يوسف بن على الشريف بن الحسن بن محمد بن حسن القادم من الحجاز بن قاسم ابن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى محمد بن عرفة ابن على بن الحسن بن أبى بكر بن على بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت رسول رب العالمين، خاتم النبيين مولانا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وحزبه.

حاله: علامة حافظ، لافظ مشارك، دراكة نقاد، متضلع مطلع، فصيح حسن العبارة، واسع العارضة، ذو حفظ عجيب، ومهارة فى تنظيم الدروس وترتيبها، وتلخيص المسائل وتصويرها بأبسط عبارة، ومزيد بيان وفصاحة وبلاغة، وذلك مما كان يزيده رحمه الله طلاوة ورونقا، له معرفة بالطب، كريم الأخلاق والسجايا، جامع لأصناف المزايا، مدرس نفاع له اعتناء تام بالكتب شراء ومطالعة، عين للمطالعة أوقاتا لا يتخلف عنها إلا لمانع عظيم الهمة، لا يدخل كتابا لخزانته إلا بعد مطالعته وتوقيفه والكتابة عليه، كبير الاعتقاد فى الصالحين، محب فى العلم وأهله، معظم للمنتسبين إليه، كثير النوافل متبتل ذاكر، تام المروءة، حسن السمت والهيئة مبالغ فى جمال الشارة والبزة، مستدع للأبهة، أبى النفس جواد بشوش لا تساوى عنده زهرة الدنيا قلامة ظفر، مسبل أذيال العفة، بعيد عن الريب، متمسك بعرى النزاهة، رفيع العماد، واسع الناد، كريم المائدة، عظيم الفائدة.

وكان من جملة جلة أعلام الحديث بالمجالس السلطانية، وكان لا يخوض مع الخائضين فى معانيها تأدبا وأنفة من الجدال والمراء، ويتناعس حيث كان جل

تلك المذاكرات مبنيـة على العناد والتعصب، وكان السلطان يكـره تناعسه وسكوته فأوعز لحاجبه أحمد بن موسى المترجم فيما سلف إخراج المترجم من حلقة المجلس إذا خاض الأعلام فى ميدان المباحثة إذا تمادى على سكوته، فلم يسعه إلا امتثال ما أمر به، ثم بعد طرق السبـيل الموصل للإشراف على السبب فى ذلك وتحقق أنه لا ذنب له غير سكوته، وأن السلطان يعلم اقتداره على القبول والرد، وأنه إنما رشحه لحضور مجالسه للمباهاة به إذ كان صهره ومن أعلام عائلته الكريمة، ثم تشفع فيه فعاد للحضور كما كان، وصار يقرط الآذان بدرر فرائد الفوائد وفق المراد منه.

استوطن مكناســة الزيتون مدة ودرس بجامعها العـتيق، وانتفع به خلق، ثم انتقل لفاس وتصدر للتدريس بجامع القرويين منها، عمره الله بدوام ذكره.

هذا والفريق العلوى الذى منه المترجم يعرف بالأمرانيين نسبة إلى الأمرانى، زاوية مباركة بسجلماسة، لها حرمة عظيمة وشرف باذخ، لا ترى أحدا من أشرافها إلا توسمت فيه الصلاح والخير والنجاح، عالما بمصالح دينه ودنياه، قاله فى الأنوار السنية.

ولم يزل غيرهم من فضلاء أولاد عمهم الأشراف المقتدى بهم علما وعملا، يعظمونهم ويحـترمونهم تعظيـما واحترامـا فوق ما يعظمـون ويحترمون بعـضهم بعضا، ويعترفون لهم بمزيد الفضل والخـشية والإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، وتلحظهم الملوك العظام بعين الإكبار والإجلال.

وأول خـارج من سلجلماسـة من هذه العـائلة الكريمـة هو الجد الســادس للمترجم، وهو السيد أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد فى معية السلطان العظيم الشأن مـولانا الرشيـد بن الشريف، لما فـر من أخيـه المولى محمـد فنزل بالزاوية الدلائية بعـد ما استقل مـولاى الرشيد بالملك، فقـرأ العلم هناك، وزوجه الدلائى

وأقطعه أرضــا تسمى أفران من بلاد زيان، فاســتوطنها وبها توفى وضــريحه هناك مشهور لدى الخصوص والعموم.

مشــيختــه: أخذ عن الحاج مــحمد بن المدنى كنــون مختــصر الرهونى وهو عمدته، سمع عليــه الموطأ، والصحيح، والمختصر الخليلى، والألــفية، والسبكى، والسلم، والسنوسية.

وعن أبى المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسى دفين شالة من رباط الفتح المتوفى فى ســابع وعشــرى رمضان عــام أربعة وتسعــين ومائتــين وألف، حسبــما أخبرنى بذلك حفيــده السيد عبد الحفيظ، وبعد أن كــتبت هذا وقفت على أنه كان فى التاريخ المذكــور حيا يرزق فبــيدى مكتوب من الوزير موسى بن أحــمد خطابا لأخيه السيد عبد الله بالإيصــاء على المذكور لدى قفوله من الحج بتاريخ رابع عشر رمضــان عام ستة وتســعين، وفى هذه السنة كانت وفــاته مطعونا بفضــالة، ومنها حمل إلى شالة وعليه كــانت بداية قراءة المترجم الرسالة والمرشد والهمزية وفــقهية سيدى عبد القادر الفاسى والشمائل.

وعن الشيخ أحمد بن أحمد بنانى المدعو كلا التفسير، والحديث والأصول، ومختصر السعد.

وعن الســيد المــهدى بن مــحــمد بن الحــاج السلمى صــحــيح البخــارى، والشمائل، والطرفة، والنصيحة الزروقية، والتحفة، والمختصر، والألفية.

وعن السيد أحمد بن أحمد الورياغلى المغنى والألفية.

وعن الســيد أحمــد السلوى التطوانى: البــخارى، والمخــتصــر، والتحــفة، والألفية.

وعن الشيخ عبــد الرحمن النابلسى المدنى لما ورد لفاس عــام واحد وثمانين ومائتين وألف، وأجازه هؤلاء كلهم عــامة، ونصوص إجازاتهم له بخطوط أيديهم

كلها محفوظة بمكتبتنا غير إجازة السلاوى لم أظفر بها، وأول من أجازه منهم العلامة النابلسى حسبما ذلك بخط يد المجاز المترجم آخر ورقة الإجازة عقب إمضاء المجيز.

كما أخذ عن السيد العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط وأجازه عامة أيضا، كما ذلك بخط يده بمكتبتنا.

وعن القاضى مولاى محمد العلوى صحيح البخارى، والمختصر، والتحفة، والزقاقية.

وعن ابن عبد الواحد ابن سودة المرى الألفية.

وعن مولاى عبد الملك الضرير الجرومية والألفية والتلخيص.

وعن السيد الطيب ابن كيران التلخيص.

وعن والده عن جده الطريقة الناصرية التى هى أساس أسلافه كما أخذها عن أبى عبد الله محمد بن عبد الحفيظ الدباغ المدعو بوطربوش.

وعن أبى المواهب عبد الكبير الفاسى، وكلاهما عن جده مولاى عبد الله بسنده المذكور فى ترجمة أخ المترجم سيدى محمد، وأجازه فى تلقين أورادها لمن أرادها منه السيد محمد بن أبى بكر صاحب زاوية تامكروت وكان له الإذن العام فى التقديم من قبله.

كما أخذ بعض الأذكار عن البركة الشهير سيدى محمد بن أحمد الودغيرى المدعو الغيائى المتوفى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، المدفون بالقبب من فاس.

وعن سيدى عبد السلام البقالى حسبما وقفت على ذلك فى نص إجازته له بخطه.

الآخذون عنه: ممن أخذ عنه شيخنا العلامة المشارك الأقعد الشريف مولاى أحمد بن المأمون البلغيثى قاضى مكناسة الحالى، والعلامة النبيه السيد التهامى عبابو حاجب الجلالة السلطانية اليوسفية صان المولى حماها، والسيد بدر الدين قاضى ثغر آسفى حينه، وصديقنا السيد عبد الحفيظ الفاسى وأجازه عامة بخطه، والسيد الغالى السنتيسى المكناسى، والسيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد المترجم آنفا، والعلامة السيد إدريس بن عمر الشامى، والعلامة الخطيب السيد محمد اللواجرى التطوانى، والعلامة القاضى السيد أحمد بن إبراهيم الرباطى، ونسابة عصره ومسنده المولى عبد الحى الكتانى، وأجاز له عامة وغيرهم من حاملى لواء التحقيق بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بقرحة خرجت فى شاربه الأعلى لم يظن موته منها ولا توهم، وذلك غروب يوم السبت موفى عشرين من جمادى الأولى عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، وصلى عليه بالضريح الإدريسى ودفن برياض جوار محل سكناهم من حومة السياج قرب الزاوية الناصرية بمحروسة فاس، ومن يومئذ صار ذلك الروض روضة لدفن عائلتهم الكريمة.

وقد رثاه ابن عمنا المولى أحمد بن المأمون المذكور فى الآخذين عنه بما لفظه:

حكم المنية فى البرية جارى ... تقدير رب نافذ الأقدار
ما عن ورود حياضها بد ولو ... طالت بمولود مدى الأعمار
فالموت خطب ما له من دافع ... معرى النفيس وملبس الأطمار
ملأ القلوب مهابة فالرعب منـ ... ـه أقام فى قلب وفى أفكار
من ذا الذى يرجو البقا من بعد فقـ ... ـد المصطفى خير الورى المختار

والأنبياء وصحابهم والتابعيـ ـن ومن هداهم فى البرية سارى
فالكل دون الله جل جلاله لابد من رمس له وغبار
ما فاز فى الدنيا سوى حر سمت هماته لمكارم وفخار
يفنى نفيس حياته فيما يبقـ ـى ذكره غضًّا على الأعصار
يبدى الندا لمن اجتدى ويفيد من قد جاء يريد العلم من أقطار
حتى إذا زار الفنا فناءه وأجاب داعى ربه الغفار
ود الأنام فداءه بنفوسهم لو كان يفدى هالك بنضار
مثل الإمام المرتضى الحبر الهما م أخ العلا والفضل والإيثار
مولاى (عبد الكامل) الأسنى الذى ظهرت مكارمه ظهور منار
نجل الألى سادوا بملك شامخ أهل العلا والمجد والمقدار
الناسك الأتقى المحرر علمه الحافظ الأرقى رفيع نجار
جماع أشتات العلوم بذهنه يهدى بها من ضل فى أوعار
قد مات لكن عاش فينا ذكره بجميل أوصاف وحسن شعار
لله ما ضم الثرى من سيد قد ساد بالنسب الصريح السارى
أسفا عليه لقد تداعى من حما ته شاهق الأمجاد والأبرار
أسفا على فقدان مثله فى الورى عز التسلى عنه بالأنظار
أسفا على من كان قبلة آمل من جوده سيل الندى المدرار
أسفا على خلق جميل ناله يسليك عن أهل به وديار
فكأن سامع لفظه يصغى إلى ترجيع تلحين وصوت هزار

وكأن ناظر وجهه متعلل ... من شرب أقداح وصرف عقار
وجه كمنبلج الصباح تخاله ... إذ ما تراه طالع الأقمار
لا يلتقى إلا بوجه ضاحك ... والبشر يحسن فى ذوى الأقدار
لله منه مجالس كانت تقـ ... ـضى بالعلوم الباهرات لقارى
لله منه تواضع فى رفعة ... ومهابة وجلالة ووقار
لله منه تسارع لصنائع الـ ... ـخيرات يسبق نحوها ببدار
يا رحمة لذويه بعد بعاده ... عنهم فمن لهم بطيب قرار
يا رحمة للزائرين ربوعه ... من صاحب أو خادم أو جار
من ذا يقابلهم بوجه باسم ... ويمبسم بنواله المدرار
لكن بعد الله فى إخوانه ... وبنيه خير مخلف مختار
فهم لنا من بعده نعم المعز ... ى فيه إذ هم سادة الأخيار
فالله يكسوهم من الصبر الجميـ ... ـل على مصابه سابغ الأستار
والله يسكنه فسيح جنانه ... فى جيرة الأرسال والأنصار
وينيله أعلى الفرادس لابسا ... من سندس خضر أعزّ دثار
لا زال قبره فى رياض ناعم ... تهمى عليه سحائب الأسرار
يغدو به مترفعا متقدسا ... ويصير من علياه خير مزار
أرخ وفاته دون (حم) ولتقل ... (قد نال فى أخراه عز جوار)

حرف الميم

***

١٧٤ - مبارك أبو النور بن العالم العلم أبو التوفيق سالم الشيظمى المكناسى الدار والوفاة.

حاله: حسن السمت، كثير الصمت، من القوم الذين إذا رُءُوا ذكر الله. وإذا قاموا أو قعدوا فبالله، شمس القراء وبدرهم، وعليه فى وقته يدور أمرهم، فريد عصره، ومصباح زمانه ومصره، فقيه جليل، ماجد نبيل، مربى الأطفال. وملحق الولدان بالرجال، ذو المآثر الفاخرة، والعلوم الزاخرة.

إمام المتقين، مجود مرتل، عالم بمخارج الحروف وكيفية الأداء، عارف بصناعة التربية الأدبية، بارع فى الأمور، مؤثر خموله على الظهور، جميع المكارم إليه تنسب، ومن حاول عناده رام العطب، محب فى رسول الله، متوكل فى تصاريفه على الله، عكوف على عبادة ربه، مكب على تعليم كتاب الله تعالى آناء ليله وأطراف نهاره، حباه مولاه نوالا وتفضل عليه إكراما وإفضالا.

وكانت له كرامات ظاهرة، وهمة عالية، ونفس زاكية، قلما تجد عالما أو متعلما فى وقته بالحضرة المكناسية إلا وقرأ عليه أو قرأ على من قرأ عليه.

مشيخته: أخذ عن سيدى على بن الجزار، والسيد المهدى بن السيد الحاج أحمد بن موسى المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، كلاهما عن أبى العلاء إدريس المنجرة الشريف الحسنى.

الآخذون عنه: أخذ عنه جماعة وافرة من القراء والعلماء والأعيان، منهم:

---

١٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤١٣.

السيد محمـد فتحا بن محمد بصرى المـكناسى صاحب الثبت المعنون بإتحاف أهل الهـداية والتـوفيق والسـداد. بما يهـمـهم من فـضل العلم وآدابه والتلقـين وطرق الإسناد.

وفاته: توفى فى خامس جـمادى الأخيرة عام اثنين وتسـعين ومائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية، وحضر جنازته العلماء والوزراء فمن دونهم، عد مشيعوه بآلاف رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

١٧٥ - مبـارك بن عبد اللـه بن محمـد السجلماسى أصـلا، الفيـضى منشأ المكناسى دارا ووفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، ورع صالح ناسك، فاضل أستاذ خير، دين عدل رضى، مبـرز، تولى خطة العـدالة بمكناس مدة مـديدة، وقفت على عـدة رسوم بشهـادته بتواريخ متـعددة، من ذلك رسم بتـاريخ سابع عشـر رمضان عـام أربعة وأربعـين ومائتـين وألف، وتصـدر للتدريس ونفع العـبـاد، فنفع الله به أقوامـا، وتخرج عليه جـميع محققى علمـاء مكناس، وكان شيخ الجمـاعة بها ورحل إلى المشرق وحج.

حدث عنه تلميذه العلامة السيد فضول بن عزوز أنه كان يدرس المرشد المعين فلما وصل لقوله «وقول لا إله إلا الله» اعتـرض قول شارحه: معنى لا إله إلا الله لا مستغنى عن كل ما سواه قائلا: صـوابه أن يقول لا مستغنيًا بالتنوين لأنه مطول لقول الخلاصة: فانصب بها مضافا أو مضارعه.

فأجابه تلمـيذه المذكور بقوله: بنى على الفتح ليكون نصا فـى العموم لقول صاحب جـمع الجوامع: النكرة فى سـياق النفى تعم نصـا إن بنيت وظاهراً إن لم تبن، فأجـابه الشيخ بقـوله: إن كنت راكبا بغلة مـسرجة سـريعة السـير فنحن لا

نتبعك، فقال التلميذ المحدث وهل تتبع النبى ﷺ؟ فقال الشيخ: نعم، فما لنا إلا اتباع أحمد، قال: هو الذى قال: لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، فغضب الشيخ ظانا أن التلميذ يعرض به، وتخلف عن الدرس ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع جاء متأبطا عدة أسفار وضعها أمامه كادت تكون ساترا بينه وبين أهل درسه، وصار يسمى للحاضرين كل كتاب باسمه، ثم قال: قد راجعت المسألة فوجدت الصواب مع هذا الطالب، ووجدت آية تعضده وهى قوله تعالى: ﴿ ... لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال]، فقال التلميذ: الحمد لله قاصداً الحمد على الموافقة، فظن الشيخ التعنت والظهور عليه، فغضب أيضا وقام من مجلسه.

قلت: هذه الحكاية كسراب بقيعة، وعند تحرير المناط فيها وإمعان النظر يظهر جليا أنه إنما وقع فيها حال المذاكرة الاشتباه والالتباس، فإن الشيخ بنى بحثه على المعول عليه فى المسألة وهو مذهب البصريين الذى اعتمده المحققون كابن مالك وغيره، وخالفهم البغداديون وخلافهم ضعيف كما يأتى.

والتلميذ المجيب لو حقق المناط لكان جوابه بأن ذلك يخرج على هذا القول الضعيف فيبين ذلك عن شيخه أنه نهج فى بحثه نهج الطريقة المثلى، التى عليها يتعين البناء فى كل ما يتلى، وعن نفسه بأن له اطلاعا واستحضارا أدرك بهما تخفيف ذلك البحث بعد تمكنه بتخريج المبحوث فيه على ذلك القول وإن ضعف.

وأما جوابه بكلام ابن السبكى فهو عين الاشتباه، أما أولا فإنه ليس فيه تنصيص على أن ما قاله موضوعه الشبيه بالمضاف الذى هو محل البحث، وإنما تكلم على ما تفيده النكرة فى سياق النفى حين بنائها وعدمه، وهى والحالة هذه لا يتعين كونها من الشبيه بالمضاف بل يجوز أن تكون من المفرد كما يأتى، وكيف تقوم الحجة بمحتمل وبمشكوك فيه؟

وأما ثانيا: فابن السبكى مع كون كلامه فيما بيناه إنما أبان حكم ما بعد الوقوع، وبحث الشيخ فى أن ذلك لا يجوز الإقدام عليه على المعروف، وكأن

الشيخ لذلك أشار بقوله: إن كانت لك بغلة مسرجة مسرعة إلخ، فكأنه يقول له: إنك أسرعت إلى مقام آخر فلذلك لا نتبعك، فقد فهم الشيخ من الجواب ما ذهل عنه المجيب.

وأما قول المجيب: هل تتبع مولانا رسول الله؟ فهو عين سوء الأدب لما فيه من المواجهة للشيخ بما فيه غض واضح لمقامه هذا لو أتى المجيب بعده بما يصلح للحجة، فكيف وهو إنما أتى بالحديث الذى يجوز أن يكون مرويا بالمعنى كما هو شأن كثير من رواته مع كثرة من دخل فيهم من الأعجميين والمولدين، ولهذا كان التحقيق عدم الاحتجاج بالأحاديث على القواعد العربية إلا حديثا لم يختلف لفظه عند رواته، ثم لو فرضنا أن الحديث هنا متفق على لفظه لم تقم به حجة أيضا، فقد قال فى المغنى فى أمثلة الجهة الثانية من الجهات التى تدخل على المعرب الخطأ منها وهى جهة مراعاته معنى صحيحا وغفلته عن النظر فى صحة صناعته: الثالث تعليق جماعة الظروف من قوله تعالى: ﴿... لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... ﴿٤٣﴾﴾ [سورة هود ٤٣]، ﴿... لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴿٩٢﴾﴾[سورة يوسف ٩٢] ومن قوله عليه الصلاة والسلام: لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، باسم لا، وذلك باطل عند البصريين لأن اسم لا حينئذ مطول فيجب نصبه وتنوينه، وإنما التعليق فى ذلك بمحذوف إلا عند البغداديين هـ.

وقال الشيخ يس: قال الدنوشرى: حمل الحديث على أنه من المطول غير متعين لجواز كونه مفردا، واللام متعلقة بالخبر، والتقدير لا مانع لما أعطيت وكذا فيما بعده هـ.

ونحوه للرضى وغيره، فاتضح بهذا كله أن الأمر فى أجوبة التلميذ كما قلنا من أنه ما قام فيها بتحرير المناط، ولا بأدب البساط، وليس العجب من صدور ذلك منه حالة الطيش ومبادى الطلب، وإنما العجب من جموده على ذلك وتبجحه

به بعد بلوغ الأشد وكمـال الطلب، وبلوغه الغاية فى ظنه من ذلك الأرب. ولكن لا عجب إذا عد ذلك عـقوبة عجلت، فقـد قالوا: من رام شيئا قـبل إبانه عوقب بحرمانه.

مشـيخته: أخـذ عن جماعة أعـلام بلده سجلماسـة العلم والقراءات وعن قاضى مكناسة مولاى أحـمد بن عبد المالك العلوى وأجازه عامـة، ومولاى أحمد هذا أخذ عن سيدى أحـمد بن عبد العزيز الهلالى المتوفى ليلة الثلاثاء قـبيل الفجر بنحو ساعتين الحادى والعشرين من ربيع الأول عـام خمسة وسبعين ومائة وألف، كذا بخط تلميذه السيد محمد بن صالح الفيلالى ثم الرودانى ومن خطه نقلت هـ. حسبـما وقفت على ذلك أى أخذ المترجم عن الهـلالى بواسطة بخط ولد المترجم الفقيه السيد أحمد المترجم فيما مر على أول ورقة من فهرسة الهلالى المذكور قائلا كذا ذكره والدى فى فهرسة أخرى غير هذه هـ.

وأخذ عن الشيخ أبى حفص عمر بن المكى الشرقاوى الصلاة الأمية.

الآخذون عنه: منهم السيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز، وابن الجيلانى[1] السقاط، والمختار الأجراوى، ومحـمد بن المجذوب بن عزوز، وفخر الرباط، وشيخ الجماعة به أبو إسحـاق السيد إبراهيم التادلى فى خلق، ولم أحفظ وفاته غير أننى أدركت من أدركه ممن هو الآن حى يرزق.

١٧٦ - محمد فتحـا السلطان أبو البشائر بن أبى الأملاك والسلاطين المولى الشريف بن على الحسنى الينبوعى السجلماسى.

حاله: قال اليفرنى فى النزهة: كان شجاعا مقداما لا يبالى بنفسه ولا يجول فى خـاطره خوف من أحـد من أبناء جنسـه. قال: وكـان قويا أيدا لا يقـاوم فى المصارعة، وحكى أنه فـى بعض حصاره لتابو عصـامت جعل يده فى بعض ثقب القصر وصعد عليها ما لا يحصى من الناس كأنها خشبة منصوبة، أو لبنة مضروبة.

---

(١) فى الموسوعة ص ٢٧٦١: «الجيلالى».

وقال الضعيف: كان أقوى الناس نجدة وشهامة، وشجاعة وإقداما وزعامة.

وقال في حقه والده: الأسد الأخدع ووصفه أهل الدلاء في بعض رسائلهم بما لفظه: هو الأجدل الذي لا تئوده هموم الليالي، ولا حرارة قيض المصيف الأشهب على قنة كل عقبة، لا يقلعه المال دون حسم الرقبة، وربما عرتنا غفلة فيشن الغارة الشعواء على شعاب شعوب ملوية، وينشر جيوشه على رباط تازا بالرايات والألوية.

وحلاه صاحب الجزائر عثمان باشا فيما كتب له به بقوله: الشريف الجليل القدر، الصادق اللهجة والصدر، من رتق الله به فتوق وطنه، وحمى به من أحزاب الأباطيل أنجاد أرضه وأغوار عطنه.

ووصفه صاحب الدرر البهية والجواهر النبوية: بالعلم والعمل وعلو الهمة، ونفوذ العزمة، والتوقيعات العجيبة، والمراسلات الغريبة.

وقال الكنت دوكاستري المؤرخ الفرنسي الشهير في المجلد الثاني من كتابه أصول تاريخ المغرب نقلا عن الأسير مويت الفرنسي: وكان - يعني صاحب الترجمة - إماما عادلا يتصرف في مملكته بحكمة وتدبير هـ.

وقال في النزهة: كان سخيا جواداً حتى إنه أعطى الأديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر الملحون أبا عثمان سعيد التلمساني نحواً من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه فيه وحكاياته فيها بالمعنى شهيرة هـ.

بويع له بسجلماسة بعد تشريد أصحاب أبي الحسن على المدعو بو دميعة بن محمد من ذرية أبي العباس أحمد بن موسى السملالي الشهير سنة خمسين وألف.

قال في النزهة: وافق على بيعته أهل الحل والعقد يومئذ بسجلماسة، ولما تمت له البيعة شمر لمضايقة أبي الحسن بدرعة إذ كانت تحت ولايته فوقعت بينهما

حروب يشيب لها الرضيع انجلت بانهزام أبى الحسن وفراره واستيلاء المترجم على درعة.

وفى ضحى يوم السبت ثانى عشر ربيع النبوى سنة ست وخمسين وألف وقعت بينه وبين محمد الحاج الدلائى وقعة الكارة الشهيرة أسفرت حروبها الطاحنة عن انهزام صاحب الترجمة واستيلاء الدلائى على سجلماسة شر استيلاء، وفعل فيها أصحابه شرار البرابر من أنواع الشدة والقساوة كل شنيع، وكان ذلك من جملة ما بذر من الأحقاد والضغائن التى حملت الرشيد أخ المترجم على استعمال الشدة مع أهل الزاوية الدلائية حسبما مر بك.

ثم بعد ذلك انبرم الصلح بين الدلائى والمترجم على أن ما يتصل بالصحراء إلى جبل بنى عياش يكون للمترجم، وما دون ذلك إلى ناحية الغرب للدلائى، ثم استثنى أهل الدلاء خمسة مواضع أُخر كانت فى ولاية المترجم أضافوها لولايتهم، وشرطوا على المترجم أن لا يحرك لهم ساكنا فيها.

وبعد ذلك رجع أهل الدلاء فى جموعهم، ثم اطلع المترجم على ما أوجب الفتك ببعض الأماكن المستثناه فحكم السيف فيها.

ولما اتصل الخبر بأهل الدلاء كشروا عن أنيابهم(١) وجمعوا جموعهم وساروا إلى سجلماسة مصممين على اجتثاث المترجم وشيعته، وكتبوا له متهددين عليه ورموه بالغدر، وقالوا: إنه ناكث، ومقسم حانث، وأغلظوا القول وبَالَغُوا فى الفحش، فأجابهم برسالة يقول فى آخرها: وحتى الآن إن رغبتم فى الخير فهو مطلبى. ومغناطيس طبى وإن عشقتم الغير فجوابى لكم قول المتنبى:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا   ولا رسل إلا الخميس العرمرم

---

(١) فى المطبوع: «نيابهم».

ولما انتشـر صيت المترجم فى الآفاق، وتـكاثفت جنوده استقدمـه أهل فاس وغـيرهم مـن أهل الغرب وواعـدوه النصـرة والإمـداد بالعدة والـعدد، إذ كـانوا يتمرضون فى طاعة محمد الحـاج الدلائى الذى استولى عليهم بعد الإمام أبى عبد الله محمد العياشى المذكور آنفا، فلبى دعوتهم وسار إليهم مسرعا.

ولما بلغ بلاد الحياينة خرج أهل فاس لاستقباله وساروا إلى أن لحقوا به وأتوا به إلى فاس العليا منسلخ جمادى الثانية عـام تسعة وخمسين وألف، فألقى القبض على خليـفة الدلائى بهـا إذ ذاك وهو أبو بكر التاملى السـوسى وأودعه السـجن، وذلك ليلة الجمعة مهل رجب السنة.

وفى سابع رجب المذكـور بايعه أهل البلدين المدينة البـيضاء وفـاس القديم، ولم يزل مقـيما بها إلى أن وقـعت بينه وبين أهل الدلاء المقتلة العظيمـة على ظهر الرمكة بظاهر فاس يوم الثلاثاء عـاشر شعبان سنة تسع وخـمسين وألف، انكشف سحـاب تلك الملحمـة عن هزيمة المترجم فـدخل لفاس وبقى مـدة يدبر الأمور. وينتظر ما يأتى به المساء والبكور.

ولما طال عليه الأمد بفاس الجديد وضعف جـيشه وثار عليه أهل فاس أواخر شعبـان سنة ستين وألف، انقلب راجعا لـوطنه سجلماسة فى ثانى عشـر رمضان العام، وكانت مدة إقامته بفاس أربعة عشر شهرا وأياما قلائل.

وفى الثـالث والعشريـن من ربيع الأول عام واحـد وستين وألـف قام أهل المغرب بدعوة مـحمد الحاج الدلائى وبايعه أهل فـاس، وكتبوا له البيـعة فى مهل ربيع الثانى من العـام، وبسبب ذلك تم استـيلاء الدلائيين على فـاس وعادت لهم الدولة فيها بعد خروج صاحب الترجمة منها بستة أشهر، وولى محمد الحاج ولده أحمـد أميراً على فاس، ولـم يزل على إمرته بها إلى أن لقى ربه فى عـشرين من

ربيع الأول سنة أربع وستيــن وألف، ثم خلفه أخوه محمــد فى الإمرة ومات سنة سبعين وألف.

ثم إن المترجم ولى وجهــه شطر تمهيد عمائر الصحــراء وبلاد الشرق، فصار يتقصى تلك القــرى والمداشر إلى أن بلغ آنكاد، فبايعه عــرب الأحلاف وسار بهم إلى بنى يزناسن، وكانوا يومئذ فى إِيالة الترك، فحاربهم واستولى لأعراب على ما كان بيــن أيديهم من الماشيــة، وسار إلى وجدة وكــان أهلها إذ ذاك على حــزبين، حزب قــائم بدعوة الأتراك، وحــزب خارج عنهــا، فانضم الخــارجون عن الأتراك للمترجم وشردوا شيعة الترك عن البلد، فصفت له وجدة.

ثم غزا أعمالها إلى أن دخل أهلها فى طاعته، ثم توجه لناحية ندرومة فشن الغارة على مــضغرة وكديمة ومــا إلى ذلك ثم آب إلى وجدة، فأقام بــها مدة، ثم توجه إلى تلمسان وأغــار على سرحها وسرح القرى المجاورة لها، فــبرز إليه أهلها بعسكر الترك الذى كــان بالقصبة فأوقع بهم وقعة شــنعاء ورجع إلى وجدة، وأقام بها إلى أن انصرم زمن الشتاء.

ثم نهض منهــا وسار على طريق الصــحراء فــأغار على الجــعافرة وانــتهب أموالهم، وهنالك قدم عليــه شيخ حميان محــمود من بنى يزيد فى قبيلته مــبايعا، وقدمت عليه دخيسة كذلك وقدمت إليه بــيعتها وأغرته على الأغواط وعين ماضى وما والــى ذلك، فاســتولى على تلك القــرى ونهب أموالــها وفــرت أمامــه عرب الحارث وسويد وحصين من بنى مالك بن زغبة، فنزلوا يجبل راشد متحصنين به.

فرجــع عنهم واضطربت أحوال المغــرب الأوسط وامتــدت عيــون أهله إلى الانقضاض على الأتراك وأخذ (باى) معــسكر يخندق على نفسه وطير الإعلام إلى صاحب الجــزائر بما لحق رعاياهم من صــاحب الترجمــة، فأخرج صــاحب الجزائر عساكره وهيأ مدافعه واستعد للحــرب والمقاومة، وقدم نائبه بالعساكر إلى تلمسان،

فلما سمع بذلك المترجم رجع إلى وجدة وفرق العرب الذين كانوا مجتمعين وواعدهم لفصل الربيع القابل، ثم قفل إلى سجلماسة بعد ما شب نيران الحرب فى الإيالة التركية ونسفها نسفا وضرب أولها بآخرها.

ولما وصل عسكر الترك إلى تلمسان واتصل بهم رجوع المترجم لتافيلالت سقط فى أيديهم، وقد أحسوا بانحراف قلوب الرعية عنهم حتى أهل تلمسان، وتيقنوا بأنهم قد شوركوا فى بلادهم وزوحموا فى سلطانهم، فرجعوا إلى الجزائر وأخبروا عثمان باشا بحال الرعية وما نالها، فجمع أهل ديوانه وأرباب مشورته وتفاوضوا فى أمر المترجم وكيفية التخلص من سطوته، فلم يروا أجدى لهم من أن يبعثوا إليه برسالة مع اثنين من أعيان الجزائر وعلمائها، واثنين من كبار الترك ورؤسائهم، لأنهم كانوا لا يتمكنون من حربه لو أرادوا ذلك لأنه يغير ويظفر، وينتهب ثم يصحر، فلا يمكنهم التعلق بأذياله، ولا قطع فراسخه وأمياله.

فبعثوا إليه برسالة من إملاء الكاتب أبى الصون المحجوب الحضرى مع الوفد المشار إليه بتاريخ منتصف رجب عام أربعة وستين وألف، جمع فيها بين اللين والصرامة مضمنها طلب تجنب ساحة تلمسان، وأن لا يزاحمها بجموع رماة ولا فرسان، ليبقى بينه وبينهم الستر المديد على الدوام، ويلغى كلام الوشاة من الأنام.

وقد أورد هذه الرسالة الضعيف فى تاريخه، كما أورد جواب المترجم عنها بنصه وفصه وكذا صاحب الدر المنتخب المستحسن، واقتصر فى الاستقصا على مكتوب صاحب الجزائر وفقرات من الجواب عنه تركنا جلب ذلك اختصارا وأنفه عما فيه من فحش القول.

ولما رجع لصاحب الجزائر رسله ووجد الجواب خاليا عن الفائدة المقصودة، والضالة المنشودة، ردهم فى الحين بدون كتاب، ولما قدموا على المترجم ثانية قالوا له لم يكن لنا علم بما فى الكتاب ولو اكتفينا به ما رجعنا إليك، نحن جئناك

لنعمل معنا شــرع جدك، وتقف عند حدك، وبالغوا فى وعظه واسـتعطافه إلى أن أخذتــه قشعــريرة وعلاه سـلطان الحق فأذعن له، وقــال: والله ما أوقــعنا فى هذا المحظور إلا شيــاطين العرب انتصــروا بنا على أعدائهم وأوقعــونا فى معصــية الله وأبلغناهم غــرضهم، فــلا حول ولا قــوة إلا بالله، وإنى أعاهد الله تعــالى أن لا أتعرض بعــد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعــيتكم بسوء، وإنى أعطيكم ذمــة الله وذمة رسوله لا قطعت وادى تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضى الله ورسوله، وكتب لهم بذلك عهداً إلى صاحب الجزائر.

وفى أواخر عــام أربعة وســبعين وألــف على ما فى تاريخ الضــعيف والدر المنتخب، نهض المترجم من تافلالت لتازا يترقب لفتح الغرب فأكل زرع أهل فاس والحياينة وانتــسفه وأفسده، والذى فى الاســتقصا أن ذلك كان عام ثلاثة وســبعين وألف، ولعل نهبــه لزرع أهل فاس والحيــاينة كان سببــه خيانتــهم فى نصرته وقت كينونته بين أظهرهم ومحاربة أهل الدلاء له.

ووقعت إثر ذلك مــجاعة عظيمــة أكل الناس فيهــا الجيف والدواب والآدمى وخلت الدور، وعطلت المساجــد. قال الضعيف: كان عــدد من دفن من الأموات من المارستــان فقط أربعة وثمــانون ألفا فيمــا قيل، دون من دفن من غيــره، قال: وكان يعد بحــومة الدوح ستمائة رجل فلم يبــق منهم إلا ثلاثون، وخرج من فاس جماعة من الأعيان إلى زاوية أهل الدلاء يستغيثون بأهلها من المترجم.

وفى يوم خميس من صــفر العام، خرج المولى محمــد بن عبد الله بن على ابن طاهر فى أهل فاس والحــياينة منصــوراً لقتال المتــرجم، ورجع فى يوم الثلاثاء القريب منه هـ.

وحكى فى الاستقصا ما اقتصر عليــه الضعيف من القول بنصر المولى محمد ابن عبد الله وخروجــه لقتال ابن عمه صاحب الترجمة بقــيل وصدر بقوله: وكان

الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن على بن طاهر الحسنى قد قدم فاسا بقصد أن يبايعه أهلها فلم يجيبوه، اهـ، والله أعلم أى ذلك كان.

وفى صفر العام نزل محمد الحاج الدلائى بأزروا، فخرج إليه أعيان أهل فاس وقاضيها، فقصوا عليه ما فعل المترجم بزرعهم وزرع الحياينة، وقد كان المترجم رجع لبلده، وفى أول ربيع من العام رجع أهل فاس إلى بلدهم وبقى الدلائى بأزروا، إلى أن دخل فصل الشتاء، ورجع الدلائى لزاويته ولم يخرج منها بعد، إلى أن أخرجه الرشيد أخ المترجم لتلمسان قهرا حسبما أفاده الضعيف.

وفى العام نفسه نهض المترجم من تافلالت وسار إلى أن نزل قرب تلمسان وذلك لما بلغه استيلاء أخيه الرشيد على تلك الناحية وما والاها، ثم زحف إليهم مع خديمه القائد أحمد أعراص، ولما التقى الجمعان كانت النصرة للمترجم على أهل سمسان فهدم قصبتهم، وفر أخوه الرشيد لحوز بنى يزناسن قرب دار ابن مشعل، ورجع المترجم لبلده ثم اتصل به أن أخاه المذكور كثرت عليه الجموع. وأن أمره فيهم نافذ ومسموع، فزحف إليه ثانية والتقى الجمعان بقرب سيدى بوهدبة فأضرمت بينهما نيران الحرب التى لم تنطفئ إلا بموت المترجم رحمه الله.

تنبيه وإيقاظ: اعلم أولا أن حكم الخلافة والإمامة [وهى أى الإمامة خلافة الرسول فى إقامة الدين وحفظ حوز الملة] هو الوجوب بدليل السمع بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء ٥٩] أمر سبحانه فى هذه الآية - والأمر للوجوب - بطاعة أولى الأمر منا، وهم المتأمرون علينا ولا يجب ذلك للأمة على الله تبارك وتعالى عقلا ولا بالعقل مع السمع خلافا لمن زعم ذلك من أهل الابتداع، كما أن القول بجواز ذلك فقط ساقط لما ذكرناه من دليل الوجوب، ثم هذا الوجوب هو كفائى فقط لأنه إذا قام به من هو أهل له سقط عمن عداه من الأمة، وإلا وقع فى الحرج

فريقان من الناس، أحدهما أهل الاختيار والحل والعقد حتى يختاروا للناس إماما، الثانى أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم.

وشروط الفـريق الأول العدالة المـانعة من تعمـد خلاف مـا يجب، والعلم الموصل لمن يصلح للانتـخاب، وسـداد الرأى المؤدى لاختـيار من هو أهـل، فإن وجدت هذه الشـروط فلا يرجح فيهـا أهل بلد الإمام الذى كان قبل إلا من جـهة كونهم أسبق علما بموت الأمير قبل، ومـن جهة كون الغالب أن من يصلح للإمامة يوجد بين أظهرهم.

وشروط الفـريق الثانى الاجتـهاد العلمى أصلا وفـرعا، والشجاعـة وسداد الرأى، هذا مذهب الجمهـور وغيرهم، لا يشترط هذه الثلاثة لأنهـا لا تكاد تجتمع فى شخص، وإنما المتأكد أن يكون عدلا، فإن كـان غير عدل لم يجز الإقدام على نصبـه للإمامة اخـتيـارا، فإن وقع ونزل فظاهر النصوص أنهـا تفوت بعـقدها ولا تنقض لما فى النقض من المفـاسد، وإذا كان هذا فـيمن انعقـدت ولايته مع فسـقه فكيف بمن طرأ فسقه بعدها.

وأما إذا كانت ولاية من ولى بالتـغلب وعظم الشوكة فإنه لا تجـوز منازعته ارتكابا لأخف الضررين، ولا يشترط فيه حينئذ شرط، على ذلك حمل ابن العربى حديث وأن لا تنازع الأمـر أهله قائلا: المراد بأهله من ملكه لا من استـحقه، لأن وجود الأمر فيمن يملكه أكـثر منه فيمن يستحقه والطاعة واجـبة فى الجميع ما لم يأمر بمعصية، وإلا فلا طاعة له.

ومن شروط الإمامة: أن يكون عاقلا ليصلح للتـصرفات، بالغا لقصور عقل غيره، ذكراً لكون النساء ناقصات العقل والدين، حرا لئلا تشغله خدمة السيد ولئلا يحتقر فـيعصى، وزاد أهل السنة ومن وافقهم من المعتزلة أن يكون قـرشيا لحديث الأئمة من قريش، ولرجوع الأنصار له واتفاق الصحابة على العمل به يوم السقيفة

لما احتج به عليهم أبو بكر، وبذلك صار إجماعا قاطعا ولا حجة للمخالف في حديث السمع والطاعة ولو للعبد الحبشى لتعين تأويله إما بحمله على أن المأمور بالسمع والطاعة له فيه إنما هو نائب عن الإمام فى بعض الجهات، أو فى بعض الأمور، وإما بحمله على المبالغة والفرض والتقدير دون الوقوع، وإما بحمله على حالة التغلب بالقوة وعظم الشوكة لما تقدم من أنه فى تلك الحالة تسقط الشروط.

أما فى غير ذلك فالأمة مجمعة على عدم جواز نصب العبد إماما اختياريا، ولابد من اعتبار شرطين آخرين نبه عليهما الماوردى وغيره، وهما أن يكون سميعا بصيرا، وأن يكون سليم الأعضاء بحيث يتأتى له قوة الحركة وسرعة النهوض، ولا يشترط مع ذلك أن يكون هاشميا خلافا للشيعة، ولا كونه عالما بالفعل بسائر مسائل الدين أصلا وفرعا خلافا للإمامية، ولا ظهور الكرامة على يده خلافا للغلاة، ولا كونه معصوما خلافا للإسماعيلية والإمامية، ودليل عدم اشتراط هذه الأربعة ما تقدم من الإجماع القطعى على بيعة أبى بكر مع كون هذه الشروط ليست ثابتة فيه.

ثم اعلم ثانيا أن الإمام المنصوب، إن تمشت إمامته على المطلوب فيها من حفظ المصالح الدينية والدنيوية فلا إشكال أن طاعته تستمر، وإن خالف ذلك وظهر الخلل فإن كان مع بقاء انتظام أحوال المسلمين، وعدم انتكاس أمور الدين، وإنما الخلل الظاهر منه فى غير ذلك، فهذا يجب الصبر على ما ظهر منه ولا يجوز خلعه عند جمهور أهل السنة ما لم يفض تهوره إلى ترك إقامة الصلاة وتغيير الشرع والارتداد عن الملة، وإلا فالإجماع كما فى الإكمال لعياض على قتاله ومحله إذا تخيلت الأمة النصرة عليه، فإن تحققت عدمها سقط عنها وجوب قتاله ووجب عليها الهجرة من بلاده.

وأما إن كان اختلاله راجعا إلى اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين، فإن ذلك يسوغ للأمة خلعه لأنه كما كان لهم نصبه لانتظام ذلك وإعلائه كذلك يكون لهم خلعه إذا ظهر منه ضد ما نصب له، نعم إن أدى خلعه إلى الفتنة فإنه يجب والحالة هذه درء أعظم المفسدتين، ثم فى الحالة التى قلنا إنه يجب الصبر ولا يجوز الخروج عليه إن فرضنا أنه وقع ونزل وقام عليه من هو موصوف بالعدالة وجبت نصرة العدل، حتى يظهر دين الله، هذه زبدة ما طول به أئمتنا فى هذا الموضوع.

إذا تمهد ذلك فاعلم أن صاحب الترجمة لما رأى ظهور العجز والهرم فى الدولة السعدية وعدم انتظام الأمور وكثرة وقوع الخلل فى أحوال الرعية والترامى على الخلافة ممن ليس من أهل منصبها ولا ينتظم به أمرها، وقويت أطماع المجاورين للإيالة المغربية من الأوربيين، وكثر الهرج والمرج، وفسدت السابلة وعدم الأمن فيها، وتعذر على السعديين رتق ما انفتق[1] بقيام عبد الكريم بن أبى بكر الشبانى المعروف بكروم الحاج، وأبى عبد الله محمد بن أحمد المالكى الزياتى الشهير بالعياشى صاحب المواقف الشهيرة فى الإسلام المتوفى شهيداً بعين القصب من بلاد الخلط تاسع عشر المحرم عام إحدى وخمسين وألف، والدلائيين برابرة مجاط وبودميعة المذكور آنفا، وصنوه أبى حسون كما ذلك مبسوط فى غير ما ديوان مطبوع.

وقد أومأنا فيما مر لشذرات من ذلك على سبيل الإيجاز وكان من قاتل تحت راية عمية[2] يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل، فقتلة

(١) فى المطبوع: «انتفق» والفتق: الخلاف بين الجماعة وتصدع الكلمة.

(٢) فى هامش المطبوع: «بالكسر والضم مشددتى الميم والياء من العمى الضلالة كالقتال فى العصبية والأهواء».

جاهلية كما ورد عن المعصوم عليه صلوات الله وسلامه فيما أخرجه مسلم والنسائى عن أبى هريرة.

وأنس المترجم من نفسه الكفاءة للقيام بأعباء الخلافة وحسم مادة الشقاق وتنازع المسلمين بقمع البغاة المعتدين كما آنسه الناس فيه لما تقدم ومن وصفهم له مع ما جمعه الله فيه من شرف المحتد وأصالة الرأى وكرم النفس زيادة على ما سبق لسلفه، من الجلوس على عرش الملك، كما أحكمه التاريخ من أن جده الأعلى الأخص بفرعه النفس الزكية، كان ممن تربع ذلك العرش بالاستحقاق، ثم عرضت الخلافة على جده الأوسط المولى على الشريف من أهل الحل والعقد فامتنع من قبولها، وبهذه الصفة الشرعية انتصب المترجم لإحياء ذلك الموات، وطالب ملك أبيه لا يرمى بالافتيات، ولا سيما بعد تحققه وتحقق أهل بلاده السابقين لمبايعته أنه الكفء الفذ لذلك المنصب السامى، غير أنه حيث كان الموجب الأولى لانتصابه هو ظهور الاختلال وانتشار الغاصبين للمنصب فى أركان الإيالة وزواياها، لم يجد بدا من تقديم الأهم الذى هو جمع الكلمة والسعى حول محو التشويش والإفساد، فلذلك انصرفت أيام ولايته وإن طالت كلها فى تمهيد هذا المقصد فأنفق فيه مبلغ جهده، وإن عاقته الأقدار عن الوصول فيه لحده، ولعله لذلك لما رأى معزره فى مقصده أخوه المولى الرشيد أن أخاه لم يبلغ من هذا المقصد النفيس الذى انتصب ونصب له ما يريد ويراد منه تصدى أواخر دولة أخيه فى أطراف البلاد لجمع الكلمة، فكان من عادته فتقدم تمهيده فى ولاية أخيه.

والمولى الرشيد وإن قصرت مدته لم ينتقل لدار الكرامة حتى جمع الكلمة فى جميع أقطار المغرب، فكان أخوه المترجم هو المؤسس والمقتحم لتسوية عقبات الانتظام، وصنوه الرشيد هو الذى أكمل الله على يده للأمة أمر تسوية مصالح دينها ودنياها بعد أن فاز أولهما وهو المترجم برتبة الشهادة حيث قتل فى حالة الدفاع عن الإمامة المنعقدة له.

وفاته: توفى رحمــه الله شهيدا يوم الجـمعة الثامن وقيــل التاسع من المحرم سمنة خمس وسبعين وألف برصاصة أصابته كان فيها حتفه رحمه الله، ودفن بدار ابن مشــعل، وقيل حــمل لتافــيلالت ودفن بها قــرب قبــر والده وقد رمــز لوفاته صاحب الدر السنى بقوله:

وإن الشريف بن الشريف محمدا (لشهم) الملوك الضاربين بأنصل

ولما وقف أخوه الرشيد على جـثته ضمها إليه وأخــذ يبكى ويقول: ما قتلك إلا السراح. وهو رحمه الله أكبر بنى أبيه.

١٧٧ - محــمد المدعــو الكبير أبو عــبد الله بن السلطان الأعظــم أبى النصر إسماعيل. المعروف بولد عريبة.

أمه عريبة من الشاوية، وإليها ينسب وبها يعرف.

حاله: جواد كريم عقيم التدبير شديد البطش والانتقام، غير متوقف فى قتل الأنفس، ولا متأن ولا متثبت فى الأمور، ولا متأمل فى العواقب.

اتفق سالم الدكالى ولفيف من شيعته عبيد البخارى ومن انضم إليه من أهل فاس ونواحيه على خلع السلطان عبد الله ومبايعة صنوه صاحب الترجمة فى عاشر جمادى الثانية، على ما فى تاريخ الضعيف، والذى صححه صاحب الدر المنتخب أنها جمادى الأولى لا الثانية من عام تسعة وأربعين ومائة وألف، وهو يومئذ بمقره بسجلمــاسة، ولما اتصل به ذلك الخبــر وكان اعتقــاده أن سالما المذكور مــجمع رأى العبــيد المرجــوع إليه فى مــهمــاتهم نافذ الكلــمة فيــهم مطاع الأوامر، خــرج من تافيلالت يطوى المراحل ويواصل المسير إلى أن وصل لصفرو، ولما حل به ورأى أن بيعــة المولى عبــد الله لا زالت بأعناق الناس، صار يقــرع سن الندم أخمــاسا فى أسداس، ثم بدا له الدخول لفاس مختفيا، فقصد دار معتقده أبى زيد عبد الرحمن الشامى الذى كان يعده ويمنيه بالملك على طريق الكشف.

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرى جمادى المذكورة أتاه أهل فاس لدار الشامى المذكور وفى طليعتهم أبو الخير قاسم بن رحمون المعتقد المشهور وبايعوه سرا، ومن الغد الذى هو يوم الأربعاء أعلنوا ببيعته وحضر لكتابتها أهل الحل والعقد من علماء وأشراف وأعيان، وبعد كتبها ووقوع الإشهاد على الخاصة والعامة بقبولها ورضاهم بها، علقت بالضريح الإدريسى، وأعلن نصره فى الأسواق والأزقة العمومية، ثم ركب فرسه وخرج لزيارة صلحاء البلد فبدأ بضريح أبى العلاء إدريس، ثم خرج على باب الفتوح وزار ما هنالك من الأضرحة، ثم توجه للأضرحة التى بخارج باب عجيسة، ثم رجع ونزل بدار بوعلى الكائنة بحومة المعادى من فاس القرويين، وصار الناس يأتون لتقديم مرام التهانى إليه زرافات ووحدانا.

ثم أمر بحيازة جميع ما بدار القاضى أبى الحسن على بوعنان حيث إنه امتنع من الموافقة على بيعته، لأنه لَمْ يَرَ وجهًا لخلع السلطان عبد الله، واحتمى بالضريح الإدريسى، وصمم على عدم التمادى على القضاء بين الناس بعد أن طلبه المترجم بذلك، ونصب للقضاء بدلا عنه ابن إبراهيم بإكراه، ونكّل بكل من تخلف عن بيعته كالعلامة أبى عبد الله محمد البكرى الدلائى، وأبى عيسى المهدى الفاسى، وأبى مدين بن أحمد الفاسى، وأبى العباس أحمد بوعنان. عزل الأول عن الإمامة بالضريح الإدريسى وسجنه وألزمه غرامة مالية وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على بن إبراهيم، والثانى عن الإمامة بمدرسة الطالعة، وولى مكانه أبا الفخر التاودى ابن سودة. والثالث عزله عن إمامة جامع الأندلس وولى مكانه السيد بوعزة بن إدريس المشاط، والرابع عن إمامة جامع باب عجيسة وجعل بدلا عنه أبا عبد الله محمد السلوى، وضيق غاية التضييق على شيعة أخيه السلطان عبد الله بوشاية من شياطين العبيد.

ولما تم له الأمـر بفاس وما والاهـا، كتب أهل فـاس لعبيـد مشـرع الرملة يطلبون منهم الموافقة والدخول معهم فيما دخلوا فيه، فاجتمع أشياع سالم الدكالى وأجمعوا أمرهم علـى المبايعة للمترجم، ولم يكن لغيرهم بُدّ من اتباعـهم فبايعوه ووجهوا إليه بيعتهم مع أعـيانهم لفاس، ولما وردت عليه طلع من فاس القديمة إلى المدينة البيضاء فاس الجديد فى موكب يسر الناظرين تحفّه الودايا.

ثم اقتـفى أثر عبـيد مـشرع الرملة فى مـبايعـة المترجم من كـان بالعاصـمة المكناسية منهم وسائر أهل مكناسة ومن فى حكمهم.

ولما رأى ذلك صنوه السلطـان عبـد الله جـمع ما كـان بدار الملك من مـال ومتمول، وبارح العاصمة، وصحب فى معيته ولده أبا عبد الله محمد وأمه وسائر حرمه، وأطـلق من كان بالسجون من أهل الجـرائم وغيرهم وكسـاهم، وسار إلى الحاجب وقيل إلى جبال فازار، فانضمت إليه برابر تلك الناحية وصارت تغير على سرح مكناسة وسايس وما والاهما.

وفى الخميس الموفى عـشرين من جمادى الثانية المذكورة بـارح المترجم فاسا فى جيوش وافرة منتظمة من العـبيد والودايا وأهل فاس، وبات بوادى النجا، ومن الغد الذى هو يوم الجمـعة دخل مكناسة الزيتون عاصمـة والده وإخوته ومن قبله، ولما استقـر به النوى عزل أبا العز الطالب بوعنان عن قضـاء مكناسة، وولى مكانه العلامة أبا القاسم العميرى، ثم عزله وولى أبا عـبد الله محمد البيجرى، ثم عزله وولى العلامة الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ.

وفى اليوم الخـامس من حلول المترجم مكناسة أتى إليـها صنوه السلطان أبو محمـد بن عبد الله بجموع البـربر الذين آووه وعززوه ونصروه لَيْلاً ونهبـوا جميع أحوازها وباتوا بظاهرها، ولما بزغ حـاجب الشمس وفتح باب الأروى اقتـحموها، وأخذوا ما قدروا عليه من خيل وسلاح وهدوا وأفسدوا وانقلبوا راجعين من حيث أتوا.

ولما علم المترجم وجنده بذلك اقتفوا أثرهم إلى أن أدركوهم ووقعت بين الفريقين ملحمة عظيمة، غير أنه لم يكن لفريق ظهور على الفريق الآخر، ورجع جند المترجم لمكناس، وسار المولى عبد الله بمن معه إلى أن وصل الحاجب، وفرق ما أخذ من مكناس فى البرابر أنصاره.

ثم أتى ابن النوينى قائد عبيد مشرع الرملة من مشرع الرملة فى شرذمة من إخوانه يريد أخذ الثأر من المولى عبد الله وأحزابه، ونزل بعين الكرمة حيث محطة السكة الحديدية الآن بمقربة من زرهون، ولما خيم هنالك أتى إليه المولى عبد الله فى جموعه وشبت نيران الحرب بينهما سبعة أيام، مات فيها قائد العبيد المذكور، ورجع المولى عبد الله لمخيمه بالحاجب، ورشح المترجم على عبيد مشرع الرملة القائد الحوات، وكانت بينه وبين السلطان عبد الله حروب طاحنة كان الظفر فيها للعبيد كما فى نشر المثانى.

واقتفى عبيد مكناس أشياع المترجم المولى عبد الله إلى أن بلغوا عين اللوح فصادفوا أمطارا غزيرة وبردا قارصا ورياحا عاصفة اضطرتهم إلى الرجوع دون نيل مرامهم، وقبض المترجم على عدد من الناس وفرض عليهم الأموال الطائلة، ونهب الدور ولم يترك زرعا ولا ضرعا ولا درهما ولا دينارا.

وكانت هذه السنة سنة شهباء، حصت كل شىء، مات فيها عدد عديد من الآدمى والدواب جوعا، وفى رابع وعشرى أقيمت صلاة الاستسقاء ببوعجول، وكان الخطيب السيد حمدون الشريف الطاهرى نائبا عن القاضى السيد يعيش.

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة أعيدت صلاة الاستقساء بباب الفتوح، وكان الخطيب أبا العباس أحمد الورزازى.

ثم أعيدت الصلاة بباب عجيسة والخطيب السيد حمدون الشريف الطاهرى المذكور.

وأعيدت الصلاة أيضا من الغد بباب الفتوح والخطيب حمدون المذكور.

وفى اليوم الموفى ثلاثين من الشهر أعيدت الصلاة بباب الفتوح والخطيب حمدون المذكور.

وفى مهل ذى الحجة أعيدت الصلاة والخطيب أبو العباس الورزازى.

ومن الغد أعيدت الصلاة بوادى الزيتون والخطيب أبو مدين بن أحمد الفاسى.

ومن الغد أعيدت أيضًا بباب عجيسة والخطيب أبو العباس الورزازى.

وفيه أيضا أعيدت بمصلى باب الفتوح والخطيب الورزازى، ومع هذا كله لم ينزل مطر واختل النظام وشاع الفساد وكثر عيث البرابر فى السبل وقل الإِدام وفقد اللحم وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع وضاق الناس ذرعا.

وفى ذى الحجة منصرم العام طلب العبيد من المترجم راتبهم الشهرى، ولما لم يجد ما يقطع به لسانهم عنه وخاف صولتهم مد يد النهب والسلب فى أمتعة الرعية، وصار يخرج زروع أهل مكناسة من الدور والمخازن، وكل من اتهم بكون الزرع عنده يشدد عليه حتى يأتى بما عنده، وكل من أتى من البادية بشىء من الزرع ينزع من يده قهرا.

ولم يكتف بهذا، بل وجه أخاه لفاس وأمره بأخذ أموال الأشراف جبرا، ومن امتنع منهم يلزم بالخروج للحركة ويسلك مسلك العامة، ونهب دار الشريف أبى حفص عمر الأمرانى بالأقواس، وقيل: إن المترجم توجه بنفسه لفاس بقصد ما ذكر، وألقى القبض على الحاج بوجيدة برادة، وكان ذا مال وأخذ أمواله ثم نقله إلى مكناسة وقتله بها وباع سائر أصوله.

وألقى القبض أيضا على الحاج عبد الخالق عديل، وأخذ جميع أمواله، وأخذ جميع أموال الزوايا ولم يترك بها قليلا ولا كثيرا.

ثم رجع لمكناسة وفعل بأهلها ما فعل بأهل فاس، حتى عدمت الفلوس وتعذر البيع والابتياع.

وفى التاسع عشر من ذى الحجة المذكور كان قتال بسايس بين أتباع المترجم وصنوه السلطان عبد الله، وكان الذى يرأس جيش المترجم القائد العباس بورمانة، واشتد القتال وكثر الطعان، ودام ذلك نحو أربع ساعات، ثم انجلى عن هزيمة بورمانة وحزبه وتركهم أشلاء موتاهم مبعثرة على الهضاب والرُّبى، واستيلاء شيعة السلطان عبد الله على الأثقال والمقومات، ولولا حيلولة الظلام بين الفريقين لاستأصل السيف بورمانة ومن انضم إليه، ولكن لما أرخى الظلام ستوره نجت البقية الباقية بنفسها حافية عارية، وقصد فريق منها ناحية فاس وفريق يمم العاصمة المكناسية إذ قد كان المترجم يومئذ بها.

ولم تزل نيران الفتن فى توقد واشتعال. وأحوال الرعية فى اختلال، وضعف وانحلال، وعم جميع المغرب الغلاء، وعظم البلاء، وأكل القوى الضعيف، وانتكس المشروف والشريف، وصارت أموال الناس غنيمة باردة للصوص والبغاة، وفشت المناكر، وتعذر الأمن فى السابلة، وارتفعت الأسعار فى سائر الأمصار. ولا سيما فى عاصمتى مكناس وفاس، وزادتا على غيرهما بالمضايقة والحصار.

واستولى على مكناسة الخراب والدمار، وتوالت الهزائم على عساكرها وضعف الجند وكثرت الثوار، منهم الباشا الحوات ثار واستولى على عبيد مشرع الرملة وبنى مالك والطليق وما والى ذلك من القبائل وثار الباشا أحمد الريفى واستولى على الفحص وبلاد غمارة وما والاهما من العمائر والقرى والثغور

كالقصر الكبير وطنجة وسائر القبائل الريفية وكارت وجبالها وقلوعها إلى ناحية اكرسيف وما حول ذلك.

واستولى القائد الكلعى على بنى يازغة وما حولها.

واستولى السلطان عبد الله على مراكش والسوس والصحراء.

واستولى القائد الكعيدى على بنى يازغة، واشتعلت نيران الفتن فى البلاد. وعم الفساد حاضرها والباد.

وفى فاتح صفر عام خمسين ومائة وألف نهض صاحب الترجمة فى عساكره ونزل بدار ابن خولة، وأفسد ونهب وأهلك الزرع والضرع.

وفى ثامن الشهر نزل على صفرو.

وفى العاشر منه أوقع بأهل زدغة وحكم فيهم السيف وقطع الرءوس ووجه بها للعاصمة المكناسية لتعلق على الجدران والأبراج.

وفى سادس عشرى الشهر خيمت عساكره بجبل آيت عياش من جبال البربر، ووقعت هنالك مقتلة عظيمة بين المترجم وصنوه السلطان عبد الله كانت الكرة فيها على صاحب الترجمة، ورجع على أعقابه منهزما إلى العاصمة المكناسية.

وفى فاتح ربيع الأول فرت زرارة والشبانات وأولاد جرار لناحية بلادهم، ونهبوا وسلبوا كل من وجدوه فى طريقهم.

وفى خامس جمادى الأولى هربت المغافرة والودايا من محالهم بسايس وما والاها، ومدّوا يد العداء فى كل من لاقوه فى طريقهم.

وفى الشهر نفسه ألقى العبيد القبض على صنو المترجم المولى المهتدى برباط الفتح، حيث شموا منه رائحة التشوف للوثوب على الملك، وأتوا به للمترجم

لعاصمة ملكه مكناس، فاعتقله ولم يزل فى اعتقاله إلى أن خلع المترجم وبويع للمستضىء فيما يأتى.

وفيه أيضا وجه المترجم ولده عبد الكريم أميراً على الرباط، فأقام على إمرته ستة وعشرين يوما، ثم عزله الحوات فانقلب راجعا لمكناس.

وفى رجب بلغ ثمن الوسق من الزرع ثمانين مثقالا، والشعير والذرة ما يقرب من ذلك، وبلغت الزيت خمسة وعشرين مثقالا للقنطار، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل بلغ القمح مائة مثقال، واستولى البخس على سائر الأشياء ما عدا ما يقتات به، وتفاحش الوباء حتى عجز الناس عن دفن موتاهم فلا يمر المار بزقاق من الأزقة إلا على صرعى الجثث، وبقيت الديار بلاقع لم يوجد من يعمرها.

وفى ذى الحجة الحرام أغاث الله بالمطر العباد، وسكنت روعة البلاد، فرخصت الأسعار إلى أن بلغ وسق الزرع ثلاثين أوقية بعد أن كان يساوى مائة مثقال.

وفى صفر العام نهض الباشا الحوات من الرمل وزحف لبنى حسن فى جنود لا قبل لهم بها، فأوقع بهم وقعة شنعاء لما كان عليه من العتو والتمرد والعيث فى الطرقات.

وفى صبيحة يوم الأربعاء تاسع وعشرى صفر المذكور أعلن الحوات بخلع صاحب الترجمة، وألقى القبض عليه وأوثقه بالحديد واعتقله بالقصبة من العاصمة المكناسية، وبويع لصنوه المستضىء بنور الله كما سنفصله فى ترجمته بعد بحول الله، ولم يزل المترجم فى عقاله إلى أن سرحه صنوه المستضىء المذكور ثالث ربيع الأول من العام، ووجه به مع أولاده إلى بلاده تافيلالت، ولما وصل القصابى أقام بها مدة، ثم نهض لتافيلالت، وكان ذلك آخر العهد به.

وكانت دولته عاما وسبعة أشــهر وعشرين يوما كلها كسنى يوسف، تجرعت الأمة المغربية فـيها من الغصص والمحن والبلايا كئوسا دهاقـا، وكان مضروبا على يده ليس له من السلطنة إلا الاسم، وولاة أمـره من لاعبيـد الذين قوضـوا أركان الدولة هم المستبدون بالإبرام والنقض والتصرف المطلق.

١٧٨ - محـمد بـن عبد الـله بن إسمـاعيل المالكى مـذهبا الحنبلـى اعتـقادا حسـبما وصف بذلك نفـسه فى مؤلـفاته - وسيـأتى بيان معناه - أمـير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين سلاطين المغرب الأقصى.

مولده وشيوخه وحجته:

كانت ولادته بعاصـمة جده أبى الأملاك مكناسـة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومائة وألف. وأمه كما قـال الضعيف حرة. ومن شيوخه أبو محـمد عبد الله بن إدريس المنجرة والشرادى وحج قبل البلوغ مع جدته السيد خناثة المغفرية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف.

صفته وحاله:

قال عصريه الضـعيف: «أسمر اللون، تام القد، أقنى الأنف للتـمام، شعر لحيته عـريض، واسع المنكبين، شثن الكفين، سميح الوجـه، كريم اللقى، شديد الصفح، حسن العفو، فصيحا بليغا، أديبا حليما، متواضعا شفيقا، كريما جوادا، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الأحكام» اهـ لفظه.

وقال نجله أبو مـحمد عـبد السلام فى كـتابه «اقـتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار»: وهو - يعنى والده المتـرجم - فى العلم لا يقعقع لـه بسنان ولا يجارى فى ذلك بعنان.

---

١٧٨ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٧/ ٢٤٤٣.



خط السلطان سيدى محمد بن عبد الله وقد أكلت الأرضة (له) من (كان الله له)



وقال صاحب نشر المثانى فى حـقه: «وهو نصره الله وأيده فى العلم بحر لا يجارى. وفى التـحقـيق والمعارف لا يمـارى. وقد جمع من دراية العلـم ما تقف العلماء دونـه، وتود زواهر الأفق أن تكونه، فكملت بذلك منة الله على العـباد، وأحيا به الله الدين فى كل الأرض والبلاد، مع فرط الكرم والجود، الذى ورثه من أصله الطاهر عن آبائه والجدود» وقال: «فهـو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين» هـ.

وقال الزيانى: «عـالى الهمة يحب الفخـر ويركب سنامه يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، يضع المسائل فى محلها، ويعرف مناصب الرجال ويؤدى حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعى لأهل السوابق سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه فى الصحة والمرض، ولا يغفل عمن عرفه قـبل الملك، متواضع شاكر لنعم الله عليه، كلما ورد عليه فتـح أو خبر يسر المسلمين سجد شكرا لـله فى وسط مشورة، إمام الخاصة والعامـة، ينتخب الرجال ويعدهم ليوم ما، وينـادى كل واحد باسمه وقت اللقاء، ويوجه كل بطل منهم مع قـبيلة وكتيبة من كتائـب العسكر، ويعمل بعمل أهل السـياسة فى الحـروب، وكان ينشـد كثـيرا إذا وجـه أحداً ممن يعـرف نجدته وشجاعته:

والناس ألف منهم كواحد　　　　وواحد كالألف إن أمر عنا»

وقال فى حقـه أبو محمد عبـد السلام بن الخياط القادرى مـا نصه: «الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة مجدداً لها دينها كما ورد ذلك مرفوعا».

وقال: «كان إماما من علماء الإسلام، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب».

وقال: «وبالجملة فقد نظر فى المصالح وقام بها قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره غير الخلفاء الراشدين».

وفى الجيش وغـيره أنه كان يتـخلق كثيـراً بأخلاق المنصور الذهبى السـعدى ويعجبه حاله وأخبـاره، يتحلى بسيرته ويستحسنها ويتتبـعها أكلا ولباسا، وترتيب دولة وضبط أوقات، فكانت أوقاته لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها، وعوائده مقررة لا تختلف، تـأسى به فى مشوره وسـائر حركـاته وسكناته، ويصرح بأنه أسـتاذه وقدوته فى شأنه كله هـ.

وقال الزيانى فى الترجمان المعرب لما ذكـر خروجه لزيارة صلحاء أغمات فى فصل الربيع: وكانت حركـة نزهة وراحة وصيد أقام بها نحـو الشهرين يتقلب فى تلك البسـائط، وينزل فى منازل المنصور رحمه الله، ويقـول: هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا».

ثم ذكر أنه لما نزل تحت أغمـات أتاه قاضيه بكبش وعسل، فوجـهه لقاضى العسكر عبـد الرحمن بن الكامل وأمره أن ينزل عند القاضى بكبـشه وعسله، ولما ارتحل ونزل على وادى نفـيس وجه لقاضى العـسكر وللكتاب، وكـان معـه جملة وافـرة من أهل الأدب والبلاغـة والإنشاء فلمـا أتوه قـال للقاضى عـبد الرحـمن يداعبه: بم جزيت القـاضى على كبشه وعسله؟ فتـعلثم وخجل فلما رأى منه ذلك قال له: لو جزيته بأبيات شعرية لخرجت من العهدة ولهذا وجهت لكم فقد سهرت ليلتى فى أمـرى وأمركم، وهجوت نفـسى وهجوتكم، لأنه لم يبق فـى وقتنا هذا أمير ولا وزير ولا كـاتب ولا حاجب، فقد وقع مثل هذا فـى دولة السلطان أحمد المنصور فى زيارة أغمات على كبش وعسل، وأمـر الكاتب محمد بن المبارك بسرد ما وقع للمـنصور من مناهل الصـفا للفشـتالى ومـا تنافس فيه الكتـاب من النظم والنثر.

وفى الاستقصـا: أنه هو الذى جدد هذه الدولة الإسماعيلية بعـد تلاشيها. وأحياها بعد خمود جـمرتها وتمزق حواشيها، بحسن سيرته، ويمن نقـيبته، رحمه الله تعالى ورضى عنه».

وفى سلوة الأنفاس: أنه كان عـلامة دراكة فاضلا، محدثا تاريخـيا كاملا، محبا للعلماء، مجالسا للفقهاء، إلى أن قال: وكان من أعظم الملوك مهابة وفخرا، وأشدهم نكاية لـلعدو الكافر برا وبحـرا، تطيعه ملـوك بنى الأصفر، وتمتـثل أمره وتخضع له رقاب الأكاسرة وتجل ذكره.

وهو الذى أعاد للدولة شبابها، وهيأ للحيـاة أسبابها، ونهج لها نهجا جديدا وأسس لها بعد جده الأعظم أبى النصر إسماعـيل ركنا شديدا، ونشر بين الخافقين مجدها، بعد ما كسر من شوكة العبيد حدها.

خلافته بمراكش:

واستـخلفه أبوه بمراكش سنة ١١٥٩ وهـو ابن خمس وعشـرين سنة، فنزل قصبتهـا وليس بها يومئذ إلا آثار السعديين والموحدين الخراب، فضـرب خيامه بها وشرع فى حفر أسـاس داره بها، وكان سفهاء الرحامنة وشـرارهم قد ألفوا العيث والفساد فى أطراف المدينة، وكانوا يجتمعون بتلك القصبة.

فلمـا رأوا منه ذلك منعـوه من البناء وأخـرجوه عنـها، فـتـوجه لآسـفى، فاعترضته قبائل عبدة وأحمر وأكـرموه واحتلفوا بأمره، وصحبوه إلى أن نزل قصبة آسفى فـفرح به أهلهـا، ورفعوا إليـه هداياهم، وأهدى له كذلك تجـار النصارى، وأهل الذمة من اليهود وتنافسوا فى ذلك.

وسرح للتجار وسق السلع من المرسى فوفدت إليه المراكب بأنواع سلعها من أوربا، وقصدها التجار من كل جهـة، وطار صيت الخليفة فى بلاد الحوز، ودخل فى طاعته الشياظمة وحاحة وتسابقوا إلـى خدمته، فلم تمض عليه ستة أشهر حتى كان يركب فى نحو الألف.

وقدم عليه أخـوه الأكبر المولى أحمـد خليفة الرباط لما أخرجه أهـلها منها، فنزل على أخيه المترجم، ولما سمع الرحامنة بما صـار إليه أمر الخليفة ندموا على ما

فرط منهم، وتوجه أعيانهم بالهدايا إليه بآسفى فاعتذروا إليه، وتنصلوا ونسبوا ما صدر منهم فى حقه إلى السفهاء، وأقسموا ألا يبرحوا أبوابه إلا معه ولو أقاموا سنة، فلم تسعه إلا إجابتهم فتوجه معهم لمراكش فى فرسان عبدة وأحمر زيادة على أصحابه وحاشيته، فلما وصلها نزل قصبتها، وقدم له أهل مراكش هداياهم، وكذا قبائل الحوز ووفود الدير وسوس، ونافست الرحامنة عبدة فى خدمته.

وقصده عبيد دكالة الذين كانوا بسلا، وتسلل إليه عبيد مكناسة فرادى وأزواجا، فاستعملهم فى بناء داره الكبرى بالقصبة إلى أن أكملها وسكنها، وشرع فى غيرها.

وفى سنة ١١٦٢ بايعه عبيد مكناسة وخطبوا به بمكناسة وزرهون، وبعثوا له إلى مراكش مع جماعة من أعيانهم، فرد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه فى حق والده إذ كان بارًّا به ساعيا فى مرضاته، وبعث إليه بهدية تقدر بثلاثين ألف مثقال.

ورجع وفد العبيد خائبا، ومع ذلك استمروا على الخطبة به.

وفى أواخر جمادى الأولى من سنة ١١٦٣ توجه المترجم الخليفة من مراكش إلى مكناس، فوجد العبيد لا يزالون يخطبون به فعاتبهم وأنكر صنيعهم وتبرأ منهم، فتركوا الخطبة وجددوا البيعة لوالده، ولما تم له ما أراد من مراجعتهم طاعة أبيه ارتحل من مكناسة فى جيشه الذى قدم به من مراكش، واستصحب جماعة من أعيان العبيد وقدم على والده بدار الدبيبغ فسلم وأهدى وتشفع للعبيد عنده فقبل شفاعته، وأمره ألا يبيت هناك، فامتثل أمره وتوجه لمراكش من حينه، وقد رتق ما انفتق.

ثم إن العبيد عادوا لما كانوا عليه مع المولى عبد الله وقدموا على ابنه المترجم فى ذى القعدة سنة ١١٦٤ لمراكش وراودوه على قبول بيعتهم فلم يقبل، وطيب

نفوسهم بمنحة وكتب لهم كتابا لأبيه يستعطفه لهم، وانقلبوا من عنده مسرورين، فلما قدموا على أبيه سامحهم وأعطاهم وتم الصلح بينه وبينهم.

وفى السنة وجه المترجم لأبيه بهدية فأثنى عليه ودعا له بخير.

وفى سنة ١١٦٩ توجه لتمهيد سوس فدوخها وجبى أموالها، وولى عليها وقرر الحامية بتارودانت.

وفى سنة ١١٧٠ توجه للقبض على الطالب صالح المستولى على آكدير، المستبد بمال مرساه، فقبض عليه وسجنه ورتب الحامية بآكادير، ورجع لمراكش منصوراً، فمكث فيه قليلا ثم خرج لإصلاح ما فسد من أمر قبائل الشاوية، فقتل منهم ووجه المقبوضين بالسلاسل لمراكش.

ثم توجه للرباط فأضافه أهلها وأهدوا له، وأغلق عبد الحق فنيش صاحب سلا أبواب المدينة فى وجهه فقطع الوادى وتنكب سلا، وسار إلى القصر فتطوان وأشرف على سبتة، ثم ذهب لطنجة فالعرايش فسلا، حيث لقى من قائدها ثانيا ما لقى أولا ثم رجع لمراكش.

بيعته، وبعض حوادث أيامه:

وبعد وفاة والده رحمه الله بويع له البيعة العامة بفاس إثر الفراغ من دفن والده يوم الاثنين خامس عشرى صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف باتفاق أهل الحل والعقد، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة، وإلى سنة ولايته وبيعته أشار القاضى أبو عبد الله الهوارى بقوله:

وبايع أهل الغرب فى عام واحد   وسبعين مولانا الإمام محمدا

قال نجله المولى عبد السلام فى كتابه درة السلوك. وريحانة العلماء والملوك: «وحضر بيعته جماعة من أعيان العلماء مثل قاضى الجماعة بمكناس السيد سعيد العميرى، وقاضى الجماعة بفاس السيد عبد القادر بو خريص، وشيخ الجماعة السيد محمد جسوس، والإمام المحقق صاحب المعقول والمنقول أبى حفص شيخنا سيدى عمر الفاسى، وابن عمه السيد أبى مدين الفاسى وهو الذى تولى كتابة البيعة بيده، وإمام مسجد الشرفاء الأستاذ مولاى عبد الرحمن المنجرة، وشيخنا العلامة السيد التاودى ابن سودة، وإمام المسجد الجامع الكبير بفاس الجديد السيد عبد الله السوسى، والإمام المحدث سيدى إدريس العراقى وغيرهم ممن لا يحصون كثرة» صح منه مباشرة وهو من ذخائر مكتبتنا.

ومن الغد الذى هو يوم الثلاثاء خرج الوفد الفاسى متأبطا للبيعة المحمدية، ووجهته عاصمة الجنوب حيث المترجم ينتظم ذلك الوفد من أعيان الأشراف والعلماء ووجهاء أهل البلد ورءوس القبائل والأجناد، وصار إلى أن لحق بالمترجم بنواحى مراكش يؤم الناحية الغربية، فأكرم مثواه ونزله وغمره فى بحار إنعاماته الضافية، وبعد انتهاء أيام الضيافة انقلب إلى وطنه مبتهجا. وبطيب الثناء لاهجا.

وبويع له بمراكش بجامع الكتبيين. قال الضعيف: تحت شجرة أرنج بصحن المسجد بمحضر الأشراف والعلماء والأعيان وقواد الجند وأبطال القبائل، وبعد انتهاء البيعة تهافت الجميع على تقبيل راحتيه وتقديم مراسم التعزية فى والده والتهنئة بالسلطنة، فقابل الجميع بصدر رحب، وواسى الضعفاء والمساكين، ووصل الأشراف والعلماء وبذل فى ذلك أموالا طائلة.

ثم صارت وفود القبائل الحوزية والديرية والسوسية تفد ببيعاتها على جلالته وتقدم الهدايا اللائقة بسدته، واقتفى أثرهم على ذلك أهل الثغور والجبال والقرى

والأمصـار، ولم يتخلف أحد من أهل المغرب الأقـصى عن تقديم الطاعة لجـلالته ولا نازع فيها، وهو يستقبل كلا بما يليق بمقامه ويهش ويبش ويحسن ويتبرع.

ولما فرغ من أمـر الوفود نهض من مراكش أواخر ربيع المذكـور، وفى أواخر ربيع الثانى حل برباط الفتح، فـاستقبله أهل العدوتين بغـاية الارتياح والانشراح، ووصل الشرفاء والعلماء وحملة القرآن والضعفاء، وزار القصبة فحيته مدافع أبراج العدوتين، وزار معمل صنع السفن، وركب سفـينة قبل عومها وصار ينثر الدراهم من فوقها على المحدقين بها، وهم على اختلاف طبقاتهم يلتقطون ما ينثره عليهم.

ثم بعد ذلك نهض إلى عاصمة جده المكناسية فدخل دار الملك وفرق الراتب على العبيـد ووصل الأشراف والفقهاء والطلبة، ولما اتصل بأهل فـاس خبر حلول جنابه بها توجه جم غـفير منهم لاستقـباله فيها، وذلك فـى سابع ربيع الثانى من العام، فقـابلهم بكل اعتناء واعتـبار، وأنزلهم منزلة التجلة والإكـرام، وأقاموا فى ضيافته أيام ثم وصلهم وأذن لهم فى الأوبة.

وفى سابع عشرى ربيع المذكور حل بالعاصمة الفاسية حلول إعزاز وإعظام، فخرج لاستقباله جميع طبـقات أهل فاس، وكذا الودايا، وخيمت عساكره وجنوده بالصفـصافة، ودخل هو لـدار الإمارة وعزى إخـوته وأخواته ووعدهم خـيراً، ثم رجع لمحلته فبات بها.

ومن الغد توجه لدار دبيبغ محل سكنى والده الخـاص، فأحصى متخلفه من أثاث وفرش وخيل وسروج وسلاح ومال.

ولما أحاط علمـا بمقادير ذلك كله ترك الكل تحت يد من كـان مكلفا به على عهد والده، وكان المكلف بالأموال الوصيف القائد عـلال بن مسعود وغيره مما ذكر على يد غيره والكل إلى نظر الحاجب القائد عبـد الوهاب اليمورى، وكان أكثر ما خلف من المال ذهبا وإليك تفاصيل ذلك:

ألف سماط من الجلد الفيلالى تحمل على السروج بأقفالها فى كل واحد ألفا دينار من سكة ضـربه، أعدهـا للحمل على الخـيل فى السـفر، فـإذا نزل بالمحلة يدفعها المكلفون بها لمن يوصلها لخباء المترجم لتوضع فيه، وعلى هذا يستمر العمل فى كل يوم ظعن وإقـامـة مدة السـفـر، ولا تسلم إلا لمن عيـنه السلطان من أهل الصدق والأمانة لديه.

ومائة رحى من الذهب كقرص الشمـع كل رحى فيها وزن أربعة آلاف دينار تكون على البغال أربعة فى الـشوارى مغطاة بالخنابل مضروب عليها بالحـبال تسير أمامه، فإذا وصل محل الإقامة توضع بالقبة على نحو ما ذكرنا.

وثلاثمائة ألف ريال إلا خمسة عشـر ألفا، ونحو عشرين ألفا من الموزونات الرقيقة من ضربه، وهذا غير ما فى بيوت الأموال من سائر العواصم المغربية.

قلت: ولم يزل العمل جاريا فى حمل عدد من البغال أموالا تسير مع الملك فى سائر أسفـاره يسمون ذلك بـ(الصائم) إلى أن ختـمت أنفاس الدولة العزيزية، وذلك من الحزم والحذر والاستعداد لمفاجأة الطوارئ.

ثم تفقد المترجم الأحوال، وأحصى بيوت الأموال، وأحسن لخدمة أبيه.

ولما كان يوم الجـمعـة ملأت عسـاكره البـسائط، وحـضر جمـيع أهل البلد للصلاة معه فـاختلط بهم، وأقبلوا يقبلون أثوابه ويتمسـحون بها وهو يهش ويبش فى وجوههم، ثم جلس مع العلمـاء وحادثهم وسأل عنهم واحداً بعـد واحد حتى عرف جمـيعهم، وبعد أداء فـريضة الجمعـة توجه فى موكبـه لزيارة ضريح والده المقدس، ووزع الصدقات على الفقراء والمساكين ورتب الطلبة الذين يقرءون القرآن فى كل صباح وعشى بذلك الضريـح، ثم دخل دار الإمارة، وبعد ذلك أمر حمل مال والده ومتخلفه إلى محلته ودفعه لمن عينه لذلك من خدامه.

وأقر أهل الوظائف الذين كانوا على عهـد أبيه على وظائفهم إلا ما كان من قائد تطاوين الوقاش، فـإنه ولى مكانه كاتبه عبد الكريم بن زاكور الـذى كان بعثه عاملا على العرائش.

وأحدث وظيفا على الأبواب والغلات والسلع بفـاس وسائر أمصار المغرب، بعد أن استفتى علماء وقتـه فأفتوه بأنه إذا لم يكن للسلطان مال جاز أن يقبض من الرعيـة ما يستـخدم به الجند، وكـتبوا له ذلك تأليـفا، منهم: الشـيخ التاودى ابن سودة، وأبو عبد الله محمد بن قاسم جـسوس، وأبو حفص الفاسى، وأبو محمد عبد القـادر بو خريص، وأبو زيد المنجرة، وأبو عبـد الله محمد بن عـبد الصادق الدكالى الفرجى لا الطرابلسى.

وما فى الاسـتقصـا من أنه الطرابلسى سبق قلم إذ الطرابلسى اسـمه على، وهو شارح المرشـد المعين، وقـد باع وظيف فاس عن سنة واحـدة لعاملهـا الحاج محمد الصفار باثنى عشر ألف مـثقال، ثم باعه إياه فى سنة أخرى باثنين وعشرين ألف مثقـال، فكان فى كل عام يزيد فيها إلى أن مـات، وولى مكانه ولده العربى فزاد على ما كان أيام أبيه.

وكانت مدة مقـامه بفاس شهرين على ما فى التـرجمان المعرب، والذى فى تاريخ الضعـيف أن خروجه من فـاس كان يوم الاثنين الحـادى عشر من جـمادى الثانية، وعليه فيكون مقامه بفاس نحو شهر ونصف.

ولما حل بمكناس أقام به أياما لتأسيس أمـور الخلافة العامة، ثم بعد ذلك بدا لجلالتـه النهوض لتـفقـد الأحوال وترتيب الشـئون وإخـماد نيران الفتن الـتى قام بإضرامهـا المدعو العربى أبو الصخور الخـمسى، وقد كان له صيت بناحيـة غمارة يقول لمن يعتقـده ويلتف حوله من البله طائشى الأحلام: إن هذا السلطان - يعنى المترجم - لا يطول ملكه، وقـامت بسبب ذلك ضجة وهول بتلك الناحـية، وكاد

الفســاد أن يعم ما حــولها، فـقتله المترجـم ووجه برأسه لفــاس، وولى على تلك القبائل الباشا العياشى وأنزله بشفشاون.

ثم ولى وجهه نحو تطــاوين، ولما حل بها وتفقد شئونها أمــر ببناء البرج بها والدار على مرسى مرتيل.

وتوجه لسبتة فوقف عليها وشاهد حصانتها ومنعتها، فتيقن أن لا مطمع فى قصدها.

ثم صار لطنجـة فاستقـبله القائد عبـد الصادق بن أحمد الريفى فى القـبائل الريفية فجـاملهم وقابلهم أحسن قبول، ووصلهم وكساهم وأمــر ابن عبد الصادق المذكور بالقيام على ساق فى بناء ما ذكـر بمرتيل، فأجاب بالسمع والطاعة، ووجه من حينه أخاه عبد الهادى للوقوف على ذلك.

ثم توجه صاحب الترجمة للعرائش وتفقد أحوالها، فوجدها خالية ليس بها إلا نحو مائتين مــن أهل الريف تحت كنف قواد الغرب الحبيب والسفـيانى، فوجه لها أدالة منتظمة مــن عبيد مكناسة، وعــبيد المهدية، ورأس عليهم عــبد السلام بن على وعدى ووصل المائتين من الريفيين وسلحهم وكساهم.

ثم توجــه لسلا فنزل بظاهر الرباط، وأمــر عبـد الحق فنيش قائد ســلا ببناء صقالة[1] بسلا على البــحر، وأمر على مــرسيل ببناء صقــالة الرباط، وولى على أهل الرباط الرئيس العــربى المســتيــرى وأمر بإنشــاء مركـبين واحـد بسلا وواحــد بالرباط.

وكان عندهم مركب كـبير أنشأه أهل العدوتين مــشتركا بينهمــا أيام الفترة، ووجه لتجــار النصارى الذين بآسفى أن يأتوا إليه بكل مــا تتوقف عليه المراكب من مجاديف ومخاطيف وقلع وقمن وغير ذلك.

---

(١) فى هامش المطبوع: «برج كبير».

ثم توجه لعاصمة الجنوب مراكش، وكان وصوله إليها فى أواخر المحرم فاتح عام اثنين وسبعين ومائتين وألف، ولما علم أهل فاس بحلوله الحضرة المراكشية أوفدوا إليه جماعة من أعيانهم يستعطفونه فى الأوبة للعاصمة الفاسية واتخاذها محل استقراره ومقامته، فلاطفهم وقرر لهم أنه لا يمكنه المقام بأرض واحدة، وأنه يلزمه التطوف على سائر إيالته والمكث بكل عاصمة من عواصمه مدة لائقة بها ليتيسر لأهلها ملاقاته ورفع كل ما يهمهم إليه بدون أدنى مشقة تلحقهم، وردهم ردا جميلا.

وورد عليه بنو دراسن متشكين بما لحقهم من أذى جروان، وأنهم أخرجوهم من بلادهم بإعانة من الودايا، فأصدر أوامره لوالى مكناس بإنزالهم بأحواز البلد والسعى فى المؤاخاة بينهم وبين آيت يمور ففعل، ولما لم تنته جروان عن إذاية المذكورين طير والى مكناس الحاج على السلوى الإعلام بذلك للمترجم، فأصدر إليه أوامره بنصرة المظلومين وتعزيز جانبهم والخروج فى جيش العبيد لكسر صولة جروان، ولما التقى الجمعان بوادى ويسلن كانت الهزيمة على جروان وأشياعهم الودايا فقتل منهم آيت يدراش نحو الخمسمائة، ونهبوا حللهم، وقطعوا رءوس أعيان الودايا وعلقت بباب الجديد من مكناسة إرهابا للبغاة والمتمردين، ولما اتصل الخبر للمترجم اشتد غضبه على الودايا، وأضمر الإيقاع بهم جزاء لهم على سوء فعلهم.

ثم نهض من مراكش ووجهته مكناس، ولما وصل الرباط وجد الرئيس محمد عواد مانطة السلوى، والرئيس محمد عواد المعروف بقنديل، السلوى، والرايس العربى المستيرى الرباطى غنموا سفينة من سفن دولة السويد فأعطى لكل منهم كسوة وسيفا محلى بالذهب وخنجرا كذلك ومكحلة، ووصل من عداهم من البحرية بما أقر أعينهم، ثم سافر القائد العربى المستيرى فى الحين فغنم سفينتين إحداهما للبرتقال والأخرى للسويد أيضا.

وسار المترجم إلى العاصمة المكناسية وأقام بها إلى أن قضى أيام عيد المولد النبوى، ووفدت عليه بها الوفود من فاس والعدوتين ومراكش وما والى ذلك لأداء مراسم التهانى، فغمر الكل بإنعاماته الضافية، وأحسن وبذل، وأمر الحاج محمد الصفار عامل فاس بإصلاح قنطرة سبو، وأعطاه ما ينفقه فى سبيل ذلك.

وفى يوم الاثنين ثامن عشر من ربيع الأول نهض لمراكش وفى يوم السبت خامس عشرى ذى القعدة من العام نهبت قافلة بباب الجيسة أحد أبواب فاس، ثم نهبت قافلة أخرى، ثم أغار البربر على سرح أهل فاس.

وفى أواخر ذى القعدة من العامة ورد كتاب من صاحب الترجمة على أهل فاس يعلمهم فيه بمبارحته لمراكش بقصد رتق ما انفتق من أمور الرعية.

وفى عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف عزل القاضى أبا فارس عبد العزيز العبدلى لسلوكه فى خطته غير الجادة، كما سنوضحه بعد، وكان كلما عزل قاضيا عن مصر ألزمه الخدمة ببابه، والوقوف مع كتابه، ويوجههم مع الشكاة لعمال القبائل كل واحد يتوجه بشكايات قبيلة لعاملها هذه خدمتهم كما قال الزيانى.

وفى صفر عام أربعة وسبعين ومائة وألف نهض من مراكش قاصدا مكناس، ولما حل به وجه الودايا جماعة من عجائزهم يتشفعن لهم عند جلالته، فلقيهن بسايس وجهته لفاس، ولما مثلن بين يديه بكين وناشدنه الرحم، فرق لهن ووصلهن وأمر بإركابهن إلى أن يصلن لأهلهن.

وسار إلى أن خيم بالصفصافة فخرج لاستقباله أهل فاس على اختلاف طبقاتهم، وكذلك الودايا، فقابلهم بالبشر، ولم يظهر للودايا ما يشعرهم بما يكنه صدره نحوهم، ومن الغد أخرج أهل فاس طعام الضيافة على العادة المألوفة لديهم، فأمر المترجم بتعمير المشور بدار دبيبغ، وأمر بإدخال ذلك الطعام إليها،

وأمر العبيد والودايا بالدخول للإطعام، فلما دخلوا غلقت الأبواب عليهم واستؤصلوا قبضا وأصدر الأمر للعساكر بالغارة على حللهم فلم تغرب شمس ذلك اليوم حتى كانت منازلهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وأغلق من بقى منهم بفاس الجديد أبواب المدينة، ولما جن الليل فرت شرذمة منهم للاستيجار بزاوية اليوسى والباقى بفاس منهم صعد على الأسوار.

ولما أصبح الصباح صاحوا من فوقها يطلبون الأمان على أنفسهم وأهليهم فأمنهم، ونقلوا أولادهم لفاس القديمة، وأنزل صاحب الترجمة بفاس الجديد ألفا من عبيده نقلهم بأولادهم من مكناسة، وولى عليهم علال بن مسعود، وسرح من الودايا القائد قدور بن الخضر مع أربعة من أهل الصلاح منهم، وأمرهم أن يقيدوا له المفسدين فقيدوا خمسين من أشرار طغاتهم، فأمر بإغلالهم فى السلاسل، قرن كل اثنين فى سلسلة وأركبهما على جمل ووجه بهم على الصفة المذكورة لسجن مراكش، ليكونوا عبرة لمن يمرون عليه من القبائل.

وأمر قدور بن الخضر بتسريح الباقين، وكانوا أربعمائة ويضيف إليهم ستمائة من بقية إخوانهم ويلزمهم مبارحة فاس، والتوجه لقبائلهم، وقيد ألفا فى دفتر وولى عليهم القائد المذكور، ثم أمرهم بالرحيل لمكناسة وعين لهم قصبة الأروى للسكنى، فبنوا بها نوائلهم، ونزل قائدهم بدار صاحب الأروى أيام سيدنا الجد الأكبر أبى النصر إسماعيل، وأعطاهم الخيل وسلحهم وكساهم ولم يلتفت لما كان بأيديهم من المتاع، فصلحت أحوالهم ولم يعودوا بعد لما كانوا عليه من الغى والفساد قبل، ولا زال عقب هؤلاء الودايا إلى اليوم بالأروى المذكور.

ثم ولى المترجم وجهه نحو الأمراء الذين لم يقلعوا عن جورهم وظلمهم وبقوا متمادين على ما كانوا عليه من الاستبداد والعتو زمن الفترة مع والده

وأعـمامـه، تلك المدد الطويلة التـى مثلت لنا أيـام ملوك الطوائف فى أهول زى، وأحيت ذكراها.

فقبض على قائد أهل الغرب الباشا الحـبيب المالكى الحمادى وأودعه مطبقا، وهد داره دار الظلم المظلمة، ونقل أنقاضها للعـرائش للبناء بها، واستصفى أمواله ومتـمولاته، ومنذ أودع المذكـور المطبق ما أكل ولا شـرب أنفة من السـجن حتى مات.

وفى تاريخ الضـعيف: أن سبب القـبض عليه هو ارتكابه لأمـور مصـادمة للشرع، منها: أنه كان متـزوجا بثمانية عشر امرأة، وسـاق القصة على أنها وقعت عام واحد وثمانين، والذى فى الترجمـان المعرب أنها فى سنة أربع وسبعين هذه، وذكرها فى الاستقصا من حوادث سنة ثمانين.

ثم أوقع القبض على قـائد سلا عبـد الحق بن عبد العـزيز فنيش الذى كان أغلق بابه دونه أيام خلافته عن أبيه لما ورد عـلى العدوتين مرتين، ورغما عن ذلك لم يعـاتبـه ولا شافـهـه بمكروه لما ولى الخـلافة العظـمى، حتى تفـاحش ظلمـه واستـبداده، وأدى به الحال إلى قتل رجل من أعـيان أهل سلا على وجه التـعدى والجور.

ورفع أولياؤه الشكاية بذلك لصاحب الترجمة فـأذن فى قتله قصاصا، فقتل وحيزت أمواله لبـيت المال كما حيزت أموال إخوانه الـذين كانوا أنصاراً له وأعوانا على الظلم والتعدى وأكل أموال الناس بالبـاطل، ثم غربوا إلى العرائش، وسجنوا لها مـدة، ثم عفى عنهم، فسـرحوا وفرقـوا على ثغور السواحل بعـضهم بالرباط وطنجـة، والبعض بالصـويرة، وآخرون بمراكـش ومنحهم الدور المعـتبـرة والرباع المستغلة، ورتب لهم الرواتب الكافية، ونالوا من العزة والجاه فى دولته المحمدية ما لم ينله أحـد من سلفهم، وكـانوا رؤساء عـلى أصحـاب المدافع وعلى يديهم آلة

الحرب جـميـعهـا فى جميع الـثغور، ومنهم الـقائد الطاهر فنيش الذى كـا كبـير الطبجية.

ثم عزل ولد المجاطية قائد تامسنا، أبا عبد الله محمد بن حدو الدكالى الذى كان ولاه على دكـالة لما ألقى القـبض على العامل العـروسى وأودعه السـجن مدة أعوام، ولما سرحه ولاه مدينة شفشاون وأعمالها.

وأرهف حده للعـمال، المشتغلين بـجمع الأموال، فصلحت أحـوال الرعايا والجند بتولية المناصب أهل الكفاءة، ثم بعد ذلك رجع لمراكش.

وفى هذه السنة أتت الهدايا للمترجم من ملوك أوربا ودوخت سفنه البحار، وأسر عددا من النصارى، وغنم غنائم كثيرة تتبعها الضعيف فى تاريخه.

وفى السنة نفسها ساعد على وسق الصوف من مرسى آسفى لأوربا.

وفيها كان اهتمامه ببناء مرسى فضالة.

وفى أواخره فـتح المخابرة مع الدول فوجـه الخياط عـديل الفاسى، والطاهر بنانى الرباطى سفيرين إلى القسطنطينية فى وفد من أعيان المغرب لربط علائق المودة مع الدولة العثمانية، وقدم هدية لها من نفائس المغرب.

فأدى الوفد السفارة وأحسن الوساطة ورجع مع وفد العثمانى بهدية اشتملت على مدافع وآلة حرب وأدوات مراكب وضـروب سلاح، فسر السلطان بذلك ورد وفد العثـمانيين مغـموراً بكرمه المعـهود على ما سنفصله بعـد بحول الله فى باب العلائق السياسية.

وفى سنة خمس وسبعين ومائة وألف عفا المترجم عن القائد محمد بن على العروسى بعد أن مكـث فى سجنه نحو تسعة أعـوام وولاه عمالة أصيلة فـبقى بها مدة ثم ولاه عمالة المهدية.

وفى عام ستة وسبعين ومائة وألف فتك بمتمردة مسفيوة، وقتل منهم نحو أربعمائة، وكان من جملة القتلى القائد إبراهيم ولد الباشا بلا وعلى صهر عم المترجم المولى بناصر.

وفى منتصف رمضان العام نهض لتادلا وأوقع بآيت يمور، وأغار فى طريقه على أشقيرن، وقتل وسبى ومهد البلاد، وحسم جرثومة الفساد، وتوجه للشاوية، وألقى القبض على كثير منهم ووجههم بالسلاسل لمراكش جزاء على ما أجرموا من العيث فى السابلة.

وفى خامس ذى الحجة قدم من عاصمة الجنوب مراكش إلى العاصمة المكناسية، وأقام بها يومين، ثم نهض للعاصمة الفاسية لإخماد نيران ما أججه الحياينة من الفتن.

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من المحرم عام سبعة وسبعين ومائة وألف نهض من فاس فى جيوش جرارة إلى جبل مرموشة وآيت يوسى الذين سعوا فى الأرض الفساد، فأوقع بهم وكسر شوكة تمردهم، ثم تقدم للحيانية فنهب أموالهم وفروا لجبل غياثة فاقتفى أثرهم على طريق تازا، إلى أن لحقت بهم العساكر إلى الجبل المذكور وأوقعت بهم وقعة عظيمة اضطرتهم للرضوخ للطاعة وهم صاغرون، فطلبوا العفو والأمان، فعفا عنهم وأمنهم من القتل، ثم انقلب لبلدهم فنسفها نسفا وذلك يوم الخميس سادس ربيع الأول.

وفى يوم الاثنين ثامن ربيع الثانى رجع لفاس مؤيدا منصورا، ونزل بدار دبيبغ، واستخلف بفاس ابن عمه أبا العلاء إدريس بن المنتصر وأعطاه القبائل الجبلية، وفى أواسط ربيع الثانى أمر ببناء قبة ضريح أبى الحسن على بن حرزهم.

وفى صبيحة يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى نهض لمكناسة الزيتون، وفى غده الذى هو يوم الخميس أصدر أوامره بتزليج منار أبى العلاء إدريس الأزهر بانى

فاس رضى اللـه عنه، وألقى القبض على أولاد عـديل وأودعهم السـجن فى مال لأبيه وله عليهم كانوا استسلفوه.

وفى يوم الاثنين تاسع رمضان نهض من مكناسة ووجـهته مراكش، ولما حل بها قدم عليه أعيان مسفيوة بمائة وخـمسين فارسا فقتلهم كلهم واستأصل أموالهم، إذ كانوا بلغوا الغاية القصوى فى التمرد والبغى من عهد أبيه ولم يقلعوا عن ذلك، وقد طال ما عالج داءهم وهو خليفة فلم ينفع فيه ترياق، انظر الترجمان المعرب.

ثم نهض من مراكش لمـكناس فأغار فى طريقـه على آيت سيبـر من زمور، فنهب حللهم وماشيتهم ومزقهم كل ممزق.

ولما حل بمكناس أصـدر أوامره لـلقبـائل بدفع المرتب بذممهم من الزكـوات والأعـشار أحـواز فاس يدفـعون للمكلفـين بخـزائنها، وأحـواز مكناس يدفعـون للمكلفين بخزائنها كذلك ثم نهض لفاس.

وفى العام ثار أحمد الخضر بالصحـراء وأوقد نيران الفتن بها، فوجه المترجم لعـرب تلك الناحيـة فى شأنه فـقتلوه ووجـهوا له برأسـه، وفيـه بعث من الرباط الرئيس الحاج التهامى المدور سفيراً لبلاد السـويد، والرئيس العربى المستيرى سفيرا لبلاد الإنجليز على ما يأتى فى بابه.

وفى عام ثمانيـة وسبعين ومائة وألف كان أسـطول المترجم يتردد بين أكناف البحار ويجوس خلال الثغور الأجنبيـة فيقتنص مراكب الأجناس الأجانب إذ كانت المهادنة غير مقررة تماما، وكان من جملة ما غنم الأسطول المغربى أسطولا فرنسيا، ثم ورد مركب فـرنسى على مرسى سـلا والرباط وأطلق عليهمـا قنابله وذلك يوم الجمعة حادى عشر ذى الحـجة، فخرج أهل الثغرين لظاهر البلد والأجنة بأولادهم

وضربوا الأخبية، وحصن الرئيس سالم المراكب السلطانية التى كانت تريد السفر للخارج أمام منار حسان واستمر الأمر على ذلك ثلاثة أيام، ولما لم يحصل الأسطول الفرنسى على طائل أقلع ورجع من حيث أتى.

وفيه أسس صاحب الترجمة ثغر الصويرة، فتوجه لذلك بنفسه بعد فراغه من عرس ابنه مولاى على وأخته، حتى اختطها على الهيئة التى يريد، وترك العملة بها على ما يأتى إن شاء الله فى آثاره.

وفى العام أوقع ببرابر مرموشة بملوية، وفى صبيحة يوم عيد النحر وقع بمراكش حريق هائل هلكت فيه الأنفس والمتاع، وخربت الدور ولم يستطع أهل البلد حيلة لإطفائه ولا اهتدوا سبيلا، امتدت تلك النيران الموقدة من جامع الفناء إلى خارج باب الخميس أحد أبواب المدينة المذكورة، وكان المتسببون فى ذلك المتعاطون لشرب الدخان من أصحاب القائد حسابن، ولذلك عاقبه المترجم بالسجن والعزل، وولى مكانه ولد ابن ساسى المراكشى.

وفى عام تسعة وسبعين ومائة وألف هجم أسطول فرنسى على العرائش فخربها وهدم مسجدها ودورها بما ألقى عليها من المقذوفات المدمرة، وفى اليوم الثانى من هجومه نزل من عساكر أسطوله ألف واقتحموا الوادى فى خمسة عشر قاربا، وكانت للمراكب المغربية رياسة هناك فحرقوا السفينة التى غنمت منهم وكسروا أخرى كانت بجانبها ثم رجعوا فوجدوا القائد الحبيب الحمادى المالكى الغرباوى قطع خط الرجعة عليهم وأخذ بمخنقهم على فم الوادى، فأسر منهم أحد عشر قاربا بما فيها، ونجا أربعة وأرسل من أسر منهم إلى المترجم لعاصمة الجنوب مراكش الحمراء، ولم يزالوا عنده إلى أن فدتهم دولتهم ووقع الصلح فى السنة بعدها، وهى معاهدة عام ثمانين ومائة وألف الموافقة ثامن وعشرى ماى سنة سبع وستين وسبعمائة وألف وستذكر نصوصها.

قال أبو محمد عبد السلام نجل صاحب الترجمة فى درة السلوك: وبعد هذه الواقعة احتفل طاغية الإصبان والفرنصيص بهدايا لم يعهد مثلها - وسيأتى ذكرها فى بابه - وقدمت رسلهم لمراكش لطلب الصلح والمهادنة.

وفيها توجه الكاتب السيد أحمد الغزال الفاسى سفيراً لبلاد الإصبان، والرئيس على مرسيل الرباطى سفيرا لفرنسا، والفقيهان الطاهر بنانى الرباطى والطاهر بن عبد السلام السلوى سفيرين للسلطان مصطفى العثمانى على ما يأتى من التفصيل والبيان.

وفيها خرج السلطان لقبائل الريف، ومر على تطوان وغمارة، فدوخ تلك القبائل إلى كبدانة، ورجع على طريق تازا.

وفى هذه السنة عقد المترجم لنجله أبى الحسن على على ولاية المغرب ووجهه لفاس الجديد.

وفى عام ثمانين ومائة وألف حل المترجم بمكناس، وألقى القبض به على عبد الصادق الريفى، ومائة من أهل الريف، وأودعهم سجون مكناسة، ونهض لطنجة فاستولى على أموال عبد الصادق المذكور وسائر أمتعته، وغرب أهل عصبيته من طنجة إلى المهدية، وكان عددهم ألفا وخمسمائة، وولى عليهم محمد ابن عبد الملك، وأنزل بطنجة من العبيد ألفا وخمسمائة.

وفى هذه السنة بعث السلطان المترجم الرئيس عبد الكريم راغون التطوانى سفيراً للسلطان مصطفى العثمانى بهدية تقابل الهدية الحربية التى كافأ بها سفارة بنانى وابن عبد السلام المتقدمة.

وفى عام واحد وثمانين ومائة وألف، كانت وقعة عمر كلخ رجل من أولاد المرابط الشيخ رحال معه ضرب من السحر أضل به الناس، وقال لهم: أدخلكم

لبيت المال تأخذون ما فـيه، واختلق كرامات استهوى بهـا بعض الحمقى والمغفلين وكثيـر ما هم، ومن أجل ذلك اجتمع عليه عـدد عديد منهم، ودخل بهم مراكش يريدون القصبة السلطانية فافتتن الناس بذلك.

ولما اتصل الخبـر بالمترجم وهو يومئذ ثم وجـه إليهم أعوانه، فقـبضوا على رأس الفتنة وافترقت جموعه، ولما مثل بين يدى صاحب المترجم أمر بقتله فقتل.

وفى العام ورد عـبد الكريم راغون من سفـارته لاصطنبول مصحـوبا بهدية السلطان مصطفـى العثمانـى للمترجم، وهى مـركب حامل لمدافع ومهـاريز وعدة قنابل وغير ذلك مما يأتى ذكره، وكان نزول ذلك بثغر العرايش.

وفيه عقد السلطان مع الدانمرك معاهدة سياسية تجارية سنأتى على نصها.

وفى عام اثنين وثمانين ولى ابن عمه أبا العلا إدريس بن المنتصر عاملا على حاحة، وعقد له على ألفى فارس، وسار إلى أن استوفى منهم الموظف عليهم.

وفيه وجه ولده خليـفته أبا الحسن عليا للحج وفى معيتـه صنوه عبد السلام صغيرا، وزفت معهما أختهما بنت المترجم لسلطان مكة الشريف سرور، وكان فى جهـازها ما يزيد على مـائة ألف دينار من الذهب والجـواهر والأحجار الكـريمة، ووجه معه هدية للحرمين الشريفين حسبما نفصل ذلك بعد، ووجه معه من وجوه أهل المغرب وأولاد الأمـراء وشيوخ القبـائل وجملة من حاشيـته بالخيول المسـومة والأسلحة المذهبة ما تحـدث الناس به فى الشرق دهرًا، ووجه مع الوفد هدايا لولاة طرابلس ومصر والشام، وكان يوم دخولهم مكة مهرجان عظيم حضره أهل الموسم كلهم.

وفى السنة نكب السلطان المترجم كاتبـه المؤرخ أبا القاسم الزيانى وهى نكبته الثانية بعد الأولى التى وقعت له ولأبيه بالينبوع فى رحلتهما الحجازية.

قال فى الترجـمانة الكبرى: «وتقلبت فى منصب الكتابة من غـربه لشرقه، ولقيت من زعازع أرياحه ورعده وبرقـه، إلى أن بلغت كرة الرأس ومضيق العنق،

ووقفت على دائرة الأفق، فى السفر والمقام، مدة من عشر أعوام، ثم حصلت فى النكبة، ووقفت على باب الندبة، وأقمت بين الهلك والتلف.

وفى عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وهى النكبة الثانية، ولما خلصت من النكبة وكتب لى أمير المؤمنين سيدى محمد رحمه الله بعد الطلاق رسم الرجعة وقلدت ديوان كتابته، أقبل على بكليته، وأخلف ما ضاع، وصرت بالمماليك والأتباع، وبلغت أعلى المراتب، وتقلبت فى المناصب».

وفيه فتح الجديدة من يد البرتقال على ما يأتى عند ذكر فتوحه.

وفيه جلب السلطان أربعة آلاف من العبيد وأضاف إليهم ألفين وخمسمائة من الودايا وأنزلهم بآكدال من رباط الفتح، وبنى لهم هناك، وعند الضعيف أن ذلك كان سنة ١١٨٧.

وفيها سعى لأهل الجزائر فى مفاداة أسراهم مع الإسبان، وأوفد كاتبه الغزال للجزائر لتسلم ذلك وتسليمه.

وفى عام ثلاثة وثمانين وجهت دولة البرتقال لصاحب الترجمة هدية عظيمة، وبعث رسله يطلبون المهادنة فأجابهم لذلك على ما يأتى.

وفيه أوقع بأهل تادلا إذ كانوا بغوا وطغوا، وولى عليهم صالحا ولد الراضى الورديغى، فاستصفى أموالهم وتركهم عالة.

وفيه طلب أهل درعة من صاحب الترجمة أن يولى عليهم الباشا سعيد بن العياشى فساعدهم على ذلك.

وفى عام أربعة وثمانين ومائة وألف أوقع بجروان لعيثهم فى الطرقات وتكديرهم السلم العام فقتل منهم نحو الخمسمائة وجردهم من كل شىء وغربهم لآزغار، فأنزلهم وسط العرب ثم توجه لحصار مليلية.

وفى أول محرم عام خمسة وثمانين ومائة وألف ابتدأ المترجم برمى مليلية بالمدافع والمهاريز، قال فى الروضة السليمانية: وحاربها أياما فكتب إليه أمير دولة

الإصبان يقول إننا عقدنا المهادنة برا وبحرا وهذا عقد الشروط الذى أتى به كاتبكم الغزال تحت أيدينا، فأجابه المترجم بما محصله إننا لم نجعل المهادنة فى بر وإنما جعلناهم معكم فى البحر، فوجه الأمير المذكور للمترجم عقد الصلح فإذا هو عام برا وبحرا فكف عن محاربتهم، وشرط عليهم حمل مدافعه والمقومات الحربية فى مراكبهم بعضها لمرسى طنجة والبعض الآخر للصويرة لما يلحق المسلمين من المشقة فى جر ذلك برا فقبل الإصبان الشرط وحملوا ذلك فعلا للمرسيين المذكورتين وارتحلت الجنود الإسلامية عنهم.

هذا ما عند الزيانى فى الترجمان المعرب والروضة السليمانية، والذى عند الضعيف، أن المترجم نزل على مليلية فى خامس شوال عام ثمانية وثمانين ومائة وألف وأنه حاصرها نحو الثلاثة أشهر.

وقال نجل المترجم المولى عبد السلام صاحب درة السلوك: إن ذلك كان سنة سبع وثمانين، وأنه كان إذ ذاك واليا على مدينة فاس، وأنه صحب والده المترجم فى هذه الغزوة مع أخويه أبى الحسن على، وأبى التيسير المأمون، وأن والده لما نزل على مليلية ضايق أهلها وهدم دورها، ثم سعى صاحبها فى تجديد المهادنة وبذل مالا جزيلا وعدة من أسارى المسلمين، فساعد المترجم على ذلك، وارتحل عنها وسار إلى مكناسة، وهو عندى أصح لحضوره والله أعلم.

ثم إن المترجم عزل الغزال عن الكتابة لتغفله، وبقى فى زوايا الإهمال إلى أن كف بصره ومات رحمه الله.

وقال فى الاستقصا[١] ما نصه: وسمعت من بعض فقهاء العصر وقد جرت المذاكرة فى كيفية هذا الصلح، فقال: إن الغزال رحمه الله لما أعطى خط يده بالصلح والمهادنة، كتب فى الصك ما صورته: وإن المهادنة بيننا وبينكم بحراً لا براً، فلما حاز النصارى خط يده كَشَطُوا لاَمَ الألف، وجعلوا مكانها واواً، فصار

---

(١) الاستقصا ٨/ ٤٠.

الكلام هكذا بحـراً وَبَرًّا، وأن السلطان رحـمه اللـه إنما أخره لاخـتصـاره الكلام وإجحافه به حتى سهل على النصارى تحريفه، وكان من حقه أن يأتى بعبارة مطولة مفصلة حتى لا يمكن تحريفها فيقول مثلا: والمهادنة بيننا وبينكم إنما هى فى البحر، وأما البر فلا مهادنة بيننا وبينكم فيه أو نحو هذا من الكلام، فيصعب تحريفه، وقد نص أهل علم التوثيق على هذا، وأن الموثق يجب عليه أن يبسط الكلام ما استطاع ويتجنب الاختصار المجحف وما يؤدى إليه بوجه من الوجوه والله أعلم هـ.

وفى عام ستة وثمانين عزل قـاضى الرباط أبا على الحسن بن أحمد الغربى، وولى مكانه أبا عبـد الله محمد بن سعـيد الفيلالى، وذلك فى رجب وفـيه صدر الأمر العالى ببناء مرسى فضالة، وفـيه ولى الحاج عبد الوهاب اشكالنطو الأندلسى ثم الرباطى عمالة الرباط.

وفى سنة سبع وثمانين حرك لآيت ومالو بإغراء من بلقاسم الزمورى، حيث كانوا امتـنعوا من قبوله عامـلا عليهم، وطلب من الجلالة السلطانيـة إمداده بجند يرغمهم به على قـبول ولايته، فأعطاه ثلاثة آلاف فارس وضم إليهـا إخوانه زمور وتوجه إليـهم، ولما التقى الجـمعان بوادى أم الربيع كـانت الهزيمـة على الزمورى المذكـور، فولى الأدبـار وغضب السلطان لـذلك وأمر بخـروج العـسكر، وبحث لأمراء القبائل أعرابا وبرابرة، ولما وردوا على جلالته نهض من مكناسة.

قال أبو القاسم الزيانى فى البستان: وكنت معه فى تلك الحركة وأنا فى حيز الإهمال، أتوقع الموت كل يوم بسبب ما كـتب له بلقاسم الزمورى فى شأنى وأنى أنا الذى أفسدت عليـه القبائل، ولما بلغ السلطان محلة بلقـاسم واجتمع به ونزلت تلك العـساكر كلهـا فى بسيط واحـد بمريرت، أشار على السلطان أن يقـسم تلك العساكر على ثلاثة فرق: فرقة بتامساكت، وفرقة بزاوية محمد الحاج، وفرقة تكون معه على طريق تكط، والسلطان ينزل بعساكره بقصبة آدخسان، وتقصدهم العساكر من كل ناحية، وقرب للسلطان البعيد، والحال أنه لا يعرف البلاد.

ومن الغد افترقت العساكر فتوجه كل لناحيته المعينة له ونحن توجهنا مع السلطان لآدخسان، ولما قطعنا وادى أم الربيع وجه السلطان جدوانا للغارة أمامه ونحن على أثرهم إلى أن بلغوا قصبة آدخسان، فلم يجدوا أحدًا ووقفوا إلى أن وصلهم السلطان فقال لهم:

أين هؤلاء القوم؟ فقالوا ما رأينا أحدًا ولا وجدنا أثرًا، وهذه قصبة آدخسان، فأمر بنزول العساكر وبقى متحيرا، فقال: نادوا فلانا يعنينى، فتوجهت له قبل أن ينزل عن فرسه فقال لى: أتعرف هذه البلاد؟ قلت: نعم أعرفها، فقال: وأين أهلها، قلت: فى جبلهم، قال: أوليس هذا جبلهم آدخسان؟ قلت: لا، هذه قصبة المخزن والجبل هو من تلك الثنايا السود أمام وأريته الثنايا، فقال: وأين الزاوية التى توجهت لها العساكر مع قدور ابن الخضر ومسرور؟ قلت: هى عن يمين تلك الثنايا فى البسيط، قال: وأين تاسماكت التى توجهت لها أمم البربر مع محمد وعزيز؟ قلت: بيننا وبينها مرحلتان من وراء تلك الثنايا، قال: ومن أين يأتى بلقاسم؟ فأريته الثنية التى يأتى منها، وقلت: لا يصلنا إلا غدا إن سلم، فقال: وما علمنا؟ فقلت: ضرب فى حديد بارد الذى فى الزاوية لا ينفع والذى بتاسماكت لا ينفع، وآيت ومالو متحصنون فى الجبال، وبلقاسم رجل مشئوم عافى الله مولانا من شؤمه.

فظهر لمولانا نصره الله خلاف ما سمع من بلقاسم وتحقق بفساد رأيه، وعلم أنه أخطأ فيما ارتكبه من الغرر بالمسلمين، وبينت له السبب الذى نفر به آيت ومالو من بلقاسم حتى عرفه، فقال لى: اكتب لزيان يأتون فإنى سامحتهم، فكتبت ووجهت لهم بعض الأشراف من آدخسان مع اثنين من أصحاب السلطان، وساروا إليهم ليلا، ومن الغد أصبح علينا أربعة منهم بهديتهم فدخلت بهم السلطان ففرح بهم وقبل هديتهم، وقال لهم: إنى سامحتكم على وجه كاتبى فلان، ووجههم بالبشارة لإخوانهم وباتت تلك الليلة العساكر كلها بلا علف ولا تبن، ومن الغد

ظهرت محلة بلقاسم ومعه المختار والعبيد باتوا فى الحرب طول ليلتهم، ولما بلغوا أمرنى أن نتوجه لهم وننزل العبيد بجوار السلطان وبلقاسم ينزل مع إخوانه زمور وبنى حكم، وأعرض عنه السلطان وعن الكلام معه، وأمره أن يوجه إخوانه لبلادهم، ووجه القبائل كلها، وفرق ذلك الجمع وارتحل لتادلا.

وأما الذين نزلوا تاسماكت مع محمد وعزيز بيتهم آيت أمالوا وشتتوا جمعهم ونهبوا محلتهم وقتلوا منهم عددا كثيراً، ورجعوا لمكناسة مغلولين.

ولما بتنا بالزرهونية ورد علينا أصحاب قدور بن الخضر بكتاب يقول فيه: إن البرابر اجتمعوا علينا من كل ناحية، فإن لم يتداركنا سيدنا هلكنا، فأمرنى بالتوجه إليهم والاحتيال فى خلاصهم بكل ممكن، ووجه معى مائة من الخيل فرجعت للزاوية فوجدت القبائل محيطة بهم، فاجتمعت بآيت يسرى ووعدتهم من السلطان بالعطاء الجزيل لتجوز المحلة فى بلادهم فأنعموا بذلك، وحملت المحلة مع الفجر وتركنا بلاد آيت ومالو وقطعنا الوادى لبلاد آيت يسرى، وتوجه معنا نحو المائة من أعيانهم إلى أن أخرجونا لتادلا لوادى تاقبالت ورجعوا عنا، وتقدمت للسلطان فأخبرته بقدوم المحلة وبلوغها لتاقبالت فسره ذلك ودعا لى بخير، وقال: لابد أن ترجع لها الساعة وأعطانى مالاً أفرقه عليهم وأكتب لهم المنازل لمكناسة، وبها ينتظرهم السلطان فرجعت لهم فى الحسين.

ولما كان صباح غد يوم وصولى إليهم فرقت عليهم المال وتوجهوا ورجعت، ثم أصابت السلطان حمى فمرض بتادلا، وكان الطبيب الأديب السيد أحمد آدراق يعالجه ولا يدخل عليه غيره وغير صاحب طعامه الحاج عبد الله، وغيرى فى أمور مكاتب الدولة إلى أن عافاه الله فأعطى الطبيب ألف دينار فى يوم واحد رحمه الله.

قال: ثم توجه السلطان لمكناسة وببلوغه قبض على بلقاسم الزمورى ونكبه واستصفى أمواله، وعزله عن زمور، وبنى حكم، وولى عليهم محمد وعزيز

بإشارتى، ومن ذلك الوقت رفع منزلتى على أبناء جنسى وقدمنى على غيرى، اهـ الغرض منه.

وفى هذه السنة انعقدت بينه وبين البرتغال معاهدة سيأتى ذكرها فى بابه.

وفى عام ثمانية وثمانين عزل محمد بن أحمد الدكالى عن القبائل التى كانت إلى نظره ولم يترك له إخوانه أهل دكالة، وولى على السراغنة محمد الصغير وعلى أهل تادلا ولد الراضى، وعلى أولاد أبى رزق صاحب الطابع، وعلى أولاد أبى عطية عمر بن أبى سلهام، وأمر ابن أحمد أن يقبض من إخوانه الذين كانوا عمالا على القبائل ما أكلوا من المال فقبض منهم مائة وخمسين ألفا، وفيه بلغ الزرع سبعة أواق للمد.

وفيه صدر الأمر بإيصال الماء من عين عتيك للرباط، وفيه عزل ابن سعيد الفيلالى عن قضاء الرباط وولى مكانه أبا عيسى المهدى مرينو الرباطى، وفى عاشر رمضان توفى أبو عيسى المذكور، واتفق أهل الرباط على توليه ولده أبى عبد الله محمد.

وفى عام تسعة وثمانين ثار عسكر العبيد على المترجم، وخلعوا ربقة طاعته من أعناقهم، وبايعوا ولده اليزيد، ونشأ بسبب ذلك فتن وأهوال، وكان السبب فى ثورتهم أمر المترجم لهم بالرحيل لطنجة وإيعاز القائد الشاهد لهم بما أوجب نفرتهم وانسلاخهم عن الطاعة، وذلك مبسوط فى البستان.

وفى عام تسعين ومائة وألف، رحل عن عرب تكنى ومجاط ودوبلال من سوس لسائس، وأقاموا به نحو العام، ثم نقلهم للشراط فهموا بالهروب إلى بلادهم، ولما أحس المترجم بذلك أمر الشاوية بالكون منهم على بلل ومنعهم من المرور.

وفيه نهض من مراكش للصويرة.

وفيه عم الجراد.

وفيه ثار العبيد الذين بطنجة على قائدهم الشيخ وقائد الأحرار ابن عبد المالك وراموا قتلهما فهربا لآصيلا، ثم راجع العبيد أنفسهم وقبضوا على الفعلة ووجهوا بهم للمترجم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم تفاحش ضرر العبيد بالثغور.

وفى آخر العام نهض المترجم من مراكش وسار إلى أن حل برباط الفتح فوجه للعبيد البغال والجمال، وكتب لهم يأمرهم بالنهوض من الثغور والتخييم بدار اعربى[(١)]، وواعدهم بتوجيه بغاله إليهم بمجرد وصولهم لمشرع الرمل يحملون عليها أولادهم وأثقالهم إلى مكناسة محل استقرارهم، ولما بلغهم الكتاب المذكور فرحوا واستبشروا، ولما نزلوا بدار اعربى أغرى عليهم بنى حسن وأهل الغرب ونهض هو فى القبائل الحوزية ونزل بسوق الأربعاء على مقربة منهم، ومن الغد وجه سفيان وبنى حسن وبنى مالك والخلط وطليق بمحلتهم، وقال لهم: انزلوا على العبيد واجعلوهم وسط محلتكم واستسلموا منهم الخيل والسلاح ثم اقتسموهم كل واحد منكم يأخذ عبدًا وأمة وأولادهما، العبد يحرث ويحصد، والأمة تطبخ وتعجن وتسقى وتحتطب، والولد يسرح، فخذوهم[(٢)] بارك الله لكم فيهم، فاركبوا خيلهم، واحملوا سلاحهم والبسوا ثيابهم، وكلوا ما عندهم، فأنتم عسكرى[(٣)].

ففعلوا بهم ذلك عقوبة لهم على ما أجرموا، وانقلب صاحب الترجمة للرباط، وفرق العبيد الذين كانوا عفا عنهم وردهم وكساهم وسلحهم وأعادهم للجندية وفرقهم فى الثغور، فانكسرت شوكتهم وصلحت أحوالهم.

---

(١) فى الاستقصا ٨/٤٨: «بدار عربى».

(٢) فى الاستقصا: «فحذوهم وتقلدوا سلاحهم».

(٣) الاستقصا ٨/٤٨.

وفى العام فشا القحط وامتد إلى عام ستة وتسعين ومائة وألف، كانت تلك السنون كسنى يوسف أكل الناس فيها حتى ميتة الآدمى، ومات خلق كثير جوعا، والمترجم يعالج أمر الجند بتتابع الرواتب، ورتب لأهل المدن الخبز يفرق على الضعفاء والمساكين فى كل حومة، وسلف القبائل أموالا بواسطة أشياخها وزعت على الضعفاء، وكان يعطى للتجار الأموال بقصد جلب الأقوات من الأقطار الشاسعة لإيالته المغربية، ويأمرهم ببيع ما جلبوه بالثمن الذى اشترى به إعانة للمسلمين ورفقا بضعفائهم.

ولما تقلص ظل تلك المجاعة، ورام القبائل رد ما أخذوه على وجه السلف أبى المترجم قبول ذلك منهم، وقال: لم أخرج ذلك بنية الرد، وإنما ذكرت الاستسلاف لئلا يأكل الأكابر والأشياخ تلك الأمور إذا تحققوا عدم الرد، وأسقط عن القبائل الوظائف كلها أربعة أعوام إلى أن عم الخصب[1].

وفى عام واحد وتسعين ومائة وألف وجه ابن عمه وزيره أبا الحسن على بن الفضيل لدرعة لاستيفاء ما بذممهم من الزكوات والأعشار فقتلوه باصغرو، فى ذى القعدة من العام، وفى رجب منه توفى قاضى مراكش أبو فارس عبد العزيز العبدلى السكتانى، وفيه جمع المترجم شتات الشبانات الذين كان فرق شملهم فى القبائل السلطان الرشيد مار الترجمة.

وفى عام اثنين وتسعين ومائة وألف خسفت الشمس خسوفا كليا حتى ظهرت النجوم ودام ذلك نحو أدراج ثلاثة. قال الضعيف: ثم بدأ انجلاؤها من جهة المغرب، وكان بين الابتداء والتمام ما يقرب من الساعة، وذلك قرب عصر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الأولى.

(١) الاستقصا ٨/ ٤٩.

وفى منتصف جمادى الثانية منه ألقى القبض على الباشا محمد القسطالى بمراكش واستولى على جميع أمواله، كما ألقى القبض على ولد الراضى قائد تادلا وقطع يده واستولى على جميع أمتعته، وكان من جملة ما وجد عنده ثلاثون قنطارا فضة، ثم عفا عن القسطالى وسرحه.

وفى العام دخل ماء عين عتيك للرباط.

وفى عام ثلاثة وتسعين كان الجراد المنتشر ووقع فى البقر موت كثير حتى كاد أن يعدم وذلك لتوالى المحول.

وفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف أمر بإخراج العبيد من رباط الفتح، وكانوا يعدون بنحو سبعة آلاف وسبعمائة، فلم يسعهم غير الامتثال، وفى شوال نهض لمكناس ولما نزل بقرميم أمر بإخراج من بقى من العبيد بالرباط، ولم يترك غير عبيد تافيلالت، وكان عددهم يقرب من خمسمائة، ثم نهض إلى مراكش وفيه عقد لنجله البار المولى أبى محمد عبد السلام على السوس الأقصى ودرعة.

وفى عام خمسة وتسعين ومائة وألف أوقع بأولاد أبى السباع لخروجهم عن الجادة وارتكابهم ما لا يليق، وقتل منهم عدداً كبيراً وتفرق باقيهم فى القبائل، منهم من قصد لوادى نول، ومنهم من ذهب للساقية الحمراء وبقيت الباقية منهم تتكفف بأحواز مراكش وغيرها جزاء بما كانوا يعملون.

وفيه رحل أولاد دليم من بلادهم وأنزل بها زرارة والشبانات.

وفى صبيحة يوم الأربعاء ثامن عشرى شوال العام كسفت الشمس.

وفى العام انحبس المطر وصلى الناس فى الرباط صلاة الاستسقاء، وكان الخطيب أبو محمد عبد الله البنانى، ثم أعيدت والخطيب أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم السجلماسى فأمطروا ورحم الله العباد.

وقد كان المترجم فى زمن المحل يحسن ويصل العامة والخاصة بما يسد خللهم.

وفيه أمر القائد الهاشمى السفيانى بالنزول على وزان فقبض من أبى العباس أحمد بن الطيب نحو العشرين قنطارا، ودفع ما كان لديه من الحلى والجواهر.

وفى ذى الحجة منه توجه الكاتب ابن عثمان من مراكش فى سفارته لمالطة ونابلى.

وفى عام ستة وتسعين ومائة وألف زاد الأمر شدة وتجلى الله سبحانه على عباده بالقهر والجلال والكبرياء والمترجم يكابد المشاق العظام فى ذلك التجلى المفزع ويصرف الأموال ذات البال فى الجيوش والرعية ويوالى التبرعات.

وفى عام سبعة وتسعين ومائة وألف مطر المغرب ونجح الحرث وكثر الخصب ورخصت الأسعار وتجلى المولى سبحانه لعباده بصفة الجمال والكمال واشتغل المترجم بتمهيد الدولة ورتق ما انفتق منها[(١)].

وفيه حاصر آيت يمور ومن القبائل البربرية بجبل زرهون إلى أن أخرجهم منه وأنزلهم بحوز البهاليل من فحص سايس، وأكل زروعهم لطغيانهم فى البلاد، وإذايتهم للعباد، وقبض على الدعى محمد والحاج اليمورى وقتله.

وفيه توجه لباغية آيت يوسى فتحصنوا ببعض جبال فازاز، وظنوا المنعة فحاصرهم واقتحم عليهم حصونهم وفرق أحزاب ضلالهم ونهبت زروعهم واستؤصلت ضروعهم وتركوا عالة على القبائل، وذلك يوم الأحد الثالث عشر من رجب العام، وبعد رضوخهم للطاعة وهم صاغرون رجع صاحب الترجمة لفاس.

---

(١) الاستقصا ٨/ ٤٩.

وفى سابع عشرى رجب المذكور نهض من فاس ووجهته تافيلالت فى اثنى عشر ألف جندى ما بين فرسان ورماة. قال الضعيف: وكان للفارس خمسة أواق مياومة وللراجل نصفها كذلك مدة حركتهم معه هذه.

وكان نهوضه هذا لتافيلالت بعد أن وجه ولده المولى يزيد للحج دفعا لما يخشى منه وأصحبه أمينا يصير عليه وأناسا لخدمته.

ولما أشرف على تافيلالت فر من حولها من البرابر كالنازلين بمطغرة، ووادى الرتب، وقصر السوق، وأولاد عيسى، والدويرة وأخرج عمه المولى الحسين منها، ووجه به لمكناسة وأتبع به أولاده انتقاما منه حيث إنه رام شق العصا وتفريق كلمة المسلمين بالدعاية لنفسه بالإمامة، وهدم قصبته المعروفة بأولاد جبور، وتامورارت ولم يغنه ما كان له من الجاه والوجاهة بتلك الناحية، حتى إنه كان لا يمكن إبرام أمر بتافيلالت إلا بموافقته.

وقد كان عفا الله عنه يرتكب أمورا شنيعة، منها أنه تسبب فى خراب دار ابن أخيه المولى الشريف بن زين العابدين، وأغرى البربر عليه حتى اقتحموا داره وقتلوه صبرا، ومنها قتله أبناء أخيه المولى يوسف بن إسماعيل وذلك سنة اثنتين وستين ومائة وألف، ولم يزل عمله جاريا على نحو ما ذكر من الموبقات العظام إلى هذه السنة التى أخرجه المترجم من موطن عزته فيها.

ثم قبض المترجم على ما يزيد على العشرين قنطارا من خصوص أهل الغرفة، وما يزيد على المائة قنطار من أهل تافيلالت، ومن أهل وادى المالح وما يليه ستة عشر قنطارا، ومن أهل تابو عصامت وما يليها ستة عشر قنطارا، ومثل ذلك من أهل السيفة وما يليها، وهد قصبتهم بوصاية من أبيه، وكان هَدّه لها آخر ذى القعدة من العام.

ثم ارتحل لمراكش بعد أن أقام بتافيلالت شهرا، وحسم داء آيت عطة، وآيت يفلمال وولى عليهم القائد على بن حميدة الزرارى، وكان رجوعه لمراكش على طريق، ومن الغد رفع الله تلك الثلوج وأصبح اليوم عيد الأضحى، فخطب السلطان الناس بنفسه، ودعا للسلطان عبد الحميد العثمانى ثم قام فدخل مراكش.

وفى العام نفسه وجه ولده أبا محمد عبد السلام لأداء فريضة الحج حيث إنه كان عام حجه مع أخيه المولى على لم يبلغ الحلم حسبما أشرنا لذلك، ووجه فى معيته للحجاز أموالاً تفرق فى أناس عينهم نذكرهم فيما يأتى لنا بعد بغاية الإيضاح بحول الله.

وفى عام ثمانية وتسعين ومائة وألف وجه أموالاً إضافية لتصان بقصبته التى بالرصانى من تافيلالت، ووجه لمن هنالك من الأشراف الكسوة ورتب لهم فى كل سنة مائة ألف مثقال، ووجه ابن عمه وصهره المولى عبد المالك بن إدريس للحج وفى معيته الكاتبان أبو عبد الله محمد بن عثمان، وأبو حفص عمر الوزير، والحاج عبد الكريم بن يحيى أمير الركب، ووجه معهم هدية نقدية لها بال لأهل الحرمين والحجاز واليمن بعد أن يذهبوا لاصطنبول أولا، وكتب للسلطان العثمانى أن يوجههم مع أمير صرته الذى يذهب إلى الحرمين الشريفين كل سنة، فلما بلغوا حضرته وجدوا أمير الصرة قد سافر فأقاموا إلى الموسم القابل وسافروا مع الركب.

وفى عام تسعة وتسعين ومائة وألف، نهض لثغر الصويرة(١)، وكان وصوله إليها يوم السبت سادس عشر ربيع الثانى ودخل لجامع قصبتها وصلى به العصر، واجتمع بمن بها من العلماء فاسيين وسوسيين وغيرهم، وأقام بها أياما ثم نهض وسار إلى أن حل بالدار البيضاء، ولما شاهد مرساها أعجبته فأصدر أمره ببنائها، وولى على الشاوية القائد عبد الله الرحمانى بعد أن سرحه من السجن، ثم ارتحل

(١) انظر فى ذلك: الاستقصا ٨/ ٥٤.

إلى ثغر الرباط، وكان حلوله به يوم الخميس فاتح ذى الحجة، فقصد أولا جامع السنة، حيث كان الفقهاء والعلماء فى انتظاره، ولما أقبل عليهم استفتحوا قراءة سورة: إنا فتحنا، وبعد أن فرغ من تحية المسجد جلس أمام المحراب والطلبة محدقون به وبعد ختم السورة المذكورة وتقديم تحياتهم إليه توجه لقصوره، ونزلت المحلة خارج المدينة، وأقام هو بالرباط أربعة أشهر، وقام أهل العدوتين بضيافته وتقديم فاخر الأطعمة إليه، وهو يصل كل من أتاه بشىء من الطعام بصلات من عشرة مثاقيل إلى عشرين.

وفى عام مائتين وألف، أوقع بأهل أبى جعد وقعة عظيمة، واستصفى أموالهم وخرب دورهم، وذلك يوم الأحد الثانى عشر من ربيع الثانى لإيوائهم أهل الزيغ والفساد، وسعيهم فى إيقاد نار الفتن، وتعدد صدور النهى لهم عن ذلك فلم ينتهوا، ثم بعد ذلك نهض لمراكش، وأنهض معه أبا حامد العربى بن المعطى الشرقى للاستيطان بمراكش والتغريب عن محل الفتن فاستوطنها، وصار يدرس بجامع الكتبيين منها.

وفى يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة بارح المترجم مراكش، وفى يوم الاثنين ثانى عشرى الشهر خيم بإزاء وادى يكم، وفى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين منه حل بالرباط، وفى العام وجه كاتبه المؤرخ أبا القاسم الزيانى سفيرا للسلطان عبد الحميد العثمانى كما سنشرح ذلك بعد.

وفى عام واحد ومائتين وألف، نهض من رباط الفتح ووجهته مكناسة، وذلك يوم السبت حادى عشرى ربيع الثانى، وفى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى نهض من العاصمة المكناسية لفاس وأقام به ثلاثة أيام، ثم ارتحل منه يوم السبت ثالث عشر الشهر يريد تافيلالت، وسار إلى أن دخلها يوم الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى، وأقام بها نحو شهر، وعم ببذله الذهب والفضة سائر

الطبقات الشرفاء والعلماء من الخنك إلى أقصى تافيلالت، وزوج الأرامل وغيرهم، وأعطى لكل عروس خمسين مثقالا ذهبا، وحسم مادة الفساد من تلك البلاد، ثم نهض لمراكش يوم السبت خامس عشرى جمادى الثانية وسار إلى أن دخلها أوائل رجب، وفى العام وجه كاتبه ابن عثمان آتى الترجمة سفيرا للقسطنطينية العظمى حسبما سنوضحه بعد.

وفى عام اثنين ومائتين وألف نهض من مراكش قاصدا فاسا، حيث بلغه عيث شراكة وسعيهم فى الأرض الفساد، ولم يزل يطوى المراحل إلى أن دخل مكناسا، ثم فى يوم الجمعة فاتح رمضان نهض لفاس ولما اتصل الخبر بشراكة فروا لجبل أمركو واستجاروا بضريح أبى الشتاء، فاقتفى أثرهم بجنوده، ولما التقى الجمعان شبت بينهما حرب هلك فيها خلق ثم انهزمت شراكة شر هزيمة ومزقوا كل ممزق، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا.

وفى أوائل رمضان نهض من بلاد شراكة بعد أن تابوا وأنابوا، ونزل بايناون من بلاد الحياينة، وبعث الجيوش تحت القائد العباس السفيانى لناحية القبائل الريفية بقصد زاوية بنى توزين المنسوبة للشيخ أبى عبد الله محمد بن ناصر الدرعى، ولما أحسوا بورود الجيوش إليهم هربوا لموضع حصين تحصنوا به، فدخل الجيش السلطانى الزاوية واستولى على جميع أقواتها وذخائرها وهَدَّها هَدًّا كما هَدَّ روضة الشيخ أبى محمد عبد الله، وروضة ولده الشيخ أبى عبد الله محمد.

ولم يزل المترجم مقيما بايناون إلى أن صام رمضان وأقام سُنَّة عيد الفطر، ثم رحل لفاس، ونزل بدار دبيبغ، وأقام بها نحوا من تسعة أشهر.

ثم بلغه رفضَ أهل تامسنا طاعة عاملهم صهره القائد عبد الله بن محمد الرحمانى وبالأخص أمزاب، والبعض من الشاوية، فنهض فى القبائل البربرية وسار إلى أن وصل مكناسة، ثم بارحها يوم الثلاثاء خامس عشرى رجب، وسار

إلى أن وصل الرباط ضحى يوم السبت تاسع عشرى رجب، وفى يوم الأحد رابع شعبان نهض من الرباط ووجهته الشاوية، وأوقع بالمعتدين منهم وقعة لم يتقدم لها نظير، قطع فيها سبعمائة رأس من رؤسائهم المفسدين، وقبض على مائتين، وكانت هذه الواقعة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان، ثم نهض إلى مراكش وسار إلى أن حل بها يوم الأربعاء.

وفى رابع عشرى ذى القعدة تبرأ المترجم من عهدة ولاية أى أحد، وأحضر العلماء وأمرهم بالإشهاد عليه بذلك، ونص الإشهاد على ما فى تاريخ الضعيف:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

وبعد: فإن مولانا أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، أيده الله بتوفيقه، ومنحه كرامة سلسبيله ورحيقه، تبرأ من عهدة تولية أحد مرتبة من مراتب الدين، وأنه التزم هذا الأمر التزاما أذاعه وأفاضه، وألزم نفسه العمل بمقتضاه، وصدر منه هذا الأمر الشريف هروبا بنفسه لساحل السلامة، ولقوله ﷺ: أحب أن ألقى الله وليس لأحدكم قبلى مظلمة، والله تعالى يتولاه بتوفيقه ورضاه، أشهد عليه أيده الله بذلك من أشهده على نفسه، وهو يمحل ولايته ومقعد حكومته برابع عشرى ذى العقدة الحرام عام ثلاثة ومائتين وألف: أفقر الورى لله تعالى محمد بن قاسم السجلماسى وفقه الله بمنه، وعبد ربه تعالى محمد بن العباس الشرادى لطف الله به، وعبد ربه تعالى محمد بن أحمد الخطاب خار الله له يمنه، الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله محمد العربى ابن المعطى بن صالح، وفقه الله للعمل الصالح، وعبد ربه إبراهيم بن أحمد الزداغى، وعبيد ربه تعالى محمد الدرعى خار الله له فى الدارين، وعبيد ربه تعالى محمد بن عبد العزيز غفر الله له آمين، وعبيد ربه أحمد بن العباس الشرادى، وعبيد ربه تعالى

محمد السلامى لطف الله به آمين، وعبيد ربه تعالى العباس بن على غفر الله له، وعبيد ربه أحمد بن عبد العزيز وفقه الله بمنه، وعبيد ربه تعالى عبد القادر بن المعطى الشرقاوى لطف الله به بمنه، وعبيد ربه محمد وفقه الله، وعبيد ربه تعالى محمد بن يعقوب وفقه الله آمين» بلفظه.

ثم بعث بهذا العقد لجميع مدن المغرب، وأخذ فى غلق أبواب دار دبيبغ وتخريبها، ونزع الأبواب الخشبية وغير ذلك من الأنقاض.

وفى العام نفسه وجه له السلطان عبد الحميد خان كاتب ديوانه أبا العباس أحمد أفندى وجملة من أعيان القسطنطينية بهدية فاخرة، سيأتى ذكر ما اشتملت عليه.

وفى عام ثلاثة ومائتين وألف نهض المترجم من العاصمة المكناسية وذلك يوم الثلاثاء خامس عشرى رجب العام، وسار إلى أن خيم بقرميم، وفى ضحى يوم السبت حل بالثغر الرباطى، وفى يوم الأحد رابع شعبان بارح الثغر المذكور وسار إلى أن وصل الشاوية وأوقع بفرقة امزاب منها شر وقعة لعصيانهم ومؤازرتهم للنهاب قطاع الطريق الساعين فى الأرض الفساد، واقتناعهم من تسليمهم للحضرة السلطانية بعد ما أمروا بذلك مرات، وحذروا فلم يزدهم التحذير إلا إغراء.

كما أوقع بجيرانهم بنى مسكين لإيوائهم إليهم بعد أن نهوا عن ذلك وحذروا وأنذروا، وبعد أن طهر الأرض من أهل الفساد والعبث توجه إلى عاصمة الجنوب، وكان حلوله بها يوم الأربعاء رابع عشرى شعبان المذكور، وبعد حلوله بها أصدر أوامره لبحرية العدوتين بالتوجه للعرائش وزخرفة السفن الأربعة التى كان عينها من جملة الهدية التى هيأها للسلطان عبد الحميد خان العثمانى، وأسند الأمر فى القيام بشئون ذلك لناظر الأوقاف الطالب المكى بار كاش، وفى منصرم

الشهر وجه صاحب الترجمة صهره القائد محمد الزوين بن عبد الله الرحمانى بالهدية التى من جملتها السفن المذكورة.

وفى عام أربع ومائتين وألف، أمر حاجبه أبا عبد الله محمد قادوس أفندى بالإتيان إليه بما فى بيت مال تطاوين، ووضعه بمكناس ولما ورد به إليها أحضر الأمناء ووضعه بمحضرهم فى المحل الذى أمر بوضعه فيه.

وفى العام تفاحش أمر اليزيد نجل المترجم، واشتدت شوكته، وفى يوم الاثنين الثانى عشر من رجب نهض صاحب الترجمة من مراكش لينظر فى أمر ولده المذكور، وفيه كان ابتداء المرض الذى كانت منيته به.

محبته للعلم واعتناؤه بأهله

لقد كان له رحمه الله اعتناء زائد زمن خلافته بمطالعة كتب الأدب والتاريخ والسياسة وأحوال العرب وأيامها ووقائعها وأنسابها حتى فاق فى ذلك معاصريه، وصار المرجوع إليه فيه، قال الزيانى وغيره ممن عاصره وخالطه: كان يستحضر كل ما يطالعه حتى كاد أن يحفظ كتاب الأغانى برمته لا يعزب عنه منه إلا النادر.

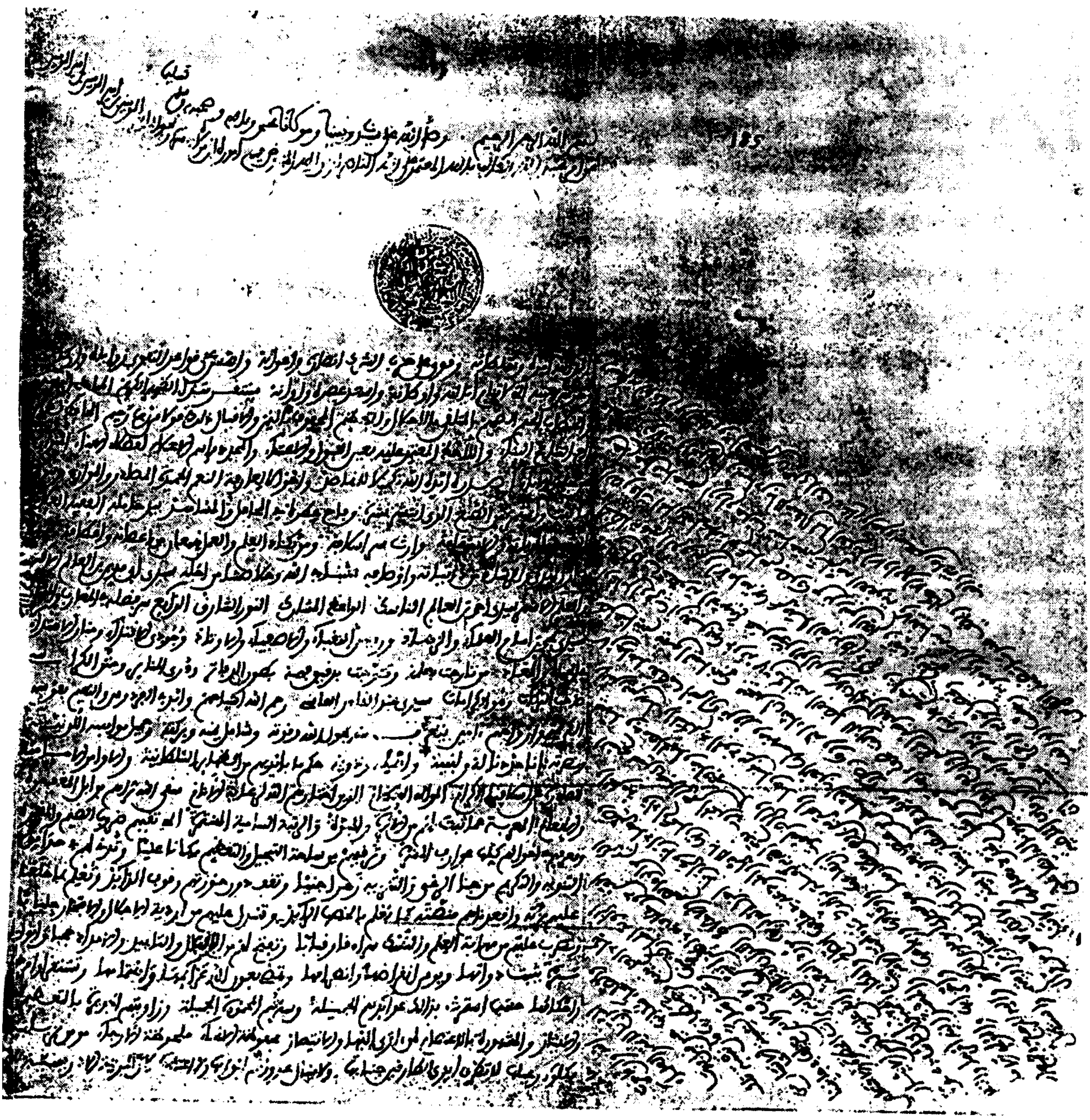
ولما نال الخلافة العظمى عن جدارة واستحقاق، أكب على مطالعة كتب السنة وولع بسرد كتب السيرة والحديث، وصار لا شغل له بغيرها فى أوقات فراغه من الأحكام وتدبير أمور الرعية، فحصلت له بذلك ملكة فى السنة وأحكامها لم يلحقه فيها غيره، وجلب من المشرق ما لم يكن بالمغرب من مصنفاتها ذات البال، كمسند الإمام أحمد، ومسندى أبى حنيفة والشافعى، وغير ذلك من مهم المتون والشروح، وأمر علماء وقته بشرح مؤلف الصغانى الحديثى، فكان ممن شرحه الشيخ التاودى بن سودة.

وكان بعد صلاة الجمعة يجلس بمقصورة الجامع مع فقهاء مراكش ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم إكراما لهم وتنويها بقدرهم

ويذاكرهم فى الحديث وفقهه والآداب وأيام العرب، وكانت له اليد الطولى فى جميع ذلك، وكان يحصل له النشاط التام بالمذاكرة معهم فى العلوم، وكثيرا ما يقول لهم على سبيل التأسف: والله لقد ضيعنا أعمارنا فى البطالة واللهو فى حالة الشبيبة.

ورتب أوقاتا لسرد الأحاديث النبوية والتفهم فى معانيها مع قادة علماء وقته وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته، فكان يملى عليهم الحديث النبوى ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به، منهم العلامة الحجة أبو عبد الله محمد بن أحمد الغربى الرباطى، وأبو عبد الله محمد بن المسير السلوى، وأبو عبد الله محمد الكامل الراشدى، وأبو زيد عبد القادر بوخريص، وأبو محمد بن عبد الصادق، وأبو الحسن على بن أويس الفيلالى، وأبو محمد عبد السلام بن بوعزى حركات السلوى، هؤلاء هم المخصوصون من أهل مجلسه بالتأليف والدراسة والخوض فى جمع ما يملى عليهم، ويأمر بتدوينه طبق ما يريد.

وجلب المحدثين من فاس ومكناس لمراكش، كالعلامة الشريف مولاى عبد الله المنجرة أخ مولاى عبد الرحمن، والفقيه الأديب أبى عبد الله محمد بن الشاهد، نقلهما إليها من فاس، وأبى العباس أحمد بن عثمان مار الترجمة نقله إليها من مكناس، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشريف نقله إليها من تادلا، وأبى الفضل الطاهر السلوى، والشيخ الطاهر بن عبد السلام فرقهم على مساجد مراكش لتدريس العلم ونشره بين العباد، ثم يحضرون مجالسه بعد صلاة الجمعة للمذاكرة فى الحديث والتفهم فى معناه، وكان له اعتناء خاص بمولاى عبد الله المنجرة، وأخيه مولاى عبد الرحمن.



ظهير سيدى محمد بن عبد الله لأبى مدين الفاسى فى إسناد أمر زاويتهم الفاسية إليه

قال أبو محمد عبد السلام نجل صاحب الترجمة فى مؤلفه «اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار»: وكان والدى نصره الله، وأدام لنا وللمسلمين علاه حريصا على تعليم أولاده، تابعا فى ذلك سنة آبائه وأجداده، يجلب العلماء لحضرته السعيدة، المباركة الحميدة، ويحث على تعليم العلم فى سائر القرى والمدن ويكرم الأعلام، وهو نصره الله مشارك فى جميع الفنون العظام، قد وسع أهل العلم إنعاما وإحسانا، وعطاء وامتنانا، يعلى مجالسهم، ويستخرج نفائسهم، ويكثر جوائزهم، ويقضى حوائجهم، وله مع الفقهاء مذاكرات ومحادثات فى سائر الأيام، وممر الدهور والأعوام، فيلقى عليهم من المسائل المشكلات فى الحديث والسير والأخبار وضروب من الفنون العربية، ونكت من المقطعات الأدبية، فلا يهتدون إليها إلا بعد الاطلاع، وسواء فى ذلك ذو العارضة أو قصير الباع. هـ

وحبس خزانة كتب جده السلطان الأعظم أبى النصر إسماعيل التى كانت بدويرة الكتب الشهيرة بمكناس، وفرقها على جميع مساجد المغرب، وكانت تزيد على الاثنى عشر ألف مجلد، رجاء نفع عموم الناس وسعيا وراء نشر العلم وتحصيله.

ومن ذيول هذا الباب ما أصدره لأبى مدين الفاسى فى إسناد أمر زاويتهم الفاسية إليه مع الخطبة والإمامة بالقرويين، ونص ذلك بعد البسملة والصلاة:

«عن أمر عبد الله الغالب بالله المعتمد على الله الناصر لدين الله المفوض جميع أموره إلى مولاه، فى سره ونجواه، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين (ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه وبدائرته ومن تكن إلخ) أيد الله أمره وسلطانه، وقوى على حزب الشرك أنصاره وأعوانه، وأسس على قواعد التقوى زواياه وأركانه، وحرس بعينه التى لا تنام إيالته وأوطانه، وأسعد عصره وأوانه، يستقر هذا الظهير الكريم المبارك الجسيم،

والخطاب الحتم الصميم، المتلقى بالإجلال والتعظيم، المحفوف باليمن والإقبال ذلك قولا من رب رحيم، الحافظ نظام العز الشامخ البناء، واللاحظ المعتمد عليه بعين القبول والاعتناء، والمجد مراسم الاعتلاء، لفضلاء الأبناء المتوارث عن جلة الآباء، أصدره أيده الله تكميلا للمقاصد، وإجزالا لعارفة النعم الحميدة المصادر والموارد، وتنويها بما ثبت واستمر من الصنع الذى انتشر نشره، وفاح عطره، فى المحافل والمشاهد، بيد حامله الفقيه العلامة، الشهير بالديانة والاستقامة، وارث سر أسلافه، ومن يكاد العلم والعمل ينبعان من أغصانه وأعطافه، حتى صار الهدى والرشاد من ذاتياته وأوصافه، محبنا فى الله وخلاصتنا من أجله سيدى أبى مدين العالم الأكبر، والعلم الأشهر، سيدى أحمد بن العالم الناسك، الواعظ المشارك، النور الشارق، الذائع سر فضله فى المغارب والمشارق، سيدى محمد بن إمام العلماء والزهاد، ورئيس النقباء والأصفياء والأوتاد، وجودى الاقتداء، ومنار الاهتداء، فى الحياة والمعاد، من تأرجت بعلمه، وتتوجت بدقيق فهمه بطون الدفاتر، وذرى المنابر، ومتن الكراسى صاحب البركات، وذو الكرامات، سيدى عبد القادر الفاسى، رحم الله أشباحهم، وأبد فى الفردوس والنعيم نفوسهم الكريمة وأرواحهم، آمين.

يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته وجميل مواهبه اللدنية ونصرته، أنا جددنا له ولبنيه، وأهله وذويه، حكم ما بأيديهم من الظهائر السلطانية، والأوامر الإمامية الصادرة عن أسلافنا الكرام، الموالى العظام، الذين اختارهم الله لرعاية الأنام، سقى الله ثراهم بوابل المغفرة والإنعام، المعربة عما ثبت لهم من الأثرة والمبرة، والرتبة السامية المستمرة، التى تقيهم ضروب الضيم والمضرة، وتعرفهم فى أحوالهم كلها عوارف المسرة، وترقيهم من ساحة التبجيل والتعظيم مكانا عليا، وتدنى لهم فى حدائق التنويه والتكريم من جنا الرعى

والتنزيه زهرا جنيا، وتقف دون حوزتهم وقوف الذائد، وتعلم بما خلعنا عليهم بزته، وأقعدناهم منصته، كما يعلم بالخصب الرائد، وتسدل عليهم من أردية الإجلال والافتخار جلبابا، وتضرب عليهم من مهابة العلم والنسك سرداقا وقبابا، وتفتح لهم من الإقبال والتأييد والإمداد حججا وأبوابا، مبرة يثبت دوامها، ويؤمن انقراضها وانصرامها، وتمضى بعون الله عزائمها واهتمامها، وتستقر أوامرها وأحكامها، حسبما استمرت بذلك عوائدهم الجميلة، وسيرتهم المحمودة الجميلة، وزاويتهم الجديرة بالتعظيم والايثار، والمشهورة بالاعتصام لمن آوى إليها والانتصار، محفوظة الأنحاء، ملحوظة الأرجاء، مؤمن من نزيلها، مكلوء رعيلها، لا تطرق أيدى الطراقين جنابها، ولا ينال عدوانهم أبوابها ولا أعتابها، لأن المدينة الإدريسية حاطها الله وإن فاخرت المدن بالأئمة والعلماء والصلحاء سكانها، حين قيل فيها يكاد العلم ينبع من حيطانها، فإن نسبة تلك الزاوية المباركة منها وعندها كنسبة الإنسان من العين، دون خلاف فى ذلك بين اثنين.

ولا ريب ولا مين مع ما لها فى جانبنا الكريم من الود الصميم والإخلاص اللذان أديا إلى غاية مراتب الحظوة والاختصاص، وصيرها دارنا وعرارنا أجزل الله لديها مورد النعمة، وأبقى عليها لبوس الإيثار والحرمة، وأدام عمارتها بالأسرار المودعة فى خلفها الصالح والمكارم الجمة، وإن كانت دعوة الشيخ سيدى عبد الرحمن المجذوب نفع الله به كفيلة بذلك ما دامت الأمة، والمسند إليه أمرها والنظر فيها وفى مصالحها ومنافعها، والراصد لسموت ارتفاعها وأوقافها ورباعها وأحزابها، والمولى الإمامة والتدريس بها، والمتكلم فى المؤذنين بمنارها، والمحترمين بروض معطارها، هو سيدى أبو مدين المذكور، وإليه المرجع فى جميع الأمور، لأن رحالها بقطب أسراره تدور، ومنهلها العذب السليس من عنصره يفور.

بَيْدَ اَنّ كُلًّ من استجار بزاويتهم، واستظل بظل عنايتهم، ينهى إلينا خبره، فيحمد إن شاء الله ورده وصدره، ولا يكون واسطة بيننا وبينه، ولا كلام لأحد من وال أو عامل أو قريب أو بعيد فيها دونه، لأن مكانته الفضلى، لا زالت صحف آيها توحى وتتلى، وتجدد معالمها ولا تبلى، مثل ما كانت حظوته الشهيرة عند سيدنا الوالد ومولانا الجد المقدسين المنعمين وأرفع وأعلى.

كما جددنا له أيضا على الخطابة بمنبر القرويين والإمامة بها عمرها الله بدوام ذكره وعلى جميع ما بيده ويد إخوانه من الأوقاف الماضية، والصدقات الجارية إعانة لهم عما هم بصدده من تدريس العلم وبثه ونشره، وتحصيل ثوابه وأجره، بحيث أن من حام حول ساحتهم، أو رام جانب مساحتهم، تلزمه العقوبة، ولا يقبل منه عذر ولا مثوبة، وحسب الواقف عليه من الولاة والخدام، أن يبادر بالامتثال لما أنفذته الأوامر والأحكام، ويقف عند ما تضمنه الطرس وسطرته الأقلام، والسلام، وفى العشرين من جمدى الثانى عام واحد وسبعين ومائة وألف.

اختياراته المذهبية

وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين عليه

ونظم العدلية الشريفة بايالته أصدر فى ذلك أولا منشوراً إليك نصه بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله:

«هذا ظهير كريم، يجب أن يتلقى بالتبجيل والتعظيم، صدر بأمرنا المطاع، يعلم منه أننا نأمر سائر القضاة بسائر إيالتنا أن يكتبوا الأحكام التى يوقعونها بين الناس فى كل قضية، ولا يهملوا كتابة الحكم فى شىء من القضايا، وليكن المكتوب رسمين يأخذ المحكوم له رسما يبقى بيده حجة على خصمه إذا قام عليه

يوما ويأخذ المحكوم عليه رسما ليعلم أن القاضى حكم عليه بالمشهور[١] وعلى كل قاض من القضاة أن يعمل بموجب ما ذكرناه، ويقف عند ما رسمناه، لكونه حكما شرعيا، ومنهاجا بين قضاة العدل مرعيا.

ومن خرج عما ذكرناه بأن حكم ولم يكتب حكمه أو لم يشهد عليه العدول، فهو عندنا معزول، وتناله منا العقوبة التامة، ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يقفوا فى هذا الأمر حتى يجرى عليه عمل القضاة، ولا يهملوه إلا فى المحقرات التافهة المقالات».

ثم أتبعه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، مسائل المذهب باعتبار الحكم فيها وفاقا وخلافا على خمسة أقسام: الأول ما هو متفق على إثبات الحكم فيه، الثانى ما أثبت الحكم فيه الأكثر كالثلثين ونفاه الأقل كالثلث وهو المعروف عند الفقهاء بالمشهور والراجح، الثالث ما اختلف فيه على قولين متساويين إثباتا ونفيا، الرابع ما أثبت الحكم فيه الأقل كالثلث ونفاه الأكثر وهو المسمى عند الفقهاء بالمرجوح وبمقابل الراجح والمشهور، الخامس هو ما أثبت الحكم فيه رجل أو رجلان ونفاه الباقى وهو المسمى بالشاذ[٢] فالأقسام الأربعة ما عدا الأخير نعمل بها كلها فى عبادتنا[٣]، والقسم الخامس وهو الشاذ لا نعمل به

---

(١) فى هامش المطبوع: «هو صميم الحق الذى لا عوج فيه ولا أمتا إذ كثيرا ما يحكم بعض قضاة الجور لفظا ويمتنع عن كتابة الحكم ومن إعطائه نسخة للمحكوم له أو عليه وقد شاهدنا من هذا كثيرا. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا منه رحمه الله جرى على ترادف الراجح والمشهور وهو قول فى المسألة وقيل بتغايرهما. هـ. مؤلف».

(٣) فى هامش المطبوع: «لا خفاء فى ثبوت النص على جواز العمل بالضعيف للمرء فى خاصة نفسه عند الضرورة وأن ذلك هو فائدة ذكر الأقوال الفقهية مع امتناع الحكم بغير المشهور وعليه فما قاله المترجم يحمل على ما لا ضرورة فيه هـ. مؤلف».

فيـها، وأما غـير العـبادات مما يتعلق بـه حقوق العـباد كالنكاح والـطلاق والعتق والمعاملات الجـارية بين الناس، فالعمل عندى فـيها بالأقسام الثـلاثة، وهى المتفق عليه والمشهور وما تساوى فيه الطرفان[1].

وأما القسمان الباقيان وهما مقـابل المشهور والشاذ فلا أعمل بهما فى حقوق العباد خوفا من المحذور، بخلاف العبادة فأعمل فيها بمقابل المشهور دون الشاذ لأن العبـادة بينى وبين ربى، ودين الله يسر كما قـال تعالى: ﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ [سـورة الحج ٧٨] وقـال ﷺ: من غصب شـبـراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة.

والرجال الذين ذكرت يـعتبر اتفاقـهم واختلافهم، فإنما أعـنى بهم أصحاب الإمام مالك الذين حـملوا عنه مذهبه، كابن القـاسم، وأشهب، وابن نافع، وابن وهب، ومطرف وابن الماجـشون وغيـرهم ممن أدرك الإمام مالكـا، وكذلك الذين جاءوا بعده ولم يدركـوه فأخذوا عن أصحـابه كسحنون، وابنه محـمد، وأصبغ، وابن المواز، وابن حبيب، وابن عـبدوس، والقاضى إسماعيل وغـيرهم، وكذلك الذين جـاءوا بعد هؤلاء كـالأبهـرى، وابن أبى زيد، والقـابسى، وابن القصـار، والقاضى عبد الوهاب وأضرابهم.

ثم تلامـذتهم كـأبى بكر بن عبـد الرحـمن، وأبى عـمران الفـاسى، وابن يونس، وابن شعـبان، ثم اللخمى، والمازرى، وابن رشـد، وابن العربى، وسند،

---

(١) فى هامش المطبوع: «نص أئمـتنا على أن الذى تجوز به الفتوى والحكم أربعـة المتفق عليه والراجح والمشهـور وقد علمت أن الأمر هنا مبنى على ترادفـهما والقول المسـاوى لمقابله حيث لا مرجح هـ. مؤلف».

وعياض وأمثالهم[1].

ولست أعنى الأجهورى وأصحابه، وكل فتوى أفتى بها الأجهوريون فإن وافقت قول العلماء الأقدمين الذين تقدم ذكرهم فنعمل بها، وإن لم توافقهم فلا نعمل بها وننبذها وراء ظهورنا[2].

---

(١) فى هامش المطبوع: «على نحو هذا المسلك كان الإمام أبو إسحق الشاطبى فقد نقل الونشريسى فى معياره والسودانى فى تكميله عنه أنه كان لا يأخذ الفقه إلا من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر فى الكتب المتأخرة وخصوصا من تنبيه ابن بشير وجواهر ابن شاس ومختصر ابن الحاجب وقد قرر هذا فى مقدمة كتابه الموافقات ولكن قد هيأ الله تعالى فى عصر الشاطبى المذكور محرر المذهب وحافظه وملخصه الإمام أبو عبد الله بن عرفة فتتبع أمهات المذهب وسبر رواياته وعرض عليها ما فى كتب المذكورين فما وجد له أصلا فيها قبله وما وجده ليس كذلك أنكره قائلا إنه لا يعرفه حسبما بسط ذلك فى ديوانه الحفيل ومختصره، وعلى ذلك نهج بعض حفاظ أصحابه كالإمام أبى عبد الله بن مرزوق كما نبه عليه فى ديباجة شرحه على المختصر وعلى تنقيح المذهب وتحريره من ابن عبد السلام شيخ ابن عرفة فى شرح ابن الحاجب وكذا الشيخ خليل فى توضيحه حتى قال الإمام الحطاب فى باب القضاء من شرحه على المختصر لما تكلم على شروط الفتوى ما نصه ويكفى الآن أن فيما يعول عليه المفتى فى فتواه وجود المسألة فى التوضيح أو فى ابن عبد السلام هـ. وعلى ما يجب التمشى عليه قضاء وفتوى قصر الإمام أبو المودة خليل مختصره الذى قال فيه الإمام أبو العباس الهلالى فى نور البصر فكم أراح من التعب الفادح النفوس والخواطر. وأسدى ما هو أجزل من الغيوث المواطر. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «إن ما تفردت به كتب الأجاهرة محذر منه لدخوله دخولا أوليا فى قول الشهاب القرافى تحرم الفتيا من الكتب الغريبة التى لم تشتهر حتى تتظافر الخواطر عليها ويعلم صحة ما فيها وكذا الكتب الحديثة التصنيف إذا لم يشتهر إعزاء ما فيها إلى الكتب المشهورة أو يعلم أن مؤلفها كان يعتمد هذا النوع من الصحة وهو موثوق بعدالته ويعضد ما قاله المترجم قول الهلالى فى نور البصر ونصه: ومن الكتب التى لا يعول على ما انفردت به شرح العلامة الشهير المكنى بأبى الإرشاد نور الدين الشيخ على=

فيجب على القاضى أن يحكم فى حقوق الناس بالمتفق عليه ثم يقول الأكثر وهو المشهور، ثم بأحد القولين المتساويين بعد أن يجتهد فى القول الذى يحكم به منهما[١] خشية أن يضيع حق المساكين، ويميل إلى قوى.

فكل من ثبت له حق من المساكين بأحد القولين المتساويين فليثبته له بذلك القول، وليلغ القول الذى يبطل به حق المسكين[٢] فإذا حكم القاضى بما ذكرنا كان قد استبرأ لدينه وعرضه.

=الأجهورى على المختصر كما ذكر ذلك تلميذه العلامة النقاد أبو سالم سيدى عبد الله العياشى فى تأليفه «القول المحكم فى عقود الأصم الأبكم» وشار إلى ذلك فى رحلته ومن مارس الشرح المذكور وقف على صحة ما قاله تلميذه المذكور والمراد شرحه الوسط وأما الصغير فقد ذكره أبو سالم وسألت عنه بمصر فما وجدت من سمع به وأما الكبير فذكر لى أنه لم يزل فى مبيضته وقد نقل عنه تلميذه الزرقانى فى بعض المواضع وما قيل فيه يقال فى شرح تلامذته وأتباعه من المشارقة كالشيخ عبد الباقى والشيخ إبراهيم الشبرخيتى والشيخ محمد الخرشى لأنهم يقلدونه غالبا - هذا مع أن الأجهورى حرر كثيرا من المسائل أتم تحرير وقررها أوضح تقرير وحصل كثيرا من النقول أحسن تحصيل وفصل مجملات أبين تفصيل فشرحه كثير الفوائد لمن يميز حصباءه من دره ولا يطويه على غره وقد سألت بالجامع الأزهر من القاهرة عن شرح تلميذه الشيخ عبد الباقى فقيل لى ما رأيك فيه فقلت لا ينبغى للطالب أن يترك مطالعته لكثرة فوائده ولا أن يقلده فى كل ما يقول أو ينقل لكثرة الغلط فى مقاصده وقد هيأ الله بعد ذلك أئمة حفاظًا نقاداً لتمييز غث شروح الأجاهرة من سمينها كالشيخ مصطفى الرماصى والشيخ بنانى والشيخ التاودى والشيخ الرهونى فزيفوا سقيمها وعضدوا صحيحها حتى صار بذلك الآن السالم من التعقب من شرح الزرقانى عمدة القضاة والمفتين. هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «صريح فى أنه يجب عليه فى القولين المتساويين أن يجتهد فى أحدهما ولا يختار واحدا منهما دون اجتهاد وهو قول الشاطبى كما يأتى هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا من المترجم تنبيه على بعض طرق الاجتهاد فى الذى يحكم به من أحد القولين المتساويين وكأنه اختيار منه والمنقول فى ذلك بعد القول بالتخيير الذى=

وأين القضاة الذين كانوا يحكمون بما ذكرنا ولا يهملون حق المساكين، وإنما نظر القضاة اليوم إلى صاحب المال لماله وصاحب الجاه لجاهه فيحكمون لهم ويغلبونهم على المساكين بالقول الشاذ والعياذ بالله، وأما أنا فكل قضية وصلت إلينا فإننا ننظر فى الحكم الذى حكم به القاضى، فإن وجدناه حكم بالمتفق عليه فعلى بركة الله، وإن وجدناه حكم بأحد القولين المتساويين وأثبت حق المسكين وألغى الطرف الآخر فكذلك، وإن وجدناه حكم بالقول الآخر الذى يلغى فيه حق المسكين فلا يلومن إلا نفسه، وكذلك إذا حكم بالقول الشاذ فإنه يجب على السلطان نزعه وعقوبته».

ثم أتبع ذلك أيضا بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

اعلم أن هاهنا فوائد لا بد منها، ومسائل لا يستغنى عنها، تشتمل على سبعة فصول.

الفصل الأول: أن المرأة لا توكل زوجها لاستخراج حقوقها(١)، وإنما توكل قريبا من أقاربها أو أجنبيا وما يقبضه لها من حقوقها يدفع بيدها وتبرئه منه، ولا

=انتقده الشاطبى وتابعه الهلالى وعلى ضده مر المترجم ما تقدم هو الترجيح بأن أحد القائلين أعلم من مخالفه أو بكون أحد القولين أشد وأغلظ من الآخر كما أن المنصوص تحذير المفتى من قصد إضرار أحد الخصمين بفتواه وإرادة نفع الآخر فتأمل ذلك فإن القوى والضعيف فى الحق سواء وكذا فى اجتناب الحيف على أحدهما وإنما مراد المترجم بهذا الأخذ بالأحوط لضعاف الخلق الذين لا جاه لهم ولا وجاهة وسدا لباب التشهى والميل مع الأغنياء لأجل غناهم هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «هذا أخذ بالأحوط للزوجة لأن الزوج قد يكرهها على توكيله باطنا ويظهر الطوع به ولا تجد مخلصا إلا بتوكيلها إياه والغالب أنه يستولى على ما قبضه لها ويدخله فى مصالحه. هـ. مؤلف».

يدفعه لـزوجها، فإن دفعـه له فلا براءة له منه[1] إلا أن يكون زوجها ابن عـمها وأحبت أن توكله فلا بأس.

الفصل الثانى: ينادى فى أسواق البلد بالبراح أن لا يعامل أحد معدما بفلس أو غيره[2]، وإنما يعامل من له دار أو جنان أو غيرهما من الأملاك فيعامل بقدر ما تساويه أمـلاكه، فـإن عامل أحد مـعدمـا لا دار له ولا جنان فقد أتـلف ماله ولا يسجن ولا يحكم عليه، ومن عنده الأملاك فإنما يعـامل بعد البحث عنه خشية أن يكون عليه دين آخر.

الفصل الثالث: أن من انقرض فيه دين خفيف كمائة مثقال فما دونها وكانت له صنعة مثل تنجـارت وتخرازت أو غيرهما فليجعل له الـقاضى مسألة، وهى أن يعطى من أجرته لرب الدين نصـفها[3] ويعيش بنصفهـا، فإن قبل فذاك، وإن لم يقبل ينفى من البلد، فإن عاد إليها خلد فى السجن[4].

الفصل الرابع: أن المال المنقرض إذا كـان كثيرا نحو ثلاثة آلاف مثقـال فأكثر وكان الشخص المقـروض فيه المال مفلسا ليس عنده مـا يدفع فى الدين، فإنه ينفى

---

(١) فى هامش المطبوع: «هذا هو المنصـوص فى كل من دفع لغير من ائتمنه والوكالة العـرفية غير معمول بها ولذا يطلب الزوج بوكالة زوجه هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «إعلان حال المفلس حتى يتجنب الناس معاملته ولا يقع ضياع لأحد مصرح بوجوبه وعليه جرى عمل قضاة العدل هـ. مؤلف».

(٣) فى هامش المطبوع: «كون ذى الصنـعة يعطى من أجرته نصفهـا قضاء عن دينه يأتى على قول اللخمى إن الصانع يجبر على التكسب لأنه على ذلك عامله الناس هـ. مؤلف».

(٤) فى هامش المطبـوع: «هذا زجر له عن عـصيـانه وتعزير والتـعزيـر موكول لنـظر الإمام واجتهاده وأمـر شىء على الإنسان إخراجه من داره ووطنه ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ... ﴿٦٦﴾﴾ [النساء] الآية. هـ. مؤلف».

من البلد، فإن عاد إليها خلد فى السجن[١] وهذه المسألة وإن كانت بدعة فقد رأيناها مستحسنة، ولذلك أمرنا بها إذ ربما يكون الرجل عنده أموال الناس ويظهر العدم ويأكلها فى داره، والجلاء أمر عليه من السجن، فإن كان أخفى مالاً فإنه يخرجه، وإن لم يكن عنده شيء صبر على الجلاء.

الفصل الخامس: إذا تخاصم رجل مع زوجته فلا يسجنه القاضى[٢] لها إن لم يكن ضربها بحث القاضى عن سبب ضربه لها فإن كان على ترك الصلاة أو على إتلاف ما له فيصلح القاضى بينهما، وإن كان على غير ذلك بأن كان ضربها ضربا فاحشا أو بالحديد فليعزلها القاضى عن زوجها ويردها إلى أهلها، ولا ترجع إليه حتى يتوب ويأخذ بخاطرها، وهذا الأمر الذى أمرت به من أن الزوج لا يسجنه القاضى فيه مصلحة عظيمة عامة نافعة للزوج وللزوجة، وذلك أن الزوجة إذا رفعته إلى القاضى وسجنه لها فإن مال الزوج يضيع بذلك، لأن القاضى يأكل منه طرفا، وأعوان القاضى يأكلون منه طرفا، والسجان يأكل طرفا، فهذا مال الزوج قد ضاع بين هؤلاء، ومع ذلك الزوجة لا تتوصل بحقها.

الفصل السادس: أن من قبض رهنا من حلى أو جوهر أو غيرهما فليرفعه إلى القاضى ويقومه القاضى بحضور أرباب المعرفة حتى تعرف قيمته وتكتب بالعدول، بحيث إذا تلف ذلك الرهن فلا تقع بين المتراهنين خصومة ولا إنكار[٣]،

---

(١) فى هامش المطبوع: «فيه سد للذرائع وعدم تاسرع الناس لأكل أموال بعضهم بعضا بالباطل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ... ﴿٢٩﴾﴾ [النساء] وكثيرا ما يتقاعد المفترض على المال ويدعى الفلس وقد تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «ليس السجن فى حق الزوجة محتما وإنما المدار على زجر الظالم منهما وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام ونظره. هـ. مؤلف».

(٣) فى هامش المطبوع: «فيه احتياط لجانب المتراهنين وحسم لمادة النزاع بينهما لأن الحلى مما يغاب عليه فيضمنه المرتهن إذا تلف ويبقى بينهما النزاع فى قدره وصفته هـ. مؤلف».

وأما إذا لم تعرف قيمة ذلك الرهن وبقى أمره مجهولا وتلف، فإنه يقع بينهما من النزاع والخصومات ما لا يكيف، ويوجب القاضى اليمين على أحدهما وربما يحلف على شىء مجهول لم تعرف قيمته فيهلك.

الفصل السابع: إذا أراد الرجل شراء ملك أو دار أو جنان أو أرض حرث أو غيرهما، فلابد أن يأتى إلى قاضى البلد ويعلمه أنه أراد شراء دار فى الحومة الفلانية أو جنان بالموضع الفلانى أو فدان بالموضع الفلانى، ويقول الذى أراد الشراء للقاضى إنى أشاورك فى هذه الدار مثلا أو غيرهما، فإن أنت وافقتنى اشتريت ذلك وإن لم توافقنى تركت ذلك، فيتعين على القاضى حينئذ أن يبحث أشد البحث فى ذلك ويأمر بإحضار رب الدار أو غيرها بين يديه ويسأله بأى وجه دخل بيده هذا الملك الذى أراد بيعه هل بإرث أم بشراء أم بهبة أم بغير ذلك؟ ويأمره بإحضار الرسوم ويتأملها حق تأملها، فإن وجدها موافقة للشرع ولا نزاع لأحد فى الملك المذكور لا من جهة شفعة ولا استحقاق ولا ملك غير فحينئذ يوافق مشتريه على الشراء، وإن وجد غير ذلك أخره عن الشراء ويقول له هذا الملك فيه شبهة لا يحل لى أن أوافقك على شرائه، وهذا الأمر المذكور لا يباشره إلا القاضى بنفسه، ولا مدخل للعدول فى ذلك لا بكتابة ولا بغيرها، وإن أشكل على القاضى الأمر فى صحة ملكية ذلك للبائع وتوقف، فليناد أهل الحومة بذلك الملك ويسألهم عن سبب ملكية البائع لذلك الملك الذى أراد بيعه، فإن كان جنانا فليناد على جيرانه فى الجنان، وإن كانت دارا فليناد على جيرانه فى الدار وما شهد به الجيران المذكورون يثبته القاضى، ولا يبقى فى ذلك كلام، فعند ذلك ينادى القاضى ويدفعه للبائع ويشهد عليه بالبيع العدول، ويثبت له القاضى رسمه، فحينئذ يكون القاضى هو الذى تولى البيع بنفسه فيبقى ذلك الرسم صحيحا مخلدا لذريته ولعقبه ولا يجد من ينازعه فيه أبدًا، وإن وقع بعد ذلك قيام غائب أو

وارث، فدرك ذلك على القاضى لأنه هو الذى تولى البيع بنفسه، وعلى هذا[١] يكون عمل القضاة فى سائر بلدان المغرب. نطلب الله الهداية لنا ولكم ولسائر المسلمين وقيدناه عن أمير المؤمنين مولانا محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله الشريف الحسنى الله وليه ومولاه».

«واعلم أن هذا الوقت وقت صعب كثر فيه الظلمة المتمردون ومن جملتهم الذين يريدون أن يأكلوا أموال اليتامى، يأتون إلى رب الملك الذى عنده فيه بعض الورثة أو بعض الحق للغير من شفعة مثلا أو غيرها، فيأتى ذلك الظالم المتمرد ويشترى ذلك الملك الذى فيه النزاع ويتقوى على المسكين صاحب الحق بالمال والرشوة حتى ينزعه منه، ويشهد له العدول، والقاضى يعمل له خاطره ويضيع حق ذلك المسكين، وبعض القضاة يحكمون لذلك الظالم بالفتاوى الواهية التى لا عمل عليها حتى يضيع حق ذلك المسكين».

«مسألة أخرى: إذا حكم القاضى بحكم وكان ذلك الحكم مشهورا وذهب المستفتى ليأتى بحكم آخر مشهور، فإنه لا يعمل به ولا يحكم إلا بالحكم الأول[٢] إذا كان، وإذا أتى المستفتى لصاحب الفتوى وقد كان حكم عليه القاضى بحكم مشهور فليطرده ولا يفتى له، ويقول له: إن القاضى قد حكم عليك بحكم مشهور فلا نفتى لك بفتوى، وإن أفتى له بقول آخر مشهور فتلزمه منا العقوبة التى تأتى على نفسه؛ لأن المفتى يريد أن يعينه بفتواه على الخصام وأكل أموال الناس، وإذا كان القاضى قد حكم عليه بقول ضعيف وكان فى المسألة قول آخر مشهور أصح

(١) فى هامش المطبوع: «فى التمشى على هذه الكيفية احتياط وحسم لمادة النزاع فلا يضيع مال المشترى ولا يبقى نزاع غالبا مع أحد استقبالا ولا مانع من هذا شرعا. هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «موضوعه إذا كان القولان معا مشهورين وحكم القاضى بأحدهما فحكمه رافع للخلاف كما صرح به الفقهاء. هـ. مؤلف».

مما حكم به القاضى فليفت له، ويتعين حـينئذ على القاضى أن يحكم بذلك القول المشهور، الذى أفتى به صاحب الفتيا، وإذا تمادى القاضى على حكمه الواهى ولـم يعمل بالقول المشهور الذى كتب به المفتى فواجب على السلطان نزعه وينقض ذلك الحكم الأول؛ لأن الحق أحق أن يتبع، انظر قضية السيد سلمان الفارسى مع سيدى أبى الدرداء رضى الله عنهما فى المسانيد إن كنت من أهل الحديث وطالعها».

ثم أتبعه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحـيم، وصلى الله على سيدنا مـحمد وآله وصحـبه، اعلم أنه مما ينبـغى الإسراع إليـه، وتنبيه قـضاة الوقت عليـه، أن كل من أراد أن يشترى دابة أو أمـة أو عبداً فإنه لا يعقد الشـراء مع المالك الذى أراد البيع إلا بعد التقليب الشافى، والاختبار الكافى، فإن لم يكفه التقليب فى اليوم الأول زاد اليوم الثانى، وإلا زاده اليوم الثالث، فإن خلصه فى اليوم الثـالث وحاز المشترى مشتراه والبائع ثمنه فـلا رجوع للمشـترى على البائع بشىء يجـده فى مشتـراه، وإن كان سبب موته وهلـك فى يده لأنه كان قلب ورضى وحاز وتصرف، وقـد أمرنا بهذا الأمر لما ظهر لنا فـيه من المصلحة ورفع النزاع، ولا سيمـا وبياطرة الوقت قد قلت أمانة الغالب منهم فيستخرجون عيوبا ليست موجودة فى الدابة.

فنأمر جمـيع القضاة وغيـرهم من الولاة فى سائر إيالتنا السعيـدة أن يعملوا بأمرنا هذا ويقفـوا عنده، وأن لا يتجاوزوا حده، والقاضى لا يثبت رسـما يتضمن ما قام به المشـترى من العيوب المذكـورة، وإنما يثبت رسم الاستحـقاق - يعنى إن سرقت دابة أو ذهبت - ولا يقبل القاضى شـهادة أجنبى إلا إذا كان من جيرانه إن كان من أهل الحضر، ومن جيرانه إن كان من أهل البادية؛ لأن الأجنبى لا علم له بالدابة، وإن شهـد شهد زوراً، وجيـرانه تكون عندهم معرفـة الدابة متحقـقة لأن مرورهم عليها فى الصباح والمساء.

ومسـألة فصل القضـاء على الدواب مسألـة صعبـة كثيـراً، وأنا أُبينها وأبدأ بالفـرس لأنه أشرف الدواب، فـإن كان الفـرس من عـتاق الخـيل فإن أهل ربعـه النازلين معه كلهم يعرفـون الفرس معرفة شافية لحسـنه وجودته، فإذا سرق الفرس المذكور وأتى أهل الربع المذكور يشهدون على الفرس فأول شهادتهم السب والشتم لمن وجد فى يده لمعرفتهم به فلا يبلغون إلى القاضى حتى يملأوا أذنيه سبا وشتما، فعند ذلك يقولون للقاضى: هذا الفرس نعرفه كما يعرف بعضنا بعضا.

وإن كان جـملا فى غايـة الجودة وحسن الصـورة، فهو ملحـق بالفرس فى شهادته.

وإن كان ثورا فى غاية الحسن والجودة فإنه يلحق بهما.

وبقى فـصلان يكون الفـرس والجمـل والثور المذكـورات ليس بالردىء ولا بالجيد، فـإذا جاء الشهود يجيئـون إليه ويدرون به ويتأملونه، فإذا استـوفيت البينة منهم أخذه صاحبه.

والقسم الثالث: أن يكـون الفرس أو الجمل أو الثور أو الحمـار رديئا جدا، فهذا تصعب البينة عليه ولا يعرفه إلا ربه أو جيرانه، فلا يجد صاحبه من يكمل له البينة، فيجب على القـاضى أن يصلح بين من وجدت فى يده وبين من ادعى أنها ملكه، ولا يلتفت القاضى إلى البياطرة وأقوالهم.

فكل من اشـترى دابة وحازها فـلا يرجع على بائعهـا إلا فى مسـألة واحدة ترجع بها الدابة، وهى أنه إذا كان فيها الداء المسمـى بالمغلة فإنها ترجع لصاحبها، ولو أقامت عند المشترى سنة، وأما الداء الذى يسمى بالذباب فإن ظاهر الدابة التى يكون فيها تكون عجفاء شحبا ويكون ظاهرا فى... [1] وفى عينيها، فإذا اشتراها

---

(١) مكان النقط بياض بالمطبوع. وبالهامش: «بياض بالأصل المنقول منه، هـ. مؤلف».

أحد وقال: إنها تسمن عنده ويقلب فيها البيع، فإذا ماتت فى يده فلا قيام له على البائع الذى اشتراها منه وضاع فى ماله».

ثم أتبعه بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

الفصل الأول: يعلم من كتابنا هذا أننا أمرنا أولاد السيد فلان يصرفون زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم ومسجدهم إن لم تكن له أوقاف، فإن صرفوها فى غير محلها فعهدتها فى رقابهم.

الفصل الثانى: لا مدخل لعاملهم فى زكاتهم ولا فى أعشارهم ولا أمورهم بل يصرفونها كما ذكر أعلاه، وإن طمحت نفس العامل لأخذ البعض منها، فإنه يعاقب عقوبة شديدة ويعزل عن عمله.

الفصل الثالث: إن اشتغل أحد منهم بالفساد مثل السرقة أو غيرها من الفواحش أو التعدى على البعض من المساكين ويزعم أنه من أولاد السيد فلان وليس ذلك المسكين مثله فى الدرجة فقد كذب، فإن عامل بلده يعاقبه بما يناسب جنايته بالحدود الشرعية؛ لأن المسلمين كلهم فى حق الله سواء، ولا يعاقب بالمال، انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣] وانظر إلى قول رسول الله ﷺ: «يأيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى».

وعلى أولاد السيد المذكورين أعلاه بتقوى الله فى السر والعلانية، ولله در القائل:

ألا إنما التقوى هى العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقد والعدم

ثم أتبعه بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. ليعلم جميع من يتولى خطة القضاء أنا أمرناه أن لا يباع على غائب أو محجور ذكر وأنثى فيما يستقبل من تاريخ كتابنا هذا عقار أو ربع، فإن اطلعنا على رسم يتضمن ذلك فإنا نعاقب القاضى عليه بالعقوبة الشديدة ويفسخ ذلك ولا يمضى منه شىء، ويبقى الغائب على حقه إلى أن يقدم، والمحجور حتى يخرج من حجره.

وإذا أراد الشريك البيع على الغائب أو المحجور يشترط على المشترى أن لا يحدث فى البيع شيئا من هدم أو بناء أو نحو ذلك.

وكذلك أمرنا من ذكر أيضا أن لا يكتب فى الأصدقة أزيد من أربعين مثقالا إذ هى غالب أصدقة السلف الصالح وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال: من يمن المرأة قلة مهرها، وقالت مولاتنا عائشة: من شؤم المرأة كثرة صداقها، وقال سيدنا عمر: لا تغلوا فى صدقات النساء فإنه لا يبلغنى عن أحد أنه ساق أكثر مما ساقه نبينا محمد ﷺ إلا جعلت فضل ذلك فى بيت المال.

ومذهب مالك كراهة المغالاة فيه، فإن رضى المتعاقدان على النكاح بأزيد مما ذكرنا فلا يكتب فى الصداق، ولا يكون الصداق إلا ناجزاً كله، ولا يؤخر منه شىء لأن فى ذلك قطعا لمادة الخصام.

قال ابن الماجِشُون: كان مالك وأصحابه يكرهون أن يكون شىء من الصداق مؤخراً، وكان يقول: إنما الصداق فيما مضى ناجز كله، وكره فى المدونة تأخير بعض الصداق، وإنما كرهه لمخالفته لأنكحة الماضين، فإن كتب فى الصداق أزيد

مما ذكرنا أو كتب فيه كالئى فإنا نعـاقب القاضى وشاهدى النكاح بالعقوبة الشديدة نكالا لغيـرهم ولا يطالب أب أو ولى بشورة بل يكون ذلك موكـولا إلى مروءته، وهذا فى غير نكاح الأشراف.

وأما هم فيتـركون على ما هو معروف بينهم، غـير أنه يكون كله ناجزاً ولا كالئى فيه كما ذكرنا.

وكذلـك أمرنا من ذكـر أيضا أنه إن وقـعت خصـومة بين الزوجـين أن يرد الزوجة لدار أبيها أو وليها إن كان، وإلا فالقاضى ينظر أين يضعها، وما ذكرنا من رد الزوجة لدار أبيهـا أو وليها إنما ذلك بعد بعث القاضى حـكما من أهله وحكما من أهلها ليصلحها بينهما، فان اصطلحا فذاك المراد.

وإن نفخ الشيطان فى رأس أحدهما فليفعل ما ذكرنا، ولا تطلق عليه إلا إذا كان عن طيب نفـس منه بخلع أو غيره وقـدم لدار أبيهـا أو وليها ويقـول له: قد طلقت ابنتك عن طـيب نفس منى طلقـة بائنة، وهذا الحكم شـامل فى الحواضـر والبوادى، وما ذكرنا ينفى طلاق المكره ولا يبقى فى هذا الـطلاق شبهة البتة، ولا يلزم زوجها نفقة فى تلك المدة إلى أن ترجع برضاها إليه.

وأما إذا كـانت غضبى فـى دار أبيها واسـتمرت عل نشـوزها ولـم يوفق الله بينهما فطلب الزوج منهـا أن ترد إليه ما دفع إليها وتخالعا على ذلك فـلا نفقة لها لأن هذا وقت صعب قلت فيه الأمانة، وكثرت فـيه الخيانة، فإذا سكنها بين الناس وكان الزوج ذا مال وجـاه ربما شهدوا له أنها هى الظالمة أو كـانت هى كذلك ربما شهـدوا لها بظلمه، وعلى جمـيع ما ذكرنا يكون عـمل كل من ولينا والسلام فى السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ثلاثة ومائتين وألف».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، رسالة مفيدة قد نبذ ما فيها قضاة المغرب وعدولهم، واقتصروا على مختصر خليل وشروحه، وصار أعظم فتاويهم منها لعمرى أن من اشتغل بأخذ الفقه من خليل وشروحه وترك أخذ الفقه من كتب الأقدمين المرضيين الذين نفع الله بهم المسلمين، فإنه كما قيل هرق الماء واتبع السراب وهذا أول كلامنا فى الرسالة المذكورة، وهى فى فتاوى الأقدمين المأخوذة من كتب الأئمة المرضيين رضى الله عنهم وأرضاهم.

أولهم الإمام القدوة أبو عبد الله سيدى محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله تعالى الذى حمل مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه على كاهله، وحمل أيضا مذهب الإمام مالك رضى الله عنه على كاهله، وقرأ عليه عالم قريش الإمام أبو عبد الله سيدى محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه، فهذا الشيخ المذكور رضى الله عنه أعنى سيدى محمد بن الحسن الشيبانى، إليه ترجع رواية المذاهب الثلاثة، فإذا أردت معرفته وعلو درجته فانظر ترجمته فى مسند الإمام أبى حنيفة يتضح لك جميع ما ذكرنا، وتجده مستوفى كما أشرنا.

ثم يليه من أصحاب مالك الذين حملوا عنه مذهبه كابن القاسم، وأشهب، وابن نافع، وابن وهب، ومطرف، وابن الماجشون وغيرهم ممن أدرك الإمام مالكا، وكذلك الذين جاءوا بعدهم ولم يدركوه فأخذوا عن أصحابه كسحنون، وابنه محمد، وأصبغ، وابن المواز، وابن حبيب، والقاضى إسماعيل، وابن عبدوس وغيرهم، وكذا الذين جاءوا بعد هؤلاء كابن القصار، والقاضى عبد الوهاب، والأبهرى، والقابسى، وابن أبى زيد فهؤلاء الأئمة المذكورون هم المقتدى بهم فى أقوالهم وأفعالهم ولا تصح الفتوى إلا من كتبهم.

وأما من اشتغل بالفتاوى المأخوذة من أقوال الأجهوريين وغيرهم من أصحاب خليل مثل بهرام، والبساطى، والتتائى، والسنهورى، والسودانى، وأمثالهم من أصحاب خليل وترك الفتوى من كتب الأقدمين المرضيين المذكورين فقد خرج عن المنهاج القويم، والصراط المستقيم.

ففى معيار المغرب، والجامع المعـرب، عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب فيـما نقله عن الإمام المقـرى ما نصه: لـقد استبـاح الناس النقل من المختـصرات الغريبة أربابها ونسبـوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، وقد نبـه عبد الحق فى التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كـان من يسمع، وذيلت كتابه بمثل عدد مـسائله أجمع، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنفذ من كتب لا يدرى ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها.

ولقد كان أهل المائة السادسـة وصدر السابعة لا يسوغون الفـتوى من تبصرة أبى الحسن اللخمى لكونها لـم تصحح على مؤلفها ولـم تؤخذ عنه، وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان من هذا النمط مثل الأجهوريين وغيرهم من شراح خليل.

وقد نص بعض المحـققيـن من علماء وقتنا هذا على أنـه لا يعتمـد على ما انفـردوا به ثم انضاف إلى ذلك عـدم الاعتـبار بالـناقلين فصـار يؤخذ من كـتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين، ولـم يكن هذا فيـمن قبلنا، فلقد تركـوا كتب الأقدمين المرضـيين رضى الله عنهم واشتغلوا بكتب المتأخـرين من أصحاب خليل واقتصروا عليـها وأفنوا أعمارهم فى حل ألغازها حـتى قال بعضهم نحن أناس خليليـون، إن ضل ضللنا، وإن اهتدى اهتدينا، وقد أقـسم أمير المؤمنين سيدى مـحمد بن عبد الله لقضـاة وقته، أن من أفتى منهم بغير فـتوى الأقدمين المذكورين فى رسالته هذه أنه يعاقـبه عقوبة شديدة ويجعله نكالا لمن بعده ممن يفتى بالفتاوى الواهية التى لـم يبلغ سندها إلى الأقدمين رضى الله عنهم آمـين، فهـذه جمله تهـديك إلى أهل العلم وتريك ما غـفل عنه الناس».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله والصلاة على رسول الله

الفصل الأول: أن الرجل إذا أتى بشهادة عدلين للقاضى على رجل أنه طلق زوجته وأنكر الزوج ذلك فلا يعمل بشهادتهما[1]، لاسيما إن كان الشهود من أهل الدكاكين الذين هم أسرع الناس إلى الزور، ومعاشهم كله زور، حتى يبحث القاضى عن تلك القضية الشهرين أو أكثر حتى يتحقق له مصداق ذلك، فربما يكون الرجل القائم بالشهادة بينه وبين المشهود عليه مشاحنة أو مكترى عليه حاصل الأمر كل من هو قاض وأسرع بالطلاق بشهادة العدلين فقد دخل مدخلا ضيقا فإن وقع له ما يكره فلا يلوم إلا نفسه والأمر صعب، وقد كثرت شهادة الزور بل ينبغى له التأمل والتثبّت فى مثل هذه المسألة الشهور المتعددة حتى يتضح له الأمر ولا يبقى له إشكال.

الفصل الثانى: إذا أتى أبو الزوجة بشهادة عدلين على زوج ابنته، وأنه طلقها وأنكر الزوج ذلك أيضا فلا يصح ذلك الطلاق إلا إذا أتى والدها بشهادة اثنى عشر رجلا من أهل حومته، وأما أهل الدكاكين فلا تقبل لهم شهادة[2]، فحينئذ يصح الطلاق، ويتأتى القاضى فى تلك القضية ويبحث فيها غاية البحث.

---

(١) فى هامش المطبوع: «هذا منه إفصاح بفشو شهادة الزور وإلزام القاضى بالتثبت فى الشهود والاستكثار منهم، ولا ريب أن هذا الأمر مطلوب عند ضعف العدالة، ورحم الله بعض شيوخنا فقد كان كثيرا ما يقول: كل الناس عدول إلا العدول، وكان بعض الصالحين إذا مَرّ بسماط دكاكين الشهود يهرول حتى يخرج منه ويقول: «وأسرعن فى بطن وادى النار» لكن فائدة ذكر مثل هذا التنبيه للأخذ بالأحوط ما أمكن، وعدم الاغترار بكل منتصب للإشهاد، وإلا فلكل زمن عدوله، وليس نقص العدالة خاصا بالمنتصب لتلك الخطة بل هو سار فى سائر أصحاب الولايات والحيثيات، ومع ذلك فلا بد لكل متميز من مراعاة تمييزه عن غيره واعتقاد وجود المميز له فى الجملة، وإلا اختل النظام وبطلت تمشية إجراء ما لله من الأحكام، فلا نجاة إلا فى التمشى مع ظاهر الشريعة التى جاءت عامة فى المكلفين من غير تخصيص فى كل زمان وأوان هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا اختيار من المترجم لم يتصل به عمل ولا عضده أصل وفيما علق عن القوله قبله ما يغنى عن التطويل وأهل الدكاكين إن كانوا معدلين عند من رأى=

الفصل الثالث: إذا حلف رجل بالحرام وحنث وشـهد عليه بالحنث اثنا عشر رجلا أو أربعـة عشـر رجلا فأكـثر من أهل حـومته أو دواره أو سـوقه، ورفـعوا شهادتهم به إلى القـاضى، فإن القاضى يحكم عليه بالطـلاق فى الحين ويعزله عن زوجته وتبقى حتى تعتد، فإذا أراد ردها وطابت نفسها فليردها له بصداق جديد.

الفصل الرابع: إذا حلف رجل بالحـرام الثلاث وحنث وشهـد على حنثه اثنا عشـر رجلا فأكـثر من أهل حومـته أو دواره أو سوقـه، فإن القاضى يـطلق عليه زوجته من حينه، ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره[1].

الفصل الخامس: فى البيع والشراء والعـمل فيه على ما قدمنا به الكتب وأن المعاملة لا تقع إلا بين يدى القاضى والمتسببين، فإن أتى الغريم بشهادة عدلين وأنه

=الإمام فيه أهلية الوقت لخطة القـضاء فترجيح شهادة غير المعـدلين عليهم هو مع ما فيه من قلب الحـقائق عـائد بالخلل على ولاية ذلك القـاضى وعلى مـوليه أيضًـا، وإذا بطل الأصل والفرع لم يبـق بيدنا ما نتـمسك به ووقوع شـهادة الزور من بعض المتـصبين لا توجب إبطال المنصب جملة لعظم مـفسدته كما قد علمت ولم يمر زمـان من زمان النبوة فما بعده إلا وقد وجد بعض من يرتكب كبـائر الذنوب فيه وإن كان ذلك فى الخلف أكثر منه فى السلف ولم يبطل ذلك المنصب ولا أخل بما اقتضته حكمة الله فى ذلك فالتمسك بالشـريعة هو عين الحق حـتى يقضى الله بـين الخلق. نعم يتعين على من ولاه اللـه أمر العباد أن لا يرشح للمناصب إلا من يستحقها ولا سيـما المناصب الشرعية، فإن كثيرا من المتسنمين ذرى المنـاصب الدينية لا يرقبـون فى مؤمن إلاً ولا ذمّة، يرتكبـون أمورًا تدنس وجه الشرع الإسـلامى وتوهم من لا علم له بحقيقـته أن الدين لا يأبى ذلك، وأن ذلك خلق أهله فـيعدم الثـقة بهم جـملة وتفصـيلا، ومن اطلع على مـا يرفع كل يوم لوزارة العدليـة الشريفة والجـنايات من موبقات العـدول التى تخجل المروءة وتصـادم الدين عذر المترجم فى اختياره هذا. هـ. مؤلف».

(١) فى هامش المطبوع: «هو كذلك لأنها مبتوتـة، فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره بشروطه المقررة. هـ. مؤلف».

دفع لصاحب الحق من مال المعاملة شيئا من غير حضور القاضى والمتسببين المذكورين وأنكر صاحب الحق ذلك، فلا يقبل القاضى شهادة العدلين، والمال باق بذمة الغريم، ولا يحكم بتلك الشهادة إلا إذا أتى الغريم بشهادة القاضى والمتسببين الذين حضروا للمعاملة أنه برئت ذمته من المال المذكور أو بعضه، وكذلك إن أراد الغريم المذكور أن يدفع ربع المال أو نصفه أو ثلثه، فإن كان المال له بال من ألف مثقال فأكثر، فلا تبرأ ذمة الغريم المذكور من المال المذكور أو بعضه بشهادة العدلين إلا إذا دفع المال بمعاينة القاضى.

وإن كان المال شيئا قليلا من مائة مثقال فأقل وأراد الغريم المذكور أن يدفع منه شيئا لصاحب المال فليدفعه له بالعدول الثقات، فلا يحتاج إلى معاينة القاضى إلا فى المال الكثير كما ذكرنا، وأما المال القليل من مائة مثقال فأقل فقد سبق حكمه وبيانه، وأنه يدفع بمعاينة العدول الثقات من غير حضور للقاضى.

والحاصل من أن هذا الزور اليوم فشا والعياذ بالله فكل من أتى بشاهدين على مال أو على طلاق فإن شهادتهما مردودة وإن قبلها القاضى، فتلك جرحة فيه، لأنهما اثنان وهو ثالثهما، فقد شهدا بالزور وهو ثبته لهما فهو أعظم ذنبا منهما، وكل من هو قاض يتفطن لهذا الأمر، فإن وقع فى شىء مما نهى عنه وأصابته عقوبة فلا يلوم إلا نفسه».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله: كان القضاة والمفتون المتقدمون يأخذون الفتاوى من كتب الأقدمين المقبولين، واليوم والعياذ بالله يأخذون الفتاوى من كتب المتأخرين كالأجهوريين وغيرهم الذين هم ليسوا المقبولين، ولم يبلغ سندهم إلى الأئمة الأقدمين، فلا عمل عليها ولا حكم بها، ولا يفتى بها مفت، ولا يعمل بها قاض.

فإذا لم يبلغ سندها إلى فتوى الأقدمين فسندها باطل، وكل فتوى بلغت إلى الأئمة الأقدمين فالعمل بها واجب، ويحكم بها القاضى والمفتى والقضاة.

والمفتون اليوم والعياذ بالله قد مزجوا فتاوى المرضيين بالفتاوى الواهية غير المرضية ويحكم القاضى بتلك الفتوى الواهية، ويمشى المحكوم عليه مغلوبا إلى المفتى فيفتى له أيضا بفتوى واهية ويغلبه على صاحبه، واشتغلوا بتغليب هذا على هذا بالفتاوى الواهية، فالقاضى وأصحابه يأكلون المال من الخصمين الذين تشارعا بالباطل، والمفتى كذلك يأكل بفتاويه الواهية أموال المسلمين بغير حق حتى يطول الشرع بين الخصمين المتحاكمين بفتواه المذكورة حتى إذا كان الخصمان المذكوران يتحاكمان على مائة مثقال تذهب منها خمسون مثقالا فى دار القاضى، ثم بعد ذلك يحكم عليهما القاضى بالفتاوى الصحيحة، فينصرف كل واحد منهما إلى سبيله ويااليته قد حكم عليهما أولا بالفتاوى الصحيحة، فيحصل له الأجر ورزقه على الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، والدراهم التى أكل من الخصمين حلاوتها تفنى ويبقى مريرها فكيف به يوم القيامة إذا جاء مفلسا، فإن الخصمين المذكورين يأخذان حسناته ويلقيان عليه سيئاتهما فذلك المفلس الذى أخذت حسناته وألقيت عليه سيئات غيره».

ثم اتبعه بما يقوله:

«الحمد لله وحده مسألة أخرى: أعلم أن الأيتام المهملين الذين لا وصى عليهم من أب ولا مقدم من قاض إذا اشتدت بهم الحاجة إلى بيع ملك لعدم وجود ما يباع عندهم غيره ليصرف عليهم فى مأكلهم وملبسهم، فإن القاضى يأمر ببيع ذلك الملك ويتسوق به المدة المعتبرة شرعا إلى أن يقف سومه، فإذا وقف فينظر القاضى فى ذلك السوم، فإن شهد له أهل المعرفة بالإملاك بأن ذلك سومه فليبعه لمن وقف عليه ويصرف ثمنه فى مصالح الأيتام المذكورين، وإن شهد أهل المعرفة

بأن ذلك الملك بيع بثمن بخس، فإن ناظر الأحباس أو بيت المال يتولى شراءه[1]، وكذلك يكون الحكم فى بيع الملك على الغائب أو الصغير، بحيث إذا قدم الغائب أو كبر الصغير وأراد كل واحد منهما رد أصله فليرده له الحبس أو بيت المال، بخلاف إذا اشتراه الغير بثمن بخس وأراد الشافع رد ملكهم، فيقع بينه وبين مشتريه خصومة ولجاج فى رده».

ثم أتبعه بقوله:

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله، نأمر جميع القضاة أن لا يتركوا عونا من الأعوان الذين يشعبون الخصام بين الناس بالباطل ويأكلون أموالهم وهم الذين أقاموا بدار القضاة السنة فأكثر يتوكل[2] على أحد، وإن جاء للقاضى وكيلا على أحد ولم يطوفه القاضى فى الأسواق بوكالته ويطرده فلا يلوم إلا نفسه، وإن أرادت امرأة من ذوى المروءة أن توكل أحداً فإن القاضى أو زوجها يوكل عنها من هو رجل خير ليس له أرب فى طول الخصام وتشعبه وأكل أموال الناس بالباطل، وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله.

باب فى الأنكحة: وأما العمل فى الأنحكة فمن أراد التزويج فإن كان غنيا والزوجة غنية كذلك فيدفع فى صداقها إن كانت بكرا أربعين مثقالا نقدا مقدما لا

---

(١) فى هامش المطبوع: «فيه تصوين لمال الأيتام حتى لا يفوت عليهم ملك بغبن ولا بخس فى الثمن فمصلحة الأخذ به واضحة ومدار أمر الأيتام على جلب المصالح ودفع المضار هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «أعوان القاضى قسمان: قسم شأنه جلب الخصوم وهؤلاء لا يتوكلون وعليهم يطلق عندنا اسم الأعوان، وقسم شأنه تعاطى الخصام ويعرفون لدينا بالوكلاء، وفى عدم تطويل مدتهم مصلحة. ومن عرف منهم بتشغيب الدعاوى يجب طرده وعدم قبوله وكيلا بحال هـ. مؤلف».

مؤخر فيها، وإن كانت ثيبا يدفع لهـا عشرين مثقالا معجلة كذلك، ولا يكون فى الصداق مـقدم ولا مؤخـر، وإنما يكون الصداق هو ما دفـعه، وإن أراد الزوج أن يدفع أكثر من ذلك يتبرع به لأجل الظهور والسمعة أو لأن تأتى له الزوجة بأكثر مما دفعه لها من الشورة والزينة وغـير ذلك، فيكون ذلك بحسب أهل المروءات، فمن كثرت مروءته كثرت شورته لـبنته، ومن قلت مروءته قلت شورته لبنته، إلا أن ما تأتى به الزوجة المذكورة من الشورة هو لها، ولا كـلام للزوج فيه البتة، وما يدفع الزوج لولى الزوجة من المال ولو كـان مالا له بال هو زائد على الصداق فـلا يعد عند الطلاق، وإنما هو للمرأة، وكذلك الشورة فإنها الزوجة أتت بها من دار أبيها، وإن وقع بينهم طلاق تمشى المرأة لدار أبيهـا بشورتها ولا تباعـة للزوج عليها، وإن وقع كره منهـا من غيـر سبب تبقى فى دار أبيـها أو أقـاربها ولا تطلق إلا إذا أراد الزوج الطلاق ولا يقبض منها غير الذى هو مكتوب فى العقد لا غير، والمال الذى يزاد للمرأة لأجل جمالها ليس هو من الصـداق، فإن أهل البوادى يسمونه المأكلة، ولا يكتب فى الصداق، وحاصل الأمر ليس هو من الصداق فى شىء، سواء كان من أهل البوادى أو أهل الحواضر.

وإن كان الزوج فـقيرا لا مال عـنده والزوجة كذلك فيـدفع فى تزويج البكر عشرة مثاقـيل، وفى تزويج الثيب خمسة مثاقـيل ولا يزيد على ذلك شيئا، ويدفع ذلك مقدما لا مؤخرا فيه، بحيث إذا وقع الطلاق بين الزوج والزوجة وادعت أنها بقى لها من صداقها شىء فلا يقبل قولها، ولا تسمع دعواها، فبمجرد الطلاق لم يبق بينها وبين الزوج نزاع ولا تباعة، وهذا يشمل الأغنياء والفقراء.

وأما العمل فى الـتزويج فى الحاضرة فهـو أن الرجل إذا زوج ابنته من رجل آخر يصنع الطعام فى داره وينادى على أهل حومتـه وسوقه وأقاربه وغيرهم ويأتى بالطبالين والمسامع ويشهر ذلك كل الشـهرة حتى يسمع الناس كلهم أن فلانا تزوج

من عند فلان بنته فلانة، ويأكلون الطعام ويقرءون الفاتحة ويدعون له بالخير والبركة والتأليف بينهما، ويخرجون من عنده.

وكذلك إن وقع الطلاق بينهما تأتى الزوجة لدار والدها أو أحد من أقاربها وتصنع ما تيسر لها من الطعام الخفيف، ويحضر جيرانها ويأكلون ذلك الطعام ويعلمون أن فلانا الفلانى طلق زوجته فلانة بنت فلان الفلانى، ويدعون لها الله يرزقها خلفا أفضل من ذلك الرجل الذى طلقها.

وأما العمل فى البوادى فهو أن الرجل إذا زوج بنته من رجل آخر، فإما أن يكون الزوج فى الدوار الذى هو به أولا، فإن كان معه فى دواره فيصنع الزوج الطعام فى خيمته وينادى على أهل الدوار وغيرهم للجامع ويأكلون الطعام فيه ويشهرون ذلك الزواج بالنداء والزغاريت وغير ذلك مما جرت به عاداتهم، حتى يسمعه كل واحد ويقرءون الفاتحة ويدعون لها بالبركة والخير والتأليف بينهما، وتصير الزوجة زوجة له وعلى قبله، ففى أى وقت تيسر له وسهل عليه صنع الوليمة يصنعها، هذا إن كانت الزوجة بكرا، وأما إن كانت ثيبا فذلك الطعام الذى يصنع ويأكله الناس وتقرأ الفاتحة به هو يكفى فى ذلك،ويأتى الزوج بزوجته إلى خيمته أو داره.

وأما إن كان الزوج فى دوار والزوجة فى دوار آخر فإن الزوج يبعث للزوجة للدوار الذى هى فيه بالشياه والدقيق والإقامة وتصنع الطعام فى خيمتها وتنادى على أهل الدوار وغيرهم ويأكلون الطعام عندها، وتشهر النكاح المذكور بالنداء والزغاريت كما ذكر ويقرءون الفاتحة ويدعون لها بالخير والبركة.

وكذلك إن وقع الطلاق بينهما يجعل ما خف من الطعام ويحضر أهل الدوار فى الجامع ويأكلون ذلك الطعام ويعلمون أن فلانا طلق زوجه فلانة ويدعون لها الله يرزقها خلفا أفضل.

وأما هؤلاء العـدول الذين يشهـدون على التزويج وعلى الطلاق فـلا يعمل بشهادتهم، وأن فلانا تزوج بنت فلان وهى فلانة على صداق قدر هكذا، فإن تلك الشهادة باطلة لا يعمل بها، وإنما العمل فى التزويج والطلاق هو ما ذكرناه وبيناه.

قال عبد الله أمـير المؤمنين محمد بن مولانا عـبد الله: عدول هذا الوقت لا أثبت شـهادتهم ولا أجـوزها على حمـار عائب لا فائدة فـيه أحـرى على تزويج مسلمة وهم كما قيل:

لقد سألت هنيئا موجودا		أبهتـانا تـريـد أم كذوبا

وقد أشار لهذا المنشور الكاتب ابن عثمان فى رحلته البدر السافر حيث يقول إنه قد خرج التوقيع بأمره المطاع، وأمر أن يفشى ويذاع، ويذكر فى الأندية ويشاع؛ بأنه إذا تزوج رجل وامرأة وتراكنا. فليظهـرا ذلك علنا ولا حاجة إلى أولئك الذين تسموا بالعدول لما علم أنهم عن الحق عدول الخ.

ووقفت له أيضا قدس الله روحه على منشور رسم فيه ما يجب على القضاة التمـشى عليه فى الأحكام الشـرعية ومـا يعاقب به من خالف مـا رسم له منهم، وكذا أئمة المساجد ونظام الدروس فى كلية القرويين وغـيرها، وبيان ما يدرس فيها من الفنون والكتب وما لا؛ وجه بذلك لعلماء مصر يطلب منهم إعمال النظر فيه، ثم ما ظهر لهم صوابه يقـرونه بخطوطهم وما كان غير صواب ينبـهون عليه كذلك ليرجع عنه وإليك نص المنشور:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، قال عبد الله أمير المؤمنين محمد بن عبد الله: ليعلم الواقف على هذه الفصول المذكورة فى هذا الكتاب أننا أمرنا باتباعها والاقتصار عليها ولا يتعداها إلى ما سواها.

الفصل الأول: فى أحكام القضاة، فإن القاضى الذى ظهر فى أحكامه جور وزور وما يقرب من ذلك من الفتاوى الواهية مـثل كونها من كتب الأجهورية ولم

يبلغ سندها إلى كتب الأقدمين، فإن الفقهاء يجتمعون عليه ويعزلونه عن خطة القضاء ولا يحكم على أحد أبدا.

الفصل الثانى: فى أئمة المساجد، فكل إمام لم يرضه أهل الفضل والدين من أهل حومته يعزلونه فى الحين ويأتون بغيره ممن يرضون إمامته.

الفصل الثالث: فى المدرسين فى مساجد فاس، فإنا أمرناهم أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، وكتاب دلائل الخيرات والصلاة على رسول الله ﷺ، ومن كتب الحديث المسانيد، والكتب المستخرجة منها، والبخارى ومسلما وغيرها من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمة ابن رشد، والجواهر لابن شاس، والنوادر والرسالة لابن أبى زيد وغير ذلك من كتب الأقدمين، ومن أراد تدريس مختصر خليل فإنما يدرسه بشرح بهرام الكبير، والمواق، والخطاب، والشيخ على الأجهورى والخرشى الكبير لا غير، فهذه الشروح الخمسة بها يدرس خليل مقصورا عليها وفيها له كفاية وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس به، والشيخ على الأجهورى والخرشى الكبيران لم يكونا عندكم بفاس فأعلمونا بهما لنوجههما لكم تنسخون منهما وأنتم أعلمونا هل عندكم أم لا، ومن ترك الشراح المذكورين واشتغل يدرس بالزرقانى وأمثاله من شراح خليل، فإنه يكون كمن أهراق الماء واتبع السراب، ومن وصل فى قراءته إلى قول خليل مسكين خليل أكلت لحمه الكلاب أو خليل خلق بهراما، فحين يصل لهذا الباب الذى فيه هذا الكلام الخبيث والعياذ بالله يجوزه ولا يذكره ولا يتعرض لقراءته، ويقرأ من الباب الذى يليه، وكذلك الذى يقرأ الشفا فحين يصل للربع الأخير يختم الكتاب ولا يقرؤه، وكذلك الذى يقرأ البخارى فحين يصل لحديث الإفك يتركه ولا يتعرض لقراءته.

وهذه المسائل التى نهينا عن قراءتها فمن تعرض لقراءتها ونالته عقوبة على أيدينا فلا يلوم إلا نفسه، لأن المسائل التى نهينا عن قراءتها لم يذكرها أحد من

أئمة المسانيد رضى الله عنهم، ولا تعرضوا لها، والعلماء الأقدمون رضوان الله عنهم أمثال السيوف اليمانية يفرقون بين الحق والباطل بضربة واحدة، وهؤلاء الأجهوريون ونظراؤهم فى أمثال العصا، أترى السيف يشبه بالعصا، وقد قال القائل:

ولا شك أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

وكذلك قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كالكلاعى، وابن سيد الناس اليعمرى.

وكذا كتب النحو كالتسهيل والألفية وغيرهما من كتب هذا الفن، والبيان بالإيضاح، والمطول، وكتب التصريف وديوان الشعراء الست ومقامات الحريرى، والقاموس، ولسان العرب وأمثالهما مما يعين على فهم كلام العرب، لأنها وسيلة إلى فهم كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ وناهيك بها نتيجة.

ومن أراد علم الكلام فعقيدة ابن أبى زيد رضى الله عنه كافية شافية يستغنى بها جميع المسلمين. وكذلك الفقهاء الذين يقرءون الأسطرلاب وعلم الحساب، فيأخذون حظهم من الأحباس لما فى ذلك المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة والميراث هـ.

وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله. الحمد لله وحده.

ومن أراد قراءة علم الأصول فإنه أمر قد فرغ منه، ودواوين الفقه قد دونت ولم يبق اجتهاد، والطلبة الموجودون فى الوقت كل من أراد منهم أن يتعاطى علم الأصول فإنى أقول فيه أراد أن يتزبب قبل أن يتحصرم. اهـ. بحمد الله وتوفيقه. الحمد لله. ومن أراد أن يخوض فى علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وكتب غلاة الصوفية وكتب القصص فليتعاط ذلك فى داره مع أصحابه الذين لا يدرون بأنهم لا يدرون، ومن تعاطى ما ذكرناه فى المساجد ونالته عقوبة فلا يلوم إلا

نفســه، وهؤلاء الطلبة الذيــن يتعاطون العــلوم التى نهينا عن قــراءتها مــا مرادهم بتعاطيها إلا الظهور والرياء والسمعة ويضلون طلبة البادية، فإنهم يأتون من بلدهم بنية خــالصة فى التــفقــه فى الدين وحديث رســول الله ﷺ، فحــين يسمــعونهم يدرســون هذه العلوم التى نهــينا عنهــا يظنون أنهم يحــصلون على فــائدة بالعلوم المذكورة ويتــركون مجالس التــفقه فى الدين واستــماع حديث خيــر المرسلين عليه أفضل الصــلاة وأزكى التسليم وإصلاح ألسنتــهم بالعربية فــيكون سببــا فى إضلال الطلبة المذكــورين وهؤلاء الطلبة يظنون أنهم ماهرون فى العلوم المذكــورة فمن جاء يستفتيهم فى مسألة فقهية لا يحسنون الجواب فيها.

وهذه العلوم التى نهينا عن قــراءتها كان أعظم من يأمر بالاشتــغال والاعتناء بها فى زماننا مــن أيام سيدنا ومولانا إسمــاعيل قدس الله روحه إلى وفــاته السيد أحمد بن مبارك الفيلالى عفا الله عنا وعنه، وأخلفه فيها السيد عمر الفاسى:

قال عبد الله أمير المؤمنين مولانا محــمد بن مولانا عبد الله: لو كنت قاضيا لم أقبل شــهادتهمــا ولم أثبهما؛ لأن الــسيد أحمــد بن مبارك ســمعت من الناس الثقات الذين ليس بينهم وبينه مشاحنة أنه كان يفتى بالفتاوى الواهية لتضييع حقوق المسلمين، ولا يخفى عنكم مــا ذكرنا، ونأمر الفقيه السيــد التاودى أن يكون عمله على ما فى هذا الكناش هـ بحمد الله ١٢٠٣٢٧.

ونص ما كتب به لفقهاء مصر:

«الحمد لله إلى السادات الفقهاء بمصر عموما وخصوصا سلام عليكم ورحمة الله تعــالى وبركاته ورضــوانه، ونطلب من الله لنا ولكــم الهداية والتــوفيق بجــاه المصطفى ﷺ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أما بعد: فاعلموا رعاكم الله أننا وجهنا مع ولدنا الأرضى سيدى عبدالسلام أصلحه الله هدية للسادات الأشــراف مبينة فى هذا الدفتر فالله يتقــبلها، كما نريد

منكم أن تطالعوا مسائل أخر مؤكدة فى هذا الدفتر يمتنه قد أمرنا قضاة المغرب أن يحكموا بها فما كان منها على صواب أثبتوه واكتبوا عليه بخطوط أيديكم، وما كان منها على خطأ فاكتبوا عليه أيضا بخطوط أيديكم فى الدفتر المذكور لنرجع عنه، ووجهوا لنا الكناش بعينه وعليه خطوط أيديكم.

وكما يصلكم أيضا تأليف سميناه اختصار الحطاب نريد منكم أن تطالعوه فالله يوفقنا وإياكم بمنه آمين يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. بلفظه.

وفعلا نكل من حاد عن سلوك الجادة وخالف ما رسم له من التعاليم الشرعية، والقوانين المرعية، من قضاة المغرب فقد عزل قاضى مراكش فارس عبد العزيز العبدلى لسلوكه فى خطته غير الجادة واستبداده على غيره من العلماء وإهانته لهم وسجنه وفلسه واستصفى أمواله وأجنته.

قال فى الترجمان المعرب: إن هذا القاضى كان جريئا قوى الشكيمة لا يقيم لعلماء وقته ومن معه منهم بحضرته وزنا، ولا يقدر أحد منهم على رد أحكامه ولو خالف النص المشهور، إلى أن وجه المترجم يوما أحد كتابه فى قضية بلغته وأمره أن يحضر مع القاضى لفصلها علماء سماهم له منهم الشريف العلامة المولى عبد الله بن إدريس المنجرة، إذ كان نقله المترجم لمراكش ورشحه للتدريس والخطبة والإمامة بجامع المواسين، وأمر أن يكون الاجتماع لفصل تلك النازلة بالمسجد المذكور، ولما اجتمع القاضى والعلماء وحضر الخصمان تصدر القاضى على عادته ولم يستشرهم، ولا بالى بأحد منهم، وحكم بما ظهر له، فقال الشريف المذكور: يا عبد العزيز اسمع منى، قاض بزور ممكن وعالم بزور غير ممكن، وجه الحكم فى النازلة غير ما حكمت به وخلاف ما ذكرت وهو كذا وكذا وذكر نصوصه ورتب

فروعــه، وقال للشهــود: اشهــدوا على بهذا فبــهت القاضى وخاف الــعلماء على الشريف المتكلم من حصول الإذاية له وانفض المجلس.

ولما بلغ المترجم تفـصيل مـا راج أمضى حكـم الشريف وأكـرمه، وعـزل القاضى وفلسه وأعطى للمولى عبـد الله المذكور جنانا من أملاك القاضى فلم يقبله وكتب للمتـرجم كتابا يقول فـيه: أما ما فعله أمـير المؤمنين من حيازة مـاله فعين الصواب وحيازتـه لبيت المال فهو موافق لنصوص أهل العلم كـما فى ابن سلمون والحطاب وغيرهما، وأمـا الجنان فعبد الله غريب الدار يكفيـه جامع المواسين، ثم بعد أن سرح القاضى استأذن المترجم فى التوجه لأداء فريضة الحج فساعده ووصله بألف ريال خمسة آلاف فـرنك، وبعد رجوعه من الحجاز ولاه القضـاء وشرك معه غيـره، ولم يعد لحاله الأول إلى أن مـات؛ وعزل القاضى أبا مـحمد عبـد القادر بوخريـص وولى يوسف بوعنان فى قضـية مـثل هذه؛ وأما قـضاة المدن والقـبائل والقرى فكان فى كل سنة يعـزل واحدا منهم إلى أن اجتمع ببابه نحـو العشرين هـ بتصرف.

* * *

نصيحته للأمة

ومن ذلك نصحه للعمال والعامة وتحذيره لهم من الخروج عن مناهج الشرع فى دينهم ودنياهم، وقفت له فى ذلك على رسالة فاخرة؛ وبإيراد نصوص الكتاب والسنة فى كل مهم عاطرة؛ ودونك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وبعد: فقد قـال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة النحل ٩٠]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الحج ٤١] وقال عليه السلام: «كلكم راع ومسؤل عن رعيته».

وقد بلغنا ما حدث فى العامة من عموم الجهل بالتوحيد وأصول الشريعة وفروعها حتى ارتكبوا أموراً تقارب الكفر أو هى الكفر بعينه، وذلك من خلو القبائل من طلبة العلم العاملين وقلة المرشد المعين حتى لا تجد فى القرية الكبيرة عالما يرجعون إليه فى مسائل دينهم ونوازل أحكامهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وذلك من تفريط العمال وقلة اعتنائهم بالدين والعهدة عليهم فى ذلك، لأنهم ينبغى لهم الغبطة فى العلم والعلماء وتقريب أهل الخير والدين؛ والاقتداء بالأولياء والصالحين؛ وإعانة النجباء من قبيلتهم على طلب العلم من محله؛ وأخذه عن أهله؛ ففى الحديث: طلب العلم فريضة؛ وقال عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين». وفى الحديث: «العالم فى قومه كالنبى فى أمته».

فإن العالم إذا كانت بطانته صالحة كانت أعماله جارية على الصلاح والسداد، وإذا كانت بطانته على غير هداية كانت أحكامه مخالفة للشريعة فضل وأضل، وقد قال عليه السلام: «ما من وال إلا له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا ومن وقى بطانة السوء فقد وقى». وقال عليه السلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وقال عليه السلام: «بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء». وقال عليه السلام: «يأتى على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر».

وهذا آخر الزمن الذى أخبر الصادق المصدوق عليه السلام بفساده وعموم الفتن والأهواء والبدع الدالة على اقتراب الساعة، نسأل الله حسن الخاتمة، فينبغى للمؤمن المشفق على نفسه عموما وخصوصا العمال البحث عن دينهم ومعرفة أحكام ما دفعوا إليه وقلدوه من أمر رعاياهم ليسيروا على منهاج الشرع ويرتكبوا ما ينجيهم مع الله، ففى الحديث: لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وفى الحديث: كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا.

«فأول ما ضيعت العامة أصول الدين وفروعه وتهاونت بالإسلام وقواعده فمنه التوحيد الذى هو أساس الدين والقطب الذى عليه المدار، وسلامة العقيدة هى أصل الخير والنجاة من النار؛ فينبغى العناية به أتم، والمؤمن بأصل دينه أهم».

«ومنه التهاون بالصلوات الخمس والجهل بوسائلها كالاستبراء والوضوء والطهارة والأذان، والصلاة هى عماد الدين وذروة سنامه قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة: ٥]. وقد ذكرها الله سبحانه فى آيات كثيرة من كتابه وحض على إقامتها والمحافظة عليها، قال سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [سورة المؤمنون: ٩ - ١١] وقال عليه الصلاة والسلام: «الصلاة عماد الدين». وقال: «بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة». وقال: «من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا». وقال عليه السلام: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله».

وكتب سيدنا عمر رضى الله عنه إن أهم أمركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وقد جعلها الله سبحانه للمحافظين عليها واعظا وناهيا فقال: ﴿... إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ... ﴿٤٥﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] وقال سيدى خليل: ومن ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى وقتل بالسيف حدًّا، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل».

«ومنه أمر الزكاة الواجبة فى الأموال والأنعام والحبوب لمن حال عليه الحول وكمل عنده النصاب، وقد حدث فيها من الخيانة والتدليس وتقاعد الناس عليها والامتناع من إخراجها إلا بالقهر ما صيرها جباية، وثقلت على العامة، حتى صارت مغرما مع أنها زيادة فى الأموال وبركة فيها وحفظ لها.

الزكاة أخت الصلاة، فكما أن الصلاة طهرة للأبدان، الزكاة طهرة للأموال قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ... ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٣] وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «ما مانع الزكاة بمسلم». وعنه ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة. وعنه أيضا ما ضاع مال فى بر ولا فى بحر إلا بترك الزكاة فيه».

وقال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٤، ٣٥].

وفى الأثر: كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز، وعنه عليه السلام: «ما من صاحب مال لا يؤدى حق الله فيه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه أى شدقيه يقول أنا كنزك». وعنه ﷺ: «ما من صاحب إبل ولا بقر

ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأخفافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس».

ومنه صيام رمضان الذى أوجبه الله على كل عاقل بالغ صحيح حاضر قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وقد ضيعت العامة حقوقه وتهاونوا بصيامه حتى إنه بلغنا مجاهرة بعضهم بأكله من غير نكير، ومن صامه صامه من غير قيام بحقه ولا معرفة بما يصحح صومه أو يفسده، وأكثرهم يصومون ولا يصلون، وفى الحديث: الصيام جنة ما لم تخرقه، وعنه عليه السلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»، وعنه عليه السلام: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

ومنه الحج للمستطيع قال تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ... ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] والاستطاعة هى الزاد والراحلة والأمن على النفس والمال، وقال عليه السلام: من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقال عليه السلام: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وقد سمعت العامة فضله وجحدوا حكمه وارتكبوا فيه من البدع والرياء والسمعة ما أفسدوه عليهم، فإن الحاج ينبغى له اختيار الحلال المحض لذلك، والمحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها، ومعرفة أحكامه وسننه، وترك المراء والجدال والرفث والفسوق وحفظ الجوارح من المعاصى، وخصوصا الفرج واللسان قال الله سبحانه: ﴿... فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ... ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٧] وقد صار اليوم عند العامة لهوا ولعبا، وجل العامة لا يقصد به إلا

التسمية بالحاج فقط ولا يقصد به فرضا ولا غيره، فتجد الرجل يتوجه للحج ومن حين خروجه وهو متلبس بالمعـاصى من أكل الحرام وترك الصلوات والتهاون بأمور الدين، ولا يعرف ما يأتى وما يذر، ويرجع وقد توجه لفرض فعطل فروضًا. ولم يدر مسنونا ولا مفروضا. أولئك الذين ضل سعيـهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».

«ومن أركان الدين الجهاد فى سبيل الله وهو فرض كفاية ما لم يفجإ العدو، فإن فجأ العـدو كان فرض عين، قال سيدى خليل: وتعـين بفجإ العدو وإن على امرأة وصبى. .إلخ. وقـال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ... ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البـقرة: ٢١٦]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [سورة البـقرة: ٢٤٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ... ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿... وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة التـوبة: ٤١]، وقال: (الذين آمنوا وجـاهدوا بأموالهم وأنفسـهم فى سبيل الله أولئك هم الصـادقون)(١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ ... ﴿١٠﴾﴾ [سورة الصف: ١٠]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ... ﴿١٦٩﴾﴾[سورة آل عمران: ١٦٩].

وقال عليه السلام: «الجهاد رهبانيـة أمتى». وقال: «لكل نبى حرفة وحرفتى الجـهاد فى سـبـيل الله»، وقال: «جـعل رزقى تحت ظل رمـحى وجـعلت الذلة والصغار على من خـالف أمرى»، وقال: «من مات ولم يغـز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»، وقال: «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا».

---

(١) نص الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

فينبغى للمؤمن الموقن أن يسمع ويطيع لما أمـر الله به من الجهاد، ويستعد بما قدر عليه من سـلاح وفرس جواد، وتعلم رماية وفـروسية ليأجره اللـه على نيته، ويثيبه على حكم قـصده وطويته، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ... ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، وليتعلم ما يتعلق به من الأحكام من حسن النية والإخلاص وصدق العزيمة، لتكون كلمة الله هى العليا، ويشـعر نفسه تصديق ما وعد الله به من نصر الإسلام وأهله، وخذلان الكفر وشيعته، ويعرف حرمة الفرار من الزحف وما أعد الله لمن مات شهيدا مقبلا، وما أعد الله لمن مات مدبرا ليكون على بصيرة فيما يأتى وما يذر».

«وهذا الجهل الـواقع فى قواعد الدين إنما هـو من قلة العلم وعدم مـخالطة العلماء وسؤالهم عن مـسائل الشريعة المطهرة، فتـجد أحدهم بصيراً بأمـور معاشه وبيعه وشرائه جاهلا بأمور دينه واعتقـاده، غافلا عن معاده، لعدم اعتنائه بآخرته، وقلة نظره فى أمور عاقبته، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد عم ذلك حـتى صار المعروف منكراً، والمـنكر معروفـا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، وارتكبت العامة أموراً قريبة من الكفر أو هى الكفر بعينها».

«فمنها فساد البيع والشراء والمعاملات وهو سلف الدراهم بالزيادة أو كراؤها بكذا فى الشهر لكل مثقال وغير ذلك من أنواع الربا، وقد شدد الله فى أمره وآذن المصرّ عليـه بالحرب فقال سـبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ... ﴿٢٧٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥].

وقال عليه السلام: «من نبت لحمـه من سحت فالنار أولى به»، وقال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده».

«ومنها فـساد الأنكحة والتسـاهل فيها مـن خطبة أحدهم على خطبة أخـيه والدخول على المطلقة قبل تمام العدة وغير ذلك من المنكرات، وأشنعها وأبشعها ما

يرتكبه الأشياخ الفجرة من بيع النساء على ما بلغنا، وصورة ذلك أن يقبض الرجل وتوظف عليه الذعيرة فلا يفى بها ماله وتكون عنده الزوجة المرغوب فيها فيتحمل الراغب فيها بما بقى من الذعيرة ويسلمها له، ويجعلها العدول الفجرة فى صورة خلع، ويدخل بها الراغب قبل وفاء العدة، وهذا وشبهه من الإلحاد فى الدين، والخروج عن شريعة سيد المرسلين».

«ومنها التساهل فى أمر الزنا والاكتفاء فيمن ثبت عليه بالقبض والذعيرة، وذلك من المنكر الذى لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون؛ لأنه خرق الشريعة وإبطال لأحكام القرآن وقد قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ... ﴿٢﴾﴾ [سورة النور: ٢]، هذا فى البكر وأما الثيب فالرجم، فقد قال عليه السلام: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن». وقال: «الزنا بريد الفقر ولا ظهر فى قوم الزنا إلا فشا فيهم الموت».

«ومنها التساهل فى أمر السرقة والاكتفاء برجوعها وزجر السارق، وهذا مخالف للشرع، مبطل لحكمه الذى هو القطع، قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... ﴿٣٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٣٨]. وقال عليه السلام: «والله لو سرقت - وذكر عضوا شريفا من ذات شريفة حاشاها من ذلك - لقطعت».

«ومنها تسلط الأشياخ على نسوة رعاياهم بالاحتيال على من كان تحته زوجة حسناء بقبضه حتى يتوصل للفاسد فى زوجته».

«ومنها التساهل فى أمر الدماء التى شدد الله فيها وأمر بالقصاص فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ... ﴿١٧٨﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٩] وقال سبحانه: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ

بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٣٣] فتجد القاتل يسبق إلى الشيخ أو العامل للإعلام والرشوة ليبطل حق المقتول ودعوى أوليائه إن رفعت إليه، ويسعى فى إبعاد التهمة عنه، وربما يتجرأ على الله بقبض أولياء الدم ليدحض دعواهم. ويحسم شكواهم».

«إلى غير ذلك من المنكرات التى حدثت فى الوقت نسأل الله السلامة، فإن الشرَّفى الزيادة كما أخبر ﷺ، فيجب على من ولاه الله أمرا أن ينصح لنفسه ولرعيته جهد الاستطاعة، ويحملها على اتباع السنة والجماعة، ويزجر من قصر فى دين الله وخالف أمره وارتكب ما نهى عنه بقدر معصيته، ويقوم بأمر الله فيهم وطاعته، ويبرأ بنفسه فيحملها على منهاج الحق والشريعة، فإن الرعية على دين رئيسها، فحينئذ ينفع تعليمه ويقبل ما يقول، ويلزم كل دوار وجماعة مشارطة طالب علم يرجعون إليهم فى أمر دينهم، وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس فى أوقاتها.

والجماعة التى لم تفعل ذلك يزجرهم ويعاقبهم، ويختار الأشياخ أهل الدين الذين يقومون بذلك، ويستعين عليه بالقضاة أهل العلم والعمل، الذين يتقون الله ويتحرون فى أحكامهم، ومن ثبت عليه حد من حدود الله شرعا يطالعنا به لنأمر بإنفاذ حكم الله فيه.

ويشدد على أهل الجرائم والفساد، ويرفق بالضعفاء والمساكين، فما سمعنا عاملا قبض أحدا على ترك الصلاة أو ترك الوضوء أو عاقبه على قلة دينه أو أدبه على قول أو فعل خارج عن الشرع العزيز، وإنما يبلغنا قبض العمال على الذعيرة أو مخالفة الشيخ أو الغوغة عليه أو غير ذلك من الأغراض والشهوات الدنيوية التى لا تعلق لها بالدين، مع أن القيام بأمور الدين أولى، والاهتمام بالاستقامة فيه أهم.

ولو استقام دين العامة لاستقام أمر دنياهم فينبغى، للعاقل إيثار أهل الدين على الدنيا، ففى محض حق الله تجب المبادرة، وفى الشمائل: كان ﷺ لا يغضب لنفسه إلا إذا انتهكت[1] محارم الله فلا يقوم لغضبه شيء.

فمن وفقه الله للاقتداء برسول الله ﷺ فقد رشد واهتدى، ومن حاد عن سبيله فقد غوى واعتدى، فإنه عليه السلام تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا شقى، وليجعل أموره كلها جارية على الكتاب والسنة ويسأل العلماء عما لم يعلم، ويرفع القضايا الشرعية للقضاة، ويأمرهم باختيار الشهود أهل العدالة والدين، ليتم له من ذلك ما أراد، ومن ظهرت عليه جرحة فى شهادته ينكل به ويمنعه من الشهادة لينزجر به غيره، وتجرى أمور الشرع على مقتضاها، فإن بصلاح الشهود تستقيم أمور الشرع؛ لأن بهم عصمة الدماء والأموال والأنساب.

وصلاح الشهود بصلاح القاضى، وصلاح القاضى بالعلم والتقوى والورع ومعونة العامل على تنفيذ أحكامه، فمن قام بهذا من العمال فقد نال رضا الله ورسوله ورضانا، وفاز بخير الدارين، فإن بالعدل ثبات الولاية وملاك أمرها، ولا يتم ذلك إلا بمشاورة الصلحاء والاهتداء بهديهم، فإن مصاحبة الأخيار، ترفع الأقدار، وتبلغ منازل الأبرار، وقد قيل: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا يقال فسد الزمان وقل أهل الدين، وفقد الناصر والمعين، فإن من قام بالله وجد فى إقامة شريعة رسول الله ﷺ بعزمة صادقة رزقه الله المعونة على ذلك، والتوفيق لسلوك تلك المسالك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز.

ومن حاد عن هذا السبيل من العمال وقصر فى نصح رعيته ولم يحملها على أفضل الأخلاق والأعمال فقد تعرض لسخط الله ومقته، وحلول العقوبة المعجلة به ولا يلوم إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه.

---

(١) فى المطبوع: «إلا إذا انتهت!».

ولتكن نسخة من هذا الكتاب عند كل شيخ وكل طالب، ليبلغ الشاهد الغائب، ولنخرج من عهدة التقليد، ومن خالف الشرع أو حكم بغير ما أنزل الله أو رضى بذلك فحسابه على الله، قال الله سبحانه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ... ۝٧﴾ [سورة الحشر: ٧]، وقال: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [سورة النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٤٥﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، ﴿... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤٧﴾ [سورة المائدة: ٤٧]، ﴿... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝٤٤﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

فها نحن قد ذكرناكم وبصرناكم. وعرفناكم مرادنا فيكم وقلدناكم، وعلى سبيل النجاة دللناكم، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، فاجعلوا هذا الكتاب نصب أعينكم، وتدبروا ما فيه ببصيرة نافذة، وعقول حاضرة، لتعملوا[1] بمقتضاه. والله يوفقكم لما يحبه ويرضاه والسلام».

عطاياه وأحباسه:

لا أستطيع أن آتى على ما له فى هذا الباب، ولو تتبعته لأتى فى مجلدات ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، ودونك شذرات من ذلك.

أما تبرعاته وعطاياه فإنه قد دون لذلك الدواوين، قال أبو محمد عبد السلام ابن الخياط بن محمد بن علال القادرى فى تقييده فى أبناء محمد النفس الزكية: دَوَّن -يعنى المترجم- ديوان العطاء للشرفاء والمتشرفة والمشروفين لكل ديوان وعطاء معلوم، وكذلك دوَّن ديوان الضعفاء والأيتام والأرامل وقدر لهم عطاءً معلومًا، وأعطى للعلماء والطلبة عطاء لم يسبق إليه، ودَوَّن للمؤذنين عطاء معلوما» انتهى.

(١) فى المطبوع: «لتعلموا».



ظهير السلطان سيدى محمد بن عبد الله للمرابطين أولاد سيدى بوموسى بالتوقير والاحترام والسير على ما كانوا عليه من قراءة القرآن وإهداء ثوابها لمولاى الشريف ومولاى إسماعيل

وأعطى لطبيبه الماهر العلامة الحكيم أبى العباس أحمد بن عبد الوهاب آدراق ألف دينار فى آن واحد كما فى الجيش وغيره.

ولما سرح عبد العزيز العبدلى الذى كان قاضيا بمراكش بعد نكبته المتقدمة الذكر أعانه بألف ريال للحج كما سلف.

وأعطى فى فكاك أسارى الأتراك من مالطة مائتى ألف ريال وأربع وسبعين ألف ريال دورو، ولما لم يتيسر الفداء ورجع المال المذكور وجه بجميعه للسلطان عبد الحميد، وقال له: إن هذا المال أخرج فى سبيل الله لفكاك أسارى المسلمين منكم، وحيث رده الكفار لا يرجع لنا، فأنفقه فى فداء أساراكم أو فى الجهاد أو فيما يظهر لكم.

وقد بلغ عدد الأسارى المسلمين الذين أنقذهم من الأسر سنة ١٢٠٠ ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة من المغرب وغيره، وأنفق فى ذلك أموالا طائلة.

ورتب لأشراف تافيلالت فى كل سنة مائة ألف مثقال زيادة على ما يقبضونه فى أيام السنة متفرقا.

ورتب لشرفاء الحرمين الشريفين واليمن مائة ألف مثقال فى السنة، ومثلها لشرفاء المغرب، ونحو ذلك للطلبة والمؤذنين والقراء بالمكاتب وأئمة المساجد فى كل عام.

ولما كانت مسغبة عام تسعة وثمانين أجرى أرزاقا على الضعفاء والأغنياء، وأسقط الخراج فلم يُجْبَ لبيت المال فى تلك السنين من أحد شىء قط، وأوقف دورا لاستعمال الطعام للأرامل والأيتام والمساكين، ولم يزل على ذلك حتى صرف الله تلك الأزمة عن المسلمين، قاله فى درة السلوك.

وفى غلاء عام خمسة وتسعين ومائة وألف وصل أهل العدوتين الرباط وسلا وأهل مراكش وغيرهم بأموال لها بال، وكان يفرق على الدور ويوالى العطاء على الضعفاء والمساكين بيده، ورتب لهم الخبز مياومة، ودام على ذلك حتى اضمحلت المسغبة، وكان يعطى للتجار الأموال لجلب الميرة من الخارج وبيعها فى الإيالة برأس مالها رفقا بعامة الضعفاء.

ولما زار تافيلالت عام تسعة وثمانين وصل الشرفاء بما يزيد على مائتى ألف دينار، وأنعم على أهل الزاوية الناصرية بتامكروت بعشرة قناطير من معدن الحديد، خمسة من الصويرة وخمسة من آسفى.

وفى عام سبعة وتسعين ومائة وألف وجه لأشراف الحرمين الشريفين أموالا صلة، وللشيخ مرتضى الزبيدى خمسمائة دينار ذهبا ومجانة منه، ومثل ذلك للشيخ أحمد الدردير، ولباقى علماء مصر سبعمائة دينار ذهبا. قاله الضعيف.

وقال إن الشيخ مرتضى: لم يقبل تلك الهدية واعتذر عن عدم قبوله إياها بأنه لم يؤذن له ولم يقابل الوفد السلطانى الذى أتاه بها وكتب لهم بما نصه: ويعد السلام على كرام الوقت اقبلوا عذرى فى التخلف عنكم فى هذه الساعة وما ذكرتم لنا من أنكم صحبتم معكم صلة من جانب المنصور بالله، فإنه لم يؤذن لنا فى قبولها وهو نصره الله قد استسمن ذا ورم. ونفخ فى غير ضرم. والآن اذهبوا بالسلامة والسلام.

ووجه مع صهره ابن عمه مولاى عبد المالك ابن إدريس فى سفارته للسلطان عبد الحميد وحجته مع ابن عثمان، والسيد محمد الموزيرق، وشيخ الركب الحاج عبد الكريم بن يحيى هدية كبيرة للأشراف وأمرهم أن يتوجهوا من إِسَطنْبول للحج، وكان مقدار المال الموجهين به ثلاثمائة ألف ريال دورو وستين ألف ريال

ومن الذهب ضبلون ومنيضة وبندقى أربعين ألف لمعـينين فى الحرمين الشريفين فى أحقاق كل حق مكتوب عليه صاحبه.

ومن ذلك ما أصدره فى الاسـتمرار على ما كان يعطيـه لسيدى على منون، ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الراضى بن القاضى سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

أمـا بعد: فنأمـرك أن تدفع لدار سيـدى على منون الزرع الذى من عـادتنا الكريمـة أن نعطيه إياه لعـولته ولا تقطعه علـيه والسلام فى مـتم ربيع الأول سنة ١١٨٧».

ومن ذلك أيضا ما وجهـه مع ولده العلامة أبى محمد عـبد السلام صاحب درة السلوك وغـيرها للسـادات الأشـراف أهل الحرمـين الشـريفين والينبـوع وبدر وغيرهم، حـسبما ذلك مفصل بالكناشـة التى وجه بها لعلماء مصـر وإليك نصها حرفيا:

«الحمـد لله وحده، هذا زمام هدية الحـرمين الشـريفين المتوجـهة مع ولدنا الأرضى سيـدى عبد الســلام أصلحه الله ورضى عنه، وقدر الهـدية المذكورة ألف سبـيكة من الذهب، وقد أمرنا أن يفرق ذلك عـلى ما هو مذكور ومـبين بالكناش حتى يتوصل كل ذى حق إلى حقه إن شـاء الله، وكتب فى أوائل جمادى الأولى عام أربعة ومائتين وألف:

القسمة الأولى:

للسـادات الشرفـاء أهل المدينة المنورة ومن بينه وبـين المدينة مرحلة واحـدة مائتان من السبائك.

القسمة الثانية:

للسادات الشرفاء أهل مكة والوادى وجدة والطائف مائتان من السبائك.

القسمة الثالثة:

للسادات الشرفاء أهل ينبوع النخل وأهل ينبوع البحر مائتان من السبائك.

القسمة الرابعة:

للسادات الشرفاء أهل بدر ورابغ وخليص والصفرا والجديدة والحسينية وعين عجلان وجميع أشراف الحجاز عن آخرهم، وإن نسينا فرقة منهم ولم نسمها فهى داخلة مع أشراف الحجاز مائتان من السبائك أيضا.

القسمة الخامسة:

لأهل المدينة المنورة خصوصا وعموما من غير الأشراف وفقنا الله وإياهم وأهل الرباطات والرواقات ومن له وظيف مائتان من السبائك إلا أن أهل الوظائف يأخذون على قدر خدمتهم فى الحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فيكون منهم من يأخذ ثلاث قسمات، ولحملة القرآن ثلاث قسمات ومنهم من يأخذ قسمتين، وعامة الناس يأخذون قسمة واحدة.

وحاصل الأمر أننا فوضنا لأهل المدينة المشرفة فى القسمة المذكورة فيقتسمون ذلك على قوانينه المعهودة عندهم، ولا حظ للرافضية الذين يبغضون الشيخين أبعدهم الله فلا يأخذون شيئا من المال المذكور ولو درهما واحدا، ومن حبى الرافضية المذكورين بشىء من المال المذكور فالله حسيبه وحسيب كل من منع حق مسكين من الغرباء والمجاورين لحرم رسول الله ﷺ من أهل الرباطات والرواقات وغيرهم من الذين لم يقدم بهم من بلادهم إلا شوق المصطفى ﷺ وجواره.

وأنا أقول واجب على أهل المدينة أن يقدموا هؤلاء الغرباء المجاورين لحرم رسول الله ﷺ فى الهدية على أنفسهم والهدية المذكورة لأهل المدينة خصوصا وعموما على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، واعلموا أنه لا مدخل للشريف أمير مكة فى تفريق المال المذكور بل يفرقه سرامين(١) وشرفاء المدينة، وإن بعث صاحبًا له يحضر على تفريق المال المذكور فليطرده أهل المدينة ويقولون له: إن بعث صاحبك شيئا فاحضر عليه، وأما هذا المال فلا مدخل لك فيه ؛ لأن الشريف المذكور نهب من مال هدية شرفاء اليمن ستة عشر ألف مطبوع فى العام الماضى فلا يحضر على تفريق هذا ولا مدخل له فيه بوجه ولا بحال، وإنما يحضر على تفريق المال المذكور شرفاء المدينة مع سرامين(١) والتفريق المذكور يكون على النسق المذكور إن شاء الله.

الفصل الأول:

قسمة السادات الأشراف أهل المدينة المنورة وما حولها فإنها ظاهرة، ويعرف بعضهم بعضا لأنهم حاضرون بطيبة.

الفصل الثانى:

قسمة السادات الأشراف أهل مكة والوادى وجدة والطائف، فإن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلا فلا تدفعوا لهم شيئا من الهدية المذكورة إلا إذا قدم عليكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيار الشرفاء المذكورين وأعيانهم، وكل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها وكالة مفوضة.

وكيفية التفريق عليهم هو أن أهل مكة يأخذون حظ إخوانهم أهل مكة فقط بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما يجب له فى حظه من الهدية المذكورة، وكذلك سكان الطائف إنما يأخذون حظ إخوانهم سكان الطائف فقط، بعد أن يبينوا لكم

---

(١) فى هامش المطبوع: «السرامين: كأنه تركى التركيب وإضافته مقلوبة، أى أمين الصُّرّة».

كل بيت، وما يجب له فى حظه من الهدية المذكورة، وكذلك أهل الوادى يأخذون حظ إخوانهم سكان الوادى فقط، وكذلك أهل جُدَّة يأخذون حظ إخوانهم سكان جُدَّة فقط، وكذلك إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرباء لمكة المشرفة ولم يكونوا مذكورين فى الزمام فيحسبون مع أهل مكة ويأخذون معهم، وسواء كانوا ديارا أو خياما، وكذلك إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرباء للطائف فيحسبون من جملة أهل الطائف ويأخذون معهم، وكذلك أهل الوادى، وكذلك أهل جدة إن كان بعض ديار السادات الأشراف قرباء منهم فيحسبون من جملتهم ويأخذون معهم.

الفصل الثالث:

قسمة السادات الأشراف أهل ينبوع البحر وينبوع النخل، فكذلك أيضًا إن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلاً فلا تدفعوا لهم شيئاً من الهدية المذكورة إلا إذا قدم عليكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيارهم وأعيانهم، لأن السادات الأشراف أهل ينبوع البحر، وينبوع النخل فرق متعددة وبيوت كثيرة من الشرفاء، فكل فرقة منهم تأخذ حظ إخوانها من الهدية المذكورة، لكن بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما فيه ويأتوا بوكالة إخوانهم وكالة مفوضة، فعند ذلك يدفع لهم حظهم ولا يدخل معهم فيها من هو مضاف لهم ومن لهم، إنما الهدية المذكورة مخصوص بها أبناء المصطفى ﷺ.

الفصل الرابع:

قسم السادات الأشراف أهل بدر، ورابغ، وخليط، والصفراء، والجَدَيِّدَة(١)، والحسينية، وعين عجلان، وجميع أشراف الحجاز عن آخرهم، وإن نسينا فرقة منهم ولم نسمها فهى داخلة فى القسمة الرابعة مع السادات أشراف

(١) فى المطبوع: «الحديدة» بالحاء المهملة. والمثبت فى حسن القرى، وبالهامش: «بهامش الأصل: هى الآن ملك بعضها للشيبى عبد الله صاحب مفتاح البيت وباقيها للأشراف».

الحجاز، فالقسمة الرابعة كلها عامة على من هو شريف فى الحجاز وإن لم يكن مذكوراً فى الزمام، فكذلك وإن قدم عليكم منهم نحو العشرين أو الثلاثين رجلاً فلا تدفعوا لهم شيئاً إلا إذا أتتكم منهم نحو المائة رجل وزيادة من خيارهم وأعيانهم، وكل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها، وكالة مفوضة.

فأهل بدر يأخذون حظ إخوانهم الساكنين ببدر، وكذلك أهل رابغ يأخذون الساكنين برابغ، وكذلك أهل خليص يأخذون حظ إخوانهم الساكنين بخليص، وكذلك أهل الصفراء يأخذون حظ إخوانهم الساكنين بالصفراء، وكذلك أهل عين عجلان، وكذلك جميع أشراف الحجاز عن آخرهم كل واحد منهم يأخذ حظ إخوانه فقط.

وأنتم إياكم ثم إياكم أن تدفعوا لأحد من السادات الأشراف حظ هذا لهذا أو حظ هذه الفرقة لهذه الفرقة، بل كل فرقة منهم تأتى بوكالة إخوانها وكالة مفوضة، وتأخذ حظها، لكن بعد أن يبينوا لكم كل بيت وما يجب له من الهدية المذكورة.

وعلى هذا يكون عملكم، وقد تشفعنا للسادات الأشراف أهل المدينة المنورة بالمصطفى ﷺ ومحبتنا فيهم أن يقفوا على هذه القسمة فى هذه السنة للسادات الأشراف حتى يتوصل كل ذى حق منهم بحقة، لأنها إذا تحققت القسمة فى هذه السنة فتسهل فى السنين التى بعدها، وبها ينقطع الخصام بين السادات الأشراف وفر الله جمعهم الحمد لله وحده.

وكما يصل للحرمين الشريفين ومصر والإسكندرية مع ولدنا الأرضى سيدى عبد السلام أصلحه الله ورضى عنه وفى مهل جمادى الأولى عام أربعة ومائتين وألف:

فللفقـهاء وجميع الطلبة بـالمدينة على مراتبهم من طلبة العلم وطـلبة القرآن ألف منيضة يقتسمونها على المراتب.

ولفقـهاء الإسكندرية ومـدرسيهـا وسائر طلبتـها وطلبة الـقرآن والعلم ألف منيضة يقتسمونها على المراتب.

ولمدرسى مصر والفـقهاء وسائر طلبـة الرواقات على مراتبهم خـمس عشرة مائة منيضة يخـتص الفقهاء والمدرسون بالأزهر بخمسمـائة، الألف الباقى يفرقونه الطلبة على المراتب جميع المنيضة ثلاثة الآف وخمسمائة.

وللحسنين بمصر مائتان من البندقى.

وللإمام سيدى محمد بن إدريس الشافعى مائة بندقى.

وللبكريين خمسمائة بندقى.

وللعمريين خمسمائة بندقى.

وللوفائيين مائة بندقى.

ولسيدى أحمد البدوى مائة بندقى.

وللشيخ أبى العباس المرسى مائة بندقى.

ولسيدى البصيرى مائة بندقى.

ولبيت الله الحرام ألف بـندقى لفقهائه وسائر طلبـته وأهل الوظائف من عند ولدنا الأرضى سيدى عبد السلام أصلحه الله لأن ألفين مثقالاً التى تتوجه لكم من عندنا فى كل سنة فقـد كنا قدمنا لكم الكتب على أنكم تقبضـونها من عند المتولى فى موضع الشريف سـرور عن كل سنة من الستة عشر ألف مثـقال التى كان أخذ من الهدية، وهى واجب ثمان سنين فقد أذنا لكم فى قبضها منه على حسب ألفين مثـقال فى كل سنة، وأمـا الألف بندقى المذكـور فهو من عـند ولدنا عبـد السلام أصلحه الله آمين جميع البندقى ألفان وسبعمائة.

فـالصلة التى توجه بهـا ولدنا سـيدى عـبد السـلام أصلحه الله هو يتـولى تفـريقـهـا بالمدينة المنورة بعـد أن يحج ويرجع من مكة، وواجـب أهل مـصـر والإسكندرية يدفعه بمصر عند التشرقة.

والهدية التى توجه بهـا السيد على الشبانى من اسطنبول مع سـرامين، فقد كنا أمرناه وعنده أمرنا أن سرامين يفرقها بالمدينة المنورة قبل أن يحج وقبل أن يصل لمكة المشرفة، وقدر عـدد الهدية المذكورة ألف سبيكة وتقسم على خـمس قسمات مائتا سبيكة فى كل قسمة:

القسمة الأولى: لشرفاء المدينة وما حولها.

الثانية: لشرفاء بيت الله الحرام ومن ذكر معهم.

الثالثة: لشرفاء الينبوع ومن ذكر معهم.

الرابعة: لشرفاء بدر وخليص والصفرا والجديدة وشرفاء الحجاز كلهم.

الخامسـة: لأهل المدينة خصوصـًا وعمومًا وعلى هذا يكون العـمل إن شاء الله.

وكل هدية وردت من عنـدنا لآل بيت رسـول الله ﷺ تقـسم على خـمس قسـمات كما ذكـر، أربع للسادات الشرفاء، والخـامسة لعـامة أهل المدينة المنورة، وبمكتبتنا من هذا المنشور نسخة من أصله فتوكرافية.

ومن ذلك هبتـه للسادات الشرفاء صـرحاء الأنساب إراثة المنقطعين وجـباية الأعشار وحـصرهم فى ستة عـشر شعبـة، جعل الإنعام عليهم خـصوصًا بذلك، وأصدر بذلك ظهيرًا كريمًا أمر بتعداد النسخ منه وتسجيله فى حوالة القرويين زيادة فى صيانته والمحافظة عليه.

وسبب تلك الهبة على ما فى تحفة الحادى المطرب لأبى القاسم الزيانى: أنه لما كانت سنو المسغبة ورتب الخبز فى المدن يفرق فى كل حومة على ضعفائها، اجتمع شرفاء فاس وطلبوا منهم أن يخصهم بنصيبهم ولا يدخلون مع العامة، فقال لهم: هذا شيء تافه وسأخصكم بما هو أكثر منه، فأنعم عليهم بمال إراثة فاس. اهـ. الغرض.

فأصدر ظهيراً لهم بتنفيذ ذلك على وجه الإقطاع وقفت على نسخة منه مسجلة إليك نصها:

«الحمد لله، نسخة رسم وخطاب من يجب أمنه الله عقبه بما سيذكر نصه:

الحمد لله نسخة ظهير كريم مولوى هاشمى سلطانى محمدى والخط والطابع الشريفان بين الحمدلة وصدر افتتاحه، ورسم الرفع عليهما بطرته، والقبول عقبه، نص أوله: «الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، ونص الخط: محمد بن عبد الله كان الله له، ونص الطابع بما هو بداخله: محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، وما هو بدائرته المحيطة به: ومن تكن برسول الله نصرته؛ إن تلقه الأسد فى إجامها تجم.

ونص الظهير:»

«هذا ظهير كريم، تتلقى أوامره المطالعة بالإجلال والتعظيم، وتتأرج منه نسمات الوقار والتكريم، يتعرف منه بسابغ يمن الله وطوله، وجميل بركته وجليل فضله، أننا وهبنا متخلف المنقطعين بحضرة فاس على ما يذكر فى هذا المسطور الكريم من السادات الأشراف الجلة وفرهم الله وهم الشرفاء الإدريسيون:

(١) أهل دار القيطون و(٢) الطاهريون و(٣) العمرانيون و(٤) الطالبيون و(٥) الغالبيون و(٦) الصقليون و(٧) العراقيون و(٨) المسفريون و(٩) الدباغيون و(١٠) الكتانيون و(١١) الكانونيون و(١٢) الشفشانيون و(١٣) الفضيليون

والطاهريون (١٤) أهل مكناسة وأهل حمام الجديد و(١٥) أولاد سيدى على منون (١٦) ومن هو متأهل بفاس من بنى عمنا.

فهؤلاء القبائل المذكور حفظهم الله هم الذين وهبنا عليهم متخلف المنقطعين بفاس، سواء كان أثاثاً أو عقاراً، أو غير ذلك، بحيث لا يدخل معهم غيرهم ولا يخرج من كان من شرفاء فاس قاطنا بغيرها كالدباغيين الذين بمراكش هبة مؤبدة مبتلة ممنوعة أسباب النقض إن شاء الله إلى يوم الدين، قصدنا بذلك وجه الله العظيم، وصلة رحمهم، تقبل الله منا ذلك بفضله.

وقد قدرنا لهم القسم فى مستفاد ذلك عن كل ثلاثة اشهر، بأن يعطى لكل متزوج من الشرفاء ومملك ومتزوجة ومملكة قسمة على السواء بينهم، وللعجائز منهم ومن ليست فى نفقة أحد يسهم لها سهمان لعجزها، ومن كان من الشرفاء غنيا وسامح فى واجبه لبنى عمه فالله يتقبل له، وإن أراد البقاء على حقه فله ذلك.

وقد أبقينا الحاج محمد السراج ناظراً على مال المنقطعين، ويلازمه اثنان من الشرفاء فى جميع ما يتصرف فيه من ذلك مناوبة، وهذا الظهير الكريم يجعل فى دار القيطون، وتجعل منه نسخة فى حوالة مسجد القرويين عمره الله، وأذنا لكل فرقة من هؤلاء الشرفاء أن يتمسك بنسخة من هذا الظهير الكريم مسجلة على خط قاضى فاس الإدريسية، تقبل الله منا ذلك بفضله، وإنه ولى ذلك بمنه وكرمه آمين.

وقد زدناهم كل أهل ورثه بيت المال لا قديمًا ولا حادثًا يباع ويفرق عليهم ثمنه إن كان فيه أحد ساكنًا يخرج منه ولا نقبل له كلامًا فى ذلك، لأننا وهبناه لهم هبة لا رجوع فيها بالكلية، والله تعالى يصلحهم ويوفق جميعهم لما فيه رضاه آمين والسلام.

صدر أمرنا المطاع بما سطر كله فى ثامن عشرى ربيع الثانى عام تسعين ومائة وألف، ونص رسم الرفع بالطرة:

«الحمد لله، فمن يعلم ويتحقق أن الخط الشريف والطابع الكريم الذين بين الظهير والحمدلة أعلاه هو خط مولانا الإمام. المظفر الهمام. السلطان الأعظم والملاذ الأفخم. أمير المؤمنين سيدى محمد بن مولانا عبد الله أيد الله مجده، وأدام فى فلك السعادة سعده، وطابعه قاله عارفهما ومعرفا بهما من غير شك لحقه فى ذلك ولا ريب، وبه قيد شهادته فى ثانى رجب الفرد الحرام عام تسعين، المؤرخ به أعلاه أحمد بن محمد بن سليمان لطف الله به وعبيد ربه محمد بن طاهر الهوارى لطف الله به، وبعده بخط من يجب أمنه الله: الحمد لله أديا فقبلا وأعلم به عبد الله تعالى يوسف بن محمد الطالب البوعنانى الحسنى الله وليه ومولاه، قابلها بأصلها فماثلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل الشريف المنيف الأمثل، قاضى الجماعة بالحضرتين فاس الإدريسية والعليا، وهو يوسف بن محمد الطالب البوعنانى الحسنى أعزه الله تعالى وحرسها بقبوله الرسم المنصوص عنده القبول التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر فى رابع رجب الفرد الحرام عام تسعين ومائة وألف محمد بنيس وفقه الله بمنه ولطف به.

وأحمد بن محمد بن سليمان لطف الله به، وبعده بخط من يجب أمنه الله: أعلمته قابلها بأصلها فما ثلته وأشهده الشريف الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الدراكة الفهامة الأحفل، المدرس المحرر النحرير الأمثل، الحجة القدوة الأكمل، قاضى الجماعة بحضرة فاس الإدريسية المحفوظ بالله عز وجل، وهو عبد الهادى بن عبد الله الحسنى أعزه الله تعالى وحرسها بأعمال الرسم أعلاه عنده الأعمال التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى ودامت كرامته بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى عاشر ربيع الأول النبوى الأزهر عام تسعة بمثناة وستين ومائتين وألف محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج لطف الله به ومحمد بن محمد بن الطاهرى الحسنى وفقه الله بمنه ولطف به وبعده: استقل».

وبعد صدور هذا الظهير تمشى فيه المكلفون بتنفـيذ أوامره على غير ما رسمه المترجم مـدة، ثم رفعت لجلالتـه الكريمة الشكاية بالحـيف الواقع والمحابات، ولما تحقق لديه ذلك أصدر ظهيراً آخر فى الموضوع لولده المولى المأمون والشيخ التاودى نصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم؛ ولدنا المأمون أصلحك الله، والفقيه السيد التاودى السلام عليكما ورحمت الله وبركاته.

وبعد: فإن بعض الشرفـاء وردوا علينا شاكين بأبناء عمهم الستة عـشر شعبة أهل العصبيـة الذين يقبضون مال المنقطعين، فقد بلغنـا أنهم أطلقوا ألسنتهم بالمعرة ولـم ينتهوا، فتحققنا أن سبب كل فتنة شعبتان من أهل العصبية سولت لهم أنفسهم الإمارة أن فاطمة رضى الله عنها لم تلد غيرهـم.

ولما تفطنا من كلام الشاكين وتأملنا أمـرهـم وجدنا الحق معهم، لأنهم كلهم أهل رسوم وظهـائر، والنسب يحاز بما تحـاز به الأملاك، ولا حجـة للأقوياء على الضعفاء غير ما يقولونه بأفواههم، وكل مـا ينشأ بينهم من الأذى فهو فى صحيفة الفقيـه المذكور، لأنا كنا عاهدنا الله فى هبة ذلك لكل من تقدم سلفـه قاطنا بفاس من أول المائة الثامنة إلى سيدنا الجد قدس الله روحه.

فأبهم الأمـر علينا حيـث وقع الحيف والمداهنة، وأنا أسـتغفـر الله من ذلك لأنهم جعلهم قبائل مع كونهم شعـباً، وهو محقق بأن الإمام مولانا إدريس أفاض الله علينا من بركاته آمين، خلف بضعة عشر ذكراً ولكل منهم عقب، وقد علم ما وقع بهم حسبـما ذكره المؤرخون، وعقـد أغفلوا كلهم لدخولهم فى غمـار العامة تغطية عـلى أنسابهم، فكان ذلك سبـب سلبهم الشهـرة من شدة مـا أصابهم من

الخطوب والأهوال وأذى الملوك الذين اغتصبوا خلافتهم حسداً على ما آتاهم الله من فضله.

وأما قوله على ما ذكره ابن السكاك وصاحب المرآة فإن ابن السكاك لم يتعرض إلا لثلاث شعب كانوا وقت زمانه بفاس، وأعطى للملوك ما يناسبهم فى حق جميعهم، وأما صاحب المرآة فلم يكن بصدد ذلك، وإنما عرف بأفراد اقتضى بهم الصحبة، وقد أحاطت الناس بما لم يحيطوا به علما، ويعلم ويتحقق أن العلماء العاملين أجمعوا على أن النسب المقطوع به فى غربنا من غير شك ولا ريب هو ما أدخل فى دفتر مولانا الجد رحمه الله بعد ما تحقق أمره، لأن ملكه اتبع القرى المداشر والحواضر وشهدت لهم به الكافة والجمهور، وحقق من دفتر أبى العباس المنصور، وبحث فيه أولا وثانيا فإذا هو مشهور، وبوجوده رحمه الله انقطعت شوكة أهل الظلم والجوار، والجرأة والعناد، بالكذب على سيد العباد، وطالع ما سطر بالطرة يمنته، حسبما احتوت عليه ترجمة المشاهير فى الدفتر الشريف الذين صحت نسبتهم من بنى إدريس رضى الله عنه، وعددهم ثمانية قبائل على حسب ما رسم أسفلها من الشعب المشاهير فأولهم بنو القاسم بن إدريس وآخرهم بنو أخيه يحيى بن إدريس، ثم بنو أعمامهم بنو عبد الله الكامل إلا أبناء عمنا أخرناهم عنهم لئلا يصابوا منهم، أو يصابوا منا.

وأما الحسينيون فلا يحتاج إثباتهم فى هذا الظهير الكريم، وأمرهم معلوم بينهم، ونحن وإياهم فى ظل الله وظل جدهم(١) مولانا إدريس.

فعلى هذا العدد أخرجت صلة مولانا الجد رحمه الله إذ هو المقطوع به، ولا يحمل لنا أن نهمل ما أظهره الله بالمواجب الشرعية والظهائر السلطانية، لأن الملوك الأقدمين كانوا لا يجددون جديداً إلا بعد شهادة أهل بلادهم لهم بتحقيق نسبهم،

---

(١) فى هامش المطبوع: «أى جدّ أبناء عمهم».

ولذلك أضربنا عن هذا الأمر صفحا، وطوينا دون الكلام فيه كشحا، وخرجنا من عهدة ذلك، وغضضنا الطرف عما هنالك، ووكلنا النظر فى أمر المسترين لعامة كل بلد، وإليهم أسند الأمر فى ميز الشريف من المتشرف، كما فعله سيدنا الجد رحمه الله، فعلى هذا يكون الأمل، والله يتقبل العمل.

وبعد مطالعتك إياه طالع عليه الفقيه المذكور ومكنه للشريف الأجل؛ الناصح الأكمل، مولاى الرشيد بن عبد الهادى بن عبد النبى الدرقاوى الحسنى، فقد وليناه خطة النقابة والبحث فى شئونها وشروطها، وأن يجد ويجتهد فى الحواضر والقرى، وأن يأخذ ما هو لجانبها معروف، وعلى خطتها موقوف، وعليه بتقوى الله فى سره ونجواه، ولا تأخذه فى الله لومة لائم والسلام وفى سابع عشرى جمادى الأخيرة عام واحد ومائتين وألف».

ونص ما بطرته:

«من بنى القاسم بن إدريس عدد شعبهم والجوطيون[1] على عدد شعبهم وحتى أبناء عمهم أهل حمام الجديد[2] والكنونيون وأولاد أبى العيش على عدد شعبهم والداوديون وأولاد ابن العياشى[3] وأولاد الشدادى وأولاد الشماع[4] وأهل المصدر والوكيليون[5] والزكاريون وأولاد بوسرغين».

---

(١) فى هامش المطبوع: «منهم الشبيهيون ولاة ضريح إدريس الأكبر والطاهريون والطالبيون والعمرانيون منهم بنو إدريس ولاة ضريح إدريس الأنور والفرجيون والغالبيون وأولاد ابن طاهر.

(٢) فى هامش المطبوع: «بمكناسة».

(٣) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٤) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٥) فى هامش المطبوع: «أولاد سيدى وكيل السجاوتى أهل زيز.

«ومن بنى عيسى[1] بن إدريس ستة شعب الدباغيون والمناليون[2] على عدد شعبهم والبوزيديون[3] واليعقوبيون والشنويون والمرهبيون[4]».

«ومن بنى محمد بن إدريس وعد ١٢ شعبهم العلميون[5] على عدد شعبهم وحتى أولاد النيار وابن الطائع والكتانيون[6] والودغيريون وأولاد ابن الحسن المراكشى وأولاد المسواك وأولاد ابن عدوا وأولاد محمد بن هاشم وأولاد ابن عمرو، والشبانيون والكثيريون».

«ومن بنى أحمد بن إدريس وعددهم شعبتان الدرقاويون وأولاد جنون أهل الزواقين».

«ومن بنى عمر بن إدريس وعددهم أربعة شعب أولاد المرى وأولاد الحصال والبلغيثيون والحموديون[7]».

---

(١) فى هامش المطبوع: «دفين آيت عتاب من بلاد تادلا وشرفاء آيت عتاب ممن سكن من الأدارسة غرناطة من جزيرة الأندلس وكان لهم بها الصيت الشهير. بولاية الحكم فى الأمر الخطير. وناهيك أن منهم الشريف الغرناطى شارح مقصورتى حازم والخزرجى كانوا يدعون بالسلويين لما قدموا من سلا إلى فاس وبعضهم بمراكش وبعضهم بسوس الأقصى بمناله ويقال لها أيضا الالة.

(٢) فى هامش المطبوع: «يعرفون بالزياديين بعضهم بتمخصيط بالصحراء».

(٣) فى هامش المطبوع: «بتلمسان منهم أولاد ابن المجذوب بتلمسان وفاس وزرهون».

(٤) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٥) فى هامش المطبوع: «شرفاء حبل العلم الذين منهم مولانا عبد السلام بن مشيش وغيره من سائر تلك النواحى الهبطية وجدهم الذى يجتمعون فيه هو أبو بكر بن على بن حرمة ابن عيسى بن سلام بن مزوار بن على بن حيدرة بن محمد بن إدريس».

(٦) فى هامش المطبوع: «أولاد عبد الله ابن .... ابن يحيى الكتانى».

(٧) فى هامش المطبوع: «ابن ميمون القائمون بالأندلس بعد المائة الرابعة كما ذكره ابن عبد الملك وابن خلدون وغيرهما ومن بنى عمر سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه على التحقيق فى رفع نسبه كما حرره القصار وغيره انظر الدر السنى».

«ومن بنى عبد الله بن إدريس وعدد شعبهم والعمرانيون[1] أهل الفحص، وقبيلة بنى شداد، وتلنبوط، وهم أولاد النجار، وأولاد التبر والمنصوريون شعبتان، وأولاد ابن تسعدنت، وأولاد القريب، والمشامريون، والمغاريون، وأولاد بوقشابة».

«ومن بنى داوود بن إدريس وعدد شعبهم أربعة عشراً، وأولاد أبى عنان، والدباغيون، والقصاريون، والتونسيون[2]».

«ومن بنى يحيى بن إدريس الزكراويون[3] أهل حاحة».

«ومن بنى أعمام مولانا إدريس بنو سليمان أهل عين الحوت، وهم المنجربون، وأولاد بن معزوز على أحد القولين، وقيل: إنهم من بنى عبد الله بن إدريس بانى فاس».

«ومن بنى موسى الجون القادريون والمومنانيون والزيدانيون من بنى محمد بن عبد الله الكامل».

«ومن بنى الحسن المثلث الجزوليون أهل سملالة. وأمرنا نجلنا المذكور، أن يمكنه بيد النقيب المذكور ليخرج به من الظلمات إلى النور، وإياك ممن شرفه كشرف أشبار الذى ادعى الشرف، وكشرف بنى فارس ولم يثبت لهما وفى التاريخ يسرته» هـ.

وأما أحباسه فمنها جنان ابن حليمة الشهير بالعاصمة المكناسية الذى صار اليوم بستاناً عمومياً، وعرصة الشطرنجية، وعرصة البحراوى وهى المعبر عنها فى

---

(١) فى هامش المطبوع: «بالقبائل الهبطية بناحية جبل العلم يقال للواحد منهم عمرانى وهم ممن ذكرهم ابن حجر فيمن يثبت لهم نسب الشرف ولا يطعن عليهم فيه وجدهم عمران ابن زيد بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن إدريس وفيهم الدخلاء.

(٢) فى هامش المطبوع: «انقرضوا».

(٣) فى هامش المطبوع: «أولاد أبى زكرياء».

العقد الحبسى بالعرصة الجديدة حبس ما ذكر على المسجد الأعظم من العاصمة المكناسية، ودونك لفظ عقد التحبيس حسبما بحوالة المسجد الأعظم من مكناس:

«الحمد لله، حبس مولانا الإمام. السلطان المؤيد الهمام، ناصر الدين المجاهد فى سبيل رب العالمين، صدر الأفاضل المقدام. علم الأعلام، وابن سيد الأنام، العلامة الشهير، الدراكة النحرير، صاحب الفتوحات الإلهية. والمواهب الربانية، الذى أشرق الوجود بكريم محياه، أمير المؤمنين سيدى محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله، بن السلطان الجليل الماجد الأثيل، مولانا إسماعيل، أدام الله عزه ونصره، وخلد فى الصالحات ذكره، جميع جنان ابن حليمة وجميع عرصة الشطرنجية، وجميع العرصة الجديدة المجاورة لها داخل القصبة السعيدة على المسجد الأعظم من مكناسة تحبيساً مؤبداً، ووقفاً مخلداً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه، وولى الانتقام منه، تقبل الله من مولانا عمله، وبلغه سؤله وأمله، وبسط للناظر الأحظى السيد أبى القاسم المسطاسى يد الحوز على ذلك يتصرف فيه للحبس المذكور من بيع غلته وعلاجه، مهل رمضان عام ١٢٠٣».

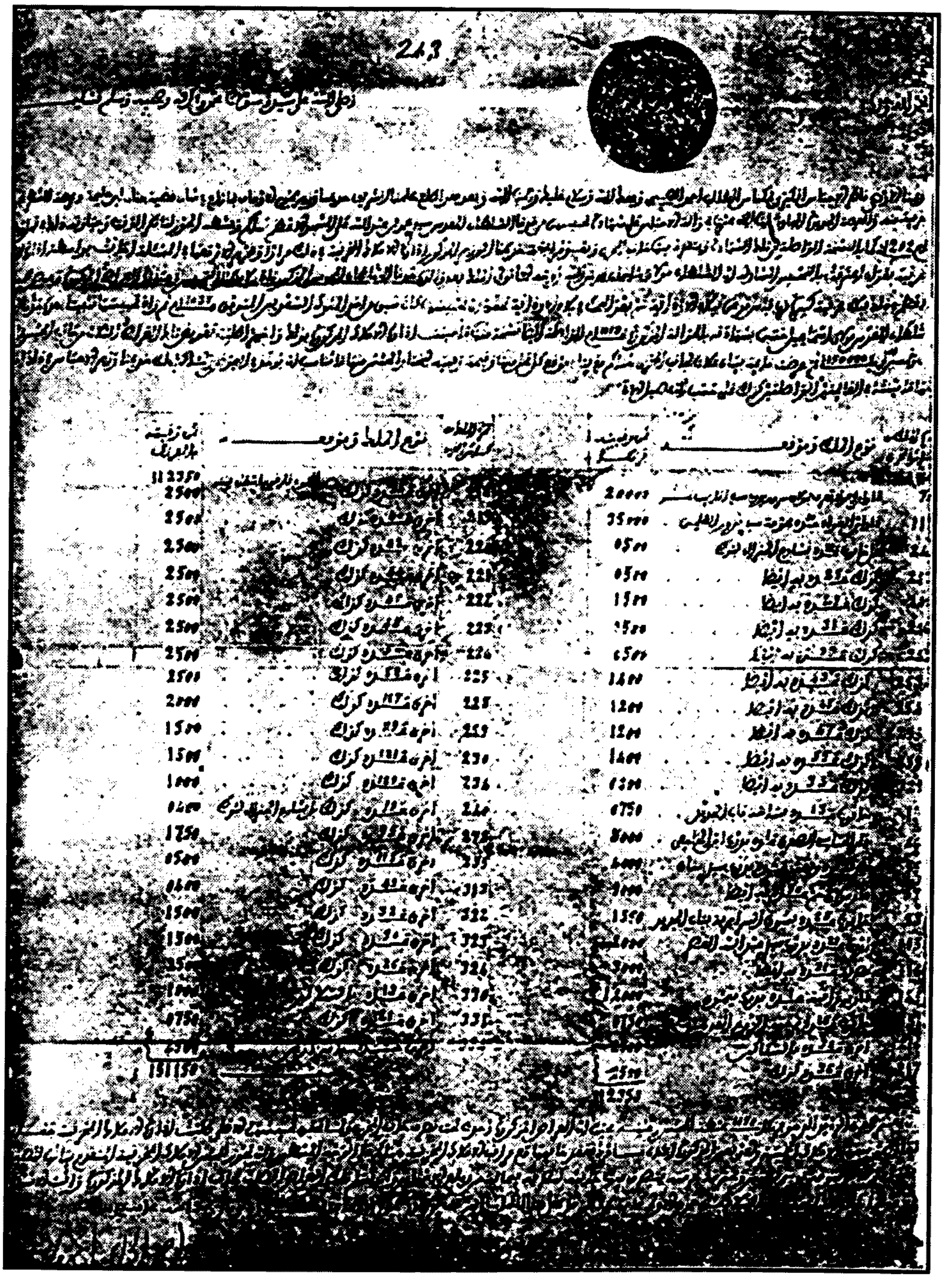
وقد وقفت على تقييد الداخل على الناظر المذكور والخارج من مستفاد هذه الأملاك الثلاثة منذ حيازتها لجانب الأحباس إلى سنة ١٢٠٣ ونص ذلك بعد الحمدلة:

«تقييد ما دخل على الناظر السيد الحاج الطيب المسطاسى من مستفاد غلة جنان ابن حليمة، والشطرنجية، والعرصة الجديدة من الوقت الذى حبسهم فيه مولانا المنصور بالله أدام الله مجده وعلاه، وخلد فى ديوان الصالحات أجره وذكره.

جملة الداخل تسعمائة مثقال وأربعون مثقالاً وأوقيتان ونصف، فمن غلة صيف جنان ابن حليمة سبعة وتسعون مثقالاً، ومن غلة صيف الشطرنجية والعرصة الجديدة مائتا مثقال اثنتان، ومن خريف جنان ابن حليمة ثلاثمائة مثقال، ومن خريف جنان ابن حليمة ثلاثمائة مثقال وخمسة عشر مثقالاً وزيد فى ثمنه بعد البيع خمسة وثمانون مثقالاً، ومن خريف الشطرنجية والعرصة الجديدة تسعون مثقالاً، ومن ليم جنان ابن حليمة خمسة عشر مثقالا، ومن ليم الشطرنجية والعرصة الجديدة مائة مثقال واحدة وخمسة وثلاثون مثقالاً، ومن ثمن لفت غرست بالعرصة الجديدة ثنتان وثلاثون أوقية ونصف».

«الحمد لله؛ تقييد ما صيره الناظر المذكور أعلاه فى إصلاح المواضع المذكورة ما جملته خمسمائة مثقال وخمسة وسبعون مثقالاً وثلاث أواقى ونصف حسبما هو مبين بكناش صائره فى غير هذا أسقط صائره من داخله، يبقى مدركاً على الناظرين من الداخل المذكور ثلاثمائة مثقال وأربعة وستون مثقالاً وتسع أواقى دراهم، وقيدها فى ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٠٣».

وقد صارت هذه الأملاك الثلاثة بعد ذلك من جملة أملاك الدولة يتصرف فيها السلطان ونائبه على أنها ملك خالص لا شائبة فيه إلى حدود الأربعين من هذا القرن، حيث عثر ناظر الكبرى الحالى وهو خلنا الأستاذ العلامة المقرئ أبو العباس أحمد الصبيحى السلوى على رسم التحبيس المذكور، ولما رفع الأمر بذلك لوزير عموم الأوقاف أبى العباس أحمد اللجائى لينهى ذلك للجلالة السلطانية ووقع بحث إدارة الأملاك عن وجه تصرفها، فأجابت بأن السلطان أبا الربيع كان أوقع معارضة فى تلك الأملاك بالبلاد المخزنية عينتها، ووقع البحث فوجدت تلك البلاد محبسة قبل أن يخلق أبو الربيع، فعند ذلك صدر الأمر السلطانى لإدارة الأملاك بعقد معاوضة فى الأملاك المذكورة، فعوضت بأملاك تقدر قيمتها بمائة ألف وخمسين ألف فرنك.



ظهير السلطان مولاى يوسف بإجراء التعويض عن العراصى التى حبسها سيدى محمد بن عبد الله بأملاك مخزنية وأسفله توقيع وزير الأحباس

وإليك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه ١٣٣٠» وبدائرته ومن تكن من يعتصم:

«خديمنا الأرضى ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، الطالب أحمد الصبيحى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد اطلع علمنا الشريف خديمنا وزير عموم الأوقاف بما راج فى شأن قضية جنان ابن حليمة، وعرصة الشطرنجية القريبة منه، والعرصة الجديدة المجاورة لها التى عثرت بحوالة الأحباس على شهادة تحبيسهن من جدنا السلطان المقدس سيدى محمد بن عبد الله على المسجد الأعظم هناكم وبسطه الحوز لناظر الوقت وحيازته ذلك فى مهل رمضان عام ١٢٠٢ كما بالنسخة الواصلة من تلك الشهادة ويتصرف فيها جانب المخزن.

وبعد مراجعة خديمنا الوزير المذكور إدارة الأملاك المخزنية فى ذلك مرارا وتحرير الأمر معها فى المسألة أجابت بواسطة إدارة الشئون المخزنية بعد أن اعترفت بالتحبيس المشار له، أن السلطان مولاى سليمان قدس الله روحه لما تولى الملك بعد والده جدنا السلطان المحبس المذكور بادر لإبطال ذلك التحبيس وحيازة العراصى المذكورة، وعوض للمسجد الأعظم فى ذلك ببلاد مخزنية كبيرة قرب فاس تدعى ببلاد الأوداية، ثم بعد البحث فى بلاد الأوداية تحقق أن تحبيسها كان سبق من أحد الملوك السعديين المتوفى عام ١٠٣٧[1] ثم زاد تحبيسها تثبيتا بعده جدنا الأكبر السلطان المقدس مولاى إسماعيل، حسبما بشهادته بالحوالة المذكورة عام ١١١٣ الواصلة أيضاً نسخة منها، فأجيبت إدارة الأملاك المذكورة بذلك وأخيراً طلبت تعويض تلك العراصى الثلاث من جانب الحبس بمائة ألف فرنك، ثم عرضت قائمة ببيان المحلات لجانب المخزن هناكم مع بيان موقع كل محل منها

(١) فى هامش المطبوع: «المتوفى فيها منهم هو زيدان بن المنصور كما سبق فى ترجمته من هذا الجزء».

وقيمة رقبته ليختار الحبس منها ما يناسب أن يؤخذ فى العوض، ولما كتب لك خديمنا وزير الأحباس فى ذلك اخترت منها ما بينته فى القائمتين الواصلتين كذلك على حسب التفصيل الآتى:

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٧٤	دار ابن العواد تعرف بمولاى سرور بدرب سبع أنابيب نمر ٣١	٢٠٠٠٠
١١٩	دار ابن العواد عدد ١٠ بحومة سيدى قدور العلمى	٣٥٠٠٠
٢٤١	محل حانوت عدد ٢١ بشارع الجنرال ليوطى	٥٠٠
٢٤٣	كذلك عدد ٢٥ به أيضا	٥٠٠
٢٤٥	كذلك عدد ٢٩ به أيضا	١٥٠٠
٢٤٦	كذلك عدد ٣١ به أيضا	٥٠٠
٢٤٧	كذلك عدد ٣٣ به أيضا	٥٠٠
٢٥٣	كذلك عدد ٤٣ به أيضا	١٤٠٠
٢٥٤	كذلك عدد ٤٥ به أيضا	١٢٠٠
٢٥٥	كذلك عدد ٤٧ به أيضا	١٢٠٠
٢٥٨	كذلك عدد ٥٥ به أيضا	١٤٠٠
		(٦٣٧٠٠)

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٣٢١	كذلك عدد ٣٤ به	٦٠٠
١٥	حانوت عدد ١٣ بساحة باب الحديد	٧٥٠
٤٦	دار الحباسي الصغرى عدد ١ بدرب ابن الخليفي	٨٠٠٠
٥٥	مصرية بودريقة عدد ٦ بدرب سيدى جنان	٤٠٠٠
٥٧	دار مولاى حم عدد ٣٠ به أيضا	٩٠٠٠
٨٨	حانوت عدد ٢٨ بسوق السرايرية بباب الحديد	١٥٥٠
١١٥	أروى عدد ٢٩ بدرب سيدى عبد الله القصرى	٢٠٠٠
١١٦	مصرية عدد ٣١ به أيضا	٣٠٠٠
١٢٥	دار بوعراقية عدد ١ بدرب ميمون	١٤٠٠٠
١٥١	حانون عدد ١٨ برحبة الزرع القديمة	٧٥٠
٢١٦	أخرى عدد ٣٤ بالساكين	٢٥٠٠
٢١٧	أخرى عدد ٣٦ كذلك	٢٥٠٠
٢١٨	أخرى عدد ٣٨ كذلك	٢٥٠٠
٢١٩	أخرى عدد ٤٠ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٠	أخرى عدد ٤٢ كذلك	٢٥٠٠
٢٢١	أخرى عدد ٤٤ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٢	أخرى عدد ٤٦ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٣	أخرى عدد ٤٨ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٤	أخرى عدد ٥٠ كذلك	٢٥٠٠
	مجموع ما بصفحة ٢٨٦:	(٦٤١٠٠)
		(١٣٠٢٥٠)

نمرة الملك من كناش المخزن	نوع الملك وموقعه	ثمن رقبته فرنكا
٢٢٥	أخرى عدد ٥٢ كذلك	٢٥٠٠
٢٢٨	أخرى عدد ١١٧ كذلك	٢٠٠٠
٢٢٩	أخرى عدد ١١٩ كذلك	١٥٠٠
٢٣٠	أخرى عدد ١٢١ كذلك	١٥٠٠
٢٣٤	أخرى عدد ١٢٩ كذلك	١٠٠٠
٢٤٠	أخرى عدد ١٩ بشارع الجنرال ليوطى	٤٠٠
٢٧٨	أخرى عدد ٩٥ كذلك	١٧٥٠
٢٨٥	أخرى عدد ١١٥ كذلك	٥٠٠
٣١٣	أخرى عدد ٤٩ كذلك	٤٠٠
٣٢٢	أخرى عدد ٣٢ كذلك	١٥٠٠
٣٢٣	أخرى عدد ٣٠ كذلك	١٥٠٠
٣٢٤	أخرى عدد ٢٦ كذلك	٢٥٠٠
٣٣٠	أخرى عدد ١٣ بالسلالين	١٠٠٠
٣٣١	أخرى عدد ٢١ كذلك	٧٥٠
٣٣٤	أخرى عدد ٩٦ بالبزازين	٢٥٠٠
	(مجموع ما بصفحة ٢٨٧ :	١٣٠٢٥٠)
	الجميع :	١٥١١٥٠

وأن يعتبر الفرق الزائد الذى هو فرنكات ١١٥٠ غبطة للحبس، وعليه فحيث أن العراصى المذكورة وجدت تحت تصرف جانب المخزن، ولما تحقق تحبيسهم الأصلى، طلبت إدارة الأملاك المخزنية جعل المعارضة فيهن بالأملاك الخمسة

والأربعين المذكورة أعلاه، نأمرك بعقدها فيها مع مراقب الأملاك المخزنية هناكم على الوجه المسطور، وأن تحوز للحبس الأملاك المخزنية المتقدم بيانها لتصير من جملة أملاكه موسومة بوسم الحبس ومحترمة بحرمته يتصرف فيها جانبه كتصرفه فيما له من رباع الأحباس، وأن تسلم تلك العراصى الثلاث لجانب إدارة الأملاك المذكورة وأثبت الأشهاد بذلك عدليا بالحوالة الحبسية والسلام فى ١١ جمادى الأولى عام ١٣٤٤؛ قد سجل هذا الكتب الشريف بوزارة عموم الأوقاف بعدد ١٤٩٥ وتاريخ ١٣ منه عامه صح به أحمد الجاى لطف الله به».

ومن أحباسه الفندق المعروف بفندق السلطان بالعاصمة، حبسه بتاريخ رابع عشرى ربيع الأول عام تسعة وثمانين ومائة وألف بإشهاد محمد التاودى ابن الطالب ابن سودة، ويوسف بن محمد البوعنائى، وخطاب القاضى محمد العربى ابن على القسمطينى الحسنى حسبما بصحيفة ١٦ من حوالة كبرى مكناس الجزء الأول منها.

ومنها جنان باب القزدير الشهير حبسه بتاريخ خامس ذى القعدة عام تسعين ومائة وألف، حسبما بظهير إصداره للقاضى أبى حامد العربى القسمطينى، وناظر الأحباس الحاج الطيب المسطاسى طبق ما بصحيفة ١٧ من الجزء الأول من الحوالة المذكورة.

ومن ذلك إنشاؤه لمرتب طلبة المدارس، وقفت له من ذلك على ظهير شريف أصدره لناظر هذه العاصمة فى حينه ودونك نصه:

«نأمر ناظر أحباس مكناسة الحاج الطيب المسطاسى أن يجعل طلبة باب مراح فى المراتب مثل المدارس الست، وهى مدرسة الدار البيضاء، ومدرسة باب المراح، ومدرسة قصبة هدارس، ومدرسة الصبير، ومدرسة جامع الشاوية، ومدرسة سيدنا ومولانا إسماعيل رحمه الله بحسب سبع أواقى لكل واحد من الطلبة المذكورين

فى الشهر، ومثقال للمؤذن، وخمس عشرة أوقية للإمام، وخبزة لكل واحد فى اليوم عند الزياتينية كما تقدم لك أمرنا بذلك، ورواتبهم من الأحباس كما هو مرسوم عندك، ولا فرق بين الطلبة المذكورين فكلهم فى ذلك سواء.

وأما طلبة مدرسة الأوداية فلا يقبضون إلا الراتب فقط كما أمرناك قبل، وأما الخبز فلا تعطهم شيئا لأنهم فى ديارهم ومع أهليهم، والسلام فى ١٢ شوال من سنة ١١٩٣، ومن تمامه أن الخبز المذكور يكون من أربعة فى الرطل وكل ما يدفع الزياتينية من الخبز فأعطهم خط يدك والسلام».

ومن ذلك تحبيسه زيتون غابة حمرية على الحرمين الشريفين، والمسجد الأعظم بمكناسة، جعل النصف للحرمين: للمدينة المنورة الثلثان، والثلث الباقى لمكة المشرفة، والنصف الآخر للأعظم بمكناس، يخرج منه كل سنة ثلاثة عشر مائة مثقال وستون مثقالا، وتفصل: فلضريح جده أبى المفاخر والفضائل مولاى على الشريف دفين سجلماسة مائة مثقال تصرف فى مهمات الروضة والطلبة الذين يقرءون الحزب ودلائل الخيرات، والمؤذنين، وقيم الروضة، وطعام ليلة المولد النبوى، وستة وثلاثون مثقالا للطلبة الذى يقرءون الحزب والصلاة على النبى ﷺ على قبر والدته وأعمامه الذين معها فى روضة أبى زكرياء الصبان من حساب ثلاثين أوقية فى كل شهر، ورطل زيتا لضريح أبى يعزى يلنور ومثله لضريح الإمام إدريس الأكبر رضى الله عنهم جميعا وذلك عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

قلت: ولا زال الأمر جاريا حتى الآن بتوجيه الثمن شهريا فى حوالة على البريد لمقدم ضريح الإمام إدريس، وفى أخرى لمقدم ضريح المولى أبى يعزى الأخير بواسطة رئيس مكتبه، حسبما أخبرنى بذلك الناظر المذكور.

أما وجيبة موظفى ضريح المولى على الشريف فإنه يحفظ بصندوق الأحباس لتعذر وصوله لمحله، فقد وقفت على كتاب من الناظر للجنرال حاكم الناحية فى ذلك دونك نصه:

«جناب رئيس منطقة مكناس المعظم السيد الجنرال فريدامبرك سلام عليكم ورحمة الله.

وبعد فأتشرف بأن أرسل إليكم اثنتى عشرة مائة فرنك وخمسين فرنكا لتصل على يدكم إلى تافيلالت بقصد تفرقتها هنالك:

١- على الطلبة الذين يقرءون الحزب ودلائل الخيرات بضريح مولانا على الشريف.

٢- على المؤذنين به.

٣- على قيم الروضة.

٤- طعام المولد النبوى؛ وذلك على العادة فى تقسيطها بينهم طبق مقتضى الكتاب الشريف الصادر بتاريخ ٢١ صفر ١٣٣٨ المعمل لنص تحبيس غابة حمرية بمكناس الصادر من السلطان المقدس سيدى محمد بن عبد الله ١٨٨٥، ثم تتفضلوا بتوجيه جواب المكلف فى ذلك بتافيلالت إلينا ليحفظ بمحله، بارك الله فيكم، وعلى المحبة والسلام ٢١ جمادى الثانية ١٣٤١.. إبراير ١٩٢٣.

ناظر الأحباس الكبرى بمكناس:

أحمد الصبيحى

فأجيب من الجنرال توفنار بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٣ بعد الحكاية بما يأتى: «أتشرف بإعلامكم بأن هؤلاء الناس لا زالوا لم يقدموا الطاعة ولا يمكن لنا توجيه ما أرسلتم الآن، فهأنا رجعت لكم القدر المبين أعلاه يحفظ بصندوق الأحباس حتى تصلح ناحية تافيلالت، ويمكن لنا تفريق ذلك والسلام.

بحسب النيابة:

توفنار»

هذا وقد كنا قدمنا أن الغاية المذكورة هى من تحبيس سيدنا الجد الأكبر المولى إسمـاعيل على الحـرمين الشـريفين حسـبمـا صرح بذلك مؤرخـو الدولة الزيانى وأكنسوس وغيـرهما، وعليه فلا وجه لإعـادة تحبيس المترجم لها بعـد على الصفة المذكورة، اللهم إلا إذا اعـتبرنا ما أحيـاه منها بعد إتلاف جل زيتونـها زمن الثورة الاستبدادية التى كـانت بين أنجال الجد المذكور والجيش البخـارى وبعد وفاته ويأتى مفرقا فى تراجمهم.

ومن أحباسـه تحبيسه لغـابة زيتون ابن الأشقر الشهـيرة بجبل زرهون، على عمـوم الشرفاء العلويين سـكان الجبل المذكور، وخـصوص أبناء المولى إسمـاعيل سكان مكناس، يختص أهل زرهون بالنصف منها، وأهل مكناس بالنصف الباقى.

ومن ذلك أوقافه على المارستان بفاس ومراكش وأوقافه بالحرمين الشريفين.

ومن ذلك تحبـيسه خزانة الكتب الإسـماعيليـة التى كانت بدويرة الكتب من مكناس، وكان أمره بذلك سنة ١١٧٥ وكانت تـزيد على الاثنى عشر ألف مجلد، فرقها على جميع مساجد المغرب ولا تزال بقاياها موجودة إلى الآن.

ومن ذلك كتب التاريخ والأدب الـتى أوقفها بمصر والإسكندرية، فـقد ذكر الزيانى فى الترجـمانة الكبرى أنه لما بلغـه أن ولده مولاى على خليفتـه على فاس اعتنى بسرد كتب التاريخ والأدب أمره أن يبعث له بما عنده منها بفاس، فوجهها له وجمع ما عنده منها بمراكش، إلى أن اجتمع عنده عدة نسخ من ابن خلدون، وابن خلكان، وقلائـد العقيـان، والأغانى، ونفح الطيب، وتآليف ابن الخـطيب، وملأ منهـا صناديق ووجـها مـع الكاتب الصنهـاجى يوقف بعـضهـا بمصـر وبعـضهـا بالإسكندرية.

التراتيب والمداخيل المالية في عهده

لما بويع للمترجم بعد وفاة أبيه وقدم لفاس، دفع له أهلها ما كانوا يدفعونه لوالده المولى عبد الله من ثمن الموازين وهو ثلاثمائة مثقال شهريا، ولما حضر فقهاء الوقت تكلم معهم فى شأنها فقالوا له: إذا لم يكن للسلطان مال يجوز له أن يقبض من الرعايا ما يقوم به، فأمرهم أن يكتبوا له فى ذلك، فكتب له من أسلفنا ذكره من العلماء تأليفا اعتمده واستند إليه ووظف الوظائف والتراتيب على الأبواب والسلع والغلل.

وقد وقفت على كناشة مبتورة الأوائل والأواخر تظهر بعد مراجعتها وتقليب صفحاتها كأنها كانت دفترا يذكر فيه ما كان فى ذمم الناس من أموال الدولة ومتمولاتها فى ذلك العهد، ويظهر منها أنها ملخصة من الكنانيش السبع المولوية التى وصف أولها بكناش سيدنا الكبير الأخضر، وصف ثانيها بأنه كناش صغير، وثالثها بأن سفره صغير زبيبى، ورابعها أحمر صغير، وخامسها طويل أحمر، وسادسها زبيبى على التحمير وسفره نحو الرباعى، ومن هذه الكناشة تستفاد قيمة بعض المداخيل وبعض البيان للأداء الذى كان يؤدى على كل قدر من المعشرات المرتب عليها وغير ذلك من الفوائد المبينة للحالة المالية على عهد المترجم، وهذا بعض ما اشتملت عليه:

صاكة تبغة عن عام ١١٧٦ ثلاثة آلاف مثقال بذمة يهود فاس ومكناس.

واجب دار الضرب بتطوان من ذى الحجة متم عام ١١٧٦ مثقالان فى كل يوم بيد القائد عبد الكريم بن زاكور.

كراء موازين آسفى ورحابه عن كل سنة من أول ذى القعدة سنة ١١٧٧ ستة عشر ألف مثقال بذمة الحاج إبراهيم حسوه الآسفى والنصرانى اللريط.

مستفاد الموازين والرحاب بتازا كل سنة من ذى ربيع الأول سنة ١١٧٧ سبعة عشر مائة مثقال بيد السيد أحمد بن ناصر.

واجب (التـقاقيل) الحـاصلة فى شهـرين ربيع الثـانى وجمـادى الأولى عام ١١٧٩ خمســمائة مثقال وثلاث وستــون مثقالا وثمانية أواق ونصف بذمـة جموع أهل الذمة بآكدير.

عن كراء (الفلايك) فى كل سنة من ١٢ جمادى الثانية ١١٧٩ ثمانمائة مثقال بذمة الرئيس العربى المستيرى.

صاكة ما بـذمة التاجر سودس الماركى (لعله الدنماركى) وهو أحد عـشر مائة مثقال وستـة وخمسون مثقالا ثمن ٦٨ قنطارا كبـيرا من الشمع سوم ١٧٠ للقنطار صاكتها ١٣ ريالا للقنطار فجملتها ٨٨٤ ريالا فى رجب ١١٧٩.

واجب قبائل الشيخ حمدون أربعة آلاف مثقال فى كل عام من عام ٧٩ بذمة المذكور.

صاكة عشـبة تبغة بفاس وصفرو وتازا ومكناس والقـصر والعرائش مع كراء بلادات فاس الجديد ومكناس من مفتتح محرم ١١٨٠، وقدر ذلك ستة آلاف ريال بذمة الذمى يوسف بن مردوخ اليهودى الفاسى.

قيمة أعشار مكناسة عام ١١٨٠ خمسمائة مثقال بذمة ولد مزيان.

فائدة دار الضرب بفاس الجديد خـمس سبائك من الذهب التزم الذمى يهود ابن سعـدون بأدائها على رأس كل سنة على يد الحاج مـحمد الصفـار، وقد أدى واجب عام ١١٨٠ وبقى فى ذمـته واجب عام ١١٨١ وقـد التزم أداء ستة سـبائك عند كماله.

واجب موازين أسـواق تازا، من أول جمادى الثانيـة عام ١١٨١ ستة عـشر مائة مثقال.

صاكـة وأعشار مرسى تطوان عن سـنة أولها شوال ١١٨٣ وآخرها رمـضان ١١٨٤ ثمانية وأربعـون ألف ريال وسبعون ريالا وخـمس وثلاثون جزءا قبضـهما الحاج محمد البروبى.

صاكـة وأعشـار طنجة عن السنة المذكـورة تسعة وثلاثـون ألف ريال وواحد وأربعون ريالا واثنان وتسعون جزءا.

واجب آيت عيسى عام ١١٨٣ أحد عشر ألف مثقال ولا زال باقيا عليهم مع واجب العام بعده وقدره كذلك.

واجب خريف عـام ١١٨٣ عن أجنة الشطرنجـية، وابن يحيـى، والشلاح، وابن حليمة، والحاج عبد الله، وعرصة الخضـرة، خمسمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالا وخمس أواق ونصف.

مستفاد القـصر عن ستة وعشرين شهرا آخرها صـفر عام ١١٨٤ ثلاثة عشر مائة مثال كل شهر بخمسين مثقالا.

صاكة تبغة بفاس عن سنة أولهـا نصف ربيع الأول عام ١١٨٤ خمسة عشر ألف ريال.

مســتفاد فاس عن سنـة من شوال السنة المذكورة عـشرون ألف مثقـال بذمة العربى الصفار.

واجب دور الضرب بالمراسى الثلاث تطوان وطنجة والعرائش عن سنة أولها محرم فاتح عـام ١١٨٥ أربعة آلاف ريال بذمة ابن وليد ومبير بن به أنصـافا بينهما صرفها دراهم ثلاثة عشر ألف مثقال وخمسمائة.

عن موازين سلا سنة ١١٨٥ ألفا مثقال.

عن موازيـن آسفى سنة ١١٨٦ اثنا عـشر مائـة مثقـال بذمة الحـاج محـمد التزنيتى.

صاكة وما وسـقه اليهو وإسحاق بينط من مرسى فضـالة سنة ١١٨٦ خمسة آلاف وثمانمائة ريال وثمانية وسبعون ريالا واثنان وثمانون جزءا.

عن موازين آسفى وأمـلاك سيدنا نصره الله بها سنة ١١٨٧ ثلاثة عـشر مائة مثقال.

كراء المراسى التى يستخرج منهـا المرجان من عام ١١٨٧ ألفان من الريال فى كل سنة بذمة الذمى يعقوب ولد ابرميك، ثم انتقل عقد الكراء لذمة الذمى (كشين كـاب الجرنيـرى) المسـتوطن بجبل طارق بـأربعة آلاف ريال ضـمنها القـائد عبـد الصادق.

مستفاد أبواب تطوان خمسة عشر مائة ريال بذمة الحسن السلاسى التطوانى.

وبذمته عن قوارب الحوت بها مائة مثقال.

صاكـة ما بذمـة النصرانى سندبدن ماركى وهو واحـد وعشـرون مائة ريال وأربعون ريالا ونصف ثمن ٥١٣ قنطارا و٧١ رطلا من الصوف يجب فى صـاكتها ٥١٣ ريال.

فائدة دار الضرب عن ستة وثلاثين يوما ثلاثمائة وتسعة وسبعون ريالا وسبعة وأربعون جزءا قبضها الحاج محمد البروبى من يونه برينطى.

صـاكة القـمح الذى وسق الرئيـس نكولة الإنجليـزى الذى وسق الزليج من تطوان للمهدومـة، وحمل الكور وغيره من المهـدومة للصويرة، ووسق خمـسمائة قنطار من القمح من الصويرة صاكتها ستمائة ريال وستون ريالا وثلثاه.

صاكـة الزرع الذى وسقـه الكديرى من العرائـش ستة آلاف ريال وثمـانمائة واثنان وستون ريالا وأربعون جزءا بذمة قنصل الدنمارك.

ثمن الورد بجنان العافية ثلاثون مثقالا.

وقد اشـتمـل هذا الكناش على عدد كـثيـر من المال كان بالذمم علـى وجه السلف والتوسعة، وخصوصا ذمم أهل الذمة، فـمن ذلك ألف مثقال بذمة الفقيرة بوعلو البوعزاوية سلفا عند سفرها للحجـاز، ومنه خمسون ألف ريال بذمة جموع أهل الذمة بتطـوان سلفا وتوسعـة على يد ابن عمران يؤدونـها سنة ١١٨٤، ومنه خمسة آلاف ريال بذمة شيخ الركب الحاج التاودى مكوار سلفا يؤديها عند رجوعه من حجه، ومنه مائتا مثقال بذمة شيخ أهل الذمة بملاح تازا سلفا إلى غير ذلك مما كان بذمم النصارى والقبائل المغربية البربرية منها والعربية.

ومما بذلك الكناش مما يتـعلق بالأسارى أن بذمـة (دينمارك) اثنان وعـشرون مـائة ريال فى فدية اثـنين من نصارى الفـرنصـيص، وأن عند (قـيطانو) اثنين من الأسارى المسلمين يأتى بهم للجانب الأسمى عوضا عن النصرانى الذى دفع له من الجانب الكريم على يد عبد الله بن محمد وهو ضامن لذلك.

ومما يتضمنه من أمور الحرب والبحران سميد النصرانى الفلامنكى الذى بذمته أربعة آلاف مثقـال قبضها من مرسى آكدير - التـزم أداء عشرين قنطارا من البارود فى كل سنة، وأن اللريط النصـرانى الذى بذمته مـثل ذلك سنة ١١٧٧، التزم دفع مثل ذلك من البارود الإنجليزى هدية، وأن النصرانى ولمان الفلامنكى - الذى بذمته خمسة آلاف ريال سلفا - بذمته ثلاثون قنطارا من البارود الرومى، وأن النصرانيين الراى الفرنسى وفـرشيشك الـفلامنكى التزم كل منهـما بإعطاء كمـنتين على يدى مولاى اليزيد، وأن عند أهل سلا ستمائة مكحلة محلاة بصفائح الفضة ومثل ذلك

من الكوابس ومن السكاكين مثله، وأن عند أهل الرباط مثل ما ذكر من المكاحل والسكاكين والكوابس.

هذا وقد ذكر الزيانى فى الترجمانة الكبرى ما خلفه صاحب الترجمة من الأموال فقال بعد أن ذكر مئات الألوف من الريال التى وجهها للدولة العثمانية: خلف بالدار البيضاء مليونين وهى ألفا قنطار بالتثنية وكان ببيوت أموال المراسى مليونان وكان بتطوان سبائك ذهب ثمانية آلاف مثقال حازها اليزيد لما بويع وكان عند طاغية الإصبنيول من ثمن وسق الزرع واجب خمسين مركبا وسقوها ولم يدفعوا صاكتها قبضها منهم وهى ثمانمائة ألف ريال دورو.

اهتمامه بالأساطيل البحرية واعتناؤه برياسها

قد علم بالاستفاضة ما للمترجم من القيام بأعباء الخلافة والسعى فى مصالح الرعية وتطمينها، والذب عنها، وحماية حوزة الإسلام، والسهر على حياطة ثغوره، وما يلزم له من القوة البحرية والبرية، والاهتمام بالمراكب القرصانية، وملاحظة رياسها بعين الإكبار والإجلال، والمبالغة فى الإحسان إليهم، والقيام بشأنهم، وإدخار ما يحتاجون إليه من عدة وعدد، لما لا يخفى من أن الدولة المجاورة للبحر تدعوها الضرورة والحاجة لاتخاذ السفن الماخرة من تجارية بازركانية وحربية قرصانية.

وعناية المترجم بالأمور البحرية ترجع إلى أيام خلافته عن أبيه، فقد ورد عليه وفد من العدوتين الرباط وسلا فى السفينة التى أنشأوها أيام الفترة فنزلوا بحصن اكدير، ثم بعثوا من هناك وفدهم إليه بمراكش فأكرم ذلك الوفد، وبعث معه بالأموال الكثيرة إلى المجاهدين بالعدوتين إعانة لهم عما هم بصدده.

ولما استلم زمام الملك كان من جملة ما تشوفت إليه همته الكبرى إحياء أسطول أبيه المولى عبد الله وجده المولى إسماعيل لأنه ألفاه اضمحل، وتنوسى ما

كان له من الشهرة والنفوذ وتعطل ما كان يستفاد منه من المداخيل والمحاصيل، وانقطع خوف أمم البحار من تلك العقبان، التى كانت لا تفارق البحار من تجوالها؛ وإثارة أهوالها، وقد انضم لذلك التشوف الملوكى إرشاد بعض علماء عصره بمسطور كبير؛ ومنشور شهير، يحثه فيه على إحياء سبيل الجهاد وإعداد معداته البحرية التى لا يستقيم ملك إلا بها، وأن يسلك فى ذلك سبيل والده المقدس، وجده الأكبر فيما كان لهما من هذا العمل العظيم، العائد بالنفع العميم، من حراسة الوطن وعمارة بيت المال وقهر الأعداء الألداء.

فشرع قدس الله روحه فى إنشاء السفن البحرية الغزوانية بمرسى العدوتين والعرائش، وجعلهما مركزين عظيمين لهذا الغرض المهم.

قال أبو عبد الله الدكالى السلوى فى إتحاف أشرف الملا:

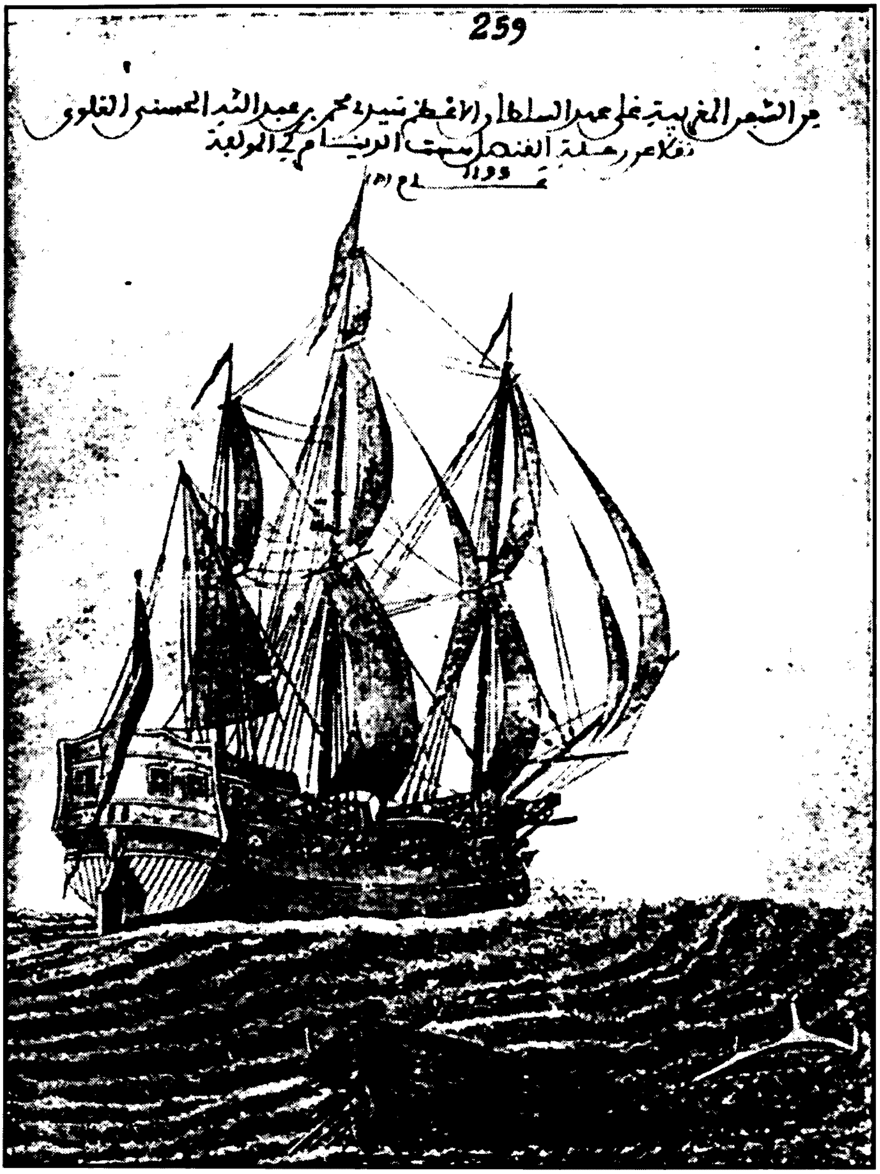
وبعد ذاك جاء جد الأمرا وعين أعيان الملوك الكبرا
سيدنا محمد المنصور حفيده المعظم المبرور
من كان يرهب ملوك الأرض فى كل طولها وكل عرض
بالعلم والمال وبالدهاء وبالأساطيل بكل ماء
ومصدر الأجفان عدوتا سلا بها تشاد ولديها يعتلى
وبعضها ينشأ بالعرائش فويل من لقيها من طائش
وبلغت أجفانه المئينا وكان قصده بها مبينا
فتح بلاد الغرب مما قد بقى من الثغور مبهم التطرق
ورد ما يعرض منم هجوم على بلاده كمثل الروم
وكان بعضهم تعدى الحدا فهاجم الثغور لكن ردا

فبذل الجهد وواصل العمل واستجلب الأنفاض من كل محل
ووصل الحبل مع الأتراك بكل ما يصلح للعراك
من مدفع ومركب وعدد وبذل محصول الخير مدد
لما رأى الأجناس منه سننه فيما انتحى وافوه للمهادنه
فساعد الحال ولم يرددهم وعقد السلم لهم ومعهم
وواصل الإمداد للأتراك بالمال والخيل بلا انفكاك
نيف عن عشرين فى الإرسال بسفنه وبنفيس المال
وكلها تصدر من سلا إلى استانة الترك بأمر قد علا
وعودها بعد إلى مرساها وبلغت من عزها مناها
واتصل الحال بهذا الشان إلى زمان عابد الرحمن

وقال فى نشر المثانى: وقد جمع من ذلك ما لم يتفق لأحد من المتقدمين ولا من المتأخرين، وطوع الله له الروم فلا يأمرهم بالإتيان بشىء من ذلك إلا بادروا لامتثاله مسرعين؛ وقاموا خاضعين له ومطيعين؛ مع علمه بجميع ما هو من المصالح العامة والخاصة للدنيا والدين؛ هـ.

وقال الضعيف: بلغ عنده رؤساء البحرية ستين كلها بمراكبها وبحرياتها وكان عدد مراكبه البحرية عشرين كبارا من المربع وثلاثين من الفلاكيط، وعدد عسكره البحرى من المشارقة ألف، ومن المغاربة ثلاثة آلاف ومن رماة المدفع أربعون ومن عسكر أرقاء العبيد خمسة عشر ألفا ومن الأحرار سبعة آلاف.

وقد كان أمر أن يجعل فى كل مرسى من مراسى المغرب بيت مال، وعند تمام كل ثلاثة أشهر تفتح بيوت الأموال بتلك الثغور ويعطى منها لعسكر كل ثغر


259
من السفن المغربية على عهد السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله الحسني العلوي

وبحرياته مرتب ثلاثة أشهر سيان غائبهم والحاضر، أما الصلات والصدقات فكان يعطى ذلك من ماله الخاص به، لا من بيوت الأموال.

وفى سنة أربع وسبعين ومائة وألف أمر بإنشاء السفينة الكبيرة من طبقتين وأنفق عليها أموالا كثيرة نحو الأربعين قنطارا من الذهب وكان إنشاء هذه السفينة بسلا، وكانت تحت رياسة سالم.

وفى سنة واحد وثمانين ومائة وألف قدم عليه من القسطنطينية عبد الكريم راغون التطوانى، وفى معيته استرسالية من المعلمين الاختصاصيين العارفين بإنشاء الأساطيل وصب المدافع وعمل القنابل والمجيدين فى الرماية وفنون الحرب، وكانت أول بعثة وردت من القسطنطينية بعد السعديين.

ولما وصلوا للحضرة فاوضهم فى إنشاء دار صناعة الأساطيل فرسموا خريطتها وبينوا شكلها وأسلوبها وما يلزمها من النفقة الباهضة وطول المدة، فأعرض عنها واستخدمهم فى شئون أخرى، فوجه بعضهم للرباط لبناء المراكب الكبرى، وآخرين لتطاوين لصب القنابل الضخمة، وآخرين لتعليم رماية المدافع بالمدن المهمة، فأفادوا ما شاء الله أن يفيدوا، وكانوا ثلاثين من صناديد الترك أقاموا بالمغرب إلى أن توفى المترجم فسح الله له فى عدنه.

وقد ترجم القنصل الدنماركى هوست الذى كان بآسفى على عهد المترجم فى كتابه للأسطول المغربى فى سنة ١٧٦٦ مسيحية (١١٧٩ هجرية)، وذكر السفن الموجودة بمرسى سلا أسماءها ورياسها وعدد بحريتها ومحمولها من المدافع وغيرها فمن ذلك:

السفينة الأولى:

وهى فركاطة ذات طبقتين عليا وسفلى، فى كل طبقة صفان من المدافع النحاسية، وكانت هذه السفينة فى الأصل لأهل العدوتين صنعوها من بقية

أخشـاب جامع حسـان، وأضافوا لهـا إقامة من أخـشاب دورهم، فـأخذها منهم السلطان سيـدى محمد وكـانت تسمى المعونة (وسفـينة الكراكجية كـما فى تاريخ الضعـيف)، ولما كانت فى صنعتهـا خشونة وجهـها لجبل طارق، فتـولى الإنجليز إصلاحها وأعادوا صناعتها من جـديد وسميت فركاطة، وجاءت من أحسن الأمثلة حسبما تدل لذلك صورتها، وعدد بحريتها ٣٣٠، ومدافعها النحاسية ٥٤ ورئيسها سلام الطرابلسى.

السفينة الثانية:

رئيسها الحاج ابن حسون عواد السلوى بحريتها ١٥٠ ومدافعها ٢٤.

السفينة الثالثة:

رئيسهـا العربى المستيرى قـائد الرباط وسفير السلطان بلندرة بحـريتها ١٣٠ ومدافعها ٢٠.

السفينة الرابعة:

رئيسها محمد الصالحى واسمها سنبوك بحريتها ١٢٦ ومدافعها ١٦.

السفينة الخامسة:

رئيـسها عـمر العلج نـصرانى أسلم واسـمها سـنبوك أيضـا بحريتـها ١٢٤ ومدافعها ١٦.

السفينة السادسة:

رئيسها يوسف الطرابلسى بحريتها ١٢٠ ومدافعها ١٢.

السفينة السابعة:

رئيسها الشريف ابن قلوعة واسمها كليوطة بحريتها ١٢٠ ومدافعها ٨.

السفينة الثامنة:

رئيسها فراشى (فراج) تسمى كليوطة بحريتها ١٠٠ ومدافعها ٣٠.

السفينة التاسعة:

رئيسها قدور شايب عينو الرباطى بحريتها ٨٠ ومدافعها ٣٢ اثنان كبيران و٢٤ مهاريس.

السفينة العاشرة:

رئيسها إدريس لبريس بحريتها ١٥٠ ومدافعها ٢٠.

وقد كان للبحارة من المجاهدين السلويين الذين كانوا يسافرون فى البحار فى ذلك العهد كناش خاص يشتمل على أسمائهم رتبوا فيه وجعلوا على طبقات وأصناف، الطبقة الأولى الرؤساء، والثانية (باش رياس)، والثالثة (رياس عسة)، والرابعة (نكانجية)، والخامسة الدمانجية، والسادسة الورديانات وعددهم كثير جدا، والسابعة البحرية وهم أكثر عددا ممن قبلهم، والثامنة وصفان سيدنا أهل المهدية من عبيد البخارى التاسعة المقعدون من البحرية.

وبذلك الكناش تعداد أسماء رجال النار الطبجية البناجين وعددهم خمسون، ومنهم فرقة تعرف بالطبجية المدافعية عددهم مائة وخمسون.

وكان الرئيس على المجاهدين من جند النار الطبجية الحاج عبد الله يعقوب السلوى، وكان السلطان المترجم كلفه بسائر ثغور إيالته من مرسى مليلية إلى أطراف السوس، وأسند إليه سائر ما يرجع لأبراج الثغور ومدافعها ومهاريسها ومتعلقاتها من بارود وبنب وكور، وتنظيم رجال؛ وإصلاح أحوال؛ حسبما أفصحت عن ذلك ظهائره المولوية التى خاطبه بها، تاريخ أولها سنة ١١٧٧ وتاريخ آخرها سنة ١١٩٣.

وإليك أسماء البحرية الأفاقيين الذين وردوا على المترجم نقلا عن كناش بيت المال الذى هو الآن باب القصبة، قصبة الأوداية الشهير بالرباط:

الرئيس يوسف الطرابلسى[1]، الرئيس على الصابونجى قيل إنه من تونس على ابن الشواس من المغرب الأوسط، محمد المستغانمى، أحمد القسنطينى، مولاى أحمد بن قلوعة؛ قدور بن معروف[2]، مبارك اغراب، مولاى عبد الله بن قلوعة، العمرى، مولاى أحمد التلمسانى، ابن قاسم، سعيد التونسى، ولد رمضان، محمد المنجى، الصابونجى سيدى المنجى، المصطفى المسغانمى، محمد بن يحيى، أحمد خمعاش، محمد التونسى، على بن محمد القليعة ولد افغان، مجلط، عبد الرحمن الكراب، على بن مسعود.

وذكر الزيانى فى حوادث سنة ١٢٠٢ أن السلطان المترجم أرسل لآيت عطة يأمرهم أن يبعثوا إليه بستمائة رجل منهم وبأربعمائة من عبيد تافيلالت، فالمجموع ألف ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم فى خدمة البحر وجنديته فبعثوا بهم إليه، قال: ولما قدموا عليه بمكناسة استدعانى من تازا فقدمت عليه فأمرنى أن أتوجه بهم إلى البوغاز وسواحل إصبانيا، والتردد فيها بينهما ليتدربوا على البحر ويمرنوا به.

قال: فذهبت بهم إلى تطوان على ما رسم السلطان رحمه الله، فأخذوا السلاح والكسوة ونفذنا إلى طنجة فأقمنا بها شهرين، وكل يوم يركبون السفن ويتطاردون بها فيما بينهم، فتارة يخرجون إلى البوغاز، وتارة يطرقون سواحل إصبانيا، وتارة يرجعون إلى أن زالت عنهم دهشة البحر وفارقهم ميده وألفوه.

ولما أقبل فصل الشتاء كتب إلى السلطان بالقدوم بهم، فلما حللنا بمكناسة أمر رحمه الله بعمارة المشور لدخولنا عليه، فلما مثلنا بين يديه دنا منا إلى أن كان

---

(١) فى هامش المطبوع: «ورد من طرابلس واستوطن سلا وتزوج فيها وله حفدة».

(٢) فى هامش المطبوع: «كانت سكناه بالرباط».

في وسطنا، وكلم البربر بلسانهم وسألهم عن حالهم فى سفرهم فذكروا خيرا فسره ذلك منهم ونشط.

ومن الظهائر السلطانية والأوامر المولوية التى وقفت عليها ولها تعلق بالأمور البحرية فى هذه الدولة المحمدية، ما أصدره للرئيسين يوسف الطرابلسى وقدور ونص ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمانا الرئيس يوسف الطرابلسى والرئيس قدور، سلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فنأمركما أن تكونا مشحمين موجودين للسفر ولا تسافران حتى يصلكما الرئيس أحمد الكوار(١) والرئيس ابن حسون عواد(٢) فإنهما فى ثغر الصويرة وفى إثر الكتاب يصلانكم إن شاء الله، فحين يدخلان للمرسى اخرجا أنتما بسلامة لتبقى المرسى عامرة والبحر عامر؛ والسلام فى أول جمادى الأولى فى عام ١١٨٢».

وما أصدره للريسين على الصابونجى وأحمد التركى ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

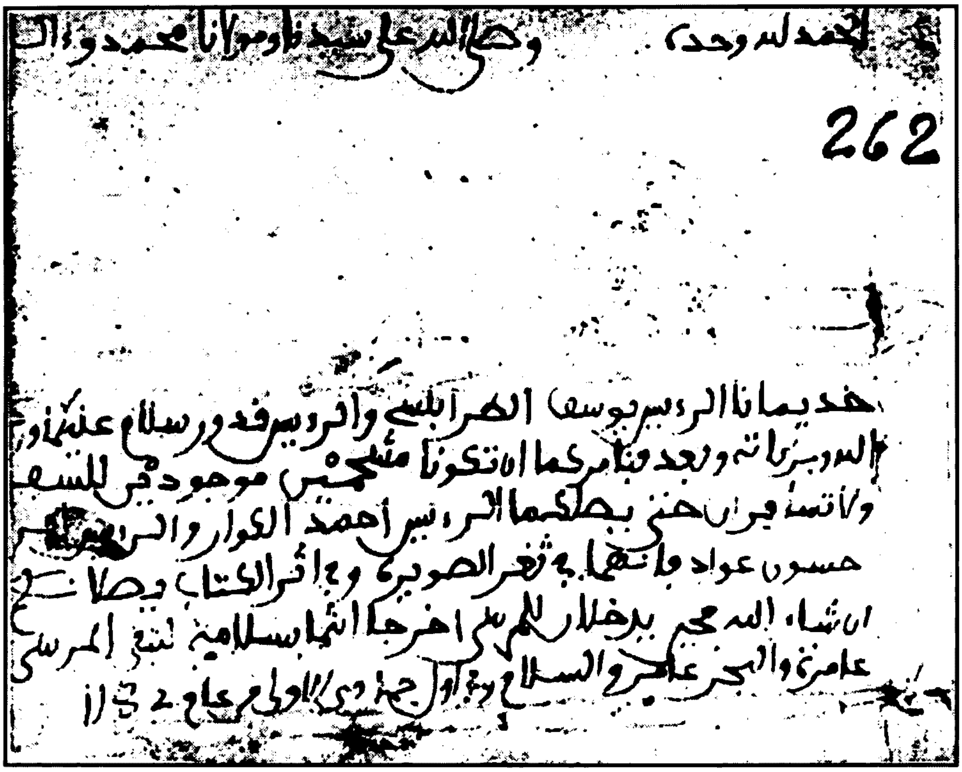
«الرئيسين على الصابونجى وأحمد التركى سلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فيصلكما من حضرتنا العلية بالله ستون مثقالا ثلاثون لكل واحد منكما وهانا أمرت خديمى عبد الله بن محمد يدفع لكل منكما وسقين من القمح، وأنتما بنفس ما تحملون ما تحتاجون إليه من الكمانية وغيرها، سافروا

---

(١) فى هامش المطبوع: «رباطى ولا يزال بالرباط أولاد الكوار إلى الآن».

(٢) فى هامش المطبوع: «جد البيت المعروف المشهور بسلا لهذا الحين».


الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

262

خديمانا الرئيس يوسف الطرابلسي والرئيس قدور سلام عليكما ورحمة
الله وبركاته وبعد فنأمركما أن تكونا متحضرين موجودين للسفر
ولا تسافران حتى يصلكما الرئيس أحمد الكواو والرئيس [illegible]
حسون عواد وانتهيا به ثغر الصويرة وعلى إثر الكتاب يصلا [illegible]
إن شاء الله محجر بن [illegible] للمرسى أخرجا إنما بسلامة لتبق المرسى
عامرة والبحر عامر والسلام في أول جمادى الأولى عام [illegible]

ظهير سيدى محمد بن عبد الله للرئيسين يوسف وقدور



ظهير سيدى محمد بن عبد الله للرئيسين على الصابونجي ومحمد التركى

بالسلامة والعافية، والله يلقيكم الخير ذهابا وإيابا، وسفركم يكون من البغاز إلى جبل طارق، وحيث يكثر عليكم الشرقى ارجعوا للعرائش، وحيث يكثر الغربى ارجعوا لتطوان، وحين تكونون على جبل طارق اعلموا أنه من نزل منكم لبلاد النصارى نعاقبه العقوبة التامة الشديدة.

وفى نصف اكتبر ارجعوا لرباط الفتح وبه يكون رباطكم إن شاء الله والسلام فى رابع رجب الفرد الحرام عام ١١٨٨.

ومن تمامه: إن البحرية التسعة الواردين مع ولد عبد الله بن محمد نأمر على الصابونجى أن يسفرهم معه زيادة على عمارته، وحين ترجع للرباط إن شاء الله أنزلهم عندك بدارك واستوص بهم خيرا، وهأنا أمرت عبد الله بن محمد أن يرتب لهم مؤنتهم والسلام فى تاريخه».

وقد أشار لأعمال هذه العمارات فوق متون البحار القنصل الفرنسى دوشينى الذى كان بسلا فى الجزء الثانى من كتابه فى أخبار المغرب بقوله: إن هذا السلطان الكبير أدرك بمهارته أن يحكم على دول أوروبا بما كان تحت يده من الأسارى الذين جلبهم رجال سفن قرصانة من البحار، فكانوا يسالمونه ويسعون فى مرضاته لأجل ذلك. هـ.

وكذلك أومأ لهذا المعنى السفيران الكاتب الغزال الفاسى فى صدر رحلته لإصبانيا والكاتب ابن عثمان المكناسى فى رحلته أيضا وغيرهما.

ومما جاء فى الكناش المالى الذى نقلنا عنه فيما سلف من التراتيب المالية: أن بذمة الحاج عمر بن كشوط الجزيرى تسعة عشر مائة مثقال وثلاثون مثقالا بقيت بذمته من سلعة الغنيمة التى أتى بها الرئيس العربى لمستيرى فى أول شعبان ١١٧٦.

وأن بذمة على خوجة الجزيرى بالجزائر من قيمة غنيمة الرئيس فراج ثلاثمائة دينار وأربعة وعشرون دينارا ذهبا.

وفى عام تسعة وتسعين ومائة وألف ولى القبطان الحاج الهاشمى بن الرئيس الحاج أحمد عواد الدكالى الهلالى السلوى علـى جميع البحرية أهل العدوتين سلا والرباط، وعلى سفنها القرصانية وقفت على ظهير توليته وإليك نصه:

«بسم الله الرحمن الـرحيم، وصلى الله على سيـدنا ومولانا محـمد النبى المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه ذوى التـبجيل والتعظيم، القائميـن بشريعته الناصـرين لدينه القـديم، نص طابعـه: إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا: محمد بن عبد الله» ونص خطابه:

«كتـابنا هذا لا زالت أوامـره مطاعة، ومـآثره فى صفـحات الدهر مـخلدة مـشاعـة، يعلم منه أن حـامله المجاهد الأرضى، القـبطان النبـيه المرتضى الحـاج الهاشـمى بن المنعم الرئيس أحمد عـواد لما كان ممن مارس أمـور البحر وراضـها، واقتحم لججها وخاضها، وظهرت فى الرياسة نجدته، وحمدت فيها بدؤه وعودته، وزادت على الغير نجـابته ومعرفتـه، رأينا أن نعمر به منصبا يبـقى مرتبطا بولايته، مقصورا على مكانتـه ومنزلته، فجعلناه قبطانا على جمـيع البحرية، أهل العدوتين سلا والرباط وعلى سفنها القرصانية الجهادية، ظفره الله بالعدو الكافر، وقضى لها من الغنائم بالحظ الوافر، وأبد سـلامته فى الموارد والمصادر، وعلى سـائر القوارب وجميع أمـور البحر كيف مـا كانت، وعلى أى حال ظهرت وبانت، فـقد أسندنا جميع ذلك كله إليه، وجعلناه إلى نظره وقـدمناه عليه، وقصرنا عليه الكلام وحده وأنفذنا فى كل ما يرجع إلى البحر أقواله، وأمضينا فى سائر أمورها أفعاله من غير تعقب ولا انتقاض، فنأمر جميع البـحرية أن يقدروا قدره، ويمتثلوا أمره. . . .(١) معاوضة ولا. . . . .(١) ومن خالفه منهم فى شطر كلمـة فقد أذنا له أن يؤدبه بما ظهر له من العقوبة والحد، وليكن من عقوبتنا على وعد.

---

(١) مكان النقط بياض بالأصل.



ونعهد إلى القبطان المذكور، أن يكون حازما ضابطًا متعهدًا لأحوال البحريين غير غافل عن شيء من الأمور، وأن يؤسس على الجد مسائله، ويشد في هذا الوظيف الجهادي عراه ووسائله، وربنا تعالى يقضي لنا وله بالسعادة، ويبلغنا وإياه من هذه القربة العظيمة مرادنا ومراده، ويبقى جيوش الإسلام متوافرة، وعلى عدو الله ورسوله متعاضدة ومتظافرة، بمنه آمين صدر منا الأمر بكتبه بحاضرة فاس حرسها الله وحاطها في ثاني ربيع الثاني عام تسعة وسبعين ومائة وألف».

علائقه السياسية مع فرنسا

قال نجل المترجم أبو محمد عبد السلام في درة السلوك بعد ذكره واقعة العرائش مع الأسطول الفرنسي سنة ١١٧٩: وبعد هذه الواقعة احتفل طاغية الإصبان والفرنسيس بهدايا لم يعهد مثلها مشتملة على جواهر وأصناف الديباج، وأواني الصين مذهبة، وقباب مطبقة داخلا وخارجا بالحرير الأحمر والأخضر، قد أحكمت خياطتها بصفائح مذهبة عجيبة الشكل والإتقان، وقدمت رسلهم لمدينة مراكش بهداياهم، وكان يوم دخولهم إلى الحضرة يوما مشهودًا فأجابهم أيده الله إلى ما طلبوه من عقد الصلح والمهادنة بعد ما بذلوا عدة وافرة من الأموال وأصنافا من اليواقيت واللآلئ انتهى.

وبالفعل وجه المترجم خديمه عليا مرسيل لفرنسا لتقرير الصلح وقبض مال الأسرى وشراء الإقامة، كما وجه لإصبانيا كاتبه الغزال على ما يأتي.

وإليك نص عقد الصلح الواقع بينه وبين سلطان فرنسا إذ ذاك لويز الخامس عشر بحروفه:

الحمد لله؛ هذا ما صالح عليه سيدنا ومولانا الإمام، المظفر الهمام، السلطان الأعظم الأمجد، المعظم سيدنا ومولانا محمد، ووضع نصره الله بعد

قول الكاتب ومولانا طابعه المعهود لتعيين أوامره نص الطابع المذكور محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، وبدائرته: ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم، ابن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافيلالت وغيرها، سلطان جنس الفرانصيص ومن فى حكمه لويز الخامس عشر من اسمه بواسطة الباشدور المفوض إليه من قبله وهو (كونط دبرنيون) على شروط تذكر وتفصل بعد هذا، وتم الصلح وانبرم فى آخر ذى الحجة الحرام عام ثمانين ومائة وألف، الموافق لتاريخ الروم لثمانية وعشرين من شهر مايه عام سبعة وستين وسبعمائة وألف.

الشرط الأول:

يؤسس هذا الصلح وينبرم على ما انبرمت عليه المصالحة بين السلطان الأعظم سيدنا ومولانا إسماعيل قدس الله سره، وبين سلطان الفرانصيص فى ذلك الوقت لويز الرابع عشر من اسمه والشروط المشار إليها هى هذه:

الشرط الثانى:

أن لرعيتى الدولتين أن يذهبوا حيث شاءوا بتجارتهم ومراكبهم برا وبحرا، فى أمن وأمان، بحيث لا يتعدى أحدهما على الآخر ولا يمنعهم أحد من ذلك.

الشرط الثالث:

إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية أو غيرها بقراصين الفرانصيص أو غيرها من سفنهم البازركانية حاملة لسنجاق الفرانصيص وعندهم باسبرط من قبل سلطانهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط، فلا يتعرض لهم ولا يفتشوا فيهم ولا يطالبون بغير إحضارها، وإن احتاجوا لما يقضونه لبعضهم على وجه الخير قضوه من الجانبين، وكذلك السفن الفرانصيصية يفعلون مع سفن

سيدنا أيده الله مـا ذكر أعلاه إذا التقوا معـهم ولا يطالبونهم بشيء إلا بإظهار خط يد القونص الفرنصيصى المستوطن بإيالة سيدنا نصره الله على الوجه المصطلح عليه أيضا كما هو مرسوم آخر هذه الشروط، ولا تطالب القراصين الفرنصيصية الكبيرة بإحضار الباسـبرط إذا التقت بهم سفن سيدنا أيده الله إذ ليس مـن عادتهم حملها ويؤخر البـحث عن الصغار لمضى سـتة أشهـر تأتى من تاريخه أولها ينيـه وآخرها نونبر الآتى، وفى هـذه المدة يعطى سلطانهم أمارة بالكتـابة للسفن الصـغار وتأتى نسخة منها على يد القونصو لتصاحب قـراصين سيدنا فى سفرهم بحيث إذا التقوا بهم يستـظهر كل واحد مما عنده من ذلـك والعمل فى نزول الفلوكـة على ما وقع الشرط فيه بينهم وبين الجزيريين.

الشرط الرابع:

إذا دخلت سـفينة من سـفن سيـدنا الجـهادية أو غـيرها لمرسى من مـراسى الفرانصيـص أو بالعكس، فلا يمنعون من حمل مـا يحتاجون إليـه من مأكول أو مشـروب لهم ولمن معهم فى سـفنهم من الجانبـين، وكذلك إن احتـاجوا لآلة من آلات سفنهم فلا يمنعون من ذلك بالثمن الجارى بين الناس من غير أن يزاد عليهم شيء فى جميع ذلك مراعاة للصلح الذى بين الرعيتين.

الشرط الخامس:

لرعيتى الدولتـين الدخول لأى مرسى شاءوا من مـراسى سيدنا أيده الله أو من مراسى بلاد الفـرانصيص والخروج منها سـالمين آمنين، وأن يبيعوا ويشـتروا ما شاءوا على حسب إرادتهم، وإن باعوا من سلعهم بعضا وأرادوا رد الباقى لمراكبهم فلا يطالبون بوظيف آخر، وإنما يطالبون بتـعشير السلع أولا عند نزولها فقط، ولا يدفعون فى التعشير زيادة على غيـرهم من الأجناس، ولتجار الفرنصيص التصرف فى البيع والشراء فى جميع إيالة سيدنا نصـره الله كغيرهم، وإن تفضل سيدنا أيده

الله على جنس مـن أجناس النصـارى بنقص شىء من الكمـرك أو من الصـاكـة وغيرها فهم من جملتهم.

الشرط السادس:

إذا انتـقض الصلح بين أهل تونس والجـزائر وأهل طرابلس وغـيـرهم وبين الفرنصيص أيا كانت لمرسى من مـراسى سيدنا نصره الله وتبعتها سـفينة حربية من سفن عدوهم لتأخذها، فعلى أهل تلك المرسى منع سفينة الفرنصيص المذكورة من عدوهم المذكور ولو برميه بالمدافع ليبعد عدوهم عنها، ويحبس المركب الطالب لها بالمرسى مدة حـتى تبعد السـفينة المطرودة عنها لئلا يـتبعهـا فى الحال حسبـما هى العـادة، وإذا التقت مـراكب سيـدنا الجهـادية بعدوهم بكوشطة الفـرنصيـص فلا يأخذونهم إلا بعد تجاوز ثلاثين ميلا.

الشرط السابع:

إذا دخلت سفـينة عدو الفرنصـيص لمرسى من مراسى سيـدنا أيده الله وبها أسارى من الفرنصيص، فإن كانوا باقـين بالمركب لم ينزل أحد منهم للبر فلا كلام معهم فيهم، وإن نزلوا للبر فهم مـسرحون وينتزعون من يد الذى هم تحت أسره، وكذلك إذا دخلت سفينة عـدو سيدنا نصره الله لمراسى الفرنصيص وفـيها أسارى من الإيالة المولوية يفعل بهم مثل ذلك، وإن دخل عـدو للفرنصيص أيا كان لإيالة سيدنا بغنيمة أو دخل عدو سيدنا أعـزه الله بغنيمة لمراسى الفرنصيص، فإن الجميع يمنعون من بيع الغنيـمتين بالإيالتين، وإذا وجد عـدو إحدى الدولتين تحت سنجق الأخرى فلا يتـعرض له ولا لماله من الجهتـين، وإذا أخذت سفينة سـيدنا أيده الله غنيمة ووجد فـيها بعض الفرنصيص ركّابًا فإنهم يسـرحون بأموالهم وأثاثهم كله، وكذلك إذا غنم الـفرنصيص سـفينة لعـدوه أيا كان ووجد فـيها ركـابا من الإيالة المولوية، فـإنهم يفعـل بهم مثل ذلك، وأمـا إن كانـوا بحرية فـلا يسرحـون من الجانبين.

الشرط الثامن:

لا يلزم رؤساء المراكب البازركانية بحمل ما لم يريدوه فى سفنهم ولا أن يتوجهوا لمحل من غير إرادتهم.

الشرط التاسع:

إذا انتقض الصلح بين وجاقات الجزائر ووجاقات تونس وطرابلس وبين الفرنصيص فلا يأمر سيدنا أيده الله بإعانة الوجاقات المذكورين بشىء أصلا، ولا يترك أحدا من رعيته يتسلح ويركب تحت سنجق أحد الوجاقات ليقاتل الفرنصيص، ولا يترك أحداً يخرج من مراسيه ليقاتلهم، وإن فعل أحد من رعيته ذلك عاقبه وضمن ما أفسده، وكذلك يفعلون مع من عادى الجانب المولوى أسماه الله لا يعينونه ولا يتركون من يعينونه من رعيتهم.

الشرط العاشر:

لا يكلف جنس الفرنصيص بدفع آلات الحرب من بارود ومدافع وغير ذلك مما يقاتل به.

الشرط الحادى عشر:

لسلطان الفرنصيص أن يجعل بإيالة سيدنا نصره الله من القنصوات ما أراد فى أى بلد شاء، ليكونوا وكلاء له فى مراسى سيدنا أيده الله ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية فى جميع ما احتاجوا إليه، ويسمعوا دعاويهم ويفصلوا بينهم فيما يقع بينهم من النزاع، لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلد غيرهم.

وللقنصوات المذكورين أن يتخذوا بدورهم موضعا لصلاتهم وقراءتهم ولا يمنعون من ذلك، ومن أراد إتيان دار القنصو للصلاة أو للقراءة من أجناس النصارى أيا كانوا فلا يتعرض لهم أحد ولا يمنعون من ذلك، وكذلك رعية سيدنا نصره الله إذا دخلوا بلاد الفرنصيص لا يمنعهم أحد من اتخاذ مسجد لصلاتهم وقراءتهم بأى مدينة كانوا.

ومن استخدمه القنصوات المذكورون من كاتب وترجمان وسماسير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت فى نفوسهم وبيوتهم، ولا يمنعون من قضاء حاجات القنصوات والتجار فى أى مكان كانوا ؛ ولا يدفع القنصوات ملزوما ولا وظيفا عما اشتروه لأنفسهم من مأكول ومشروب وملبوس، ولا يؤخذ منهم العشر عما جاءهم من بلادهم من الحوائج المعدة للباسهم ومأكولهم ومشروبهم كيفما كانت، ولقنصوات الفرنصيص التصدر والتقدم على غيرهم من قنصوات الأجناس الآخرين، ولهم أيضا أن يذهبوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا نصره الله برا وبحرا من غير مانع لهم من ذلك، ويذهبوا أيضا لسفن جنسهم إن أرادوا من غير مانع أيضا ودورهم موقرة لا يتعدى فيها أحد على آخر.

الشرط الثانى عشر:

إذا وقع نزاع بين مسلم وفرنصيصى فإن أمرهما يرفع للسلطان نصره الله أو لنائبه حاكم البلد ولا يحكم بينهما القاضى فى نازلتهما.

الشرط الثالث عشر:

إذا ضرب فرنصيصى مسلما فلا يحكم فيه إلا بعد إحضار القونصو ليجيب ويدافع عنه، وبعد ذلك ينفذ فيه الحكم بالشرع، وإن هرب النصرانى الضارب فلا يطالب به القونصو لأنه ليس بضامن له، وكذلك إذا ضرب المسلم الفرنصيصى وهرب فلا يطالب بإحضاره.

الشرط الرابع عشر:

إذا كان لأحد من التجار دين على أحد من رعية الفرنصيص فلا يكلف القونصو بخلاصه إلا إذا ضمن المال، وكتب فى ذمته، فحينئذ يكون الخلاص

عليه، وإن توفى أحـد من نصارى الفـرنصيص فى جمـيع إيالة سيـدنا نصره الله فتسـلم أرزاقه وأمتـعـته ليد القونصو ليزممها ويختم عليها أو يتـصرف فيها بما شاء ولا يمنعـه أحد من ذلك، ولا يتـعرض له أحد من الـقاسمـين ولا من أهل بيت المال.

الشرط الخامس عشر:

إذا رمى الريح مركبـا من مراكب الفرنصيص على ساحل إيالة سـيدنا نصره الله، أو جاء هاربا من سفن أعـدائه فليعط سيدنا أمره لجـميع أهل سواحله أن من وقع عنده مثل ذلك يعينوهم على قدر طاقتهم، إما بإخراج المركب للبحر إن أمكن وإن حرث أعانوهم على تخليص الأمتعة التى به.

وجمـيع آلاته وكل ما خرج من المركـب يتصرف فـيه القونصـو القريب من ذلك المكان أو نائبه بما شاء، ليخلص تلك السفينة بعد أن يعطى لمعينه أجرته، ولا يؤخذ عن تلك السلعة حال التحريث عشر إلا ما يباع منها فيؤخذ عشره.

الشرط السادس عشر:

إذا دخلت مراكب الفرنصيص القرصانيـة لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله فتتلقى بالبشرى والبشاشة مراعاة للصلح الحاصل، ولرؤساء هذه المراكب إن اشتروا بدراهمهم شيئا من مأكول ومشـروب لا يطالبون بصاكة ولا بغيرها، وكذلك يفعل بمن دخل لمراسى الفـرنصيص من سفن سـيدنا أيده الله، وهذا المأكـول والمشروب المذكوران لأنفسهم ولأهل مراكبهم.

الشرط السابع عشر:

إذا دخل قرصـان من قراصيـن الفرنصيص لمرسى من مـراسى سيـدنا نصره الله، فإن القـونصو الحاضر فى الوقت بالبـلد يخبر حاكـمها بذلك ليتـحفظ على

الأسارى الذين بالبلد لئلا يهربوا للسفينة المذكورة، فإن هرب أسير وبلغ المركب فلا يفتش عليه ولا يطالب به القونصو ولا غيره، لأنه دخل تحت سنجاق الفرنصيص ولاذ به، وكذلك من فعل من أسارى المسلمين أيا كانوا ذلك بمراسى الفرنصيص لا يفتش عليه، لأن السنجق حرم.

الشرط الثامن عشر:

ما نسى من الشروط يفسر ويشرح على وجه مفيد معتبر لكى يحصل منه خير كثير ونفع عام لرعيتى الدولتين، ولأن بواسطتها تشتد عقود الموالاة والمصافاة.

الشرط التاسع عشر:

إذا حصل خلل فى الشروط التى انعقد عليها الصلح فلا يفسد الصلح بسبب ذلك، وإنما يبحث فى المسألة ويرجع فيها للحق من أى إيالة كانت، ولا يتعرض لرعايا الدولتين الذين لا مدخل لهم فى شىء من الأشياء، ولا يباشر أحد من الرعيتين الخصومة والجدال إلا بعد مخالفة الشريعة والحق إعلانا.

الشرط العشرون:

إن قدر الله بنقض الصلح المنبرم، فجميع من بإيالة سيدنا نصره الله من جنس الفرنصيص يؤذن لهم فى الذهاب لبلادهم بأموالهم وأولادهم فى أمان، ويمهلون فى البلاد لجمع أموالهم وأمتعتهم لمضى ستة أشهر.

ذكر الباسبورط المصطلح عليها

لكل مركب من المراكب الفرنصيصية البازركانية

من عند أمير البحر بكل مرسى من مراسى الفرنصيص «لويز جان مرى دبربون دك دبمنطيور» أمير البحر بإيالة الفرنصيص، السلام، على كل من ينظر هذه الأسطر نعلمه أننا دفعنا ونفذنا إجازة بالباسبرط هذه لفلان رئيس المركب المسمى

فلانا فيه من الوسق كذا، وأنه ذاهب إلى بلد كذا موسوق بكذا، مكاحله ومدافعه كذا، رجاله كذا، وهذا بعد ما صار النظر والاطلاع الشرعى بما فيه فشهادة على ذلك وضعنا إمضاءنا وطابعنا، وكتب بخط يده كاتب البحر فلان فى مدينة باريز فى شهر كذا فى سنة كذا لويز جان مرى دبوربون وتحت ذلك:

من جانب حضرته السمية غرامبرك مختوم

ذكر خط يد القونصو المصطلح عليه الذى يكون عند سفن سيدنا نصره الله

صورته: كاتبه فلان قونصو الفرنصيص بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا، نعلم كل من رأى هذه الأحرف أن المركب المسمى كذا رئيسه فلان وفيه كذا وهو من ثغر كذا، فإنه هو ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف إليه رجاله، كذا مدافعه كذا، وشهادة على ذلك وضعنا اسمنا على هذه الورقة التى ختمناها بخاتمنا فى بلد كذا فى شهر كذا فى سنة كذا».

ومن ذلك ما كتب به صاحب الترجمة جوابا لملك فرنسا لويز السادس عشر فى التأسف على وفاة جده لويز الخامس عشر والفرح بولاية المكتوب له مع إبقاء الصلح والمهادنة مستمرين على ما كان عليه ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عن أمر السلطان الأعظم سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت وسوس ودرعة وكافة الأقاليم الغربية سيدنا ومولانا (محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه) خلد الله نصره، وأعز أمره، وأدام سموه وفخره، وأشرق فى فلك السعادة شمسه وبدره، إلى عظيم جنس الفرنسيس المتولى أمرهم فى الوقت الرى لوزير السادس عشر من اسمه، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد ورد على

حضـرتنا العلية بالله كتابك الـذى تاريخه ثانى عشر من مـائه عام أربعة وسبـعين وسبـعمائة وألف المتـضمن الإخبـار بموت جدك الرى لويز الخامس عـشر على يد نائب قونصوكم (برطملى دبطنير) وبقى فى خاطرنا جـدك لويز كثيرا، حيث كانت له محبة فى جانبنا العلى، وكان ممن يحسن السياسة فى قومه، وله حنانة فى رعيته وحفظ عهد مع أصـحابه، وفرحنا حيث كان باقيـا من ذريته من يخلفه فى المملكة والجلوس على سرير الملك من بعـده، وما زالت تسعد بك رعيتك أكـثر مما كانت فى حياة جدك، ونحن معك على المهادنة والصلح، كما كنا مع جدك انتهى.

صدر الأمر بكتبـه من حاضرة مكناسة الزيتون فى عاشر جمـادى الثانية عام ثمانية وثمانين ومائة وألف».

ومن ذلك ما كتب به له أيضا مع سفارة القائد الطاهر فنيش ولفظه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقـيم، (محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه).

من أميـر المؤمنين، المجاهد فى سبـيل رب العالمين، عبـد الله المتوكل على الله، المعتصم بالله، محمد بن عبـد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه، إلى عظيم الفرنسيس لويز السادس عشر من اسمه السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فاعلم أن سفنا من سفن الفرنسيس حرثوا بأقصى إيالتنا المباركة فى الصحراء وتفرق جميـع من سلم من الغرق من النصارى فى أيدى العرب، وحيث بلغنا ذلك وجهنا بعض خـدامنا للصحراء لجمع من فى أيدى العـرب من النصارى الفرنصيـص لنوجههم إليكم بعد الإنعـام عليهم رعيا للمـهادنة والصلح الذى بيننا وبينكم، ثم إن قونصوكم الذى بإيالتنا أسـاء الأدب وكتب لنا أن نوجه له النصارى

ويدفع الكاشطى الذى صير عليهم خديمنا المذكور، فساءنا كلامه لأنه لو أحسن الطلب لأنعمنا بهم عليه على تقدير أن لو كنا معكم على الكره فأحرى ونحن معكم فى الصلح والمهادنة، ولأجل ذلك وجهنا لكم من حضرتنا العلية بالله عددهم عشرون فهم يصلون منا لناحيتكم.

وقد وجهنا لكم خديمنا القائد الطاهر فنيش باشدورا معه أولئك النصارى وليتكلم فى أمر اقتضاه نظرنا السديد معكم ومع جميع قونصوات أجناس النصارى الذين بإيالتكم من المصالحين معنا وغيرهم على يدكم، وهو أن كل أسير أسر بإيالتنا من النصارى أيا كانوا ففداؤه مسلم رأسا برأس، وإن لم يكن عندهم مسلمون فمائة ريال فداؤه لا غير، كذلك إذا كان المسلمون أسارى عند النصارى ففداء كل مسلم نصرانى من جنسه إن وجد، وإن لم يوجد فمائة ريال فداء المسلم أيضا، وسواء فى ذلك الغنى والفقير والقوى والضعيف لا فرق بينهم فى الفداء، ولا يبقى الأسير فى بلاد المسلمين ولا فى بلاد النصارى عاما واحدا، والشيخ الهرم الذى بلغ السبعين والمرأة كيفما كانت لا أسر فيهما، فحيث وجد الشيخ الهرم أو المرأة فى سفن المسلمين أو النصارى فيسرحان فى الحين من غير فداء، وهذا إن شاء الله رأى سديد ظهر لنا فيه صلاح الجانبين، أردنا أن يكون عقده على يدكم، وإن تم ذلك على الوجه المذكور فوجه لنا كتابك بإبرام ذلك ويصلك كتاب مطبوع بطابعنا الشريف، ومعلم بخط يدنا الشريفة، مضمنه أننا التزمنا جميع ما ذكر فى كتابنا هذا فى شأن فكاك الأسارى من الجانبين على الوجه المذكور إن تم يبقى تحت يدك، ويصلك ستة من الخيل من عتاق خيلنا صلة منا إليكم، وخديمنا المذكور لا تبطئوه عندكم ووجهوه إلينا عزما بعد قضاء الغرض الذى وجهناه إليه، ونحن معكم على المهادنة والصلح وكل ما يقول لكم ثقوا به فيه، صدر الأمر به فى مهل شعبان عام واحد وتسعين ومائة وألف».

ومما يدل على مقدار تحسن العلائق التى كانت بين الدولتين يومئذ الكتاب الذى بعثه الملك لويز السادس عشر للمترجم مخبرا فيه بولادة ابن له وهذه ترجمته:

«من عظيم النصارى ملك فرنسا إلى عظيم المسلمين ملك مراكش والمغرب سلاما.

وبعد: فإن المولى جل جلاله حقق أمنيتنا وأمنية فرنسا فرزقنا أميراً وضعته والحمد لله الملكة زوجتنا العزيزة وقرينتنا، وقد بادرت بإعلامكم بهذا الحادث العظيم الذى يضمن السعادة لرعيتنا ويخلد هذه العائلة الملوكية، وأنا متحقق أنكم ستتلقون هذا النبأ الذى يسر عائلتنا المشهورة ورعيتنا بكل سرور لما بيننا من روابط المودة. وأن السرور الذى ستقابلون هذا الحادث سيكون شاهد جديدا على ما بيننا من الصداقة المؤبدة، وإنا ندعو لكم ولمملكتكم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله أن يحرسكم بعنايته.

لويز».

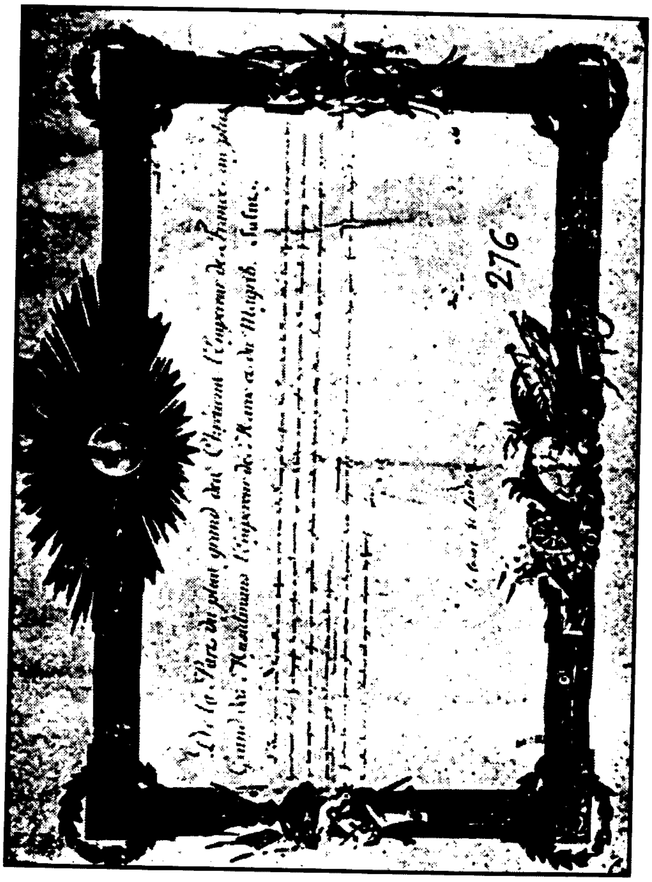
وتحته:

«الكونت دوسايتين»

مع السويد

ومن ذلك عقد الصلح الواقع بينه وبين جنس السويد سنة ١١٧٦ وإليك لفظه:

«الحمد لله، زمام يذكر فيه الشروط المنعقدة عليها الصلح بين سيدنا الإمام الأعظم السلطان بن السلطان فخر الملوك والسلاطين المظفر الهمام الأوحد، أبى عبد الله سيدنا ومولانا محمد ابن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله



كتاب لويس السادس عشر ملك فرنسا للسلطان

سيدى محمد بن عبد الله يعلمه بازدياد أمير له

ثراه، وخلد فى الصالحات ذكـره، آمين وبين جنس السويد بعد طلب طاغـيتهم له بواسطة صاحبه الموجه من قبله المفوض إليه بكتابه وهو «الكمسارى سويد بيد روكر شقيان ولف» سنة ستة وسبعين ومائة وألف ذكر الشروط المشار إليها:

الشرط الأول:

أن يكونوا مؤمنين على أنـفسهم وأموالهم فى جـميع إيالة سيـدنا نصره الله ومراسيه برا وبحرا هم وتجارهم فى سائر المدن والثغور، وأن يلاحظوا بما يلاحظ به غيرهم ممن دخل ظل أمان سيدنا نصره الله.

الشرط الثانى:

أن «الباشجير» منهم إذا وجد بمركب العدو فيؤمن لمضى ستة أشهر تأتى بعد تاريخ الصلح لينتشـر خبر الصلح ولا يطالبـون فى هذه المدة بباسبرط، فـإذا وجد قبل انقضاء هذه المدة فإن رؤساء مراكب سيدنا نصره الله يأتون به مؤمنا على نفسه وماله إلى حضرة سيدنا نصره الله والقونص السويد الذى يكون متصدرا للكلام فى أمور جنس السويد، ويعرف به ويشهد أنه من جنسهم عابرى سبيل، وإن كان هذا الموجود منهم فى مركب العدو يستعمل نفسه فى خدمتهم وإعانتهم بأجرة أو غيرها فهو أسـير، ومن وجد منهم بمركب العدو بعد السـتة أشهر ولم يستظهر ببـاسبرط فهو أسير.

الشرط الثالث:

المسلم إذا دخل بلادهم سواء حل بها فارا أو اختـيارا فهو فى أمان، وكذلك إذا جاء فى مركب عدو لسيدنا نصره الله، وأرسى بأى مرسى من مراسيهم فيجب عليهم فكاكـه ونقده من الأسرى وتبليغـه لبر المسلمين، وإذا كان أسـير من جنس السويد عند عـدو لهم وفرّ لمراكب سيدنا نصـره الله أو لبلاد الإسلام، فهـو أمين

على نفســه وماله، كمــا أن المسلم إذا كان أسيراً وفــرّ لمراكبهم أو بلادهم فــهو فى أمان.

الشرط الرابع:

أن أجفانــهم لا يترامى عليها أحــد من رؤساء مراكب سيــدنا نصره الله ولا يفتــشونهــا، وإن كان فيــها ركــاب من عند سيــدنا نصره الله فهــم فى أمان تحت سنجقهم.

الشرط الخامس:

أن أجفانهم الواردة علــى مراسى سيدنا بالسلع إذا أنزلوها بالبــر تعشر، وإن لم ينزلوها فلا أعــشار عليهم فيــها وإن لم يبيعــوها وأرادوا ردها فلا يلزمهم فــيها شيء ولا يجبرون على إنزال السلعة إن لم يريدوا إنزالها بتلك المرسى، وإن كانت السلع من آلة الحرب وأرادوا بيعها فلا أعشار عليهم فيها.

الشرط السادس:

إذا التقى مركب السويد بمركب من مراكب سيدنا أيده الله فليركب اثنان من أعيان مراكب سيدنا ومعهم اثنان من البحرية المحركين للفلوكة من غير عدة إلى أن يشاهدوا الباسبورط ويعودوا لمركبهم على الفور، ولا يبطئون المركب، ولا يثقفوا، وقبل ما تذهب إليــهم الفلوكة يجعل رئيس مركب سيدنا نصــره الله سنجقاً أبيض فى رأس الماسطرة ويجيء تحت الريح ليكون ذلك علامة الصلــح، فيحصل لهم به الأمان، لأن الصلح بالصلــح لا يمكن أن يحصل بجمــيع السويد فى مدة قــريبة، ويبقوا على هذه العلامات إلى أن ينقضى عام واحد يأتى بعد تاريخ الصلح، وبعد مضى العام يطالبون بإظهار الباسبورط ولا تكفيهم العلامة السابقة، وركاب الفلوكة من خدام سيدنا نصــره الله يصحبون خط الكمسارى ويدفــعونه للمركب السويدى

ليعلموا غيرهم بالصلح المرسوم بالخط، والبارزكان والقرصان فيما ذكر من العلامات وأصحاب خط الكمسارى ودفعه لأهل المركب سواء.

الشرط السابع:

إذا حرث مركب من مراكبهم ببر الإسلام فى طاعة سيدنا نصره الله سواء كان عن فرتونة أو فارًّا من عدو له ووقع به ذلك فليكن أمر سيدنا أدامه الله عند كافة خدامه وولاة أمره بسائر الثغور والسواحل يقفون معهم ليجمعوا وسقهم وآلة سفنهم، حتى لا يضيع لهم شىء من ذلك كله ويعينونهم على جمعه ويحرسونه ويحفظوا أموالهم وسلعهم وباشاجيرهم، وإن كان عدوا لسيدنا نصره الله حتى يصلحوا مركبهم ويعود إليهم وهم فى أمان ولا يلزمهم شىء، وإذا تكسرت بحيث لا تقبل الإصلاح فإقامتها ووسقها وباشجرها يتولى أمر ذلك قونصو الوقت، ولا يدخل فيهم أحد، وإن حملوه فى مركب فلا يلزمهم شىء على حمله.

الشرط الثامن:

إذا كان مركبهم تحت رماية المدفع أو مع بر الكوشطة وسائر المراسى، فلا يأخذهم عدوهم ولا يجعلهم غنيمة.

الشرط التاسع:

إذا أخذ لهم مركب وجىء به لطاعة سيدنا نصره الله وأراد الآخذ بيع الأسارى بها وأنزلهم من المركب بقصد البيع، فهم مسرحون من الأسر، وكذا من أخذ من المسلمين ونزلوا ببلادهم فهم مسرحون، وإن بقوا فى المركب فلا كلام لهم.

الشرط العاشر:

إذا كان قرصان من عدو سويد بمرسى من مراسى سيدنا نصره الله وهناك

مركب سويدى وأراد السويد أن يسافر فليثقف القرصان العدو لهم عن أمر سيدنا نصره الله إلى أن تمضى ثمانية وأربعون ساعة.

الشرط الحادى عشر:

إذا أظهر البازركان الإرصاد بإحدى مراسى سيدنا نصره الله لسقى ماء أو لأخذ كمانية أو ليستتر من الريح، فإنه لا يطالب بمخطاف إلا إذا نزل الوسق فهم كغيرهم من المصالحين.

الشرط الثانى عشر:

إذا اشترى سويدى من وكيل سيدنا نصره الله غنيمة فيكون خط اليد بالبيع هو الباسبورط، بحيث إذا لقيه أحد من مراكب سيدنا نصره الله يطالعه على الإشهاد بالبيع فيتركه ويخلى سبيله.

الشرط الثالث عشر:

إن التجار الذين يريدون تعاطى الأسباب فى طاعة سيدنا نصره الله وإيالته الواجب عليهم فى الأعشار داخلاً وفى الصاكة خارجاً هو الواجب على غيرهم من الأجناس المصالحين، وكل ما يرد عليهم من المأكولات والمشروبات والملبوسات لأنفسهم وأثاث الدار لا شىء عليهم فى ذلك فى المجىء والرجوع.

الشرط الرابع عشر:

إذا سافر مركب منهم من مراسى سيدنا نصره الله، وقد كان دفع ما وجب عليه وألجأه أمر عارض للرجوع لمرسى من مراسى سيدنا نصره الله فلا يلزمه شىء، وكذا إذا وردت سفن كبار على مراسى سيدنا نصره الله واحتاجوا إلى الفريشك، فلا شىء عليهم يأخذوه، وكذا لا يلزم السفن الكبيرة ولا أهل المراسى إخراج المدافع عند الوصول إليها.

الشرط الخامس عشر:

لهم أن يجعلوا من القونصوات ما يريدون ويختارون لأنفسهم، ومن السماسر ما يحتاجون إليه، ويكون القونصو منهم كغيره من القنصوات فى المنزلة والمرتبة والمباشرة، وكل واحد من قنصواتهم يجعل سنجاقاً بداره ولا يتعدى عليهم أحد، ويسافرون فى البر كيف شاءوا ويركبون المراكب الحالة بمراسيهم ومن هو مخصوص بهم، وهم فى صلاتهم ودفن من مات منهم كغيرهم من المصالحين، وكل من انضاف إليهم من أهل الذمة وغيرهم ممن يقضون إليهم أغراضهم لا يكلفون بوظيف ولا مغرم إلا الجزية، فإنها لا تسقط عن أهل الذمة، وإن ترتب دين على أحد سويد، فإن القونصو لا يطالب بأدائه إلا إذا ضمنه لرب المال وكتب له بخط يده.

الشرط السادس عشر:

إذا مات تاجر من سويد فإن القونصو يجمع متاعه ويجمعه لأهله من غير له.

الشرط السابع عشر:

إذا تخاصم اثنان من سويد فالقونصو يتولى الحكومة فى قضيتهما بما يقتضيه دينهم، وإذا كانت خصومة السويد مع أحد من غير جنسه فحاكم البلاد والقونصو يفصلان نازلتهما، وإذا وقع جرح فيما بينهم فيرفع الأمر إلى السلطان نصره الله، وإن فَرَّ أحد من المتخاصمين فلا يؤاخذ به القونصو ولا غيره من جنسهم.

الشرط الثامن عشر:

إذا ظهر منهم ما يوجب نقض الصلح فليؤجل لهم سيدنا نصره الله ستة أشهر يجمعون فيها أموالهم ويحملون أمتعتهم وأصحابهم ويذهبون فى أمان

بحوائجهم وأثاثهم، وديارهم مؤمنة من حكام البـلاد وغيرهم ولا يدخلها أحد إلا بإذنهم.

الشرط التاسع عشر:

أن يسوى سيدنا نصره الله قنصـواتهم وقنصوات أجناس المصالحين بحيث لا تكون مزية لقنصوات غـيرهم على قنصواتهم لا فى مراكبهم ولا فـى متاعهم ولا فى أنفسهم.

الشرط الموفى عشرين:

إن وجد عند أحد من أجنـاس النصارى الذين نالهم عهد سيـدنا نصره الله شرطاً أو شروطاً زيادة عـلى الشروط المذكورة فى هذا الزمام فلهم مـثله سواء كان فى الماضى أو المستقبل، ويكون الشرط الزائد كأنه مذكور فى هذا الزمام، وإن كان لقيهم ممن انعقد بينهم وبين سيدنا نصره الله الصلح إذن فى مسألة غير مذكورة فى الشروط، فقد أذن لهم فيها سيدنا نصره الله.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا صـدرت جناية خارجـة عن الصلح من رعـية سـيدنا نصـره الله أو من رعيـتهم بأن كان الجـانى من سويد يعلم سيـدنا نصره الله القـونصوات وهو يعلم طاغيتهم ويؤجل لهم فى فصلها ستة أشهر سيدنا بعد بلوغها الطاغية، فإن لم يقع فيها الفصل فالنظر لسيـدنا نصره الله، وإن كانت الجناية من مسلم فسيدنا أيده الله يحكم فيها، ولا يفسد الصلح فى الوجهين.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا ظهر شـرط يليق بالجانبـين فإنه يزاد لهم عـلى الشروط السابقـة ويتنزل منزلتها.



كتاب سيدى محمد بن عبد الله لقنصل الدانمرك

(تعريب من العبرانية)

امام من يضع شكله عقبه أقسم المسمى .... سرفاتى يمينا بالله تعالى كيف تجب ونص ما يجب بأن كلامه السوء الذى نقل عنه شمعون بآسفى لم يصدر منه قط وأنه مجرد كذب وزور وحرر بمدينة..بتاريخ ٧ أيلول سنة ١٥١٩ الخزان يهودا أفلاكو ويهودا الغراملى بشكلها

الشرط الثالث والعشرون:

أن يعلم سيدنا نصره الله أهل طاعته بصلح سويد حتى ينتشر بإيالته السعيدة خشيه أن يجنى أحد عليهم جناية ويعتذر أنه لا علم له بالصلح» وهذا آخر الشروط.

وقد أقر هذه المعاهدة السلطان العادل المولى سليمان سنة ١٢١٨ على مال يؤدونه له.

مع الدنمرك

ومن ذلك عقد الصلح بينه وبين جنس الدانمرك وإليك لفظه حرفيا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم؛ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم؛ هذا ما جدد به مولانا الإمام؛ المعظم المظفر الهمام؛ حامى بيضة الإسلام وملجأ الخاص والعام؛ سيدنا ومولانا محمد ابن مولانا عبد الله رحمه الله وقدس روحه، ثم يليه الطابع الشريف وبعده: سلطان مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وغير ذلك من الأقاليم المغربية الصلح بينه وبين طاغية دينمارك كرستيان السابع من اسمه سلطان (نروك بندلص كطر مرن دمليسو) وغير ذلك، على يد القونصو كوشرب الماركى المفوض إليه من قبل طاغيته المذكور على شروط تذكر وتفسر إثره صلحا تاما مستمرا، انتهجنا معهم طريقه والتزمنا الوفاء به حقيقة ما لم يقع ما فيه ثلمة فى ديننا أو شرعنا فلا صلح ولا عهد، وفى الثامن والعشرين من صفر عام إحدى وثمانين ومائة وألف.

الشرط الأول:

خروج مراسى سيدنا نصره الله من أيدى دينمارك فلا يتصرفون فيها بشيء من أنواع التصرفات جلت أو قلت أكثر مما فات، لأن الكمبانية التى كانت تدفع حق المراسى المذكورات تفرقت ورجعت المراسى لسيدنا نصره الله يتصرف فيها بما

شاء، وكـان خروجهـا من أيديهم فى الرابع والعشـرين من صفر الذى هو شـهر تاريخه الموافق فى تاريخ العجـمى لعشرة من يليه، بعد أن التزم القـونصو المذكور أداء واجب تصرف التجار فى المراسى، وهو من أول مـايه الماضى قريبا من تاريخه إلى عاشـر يوليه الذى هو شهـر تاريخه، وقدره اثنا عـشر ألف ريال وخمسـمائة ريال، ولا رجوع للمراسى لأيدى دينمارك أبد الآبدين من الآن.

الشرط الثانى:

للقونصو المذكـور أو من ناب عنه أن يحمل سلعة الكبانية البـاقية لهم بإيالة سيدنا أيده الله كيف ما كانت لأى موضع شـاء، وإن أراد دفعها لأحد أيا كان فلا يمنع من ذلك، لأنه عنده وكالة الكبـانية بالتصرف فى جمـيع سلعهم وديونهم بما ظهر له، ولا يدفعون فى الأعـشار غير الذى دفعوه أولا، ولا فى الصـاكة أكثر مما جرت العادة بدفـعه، وإن أراد إرسال المال الناض بعينه فـلا يلزمه شىء فى الخارج حسبما هى العادة.

الشرط الثالث:

يعطيه سيـدنا أوامره الشريفة لعـماله فى المدن التى لهم فيهـا ديون يعينونهم ويقفون مـعهم على قبض ديونهم عند من كانت على الوجه الشـرعى، وللقونصو أن يوكل من شاء على قبض ديونه من غير مانع له من ذلك.

الشرط الرابع:

التاجر شنطبرند والتـاجر يبسق القاطنان بثغر سلا، والتجـر سودس والتاجر هولست القاطنان بثغر آسفى، والتاجـر هست الذى بثغر الصويرة، الذين كانوا فى خـدمة الكبـانية يذهبـون لبـلادهم مع سفـينة الجـيرة التى هى الآن بثـغر سـلا، بحوائجهم وجمـيع أثاث دورهم وزماماتهم وكذلك يذهب متعلـم القونصو فرزين

بحوائجهم أيضاً لأن الكبانية لم تبق مستلزمة بدفع المتسببين، ولا يتعاطوا التجارة ليعمروا على أى وجه كان، ولا أحد من جنس دينمارك إلا من أراد أن يأتى بخاطره ليعمر فلا يمنعه أحد من ذلك.

الشرط الخامس:

لتجار دينمارك أن يقدموا لإيالة سيدنا أيده الله، ويذهبوا حيث شاءوا ويبيعوا ويشتروا بأمن وأمان فى أى مرسى شاءوا، وأى مدينة شاءوا، ولا يلزمهم فى الداخل والخارج أكثر من غيرهم من أجناس النصارى، ويسكنون فى أى مدينة شاءوا من غير تحديد عليهم بسكنى مدينة دون غيرها، ولا يكلف أحد منهم ببناء دار ولا غيرها إلا بخاطره.

الشرط السادس:

إبقاء الصلح بين سيدنا أيده الله وبين طاغية دينمارك على ما كان عليه أولاً وسنجقهم موقر محترم برا وبحرا إن التقت سفن سيدنا أيده الله الجهادية بسفنهم، لأجل محبتهم فى جانب سيدنا العلى بالله، ولتقدمهم فى عقد الصلح على غيرهم من أجناس النصارى، فلذلك يريدون التقدم من التفضيل على غيرهم عقد سيدنا أيده الله ولا يعتد واحد على رعية دينمارك فى جميع إيالة سيدنا أيده الله.

الشرط السابع:

أن يكون جنس دينمارك كغيرهم فى البيع والشراء، ولا يلزمهم أكثر مما يلزم غيرهم فى أسعار الأسواق، وإن تفضل سيدنا أيده الله على غيرهم من أجناس النصارى بنقض شىء فى الداخل والخارج فهم من جملتهم يلزمهم ما يلزم غيرهم، وإن اشترى أهل سفنهم الواردة عليهم مأكولاً أو مشروبًا لأنفسهم مدة إقامتهم أو زاداً قدر ما يبلغهم للمكان القاصدين له فلا يلزمهم شىء فى الخارج.

الشرط الثامن:

لا يأخذ أحد سلعة من سلع تجار دينمارك منهم بغير الثمن الذين يريدونه، ولا يبيعون سلعهم إلا بما أحبوا، وكذلك أصحابهم الذين يبيعون لهم سلعهم فى المدن لا تنتزع السلع منهم كرها بغير الثمن الذى أمرهم أربابها ببيعها به، ولا يكلف أحد سفنهم بحمل ما لم يريده فى أنفسهم من مرسى إلى أخرى إلا برضا ربها، ولا يخرج أحد من جنسهم من سفنهم بغير رضاه.

الشرط التاسع:

إذا اكترى أحد من رعية سيدنا أيده الله سفينة من سفن دينمارك لتحمل له سلعة من محل إلى محل، ثم إن الريح ألجأها إلى دخول مرسى من مراسى سيدنا أيده الله أو احتاجت إلى حمل ماء مثلا فلا يلزمها شيء.

الشرط العاشر:

إذا جاء أحد من تجار دينمارك بسلعة لمرسى من مراسينا وأنزلها بها وعشرت ثم إنه لم يظهر له فيها بيع وأراد رد السفينة ليذهب بها إلى بلد آخر، فإنه لا يلزمه شيء مرة ثانية، ويلزم قائد المرسى أن يعطيه خط يده أن السلعة المذكورة معشرة لئلا يذهب بها إلى مرسى أخرى من مراسى سيدنا أيده الله فيطالبون بالعشرة مرة أخرى، وكل ما أتوا به من آلات الحرب من إقامة سفن أو بارود أو غير ذلك لا يلزمهم عشر عليه، وإذا أتت سفينة من سفنهم بسلعة بقصد بلد آخر من غير إيالة سيدنا أيده الله ودخلت لمرسى من مراسى سيدنا أيده الله لأمر، فلا يلزمون بإنزال السلعة المذكورة فيها جبرا عليهم.

الشرط الحادى عشر:

إذا انكسرت سفينة من سفنهم بسواحل سيدنا أيده الله فهى وجميع من فيها

آمنون على أنفسهم وأموالهم يذهبون حيث شاءوا وإذا أحرثت واحتاجوا إلى إعانة فليأمر سيدنا عماله أن من وقع عنده مثل ذلك أعانوهم على إنقاذ سفينتهم إن أمكن، والسلعة التى تكون بالسفينة المذكورة لا عشر فيها إلا ما يباع منها ففيه العشر، وإذا أراد ربها رد سلعته لسفينته فلا يلزمه شىء فى الخارج أيضا، ويعين سيدنا أيده الله لجنس دينمارك فى كل مدينة موضعا لدفن موتاهم كغيرهم من أجناس النصارى ولا يمنعون من ذلك.

الشرط الثانى عشر:

إذا التقى قرصان من قراصين سيدنا أيده الله بسفينة بازركان لدينمارك فالعمل فى إنزال الفلوكة لرؤية الباسبورط على الوجه المعقود عليه الصلح قبل هذا فى شعبان من سنة ١١٦٦ مع لوتسوا الماركى.

الشرط الثالث عشر:

يأمر سيدنا أيده الله رؤساء سفنه الجهادية أن لا يخرج أحد منهم إلا بعد أخذ خط يد القونص المذكور والبنتا لئلا يلتقوا بقرصان من قراصين دينمارك فيظنوا أنهم من غير إيالة سيدنا أيده الله، فيحصل العيب بينهم إن لم يظهر خط القونص المذكور مع البنتا، وإذا التقت قراصين الجهتين فالعادة التى كانوا يفعلونها أو الأمارة التى كانوا يظهرونها لبعضهم بعضا لا ينقص منها شىء من الجانبين.

الشرط الرابع عشر:

إذا تخاصم مسلم مع ماركى فأمرهما يرفع لسيدنا نصره الله أو لحاكم البلد التى وقعت الخصومة فيه ليفصل بينهما ولكن بعد إحضار القونصو ليدافع عن جنسه بما أمكنه.

الشرط الخامس عشر:

القونصو المذكور يسكن بِسَلاَ مُدَّةً ما أراد بالدار التى كان يسكن القونصو برزين ولا يخرجه أحد منها لمدينة غيرها، وله أن يجعل خلائفه فى غيرها من مراسى سيدنا أيده الله، وما فعلوه فهو ماض، ولهم من التوقير والاحترام ماله، وكذلك لخدمتهم، وله أن يعزل منهم من شاء ويولى غيره من غير مانع له فى ذلك، وداره ودار غيره من تجار دينمارك منذ قرون محترمون لا يتجاسر عليهم أحد، لأنهم فى أمان الله، وأمان سيدنا أيده الله وخدمتهم ومتعلمونهم لا يكلفون بشىء من التكاليف المخزنية، وإذا تخاصم أحد من جنس دينمارك مع أحد آخر من جنسه فلا يفصل بينهم إلا القونصو، ولا مدخل لأحد فيهم أيا ما كان، وإذا مات أحد من دينمارك فلا مدخل لأحد فى متاعه، وإنما يتصرف فيه القونصو أو نائبه بما شاء، وله أن يجعل بداره كنيسة لصلاتهم ولا يمنع من أراد الإتيان إليها من جنسهم، وكل ما جاءه فى البحر من مأكول أو مشروب وملبوس لا يلزمه عليه عشر.

السادس عشر:

إذا هرب أسير من جنس دينمارك لسفينة سيدنا أيده الله أو هرب مسلم أيا كان لقرصان من قراصين دينمارك حيثما كان، فلا ينتزع منهما، لأن السنجاق حرم من الجانبين.

السابع عشر:

إذا قدر الله بنقض الصلح المذكور، فإن سيدنا أيده الله يؤجل من بإيالته من دينمارك ستة أشهر لجمع أثاثهم وأمتعتهم ويذهبون لبلادهم فى أمن وأمان.

الثامن عشر:

إذا وقع خلل فى أحد الشروط المذكورة فلا ينقض الصلح بسببه، وإنما يرجع الأمر إلى أربابه من الجانبين ليصلحوا ما فسد منه، ولا تمد الأيدى لرعايا الدولتين إلا بعد إظهار الحق عيانا.

التاسع عشر:

إذا انبرم الصلح المذكور وانعقد عليه أن يدفع طاغية دينمارك لسيدنا أيده الله ما يذكر مفصلاً والتزم القونصو بأداء جميع ذلك لا يترك منه شيئًا والذى يدفعه عن كل سنة هو هذا:

من مدافع المعدن اثنا عشر	١٢	
وزن كورة كل واحد أربعة وعشرون رطلاً		٢٤
ومنه أيضًا ثلاثة عشر	١٣	
وزن كورة كل واحد ثمانية عشر رطلا		١٨
جملة المدافع خمسة وعشرون	٢٥	
ومن الكمنة عشرة	١٠	
غلظ كل واحد ثلاثة عشر بلكاظة		١٣
ومنها أيضًا عشرة	١٠	
غلظ كل واحدة ثلاث عشرة بلكاظة		١٣
ومنها أيضًا عشرة	١٠	
غلظ كل واحد عشر بلكاظات		١٠
جملة الكمن هذا	٣٠	

ثم ألفان من اللوح الروبلى طوله مختلط من الذى تصنع سفن ستة وثلاثين وسفن أربعــة وعشرين مــدفعًا عرضــه اثنتا عشــرة بلكاظة، وغلظ ألف منه ثلاث بلكاظات، وغلظ الألف الآخر أربع بلكاظات، ثم من الريال زيادة على إقامة ستة آلاف وخمسمائة هكذا ٦٥٠٠.

الشرط الموفى عشرون:

إذا أراد طاغية دينمارك أن يدفع الإقامــة المذكورة على الوصف المذكور فعلى بركة الله، وإن أراد أن يدفع على جميع ما ذكر من الإقامة والريال خمسًا وعشرين ريال بعينها دفـعها الخيار له، ابتــداء السنة التى يدفع ما ذكر عند انتهــائها أول مايه الفارط قبل تاريخه من عام سبعة وستين وسبعمائة وألف، ما دام الصلح بين سيدنا أيده الله وبينهم لا ينقطع أبدًا.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا وسق ما ذكر فى ســفنه وقدر الله عليها بآفــة من آفات البحر فــإن سيدنا أيده الله لا يضيع ولا يعرفه إلا مبلغًــا إلى المكان الذى شاء، ولكن لا يلجئهم إلى دفع ما ذكر فى العام نفســه، فما لم يدفع فى العام دفع فى الذى يليه، وعلى هذا انبرم الصلح وانــعقد، وأبرأناهم من جــميع الدعاوى المــاضية ســوى ما هو بخط القونصوا كرسطرب المذكور» انتهى.

مع البرتغال

كانت هذه الدولة بعد فــتح الجديدة ونزعها من يدها سنة ١١٨٢ قــد اقتدت بغيــرها من الدول، فأوفدت سنة ١١٨٣ هدية للــسلطان المترجم عظيمــة، وبعثت رسلها يطلبون الهدنة والصلح، فأجابهم لذلك.

قال نجله المولى عبد السلام فى درة السـلوك: وكان عقد صلحهم على يدى بعد ما تحملوا بعشرين ألف ريال فى كل سنة فعقد معهم هذه المعاهدة سنة ١١٨٧ ودونك نصها:

«الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم.

أما بعـد: فقد انعـقدت المهادنة الكاملة والـصلح التام، بين سيـدنا الإمام، العلوى الهمام، مولى العباد، وحـامى البلاد، رافع منار الشريعة النبوية، وناصب رايات الدينية. سـيدنا ومولانا أمـير المؤمنين. وبالطابع (مـحمد بن عـبد الله ابن مولانا إسـماعيل) نصـره الله وأدام عزه، وخلد فى صـفحات المجـد مآثره المثبـتة وذكره، مالك بلاد المغربية بأجمعها والمتصرف فى أقاليمها وبلادها مراكش وسوس وتافيلالت ودرعة وفاس ومكناسة وسلا وما عدّ من الإيالة ونسب إليها، وما جرى من المراسى والمدن على حكمها وسبلها وبين السلطان عظيم البرتغال وقويهم (دون جوزة الأول) ملك القريس وجميع لونكيست، وصاحب سـفن ومتجر بلاد الحبشة وارابيـا وبورسيـا والهند وثمنى والبـاقى من إيالته بـواسطة من ناب عنه فى عقـد المهـادنة المذكورة وهو قـونصـو الجرال ابن بن نارد وسـيمـويس المثـبت فى مكان الباشـدور المتوجه من قـبل سلطان البرتغال، المتـوفى بإيالة سيـدنا نصره الله على شروط تذكر.

الشرط الأول:

وقعت المهادنة المذكورة فيما بين سيدنا نصره الله وبين ملك البرتقال على أن يدخل جميع من يريد الدخول إلى إيالة سيدنا نصره الله بقصد شراء ما احتاج إليه أو تجارة أو غير ذلك، وكذلك من كان من رعية السلطان المذكور له الدخول لإيالة ملك البرتكال، والخروج من غير أن يتعـرض له معارض، ويتعاطى بها سائر أنواع التجارة وضرب المعاملة، وكذلك سائر مراكب سيدنا نصره الله الجهادية وسفنه لها

الدخول والمقام بجميع مراسى سلطان البرتغال لقضاء ما تحتاج إليه، وما ألجأتها حوادث البحر لقضائه، وبجميع مراكب ملك البرتقال وسفنه مثل ذلك، فى مراسى سيدنا نصره الله فى الثانى عشر من رمضان عام ١١٨٧.

الشرط الثانى:

كل مركب من مراكب البرتقال ألجأه الدخول لبعض مراسى سيدنا نصره الله لقضاء ما اضطر إليه وأراد شراء ما احتاج إليه من قوته وجميع الأمور الضرورية التى افتقر إليها فى نفسه له ابتياع ذلك بالسعر الذى هو مقرر للبيع فى المرسى الذى دخل إليها، ولا يكلف بإعطاء شىء زائد على الثمن المعين بها، ولجميع سفن سيدنا نصره الله ومراكبه لهم قضاء ما يحتاجون له فى جميع مراسى البرتقال.

الشرط الثالث:

إذا لقى مركب من مراكب البرتغال سفينة من سفن سيدنا نصره الله الجهادية فى داخل بحر البرتغال، فإن كان مركب البرتقيز يعد للتجارة فمركب سيدنا يرسل فلوكته للمركب المذكور إن شاء ليطلع على ما بيده من أوراق البحر، لكون مركب البرتقيز عليه مشقة فى الإتيان له لقلة بحريته، وإن كان المركب البرتقيزى معداً للحرب فإنه هو الذى يبتدئ بالإرسال لمركب سيدنا نصره الله إن أراد الاطلاع على الأوراق المذكورة ويجرى ذلك على المنوال الذى عقده سيدنا مع الإصبنيول.

الشرط الرابع:

أن جميع مراكب سيدنا نصره الله الجهادية إذا لقى أحدهم مركبًا من مراكب ما عدا البرتقيز ممن ليس بينه وبين سيدنا نصره الله مهادنة، فمركب سيدنا لا يطارده ليأخذه إلا فى حدود يجاوز عشر ليكوات فى البحر من مراسى البرتغال،

ومهما جاوز المركب الذى يريد أحد مراكب سيدنا أخذه الحد المذكور فلا يطالب بوجه من الوجوه لدخوله تحت حماية جنس البرتقيز المعاهدين، فإذا لقى مركب سيدنا أحد سفن البرتقيز يأخذ منه وثيقة مسجلة بخط رائس المركب البلوط ومن معه معتبراً فى المركب أنه لقيه فى موضع كذا ويسمى الموضع الذى التقى به ليطلع سيدنا نصره الله عند رجوع مركبه المذكور.

الشرط الخامس:

إشارة بين مراكب سيدنا نصره الله وبين سفن سلطان البرتقال إذا لقى أحد مراكب سيدنا مركبًا من مراكب البرتقال وكان بينهم من البعد مقدار ما يتعارفون فيه قبل الملاقاة، يخرج مركب البرتقيز مدفعًا ليتحقق منه مركب سيدنا نصره الله أنه برتقيز فيجيبه مركب سيدنا بمدفع آخر بعد نشر سنجقه المعلوم لسفنه السعيدة، ثم يرمى البرتقيز بمدفع آخر علامة بأنه فهم الإشارة، ويذهب كل واحد منهما إلى أين شاء، ولا يؤمر أحدهما بإرسال فلوكته للآخر إلا إن أراد عن طيب نفسه، وبهذه الإشارة تميز سفن سيدنا عمن عداها من سفن المسلمين من أهل الجزائر وتونس وطرابلس الذين لم يكونوا فى مهادنة مع سلطان البرتقال مخافة أن يخدع ببعض سفنهم ويظنها لسيدنا وتؤخذ بسبب الأمان.

الشرط السادس:

إذا أراد مركب من مراكب سيدنا نصره الله بعد جعل الإشارة المشار إليها أن يطلع على ما عند المركب البرتقيزى من أوراق البحر فيمكنه، لكن بعد أن يثبت بعيداً مقدار ما تصل إليه كورة اثنى عشر رطلا ويرسل فلوكته مع اثنين من مركبه، ومن يلتجأ إليه لقذف الفلوكة فى حال الذهاب والإياب، فيطلع الاثنان الموجهان من قبل الرايس على ما بيد المركب الذى لقى من باسبرط الذى بخط جنس

البرتقيز، وبعد ذلك يرجع الاثنان المذكور ومن معهما لمركبهما من دون إمهال، ولا يكلفان صاحب السفينة بفحص آخر ولا تفتيش فى من معه فى مركبه.

الشرط السابع:

إذا خالف مـركب من مراكب سـيدنا نصـره الله أو غليوطة من غـلائطه ما تضمنه الشـرط الخامس والسادس فى هذا السـجل من الأمارات المشار إليـها على مركب برتقيـزى فالمركب المذكور يدافع عن نفسـه برمى مدافعه ليـبعد عنه المركب المذكور، مخافة أن يلتـبس له بغيره فيحصل لمركب البرتقيـز الضرر بسبب قربه منه فيقع فى المحظور.

الشرط الثامن:

كل من دخل تحت سنجق سـيدنا المعـهود، لمراكـبه الجـهادية من المسلمـين والنصارى وهو غير معاهد لسلطان البرتغال، وركب فى مركب من مراكبه الشريفة فإنه يحترم بسبب دخوله فيها، فـلا يصل إليه أحد من البرتقيز بوجه من الوجوه، وكذا من حمل فى مركب من مراكب البرتقيز من الذين ليسوا فى مهادنة مع سيدنا نصره الله فإنه يخلى سبيله ويترك حاله لدخوله تحت سنجق البرتقيز.

الشرط التاسع:

أن سيدنا نصره الله لا يرسل مراكبه الجـهادية معينة لمن لم يدخل فى مهادنة مع جنس البرتقيز من أهل الجزائر وتونس وطرابلس وغيرهم.

الشرط العاشر:

كل مركب هرب من جنس البـرتقيز لمرسى من مراسى سيـدنا أيده الله فارا ممن فى طلبـه، فلا يدع أهل مرسى سـيدنا نصـره الله ذلك المركب الطالب له أن يقحم عليه أو يضـره بشىء لأجل دخوله فى مرسى سيدنا نصره الله وتحـييزه بها،

بل يحامـوا عنه ويدافعوا بقدر الإمكان، ولسـفن سيدنا نصـره الله مثل ذلك على مراسى سلطان البرتقال.

الشرط الحادى عشر:

كل من جاء من مراكب البرتقيز فـارا من عدوه أو قذف به البحر فى ساحل من إيالة سيدنا نـصره الله، فهو فى حفظ وأمـان من رعية سيدنـا نصره الله، فلا يصل إليه أحد بضياع، ولا ينتهب منه شىء، بل يقدم له من يسعى فى إنقاذه لكى يخلص من الخطر، ولا يكلف بإعطاء شىء عن أمتـعته المستخلصـة سوى أجر من قام بوظيف الخـلاص بقدر عمله، وجمع مـا خرج من مراكب سيـدنا نصره بإيالة البرتقال يكون على هذا المنوال.

الشرط الثانى عشر:

إذا اتفقت ملاقات سفينة من سفائن البرتغال بإحدى مراسى سيدنا نصره الله مع بعض عدوها، وخشيت سفينة البـرتقيز عند الخروج من أن تصل إليها الأخرى فى الحال، فإن أهل مراسى سيدنا نصره الله يمنعون عدو البرتقيز من الخروج أربعة وعشريـن ساعة بعد بروز سـفينة البرتقيـز من المرسى لتبعد عن الأخـرى، وبهذا المنوال تعامل مراكب سيدنا نصره الله.

الشرط الثالث عشر:

كل من ورد من قـبل ملك البرتغـال يريد التـجارة بإيالة سـيدنا نصـره الله والمقام بإحدى مراسـيه يجاب لمراده، ويقر حيث شاء ويشترى كل مـا لسائر التجار شراؤه من السلع من غير أن يلزمه شىء زائد على الثـمن والصاكة المقررة بها، ثم له عند ذلك إرسال مـا اشترى لمركـبه أو إبقاؤه بداره، كـما له أن يبيع مـا جاء به مركبه من السلعة الواردة من بر النصـارى بعد إعطاء الواجب بما شاء من الثمن أو يدعها بداره.

الشرط الرابع عشر:

من جاء من البرتقيز طالبا شراء ما هو معهود البيع من السلع المختصة بإيالة سيدنا نصره الله، ولم يجده بالموضع الذى نزل به وأراد شراءه من أرض أخرى من الإيالة المذكورة، فلا يكلف بإعطاء شيء مما اشتراه سوى ما يلزمه من الصاكة كسائر التجار عند حمله له فى مركبه وأجر من دله على الطريق أو حرسه أو قام معه بوظيف.

الشرط الخامس عشر:

القونصو أجرال الذى عينه سلطان البرتقال ليجلس بإيالة سيدنا نصره الله، له التصرف فى دينه والقيام بأمر صلاته هو وأهل بيته وكافة خدمه وحشمه وجميع من يريد من أهل دينه استعمال الصلاة معه فى داره، وله فصال ما يحدث بين جنس البرتقيز من الخصومات فيما بينهم من غير أن يدخل فصالهم أحد قضاة سيدنا نصره الله الذين بإيالته، إلا إن كان الخصام بين مسلم ونصرانى من الجنس المذكور فليتول الفصل قاضى حضرة سيدنا نصره الله بحضور حاكم البلد التى وقع بها النزاع بين المتحاكمين.

الشرط السادس عشر:

القونصو المذكور لا يلزم بوفاء دين أحد من البرتقيز إلا إذا ألزم نفسه بذلك بخط يده بوثيقة منه.

الشرط السابع عشر:

إذا مات أحد النصارى البرتقيز فى إيالة سيدنا نصره الله فحوائجه وأمتعته تدفع للقونصو الجرال ليبعث بذلك لوارثه والأقربين لنفسه.

الشرط الثامن عشر:

إذا أراد سيدنا نصره الله إبطال هذه المهادنة والصلح الواقع بينه وبين سلطان البرتغال فلا يحاربهم سيدنا نصره الله إلى بعد ستة أشهر من الإبطال، ليرحل من إيالتـه القونصـو أجرال ومن مـعه من البـرتقـيز فى هذه المدة المذكـورة، وينقلون حوائجهم وأمتعتهم من غيـر أن يتعرض لهم فى الأمر المشار إليه معارض من ولاة أمر سيدنا نصره الله.

الشرط التاسع عشر:

إذا حدث خلاف أو نقض شروط من هذه الشروط المرسومة فى هذه المعاهدة بين رعيـة سيدنا نصـره الله وبين رعية البـرتغال، فلا ينقض الصلح المثـبوت بين سيـدنا أيده الله والجنس المذكور، بل يحـفظ ما حدث ويرسـم ليقع جبـر الخاطر وإصلاح ما فسد.

الشرط الموفى عشرون:

هذه المعاهدة المرسومـة بهذا السجل بين سيدنا نصـره الله وسلطان البرتغال المذكور تمضى وتسـجل فى مدة ثلاثة أشهـر، لكن يبتدر لحـفظها ثلاثة أشهـر بعد ذلك.

الشرط الحادى والعشرون:

أن جميع جنس البرتقيـز من انبرام هذا الصلح والمهادنة لا يمكن بوجه أسره فى مملكة سيـدنا نصره الله مـا دام الصلح واقعا ولا يقع بيـعهم فى مملكة سـيدنا نصره الله ولا يشـترون من أرض أخرى ويباعـون فى إيالته، وبهذا الشـرط يعامل كل من هو فى إيالة سـيدنا نصره الله فـلا يباع بأرضـهم، كما أن مـن كان منهم مقبوض فى إيالة سيدنا فى يباع ولا يشترى فى إيالة سيدنا نصره الله.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا وقع نقض لهـذا الصلح من قبل سـيـدنا نصره الله أو من قـبل سلطان البرتغال فأسارى المسلمين الذين يكونون بيد البـرتقيز من إيالة سيدنا نصره الله بعد النقض المذكور لا يكون فى حكم الأسرى، بل يضمحل عنهم اسم الاستيسار ولا يكلفون بعمـل إلى أن يسرحوا، وكذلك ما اسـتيسره سيـدنا نصره الله من جنس البرتقـيز فإنه يعامل بـهذا الوجه، ويكون أسرهم كـالمسجونين ولا يكلفـون بعمل كذلك إلى أن يقع تسريحهم من قبل سيدنا نصره الله» انتهى.

* * *

مع الدولة العثمانية

***

كانت الروابط بين صاحب الترجمة والدولة العثمانية موصولة الأسباب، وثيقة الأطناب، وطالما أعانها بالأموال الطائلة الوافرة، وأهدى من نفيس لسلاطينها الهدايا الفاخرة، ووجه لهم الوفود والسفراء، من الأعيان والكبراء، وقد اتصلت المودة بينه وبين السلطان مصطفى الثالث بن أحمد الرابع المتولى سنة ١١٧١ إلى أن مات سنة ١١٨٦، وخلفه أخوه السلطان عبد الحميد الأول فسار معه المترجم على ما كان عليه مع أخيه من قبله، واتصلت بينهما المودة إلى أن مات سنة ١٢٠٣ وتبعه المترجم فى السنة بعدها.

ففى سنة ١١٧٥ وجه للسلطان مصطفى المذكور بالأستانة العلية الحاج الخياط عديل سفيراً بهدية ورسالة يهنئه بالملك، ويقرر أسباب المودة والإخاء فى ذات الله، فكافأه على هديته مع رسوله بهدية من آلة الحرب والمدافع والمهاريس وآلة المراكب القرصانية.

وفى سنة ١١٧٩ بعث إليه بكاتبيه الفقيهين السيد الطاهر بن عبد السلام السلوى والسيد الطاهر بنانى الرباطى سفيرين وأصحبهما هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الأحجار، وفيها أسياف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان، وفيها حلى من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس، فابتهج السلطان مصطفى بذلك، وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ومهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه.

قال أبو عبد الله بن على الدكالى السلوى فى إتحاف أشراف الملا، لما ذكر طبقة أدباء سلا:

ومنـهم المحـــاضـــر الأديب الـكاتـب المـبـــــــرز الأديـب

مـحـمـد الطاهـر وهو ابن على ثم ابن عـــبـد لـلسـلام مـنجلى

كـــان بعــــصـــر الملك المـعظم منصـــور دولة العـــلاء الأفـــخم

غـدا جليـسـا كـاتبا مـوجـهـا إلى مـلوك عــــصـــــره منـزها

بـرع فـى العـلـم وفـى الآداب وفى الدهـاء بادى الإعـــجـــاب

ســافــر عنه لـبــلاد الـتــرك فى عهـد مصطفى الجـميل النسك

وحــمل الهـــدية الـعظيـمـــة ولم تزل مـعــروفـــة فـخـيـمـة

مـــا بين أفـــراس وحلى وتحف ونخب جلت وفـــاقت فى الطرف

وكـــان من أهم مـــاله قـصـــد جلـب المدافع وإحـكام عــــدد

مما بـه مـــصلـحـــة الأسـطول والعـــود بالخـــيـــر وبالمأمـــول

وأن يزال الحلى عن مـصـاحـفـا كـانت لدى الحـرام وقـفا شـرفـا

لما تـعـــذر انتـــفـــاع الـواقف بهـــا وخـــيف من مـــآل الـتلف

وأن يعــــاد جلدها جـــــديدا ويحـــصــل النفـع ولا مـــزيدا

وقـيـمـة الحـلى على الأشـراف تفـــرق مع مـــحـــاوج الأطراف

فـاعـمل النظـر مـصطفى وحل بتـركـهـا بحـالهـا وقـفـا كـمل

ثم اشـتـرى مـصاحـفـا بعـدها ووقـــفت يتلى بهـــا لنفـــعـهـــا

وجـــعل الثـــواب لـلذى وقف أولهــــا فــــأمنـت من التـلف

وخـاطب المولى بهذى المصلحـة وأنهـــا أعلى الآراء النـاجـحـــة

تأدبـا مع الرســــول المصطفى وحـــفظ آثار الجـــدود الشـرفـــا

ثمت عـــاد ثانـيـا سـفــيـــرا ... فى عهـد نجل مصطفى[1] ظهيرا
لأجل أن يفـــتـــدو الاســـارى ... من كـل أقطار لدى الـنصـــارى
بمـائـــتـى ألـف مـن الـريـال ... مع ثـلاثمـــــائة مـن مـــال
وشاء من عـبد الحمـيد[1] أن يرا ... برأيـه فى فكهـــا مـــحـــررا
فـوجـه التـركى بسـفن أربع ... لمالـطة لأجـل فـــصل المـنزع
فــتم الافـــتـــدا بـذاك المال ... وعظـم الأجـــر بـكل حـــال
انافت الأسـرى علـى العـشـرينا ... من الألـوف عـــددا مــبــيـنا
ذكـــــره مـــــؤرخ تركـى ... (جـودت) عـثـمـــانى به حـرى
وخـاطب الصدر السـفيـر هايرا ... أمــيـــرك القـــرض لنفع غــزرا
فـــقـــال ممكن له مـــا تـرتضى ... وليس يعـتـاص كـهـذا الغـرض
وكـان مـن أمـر غـزيـر السلف ... مـــا جل ذكـره لعـــهـــد الخلف
وكم لهـذا الشــيخ من سـفـارة ... عـــادت بربح القطر والـعـمـــارة
حـج وزار ورأى المعـــــــالما ... وقـيـد (الرحلة) فـيـمـا أبهـمـا

ثم إن المترجم وجه خـديمه الرئيس عبد الكريم راغون التطوانى سـفيرا سنة ١١٨٠ للسلطان مصطفى، وأصـحبه كتابا يتـضمن التعزية فيـما أصاب الأسطول العثمانى من الروس وزوده بهدية نفسية للسلطان مكافأة له على هديته التى أرسلها مع بنانى وابن عبد السلام.

ولما دخلت سنة إحدى وثمـانين ورد الحاج عبد الكريم المذكـور من سفارته عند السلطان المذكـور ومعه هدية عظيـمة أعظم من الأولى، تشتـمل على مركب

---

(١) فى هامش المطبوع: «الصواب أن عبد الحميد أخ لمصطفى».

موسوق بالمدافع والمهاريس النحاسية وإقامتها وإقامة المراكب القرصانية وغير ذلك من آلات البحر، ومعها بعثة حربية تركية تتركب من ثلاثين من مهرة المعلمين، فنزلوا بمرسى العرائش، ومنها توجهوا لمكناس حيث مثلوا بين يدى صاحب الترجمة فكان بينهم ما تقدم عند الكلام على اهتمامه بالأساطيل البحرية.

ولما مات السلطان مصطفى المذكور وبويع لأخيه السلطان عبد الحميد سنة ١١٨٦، وجه له المترجم رسوله سفيرا بكتاب التهنية له بالملك وتجديد المودة، وهدية فيها طرف عظيمة من طرف المغرب وسارت معها أربع مراكب من المراكب المغربية.

ثم وجه المترجم خديمه القائد علال الدراوى، والقائد قدور البرنوصى، والكاتب السيد محمد الحافى الذى كان توجه لفداء أسارى الأتراك من جزيرة مالطة، فأنكر أهلها الفداء وردوا المال، فوجه المترجم ذلك المال البالغ قدره مائتى ألف ريال وأربعة وسبعين ألف ريال مع المذكورين ليدفعوه للسلطان عبد الحميد ويقولوا له إن هذا المال أخرجه أمير المؤمنين لفكاك أسارى المسلمين، وحيث رده الكفار ولم يتيسر الفداء لا يرجع إلينا، فأنفقه فى فداء الأسرى أو فى الجهاد أو فيما يظهر لكم وكتب لهم بذلك كتابا للسلطان عبد الحميد، وذكر فيه حال حكام أهل الجزائر وما هم عليه من الجور والظلم لضعفاء العرب الذين كانت وفودهم تلوذ بصاحب الترجمة وتشكو إليه ما أصابها، فكان يكاتب أولئك الحكام(١) ويحضهم على العدل وينهاهم عن الظلم فلا يسمعون له كلاما بل يقابلون من يأتيهم بمكاتبه ورسائله بالعقوبة الفادحة، فلما أعياه أمرهم كتب بهم للسلطان المذكور مع هذه السفارة.

---

(١) فى هامش المطبوع: «لعل هؤلاء الحكام هم المراد بالترك فى استفتاء المترجم للشيخ التاودى المذكور فى فتاويه فيما فعلوه مع بعض المسلمين ممن شملتهم ولايتهم لما حضروا مع المترجم حصار مليلية، فلما رجعوا إليهم أباحوا دماءهم.

ثم وجه بعد هذه السفارة عبد الكريم العونى أحد أعيان تطوان بهدية منها اثنا عشر قنطارا مع ملح البارود فى أربعة مراكب، وكتاب آخر فى شأن أهل الجزائر وضررهم بالمسلمين، فلما بلغ الدولة الكتاب أرسلت إلى حاكمى الجزائر وتونس تأمرهم بالتأدب مع المترجم وتنفيذ ما يكتب لهم به، وأن يفعلوا معه من أنواع الأدب ما يفعلونه مع السلطان عبد الحميد.

ورجع مع العونى أحد كتاب الدولة إسماعيل أفندى سفيرا من السلطان عبد الحميد مصحوبا بهدية وكتاب، فوجه السلطان المترجم كبير الطبجية القائد الطاهر فنيش لمرافقته للرباط، وكان يوم استقبال السفير المذكور يوم العيد بعد إقامة سنة صلاته، فقرئ كتاب العثمانى فى مشهد حفيل بجامع السنة، وكان فيه الاعتذار عن أهل الجزائر والإيصاء بهم وبأهل تونس.

ثم بعث المترجم بعد ذلك كاتبيه السيد محمد بن عثمان والسيد محمد الموزيرق، وصهره مولاى عبد الملك بن إدريس بمكاتبة للسلطان عبد الحميد، ووجه معهم شيخ الركب النبوى الحاج عبد الكريم بن يحيى، ومن هناك أمرهم بالتوجه للحج مع أمين الصرة الشريفة.

وكان خروجهم من حضرته وهو بالرباط فى مهل محرم سنة ١٢٥٠ بعدما أصحبهم هداياه المالية لأشراف الحرمين وغيرهم، وقدرها ثلاثمائة ألف ريال وستون ألف ريال وأربعون ألفا من الضبلون والمنيضة والبندقى ما بين ذهب وفضة على عادته فى كل سنة، وسار معهم إسماعيل أفندى السفير العثمانى الذى كان ورد على أبوابه قبل ذلك.

وذكر الزيانى أنه أخر عن السفر معهم بعد ذلك إلى أن سار معه هو فى سفارته ولما لم يتيسر لهم الركوب من تطوان لشدة هيجان البحر بعد أن أقاموا فيها أربعة أشهر ونصف، توجهوا لطنجة، ومنها كان ركوبهم بثانى رجب من السنة

بعد إقامتهم فيها نحو شهر ونصف فى مركب إسبانى بعثه ملك الإسبان إجابة لرغبة المترجم ليقلهم إلى قرطاجنة.

ومنها ركبوا فى سفينة حربية كبيرة أرست بهم فى سرقوسة بصقلية للتزود وأقيمت لهم على ظهره حفلة راقصة حضرها أهل المدينة وأعيانها بعد أن استدعوا السفارة مرارا للنزول لبلدهم فاعتذرت ثم تحركت بهم إلى القسطنطينية فى رابع رمضان فوصلوها رابع شوال وأنزلوا فيها بدار خاصة، وترادفت عليهم أعيان الدولة بالهدايا، وبعد خمسة أيام استدعاهم الوزير لمقابلته فساروا إليه فى موكبهم لداره، ولما وصلوا قبته قام إليهم واستفهمهم عن حال السفر وما أصابهم من التعب وما يناسب المقام، وقدمت إليهم الأشربة والطيب والبخور، ثم خلعت عليهم خلع من أرفع الثياب يقال لها «الاكراك» وخلع على أصحابهم، ثم خرجوا من حضرة الوزير بعد ما دفعوا له الرسائل السلطانية على ما جرت به العادة مع تقديمها للوزير أولا لتترجم وتفهم، وساروا إلى خليفته المسمى بالكاهية، ففعل معهم مثل ما فعل رئيسه، ثم ساروا إلى الدفتدار ففعل كذلك ثم انقلبوا لمحل نزولهم.

ثم بعد ذلك بعث لهم بالإعلام بوقت مقابلة السلطان، ولما كنت ليلة السابع والعشرين من الشهر أتى لمحل النزول جماعة من الناس مشاة وركبانا وأعلموهم بالتوجه للمقابلة، فركبوا عند مطلع الفجر الخيول وسار موكبهم تتقدمه خيول الركبان وتحف به المشاة إلى مسجد صلوا به الفجر، ولما وصلوا دار الوزير وقف السير عندها فخرج إليهم عند طلوع الشمس فى موكبه، وأشار إليهم بالسلاح فردوا عليه بمثله، وتقدمهم إلى القصر السلطانى، فلما وصلوه دخل الوزير لمحله منه وجلسوا هم فى الانتظار، ثم دعوا بعد ذلك إلى قبة، فلما قعدوا فيها خرج إليهم الوزير فأشار بالسلام فردوا عليه كذلك، وجلس وقعد عن بعيد من يساره قاضى العسكر وأخذ فى مباشرة أشغاله الرسمية وتوقيعاته الوزيرية.

ولما فرغ من ذلك أتى بالغذاء فتناولوا منه على المائدة الوزيرية، ثم أخرجوا من حضرته إلى قبة أخرى وأحضرت لهم الخلع فألبسوها، ثم خرجوا من هناك إلى محل فقعدوا فيه هنيئة ثم دعوا إلى الدخول على السلطان، فدخلوا بابا قد اصطفت فيه الرجال، وتقدم إليهم رجال عينوا للدخول بهم فأمسك بثوب كل واحد منهم رجلان أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، ثم دخلوا بابا آخر وقف فيه الحجاب، ثم دخلوا على قبة السلطان فوجدوه جالسا على مرتبة والوزير قائم عن يمينه فتكلم الوزير بالتركية كأنه يعلم السلطان بالوفد ومن أين أتى على العادة فى ذلك، ثم قربت إلى السلطان الهدية التى جاءت بها السفارة فاستلمها رجل مسن، ودفعها للوزير يدفعها للسلطان.

وبعد أن وقفوا أمامه مقدارا قليلا خرجوا من عنده على الهيئة الأولى وركبوا الخيل وأخذ أعيان الدولة يمرون عليهم كل فى موكبه، ثم خرج الوزير فرجعوا بعده لمحل نزولهم وانفض بذلك الجمع الذى وقع لهذا الاقتبال الذى جاء غريبا فى بابه لأن لقاء السفراء عندهم إنما يقع فى الأعياد أو فى يوم الديوان الذى يفرق فيه الراتب على العساكر.

ولما كان وصول هذه السفارة قد تأخر عن سفر ركب الحجاج أقامت بالقسطنطينية بين معاهدها ومشاهدها فى انتظار الموسم القابل، وفى الثانى والعشرين من رجب سنة ١٢٠١ استدعاهم الصدر الأعظم للوداع فتوجهوا إليه على الهيئة المتقدمة.

فلما دخلوا عليه قام إليهم وقعدوا معه وتناولوا بعض الأشربة وأجرى ذكر الحرب الناشبة بين الدولة وبين الروس والنمسا وطلب منهم الدعاء للدولة بالنصر على أعدائها فى المشاهد الكريمة من البقاع الطاهرة، ثم أحضرت لهم الخلع ولجميع أصحابهم وودعوه وساروا إلى خليفته ثم إلى الرئيس أفندى الذى هو

رئيس الكتاب، ثم انصرفوا للتأهب للسفر من الغد، وكان السلطان قد أعد لهم المحامل والخيام والبهائم لركوبهم وحمل أمتعتهم وأثقالهم اعتناء بأمرهم، فاخترقوا الأناضول والشام إلى دمشق فمكثوا بها ثمانية وثلاثين يوما، وخرجوا منها ليلة التاسع عشر من شوال.

وذهبوا على طريق معان والعقبة للمدينة المنورة فزاروا ومنها لمكة فنزلوا بظاهرها فى سابع ذى الحجة وأقاموا بها بعد أداء المناسك إلى السابع والعشرين من ذى الحجة، فرجعوا مع الركب الشامى للمدينة فدمشق، وخرجوا منها فى تاسع ربيع الأول إلى عكا فأنزلهم صاحبها أحمد باشا الجزار فى أحسن حال، وأقاموا فيها تسعة أيام عينوا فيها المركب الذى يحملهم فى البحر، وتركوه يستعد وذهبوا للقدس والخليل وفى السابع والعشرين من ربيع الثانى ركبوا البحر وأرست بهم السفينة بقبرص نحو العشرة أيام، ثم سارت بهم لتونس حيث أنزلهم أميرها وتقدموا للجزائر فالمغرب برا، وكان دخولهم لفاس آخر شعبان سنة ١٢٠٢.

ولما سمع المترجم بورود السفارة بعث إليها أن تخرج إليه، فكان اللقاء بمخيمه من وادى العطشان بين فاس ومكناس.

قال ابن عثمان: فتبركنا بحضرته، والتمتع برؤيته، وختمنا أعمالنا بمشاهدة أنوار طلعته، ولله الحمد، ثم تعاطينا معه أكرمه الله وأعزه أخبار الحرمين الشريفين والمشرق والشام والقسطنطينية وغيرها من البلدان التى رأيناها ومررنا بها. لخ.

وقد فصل ابن عثمان أخبار هذه الوجهة وبين مراحلها بالساعات فى رحلته الثالثة المسماة بـ (إحراز المعلى والرقيب، فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب) وكان جمعه لها بأمر المترجم له عند سفره حسبما أشار لذلك صدرها.

وفى سنة ١٢٠٠ أرسل السلطان المترجم كاتبه أبا القاسم الزيانى سفيرا للأستانة بهدية عظيمة للسلطان عبد الحميد، من جملتها أحمال من سبائك الذهب الخالص مثل بارات الجديد وأربعة آلاف قنطار من النحاس فأقام هناك مائة يوم فى رعاية وإكرام إلى أن قضى الغرض وقابل السلطان، واشترى الكتب التى أوصاه المترجم بشرائها ووجد سفارة الكاتبين قبله لازالت هناك فى انتظار موسم الحج من العام القابل.

ولما أراد الرجوع وجه معه السلطان وبلغه مكاتب السلطان عبد الحميد وهديته وقص عليه خبر سفارته وما قال وما قيل له وأنهم أبدوا له رغبتهم فى السلف من المترجم، فأمر بتوجيه إعانة للدولة على الجهاد وقدرها ستمائة ألف ريال وخمسين ألف ريال سبائك ذهبية جعلها فى صناديق، وختم عليها ووجهها على يد ملك إسبانيا فملك فرنسا وهو يبلغها للسلطان عبد الحميد.

فجاء الجواب ببلوغ المال فى ستين يوما، وكان قد جاء كاتب آخر وجهوه بعد الذى ورد مع الزيانى، فبعث لهما المترجم الجواب المذكور، فتعجبا من علو همته وحسن مسارعته لأعمال الخير والبر، ثم كتب لهما الجواب وأرجعهما مكرمين.

وكان قصده رحمه الله بإرسال تلك إلاعانة على الوجه المذكور الفخر على الملوك وإظهار الغنى وكمال الثروة للدول، وقد بين الزيانى سفارته هذه فى كتابه الترجمانة الكبرى، الجامعة لأخبار المعمور برا وبحرا.

وفى سنة ١٢٠٢ ورد عليه سفير السلطان عبد الحميد خان المذكور وهو كاتب ديوانه أحمد أفندى فى جملة من أعيان القسطنطينية مصحوبا بهدية فاخرة منها سفر واحد مشتمل على صحيحى البخارى، ومسلم، والموطأ، والمسانيد

الستة، والشمائل، وعمل اليوم والليلة. قال فى درة السلوك: والسفر الجامع لما ذكر غير كبير الجرم، ومنها سروج ثلاثة مرصعة بالجواهر، وصينية ذهبا وكئوس عشرة من الذهب أيضا وبراد ذهبا، كذلك الجميع مرصع بالجواهر واليواقيت والألماس، وجبنيتان مرصعتان بالألماس وراية عظيمة من الحرير الأخضر مكتوب عليها بالذهب الأحمر آيات قرآنية، وتخوت وثياب من عمل الهند وحلب، منسوج بالذهب، ومصحف كريم محلى بالذهب مرصع بالجوهر، وأقواس للرمى محلاة بالذهب مرصعات بالجوهر، وبسط أرمنية بمخائدها وسجاداتها.

وفى سنة ١٢٠٣ أرسل السلطان المترجم صاحبه القائد محمد الزوين ولد القائد عبد الله الرحمانى وأخ زوجه السيدة البتول الرحمانية سفيرا للسلطان عبد الحميد مصحوبا ببعض الأسارى الذين أنقذوا مما كانوا فيه، وهدية من جملتها ثلاثون وصيفا من الأرقاء وفرسان من عتاق الصافنات الجياد، وسرجان مزركشان بالذهب مرصعان بأنفس الجواهر، وسفن أربع عدة رجالها نحو أربعمائة رجل بين رؤساء وبحرية وطبجية، وكان رؤساء تلك السفن الذين ذهبوا بها الرئيس على الصابونجى السلوى والرئيس قدور شايب عينو الرباطى والرئيس عبد الله العمرى السلوى والرئيس محمد العنقى(١) الرباطى التركى الأصل حسبما وجدت أسماؤهم بخط كاتب الديوان الجهادى بسلا فى ذلك العهد، سيدى عبد القادر الجعيدى، وإليك نص الكتاب الذى توجه به السفير المذكور:

«المقام المتوج بتاج العز والعناية والسيادة، والمحلى بحلية الفضل والمجادة، البالغ فى أفعال الخير حد النهاية، والكوكب الطالع فى برج اليمن والسعادة، معدن السادات الأخيار، الأجلاء المجاهدين لأعداء الله الكفار، من جعلهم الله

(١) فى هامش المطبوع: «بالرباط قرب السوق من ناحية المسجد الأعظم يسمى إلى الآن بدرب العنقى».

حمـاة للإسلام، وأنام سبـحانه فى ظلهم جمـيع الأنام، سلطان البرين، وخـاقان البحرين، وخـديم الحرمين الشريفـين، السلطان بن السلطان عبد الحمـيد خان بن أحمـد خان جعل الله أيامهـم السعيدة كلهـا محمودة، ومـآثرهم الكريمة شهـيرة مشهودة، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته ورضوانه.

أما بعد فيصل حـضرة أخينا المنصور بالله، صحبة خديمنـا القائد محمد بن عبـد الله، خمـسمائة أسـير وستـة وثلاثون أسيـرا منّ الله تبارك وتعالـى عليهم وأنقـذهم من الأسـر والحمـد لله الذى منّ علينا بإنقـاذ إخـواننا المسلمـين من يد الكفرة، كما يصل حضرة أخينا العلية بالله أربعة مراكب من مراكبنا الجهادية هدية منا إليك، ونطلب مـن الله النصر والـتمكين، والفـتح المبـين، لنا ولكم ولسـائر المسلمـين، وأن تكون عسـاكر المسلمـين أعزة منصـورة، وأعداء الله الكفـرة أذلة مقهورة، والسلام فى أوائل شعبان عام ١٢٠٣».

ومن إعانة المترجم للدولة العثمانية مـا وجهه لها مع القائد مبارك بن هماد، والأمين الحاج عبد الله الشرايبى وهو ستمائة ألف ريال، وما بعثه مع القائد الطاهر فنيش وهو أربعة آلاف برميل من البارود فى كل واحد منهـا قنطار، ووجه معه مرة أخرى أربعة مراكب قرصانية.

وبعث للسلطان عبد الحـميد مرة ثلاث سفن جـهادية بإقامتهـا، واثنى عشر مائة قنطار مـن البارود الرومى، وأربعة آلاف قنطار من ملـح البارود المغربيـة بعد تصفيتها، واثنى عشر مـائة قنطار من النحاس، وثلاثمائة ألف دينار وخمس عشرة وصيفة من قصر الخلافة كلهن ماهرات فى الطبخ، ومصحفا كريما محلى بالذهب مرصعا بالألماس يساوى مائة ألف دينار، وسرجين، وجبنيتين، الجميع مكلل بالدر والياقوت، وعشرين مـدفعا من المدافع الكبار النحاسية، وعشـرة من الخيل العتاق العراب التى لا يوجد فى دول العجم مثلها.

علائقه مع إسبانيا

كان سبب نشوء العلائق بين المترجم ودولة إسبانيا وجود أسارى المسلمين فى بلادها، وقد علمت رغبته رحمــه الله فى افتدائهم من أى بلاد كانوا، وتقرر أمرها واشتهر، فاتفق أن وردت إليه عــدة رسائل من أولئك الأسارى وفيهم بعض الطلبة وعلماء الدين يعلمــونه بما هم فيه من الشــدة والضيق، فلما اتــصل بها تمكنت منه ضراعتهم فأمر لهم بصلة حسنة، حسبما هى عادته معهم فى كل سنة.

وكتب فى الحــال لملك الإسبان (كارلوس الثــالث) يقول له: إننا فى ديننا لا يسعنا إهمال الأسارى وإبقاؤهـم فى قيــد الأسر، ولا حجة للتغافل عنهم ممن ولاه الله التــصرف والأمر، وفــيمــا نظن أن فى دينكم لا يسوغ لكم ترك أســاراكم فى الأسر مع الإمكان والاستطاعــة ووجود ما يفتدون به من أســارى المسلمين واتساع البضاعة، فمــا للتغافل من الجهتين وجه يعتبــر، ولا أمر ينتظر، والحرب سجال، فى المبارزة والنزال.

ومــســألة هى من أعظم هذا كله، هى إغـفــالكم عن البــحث فى أســارى المسلمين حتى يتــبين لكم العالم بعلمه، والجاهل بجهله، ثم تجـعلون لأهل حرمة ومكانة، وعزة وصيانة، بحيث تجعلون لهم كعلامة يميزون بها عن الغير، حتى لا يقع أحد فــيهم بشتم ولا بهضم حــرمة فى مقامــهم والسير، مثل مــا نفعله نحن بأساراكم من الفــرايلية، إن قدر الله بأسرهــم لا نكلفهم بخدمة، ولا نخـفر لهم ذمة، فعلام تحـترمون الرؤساء من الأسارى؟ ولا تعبئــون بحامل كتاب الله، على أنهم أفضل منهم عند الله، ومطلق أساراكم لا نحملهم ما لا يطيقون، ولا نلزمهم ما لا عليه يقدرون، نترك مريضهم لمرضــه، ونسمع ضراعتهم وننصت لما يقولون، فتأمل ذلك فى نفسك، واعمل بمقتضاه وأمر به أبناء جنسك.

فلما وصل هذا الكتاب للملك سر به وأمر فى الحين بإطلاق الأسارى الذين بحضرته وبعث بهم للمترجم، وأخذ يبحث عمن بقى من أسارى المغرب متفرقا فى بلاده، وأجاب بتلطف وتودد وتحبب ورغب فى المهادنة مثل ما وقع لمن تقدمه من الدول.

فلما وصل كتابه للمترجم بذلك وقع منه موقعا حسنا، وأمر على الفور بمقابلة الجميل بمثله، فأطلق لملك الأسبان سراح جميع الأسارى الإسبان، وقدم له اثنين من رجال الدين عندهم كانا أسيرين منذ مدة، وبعث له بعدة من الأسود هدية، وكتب له كتابا بذلك ووعده بالمهادنة وسراح أسارى من غير جنسه، لتكون له بذلك مزية على غيره من الدول، وإشارة لما ينبغى من عدم التفرقة بين أسارى المغرب وأسارى غيره من بلاد الإسلام.

ووجه الجميع على يد حاكم سبتة، فلما وصل ذلك للملك سر بذلك كل السرور وشمر عن ساعد الجد، وهيأ هدية بالغ فيها غاية الجهد، وبعثها مع كبير الرهبان وبعض الضباط، وأصحبهم كتابه مع السفن لحمل الأسارى الذين سرحوا، والفرقة الموعود بها وطلب من المترجم أن يبعث له ببعض رجال دولته لتكمل بذلك المواصلة ويشتهر أمرها، فأسعفه بذلك وبعث إليه خاليه عمارة بن موسى الأودى، ومحمد بن ناصر الأودى، وأحد كتابه أبا العباس أحمد الغزال، ووجه معهم عدة من الإبل وعتاق الخيل، هدية للملك لما له فى ذلك من المحبة والميل.

ولما حان وقت التشييع لقن الكاتب المذكور ما يكون عليه عمله، وأوصاه بتفقد حال بقية الأسارى واختبار أمورهم، وأعطاه صلة أنعم بها عليهم، وأمره أن يحصى كل واحد باسمه ولقبه، واسم رئيسه ومركبه، وتمييز الحامل لكتاب الله من غيره ومواعدة الجميع بخير، وأمره بتقييد ما يلقى فى رحلته، ووصف ما يرى فى وجهته، وأحضر سفراء الملك ودفع لهم الأسارى الطاعنين فى السن من غير

جنسـهم، وخـرج الجـميع من مكناسة لطـنجة، ومنها كـان ركوبهم لإسبـانيا، ودخلوا فى طريقـهم لسـبـتة منتـصف ذى الحـجـة سنة ١١٧٩، وأطلقت لأجل حلولهم بها المدافع، وتلقوا فيـها بكل ترحيب، وأقاموا فيهـا ستة أيام، فى رعاية وإكرام.

وطلب منهم حاكم المدينة أن يكلموا له المجاهدين المرابطين على أبواب سبتة وحدودها ليتركوا مواشى المدينة ترعى قرب رباطهم بقليل، فأجيب إلى ذلك.

وفى الواحد والعـشرين من ذى الحجـة ركبت السفـارة منها البحـر للجزيرة الخضراء، وشيـعت بالمدافع كما تلقيت بمثل ذلك فى الجزيرة، وأقيمت فـيها حفلة رقص تكريما لها، حـضرها حاكم المدينة وغيره، ومن الغـد اتصل الحاكم بكتاب ملكه يخبره أنه بـعث خمس مراكب لمرسى سبتـة لعبور السفارة عليـها، وأمره إذا كانت قد عـبرت قبل وصول الكتـاب أن يبقيهـا فى ضيافتـه ثلاثة أيام حتى تجيء الخيل التى بعثها للسفارة، فإذا مرت الأيام دون مجيئها فليبعثها مع ثلاثين فارسا مما عنده.

ومن الجزيرة ساروا لمدينة طريف فـدخلوها فى ازدحام عظيم واحتفال كـبير كما خرجـوا منها فى مثل ذلك إلى مدينة (حراثة) حيث التقـوا بالخيل المبعوثة من الملك مع الفـسيان المكلف بمصـاحبتـهم، وقد ذكـر لهم اعتناء الملك بهم وتشـوفه لملاقاتهم، وأقيمت للسفارة فى هذه المدينة حفلة رقص وشاهدت مصارعة الثيران، المعروفـة عن الإسبان، ثم ساروا لمدينة (حـريز) ومنها لـ(الابريخة) فـ(بلاصـيوص وبلا فرنكة) فـإشبيليـة، حيث نزلوا منها بقـصر فخم للملك وشـاهدوا جامعـها الأعظم ومصنع المدافع والمـدرسة البحرية، ومـنها ساروا لمدينة قـرطبة على طريق قرمـونة (فالفوينصى) فـ (أيسـخا) فـ (الراملة) فزاروا جـامعهـا الشهير ورأى فـيه الغزال لوحتين كتبت فيهما البسملة والصلاة على النبى ﷺ موضوعتين بعتبة بعض

الأماكن المخصصة لسكنى الرهبان، فاقترح عليهم رفعهما لأعلى سور المسجد تكرمة لما فيهما، فأجابوه لذلك بعد أن راجوا وماجوا واعتذروا، ثم ساروا منها يخترقون البلاد إلى عاصمة مدريد، ومنذ خرجوا من قرطبة ورسل الملك تتردد عليهم بالترحيب والسلام من قبله، ثم يرجعون إليه.

ولما دنوا من مدريد وكان هو فى بعض ضواحيها أرسل إليهم أحد أعيان رجاله مصاحبا لكتابه مضمنه التهنئة بالقدوم وأمر الفسيان المكلف بمرافقتهم بالذهاب بهم إلى مدريد، كما أمر بالاستعداد لدخولهم إليها، وأن يكون اليوم مشهودا، وأن يذهب بهم إلى أماكن خاصة ليروها، وقد كانت السفارة تقابل فى المدن التى مرت عليها فى طريقها لمدريد بالحفاوة العظيمة ويحتشد الناس لرؤيتها من أطراف البلاد وتحيا بالمدافع والموسيقى والسواريخ، وتذهب فى خفارة الجنود المصلتة السيوف إلى الدور المعدة لنزولها، وتقام لها حفلات الاقتبال والرقص والغناء لأعيان المدينة، وتدعى للحفلات والمشاهد.

ولما وصوا لمدريد نزلوا فيها بالقصر المخصص لنزولهم، وهو قصر بديع بناه فيليب الرابع، ولم تزل أعيان الدولة الاسبانية تتوارد إليهم بقصد السلام والترحيب حتى إنهم لم يجدوا استراحة مقدار لحظة، ثم ورد خبر موت أم الملك فأعلن الحداد عليها فى البلاط الملوكى وتأخرت بسبب ذلك مقابلة الملك حسبما أفصح بذلك وزيره فى رسائله للسفارة، وقد أقاموا بمدريد ما يزيد على الشهر بأيام قلائل، زاروا فى أثنائه بعض مشاهدها ومنتزهاتها وقصورها.

وكان الجمهور الإسبانى يجتمع كل عشية حول القصر الذى نزلوا فيه رغبة فى مشاهدتهم فكانوا يشرفون عليهم مشيرين إليهم بالتحية فيضجون بالدعاء للسلطان المترجم ويتفرقون مسرورين، ثم يجتمع مثل ذلك فى الغد، وهكذا وفى مدريد تقدمت إليهم شكوى من أربع وعشرين من أسارى المسلمين فوجهت لهم بالمستشفى صلة ووعدوا خيرا.

ثم بعث لهم الملك بأكـداش ليركـبوها ويذهبوا إليـه للمدينة التـى هو بها، فخرجوا من مدريد عاشر ربيع الأول سنة ١١٨٠ ومروا على الطريق الجارى العمل بتمهيـدها قرب قرية (ورامة)، وكان أسارى المسلمين يعـملون هناك فى شق الجبال وهد الشواهق بالبارود، وكـانوا يصابون فى ذلك ولم يتيسر للسفـارة لقاءهم لأنها كانت تسرى ليـلا فلم تشعر إلا وقد جاوزت محل قـرارهم الذى واعدتهم باللقاء عنده، فكتبت لهم إنها ستلاقيهم عند الأوبة.

ولما أشرفوا علـى (لا كرنخة) مقر الملك ومـصيفه خـرج لاستقبـالهم أعيان الدولة ووزراؤها مرحبين مهنئين بالنيـابة عن ملكهم، وقدموا لهم أكداشا ركبوها، وسـاروا فى جمع عظيم إلـى محل النزول، ومن الغـد اسـتدعـاهم الوزير لمحله فذهبوا إليه، وجرى بينهم الحديث فى عـلائق الدولتين ومحبة الملك للسلطان وأنه مسرور من إيصاء السلطان على الإسبان، الواردين على المراسى المغربية بالإحسان، ثم أخبرهم بأن لقاء الملك يكون من الغد.

وفى الغـد أتاهم الوزير بكدش يركـبه الملك، وأخـبرهم أنه يريد رؤيتـهم، فركبوا إليه والتقى بهم عند الباب خلق كثير من رجال الحكومة وسفراء سائر الدول وغيـرهم من الخاصة والعـامة مسلمـين بعكس الرءوس ونزع غطاءها، ولما دخلوا على الملك وجـدوه قـائمـا وعن يمـينه الراهب الملازم له وعن يسـاره أربعـة من الوزراء، فلما دنوا نزع ما على رأسه وطأطأه شيئا ما، وبعد السلام هنأهم بالسلامة وسألهم عن تعب الطريق وعمـا لقوا فى المدن التى مروا عليها، فـأجابه الغزال بما يناسب، وأنهم لقوا فى المدن المبرة والإكـرام، وأن الكتب بذلك سارت للسلطان، وتحقـقت عنده محبـتكم ثم أخذ يسـألهم عن السلطان، وكلما ذكـره نزع ما على رأسه فـأجابه إنه بـخير، وإنك عـنده بمنزلة لم تكن لغيـرك من الملوك المصالحـين مراعاة لما صدر منكم فى قضية الأسارى.

وكان لا يزال واقفا وقد طال وقوفه بما يزيد على ربع ساعة فاستأذنه الغزال بواسطة الترجمان فى الانصراف إشفاقا عليه من طول الوقوف طالبا منه المسامحة على ما يحصل له من التعب الناشئ عن اقتباله لهم الموجب لوقوفه، ذاكراً أن نفوس الولاة ليست كنفوس الناس، فانشرح لهذا الخطاب وجعل يضحك وينظر للأعيان الحاضرين متعجبا وشكره على كلامه، ثم طلب منه الإذن لوزيره فى المفاوضة معهم فى أمور منها ما أمرهم به السلطان، ومنها ما اقتضاه الحال، فأجابه إلى ذلك، وأمر وزيره بتعاهدهم ومباشرة أمورهم، وفوض له فى ذلك، ثم انصرفوا عنه وقد أوصى أعيان دولته بكثرة التردد على السفارة صباح مساء، وكتب السفراء لدولهم يصفون حالة هذا الاقتبال الذى بهتوا له ولم يحصل لأحد مثله.

ومن الغد ذهبوا للسلام على الأمراء أولاد الملك الأربعة وأختهم بأمر من الملك، حيث طلبوا منه ذلك، ثم ساروا إلى أخ الملك لزيارته فتلقاهم بالرحب والسعة وأراهم بعض النفائس التى عنده، ثم انصرفوا من عنده، وفى آخر اليوم استدعاهم الملك لزيارة حدائق قصره ومشاهدة ما أعد فيه مما صنعه المهندسون فى جريان المياه على صفة غريبة، وكانوا يتنزهون بتلك الحدائق كثيرا بأمر الملك، كلما ذهبوا إليها تلقاهم أخوه وأولاده وبنته بالبشاشة والترحيب، كما أمر أن يروا معمل الزجاج والبلور.

ثم جاء للسفارة إعلام بلقاء الملك خارج المدينة صحبة الهدية السلطانية، فلما كان الوقت صارت للمحل فوجدت القوم قد اصطفوا هناك وتلقاها الوزراء الأربعة، ثم لم تلبث إلا والملك مقبل هو وأخوه فى كدش تتبعه أكداش أخرى حاملة أولاده، فنزل من كدشية وأخذ بيد الغزال وهش وبش، وقال: إن هذا اليوم عنده أعظم عيد، وقدم إليهم اثنين من أولاده الصغار فنزعا قبعتهما وأعلنا بالدعاء للسلطان وبالحياة للسفير، فضمهما الغزال إليه فرحا بهما، ثم قدمت إليه الخيل

فجعل يمسح على كفل كل فرس ثم يستره بجلاله ويقبله بين عينيه، وقال إن هذه الخيل أريد أن تنسل منها خيلا حرائر، وكذلك الجمال سر بها سرورا عظيما.

ولما حان الانصراف أمر بإحضار الكدش الذى يركبه الغزال، فقدم إليه ثم أراد من الغزال أن يركبه قبل ركوبه هو زيادة فى الاعتناء والإكبار، فامتنع الغزال من ذلك فحتم عليه، ففعل بمرأى من جماعة سفراء الدول الذين كتبوا بذلك لدولهم.

ثم أراد الملك أن يبعثهم لمدريد لأن هواء المدينة لم يوافقهم ومنها يكون انصرافهم بعد صحبة سفيره الذى يريد إرساله للسلطان مع هديته، فأرسل وزيره إليهم يخبرهم بذلك، ولكن الغزال ذكر لهم أن السفارة مأمورة بالذهاب لقرطجنة لملاقاة الأسرى والنظر فى شئونهم وتفريق المال عليهم، وكذلك ستذهب لغرناطة ومالقة وقالص لاستصحاب العالم الأسير بها، وفى مدة ذلك يتمون هم أغراضهم وأعلن مع ذلك استعداده لقبول رأيهم فوقع العمل برأيه.

ثم أخذ يكلم الوزير فى المطلب التى جاء بها، منها تسريح الأسارى الطاعنين فى السن والبصراء والمصابين بفقد بعض أعضائهم ومن فى معناهم من أى بلاد كانوا ثم ما قد تجده السفارة من أسارى المغرب عند استعراض جميعهم واستيعاب أسمائهم وألقابهم، ثم إطلاق رجلين من الجزائر أحدهما طالب علم وهو الفقيه السيد مصطفى بن على البابادغى، والآخر ذو مروة.

وقد كتب للسلطان طالبا منه إنقاذه من الأسر، ثم أمور اشتكى منها الكثير من الأسارى، منها أنه إذا مات أحدهم يتولى دفنه إخوانه ومتروكه لهم وألا يولى عليهم أحد من المتنصرة حال الخدمة لأنهم أضر عليهم من مطلق النصارى، وأن لا يمنعوا من كتب رسائلهم بالعربية، وأن يرفق بهم فى الخدمة ولا يكلفون ما لا

يطيقـون، وأن يعالج مـريضهم بالمسـتشـفى كغـيره، وأن لا يلزموا بالـعمل وقت صلاتهم، وأن لا يهملوا فيما لابد منه من الكسوة والمأكول.

وذكر للوزير أن هذه الأمـور لا تكبر على الملك، ولا يأمـر بخلافـها ولكن المكلفون بهم يجحفون بها ويؤذونهم، فوافق الوزير على جميع ذلك وأمضى عليه بعد إعلام ملكه به، وفى الحال أمر لجميعهم بالكسوة وأوصى بالرفق بهم.

وسأل الـوزير نيابة عن ملكه هل لكم مـن حاجة أخـرى نفوز بـقضائـها، فشكروه على تحقيق أملهم فى شأن الأسرى وأنهم لم يبق لهم إلا ما وعد به الملك على لسان الراهب الملازم له من كتب الإسلام، وتميـيز حملة القـرآن من الأسرى بعلامة يعرفون بها.

ثم ذهبوا لمدينة (شغوبية) لرؤية الرؤساء الأربعة عشر الأسرى المسجونين بها إجابة لطلبهم، فأنسوا غربتهم وواعدهم خـيرا، وبقوا معهم، من الصباح للعصر، وأحضر الغـزال المكلف بهم وأوصى بهم وواعده بقضـاء غرض له عند الوزير فى مقابلة ذلك، ولما أرادوا الرجـوع لـ(الاكرانخة) وجدوا بباب مدينة (شـغوبية) تمرينا على الرمى بـالمدافع أقـيم لهم هنـاك، وبعـد أربعـة أيام من ذلـك خـرجـوا من (الاكرانخة) للاسكوريال بعد الوداع، ومنها لمدريد.

وفى أثناء الطريق التقوا بالأسارى فأنـسوهم وواعدوهم، ودفعوا لهم الصلة السلطانيـة الجارية عليهم عـادة كل سنة، ووجدوا الكثـير منهم مـثقلا بـالسلاسل لتكرار فرارهم، فكتب الغزال للملـك متشفعا فى إزالة قيـودهم وراغبا فى إطلاق رجل أعـماه البـارود فأجـابه إلى ذلك، وكان عـدد أولئك الأسرى العـاملين فى الطريق التى بين المدينتين مـائتى أسير وأربعة، وكـانوا ثلاثمائة فر بعـضهم ومات الآخر، وجلهم من الجـزائر وبعضهم أتراك ولما دخلوا مدريد توجـهوا للمستـشفى لزيارة بعض الأسرى المرضى المعالجين به وإعطائهم صلتهم وإيصـاء كبير المستشفى

عليهم بزيارة الاعتناء بهم، ومكثوا فى هذه المرة ما يقرب من الشهر فى انتظار ما وعدوا به من كتب الإسلام التى كانت بمدريد، ثم أضافوا لها كتبا أخرى من غرناطة ثم أخرى بعثت لهم لقالص.

وفى الثامن والعشرين من جمادى الأول بارحوا مدريد إلى (ارخويس) إحدى مصايف الملك، فمكثوا بها يومين، وزاروا القصر الملوكى، ثم ساروا إلى طليطلة فزاروا مسجدها الأعظم، وركب الغزال مع الحاكم للطواف على الآثار الإسلامية بها، ومكثوا هناك ثلاثة أيام ثم ساروا متنقلين فى القرى والبلاد إلى قرطاجنة، فلما أشرفوا برز للقائهم جماعة من المسلمين رجالا ونساء وصبيانا معلنين بالهيللة ثم يتبعونها بالدعاء للسلطان ولهم ضجة، وكانوا مسرحين وحكمهم حكم الأسير لا يستطيعون الخروج من البلاد إلا بعد أداء ما أوجبوه عليهم وواعدوهم وبشروهم بأداء ما يطلبون به وحملهم لبلادهم، فأخذت نساؤهم فى الزغاريت وصبيانهم يرقصون والرجال يشكرون الله ويدعون للسلطان الذى أنقذهم.

وقد خرج للقائهم حاكم المدينة وأمراء البحر وغيرهم ودخلوا على العادة فى ازدحام عظيم، ثم بعد ذلك ذهبوا لرؤية الأسرى بحضرة المكلف بهم فتلقوهم بالإعلان بالشهادة والدعاء للسلطان، وأخبروهم بما أتوا لأجله، وجعل الغزال يكتب اسم كل واحد ولقبه والشيوخ الذين يقع الاختلاف فى قوتهم طلب الغزال أن يحكم فيهم الأطباء، فأحضروا فكان المسرحون من الشيوخ اثنين وستين نسمة، ومن أهل المغرب أربعين وجدت أسماؤهم مكتوبة على أنهم مغاربة، ثم ألحق بهم عند الاستعراض واحد وعشرون ثبتت مغربيتهم، والمنتسبون الذين لم تثبت نسبتهم أخروا للاستفسار.

ثم بعد ذلك فرقت عليهم الأموال المنعم بهـا عليهم، ثم أخذت السفارة فى مخاطبة الحاكم فى الأسرى المرهونين فى الأداء فـأحضرت رسوم فكاكهم فوجدت صحيحة، فأدت السفارة عنهم الواجب وكان بينهم امرأة لها بنتان وأبوهما لا يزال أسيرا ففدى منه.

ثم أخذ الغزال يبحث عن الأسرى الذين بيـد أفراد الناس ليعطيهم صلتهم، فكان من جملتهم بنت من ناحـية تلمسان قد بلغت الحلم يملكها جـيار منعها من الذهاب للسفارة حتى سمع أن ذلك إنما هو لأخذ الصلة، فلما جاءت أخذت تبكى وتطلب العتق وذكرت أنهم يريدون بيـعها ببلدة بعيدة، وأن ربتهـا تدعوها لدينها، وأنها لا تريد بالإسـلام بديلا، فوقع فداؤها بـعد توسط الحاكم عند مـالكها الذى علق ذلك على مشورة زوجـه، وهذه أجابت لذلك بعد المشقة الفادحـة، فأضيفت للنساء وأجريت عليها النفقة.

كما وقع إنقاذ أسيرين آخرين، أحدهما كان عند «الضون اسدر كم صلص» التاجر الجميل الأخلاق الذى أنزلت بداره السـفارة فى إكرام بقرطجنة، وكان يريد أن يفتدى والسـفارة لا ترى من المروءة أن تخاطب صاحـبه فى شأنه وهى فى داره موضع إكـرامه، فلما بلغـه ذلك قدمه هدية وأبـى أن يقبل عنه عوضـا، فلما أبى الغزال قبـوله إلا بعوضه قال: فلتكن المكافأة عند وصـولى لبلادك فى المسائل التى تعرض لى بالبربرية، والثانى تونسى مسن كان عند ضـابط اسمه «سبيكيلطو» قدمه صاحب هدية ورجع مشكورا.

وقد حـمل الأسرى من قرطجنة لقـالص فى مركب حربى أعـد لهم حيث يذهبون مع السفـارة من هناك، وذهب أصحاب النساء والأولاد فى مـركب اكترى لهم بمائتى ريال وخمسين ريالاً خشية حدوث ما لا يحمد من الجنود.

وبعد ذلك ذهبت السفـارة لزيارة مرسى المدينة ورؤية معاملهـا البحرية، ثم غادرتها إلى لروقة، ثم سارت فى طريقها إلى غرناطة إلى أن بلغت قالص، فخرج القوم للقائها يـتقدمهم السفير الإسـبانى الذى سيرافقها للـمغرب، والتقت بداخل المدينة بمن فك من الأسـرى القادمـين من قـرطجنة، وقد انضم إليـه من ورد من «برطونة» و«الكراكة» فصارت جملتهم ثلاثمائة إلا عشرة، وبعد انتظار هدية الملك التى يذهب بهـا سفيـره، أبحر الجـميع إلى تطوان فـوصلوها بعد أربع وعـشرين ساعة.

وقد ضـمن الغزال أخبار هذه الرحلة كـتابه (نتيـجة الاجتهـاد، فى المهادنة والجهاد) وصف فيـه المدن التى مر عليها، والقصور والمشـاهد التى رآها وبقية آثار الإسلام التى هناك امتثالا للأمر المولوى.

وفى سنة ١١٨٢ كـتب ملك الإسبـان للسلطان يطلب توسطه بين صـاحب الجزائر وبينه فى شأن مـبادلة أسرى الفريقين، فكاتب المتـرجم والى الجزائر يعرض عليـه المفاداة فـامتنع، فكرر الكتب إلـيه ثانيـا وثالثا فى الحض على فكـاك أسرى المسلمين فـأجاب لذلك بعـد الوعظ والتحذيـر، فكتب المترجم حينئـذ للملك أن تبعث أولئك الأسرى فى مركب للجزائر وينتظر هناك وصول السفير الذى سيرسله من قبله ليـتولى المفاداة بنفـسه، وكان هذا السـفير هو الغزال مـع صاحبيـه، فلما وصلوا للجزائر أرسى مركب الإسبان بظاهر مـرساها، وأنزل من فيه من الأسرى، فاخـرج أهل الجزائر مثل عـدهم من الإسبان وانقلب الغـزال راجعا إلى الحـضرة السلطانية.

وذكر الكاتب ابن عثمان فى آخر رحلته إحراز المعلى والرقيب أنه لما قدم من سفـارته للمغرب سـنة ١٢٠٢ أمره المترجم بالورود عليـه لمخيـمه بالحيـاينة قال: فتلاقينا معه أدام الله تعالى عزه فبقينا مخيمين هناك ثلاثة أيام، وقد كان ورد عليه

جمع من أسارى المسلمين بعثهم إليه عظيم الإصبنيول على سبيل الإهداء والإكرام لكونه لما عمل الصلح مع أهل الجزائر ووقع فداء الأسرى بينهما من الجانبين على ما تقتضيه قوانين الصلح امتنع أمير الجزائر من إعطاء المال فى هؤلاء الأسارى كما فعل النصارى فى إخوانهم، ولم يقبل أن يفديهم بالنصارى، بل قبض المال فى أسارى الإصبنيول الذين عنده، ولم يرد بهم بدلا بأسير مسلم، وأهمل هؤلاء المسلمين وأبقاهم بأيدى الكافرين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما سمع ذلك عظيم الإصبنيول اغتاظ من ذلك وأعطاه ما أراد من المال فى النصارى إخوانه، وجمع هؤلاء الأسرى من المسلمين وبعثهم مجانا إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على سبيل الإهداء والإكرام لما يعلم من حرصه أيده الله تعالى على إنقاذ المسلمين، وأن هدية الأسارى عنده لا يعادلها شيء من هدايا الدنيا وقد كان عند هذا الجنس من الأسارى الآلاف فأنفذهم جميعا لسيدنا أدام الله علاه، وأبقاه وتولاه، منذ عمل معه الصلح، وهو أيده الله فى كل حين يخرج منهم حصة، فكان آخر من بقى من المسلمين بأيدى الإصبنيول هذه الجماعة.

ثم ذكر أن المترجم كلفه بإيصالهم إلى بلادهم ناظرا إليهم فى ركوبهم وأكلهم وشربهم حتى يوصلهم لتلمسان ويدفعهم إلى عاملها ويفرق عليهم الصلة هناك عشرة مثاقيل لكل واحد، ففعل ما أمر به وتوجه بهم إلى تلمسان وقضى الغرض.

وقد ذكر ابن عثمان فى الرحلة المذكورة أنه رحل لبلاد الأندلس عام ١١٩٣ كما أشار فى رحلته البدر السافر إلى ذلك وإلى سابق معرفته بملكها كارلوس الثالث، وإلى وصفه لمدينة قادس فى رحلته المسماة (بالإكسير، فى فكاك الأسير) وغير ذلك مما يفيد أنه تولى السفارة للمترجم إلى إسبانيا وقد صرح بذلك أخيرا وذكر أنه عقد معها معاهدة صلح من شروطها عقد صلح مع ملك نابولى الذى هو

ولد ملك الإسبان، فتكون هذه معاهدة ثانية بعد معاهدة الغزال التى من شروطها الصلح برا وبحرا المشار لها فى قضية حصار مليلة.

وفى سنة ١١٩٩ أسر أهل الجزائر أميرة من بيت ملك إسبانيا كانت ذاهبة فى مركبها لزيارة عمها صاحب نابولى، وامتنعوا من فدائها فكتب الملك للسلطان أن يتشفع فى فدائها بكل ما يطلبون فأسعفه، وكتب لصاحب الجزائر فى ذلك فاعتذر له بأنها وقعت فى سهم الجيش ولا يمكن إكراههم على الفداء فوجه السلطان كتابا للسلطان عبد الحميد العثمانى يذكر له ذلك فكتب لأهل الجزائر يوبخهم على رد شفاعة السلطان ويأمرهم بتسريحها، ويذكرهم بما فعله السلطان من تسريح أسارى الأتراك فأرسلوها إلى حضرة السلطان وكتبوا إليه معتذرين بخشية بلوغ خبرها لسلطانهم والافتيات عليه فى إطلاقها.

مع مالطة

وبعد أن أنقذ المترجم له الأسارى الذين كانوا عند الإصبان وجه همته لإنقاذ غيرهم من الأسارى الذين عند غيرهم، فوجه لجزيرة مالطة - وكانت يومئذ بيد الطائفة المعروفة بفرسان رودس - كاتبه السيد محمد الحافى وأمره بتقييد زمام أسارى الأتراك الذين بها فبقى هناك وثيقة ورهنا فى مال بعض المالطيين الذين كانوا بالحضرة السلطانية فى بعض الدعاوى على ما فى البدر السافر، وقد تقدم نقلا عن الزيانى أن أهل الجزيرة أنكروا الفداء وردوا المال، فوجهه السلطان به إلى الدولة العثمانية.

وبعد ذلك بنحو سنة أرسل السلطان للجزيرة المذكورة كاتبه وسفيره السيد محمد بن عثمان السالف الذكر، ومعه أربعة من الطلبة وهم السيد عبد الكريم بن قريش، والسيد التهامى البنانى[1]، والسيد محمد المير السلوى، والسيد الطيب بن

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «البنائى» وصوابه من الموسوعة.

جلول لقضــاء الغرض المذكور، وأصحـبهم ما ينيف على ستـة وثمانين ألف ريال لصرفها فى فداء الأسارى.

يبتـدأُ بالنساء والصـبيان والـشيوخ وذوى الأعـذار ثم غيرهـم من الرجال، وأمرهم بالمكث هناك حتى ترد علـيهم خمسة مراكب جـهادية يركب الأسارى فى أربع منها والمركب الكبيـر تتوجه عليه السفارة مـن ثم إلى نابولى لعقد الصلح مع مملكتها وفداء الأسارى الذين بها، فسافروا من حضرته حمراء مراكش فى ثانى ذى الحجة متم سنة ١١٩٥ إلى طنجة فمكثـوا بها اثنين وعشرين يوما فى انتظار الريح المساعد لركوب البحر.

وفى سـابع ربيع النبـوى سنة ١١٩٦ ركبـوا فى مـركب حربـى بعثـه ملك الإسبان لإبحار السـفارة عليه لما سمع أنها تريد التوجـه لقادس لكراء مركب لمالطة وقد وجدوه هناك، فبقى معهم فى الانتظار وقد حياهم بعد الركوب بإطلاق المدافع ثم سار بهم إلى قادس، فتلقـاهم بعد الوصول كبير المراكب الحـربية وأخبرهم أنه مأمور بتنفيذ ما يريدون من المراكب لهم، وتوارد عليهم الرؤساء ليلا للسلام، ومن الغد عند النزول أخرجت المراكب مدافعهـا جوابا لمدافع مركب السفارة وذهبوا فى احتفـال بحرى للبر، ولما وصلوه حيتـهم أبراج المدينة بمدافعها ثم توجـهوا للمحل الذى أعد لنزولهم واقتبلوا حاكم المدينة وأعيانها وكتبوا لملك الإسبان يشكرونه على ما لقوا من رعيته ورجاله ويخبرونه أنهم سيتوجهون إلى ولده صاحب نابلولى بعد قضاء الغرض من مالطة.

وأرادت السفارة أن تتولى الإنفاق على نفسها فأبى عليها ذلك حاكم المدينة، ثم جاء جواب الملك للسفارة مرحبا وكتب للحاكم بقضاء جميع مآربها وتحذيره من التقصيـر مما جعل الحاكم يعتذر لها عن أن يكون قـد صدر منه شىء مما ذكر، وقد

بلغت نفقاتها مدة ستة وعشرين يوما قضتها بين ظهرانيهم ألفى ريال وسبعة وأربعين ريالا كبيرا.

وفى خامس ربيع الثانى ركبوا البحر ولما صعدوا المركب حيتهم المدافع، ومن الغد سار بهم إلا أن اضطراب البحر اضطرهم للرجوع للمرسى فمكثوا بها ثلاثة أيام ثم سافروا إلى مالطة، فوصلوها بعد معاناة أهوال البحر وشدائده فى اثنين وعشرين يوما من يوم خروجهم الأول من قادس، فمكثوا بالمرسى سبعة عشر يوما فى الحجر الصحى، وبعث لهم صاحب الجزيرة يخبرهم بإسقاط ثلاثة أيام من الحجر عنهم لأن مدته كانت عشرين يوما، فحملت أمتعتهم ونزلوا من المركب فحيتهم المدافع وتلقوا فى البر بالأكداش لركوبهم، وفى طريقهم التقوا بصاحب الجزيرة مارا فى طريقه فحيوه بالإشارة، وساروا للمحل الذى أعد لنزولهم دون إجراء نفقة عليهم، لأن السفير الحافى كان لا يزال مقيما فى الجزيرة، فكأنهم لا يستطيعون الإنفاق على السفارتين.

وكان المحل دارا كبيرة فيها نحو السبعين قبة أحاطت به طائفة من الجنود لأداء واجب التعظيم، وبعد ثلاثة أيام أتاهم وكيل كبير الجزيرة وأعلمهم بالملاقاة عند العصر، ولما دنا الوقت أتاهم بكدش الحاكم موكله «منويل درويلد» فركبوه وتوجهوا إليه، فلما دخلوا عليه وجدوه واقفا ولباسه لباس الرهبان، فنزع ما على رأسه وأبدى لهم البشاشة والانشراح وأشار إليهم بالجلوس فجلسوا وجلس، ثم أعاد عليهم السلام وسألهم عن سفرهم وعن البحر.

ثم أخرج ابن عثمان الكتاب السلطانى فقبله ودفعه إليه ففضه فوجده بالعربية فأعطاه للترجمان وطلبوا منه الوقوف معهم فى أمر الفداء فأجابهم لذلك، وعين وكيله ثم انصرفوا عنه بعد هنيئة وتركوه واقفا.

ثم شرعت فى افتداء الأسارى الذين جاءت من أجلهم، وفى أثناء ذلك

راجت إشاعة فى البلد مضمنها أن السفارة جاءت لإحداث ثورة بدليل أن الأسارى إذا سرحوا لا يذهبون بل يجمعون، وأن الأدب المعهود منهم انقلب إلى غلظة، وأن السفارة تنتظر ورود خمس مراكب بحرية، وكان قد سبق قبل هذا بمدة أن اتهم الأسرى بمحاولة الثورة فلم يسع حاكم الجزيرة حينئذ إلا أن أرسل للسفارة يطلب منها ألا تبقى أولئك المسرحين فى البلاد أكثر من ثلاثة أيام قطعا للقيل وتجنبا للكلام، وبعث من اكترى لهم المراكب، وبعد ثلاث ركبوا البحر فى مركبين أحدهما سار لبنى غازى والآخر لطرابلس وكان عددهم نحو المائتين وخمسين، ثم وقع افتداء أسارى آخرين بلغ بهم العدد إلى ستمائة وثلاثة عشر، واكترت لهم السفارة المراكب فسار بهم أحدهما لطرابلس، والآخر لصفاقص، والثالث لتونس بين زغاريت النساء ودعوات الرجال والأطفال.

وقد كانت جماعة منهم تستخدم فى مراكب الجزيرة، فما شعر القوم إلا وقد شملهم الفداء فأرادوا نقضه لما يؤدى إليه من تعطيل مراكبهم، وحصل الشجار بينهم وبين الوكلاء على ذلك، ثم تداخل كبيرهم فى القضية ومضى الفداء وأحصى الباقون من الأسارى المسلمين فكانوا سبعمائة وبضعا وعشرين، تكلمت السفارة مع أصحابهم فى قدر فدائهم وبعثت بتقييدهم للسلطان المترجم عسى أن يضيفهم إلى إخوانهم مشيرة عليه ببعث مال الفداء لكبير الجزيرة.

ثم استعدوا للسفر، وعين لهم صاحب الجزيرة وقت الوداع فذهبوا إليه فيه على الهيئة المتقدمة وتلقاهم آخر كما تلقاهم أولا فشكروه على وقوفه معهم فى ذلك الفداء وودعوه، وكان يبعث إليهم فى مدة مقامهم لحضور الحفلات بقصره ويريهم ما اشتمل عليه.

وفى سابع شعبان من السنة بعد ذلك بثلاث أيام ساروا للمرسى فى الأكداش مع الأعيان المودعين، وركبوا فى السفينة التى قدموا عليها قاصدين نابولى.

فوقع لهم بعد الخروج مثل ما وقع لهم أولا عند الخروج من قادس، واضطروا للرجوع لمرسى مالطة، وبقوا هناك ثلاثة أيام كان يتردد عليهم فيها كبار المدينة يهنئونهم بالسلامة ويدعونهم للعودة لمحلهم، ثم ساعدت الرياح فسار بهم المركب إلى نابولى، فلما وصلها أرسل صاحبها (الملك فرناند الرابع) أحد الأعيان عنده للسلام على السفارة وإبلاغها اشتياقه لرؤيتها، وأن الحجر الصحى ساقط عنها، ودعاها للنزول من يومها، ولكنها تأخرت للغد، وفيه جاءت الزوارق تحمل الأعيان ونواب الملك لإنزال السفارة، ولما نزلت من مركبها أخرج مدافعه تحية لها، ووجدوا على ساحل المدينة أفواج الخلائق مصطفة فركبوا فى الكدش الخاص بهم وتقدمت أمامهم طائفة من خيل الخاص بالمير مصلتة السيوف تفسح لهم الطريق الممتلئة بسكان المدينة.

فما وصلوا لمحل النزول حتى كادت الشمس تزول، وكانت هذه الدار قد أعدت لهم قبل وصولهم بنحو ستة أشهر لما سمعوا بقدومهم، فلما وصلوها وجدوا العسكر مصفوفا ببابها لأداء التعظيم، وتلقاهم فيها أحد أرباب الدولة بعثه الأمير لينوب عنه فى إعادة سلامه على السفارة والترحيب بها، ثم طاف بها على الدار يريها ما احتوت عليه، وقدم لهم ثلاثة أطباق كبار فيها فاكهة وحلويات يحملها ستة من الأسارى المسلمين الذين هناك هدية من الأمير، فتقبلوها شاكرين، وأشاروا إلى رغبتهم فى إلحاق الحامل بالمحمول، فأجيبوا لذلك فكان فاتحة عملهم هناك.

ثم ترادف للسلام عليهم الأعيان والأكابر وأرسل لهم الأمير خمسة أكداش لتكون مركوبهم، وعدة من الخيل العتاق المذهبة السروج المهداة إليه من الملوك،

وبعث لهم طبيبا خاصا لملازمتهم، وبعد ستة أيام استدعاهم الوزير لمقابلته، فذهبوا إليه وأعطوه نسخة الكتاب ليترجمه.

ثم أعلمهم الأميـر بوقت الاقتبال قبل زوال الغد، ومن الغـد جاءتهم الخيل التى سترافقـهم، وجاء بعدها صاحب ملاقاة مع السفـراء مع الملك، فأخبرهم أن الملك مسـتعد للملاقـاة وكذلك الملكة زوجه الألمانية الأصل فى الانتظار بـعد لقاء زوجها، وذلك وإن لم يكن عادة لكنها جعلتها فرحا وسرورا بالسفير ومرسله.

ثم ساروا فى جـمع حاشـد للقـصر الملوكى، وجـعلوا كلما دخلوا قـبة من قبابهـا وقف من فيها ونـزع ما على رأسه إلى أن وصلوا قاعـة الاقتبال، فـاستأذن المرافق المذكور ثم أدخلهم إليها فوجدوا الملك واقفا والقاعة مملوءة بالوزراء وأرباب الدولة، فلما قابلوه أزال ما على رأسه مسلّمـا فأشاروا إليه باليد ثم دنوا منه ففعل كذلك، وفعلوا هم كذلك حتى الثالثة.

فلما التقـوا أخرج ابن عثمان الكتـاب المولوى وقبله ودفعه إليه فـتلقاه بكلتا يديه، ثم سأل ابن عثمان عن السلطان وذكر محبته فيه ورغبته فى مخاطبته وقضاء مآربه وعـقد الصلح معـه كما فعل أبوه (مـلك إسبانيا)، فـأجابه ابن عثـمان بأنه ملحوظ ومقدم عند السلطان، وعن الصلح بأنه لذلك الغرض كان قدومه لما طلب له ذلك والده عامـا أولا لما كان عنده المجيب بإصـبانية، فـأجابه الملك بالكلام مع وزيره، ثم خرجـوا من حضرته وهو واقف ودعوا لمقـابلة الملكة فأدخلهم حاجـبها عليـها فـوجدوها واقـفة والقـبـة ممتلئة بنسـاء الأكابـر والأعيـان فسلمت عليـهم بالانحدار، حتى كادت تجثى على ركبتيـها على عادة نسائهم، فأشاروا لها باليد ثم فعلت ذلك ثلاثا مثل زوجها وفعلوا مثله، فلما دنوا منها رحبت بهم وذكرت طول انتظارهم ووعـدت بالوقوف فى الأمـور الصعـبة مع الملك، فـشكروها على ذلك

وخرجوا مسلمين على الصفة المتقدمة، ثم امتطوا أكداشهم لمحلهم، فلما بلغوه أخذ الأعيان يفدون عليهم مهنئين بحسن اللقاء مع الملك.

ولما قرأ الملك الكتاب السلطانى وعلم ما اشتمل عليه من توجيه السفارة إليه بقصد عقد الصلح معه حيث طلب والده ذلك واشترطه فى عقد الصلح الذى عقده معه ابن عثمان ثم فداء أسارى المسلمين الذين فى بلده وتحت حكمه أجاب عن ذلك ببعث ثلاثين أسيراً مسرحين على سبيل الهدية للسفارة إكراما لها قائلا: وأما فداء الأسارى المشار إليه فالأسارى الذين فى إيالتنا كلهم من تونس والجزائر وطرابلس وغير ذلك من البلاد المشرقية، وليس بيننا وبينهم إلا الحرب، وكذلك إخواننا عندهم أسارى بأيديهم ولو لم يكن إخواننا الذين عندهم لسرحنا جميع من عندنا من المسلمين ابتغاء خاطر مولانا أمير المؤمنين ورضاه، وحيث كان إخواننا فى الأسر نحبكم أن تسعوا فى فداء الجميع، فشكرته السفارة على ذلك وكتبت للحضرة السلطانية بذلك.

وأما عقد الصلح فشرعت فيه مع الوزير حسبما تقدم من تقديم الملك له لذلك، واشترط كل جانب ما فيه مصلحته، ثم استنسخت تلك الشروط وأمضيت.

ثم تيسر للسفارة افتداء مائة أسير أعدوا للبيع فضمتهم إلى إخوانهم، وكذلك استرجعت ما وجد فى أحد المراكب السلطانية كان السلطان قد بعثه لأمير طرابلس حاملا القمح بسبب المسغبة التى كانت فى بلاده، فتلقته مراكب نابلية وأخذته، ومع أن ذلك كان زمن الحرب فقد تمكن ابن عثمان من إقناعهم برد ما وجد فيه.

وقد رأت السفارة أثناء إقامتها بنابل بعض الأبناك ومأوى الأيتام ودار الآثار ونادى الأعيان بدعوة من أهله، والبركان القاذف للنيران، وآثار مدينة بومبى، ولما

رجعت منها لبلدة أخـرى أنزلت فيها بالدار التى نزل فيهـا إمبراطور الألمان لما كان هناك، ورأت فى هذه البلدة معامل السلاح والبارود والكاغد.

وكان الملك يستـدعيها مـرارا لمشاهدة التمثيل بالأوبرا كـلما ذهب، وكذلك استدعاها تكرارا لزيارة الحديقة الصيفية، وذهبت بدعوته لمشاهدة تعويم مركب فى البحر، فأعد لابن عثمان مقعـد بإزاء مقعد الملك واستدعاها لزيارة قصره فى بلدة (برطج) مـقره فى الخريف، فـرأته يسوق الكـدش بنفسـه، ولعب بمحضـرها كرة «التنس» كما استدعاها لزيارة قصره فى مشتاه ببلده (كزرته) وغير ذلك.

ولما انتهت أعـمالها أعلمت الملك بعزمـها على السفر، وكـان إذ ذاك بمشتاه فأجابها بأنه سيأتى لنابل بقصد وداعها، ولما جاء إليها أعلمها باللقاء بين العشاءين فـوقع ذلك على الوصف المتـقدم فى لقـائه ولقـاء الملكة، وبعـد ذلك بعث الملك للسفارة جـوابه عن الكتاب السلطانى مع هدية من صنائع بلاده وتحفـها وبعث لها هديتها الخاصة بها.

وركبت السفارة ومن معهـا ممن فك من الأسرى البحر رابع المحرم فاتح سنة ١١٩٧ فى مركب رئيسـه من جنس (الراكوزة) تطوع به لحمل السفـارة حيث تشاء دون عوض، فـحياها بمدافـعه وسار بهـا إلى أن أداه اضطراب البحر إلى صـقلية، فخرجت زوارق أعيـانها ونائب حاكمها للسلام على السفـير، وعرض النزول عليه للمدينة للاستراحة فنزلوا من الغد نظرا لازدحـام المركب بالأسارى فى احتفال مثل ما جرى لهم فى غيرها من البلاد التى كان ذهابهم إليها رسميا.

وأعدت لهـم دار خاصة، ثم طلب مـنهم حاكم الجـزيرة أن يعينوا له وقـتا للمقـابلة، فعينوه له وقـابلوه كما قابلوا أعـيان المدينة (بلرم) ونوابها فكان الجـميع يرحب بهم ويظهر لهـم السرور بقدومهم، ودعـوا لمشاهدة التمـثيل بدار الأوبرا، وبعد أن أقاموا ستة وعشرين يوما عـادوا لمركبهم، فلما سار بهم ثلاثين ميلا وجد

البحر مضطربا فبقى هناك خمسة أيام اضطر بعدها للرجوع إلى صقلية مرة أخرى فتلقاهم أهلها، وأخبروهم أن الدار التى كانوا بها لا زالت بصددهم فنزلوا إليها، وكانت الليلة ليلة ميلاد الملك فاستدعيت السفارة لحضور الاحتفال الليلى بذلك كما دعيت لنادى أعيان المدينة، وفيه طلب بعضهم من ابن عثمان أن يلعب معه بالشطرنج فأجابه بعد إلحاح وغلبه فيه على مشهد من القوم، ورأت السفارة فى أثناء مقامها كنيسة (سان مرتيل) وأدخلوا خزانتها فوجدوا فيها عدة من كتب المسلمين كسيرة ابن سيد الناس وبعض كتب الطب، كما زاروا غيرها من المعاهد والمدارس، وبعد إقامتهم بها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام فى انتظار سكون البحر، ركبوا سفينتهم فى سادس عشر ربيع الثانى راجعين للمغرب، فوصلوا طنجة بعد اثنى عشر يوما، ونزلت السفارة فى احتفال بحضور الحاكم ووجوه العسكر للمدينة، كما تلقى الأسارى بسرور وحبور وأنزلوا بديار بالمدينة بقصد الإرفاق على النفقة السلطانية، ووجه الكتاب للحضرة السلطانية بالإعلام بالوصول، وأقاموا بطنجة إلى أن ورد عليهم الجواب الشريف بالتهنئة بالسلامة وإعداد البهائم لحمل الأسارى وأمرهم بالقدوم عليه.

قال ابن عثمان: فتوجهنا إليه أيده الله وهو بحضرة مكناسة، فبتنا آخر ليلة من السفر بوادى فرى بقرب المدينة بنحو ساعتين، ومن الغد بعث مولانا أعزه الله عساكر الخليل لملاقاتنا ووجوه العسكر والقواد، ومن حضر من العمال وبالغ فى التنويه والفرح بهؤلاء المسلمين جعل الله ذلك بمنه من خالص الأعمال، وبلغه من حسن نيته، وصفاء سريرته وطويته جميع الآمال، ومن هناك والخيل تلعب وتخرج البارود إلى أن دخلنا المدينة فبعث إلينا سيدنا أيده الله أحدا من خدامه بأن ندخل الأسارى المذكورين إلى ضريح جده المقدس المنعم المرحوم سيدنا إسماعيل برد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وأحضر لذلك الفقهاء والأشراف والطلبة

وأعيان البلد، فـقرأنا هنالك ما تيسـر من القرآن ودعونا لسيـدنا بما نرجوا من الله قبوله.

وبعث سيدنا الطعام للأسـارى، فأكلوا، وأمرنا بإنزالهم بدور أعدها بالمدينة وأمرنا أن نستريح ونطلع لملاقاته عند العصـر، فلما صلينا العصر توجهنا إلى بابه، ورحب جنابه، وأصحبنا إليه الهدية التى أصحبنا إليه الطاغية صاحب نابل فوجدناه داخل باب السوانى ففرح بنا وانشرح لقدومنا ودعا لنا بخير، تقبل الله منه.

ثم ناولناه كتـاب الطاغية مع عـقد الصلح الذى أبرمنا ووقع عليـه الاتفاق، وهدية الطاغيـة التى بعثـها من الخوف والإشـفاق، وناولناه أيضا أزمـة ما دفع فى الفداء وخطوط أيدى النصارى المفدى منهم مع قيـمة المركب الذى غرموا وقد تقدم خبره.

ومن الغـد أطلعنا إليه أسـرى المسلمين وهو بالدار الـبيضـاء، فسـألهم عن قبائلهـم وعشائرهم وعن مدة أسرهـم، أطال معهم الكلام جبـرا لخاطرهم، وقال لهم: الحـمـد لله الذى عجـل سراحكم، وكـمل بجـمع شـملكم مع المسلمـين أفراحكم.

ثم هيأ لهم البهائم لحملهم إلى فاس فى الحين، وتوجهوا من عنده أيده الله فـرحين، وارتفـعت بالدعاء لسـيـدنا أيده الله الأصوات، حـتى كادت أن تسـمع الأموات، وكتب لعامل فاس أن يحسن للقوم القرى ويفيض عليهم من مطايب ما يشترى، ويزيل عنهم درن الأسر، ومذلة القهـر والقسر، ثم يكترى لهم البهائم إلى الجزائر، ومنها يتفرقون فى البلاد كالمثل السائر.

قال المولى عبد السلام نجل المتـرجم فى درة السلوك فى مآثر أبيه: ومنها أنه لم يترك ببلاد النصارى أسيرا، ولا بالمغـرب فقيرا، بفيض أياديه العظام، ومكارمه

الجسـام، ففدى من أسارى المسلمين، من أهل المغرب والتـرك وأهل الشام وأهل الأرمين، ما يزيد على أربعة آلاف، ثبت الله له الأجر، وأناله الفتح والنصر».

وقد ألف ابن عثمـان فى سفارته الثانية لمالطة ونابولى هذه التى قـضى فيها سبعة عشر شهرا كتابه (البدر السافر،إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر) وكان فراغـه من تأليفه بعـد تلف المبيضـة على يد اللصوص أوائل جـمادى الثانيـة عام ١١٩٧.

وقد وقعت الإشارة إلى معاهدة ابن عـثمان مع مملكة نابولى المشار إليها فى معـاهدة السلطان المولى عبـد الرحمن المجددة مع تلك الدولـة سنة ١٢٥٠على ما يأتى فى ترجمته إن شاء الله.

فتوحاته

فمن فـتوحاته إجلاء البـرتغال عن ثغر البريجـة المعروفة اليوم بالجـديدة وما والاها، حاصـرها نحو أربعين يوما ونصب عـليها المدافع والمهاريز، ووالى عليـها صيب القنابل إلى أن فتحها فى سابع عشرى رمضان ١١٨٢ وهدمها وأمر بتسميتها بالمهدومـة، وعمرها بأهل دكالة المجـاورين لها، وأنزل معـهم فرقة من عسـاكره، وكان ممن حـضر هذا الفتح وأبلى فـيه البلاء الحسن الحـاج سليمان التـركى معلم الرمى وشـيخ طبجـية الرباط قـاله فى الترجـمان المعـرب وغيـره، وغنم أموالـها ومدافعها ومهاريزها وغير ذلك من معداتها ومقوماتها الحربية.

وحاصر مليلية وحاربها إلى أن صالحه أهلها طبق ما أشرنا إليه.

آثاره

قال نجله المولى عبد السلام فى درة السلوك لما ذكر مآثر أبيه: ومن مآثره أيضا اتخاذ الثغور بالمغرب وشحنهـا بالعساكر والجنود، والرايات والبنود، فمن ذلك ثغر الصويرة أحـدث بناءه، ووسع قبـاءه، فاختـطه رضى الله عنه فى سابع عـشر من

شوال عام ثمانية وسبعين ومائة ألف، وبنى له الأسوار العجيبة، واتخذ به البساتين، وشحنه بالمدافع والبنب والكور، فجاء من أعظم المدن وأشرف الثغور، واتخذ به المساجد والصوامع والأسواق والدور والحمامات ورغب فى سكنى هذا الثغر المبارك الناس، وقصده التجار وغيرهم من جميع الأجناس.

وكان سبب إنشائه لهذا الثغر أن المراسى المغربية متصلة بالأودية، وفى غير إبان الشتاء يقل الماء ويعلو الرمل بأفواه المراسى، فيمنع من اجتياز القراصين بها ويتعذر السفر، ففكر فيما يتأتى به السفر للمراكب القرصانية سائر أيام السنة، فبنى ثغر الصويرة، واعتنى به لسلامة مرساه من الآفة المذكورة.

وقيل: إن السبب هو أن حصن أكادير كانت تتداوله الثوار أهل سوس مثل الطالب صالح وغيره، ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها، فرأى أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل فى وسط المملكة من أكادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوق أحد إليه.

ولما تم أمرها أمر أهل فاس أن يعمروها مناوبة تأتى ثلاثمائة رجل من أصحاب الحرف ويقيمون بها سنة كاملة، ثم تذهب وتأتى ثلاثمائة أخرى وهكذا، ونقل إليها العلماء لنشر العلم، ورتب لهم ما يكفيهم. قال الزيانى فى شرح ألفية السلوك: وجعل - أى المترجم - قضاء فاس للفقهاء الذين يتوجهون للصويرة كل من درس بها ستة أشهر يقضى بفاس ستة أشهر، وجعل كذلك للحكام كل متوجه للصويرة حاكما ستة أشهر يحكم بفاس ستة أشهر إلى أن مات.

وأنفق فى سبيل صيانة ذلك الثغر وتحصينه بالمعدات والمقومات الحربية برية وبحرية أموالا طائلة، وجلب إليها تجار النصارى بقصد التجارة بها وأسقط عنهم

وظيف الأعشار، ترغيبا لهم فيها فأسرعوا إليها فعمرت فى الحين (واستمر الترخيص لهم فيها مدة من السنين) ثم ردها إلى ما عليه سائر المراسى.

ثم قال المولى عبد السلام فى الدرة:

ومن ذلك أيضا بناء مدينة طيط (الجديدة) وقد كانت قديما بأيدى الروم كما قدمنا وخربها بعد الفتح سنة اثنتين وثمانين، وأمر بتجديد عمارتها سنة واحد ومائتين وألف، واتخذ بها ألفا من العسكر من جنود الوصفان، وأدار سورها وعظم بها العمران، فصارت إحدى مدن المغرب، يقصدها التجار من الآفاق، وترد إليها القوافل والرفاق، وترسى بها السفن الجهادية وسفن التجار، فجاءت من أشرف الحسنات وأعظم الآثار.

وكذلك تجديد مدينة آنفا وكانت اندثرت رسومها، وطمست معالمها، فجدد بناءها ورفع قواعدها فبنى بها المساجد والحمامات، واتخذ بها المعاقل الجهادية وجميع الآلات، وسكن بها ألفا من أجناده، فقصدها التجار من جميع مملكته وسائر أقطار بلاده، فجاءت من أحسن الثغور، نسأل الله تعالى أن يضاعف له بها الحسنات وينيله الأجور.

وكذلك عمر ثغر فضالة، ورباط الفتح، ومهدية، والعرائش، وطنجة، وتطاوين وغيرها، وجدد جميع أسوارها واحتفل فى تكثير آلاتها وبنى بها المساجد والأسواق والحمامات، ضاعف الله له بذلك الأجور وأسنى له الحسنات..

ومن مآثره أيضا بناؤه المشهد الأعظم، والأثر الأفخم، على ضريح الإمام إدريس بن عبد الله الكامل فجاء فى غاية ما يكون من الإتقان، وعظيم الأبهة وعلو الشان، كسا القبة كلها من داخل بالحرير الأحمر وسفائف الذهب الأحمر، وبسطها بالبسط الأرمينية، وأوقف على الضريح المذكور أوقافا عظيمة للطلبة

والمؤذنين والوقادين والفراشـين والمستعفين والمساكين، وكـذلك أيضا بناؤه الضريح الأعظم على سيدى على بـن حرزهم، وبناؤه أيضا على سيدى عـبد الله التاودى خارج باب عجيسة أحد أبواب فاس.

ومن آثاره أيضا بنـاء المشهد الأعظم على القطب الـولى سيدى أبى العـباس أحمد بن جعفر السبتى، وأوقف بهـذا الضريح أيضا أوقافا عظيمة على المدرسين، والحزابين، وذوى العاهات، والمساكين.

وبناؤه أيضا القبة العظيمـة الشكل، المهندسة الأصل، التى لم توجد بالمغرب قبة تشاكلها، ولا بناء يماثلها، وهى قبة الشيخ الإمام، علم الأعلام، أبى عبد الله سيدى محمد بن سليمان الجزولى نفع الله به وبأمثاله.

وكذلك بناؤه على الشيخ التباع، والسيد عبد الله الغزوانى.

وبنى أيضا المشهـد الأفخم، والمسجد الجامع الأعظم، بضـريح جدنا مولاى على الشريف دفين باب هيلانة أحد أبواب مراكش، صـانها الله، وضريحه مجاور لضريح القاضى عياض، وقـد أوقف للذاكرين والحزابين والأرامل والمساكين، ولو تتبعنا مثل هذا مـن مآثره أيده الله لطال الخطاب، وخرجنا إلى الإطناب، من دورة السلوك.

ومن آثاره مدينة فضالة ومسجدها ومدرستها، والمنصورية ومسجدها وله آثار أخرى بالرباط والعرائش وطنجة وتافيلالت ومراكش وفاس ومكناس وغيرها، منها المساجد والمدارس والدور والقصور والأسوار والأبراج والقـصبات والأضرحة وغير ذلك، وقد أسلفنـا ما له من الآثار بمكناسة عنـد الكلام على آثار ملوكنا العلويين بها.

ومن آثاره تجديد المسجد الأعظم بثغر آسفى حسبما يستفاد ذلك من كتاب له أصدره لأمناء الشـغر المذكور بتـاريخ تاسع قعدة الحرام عـام ثمانية وثمـانين ومائة

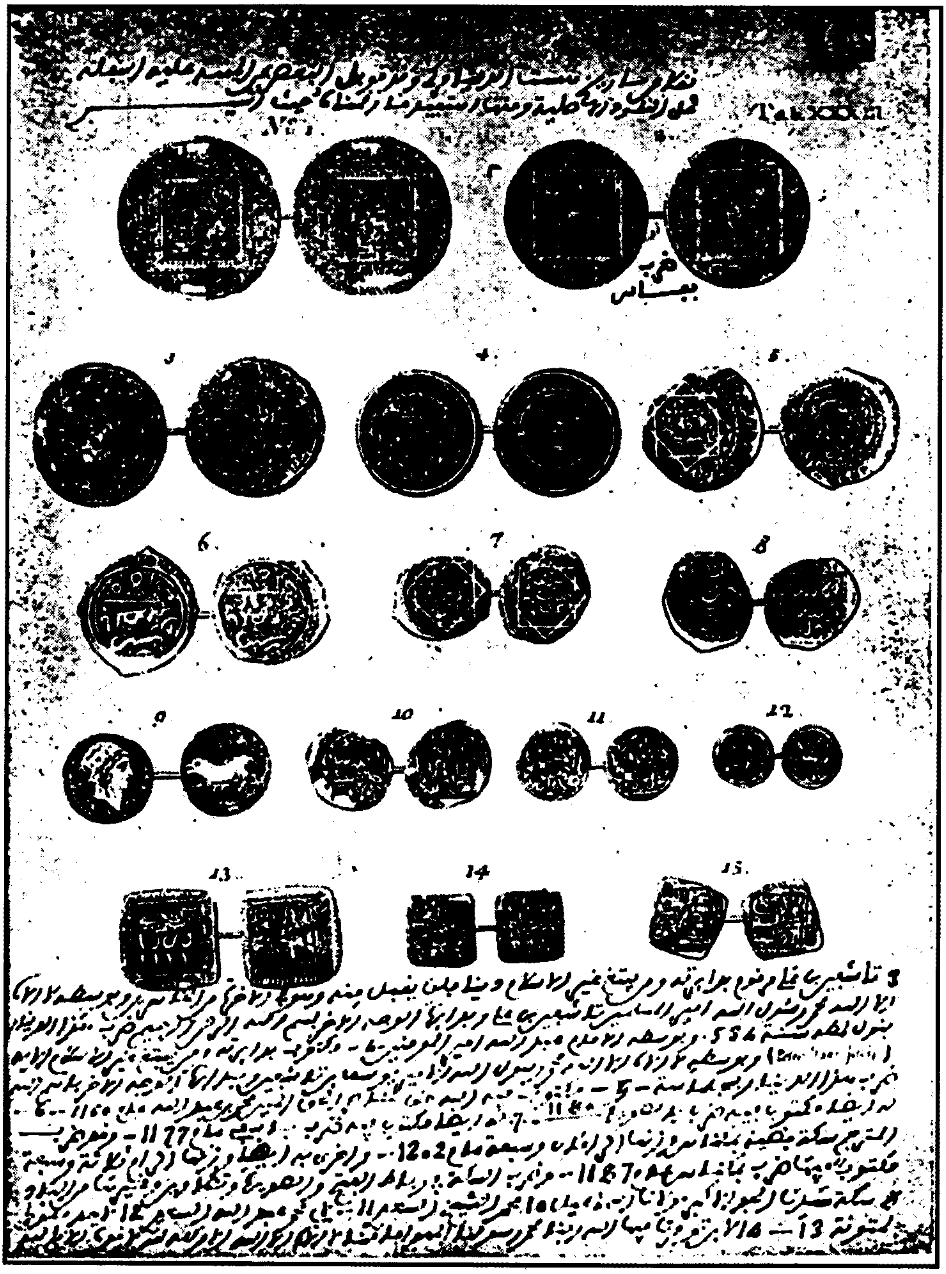
وألف، وعليه فإن ما جاء فى الجيش والاستقصا من أنه المؤسس للمسجد المذكور ومدرسته يتعين حمله على التجديد، لوجود النص على أن المسجد أسس قبل دولة صاحب الترجمة بأمد بعيد، وممن نص على ذلك قاضى آسفى العلامة الأديب أبو عبد الله محمد فتحا بن عبد العزيز المدعو بابن عزوز الآسفى، قال فى كتابه إرشاد السائل، إلى معرفة جهة القبلة بالدلائل، لما تكلم على انحراف محرابه أنه بنى بإثر خروج النصارى من آسفى، قال: فلبنائه ما يقرب من مائة سنة، وقد كان متوليا خطة القضاء بالثغر المذكور قبل زمن المترجم حسبما أخبرنى بذلك مكاتبة مؤرخ آسفى الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد العبدى المدعو الكانونى.

أما المدرسة فقد أشرنا فى المنزع اللطيف إلى أن مؤسسها سيدنا الجد الأكبر أبو النصر والفدا إسماعيل، وأنه فرغ من تأسيسها فى رمضان سنة خمس ومائة وألف، وأفادنى مؤرخ آسفى المذكور أنه رأى ذلك بخط الشيخ الجيلالى بوخريص قاضى الثغر أواسط القرن المنصرم، وأن بناءها كان على يد عامل ذلك الثغر القائد العربى امزاج، والقاضى أبى محمد عبد الله بن محمد، وأن فى التاريخ المذكور كان تجديد الصف الأول من المسجد الجامع المشار على يد من ذكر وذلك مما يؤيد تعيين صرف كلام صاحبى الجيش والاستقصا عن ظاهره.

سككه

ومن آثاره السكك التى أمر بضربها فى داخل البلاد وخارجها للتعامل بها، وقد كان بعضها يضرب بالرباط بالدار المعروفة بدار السكة من حومة الجزاء حسبما يوجد اسمه منقوشا على بعض مسكوكاتها الفضية والنحاسية والبعض كان يضرب بالصويورة كتب على وجهيه معا «ضرب بالصويورة عام ١١٨٠».

وكذلك أمر بضرب أنواع السكك الذهبية والفضية بمدريد وإشبيلية سنة ١٧٨٧ ميلادية حسبما وقفت على بيان ذلك فى تقييد دفعه كبير دار السكة


3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15

بمدريد، للخليفة مولاى العباس بن السلطان المولى عبد الرحمن لما ذهب لإسبانيا لعقد معاهدة مع دولتها سنة ١٢٧٨، ونص تعريب ذلك بلفظه من أصله على ركاكة تعبيره وعاميته:

ما صنع فى القديم من السكة المراكشية المصنوعة فى هذه المدينة فى سنة ١٧٨٨ ثمان وثمانين وسبعمائة وألف بإذن المخزن فى ثالث عشر يناير عام سبعة وثمانين وسبعمائة وألف أن يجعلوا طوابع أربعة أشكال من السكك لسلطان مراكش، ولذلك كان موجود بطنجة المعدن ما يساوى مائة ألف ريال كبير لاستعمال سكة الذهب ووجهوا لنا المشطرات.

وفى شهر ينيه من العام المذكور صنعوا الطوابع وتوجهوا المشطرات للمخزن لينظرهم سلطان مراكش مجموعتين فى صندوق مغلق بالموبر اثنين منضات من الذهب كبار ثمن عشرة ريال لكل واحدة، واثنين أيضا من صغار ثمن ريال فى الواحدة، واثنين كبار من الفضة، واثنين صغار أيضا من الفضة.

وبإذن آخر من المخزن فى اثنين وعشرين شتنبر من العام المذكور ظهر القبول متع المشطرات المذكورين وجميع المنضات التى تخدم هى عشرة آلاف من الذهب الكبير، ومائة ألف أيضا من الصغار، واثنين ملايين وأربعمائة وستة وخمسين ألفا ومائتين وثلاثة وستين كبار من الفضة، وتسعة ملايين وثمانمائة وخمسة وعشرون ألفا وأربعون صغارا من الفضة، وزائد لازم نعملوا طوابع جداد على خلاف القليل الواقع فى الدائرة والكتابة حتى فى المنضات الصغار من الفضة.

وفى شهر يناير عام ثمانية وثمانين وسبعمائة وألف أن الخلاف الذى كان فى المنيضة المراكشية هو أن نعمل مدريد فى موضع مراكش لئلا يظهر أنها مطبوعة فى مراكش، وفى الشهر المذكور كان الإذن المشهور اللائق باش تكون المنيضة الكبيرة متع الذهب تساوى عشرة ريال مكمولة، والصغيرة واحد والكبيرة متع الفضة

تساوى مثل واحد من الفضة متاعنا والصغيرة متع نصف ريال بليون، لازم يطبعوا العدد من المنيضات الذى سيذكر:

من الأولين ١٠٠٠٠.

ومن الثانين ١٠٠٠٠٠.

ومن الثالثين ٢٤٥٦٢٦٣.

ومن الرابعين ٩٨٢٥٠٠٠.

وفى شهر يليه عام ١٧٨٨ كملوا الطوابع الجداد، وفى شهر شتنبر الذى بعده انطبعوا العشرة آلاف منيضات من الذهب الكبار المذكورين، والجميع اندفعوا للرجل المأذون له بذلك فى سابع نونبر من السنة المذكورة، وأما المنيضات متع الفضة المذكورين ورد الإذن لتكون صناعتهم فى دار اشبيلية.

مدريد فى ٣ أكتوبر عام ١٨٦١.

فيرمه:

كبير دار المنيضة:

ميكال بشيكو.

قضاته:

قال فى ذيل التاريخ المسمى بـ (اليواقيت الأدبية، فى محاسن الدولة المحمدية) ما نصه:

قضاة السلطان سيدى محمد بن عبد الله: الفقيه السيد عبد الرحمن بوخريص[1] بفاس، الفقيه السيد[2] عبد السلام حركات بمكناسة، الفقيه السيد

(١) فى هامش المطبوع: «ولد أبى محمد عبد القادر قاضى فاس الشهير».

(٢) فى هامش المطبوع: «ليس هو صاحب النوازل وشرح التحفة وغيرهما من المؤلفات التى تبلغ ٥٠ أحد أعلام العصر السليمانى».

محمد بن أحمد الغربى الرباطى، والفقيه السيد عبد الله بنانى الرباطى، والفقيه السيد محمد بن اليسع الفيلالى هؤلاء الثلاثة كانوا يتناوبون القضاء بالرباط واحد بعد واحد ثلاثة أشهر للواحد، ويرجع بعده الآخر، والفقيه زنيبر[1] بسلا، وابن أخته الفقيه بناصر معنين والفقيه السيد التهامى[2] ابن عمرو الرباطى بالصويرة.

ومن قضاته على فاس يوسف بوعنان ولاه بعد بوخريص، ثم نقله لمكناسة، وولى الهوارى مكانه، ثم أبو محمد عبد القادر بن شقرون أشار لذلك الزيانى فى شرح ألفية السلوك.

وعلى مراكش عبد العزيز العبدلى، ثم عزله كما مر ذلك، ثم أعاده بعد حجه وأشرك معه فى القضاء غيره كعبد العزيز بن حمزة، وابن الحطاب، وأبى بكر الشنقيطى، ثم تداوله جماعة من فقهاء مراكش كما فى الترجمان.

وعلى مكناسة أبو القاسم العميرى، ومحمد العربى القسمطينى، والطيب ابن محمد بصرى، والمولى أحمد بن على العلوى، وقد تقدمت لك ترجمة الأخيرين.

وعلى الرباط المهدى مرين، ثم ولده محمد، والحسن بن أحمد الغربى، ثم العربى القسمطينى، ويوسف بوعنان.

---

(١) فى هامش المطبوع: «هو محمد بن حجى شارح الهمزية المتوفى سنة ١١٩٤».

(٢) فى هامش المطبوع: «قال فى إتحاف أشرف الملا:

ومنهم القاضى ابن عمرو الأوسى ... مجالس السلطان دون لبس
علامة مشارك رباطى ... وهو التهامى أخو اغتباط
كان خطيبا بالعتيق لسنا ... مدرسا وسمته قد حسنا
على أحاديث النووى علقا ... شرحا جليلا للأمير اتسقا
يعرف بالأنوار وهو بالرباط ... بخزنة الدار الشريفة يناط
رسمه المولى أبو عبد الإله ... قاضى الصويرة فدام فى هداه

إلخ».

ومن قضاته على الصويرة أحمد زروق.

وزراؤه

منهم العربى أفندى قادوس، قال فى الجيش: إن السلطان سيدى محمد كان يدعوه بذلك يعنى أفندى إعظاما واستفخاما لشأنه، وكان من مواليه الذين نشأوا فى حجور تربيته ورضعوا أخلاق حضرة الملك وارتشفوا لبانها، قال: وأصله من علوج الإسبان كما أخبرنى بذلك ولده السيد محمد، وكان شعلة من الذكاء والفطنة، وركنا شديداً من أركان الدولة المحمدية فى حسن التدبير والحزم، وكان شأنه فى أمور الكتابة أن يأمره السلطان بأن يأمر الكتاب بالكتابة لفلان بكذا ولذوى فلان بكذا فيكتبون ما أمرهم به، فيأخذه عنهم ويطبعه ويدخل به إلى حضرة السلطان فيسرد عليه تلك الأوامر ثم يخرج بها ويدفعها لأربابها.

كتابه

من حذاق كتابه وكتاب جدته السيدة خناثة بنت بكار الأستاذ أبو عبد الله محمد المكى الشاوى حج معهما، والكاتب المشارك أبو العباس أحمد بن عثمان المكناسى كان من الرؤساء المهرة فى الإنشاء والترسيل، وأبو عبد الله محمد سكيرج الفاسى، وأبو القاسم الزيانى، والطيب كدران المكناسى، والمهدى الحكاك المراكشى، وعبد الرحمن بن الكامل المراكشى، وأحمد الغزال الفاسى، والطاهر بنانى الرباطى، والطاهر بن عبد السلام السلوى، وسعيد الشليح الجزولى، وإبراهيم اكيل السوسى، وأبو عبد الله محمد بن عثمان المكناسى، وعبد الكريم ابن زاكور، ومحمد الموزيرق المراكشى، ومحمد الحافى، ومحمد بن المبارك، والطيب الحناش وغيرهم.

كان أهل الإنشاء والبلاغة قائمين بوظيفهم الذى لا يقوم به غيرهم، وأهل الخط المبسوط يستعملهم فى مكاتب العمال والثغور والرعايا والشكايات، إذ تلك المكاتب لا تحتاج إلى صناعة ولا إعراب، وأهل الدفاتر والحساب يستعملهم فى مصارف الدولة وحسابتها داخلا وخارجا، قاله أبو القاسم الزيانى.

شعراؤه

منهم أبو العباس ابن عثمان، وقد تقدمت ترجمته وبعض ما له فيه من بليغ القول، ومنهم أبو عبد الله ابن الطيب سكيرج الآتى الترجمة، ومنهم أبو العباس أحمد بن المهدى بن محمد الغزال الحميرى الأندلسى المالقى الفاسى السفير الكاتب المتوفى سنة ١١٩١، ومن شعره فيه قوله:

سلا بانة الجرعاء هل جادها قطر … وهل أمرعت أجزاع ساحتها الغر

وهل نسجت أيدى الحياء بروضها … برودالها من كف راقمها نشْر

فيالك روضا من بكاء غمامه … تبسم من أثغار أكمامه الزهر

كأن به الأدواح تهتز نضرة … عرائس تزهو فوقها حلل خضر

كأن بها ورق الحمائم سجعا … قيان لها فى صوغ ألحانها جهر

كأن ثغور الأقحوان مباسم … تسلسل من ظلم الرضاب بها خمر

كأن الشفاء اللعس منها شقائق … تناسق فيها تحت قانئها در

كأن احمرار الورد فى ريق الحيا … خدود غوانى الغيد لاح بها بشر

كأن ذبول النرجس الغض عادة … لواحظ من أهواه ماج بها سحر

كأن غصون البان والرند ميسا … خرائد دب فى معاطفها سكر

كأن شذا الأزهار ينفحها الصبا … فيملأ أرجاء المتان لها نشر

خـلال أمـيـر المؤمنين (مـحـمـد) إذا صـيغ فيـه المدح أو نظم الشعـر
إمـــام لـه فى باذخ العـــز رتـبـــة تقاصر عنها الوهم والوصف والحصر
تسامى على سامى السـماك مكانها وصـار إلى عليـائهـا يخـضع الدهر
ومـاد لهـــا شم الشـوامخ هيـبـة وأمـسى يراها فـــوق هامـتـه البـدر
تذل لهـا الآسـاد فـى أجـمـاتهـا وترتاع فى أغـمـادها القضـب البتـر
تزلزل أهل الشـرك مـنهـا وأذعنوا وعم على آفـــاق أجناسـهم قـــهـر
وصاروا عـبيـدا من مهـابة بأسـها ولم ينجهـم فى الأرض بر ولا بحر
يؤدون بالإذلال والـهـــون جـــزية يقـون بها الأنفـاس فـهى لهم عمـر
ومن لم يـرم إعطاءها مـتـكـبـــرا يحـيق به فى الحـين من بأسـه مكر
كمـا حاق بالمهـدومة الخـير جـهرة وحل بهـا من سوء أفـعالهـا خسـر
تصـدى لهـا فـخـر الملوك بغـزوة تزعـزع منهـا الجـو والبـر والبـحـر
وصب عليـهـا مـن بوارق بطشـه صـواعق حـتف لا يطاق لهـا أسـر
فـأفـسـدها قـهـرا وخـرب دورها وشـدد أهل الكفـر عنهـا لهم ذعـر
ومن ذا يلاقى صـولـة هاشـمـيـة إذا انتـهضت للأمـر يسبـقها النـصر
فـيـا لك من عـز تـكامل سـعـده ويالك مــن فـتح بـه سـمـح الدهر
تقـاصـر عن إدراكـه شـأو سـابق وحـاول أن يلقـاه فـــانعكس الأمـر
فـأخـره الرحـمن للعـادل الرضـا ليـعظم فى الأعـمـال منه له الأجـر
بك اختتم الإحسان والعدل والندى كمـا ختم الأشفاع فى فـضلها الوتر
وكـيف تدانيـك الملوك سـمـاحـة وعـزا وفـخـر أو يكـون لهـا خطر

ولم لا تفوق الناس مجدا وسوددا ... وتعنوا إلى أوصافك الأنجم الزهر
وأنت سليل المصطفى سيد الورى ... ومَن مِن نداه الجم يغترف البحر
ورثت نداه والسجايا وعدله ... وسيرته فى الخلق فاكتمل الفخر
فأصبحت للإسلام طود حماية ... وغيثا لأهل الأرض إن نالهم فقر
تود البحور الزاخرات لو انها ... يكون لها من جود راحتك العشر
تناسى الرشيد والأمين وصنوه ... وجعفر والمهدى والواثق الصدر
نسخت حديث القوم فى الجود والندى ... فأصبح وهو اليوم ليس له ذكر
أتتنا بك الأيام عند مشيبها ... فعادت عروسا بالبهاء لها قدر
وعادت رياض العلم عابقة الشذا ... تغرد فى أفنان أدواحها الطير
وشدت ذُرَا الآداب فاعتز أهله ... وصار لهم فى كل شاشعة فخر
فخذها من العبد المحب قلادة ... تناسق من غالى المديح بها در
يؤد جرير والفرزدق حقها ... وتخجل من ألفاظها الأنجم الزهر
تطرز عذب النظم منها بمجدكم ... ونادى جهارا هكذا ينظم الشعر
فقابل ثناها بالقبول فإنه ... عرائس مدح والقبول لها مهر
وجزمى كل الجزم أنك فاعل ... وأنى بها لا شك ينضحنى البحر
وإن قصرت فى حصر مجدك إنها ... ستنشد ما قد قاله العالم الحبر
إذا نحن أثنينا عليك بمدحة ... فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه ... ومن بذل المجهود حق له العذر
أدام لنا الرحمن ملكك عزة ... وفخرا إلى الإسلام ما بعده فخر

وخلد رب العرش أمرك فى الورى		به تسعد الدنيا ويبتهج الدهر
ودمت قرير العين للدين والهدى		ودام مدى الأيام يخدمك النصر

وقد ألف فيه ثلاث رسائل فى مدح مخدومه فيها مسلكا لم يسبق إليه واستنبط كما قال من أمداحه، ما لم يهتد إليه بلغاء مداحه، فلغزال أمداحه الباع العريض، فى منافسة أهل الأدب وبلغاء القريض، وقد آلى على نفسه، ألا يأتى فى أمداح سيده بما تستطيعه أبناء جنسه، وأن يخترع بكل عام من الأدب ما يتعجب من إبداعه، على اختلاف أصنافه وأنواعه.

ولم يزل يجيل فرس الفكر بميدان التأمل والاعتبار، فيما يناسب من أمداح هذا الملك الجليل المقدار، إلى أن فتح عليه فى طرق ما سلكها قبله ذو ذهن ثاقب، ولا عبرها من سمت منه فى الأدب مناقب، أول تلك الرسائل (اليواقيت الأدبية، بجيد المملكة المحمدية) وضع فيها أربعة أبيات فى مربع كل بيت من بيوت ذلك المربع فيه تاريخ لبيعة الممدوح الذى هو حادى عشر المملكة العلوية فاجتمع من بيوت ذلك المربع ستة عشر تاريخا، أضاف لها قصائد على عددها الذى هو عدد البحور الشعرية، فجاءت كل واحدة من بحر، وافتتح حروف أوائل أبياتها بحروف الأبيات الأربعة الموضوعة فى المربع، ثم أتى بعدها بستة عشر بيتا مفردا من كل بحر بيت، وفى نقط حروف كل بيت تاريخ.

كذلك من قوله فى تلك القصائد من (نزهة الملك المنصور، فى مستعذب وافر البحور:

(ر)حيب البذل بادى العدل مسدى		جزيل الفضل عن كرم وجود
(ف)ضائله الغزيرة ليس تحصى		ومن يحصى الجواهر بالعقود
(خ)لافته أمان فى أمان =		ولايته سعود فى سعود

(ط)ليق الوجه بادى البشر أوفى وفى فى المصادر والورود

(يـ)راعى العهد يحفظه امتنانا يفك أسير ظلم من قيود

وقوله من «نزهة الإمام الكامل، فى جواهر الكامل»:

(يـ) حمى ذمار المسلمين بعدله وبسيف حق كف المعتدى

(د)امت صنائعه الجميلة فى الورى أمد المدى أمدادها لم ينفد

(و)تراكمت أمواج بحر نواله ومعينها مستعذب للورد

(صـ)افى المشارب كوثرى طعمه فى ورده نيل المنى والمقصد

(فـ)اضت علينا من زلال معينه نعم لها شكرى بيومى والغد

(أ)عظم بها نعما إذا ما شئتها يمم حمى تاج الملوك محمد

أول حروفها من قوله «بعرف خطير» و«يشيد وصفا» فى أبيات المربع ومن الأبيات المفردة فى قوله فى «المفرد الرابع، للمحاسن جامع» من الوافر:

ولاية ملكنا وافى العهود بها نيل الأمانى فى الوجود

والرسالة الثانية (الأطروفة الهندسية، والحكمى الشطرنجية الأنسية) ذكر فيها مثمنا ثم شحنه كما قال بفصول أربعة، تتألف بأخذ حرف من كل بيت على طرق مبتدعة، غير إن أحد الفصول يفتتح غالب بيوت المثمن بحروفه، وتعميره على سير الفرس فى جمعه وتصنيفه، إلخ.

والثالثة (نتيجة الفتح، المستنبطة من سورة الفتح) استنبط فيها اشتمال حروف ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفتح ١- ٣] على اسم صاحب الترجمة واسم أبيه وجده وأخبار مملكته بما لفظه:

«محمد بن عبد الله نسل إسماعيل ينصر نصرا عزيزا رائقا، ويملك فتحا ذا غنى فتكون مملكته ممكنة ولكل خير كافية وأيامه طاهرة نقية» كرر من الحرف ما هو مكرر فى الآية وقابل كل حرف بمثله عدى الـصاد من الصراط أبدله بالسين، على قراءة أحد المكيين، وخاطبه فيها بقوله:

واى عـــز وفـــخـــر	لمن لـه الذكـــــر ذاكـــر
تلـك السـعـــادة ممن	حـــاز الـعلى عن أكـــابر
فكـن إمـــام المعـــالى	لأنعـم الله شـــاكـــر
فـــقـــد بلـغت الأمـــانى	وحـزت أسـمـى الذخـائر

وذكر أن مما ثبت من أخبار ملوك الأعاجم، واعتنى به اليونانيون ووضعوا له الفـصول والتراجـم، أن للحروف خـواص وأسرارا، يسـتخرجـون بها أحـاديث وأخبـارا، وأعظم ما يعتنون به عند كل سنة، يقـترحون على من له فكرة صـقيلة حسنة، أن يجمع كلمات نـقط حروفها ما مضى من الأعوام، فـيتفاءلون بما أبررته القدرة عن الإلهام، فيكون غالب ذلك موافقا للمتوقع فى ذلك العام.

ولم تزل المشارقـة تتمـذهب بذلك فى سائر أوقاتهـا، وتستعـمله الملوك فى مهماتها، ثم ذكر خمسة أبيات كل بيت منها فى مسدس فاجتمع من فواتح كلمات تلك الأبيات ثلاثون حـرفا، إن جمعـتها وجدتهـا هكذا «محمد بن عـبد الله بن إسماعيل نصره الله» وإن عددت نقط حروفها خرج لك عام البيعة.

والرسائل الثـلاث بخط مستنبـطها الحسن المتـسع موجودة بخـزانتنا فرغ من آخرها ثامن عشر شـوال سنة ١١٧٢ كما وقفت على رحلته نتيجـة الاجتهاد بخط يماثل ذلك الخط، وإن كان أدق منه حروفا، وهى بخزانة الدولة بالرباط.

ومن شعرائه الأديب الماهر أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الونان الحميرى التواتى الفاسى صاحب الأرجوزة الشهيرة بالشمقمقية المشتملة على كثير من الآداب والحكم ولطائف الإشارة لأيام العرب ووقائعها ومشاهير رجالها ومطلعها:

مهلا على رسلك حادى الأينق ... ولا تكلفها بما لم تطق

فطالما كلفتها وسقتها ... سوق فتى من حالها لم يشفق

ولم تزل ترمى بها أيدى النوى ... فكل فج وفلاة سملق[1]

وما ائتلى يذرع كل فدفد ... ذراعها وكل قاع قرق[2]

إلى أن قال فى التخلص لمديحها مشيرا إلى تكنية الممدوح لوالده بأبى الشمقمق لما كان عليه من جودة القريحة وغزارة المادة وحسن البديهة والمشاركة فى الأدب تشبيها له بأبى الشمقمق مروان بن محمد الكوفى الشاعر مولى الحمار آخر خلفاء الأمويين:

وإن أردت أن تكون شاعرا ... فَحْلاً فكن مثل أبى الشمقمق

ما خلت فى العصر له من مثل ... غير أبى فى مغرب أو مشرق

لذاك كناه به سيدنا السلطان ... عز الدين تاج المفرق

(محمد) سبط الرسول خير من ... ساد بحسن خلقه والخلق

أعنى أمير المؤمنين بن أمير ... المؤمنين بن الأمير المتقى

خير ملوك الغرب من أسرته ... فى وقته على العموم المطلق

(١) فى هامش المطبوع: «سملق قاع صفصف».

(٢) فى هامش المطبوع: «قرق ككتف مشوى».

له مـحيـا ضـاء فى أوج الدجى سناه مــثـل القـمــر المتــسق
وراحـــة تغـلو من ســيـولهـــا ســيـــول ودق وركـــام مـطبق
ودوحـة المجـد التى أغـصـانهـا بـهـــــــا الأرامـل ذو تـعلـق
فـاق الرشـيـد وابنـه فى حلمـه وعـلـمــــــــــه ورأيه المـوفـق
وسـاد كعـبـا وابن جدعـان وطا هرا وحـــاتما بـبـــذل الورق
ولـم يدع مـعنى لمـعن فى الندى ولم يكـن كــمـــثله فى الخـلق
مـذ كـان طفلا والسـمـاح دأبه وغـيـر مـــأخـذ الثنا لم يـعـشق
نشـأ فى حـجـر الخلافـة ومـذ شب فـتى بغـيـــرها لم يـعلق
فـبـايـعـتـه الناس طرا دفـعـة لم يك فــيـهـا أحـد بـالأسـبق
وأعطيت قوس العـلا من قد برا أعــــوادها رعـــايـة للألـيق
فـصـار فىء العــدل فى زمـانه منتـشرا مـثل انتـشار الشـرق[1]
وشـاد ركن الدين بالسيف وقـد حـــاز بتــقـــواه رضـــا الموفق
وقـد رقى فى ملـكه مـعـارجـا لم يك غـــيـــره إليـــهـا يـرتقى
ورد أرواح المــــكـــــارم إلـــى أجـــسـادهـا بعـد ذهـاب الرمق
والسعـد قد ألقى عـصا تسياره بقـــصــــره وخـــصــــه بمعـــشق
يا مـلكا ألـوية النـصـــر عـلى نظـيـــره بغـــربنـا لم تخـــفق
طاب المديـح فـيـكم وازدان لى فـالفكر فى بـحـر الثنا ذو غـرق
لولاك كنـت للقـــريض تاركـــا لعـــدم البـــاعـث والمشـــوق

(١) فى هامش المطبوع: «الشرق الشمس».

وهى معــروفة مطبوعــة وقد شرحت فــى مجلدات، وأول من شرحــها أبو عبدالله محــمد الحريرى قاضيها المتوفى سنة ١٢٤٠ فى نيف وتســعين كراسا، ثم الطاهر ابن العناية المكناسى المتقدمــة ترجمته، ثم شرحها أديبــا العدوتين أبو حامد المكى البطاورى الرباطى قاضيها وأبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلوى وكل منهما فى مجلدين.

وكان ابن الونان ناظمهــا لما انتهى من نظمها قصد بها المـترجم الممدوح بها، فتعــذر عليه الوصول إليه، فـتحين خروجـه فى بعض الأيام واعترضه فى مـوكبه وصعد نشزًا عاليا من الأرض ونادى بأعلى صوته:

يا سيدى سبط النبى　　　أبو الشمــقمــق أبى

فعرفه رحــمه الله وأمر بإحضاره بعد بلوغه إلى منزله فـحضر وأنشده إياها فوقعت منه أحسن موقع فأجزل صلته، ورفع منزلته.

ومن شعره فيه قوله وقد أوقع بطائفة من الريف:

سـعـد الذى آوى لظـلك طائعـا　　　وسعى لخـدمتك الســعيـدة وابتدر
لم يشق إلا خــائن مــتـمــرد　　　نبـذ الأمانة والشـريعة مـذ ختـر
كبـغاة أهل الريف لا قـرت بهم　　　عـين ولا أســقى بلادهـم المطر
شقت عـصا الإسلام منهم فـرقة　　　سلك الغـرور برأيهـا نهج الغـرر
ضلوا عن النهج الســوى ببغـيهم　　　فسطا بهم سيف الإمـام وما ائتمر
ألقى عليــهــم من صــواعق بنبـه　　　ما كـاد يمحو العـين منهم والأثر
ظنوا صــيـاصـيـهم لهم وزرا وإذ　　　خـــابت ظـنونهم تـنادوا لا وزر
طهــرت بقتلهم البــلاد من الأذى　　　ولكم بهم قد كـان فيهـا من قذر

وله فى مدحه قصيدة أخرى من البسـيط على روى الدال يذكر فيها فتح ثغر الجديدة وإجلاء البرتغال عنها ويصف الحال، وهى طويلة وأخرى من الطويل على روى الحاء يعـارض فيـها قصـيدة عوف بـن محلم فى عبـد الله بن طاهر، وهى مشهورة كما قاله الجريرى فى شرحه المذكور.

ومن شعره أيضا قوله على لسان الباب المواجه لقبة الضريح الإدريسى بفاس الموالى لسوق المجادليين الذى بناه المترجم هناك وهو منقوش عليه:

بديع مـحـاسنى زان العـيـونا ... وحـسن شمـائلى سحـر الجفـونا
ومـوطنى السـعيـد يفـوح عطرا ... بذكـر الله رب العـالمينا
ومـجـدى ثابـت لا ريب فـيـه ... بقطب الغـرب كـهـف العـابدينا
وزدت مـجـادة لما كـسـانى ... وطرزنـى أمـيـر المـومنيـنا
(مـحـمـد) الإمـام أخـو المزايا ... وبانـى المجـد بنيـانا مكيـنا
أجـاد أمـينه (الصـفـار) صنعى ... وأحـسن إذ تخـيـره أمـينا
وتاريخـى بشـعـبـان جلى ... يـدوم به هـناء المسلمـينا

ويقال: إن الصفار أعطاه على البيت المذكور هو فيه خمسمائة مثقال.

سفراؤه

الحـاج الخيـاط عديل الفـاسى، والطاهر بنانى الربـاطى، والطاهر بن عبـد السلام السلوى، وعـبد الكريم راغـون التطوانى، ومحمـد الحافى، وعـبد الكريم العمـونى التطوانى، والمولى عـبد الملك بن إدريس العلوى، ومـحمـد بن عثـمان المكناسى، وأبو القـاسم الزيانى، والقائد مـحمد الزوين بن عـبد الله الرحـمانى، والقائد الطاهر فنيش السلوى وغيرهم للدولة العثمانية.

وأحمد الغزال الفاسى وابن عثمان المكناسى إسبانيا.

وعلى مرسيل الرباطى والطاهر فنيش لفرنسا

ومحمد الحافى، وابن عثمان لمالطة.

والرئيس العربى المستيرى الرباطى لانجلترا.

والحاج التهامى المدور الرباطى، وفى روضة الزيانى مدون وكلا البيتن موجود بالرباط، للسويد.

وابن عثمان لنابولى.

عماله

على فاس الحاج محمد الصفار، ثم ولده العربى، ثم المنكاد ثم عزله وأعاد العربى الصفار، ثم عزله وولى عبد السلام الجعيدى، ثم محمد بن حدو الدكالى فشدد فى الأحكام على أهل الجرائم، وكان من أحسن العمال إلى أن وقع بينه وبين القاضى ابن شقرون خصام فعزلهما، وولى ولده المأمون خليفة فاس العليا، وجعل ثلاثة خلائف عنه من أهل فاس، ولما مات المأمون ولى العربى الصفار، وبعد سنة وجهه للمشرق سفيرا، وولى أخاه محمد الصفار وكان حازما ضابطا أحسن من أخيه، ثم بعد مدة جعل الأحكام مناوبة لقواد الصويرة إلى أن توفى.

وعلى الرباط على مرسيل، والعربى المستيرى، والحاج عبد الوهاب أشكلانطو.

وعلى تطوان عبد الكريم بن زاكور.

وعلى طنجة محمد بن عبد الملك الريفى لما قبض على صاحبها عبد الصادق ابن أحمد الريفى.

وعلى العرائش ابن زاكور ثم نقله لطنجة، وكان عليها سنة ١١٧٩ الزيانى.

وعلى درعة الباشا سعيد بن العياشى.

وعلى تارودانت القائد الشيخ البخارى.

وعلى دكالة، وتامسنا، البوزرارى الجابرى، ثم محمد وعزيز.

وعلى شفشاون وقبائل غمارة والأخماس ونواحيهما الباشا العياشى.

وعلى الغرب الهاشمى السفيانى والحبيب المالكى.

وعلى آيت إدراسن ولد محمد وعزيز كبير البربر.

وعلى الشاوية عبد الله الرحمانى.

وعلى تادلا المولى إدريس بن المنتصر.

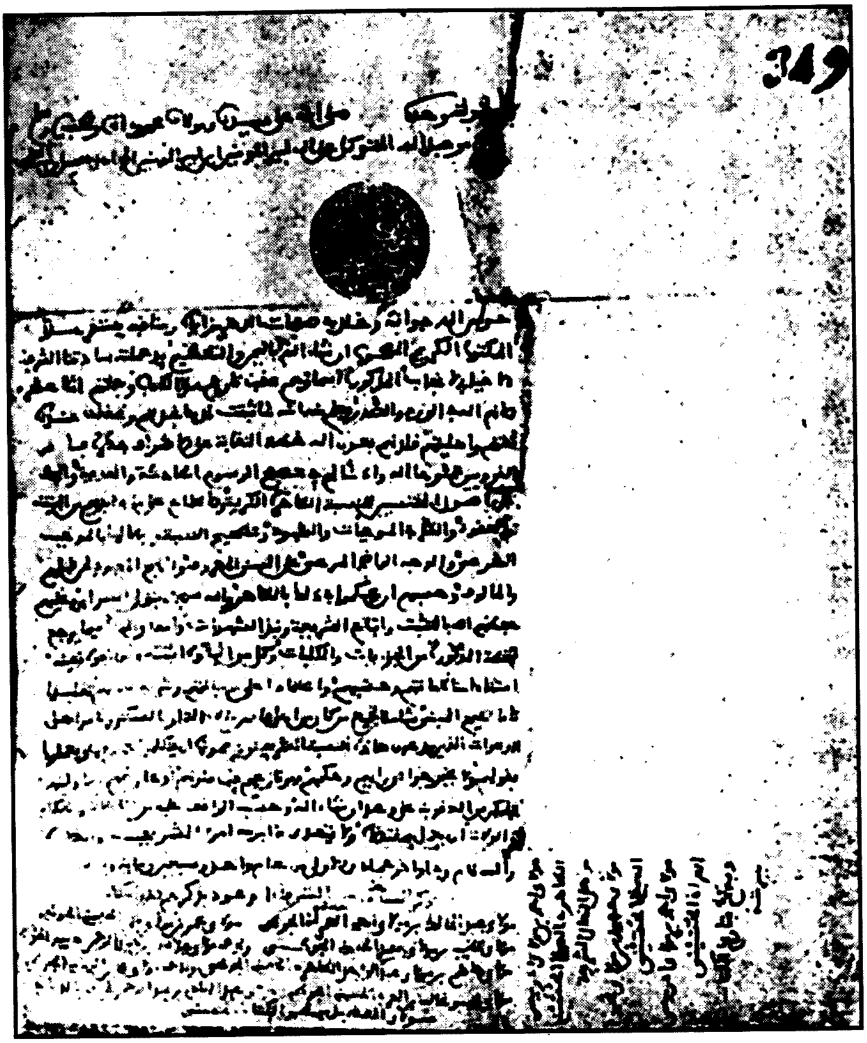
وعلى الشياظمة القائد محمد وبلا وأخوه أحمد.

وعلى سوس عبد الرحمن الوفريتى والباشا عبد النبى المنبهى.

نقباؤه على الأشراف

منهم المولى الرشيد بن عبد الهادى بن عبد النبى الدرقاوى الحسنى المتقدم الذكر فى ظهير المترجم للشيخ التاودى فى باب عطاياه وأحباسه، ومنهم الأشراف الاثنا عشر الذين أسند إليهم النقابة بفاس ونص ظهير ذلك بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبد الله، المتوكل على الله، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، ثم الطابع بداخله: محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه وبدائرته ومن تكن إلخ البيت، حرس الله جوانبه، وخلد فى صفحات الدهر مزاياه ومناقبه، يستقر هذا المكتوب الكريم، المصحوب إن شاء الله باليمن والتعظيم، بيد حملته ساداتنا الشرفاء الأخيار الأنجاب، المذكورة أسماؤهم



ظهير سيدى محمد بن عبد الله للنقباء الاثنى عشر

عقب تاريخ هذا الكتـاب، وجملتهم اثـنا عشر، صانـهم الله فى الورد والصدر، يعلم منه أنه لما ثبتت لدينا نجدتهم، وتحققت عندنا ثقتهم وأهليتهم، قلدناهم بعون الله خطة النقابة على الأشراف بحضرة فاس القرويين عمرها الله.

وأذنا لهم فى تصفح الرسوم الحادثة والقديمة، والبحث عن أصول المتسببين للنسبة الطاهرة الكريمة، والاطلاع على ما فى أيديهم من البينات والعقود، والنظر فى الموجبـات والشهـود، وتصحـيح النسبة وإبطـالها بالموجب الشـرعى، والوجه الواضح المرعى، على السنن المعروف، والنهج المعهود لمن قبلهم والمألوف.

وحسـبهم أن يحـكموا فى ذلك بالظاهر، والله سـبحـانه يتولى السـرائر، وعليهم حـفظهم الله بالتثبت واتباع الشـريعة ونبذ الشـهوات، وإمعان النظر فـيما يرجع للخطة المذكورة من الجـزئيات والكليات، وكل من أثبتوه أثـبتناه، ومن نفوه نفيناه، اسـتنادا منا لأمانتهم وحسـبهم، واعتـمادا على ديانتهم وشريف نسـبهم، تقليـدا تاما صـحيـح المبنى، شامـلا لجمـيع من كـان من أهل فاس بالأصـالة أو بالسكنى، ونأمر أهل الدعـوات الذين يدعون هذه النسبـة الشريفة ويزعمـونها أن يتكلموا مـعهم فيـها ويعملوا بقـولهم، ولا يخرجوا عـن رأيهم وحكمهم، ومن نازعهم فيما قلدناهم، أو عارضهم فـيما وليناهم، فليكن من العقوبة على وعد إن شاء الله، وحسب الواقفِ عليه من القضـاة، والحكام والولاة، أن يعمل بمقتضاه، ولا يتعدى ما أبرمه أمره الشريف وأمضاه، والسلام وفى أواخر جمادى الأولى من عام واحد وسبعين ومائة وألف.

ذكر السادات الشرفاء الموعود بذكرهم صدر الكتاب:

مولاى عبد المالك بن مولاى أحمد الحـسنى العمرانى الجوطى، مولاى عمر ابن مولاى حم الحسنى الجوطى، مولاى الطب بن مولاى حفيد الحسنى الجوطى، ولد عمـه مولاى عبـد الله بن عبد الرحـمن الحسنى الجـوطى، مولاى هاشم بن

مولاى عبد الـواحد الطاهرى الحسنى الجوطى، ولد عمه مـولاى على بن التهامى الجوطى، مولاى محـمد بوغالب بن العربى الحسنى الجوطى، مـولاى عبد الهادى ابن عبد الرحمن عرف بالدباغ، مولاى الفضيل بن محمد الكتانى الحسنى، مولاى أحمـد بن مولاى إدريـس الطاهرى الصقلى الحـسينى من أهل النعـال الشريـفة، مولاى حفيد بن مولاى محمـد الصقلى الحسينى، مولاى أحمد بن مولاى إدريس العراقى الحسينى، وبه تم بتاريخ الكتاب يسرته».

نظاره

منهم ناظره على جمـيع الزوايا القادرية وأوقافهـا بالمغرب المولى الطيب ابن على القادرى وقد تقدم فى ترجمته الظهير المتولى به على ذلك.

ومنهم ناظره على الرباط الحاج المكى بركاش تولاها سنة ١١٨٥ .

ومنهم ناظره على مكناسـة الحاج الطيب المسطاسى وقـد تقدمت لك بعض الوثائق الدالة على ذلك والمحاسبـات التى أوقعها فيما بيـده ومما وقفت له عليه فى هذا الباب ما نصه:

«تقيـيد محاسـبة الناظر السيد الحـاج الطيب المسطاسى فيمـا دخل عليه من مسـتفاد المسـجد الأعظم من مـحروسة مكناسـة وأوقاف السـور ومسجـد مولانا إسماعيل، ومسجد الأزهر، وأوقاف المسـاكين، وروضة مولاى عبد الله بن أحمد عن مدة من أربعة عشـر شهرا أولها المحرم فاتح عام اثنـين ومائتين وألف وآخرها شهر صفر من عام ثلاثة ومائتين وألف:».

جملة الداخل أربعـة آلاف مثقال ومـائتا مثقـال ثنتان وسبع وثمانـون أوقية واثنان وعشرون فلسا:

فمن أوقاف المسجد الأعظم ألف مثقال واحد وستمائة مثقال وخمسة وعشرون مثقالا وخمس أواقى وستة عشر فلسا.

ومن أوقاف مسجد الأزهر ستمائة مثقال وتسعة وخمسون مثقالا وأوقيتان.

ومن أوقاف المساكين خمسمائة مثقال وأربعة وتسعون مثقالا وثمان أواقى وأربعة أفلس.

يضاف لذلك ما دورك عليه فى المحاسبة قبل هذه ألف مثقال وواحد وأربعون مثقالا وخمس أواقى ونصف وثمانية أفلس اجتمع فى الداخل المذكور والمدرك خمسة آلاف مثقال ومائتا مثقال ثنتان وخمسون مثقالا وأوقيتان وثلاثة أرباع الأوقية وستة أفلس والداخل المذكور فى المشاهرة ومسانهة جامع الأزهر فقط».

«الحمد لله تقييد الصائر فى المدة المذكورة أعلاه عن المرتب وسائر الكنانيش: جملته خمسة آلاف مثقال ومائة مثقال واثنان وثلاثون مثقالا وست أواقى إلا ربع أوقية.

فمنه فى مرتب المسجد الأعظم ثمانمائة مثقال وسبعة وستون مثقالا دراهم.

ومنه فى مرتب مسجد مولانا إسماعيل وضريحه ومسجد قصبة هدراش ومدارس القصبة السعيدة، ومرتب الشريف الضرير، والفقيه السيد محمد بن المهدى المدرس بالزاوية الإدريسية ألف مثقال وأحد وثلاثمائة مثقال واثنان وثمانون مثقالا وأوقية.

ومنه فى مرتب مسجد الأزهر ومدرسته وما صار فى إصلاح رباعه ومرتب السيد عثمان التازروتى ستمائة مثقال وسبعون أوقية.

ومنه فى صائر الكنانيش على إصلاح الرباع وأجرة الناظر على الداخل والخارج وأجرة المحاسبة ألف مثقال واحد وثمانمائة واثنان وتسعون مثقالا وثلاث أواقى.

ومنه فى صائر حبس المساكين وروضة مولاى عبد الله بن أحمد ثلاثمائة مثقال وتسعون مثقالا وخمس أواقى إلا ربع.

يسقط من الداخل الصائر المذكور يبقى مدركا عليه لجانب الحبس مائة مثقال واحدة وسبعة عشر مثقالا وسبع أواقى، وجميع الداخل والخارج المذكوران أعلاه مبين جميعه فى أصل المحاسبة التى تحت يد الناظر فمن أراد تفصيله فليقف عليها».

ومنهم الحاج سعيد بن الحاج العربى بن الصغير الفيلالى، وقفت على دفتر صائره على الأحباس ابتداء من سنة ١١٨٧ إلى سنة ١١٩٢ على بتر وقع فى أوله وآخره وصف فيه المذكور بالنظارة وذكرت فيه الصوائر بشهادة عدلين كل نصف شهر على حدة، وهى فى المدة تختلف من ألفى أوقية وخمسمائة أوقية ارتفاعا إلى مائتى أوقية ونيف نزولا وعلى الدفتر خطاب «محمد المكى بن محمد المزوار بمكناسة» بخطه، وفيه محاسبة الأمناء الثلاثة الحاج العياشى بن محمد حميش، والشافعى بن عبد الله بادو، والحاج قاسم بن عبد السلام بن مومو الناظر المذكور بما لهم من النظر فى الأحباس بالأمر المولوى على بعض ما تحصل فى يده من مال الأحباس، وكان ينوب عنه إذا غاب الحاج الهادى غريط.

ومن نظاره السيد على مرسيل، كان على المسجد الأعظم بالرباط ولا زال توقيته بيد أحفاده إلى الآن، ولما مات أسند ذلك إلى والده ونص الظهير الذى أصدره بذلك لأمناء العدوتين وفيه الأمر بالوقوف فى إحصاء مستفاد موازين البلدتين وما أضيف إليها بعد الحمدلة والصلاة والتوقيع السلطانى بخطه أعلاه وهو «وعلى هذا يكون العمل»:

«كافة خدامنا أمناء ثغر سلا والرباط، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فالذى يكون عليه عملكم فى موازين سلا والرباط أن يقف أربعة من أمناء

سلا مع الطالبين الواردين من حضرتنا العلية بالله عليكم، وهما الطالب المأمون عليش وولد أخ الطالب عبد الرحمن الكدميوى على إحصاء مستفاد موازين الرباط، وما هو مضاف إليها إحصاء ضابطا.

ويقف أربعة من أمناء الرباط مع الطالبين المذكورين أيضا على إحصاء مستفاد موازين ثغر سلا وما هو مضاف إليها أيضا من رحاب وغيرها، بحيث لا يغيب عنكم من ذلك كله شاذة ولا فاذة، وحين يتم شهر شعبان أخبرونا بما استفيد من كل مدينة فى الشهر المذكور لنكون على خبرة بجميع ذلك، وولد خديمنا على مرسيل الكبير وليناه ما كان بيد أبيه يقف عليه كما كان أبوه وحتى المسجد يبقى ناظرا عليه كما كان أبوه قبله، ورتبنا له عشر موزونات عن كل يوم، ويقف فى خدمتنا بالمرسى وغيرها والسلام فى سابع عشرين رجب ١١٨٨».

ونص ما أصدره فى ولاية السيد أحمد ولد المذكور التوقيت بجامع السنة الذى أحدثه المترجم بأكدال الرباط بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يستقر هذا الظهير الكريم، المقابل بالإجلال والتعظيم، بيد ماسكه خديمنا الطالب أحمد ولد خديمنا الطالب على مرسيل الرباطى، يعلم منه أننا وليناه التوقيت بمسجد جامع السنة وكلفناه به من غير معارض يعارضه ولا منازع ينازعه، وأنعمنا عليه بقبض ثلاثين أوقية فى كل شهر من الحبس إنعاما كليا، صدر أمرنا بهذا فى ٧ محرم الحرام فاتح اثنى عشر مائة ١٢٠٠».

ونص آخر بعد الحمدلة والتوقيع السلطانى وهو «أوقية ٣٠»:

«ليعلم من كتابنا هذه أسماه الله أننا أذنا لناظر الأحباس برباط الفتح أن يدفع لأولاد السيد مرسيل من مال أحباس رباط الفتح زيادة على ما يقبضونه ثلاثون أوقية عن كل شهر من شهر المحرم المؤرخ به والسلام وفى ٢٢ محرم الحرام فاتح ١٢٠١».

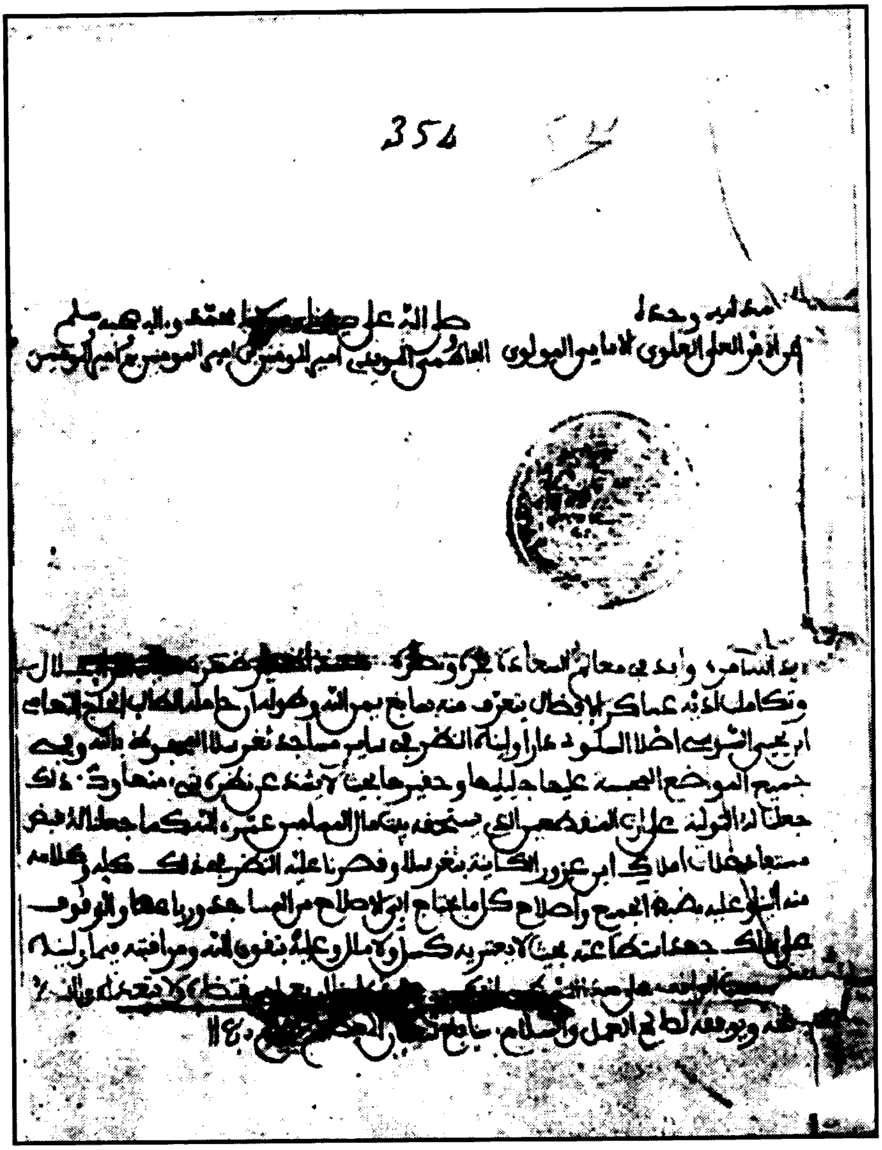
ونص آخر بعد الحمدلة والتوقيع بـ «١٢٠٢»:

«نأمر خديمنا أولاد مرسيل أن يمكنا لخديمنا الزوين المكانتين الاثنتين اللتان إحداهما فيها السفن والأخرى التى فيها النصرانى يدق على أطرافها فالتى فيها السفن ستفاها فى صندوقها والأخرى تبقى على تستافها ٣».

ومن نظاره الحاج التهامى بن يحيى السوسى السلوى ولاه النظر فى سائر مساجد سلا، وأوقافها مع نيابة بيت المال فى إرث المنقطعين وغير ذلك ونص ظهير ولايته بعد الحمدلة والصلاة:

«عن الأمر العلى العلوى، الإمامى المولوى، الفاطمى المؤيدى أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين (ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه).

أيد الله أمره، وأبّد فى معالم السعادة فخره ونصره، هذا ظهير ظهرت عليه آثار الإجلال، وتكاملت لديه عساكر الإفضال، يتعرف منه بسابغ يمن الله وطوله أن حامله الطالب الحاج التهامى بن يحيى السوسى أصلا السلوى دارا، ولنياه النظر فى سائر مساجد ثغر سلا المحفوظ بالله وفى جميع المواضع المحبسة عليها جليلها وحقيرها، بحيث لا يشذ عن نظره شيء منها، وكذلك جعلنا له التولية على إرث المنقطعين الذى يستحقه بيت مال المسلمين عمره الله، كما جعلنا له قبض مستفاد غلات أملاك ابن عزوز الكائنة بثغر سلا، وقصرنا عليه النظر فى ذلك كله، وكلامه منه إلينا وعليه بضبط الجمع وإصلاح كل ما يحتاج إلى الإصلاح من المساجد ورباعها والوقوف على ذلك جهد استطاعته، بحيث لا يعتريه كسل ولا ملل، وعليه بتقوى الله ومراقبته فيما ولنياه عليه وحسب الواقف على هذا المسطور الكريم من خدامنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، والله يصلحه ويوفقه لصالح العمل، والسلام سابع شعبان المعظم عام ١١٨٠».


354

الحمد لله وحده — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من الأمر العلي العلوي الإمامي المولوي الهاشمي الحسني أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين

ظهير سيدى محمد بن عبد الله بإسناد نظارة سلا للحاج التهامى السوسى

ووقفت له على ظهير شريف بالأمر بمحاسبة أولاد ساسى السلويين عما كان بيد والدهم السيد العربى ساسى من مال الأحباس بحضور القائد عبد الحق فنيش ونصه بعد الحمدلة والطابع:

«حملة كتابنا الكريم، المتمسكون بخطابنا الجسيم، السيد عبد الله ولد الصائر لعفو الله السيد العربى ساسى السلاوى وولد أخيه سيدى محمد بن محمد ساسى أسدلنا عليهم أردية الاحترام، وجعلناهم على كاهل المبرة والإكرام، بحيث لا يضرب إليهم أحد ساحة، ولا يقرب إليهم مساحة، ومن اهتضم لهم حرمة يخاف على رأسه، وقد أبرأناهم من متخلف الحاج محمد بن يوسف وعلال بن مبارك والزعرى من حراطين سلا فقد أديا ما وجب عليهم لبيت المال عمره الله حسبما تضمنته الرسوم التى بأيديهم ولم تبق عليهم تباعة، ومن كانت له دعوى عليهم فليسلك معهم الشريعة، وإن كانت لهم دعوى على أحد فليصحبهم للشرع الكريم.

ونأمر قاضى مدينة سلا حرسها الله السيد عيسى، والفقيه السيد محمد ملاح، وعدول الصائر أن يحاسبوهم بحضور خديمنا القائد عبد الحق على ما كان بيد والدهم من مال الأحباس وما أبرزته المحاسبة من وفر يجعل فى مصارفه وفى ثانى شعبان المبارك عام اثنين وسبعين ومائة وألف».

ومن نظاره السيد محمد فتحا بن محمد ساسى كان على أوقاف المسجد الأعظم بثغر سلا، حسبما جاء بوثيقة شرائه الموطأ بالنيابة عن المسجد من الكاتب السيد الطاهر بن عبد السلام ونص ذلك بعد الحمدلة:

«اشترى الناظر على أوقاف المسجد الأعظم من مدينة سلا أمنها الله تعالى سيدى محمد بن البركة الأجل سيدى محمد ساسى، وهو نائب فى الشراء ودفع الثمن عن المسجد المذكور، ولا حق له فى ثمن ولا مثمن من البائع له الفقيه

الأجلّ العلامة السيد الطاهر بن الأبر السيد الحاج على بن عبد السلام جميع المجلد المحتوى على مـوطأ الإمام سيدنا مـالك بن أنس رضى الله عنه المكتوب هذا على أول ورقة منه للحـاجة إليه اشـتراء تاما، بثـمن قدره له ثلاثون أوقـية دراهم سكة تاريخـه، قبض البائع المـذكور جمـيع الثمن دراهم عـينا معـاينة، وأبرأه من ذلك القبض أتم إبراء، وتملك المشترى للمشترى له المذكور تملكا تاما وحازه بالدرك عرفا قدره شهد به عليهما من أشهداه بأكمله وعرفهما فى الثانى عشر من جمادى الثانية عام أربعة وسبعين ومائة وألف».

ومنهم السيد محمد بن أحمد الشامى المدعو النقيب، كان ناظرا على مسجد القرويين، ورد ذكره كذلك بدفتر الأحباس المكناسية.

ومنهم الشيخ أبو مدين الفاسى أسند إليه النظـارة وغيرها بزاوية جده سيدى عبد القادر بفاس، حسبما مر ظهير ذلك فى باب اعتنائه بالعلم وأهله.

أولاده

وكان له رحـمه الله عدة أولاد أكـبرهم أبو الحسن عـلى خليفتـه على فاس المتوفى سنة ١١٩٧، وأشقاؤه المأمون خليفة فاس المتوفى سنة ١٢٠٠، وهشام أحد المبايعين من أولاده بعده وعبـد السلام مؤلف درة السلوك واقتطاف الأزهار، أمهم ربة الدار العلية المولاة فاطمة بنت عمه المولى سلمان بن إسماعيل.

ثم سليمان السلطان وشقيقاه الطيب خليفـة أخيه على مراكش وقائد جيوشه وموسى أمهم حرة من الأحلاف.

ويزيد السلطان ومسلمة أحـد المبايعين، وشقيقـتهما السيدة حـبيبة زوج ولد الشـريف سرور شـريف مكة، وقد ردها أخـوها اليزيد لما مـات الزوج كمـا عند الضعيف، أمهم شهرزاد علجة من سبى الإسبان.

والحسين أحد المبايعين وعبد القادر أمهما من الأحلاف.

والحسن وعمر أمهما من الأحلاف أيضا

وعبد الواحد أمه حرة من أهل رباط الفتح.

وعبد الرحمن أمه حرة من هوارة السوس.

وعبد الله أمه حرة من عرب بنى حسن.

وإبراهيم أمه علجة رومية.

ومن أولاده أيضا أحمد والتهامى.

ومن بناته بنت كانت عند المولى عبد الملك بن إدريس وهى التى تشفعت له عند أخيها المولى سليمان، ومنهن السيدة لبابة وقفت على كتاب للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن أيام خلافته قبل ولايته بعثه للقائد الجيلانى بن بوعزة جوابا عن كتابه فى الإعلام بوفاتها ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«وصيف مولانا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعز أعانك الله وأصلحك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله.

وبعد: فقد بلغنا كتابك مخبرا بوفاة عمة سيدنا لال لبابة قدس الله روحها نسأل الله أن يجعلها ممن قدم صالحا، وسعى سعيا رابحا، والله يعينك والسلام فى ٢٦ من شوال عام ٢٥٩» ثم الطابع سفل الكتاب فيه «محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله».

مؤلفاته

منها كتاب (الفتوحات الإلهية، فى أحاديث خير البرية، التى تشفى بها القلوب الصدية)، فى مجلد جمع فيه ما اتفق عليه الأئمة الستة أبو حنيفة

والشافعى وأحمد والبخارى ومسلم ومـالك، يذكر أولا ما اتفق عليه الستة، ثم ما اتفق عليه خمسة منهم، ثم ما اتفق عليه أربعة، ثم ما اتفق عليه ثلاثة، ثم ما اتفق عليـه اثنان، ثم ما انفـرد به كل واحد من الأئمـة الأربعة، ثم ثنائـيات البـخارى ومسلم، والتزم تقـديم أكبر الأئمة سنا فى الذكـر مقتصراً فى الأسـانيد على ذكر الصحابى.

ثم ختم بذكـر مناقب آل البيت، والعـشرة، ومن استـشهد منهم ووفـياتهم رضى الله عنهم، وافتـتحه بعقيـدة ابن أبى زيد القيروانى التى صدر بهـا رسالته، وأول حديث فيـه إنما الأعمال وإن كان رباعيا لأن الأعـمال كما قال كلها مـوقوفة عليه، وذكر آخر كل فصل من الفصول المذكورة عدد ما اشتمل عليه من الأحاديث فكانت جملة أحاديث الكتاب ١٥١٦ حديثا.

وعقـد آخر الكتاب بعـد ذلك فصلين أحـدهما فيـه معنى قوله فى ترجـمة الكتاب «قال محمـد بن عبد الله المالكى مذهبا الحنبلى اعتقـادا»، والثانى ذكر فيه اعتقـاده فى الأئمة الأربعة فـذكر فى الأول: «أن الإمام أحمـد ثبت الله المسلمين بثبـوته سد طريق الخـوض فى علم الكلام، وقال: لا يفلح صـاحب الكلام أبدا، ولا ترى أحـداً ينظر فى علم الكلام إلا وفـى قلبـه مرض، وهجـر أبا عـبـد الله الحارث بن أسد المحاسبى وكان ممن اجتـمع له علم الظاهر والباطن وذلك لتصنيفه كتابـا على المبتدعة، وقـال له: ويحك ألست تحمل الناس بتصنيـفك على مطالعة كلام أهل الـبدعة والتـكلم فيـه! فيدعـوهم ذلك إلى الرأى والبـحث، فاخـتفى المحاسبى، فلمـا مات لم يصل عليه إلا أربعة، وإلى ذلك ذهب الشـافعى ومالك وسفـيان وأهل الحديث قاطبـة، حتى قال الشافـعى رضى الله عنه: لأن يلقى الله العـبد بكل ذنب مـا خـلا الشرك خـيـر له من أن يلقـاه بشىء من الكلام، فلزم السكوت عن الخوض فى علم الكلام إلى أن نبغ الإمام الأشعرى فاشتغل يرد على

المعتـزلة أقوالهم الفـاسدة ويجـيب عن آرائهم الواهية، فـأتبعه المالكيـة على ذلك وسموه ناصـر السنة، وهو ومن تبعه على صـواب، موافقين فى اعتـقادهم للسنة والكتاب، لا فى الخوض مع الخائضين، والتصـدى لذكر شبه المبطلين، وتخليدها فى الأوراق إلى يوم الدين.

وأما الحنابلة فأنكروا عليه، وفوقوا سهام الانتقاد إليه، وقالوا له: كان ينبغى لك أن تسكت كما سكت الأئمة قبلك من السلف الصالح المهتدين الذين يرون أن الخـوض فى علم الكلام من البدع المحـدثة فى الدين، أَمَـالَكَ فيـهم أسوة؟ أفـلا وسعك ما وسعهم من السكوت عن تلك الهفوة؟ فطريق الحنابلة فى الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعـتقاد الأئمة كما سبق مع السلف الصالح من الأنام، أعاشنا الله علـى ما عاشوا عليه، وأماتنا على مـا ماتوا عليه، بجاه النبى وآله».

وذكـر فى الثانى أن اتبـاع كل إمام من الأئـمة الأربعـة يعظمونه ويذكـرون أحاديث وردت عن النبى ﷺ فيه ويزعمون أن من تمسك بمذهبه فقد تمسك بالعروة الوثقى ويرجحون مذهبه على سائر المذاهب قـال: «وأنا أقول قد صدق الجميع من أئمة الهـدى المذكورين أعـاشنا الله على هديهم وطريقهم بجـاه النبى وآله إلا فى كلمة واحدة، وهى كلمة الترجيح، لأن اعتقادى فى الأئمة الأربعة أنهم على هدى وكلهم على التـساوى لا يرجح أحـدهم على الآخـر، وكل من تمسك بمذهب من مذاهبهم فـقد تمسك بالعروة الوثقى، فكلهم والحمد لـله آخذون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأقول: هم الخـلفاء الأربعة على أمة رسول اللـه ﷺ» فجعل أبا حنيفـة خليفة أبى بكر، ومالكـا خليفة عُمـر، والشافعى خليفـة عثمان، وأحـمد خليفة على رضوان الله على الجميع.

وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب الذى لم يسبقه إليه أحد من أئمة الحديث المبرزين على هذا الصنيع العجيب فى جمادى الثانية عام ١١٩٨.

ومنها كتاب (الجامع الصحيح الأسانيد، المستخرج من ستة مسانيد) وهو مرتب على أبواب الفقه مبين فيه عقب كل باب ما فيه من الأحاديث مفصول الكتب التى هى فصوله بالبسملة على عادة قدماء المحدثين، وذكر فى آخره الفصلين المتقدمين فى شرح قوله الحنبلى اعتقادا مذهبا، وبيان اعتقاده فى الأئمة، وختمه بذكر اشتغاله بالحديث وكيف استخرج مصنفاته فيه وإدخاله المسانيد الثلاثة للمغرب فقال:

«إن من أعظم نعم الله على، وأجل مننه لدى، أن وفقنى للاشتغال بالعلم والبحث عنه والمذاكرة لأهله، وإنى بعد ما خضت فى علم اللغة برهة من الزمان، وحفظت من كلام العرب وأشعارهم جملة صالحة معينة على فهم السنة والقرآن، اشتغلت بعلم الحديث فاعتكفت على قراءة صحيح الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى، ومراجعة صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، وموطأ الإمام مالك بن أنس إلى أن ورد على مسند الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت فقرأته حتى ختمته والحمد لله.

ثم بعثنى الحديث الوارد عن الرسول ﷺ من حفظ على أمة الأربعين حديثا من دينها حسبما سبق ذكره فى طالعة هذا الكتاب على تأليف جملة من الأخبار، من غير تطويل ولا استكثار، فألفت كتاب (الفتوحات الصغرى) معتمدا فى ذلك على المسانيد المذكورة: مسند الإمام أبى حنيفة، ومسند الإمام مالك المسمى بالموطأ، ومسند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، ومسند الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى.

ولما أراد الله تعالى إكمال منته، وإتمام نعمته، وجزيل عطيته، ورد علينا مسند الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى، ومسند أمير المؤمنين فى الحديث الإمام أحمد بن حنبل فاعتكفت على قراءتهما، ودأبت على مطالعتهما ومراجعتهما، فبعثنى صدق النية، وفرط محبتى للسنة النبوية، على جمع عيون من كلام خير البرية وسلكت فيها مسلكا لم أسبق إليه، ونسجت على منوال لم نر من نسج عليه، وسميته (الفتوحات الكبرى) فجاء بحمد الله كتابا بديع التصنيف حسن الترتيب والترصيف، يعد فى المسندات.

ثم بَدَاَ لى أن أجمع أربعمائة حديث من مسانيد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، خاصة بهم دون غيرهم مائة حديث لكل واحد منهم، فأعدت قراءة المسانيد المذكورة مرة أخرى واستخرجت منها على الوجه المذكور كتاب (الجامع الصحيح الأسانيد) ثم ظهر لى أن أجمع هذه المصنفات الثلاثة التى هى الفتوحات الصغرى والفتوحات الكبرى والجامع الصحيح الأسانيد وأضم بعضها إلى بعض، وأرتبها على أبواب الفقه وأضيف إليها من حديث الأحكام، ما يكمل به الغرض والمرام، مأخوذا ذلك كله من الكتب الستة المذكورة التى هى مسند الإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومسند الإمام مالك بن أنس المسمى بالموطأ، ومسند الإمام محمد بن إدريس الشافعى، ومسند أمير المؤمنين فى الحديث الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الإمام سيدى محمد بن إسماعيل البخارى، ومسند الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى.

فأضفت ذلك كله بعضه إلى بعض، ورتبته على أبواب الفقه وفصوله، ليسهل أخذ الحكم من قواعده وأصوله، وسميته كما تقدم بالجامع الصحيح الأسانيد، المستخرج من ستة مسانيد، فجاء بحمد الله كتابًا بديعا نافعا، ولما يحتاجه الطالب من أدلة الحلال والحرام جامعا، جعله الله خالصا لوجهه الكريم، ومقربا من رضوانه العميم».

ومن مؤلفاته كتاب (مواهب المنان، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان) قال فى أوله «لما كان غالب اعتناء طلبة الوقت بحفظ القرآن والتفنن فى قراءته بالروايات، وإهمالهم ما فرضه الله على الأعيان مما يدان به من علم العبادات والاعتقادات، وإن كان فضل كتاب الله مأثورا، ومقام حفاظه بين أولياء الله مشهورا، لكن لامع الجهل بما يعبد الله به من ضرورى الدين، فإنه على الموصوف بهذه الصفة حجة فى كل حين، لأن المقصود الأهم من حفظ القرآن، هو تعلم أحكام الدين التى بها الله يدان، إذ مجرد حفظ مجموعة فرض كفاية بلا ارتياب، ومعرفة ما تبرأ به الذمة فرض عين وإيجاب».

ثم قال: «وكنت لقيت حال سفرى من مكناسة إلى مراكش سنة ١٢٠٣ ثلاث بعد المائتين والألف من الأساتيذ الجم الكثير، وألفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير، حملنى ذلك لما انطوى عليه الفؤاد من حب النصح للمسلمين، أن أجمع لهم مسائل مهمة من علم أمور الدين، قريبة المقاصد، شهيرة الموارد، مقتصرا فيها على الضرورى ليسهل حفظه على الصبيان وهى أيضا نافعة لمن اقتصر عليها فى دينه من الشيوخ والكهول والشبان، راغبا بذلك فى محصول قوله ﷺ فيما أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الخير الناس، وما رواه ابن ماجه من أنه ﷺ قال: أفضل الصدقات أن يتعلم المرء المسلم العلم ثم يعلمه أخاه المسلم».

وقد أوقف رحمه الله مؤلفاته وبالأخص المسانيد على خزائن المشرق والمغرب، وأوقف على تدريسها أوقافا وشرحها غير واحد من الأعلام، وذكر الضعيف فى تاريخه أن شيخه ابن أبى القاسم السجلماسى الرباطى ختم كتاب الفتوحات المذكور فى متم جمادى الثانية ١٢٠٠ وابتدأ البخارى عقبه أرشد الله

إمامنا لإحياء مآثر سلفه الصالح وألهمه طبع هذه الكتب القيمة ونشرها بين الناس.

وفاته

أصيب برد الله ثراه عند خروجه من مراكش للنظر في أمر ولده اليزيد المعتصم بجبل العلم بمرض خفيف تزايد به في الطريق، فلما وصل عين الحمارة بين وادى «الشراط ووادى يكم من أعمال الرباط أدركته منيته، وهو في محفته على نحو نصف يوم من الرباط بعد العشاء من ليلة الاثنين السادس والعشرين من رجب عام ١٢٠٤(١) ودفن عشية يومه كذا ببعض التقاييد، وقيل: إنه مات يوم الأحد الرابع والعشرين منه وحمل لداره بالرباط حيث دفن بإحدى قبابها بحضور الفقهاء والعلماء والشرفاء والطلبة، وصلى عليه العلامة محمد بن أبى القاسم السجلماسى وضريحه هناك مشهور.

ولخاتمة الحفاظ المحدثين بالديار المشرقية الشيخ محب الدين أبى الفيض السيد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى الحنفى صاحب شرحى الإحياء والقاموس وغيرهما يرثيه ويهنئ بالملك ولده المولى اليزيد رحم الله الجميع بمنه:

وجدى يجد وحسرتى تتجدد ... وطويل حزنى وافر لا ينفد
ومصيبتى ذهبت بكل جلادتى ... وذهبت لا أقوى ولا أتجلد
وأسى أقام وإننى من قبله ... ما كنت أعلم ما المقيم المقعد
ما لى أرى بعد النباهة والنهى ... بين المعالم باهتا أتبلد
سيان عندى عاذر ومعنف ... ومحسن ومقبح ومفند
حجبت وجوه الرأى دون تصبرى ... والرشد قل لى كيف ويحك أرشد

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «عام ١٣٠٤».

لله غـرب مـــدامـعى شـقـــقـتـه — لو كـــــان ينفع غـلتى ويـبـــرد
يا صاح عذراً إن عصيتك فى العزا — مـــالـى بذاك لا لســـــان ولا يد
يهنيك سـيل الـدمع قـد بلغ الزبى — وأنقـدنى الجـوف القوى والأكـبـد
وقـد التـقت حلق البطان فـلا تلم — لا أمس أمس ولا غـد عـندى غـد
فصمت عرا الصبـر الجميل وخاننى — مـا كـنت تعلم يافـــلان وتعـــهـد
كـبـــد مـفـتـــتـة وجـــسم ناحل — وهوامـع تجـــرى وقلـب مكمـــد
يا دهر بـع رتب المعـــالى كـلهـــا — مات الشريف ابن الشريف (محمد)
أعنى أمـيـر المؤمنين وعـصمـة الـ — ـمـجـد المكين المـسـتـغـاث المسند
ملك الملوك الصـالحين وحـرزهم — بيت القـصـيـــد المرتجى والمقـصـد
نجل المـلوك الطاهـرين رءيســـهم — تاج الأئمـــة والفـــخـار الأوحـــد
الصـــالح البـــر الـتـــقى العـــالم — الورع الولـى العـابـد المتــهـجـد
الحـازم اليـقظ[1] الذكى اللين الـ — ـخـشن الـرضـا المتنمـر المـتـأسـد
الناسـك القـــرم الوفى بعـــهـده — القـانت الحـبـــر الحـفى الأسـعـد
ملك المغارب سيد الصيد[2] الجحا — جح[3] من قصى والكريم الأمـجد
ابن النـبـوءة والمروءة مــن سـمـــا — وزكـا وطـاب غـراسـه والمحـــتـد
حلت عـزائمهـا الغمـام على ثرى — فـيـه اسـتـقل ضـريحـه والملحـد

(١) فى هامش المطبوع: «اليقظة محركة نقيض النوم ورجل يقظ ككتف وسكران».
(٢) فى هامش المطبـوع: «الصيد جـمع أصيـد كهـيم جمع أهيم، والأصـيد الملك كـما فى القاموس».
(٣) فى هامش المطبوع: «جمع جحجاح والجحجح السيد».

ديمـا ترى وجـه الدموع وتـفتـرى وتصوب طورا فى الضـريح وتصعد

خـرجـوا به تتلوا المعـالى خلفـه: (اليـوم عـــهـدكم فـأيـن الموعـد)

وبكت قلـوب كـالحـديد لفـــقـده فـرأيـت كـيف يذوب ثم الجلـمـد

يا تربة ضـــمت علـى أعـضــائه يهنى رحـابك غـــار منك الفـرقـد

هذا نســـيــمك إن تـنسم راحـــة مـــهـمــا يراوحـنا وتربك إثمـــد

لازالت الرحـــمـات تغـشى روحـه يجـرى بهـا أبدا عـليـهـا سـرمـد

وتقــــدست نفـس له بمكان مـــا يتنـافس المتنافـــســون ويجــــهــد

نزلا يـكون له الـرضـــا مـن ربه ومـقام صـدق فى النعـيم ومـقعـد

والله أكـرم ما اسـتعـيض فعـاضنا عـوضـا خليـفـتـه الأشم الأجـود

مـا غـاب مـولانا وفرقـد سـعـده حـتى بـدا وجـه اليـزيد المسـعـد

عادت لنـا الحسنى وكانـت فارقت والعـود من بعـد التـفـرق أحـمـد

إلى أن قال:

يا أهل إسـمـاعـيـل يا أهل الوفـا يا من لـهم ذاك العـــلا والســـودد

القـــائلين الفـــاعلين المـطعـمـيـ ـن المصـطلين لنار حـــرب توقـــد

مـــا منكـم إلا زعــيم مـــاجـــد شـيخ وكـهل فـى الكمـال وأمـرد

هذى الخـلافـة مـا تعـدت بيـتكم فـارعو المعـروف المهيـمن وأحمـد

بيـت له عـنـد المـلوك جـــــــلالة وهم لديـه راكـعـــون وســـجـــد

بيـت له شـــــرف أشم وعــــزة ومــــهـــابة وصــــلابة وتســـدد

بـيت (يـزيد) مـليـكـه وبنـو أبيـ ـه مـــعــاضـــدوه فكيف لا يتـــأيد

إلى أن قال:

لا زلتم تتوارثون سيادة ... أبدا يقوم بها وينهض سيد

وإليكموها فى الهناء وفى الرثا ... غراء ينشدها حبيب معبد

تسرى بها الركبان ما بين الورى ... مثلا وتتهم فى البلاد وتنجد

خلعت ثياب الحزن منها واكتست ... ثوب السرور واقبلت تتأود

الله أولى من شكرت صنيعه ... وأحق من يثنى عليه ويحمد

أصبحت مسرور الفؤاد ولم أقل ... وجدى يجد وحسرتى تتجدد

١٧٩ - محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان.

حاله: من خيرة بنى أبيه وأكثرهم برورًا به، وأشدهم اقتداء به وامتثالا لأوامره حتى إنه كان لا يراجع فيما يقال له إن والده كان وعد به، وكان يمضى ذلك اعتمادا على أخبار المخبر من غير بحث ولا مناقشة، وهذا بعد وفاة والده، فما ظنك به فى حياته، فهذا لعمرى غاية البرور وبسبب ذلك حصل على المكانة المكينة لديه.

أخذ عن الفقيه السيد الطيب بن اليمنى بو عشرين السالف الترجمة، وهو الذى تولى تأديبه، وتربيته وتهذيبه، وعن العلامة السيد المدنى بن الكبير الفيلالى الغربى قاضى مراكش، والأستاذ المقرئ السيد محمد بن عبد الواحد الزجلى الفاسى المعروف بابن تمو حسبما وقفت له على ظهير شريف أصدره لأحفاده بالتوفير والاحترام.

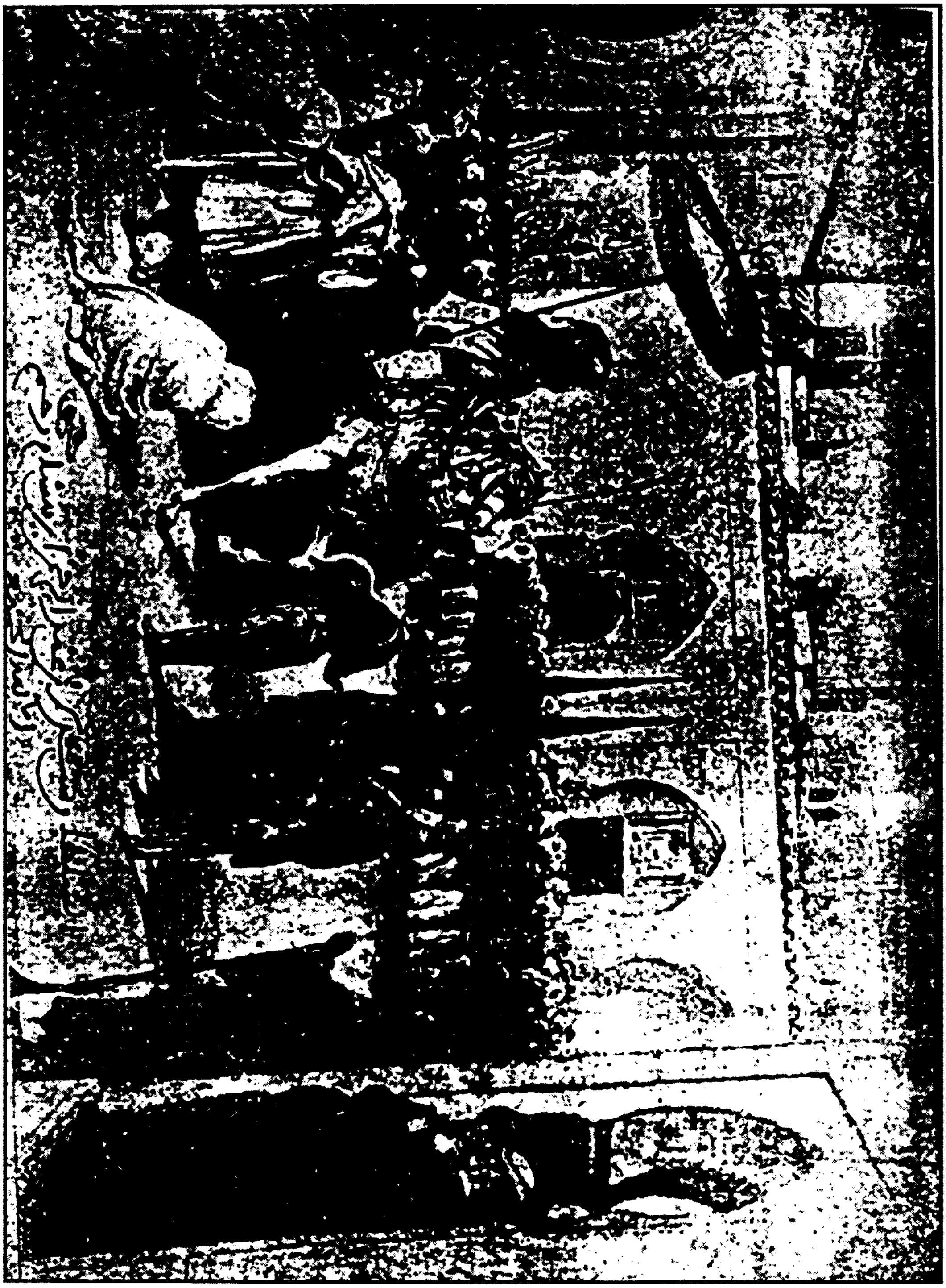
---

١٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٤٧.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله وليه» وبزوايا خاتمه السليمانى «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» ثم اسم الجلالة ومحمد وأسماء الخلفاء الاربعة وبدائرته ومن تكن إلخ البيتين: «كتابنا هذا اسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، يستقر بيد حملته أحفاد شيخنا الفقيه الأستاذ المقرئ البركة سيدى محمد بن عبد الواحد الزجلى ثم الفاسى المعروف هو وقومه بأولاد ابن تمو، وهم أولاد ولديه الموقت الحيسوبى السيد على، وأخيه الحاج محمد ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أنا سدلنا عليهم أردية التوفير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإنعام، والرعى الجميل المستدام، وأسقطنا عنهم التكاليف المخزنية، والوظائف السلطانية، لما لجدهم علينا من الحق بتعلم كتاب الله العزيز ولانتمائهم للنسبة الشريفة، ولانخراط البعض منهم فى سلك خدمتنا السعيدة، فمن حام حول حماهم بما يخالف هذا فلا يلومن إلا نفسه، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله فى رابع قعدة الحرام عام ١٢٨٥».

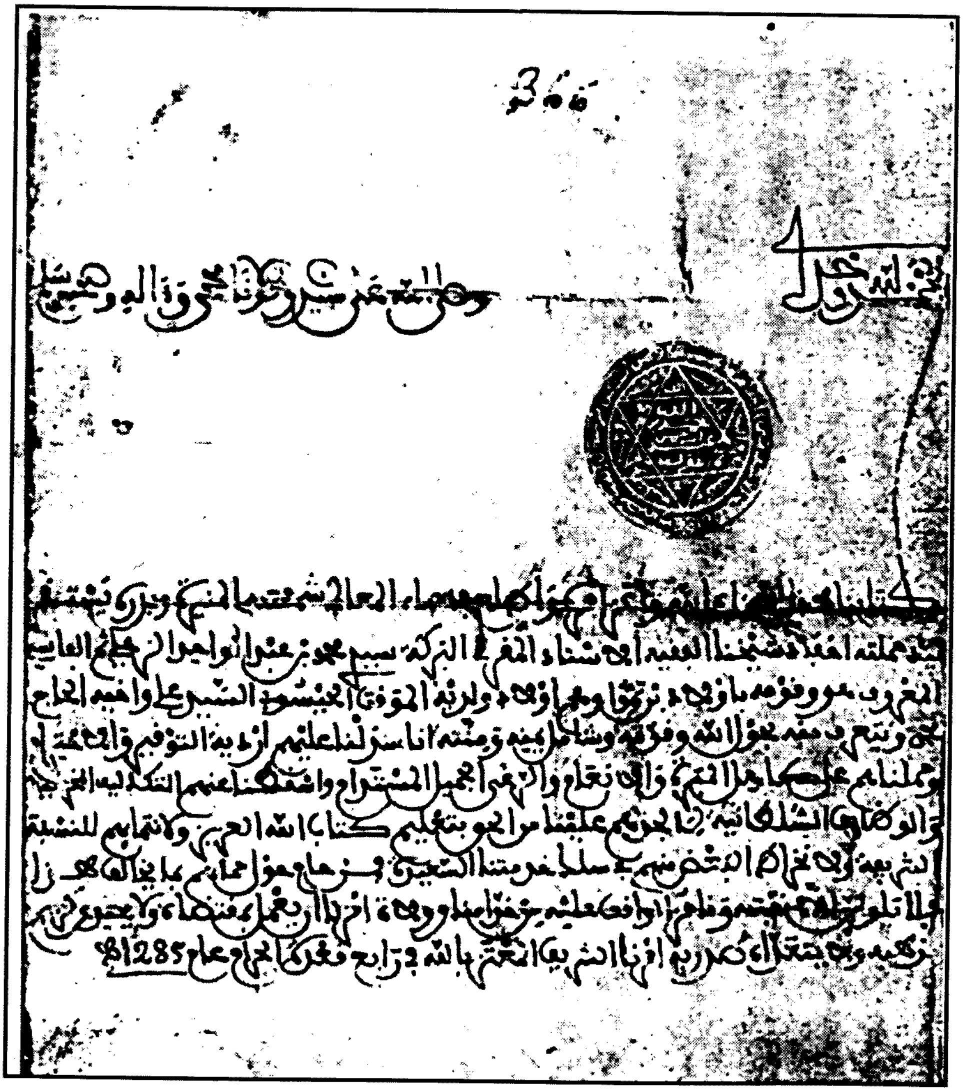
وكان ذكيا زكيا فاضلا جامعا لأوصاف الخير والنبل، محبا فى العلماء محسنا إليهم معتنيا بشأنهم، مشاورا لهم لا يبرم أمرًا دونهم، له باع طويل وقدم راسخ فى العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة والموسيقى، درس تلك الفنون بالنقد والتحرير، وختم كتاب إقليدس فى الهندسة عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

أحيا رحمه الله دارس تلك العلوم، ونفق فى زمانه سوقها بعد الكساد وأسس مدرسة لتلك الفنون فى خلافته على عهد والده المقدس جوار القصر السلطانى من فاس الجديد تخرج منها جماعة من الطلبة النجباء النبلاء، منهم الفئة



وجدت هذه الصورة محفوظة عند بنت باشادور الإنجليز بطنجة الميسطر (جان هى) أخذت عند مقابلته الرسمية مع الجلالة السلطانية المحمدية والقنصل المذكور هو الواقف أمام الجلالة مع أعضاء سفارته وعن اليمين زوج السفير المذكور وبنته.

وقد امتد مقام هذا السفير بالمغرب من الدولة العبد الرحمانية إلى أواسط الدولة الحسنية



ظهير سيدي محمد بن عبد الرحمن لأحفاد شيخه ابن تمو

الموجهة لتتميم دروسها بعواصم أوربا، كالفقـيه أبى عبد الله محمد العلمى الشهير ببنانى بإيطاليـا، وآخرون فى فرنســا وألمانيا وذلك فى حدود ١٣٠٠ حـسبمـا مر بسطه.

وكان ولوعـا بجمع الكتب الغـريبة، حتى إنه جـمع وهو خليفـة عددا من النساخ وجعل لهم محلا مخصوصا لنسخ كـتب الحديث وغيرها ورئيسا هو الفقيه الأديب الكاتب السيد محمد بن محمد غريط.

وكان آية عظمى فى السماحة والجود. قال فى اقتطاف زهر الأفنان: أخبرنى من يوثق به ويعتمـد على خبره ممن لازمه يعنى المترجم الملازمـة لخاصة أنه لم يقل لا فى شىء سئله قط، وهذا من أغرب مـا يتحدث به من كرم الشمـائل مع كثرة السؤال وتعدد أنواعه كـما هو معروف، وهو متأس فى ذلك بصالح سلفـه كسيدنا زين العابدين القائل فيه الفرزدق.

ما قال لا قط إلا فى تشهده   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وكان كثير الإغضاء بحيث كـان يبغت بعض خاصة الأتباع وهم على غير ما ينبغى فيرجع مـتعوذا من الشيطان الرجيم، كمـا أنه كان من التواضع بمكانة، ومن تواضـعه أنه كـان يخرج للصلوات الخـمس متـأبطا لبدته سـواء فى ذلك الحـضر والسفر.

وكان مـقبـلا على شأنه، برع فى نظم الأزجـال وفاق، يأتى بالتـخيـيلات العجيبة والتشبيهات البديعة والنوادر.

وكان له ولوع بالطرب والنغـمات الموسيقـية، اتخذ لتعلم ذلك جـماعة من الإماء وعين لتعليـمهن المعلم الساورى أمهر أرباب الصناعة الموسيـقية فى عصره، فتـعلمن وبرعن فى ذلك أعرف بعـضهن بالعين والاسـم، ولا زالت واحدة منهن

حية ترزق إلى الآن، واقتفى أثره من بعده فى ذلك نجله الإمام المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه، وكذلك حفيده إمام عصرنا الكوكب الدرى الأصعد، أبد الله علاه ونصره، وأبهج بالعلوم والمعارف عصره، أمين.

وكان المترجم من أعلم أهل عصره بالسياسة، وأمثل البررة إخوته طموحا للمعالى، حريصا على نفع العباد، بصيرا بعواقب الأمور، ذا تأن وتؤدة ووقار كم رشحه والده للمهمات، وكشف به من مدلهمات، استخلفه بفاس على حداثة سنة عام ١٢٥٥، واستوزر له السيد الطيب بو عشرين إذ كان مؤدبا له، فأحسن السيرة وقام بمأموريته أحسن قيام، فازدادت مكانته عند أبيه وفوض إليه، وألقى زمام المملكة بين يديه، لم يستثن عليه شيئا منها فاتخذ العساكر وجند الجنود، وأمر ونهى وولى وعزل وقدم وأخر.

وقفت على كثير من ظهائره التى أصدرها فى خلافته للقائد الجيلانى ابن بوعزة والقائد فرجى وغيرهما، وكان يختمها من أسفل بختم نقش عليه «محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله».

ولما وجهه والده لناحية وجدة وجرت على جيشه الهزيمة الشهيرة بوادى ايسلى فى شعبان سنة ١٢٦٠ ورجع لفاس حجب عنه وجه رضاه، واستشار الوزير الصدر ابن إدريس فى شأنه فأشار عليه بعزله من الخلافة وتولية أحد إخوته، فلم يعمل بإشارته، ثم استشار عامل السراغنة السيد أحمد بن القائد فى شأنه أيضا فأشار عليه بإقراره على الخلافة، وقال له: إن ما وقع من انكسار الجيش لا عهدة عليه فيه إذ ذاك كان من تهاون كبراء الجيش وإخلادهم إلى الراحة وطمع الجنود فى خزينة مال المؤنة، وإذا عزلته فربما يظن الأجانب أن عزله كان لأجل ما ضاع من المال والأخبية والآلات.

فأعمل رأيه وأقره على الخلافة، وعزل الفقيه بو عشرين عن وزارته ونكبه، وعين لوزارته الفقيه السيد محمد غريط، ومن ثم أخذت حالته تتدرج لديه فى

الاستحسان وحظوته تتزايد إلى أن صار يولى من أشار بولايته ويعزل من أشار بعزله، ثم أرجع الفقيه بو عشرين لوزارته، وفوض له أمور القبائل المندرجة فى خلافته، فبنى قبة سيدى عمارة خارج باب القصبة بمراكش، وبنى مسجد مولاى عبد الله بفاس الجديد، غير أنه انتقد عليه بناء ذلك، وأمر باتخاذ مسجد مولاى عبد الله مخزنا للشعير وإغلاقه حيث إن الناس فى استغناء عنه بتعدد المساجد، ولم يقبل شفاعة الشافعين فى فتحه إلى أن خطب الفقيه الخطيب سيدى علال الفاسى فى جمعة من الجمع بالمسجد الأعظم بفاس الجديد والسلطان إذ ذاك حاضر، فقرأ فى خطبته قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ... ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: آية ١١٤]. فتأثر السلطان لما سمع ذلك وأمر بفتح المسجد حينا فكان للخطيب بذلك جميل ويد بيضاء لدى المترجم وأولاه الإنعامات والتنافيذ الجزيلة التى ورثه بنوه من بعده.

ولما توفى الوزير الصدر المذكور، وتولى الوزارة السيد العربى الجامعى حملته الدالة بالمصاهرة والأثرة لدى السلطان على أن صار لا يبالى بالمترجم ويغض من مكانته، فتذمر لذلك، واشتكى لوالده بأن الأوامر المهمة لا تصله مكاتيبها إلا بإمضاء الوزير مع أحقيتها بالطابع الشريف، وكان ذلك عند ملاقاتهما ببلاد الشاوية، فواعده والده بأنه إذا وصل لمراكش عزله ومن ثم تغير للوزير، ووظف عليه مائة ألف ريال غرامة فأدى منها سبعين ألفا وعجز عن الباقى، ولما وصل لمراكش عزله كما وعد المترجم، وولى الفقيه السيد محمد غريط بإشارته.

وكانت العادة بينه وبين والده أنه إذا كان والده بمراكش نهض هو للقيام بأعباء الخلافة بمكناس وفاس والعكس، وعلى هذا استمر عملهما إلى أن لبى والده داعى مولاه بالعاصمة المكناسية يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم عام ستة وسبعين ومائتين وألف.

ولما ختمت أنفاسه أجمع أهل الحل والعقد بالعاصمة المذكورة على بيعة المترجم، وقال أبو عيسى المهدى ابن سودة المرى فى كناشته ومن خطه نقلت: كانت بيعته بمكناس فى الساعة السابعة من يوم الثلاثاء فاتح صفر العام انتهى.

وتبعهم على ذلك أهل فاس وغيرهم من الإيالة المغربية ولم يختلف فيها اثنان لما أنسه الناس فيه وسابروه من عدله وتقاه وسيره فى الرعية على أقوم سنن، ووجهت له البيعات مع وفود التعزية والتهانى.

ولم يكن لديه من الخبر إلا أن والده مريض، فلم يرعه إلا ورود الخبر من أخيه المولى العباس والصدر أبى عبد الله محمد الصفار التطوانى بأن أباه قد أشرف، فخرج من مراكش مزعجًا كى يدرك والده حيا، ولما صدر عن العاصمة الجنوبية بيوم أو يومين بلغه نعى والده وبيعات العاصمتين مكناس وفاس ومن انضم إليهما من القبائل والقرى، فوجهها لمراكش وسار هو إلى أن حل بالعاصمة المكناسية فى صفر وأقام بها إلى ثانى ربيع الثانى كما قرأت ذلك بخط العلامة القاضى أبى عيسى المهدى ابن سودة المذكور.

ولما وصلت البيعتان المكناسية والفاسية للعاصمة المراكشية اجتمع أهلها بجامع الكتبيين كما حضر معهم العسكر السوسى، وأعيان الرحامنة، وأهل الحوز، والدير وغيرهم، وحضر معهم كبار إخوته وفى طالعتهم أبو الحسن على العلامة المشارك، وعامل البلد أحمد بوستة، وباشا الجيش القائد إبراهيم الأجراوى، وعمال الرحامنة وشرفاء البلد وعلماؤها، فلما غص الجامع بالخلائق قرئ عليهم الكتاب المتضمن للأخبار بموت السلطان أبى زيد والبيعة لولده المترجم فلم يختلف فى ذلك أحد، ولا استنكف ولا جحد، فاتفق رؤساء ذلك المشهد على كتب البيعة المحمدية.

بسم الله الرحمن الرحيم ... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

... بنصر الله ينصر من يشاء ...

نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

الحمد لله [illegible]

[illegible]

هذا محصل ما أفاده صاحب الجيش العرمرم وهو من جملة من حضر، وإليه أسند كتب البيعة باقتراح من العلامة أبى عبد الله محمد السعيد حسبما حكى ذلك عن نفسه قائلا: فكتبت نسخة مباركة على لسان الرحامنة، وعين وفد منتظم من الأشراف والأعيان والرؤساء للوفادة بالبيعات على المترجم للحضرة المكناسية للتهنية والتعزية.

ولما وردت تلك البيعات على صاحب الترجمة أصدر أوامره بقراءتها بالعاصمتين مكناس وفاس، وإليك نص البيعة المراكشية وإن كان صاحب الجيش مرصع جواهرها لم يثبتها فى تاريخه، وكان يود إثباتها ولكنها لم توجد عنده بعد البحث عنها فى حال التقييد حسبما صرح بذلك فى تاريخه المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسد فى آجامها تجم

إن ينصركم الله فلا غالب لكم، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين، الحمد لله الذى أطلع شمس الخلافة فى مطالع السعود، وأثمر فى رياض مننه لأمله كل عود، وأنجز لمن أهله لإدراك التقدم على عباده صادق الوعود، وفتح أبواب السعادة لقارعها، وأربح بيعة ملتمس فضله لمشتريها وبائعها الذى بنوره تنجلى الغما، وتتصل النعما، نحمده حمدا يتكفل بتحسين العواقب، وترقية الآمال إلى أرفع المراقى والمراقب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى تفجرت بوجوده بحور المواهب، وجاءت شريعته بأوضح المسالك والمذاهب، وأنزل عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠] صلى

الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما، والرضا عن أصحابه الذين كانوا له خير أنصار وأعوان، وخصوصا أهل بيعة الرضوان.

أما بعد: فهذه بيعة شريفة مباركة ميمونة، بها سعادة الدين والدنيا إن شاء الله مقرونة مضمونة، بيعة كريمة يصلح الله بها الأمة، ويفيض بسببها سحائب النعمة، ويشمل ببركاتها جميع الأقطار بكل رحمة:

تولى اختيار الله حسن اختيارها　　　فلم يحتج الإنسان فيها لإنسان

بيعة حسنية علوية إسماعيلية هشامية محمدية، بيعة عاطرة تعبق فى رياض البشائر أزهارها الفواحة الندية، بيعة صحيحة شرعية، ثابتة شروطها المرعية، بيعة لا يحوم حولها زيغ ولا طيش، يشيد بناءها الأئمة من قريش، فلا ينحل عقدها، ولا ينقض عهدها:

تمد بنود النصر منها ظلالها　　　على الأرض طرا بالمسرة والأمن

حضرها العامة والخاصة، والملائكة الذين أضحت بهم البسيطة غاصة، واحتف بها القبول والسرور، وكانت مركزا تطوف بها الكمالات وتدور، وتتمنى محاسنها الشموس والبدور، ما تخلف عنها أحد من أهل هذه الحضرة المراكشية وأحوازها وبواديها، ولا بقى أحد من أعرابها وبرابرها إلا حضر فى ناديها، وأجاب دعوة مناديها، من الشرفاء والعلماء والصلحاء والقضاة والعدول، والكبار والصغار وكل فاضل ومفضول:

جحاجحة غر الوجوه كأنها　　　إذا أسفرت ليلا بدور كوامل

وخصوصا الأعيان والرؤساء والرماة، الذين هم لحوزة الإسلام أسوار وحماة، إلا صرح بالإذعان والقبول حين حضر انعقادها، وأضمر اعتقادها، وكل فرد من أولئك الأشهاد، يعلن بالإشهاد على نفسه غاية الإشهاد، وما منهم إلا من

آمن بها وأمن عليها وصدق، وغض بصره خاشعا من هيبتها وأطرق، وينادى أشهدوا فإنى أشهدكم وأشهد الله، وأقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

ثم إنه لما استأثر الله سبحانه بمولانا أمير المؤمنين، وإمام المسلمين السلطان الهمام، المعتصم بالله مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام، ونقله من دار الإسلام إلى دار السلام، وآثره بجواره وقربه، ومهد له بساط الكرامة إلى جنبه، وأقدمه إلى مدخرات حسناته الجسام، وحوز له من جزيل المثوبات أوفر الأقسام، واختار له فى مقر رحمته من جملة حزبه وأوليائه فريقا، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، أكرم الله مثواه وأحسن مأواه، آمين.

ووالله ثم والله لولا أنه خلف فينا خلفا صالحا، واتجر لنا متجرا رابحا، لكان من فقده تضيق الأرض بما رحبت، وتجزى كل نفس بما كسبت، وتخر الجبال هدّا، وتصد الأرواح عن أجسادها صدا، ولم يكن فى النسب العلوى الطاهر، ولا فى البيت الإسماعيلى الشهير الظاهر، ولا من بيوت الخلفاء من بقية أولئك الآباء والجدود، بل ولا ممن تنتج به الليالى وهى عاقر غير ولود، من تسلم فى يده الأمة زمامها، وتقدمه فى محراب السلطنة العظمى إمامها، إلا واحد قد اختص بجميع الكمالات البشرية وتفرد، وذلك الواحد هو الإمام المؤيد المنصور، والأسد الورد الهصور، أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا عبد الله بن سيدنا ومولانا هشام بن سيدنا ومولانا محمد بن سيدنا ومولانا عبد الله بن سيدنا ومولانا إسماعيل أعز الله ذكرهم، وخلد فى صفحات الأيام مجدهم وفخرهم.

فلذلك وقع هذا الاتفاق على بيعته، والدخـول تحت طاعته والإذعان لكلمته والرمى على نبعـته، وتمت له كلمـة ربه الحسنى، بإدارك هذا المقام الأكـبر الأجل الأسنى، واحتـياز ميـراث النبوة والملك المتـخلف عن آبائه، الغائظ لأعـدائه السار لأحبائه، فيا لها من بيعة تامة غاية التمام، جاءته عفوا على طرف الثمام، محبوكة على عادة أيمان البيعة وحدودها المحدودة، وشروطها المؤكدة فى أقسامها المعدودة، ويا له من إمام، أسعد الله به جميع الأنام:

هذا الذى هبت نـواسم حـمـده ... وأتت بعــرف الروضــة المـعطار

هذا الذى طلعت شموس سعوده ... تغـشى أشـعتـهـا قوى الإبصــار

هذا إذا افـتــرت مـبــاسم بشــره ... وهب النفـوس وزاد فى الأعمــار

والله المسئـول سبحانه أن يبـارك لمولانا فيما وهبـه، ويوضح فى اتباع الحق وأفعال الخـير مذهبه، ويجـعل مفاتح جميـع السعادات فى يمينه، كـما مسح فى الأزل بيمينه المقدسة على جبينه، ويملكه مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها وشاهدها وغائبها، ويجعل النصر والظفر مـصاحبين لأعلامه، والفتح والقبول عن يمينه وشماله ومن خلفه ومن أمامه،ويقـر بولايته المباركة عيون أهل ملة الإسلام، بجاه جده سيـدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله أزكى الـصلاة والسلام، قال ذلك وكتبــه شاهدا على الجموع المذكـورة بما فيه بإشهادهم قـوة وفعلا العبـد الضعيف محمد بن أحمد أكنسوس لطف الله به» من خطه.

ونص بيعة الصويرة بعد البسملة والصلاة:

«لما استأثر الله بعبده إمام المسلمـين مولانا عبد الرحمن بن هشام، نقله عن سرير الخلافة إلى جواره مع أسلافه البررة الكرام، قدس الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسـيحـه، وورد الإعلام بذلك من نجله الشـريف، وخليفتـه العلم المنيف،

الفقـيه العالم الأمجـد الأسعد، سيـدنا ومولانا محـمد، على عامله وأمينه بثـغر السويرة وهو الحاج عبد الكريم ابن الحاج أحمد الرزينى التطاونى وكافة من بها من المسلمين.

اجتمع أعيـان البلد من الشرفاء والعلماء والتجار وكافة الجـيش السعيد الذى بها وقرئ عليـهم الكتاب الشريف معلـما بذلك وباجتماع أهل الحل والـعقد على بيعة نجله المذكور، وسليله المنصور، فتأسف جـميعهم لما حل بالمسلمين من المصيبة العظيمة واستبشروا لبيعة نجله الميمـونة، التى هى بكل خير كفيلة مضمونة، وأشهد إذ ذاك القائد المذكور وأعيان البلد المذكورون وشرفاؤها وعلماؤها وجيشها الذى بها وجميع كبـراء أهلها أنهم بايعوا أمير المؤمنين المؤيد، سيدنا ومـولانا محمد، على السمع والطاعة، وتلقين أوامره بالقبول والرضـا، وأحكامه بالنفوذ والإمضا، جهد الاستطاعة، موافقة لجميـع المسلمين، ودخولا فى زمرة المؤمنين، وعملا بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ... ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]، وفرارا من الخروج عن كلمة جماعـة المسلمين لما ورد أن جماعتهم لا يخالفها إلا شيطان بيعة تامة، ألزموا أنفسهم أداء واجبها فى أموالهم وأبدانهم، ودعوا لجنابه بالظفر والفتح المبين، والظهور والنصر المستبين، عرفوا قدره، شهد به عليهم وهم بحال صحـة وطوع وجواز وعرفهم، وفى خامس عشرى صـفر الخير سنة ستة وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف».

بعض ما قام به من الأعمال ذات البال بعد جلوسه على العرش

غير خاف مـا كان له من الاهتمام بمصالح الرعيـة، وأنه كان ناظرا إليها فى مصالح دينها ودنياها عامها وخاصهـا، حريصا على إيصال كل خير إليها، مناضلا

ومدافعا لكل من يـروم اغتصاب شيء من حقوقهـا على قدر الإمكان، ولننبه من ذلك على نقط تكون أنموذجا لغيرها:

فمن اهتمامه بمصالحها فى أمور دينهـا ما أصدره لنائبه وخديمه أبى عبد الله بركاش ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب مـحمد بركاش وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تساهل الناس خصوصـا الأغنياء وأهل الوجاهة فى أمر الأحباس حتى صـاروا يتوصلون إلى مـا أرادوه منها بأى وجه أمكنهم، ويـجعلون ذلك فى صورة المعاوضـة، وصار النظار والقضاة يعـتبرونهم فلا يردون لهم حـاجة، حتى انتقل بذلك كثير من الأحباس.

فبلغ لمولانا المقدس بالله ذلك فأمر الولاة خـصوصا القضاة الذين لهم دخل فى هذا الأمر بعدم مـعاوضتها رأسـا، وتقرر هذا الأمر بمراكشة وفـاس فلا يوجد أحد يعـاوض شيـئا منها، وحـتى إن تعينت المصلـحة فيـها فلابد مـن رفع أمرها لسيادته لينظر فيها بما اقتضاه نظره، ولما ولانا الله سبحانه هذا الأمر اقتفينا أثره فى ذلك وسددنا الأبواب فى وجوه طلابها، على أن هذه المعاوضة إنما قال من قال بها من العلمـاء على شروط، وأين هى تلك الشـروط! وما تقرر بـهذه المدن أردنا أن يتقرر بذلك الثغر السعيد وها نحن أمرنا القاضى هناك وأكدنا عليه فى عدم الموافقة على المعاوضة رأسا، كمـا أمرنا وصيفنا القائد محمد بن عـبد الكريم الجبورى بأن لا يساعد أحدا علـيها بوجه، وأعلمناك لتكون على بصيرة، وقـد توعدنا القاضى والعامل على ذلك والسلام ٤ من صفر عام ١٢٧٩».

ومنها أيضا ما أصدره له أيضا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا كنا أمرنا خديمنا القائد الطيب ابن هيمة بأن يكون عملهم فى أملاك الأحباس التى بآسفى أن تستمر كل سنة حتى تقف على آخر زائد فيها لكون كل من بيده محل منها يحب أن يتقاعد عليه ويملكه ولا يزيد فى كرائه، سواء غلا الكراء أو رخص، فأجاب بأنه تكلم مع نواب الأجناس فلم يحصل معهم على طائل فى ذلك ما عدا قونص النجليز فأجاب بالموافقة، وقد أمرناه بأن يسمسرها على كل حال وحين تقف يظهر ما يكون فى أمرها، وأنت ولابد تكلم مع نواب الأجناس فى ذلك ليكتبوا لخلائفهم بالإذعان للحق وعدم تعرضهم لما لا يعنى، فإن أملاك الأحباس لا ينبغى أن تبخس ويتصرف فيها بغير حق، فإن الأحباس النظر فيها للقاضى الذى هو نائب فيها عن جماعة المسلمين ولا دخل فيها للمخزن إلا من جهة شد العضد والمحبس قصد بما حبسه انتفاع المسلمين بمستفاده وصرفه فى مهماتهم الدينية، فلا وجه لمن يريد أن يحول بينه وبين ما قصده، وهذه أمور دينية ينبغى الاهتمام بها والسلام فى ٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٠».

ومن هذا القبيل أيضا ما أصدره إليه فى شأن إغاثة حجاج بيت الله الحرام.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله وليه»:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر وصيفنا الحاج سعيد جسوس أن البابور الذى رجع بالحجاج من طنجة توجه لجبل طارق وأرسى هناك، وأن الذين فيه فى حيرة مما وقع لهم لا يعلمون أين يـذهبون ويتوقـعون الهلاك، ولولا أن أهل جـبل طارق أذنوا لهم فى الإرساء واشـتراء ما يحـتاجون إليـه من المؤنة لكانوا معـرضين للتلف فى البـحر جوعا، وذكر أن جميع أهل جبل طارق أنكروا ما حكمت به جماعة السنيدة وأنهم عدلوا عن الصواب وحكمـوا بشهوة أنفسهم، وأن حكم جمـيع الأجناس مخالف لهذا ومن جملتهم الصبنيول، جعلوا لمن يتوجه من جبل طارق لقالص خمسة أيام كرنطينة، وأما رد هؤلاء بالكـلية من بلادهم وتعريضهم للهلاك فـلا يقول به أحد من الأجناس.

وأخبـر أنه يلزمهم فى جبل طارق صـائر كبيـر فى كل يوم، وطلب تدارك أمرهم، وقد قدمنا لك الكتب فى شأنهم وأعدنا لك هذا تأكيدا، والذى فهمناه من الكتب الواردة على حضرتنا العاليـة بالله أن أمر السندة مسند إلى نواب الأجناس، لكن لا يمكنهم أن يحكموا فيـه بغير العدل بل يجرونه على القـوانين، وقد أمرنا الأمناء بأن يدفعوا لك ألفى ريال لتوجهـها لجبل طارق تفرق على ذوى الحاجة من الحجاج الذين فى البابور المضطرين بقصـد الاستعانة بها على حالهم، وذلك على يد الحاج سعـيد جسوس، والرجل المعـين معه المقيـد بالطرة والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٢٨٢» والمقـيد بطرته الحاج الطاهر بن المليح بنانى والتـاجر العربى ابن كيران ومن اهتمـامه بمصالح دنياها أنه لما بلغه ارتفاع ثمن الحبـوب التى يقتات بها بتطاوين وطنجة والعرايش، أصدر ظهيرا شريفا لبعض عماله فيه ما نصه:

«خديمنا الأرضـى الطالب محمـد بن عبـد الكامل الصبيطـى وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الحبوب غلت أثمانها وارتفعت بتطوان وطنجة والعرائش حتى وصل ثمن المد بها إلى ست وثلاثين أوقية، وهو فى الزيادة إن لم يحصل لطف من الله تعالى، واستغاثوا بجانبنا العالى بالله فى توجيه الزرع إليهم بثمنه، فاقتضى نظرنا أن نوجهه إليهم من الدار البيضاء والجديدة وآسفى، فأمرنا أمناء الدار البيضاء باشترائه مما يرد عليهم من الشاوية بأمرنا الشريف عليهم، وأمناء الجديدة باشترائه مما يرد عليه من دكالة، وأمناء آسفى مما يرد عليهم من عبدة، فنأمرك أن توجه من يريد بيع ما عنده من الحبوب من إيالتك واصلا لأمناء الجديدة ليشتروه منه ويخلصوه فيه، فإن فى هذا أجرا عظيما لأنه من الرفق بالمسلمين وإعانتهم.

فقف فى ذلك ولا بد أصلحك الله وأعانك، وإن شق على المتوجهين للمرسى بالزرع لبيعه بها وأرادوا الاقتصار على بيعه بسوق قريب منها فلهم ذلك، وقد أمرنا الأمناء بتوجيه من يشتريه من أقرب سوق إليها إن شاء الله، وحينئذ فمن وصل للمرسى منهم فيشتريه منه الأمناء، والله يعينك والسلام فى ٢٣ من ربيع النبوى الأمور عام ١٢٨٢».

ومن اهتمامه بماليتها وما ينضبط به نمو بيت مالها وداخل مراسيها، ما أصدره للنائب المذكور، وغيره من عمال الثغور، عند تبديل أمناء المراسى.

ونصه: «خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فلما تقرر لدينا وثبت عندنا ما يقع بالمراسى من التساهل فى الأمور، وعدم إجرائها على مقتضاها فى الورود والصدور، حتى أدى ذلك إلى ضياع مال، بها له قدر وبال، وكان فى ذلك من المفاسد العظيمة، ما لا ينكره من له أدنى مسكة من العقل لا سيما أهل العقول الكاملة والآراء المستقيمة، وجب رد البال

إليها وحسم مادة فسادها وسلوك طريق تنضبط به أمورها، منها: أنا جعلنا لكل أمين من المرتب الشهرى ما يعينه على القيام بأوصاف الصدق والأمانة، واجتناب ما يزرى بجانبه من السرقة والخيانة، ومن عثرنا له بعد ذلك على خيانة أقمنا عليه حد السارق وأهناه، وزجرناه زيادة على ذلك وعاقبناه.

ومنها أن لا يتجر أحد بالمرسى التى يكون أمينا بها بل يجاوزها إلى غيرها.

ومنها أن يجعل بكل مرسى واحد من أهلها مرضى وآخر كذلك أجنبى.

ومنها أن يجعل أمين معروف بالحزم والأمانة، والعفاف والصدق والصيانة، وإجراء الأمور على مقتضاها، وسلوك طريق النصح التى يحبها الله ويرضاها، يكون مشرفا على جميع أمناء المراسى ليفتقد أحوالهم، ويراجع أعمالهم، من كل ما يرجع للداخل والخارج ويرد باله للسلع التى تظهر فى البلدان، من الحرير والصقلى والجوهر والمرجان، وغير ذلك مما هو رائج ليعلم هل أعطى عليها بالمرسى ما هو لازم، أو أغفلها الجالس بها والملازم.

ومنها أنا جعلنا لكل من رئيس المرسى وخليفته والعدول، من المرتب الشهرى ما يكفيهم من مصروفهم ليحصل لهم ما يغنيهم ويعدلوا به عن الخيانة أى عدول، ومن الله تعالى أسأل لنا ولهم وللمسلمين التوفيق، والهداية إلى أحسن طريق.

هذا وقد عينا لمرسى طنجة الأمين الحاج بوجنان البارودى، والحاج عبد الكريم أحرضان الطنجوى ونفذنا للأول منهما تسعين ريالا، وللثانى ستين ريالا فى كل شهر، ولكل واحد من العدلين اللذين أمرنا القاضى بتعيينهما عشرين ريالا عن كل شهر فى مقابلة خدمتهما، وخصصناهما بأمر المرسى من غير إشراف لأحد عليهما ولا دخول معهما فى عملهما كائن من كان، وعينا لرئيس المرسى خمسة عشر ريالا، ولخليفته سبعة ريال عن كل شهر، ووجهنا صحبة بوجنان الحاج الطاهر بن المعطى بل المدنى القباج بقصد الخدمة معه بمرسى طنجة، حتى تفتح

تطوان ويكون بها من يعين معه من أهل البلاد إن شاء الله، وقد نفذنا له ما نفذناه للبارودى مشاهرة والسلام فى متم رمضان عام ١٢٧٨».

وبمثله وتاريخه كتب لغيره من العمال مع اختلاف فى الأواخر.

وقد جاء فى ظهير القائد محمد بن إدريس الجرارى عامل الدار البيضاء ما نصه: «هذا وقد عينا لمرسى الدار البيضاء الأمين الحاج محمد بن عبد المجيد بن جلون وسيزاد عليه أمين آخر من العدوتين، وقد نفذنا لكل واحد منهما تسعين ريالا مشاهرة، ولكل واحد من العدلين الذين أمرنا القاضى بالرباط بتعيينهما عشرين ريالا مشاهرة لخ».

ومن اهتمامه بأمور السلاح والحرب ما أصدره لبركاش أيضا ونصه: «خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلت الخمسون جملا التى وجهت من الكور والبنب وبينت عدد ٥٦٩٦ ما فى الجميع، وذكرت أنك بصدد توجيه وقر الإبل ٥٠ الباقية من العدد ١٠٠ الذى وجهناه بقصد ذلك، وأنك قمت بعلف الإبل المذكورة ومؤنة من معها من المخازنية مدة إقامتهم وزادهم عند سفرهم، وصار ذلك بالبال وها نحن وجهنا مائتين وخمسين بغلة لحمل ما بقى من الكور والبنب لما فى توجيه الإبل من تعبها لفرط الحرارة والله يعينك والسلام ٢١ صفر عام ١٢٧٨».

وما أصدره للمذكور ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل ما وجهتموه من البنب ٧٠٨ محمولا على الجمال ٥٠ الباقية من الإبل ١٠٠ التى كنا وجهنا لكم لحمل ذلك فوجد موافقا لما فى كتابك، والله يعينك والسلام فى ٢٣ صفر عام ١٢٧٨».

وما أصدره له أيضًا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد وصلنا كتابك مخبرا بـأن العدة التى أمرنا بجلبها على يد نائب الطليان وصل منهـا لمرسى الصويرة ٣٥٢ مـا ذكرته ثم أخبـرك النائب بعد ذلـك أنه وجه للصويرة عـدد ٣٢٠ آخر مع صناديق ١٢ من القـرطوس ١٢٠٠٠ وأن تمام العدد ١٥٠٠ الذى أمرنا بجلبه سيصل بحـرا فى الإثر، وطلبت أن ننفذ لك ثمن الجميع ٣٣٣٣٠ ريالا لتدفع له مـنه ثمن ما وصل منها ومـا يصل حتى يتم العـدد المشار إليه، فها نحن كتبنا لولدنا الأرضى سيدى حسن أصلحه الله بتوجيه العدد المذكور من الريال واصلا لأمناء مرسى الصويرة ليدفعوه لنائب الطليان هناك، والله يعينك والسلام فى ١٣ جمادى ٢ عام ١٢٨٥».

وما أصدره له أيضا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا أجرينا الخفيف مجرى آلة الحرب مثل الكبريت والبارود وملحته، وصدر أمـرنا الشريف لولاة المراسى بـتثقـيفـه، وأن لا يختص به إلا المخـزن لئلا يتوصل الفســاد به إلى أغراضهم، وأعلمناك بهذا لتكون على بـصيرة، وتتكلم مع نواب الأجناس ليأمـروا تجارتهم بعدم جلبه وبإجـرائه مجرى غيـره من آلة الحرب والسلام فى ١٣ جمادى الأولى عام ١٢٨٦».

وأما نضاله ومدافـعته عن آحاد رعيتـه، وحقوق دولته، فقد كـانت له فيها مواقف شهيرة، فى قضايا كثـيرة، نذكر منها أمثله تكشف عن ذلك، وتبين بعض ما كان هنالك، فمن ذلك ما أصدره للنائب المذكور فى قضايا الوسق للخارج.

ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من تجديد الإعلام مع نواب الأجناس فى شأن انصرام الأجل المحدود لوسق الصوف والحبوب، وفى الوفاء بما كنا شرطناه فى تسريحها ليبقى الأمر منضبطا، وذكرت أنك كنت تكلمت فى ذلك مع نائب الفرنصيص وبينت له ما فى خروج التجار ونوابهم للقبائل من المضرة والمفاسد فقبل الشرط المذكور، كما كنت قدمت الإعلام به وأنه جدد الكلام معك فى ذلك واستفهمك عن موجب منع جنسه مع قبوله الشرط، فلاطفته واعتذرت له بما ذكرته، ولم ينفصل عنك حتى وعدته بتجديد الكتب إلينا فى ذلك.

وذكرت أنك كنت أجبت باشدور النجليز ونائب الصبليون بأنك لا تشاورنا على تسريح ما ذكر إلى أن قبلوا الشرط المشار إليه فكتب الباشدور بذلك لتجاره فقبلوه، وكتب لك به حسبما فى إحدى كتابيه اللذين وجهت، ثم دار الكلام بينك وبينه فى ذلك أيضا إلى أن أطلعك على كتاب للحاج عبد الرحمن العاجى يتضمن أنا لا نمنع الوسق لا فى الداخل ولا فى الخارج إلى أن يوفى أمر السلف، وأن محبته فى جانبنا العالى بالله حملته على المساعدة على هذه الشروط، وتفاصل معك على أن تكتب لنا بأن نأمر بتسريحهما على شرط عدم خروج أحد من التجار ولا نوابهم لاشترائها من البادية، وإن خرج أحد من الأجناس واشتراهما منها يقع المنع ويكون هو سبب الكلام مع ذلك الجنس كالصبنيول إن لم يقبل، وذكرت ما أجبت به نائب الصبنيول لما أخبرك بصدور أمرنا لأمناء آسفى بمنع وسق الصوف والحبوب، وذكر لك أنه كتب لدولته فى ذلك ولم يرد عليه جواب عنه، ودار بينك وبينه من الكلام ما لم تنفصل معه على طائل فيه حتى يأتيه الجواب من دولته، وأن نائب جنس الطليان تكلم معك فى هذه القضية فأجبته بما أجبت به غيره، وذكرت أنهم ذكروا أن المراكب مكتراة عندهم لوسق ما وجده الحال بأيديهم

مشترى من الحبوب ولم يعجلوا بوسقها ظنا منهم أنهم باقون على عملهم لما شرطه عليهم نواب الفرنصيص والنجليز والـطليان، وأن الضرر يحصل لهم بوقوع المنع، ولا يبقى لهم هناك جلوس، وصار كل ذلك بالبال.

وقد صدر أمرنا لأمناء المراسى بتسريح وسق الصوف والقطانى لتجار النجليز والفرنصيص والطليان، وحـين تخبر بقبول غيرهـم من الأجناس الشرط المشار إليه نأمرهم بالتسريح لتجارهم إن شاء الله، وقـد عينا للأمناء أمد التسريح وهو سنتان مبدؤهمـا من أول شهر نونبر العـجمى إن شاء الله، وأيام أكتوبر زائـدة عليها فى التسريح فلا تعد من السنتين، وما احـتج به الباشدور بما فى كتاب العاجى إنما كان توثقا للسلف وسلفـهم صرنا نخلصه من عندنا، فلا تعلق للسلف بـالتسريح والله يعينك والسلام فى ١٧ من ربيع الثانى عام ١٢٧٩».

ونص آخر فى الموضـوع: «خديمنا الأرضى الطالب مـحمد بركـاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما أجبناك به عن قضية التاجر الصبنيولى الذى طلب وسق العظام من مـرسى آسفى، وجعـل الاسترعـاء على منع الأمناء له من وسقها، وذكرنا لك أن منع وسـقها كان بعد جعل ستة أشهر أجـلا ليسق فيها كل من عنده شىء منها، وأنه إن عمل مـوجبا يشهد له بأنه جمعـها فى وقت التسريح تسرح له، فذكرت أن الســتة أشهر التى تقدمت بالتسريح ليـسق فيها كل من عنده شىء منها هـى الحجة عنده علينا حـيث وقع التسـريح بعد مـضى الأجل المذكور بالخصوصية، لأن الستة أشهر مجعولة ليسق كل من عنده شىء منها، والذى تأخر عنها فتكون عهدته عليه.

وذكرت أنك تكلمت مع الباشدور فى هذه القضيـة بما أشرنا به فقام وقعد، وأجـاب بنقض الشـروط وعـزم على الفسـاد ووقع بينك وبـينه ما أشـرت إليـه،

وتأجلتم معه خمسة عشر يوما بعد أن نزلتم وثيقة من ألفى ريال كبيرة على وجه الأمانة إلى أن يرد عليك جوابنا قبل انصرام الأجل المذكور بما طلبه فى كتابه الذى وجهت، وإلا فينزل الصارى ويركب ولم تؤخره عما كان عزم عليه خمسة عشر يوما إلا بعد المشقة العظيمة.

وجعلت لنا النظر فى جوابه بالمنع وحوز الوثيقة المذكورة ووقوع الغيار مع جنسه أو يجاب بالمساعدة فيما طلبه ميلا للمهادنة، فحيث بينت أن فى وسق غيرهم العظام بعد مضى الستة أشهر التى كنا أجلنا التجار فيها ليسق منهم من كان عنده شىء منها - حجة له فها نحن أمرنا أمناء آسفى بوسقها للتاجر الذى طلبه وها كتابهم يصلك فوجهه لهم على يدك والله يعينك والسلام ٢٨ صفر عام ١٢٨٢».

ونص آخر فى عتق أمة ادعت الضرر ووقع كلام من أراد الدخول فى قضيتها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أن أمةً غير تامة العقل بآسفى ادعت أن سيدتها أضرت بها وتعلقت بنصرانى اسمه كنبر واحترمت به، فوعدها بأن يعطيها ما تفك به رقبتها ففعل ودفعته لسيدتها فعتقتها وجعلها من جملة من له تعلق بالفرنصيص واحتماء به، ثم أعلمنا عامل آسفى بالقضية فأجبناه بأن سيدتها حيث أضرت بها فقد أعتقها الشارع بمجرد وجود الإضرار بها لأن الشارع لا يقر أحداً على ظلم، وأن ما فعلته سيدتها من عتقها بعد أن قبضت ثمنها لم يصادف محلا، لكونها معتوقة الشرع، وأعلمناك لتخبر نائب الفرنصيص بالقضية وتقول له: إن شرعنا لا يقر أحداً على

ظلم، وأن من أضر برقيقه يعتق عليه كرها، وأن العتق الصادر من سيدتها لم يصادف محلا وولاؤها لمسلمين، والله يعينك والسلام ١٥ صفر عام ١٢٧٨».

ونص آخر فى قضية لأهل قلعية مع الإسبان فى حدود مليلية:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر عامل الريف أنه وجه جماعة من كلعية واصلة إليك ليتكلموا معك فيما حل لهم من الضرر من جهة نصارى أمليلية، ويشرحوه لك مشافهة لتفاصل بينهم وبين باشدورهم، وفى الشروط أن يتلاقوا بحدود الريف ويحصر الكبراء ويتفاوضوا فى نوازلهم ويذكر كل واحد حجته ومطلبه ويقع الفصال هناك.

وأما القدوم لطنجة والمفاصلة فيها فليس من الشروط فى شىء، وربما يتفاصلون مع الباشدور بما لا ترضاه قبيلتهم ويجعون للنزاع، وحيث وقع ونزل فرد بالك لما يذكه الباشدور لهم ويريد أن يلزمه لهم مما عليهم ضرر فيه وهو لا يلزمهم والسلام فى ١٣ صفر الخير عام ١٢٨٢».

ونص آخر فى بعض القضايا من الباب:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنك متوجه على بركة الله لهذا الوجه التى عينت لها ولم ندر هل استحضرت قضاياك العويصة المتعددة، وأعددت لها حججك الواضحة البينة لتكون مستعدا للمحاجة فيها وطلب الحق والقانون إن تلاقيت مع نواب الأجناس هناك أم لم تستحضر شيئا من ذلك، وغرضك أن تتوجه خالى الذهن من ذلك متفرغا منها

حتى تتلاقى معهم كذلك ويلقوا عليك من الحجج ما يعمر ذهنك ويثقل ظهرك على عادتهم فى التعلق بالأمور الواهية، وتصحيح الحجج المتلاشية، فتذهب خفيفا وتئوب مثقلا.

ولذا أردنا تنبيهك لقضايا شنيعة وقعت بهذه الإيالة لتنظر فى رتق خرقها، وتدارك أمرها معهم حتى تحسم مادة فسادها، وإن كانت كلها مرت على يدك وتداولها ذهنك مخافة أن تكون نسيتها أو أهملتها: فمن جملتها قضية مسعود ولد عبد القادر التلاوى الذى مكث الزمان الطويل فى الحرمات وهو مطالب بالأموال الثقيلة التى احتجناها وخان فيها مدة ولاية والده ومدة ولاية أخيه وبعد موته مما هو من حقوق الناس ومال بيت المال، وكان يتلوى هكذا وهكذا، ولم يوجد فى تلك المدة من يقول إنه فى حمايته أو متعلق به، حتى إذا وجد فلتة ركب برأسه وذهب إلى الصويرة، فوجد نائب النجليز هناك فحماه ومنعه من المخزن على وجه الخرق للقانون والخروج عن الحد، مع أن المتعلق بالخدمة لا يدخل تحت حماية أحد، ومع هذا فلم يكف عن فساده بل صار يفعل بفساده ما أراد، ويعطى العدة والبارود للفسّاد من قبيلته ويغريهم على الخروج على العامل وإيقاد نار الفتنة متجاهرا بذلك من غير استتار ولا استخفاء، فهل هذا الفعل من القانون؟ وهل الصبر على مثل هذا من الحق؟ وهل يستقيم حكم لأحد مع بقاء هذا على حاله؟

ومن جملة موبقاته أنه تلاقى برجل من امتوكة على يد اليهودى قرقوز وغره على أنه يصرف له عدة ريال بالضبلون حتى حاز منه ثمانية آلاف ريال، وتقاعد له عليها ومنعه منها ولم يذعن لحكم حاكم ولا لأمر آمر، ولعل القضية تكون وصلتك بأبسط من هذا، فكيف يسوغ السكوت على مثل هذا!

ومن جملتها قضية الشريف الذى قتله الصبنيولى بطنجة، وكانوا زعموا أنهم أرادوا الحكم على القاتل وتحيلوا حتى أخرجوه من البلاد، ثم صاروا يتلاعبون،

مع أنهم فى قضية مـرطوس تعنتوا غاية التعنت وألزمونا قتله فصـبرناهـم ريثما تتم الموجبات ويـحكم الشرع بقتله، فلم يصبـروا وما قصروا فى التـعنت وطلبوا رفع النازلة لغير القاضى فوقع الحكم عليـه بالقتل، ومع ذلك طلبوا أداء المال فى القتل فكان ذلك كله، فأى فريق بين هذا وذاك وأى قانون يحكم بقتل هذا ومنع هذا من القتل؟ وقد بـلغنا أن القاتل المذكور قدم لطنجـة وسكن غير مكترث بأحـد، فبأى موجب سرح وبأى موجب لم يقتل مع ثبـوت قتله وبأى وجه يسكت عن دعوته؟ فلا صبـر على هذا، ولا بد من الكلام فيه حتى يعمـل فى دعوته الحق بحول الله وقوته.

ومن جملتـها قضيـة أملاك ابن الغنيمى التـى بآسفى، أراد المخزن حيـازتها لاستغـراق ذمة مالكها بمال بيت المال، فتـعرضوا لها وقالوا: إنه فى حـمايتهم مع ندائه هو بالتبـرى منهم وإعلانه بأنه ليس فى حمـاية أحد إلا حماية المخـزن، وما زالوا يتعنتون فيها ويطـلبون ما ليس لهم بقانون ويدخلون فى الأمور التى لا دخل لهم فيها بالحق، ومن جـملتها أمر حماية البادية التـى أسقطوها وكتبت أنت بذلك وكتبت تحت اليد بذلك، ومع ذلك فلم يكفوا عنها ولا زالوا يحمون بها ويدافعون ويتعرضون لما ليس لهم فـيه حق إلى غير ذلك من القضايا العـويصة المتعددة التى سردها يؤدى إلى التطويل الكثير.

فلا بد استحضر هذه القضايا كلها واسـتعد للكلام فيها كلها، فإنها من أهم أمورك وآكدها، ومما لا يمكن السكوت عليه ولا يسوغ الصبر عليه حتى لا تذهب سفـرتك مجانا بلا طائل، بل ربما إن تعـاميت عليهـا يلقون عليك من حجـجهم ودعاويهم ما يثقلك ويذهلك فتزيد الثقل على عدم قضاء مآربك المهمة والسلام فى ١٨ ربيع الثانى عام ١٢٨٤».

ونص آخر فى المكافقة فى مسائل الديون:

«خديمنا الأرضى الطالب مـحمد بركاش أعانك الله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتـابك تذكر فيه أنه كان بلغك أن قائد الصـويرة قبض أناسا من أهل سوس مـكافقة فـيمـا على إخوانهم الفـارين من الديون لتجـار النصارى وسجنهم حتى أعطوا مـا بأيديهم، فطلب منه القونصو إبقاءهم مثقـفين فى الباقى حتى يتفاصل إخوانهم الفارون مع أرباب الديون، فاستبعدت ذلك ولم تعلم حينئذ مسـتنده فيه، فكتـبت له بعدم المكافـفة وبعدم قـبض البرىء فى الغـريم الفار من الدين، ثم كتب التجار فى ذلك لنوابهم وتكلم معك فيه قونصو المركان فحاججته بما ذكـر فأجـابك بأنا أذنا لعـامل الصويرة فى ذلك مـتابـعة لمولانا المقـدس بالله واحتياطا لأموال التـجار، وأطلعك على نسخة من كتابنا الشريف بالعـدول فأجبته حينئذ بأن لا محيد عن الامتثال، وأنه لابد من الاقتصار على الرسوم القديمة التى كانت قبل تاريخ صدور المنع الذى أوهمت أنه من قـبلنا عملا بما كنا أمرناك به من التنبيـه بما وقع فى ورديغة، فـأدخلت فى ذلك كل القبائل التـى لا تنالها الأحكام منهم دواخل سوس، وتكلـمت مع النواب بأن ما يتجـدد بعد ذلك لا يقبض فـيه أحد ممن يتسوق المدينة للمصلحة التى أشرت إليها، وأفصحت لهم عن هذا الشرط فاستصـوبوه، وكتبت للعامل بالمشى على العادة على الشـرط المذكور من كونه فى الرسوم القديمـة لا غير، فلم يلتفت لما كتـبت له به، وبقى الأمر موقوفا فـأكثروا عليه من الاسـترعاءات، وكتب لـقونصو الصويرة بما فى الـنسخة التى دفعـها لك باشدور النجليز، ووجهـتها مع ما كتب لك به هو فى القضية طالبـا رفعها لجانبنا العالى بالله لنجـرى أمر التثقـيف على الرسوم القديمـة، ذاكراً أن ذلك إن لـم يقع لابد من إحضار المدينين كما فى الشروط حسبما فى كتابه الذى وجهت.

فاعلم أن لتجار الصويرة مخالطات مع أهل سوس ثم منهم - أى أهل سوس - من له مخالطة مع تجار غير التاجر المكافف، ولم يقطع المعاملة مع التاجر المخالط له، ومنهم من له مخالطة مع التجار وقطع رجله عن القدوم عليهم وعن مخالطتهم، فأما من لم يقطع المعاملة أو كان فى قبيلته من هو مخالط للتجار وقبض هو أو إخوانه كفافا فلا شك أن إخوانه يقبضون أصحاب من كافهم ويكافونهم ويتسع الخرق حينئذ، وأما من قطع المعاملة مع التجار وقطع رجله عن المدينة ولم يكن فى قبيلته من هو مخالط مع التجار فلا بأس بقبضه، إذ لا محذور فيه إن ظفر به أو قبض إخوانه.

وبالجملة إن فى كفاف من له مخالطة مع التجار أو قبض إخوانه قطع أرجلهم عن المدينة، وتعرضهم لقبض أصحاب التجار وفى ذلك من الضرر على التجار من جهة كفاف أصحابهم وأخذ ما بأيديهم من متاعهم، ومن جهة المرسى بقطع ما يرد من سوس على التجار بقصد وسقه، بخلاف ما إذا كان المكافف قطع رجله رأسا ولم يكن لإخوانه مخالطة مع التجار فلا ضرر فى كفافه، أو كفاف إخوانه.

وعليه ففى الكفاف تفصيل، والذى يقبض كفافا يكون هو أى المدين المطالب بعينه أو قرابته، لأنهم إذا قبضوا والحالة هذه فلابد أن يفاصل عليهم إخوانهم وأما إذا كان المقبوضون كفافا أجنبيين من المدين المطالب فإنهم يتركونهم ولا يعبأون بهم ولا يفاصلون ما عليهم، إذ ليس الأجنبى الذى لا يعبأ بأمره كالقريب الذى يعبأ به ويخلص عليه، وهذه الكفافة المشار لكيفيتها تكون فى الرسوم القديمة خاصة والله يعينك والسلام فى ٢٢ رمضان المعظم عام ١٢٨٤».

ونص آخر فى نصرانى أسلم وطلبت دولته تسليمه إليها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن النصرانى البرطقيزى الذى أسلم بالصويرة، فذكرت أن كبيرهم بطنجة تكلم معك فى أمره فأجبته بما قدمناه لك من عدم تمكينهم منه، ونبهت على ما كان عليه هذا النصرانى بالجديدة من الاشتغال بالفساد ومخالطة أهله، والدخول للسجون وتسريح من وجب عليه الحق إلى غير ذلك مما وقعت الشكوى به لدولته، فعزل من الخدمة فكان عزله سبب ما أظهره من الإسلام، وأنه إن قبل وقرب وتكلم عليه يظهر لهم أن ما اشتكى به أولا سفسطة وعملا بيد، ويرجع اللوم على كبيره، وأشرت بأن يجرى مجرى أمثاله من العلوج ويذهب حيث شاء ليظهر ما يبطنه، فها نحن أمرنا الأمناء بأن يكسوه كسوة تستره ويدفعوا له ما يجعله فى يده ويذهب حيث شاء والله يعينك والسلام فى ٢٨ صفر عام ١٢٨٥».

ونص آخر فيما يقع فى حقوق النزائل المقامة لحفظ الأمن بالطريق:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تشكى أهل النزائل الذين يقرب الرباط بأن الجمالة أصحاب النصارى يأخذون من أصحابهم بطائق ويمرون بها عليهم ولا يعطون حق النزائل، ثم يبيعونها لجمالة آخرين ليسوا من أصحاب النصارى ويسلكون بها مجانا، وإذا حاول أحد منهم مخاطبتهم بحق النزالة يرمون بعض حوائجهم ويدعون أنهم نهبوهم، حتى صار أهل النزائل لا يقدرون على مخاطبة جل الناس بحق النزالة خوفا على أنفسهم.

فـلا بد تكلم مع النواب فى ذلك، وقـرر لهم أن هذه الـنزائل أنزلت هناك قديمـا من عهد جدنـا مولانا سليمان وسـيدنا الوالد قدسـهما الله لمصلحـة حفظ الطريق والقيام بحراستها ليلا ونهارا، وما يقبضونه من القوافل هى إعانة لهم على ذلك وما قـط وقع فيهـم كلام منهم فى شـأنهم فى هذه السنين الماضيـة إلى هذه الأيام أرادوا خرق القـانون الذى وجدنا عليـه أسلافنا مـعهم، وذلك فيـه ما فـيه ومخالف للشروط، وان ادعوا أنه فى الشروط فما سبب سكوتهم ولم يتكلموا فى ذلك إلى هذا الوقت. وبين لهم - أى النواب - ما صار أصحابهم يفعلون من بيع نفائلهم لأصـحاب قوافل أخرى هروبا من الإعطاء، ليـعرفوا ما آل إليـه أمر عدم الإعطاء حتى أدى لأمـر آخر، وهو عدم إعطاء غـيرهم مع أنهم - أى النواب- لا يوافقون على هذا ولا يحبونه، وليس سبيل هذا الإعطاء سبيل الكنطردة، لأن هذا الإعطاء هو لأجل تحصين متاع التجار وتوجيهه فى الأمان، فليس الإعطاء إلا على نفعهم بخلاف الكنطردة، فإنها لمصلحة الإيالة فلا كلام فيها مع التجار، فإذا وسع الله تعالى على المخـزن فإنه يسقطها كـما كنا أسقطناها قبل إلـى أن دعت الحاجة إليها والسلام فى ١٠ رجب ١٢٨٥».

ونص آخر فى قضية اعتداء فرنسيين على يهودى مراكشى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا جوابك عمـا صدر من التاجرين الفرنصيصيـين بملاح مراكشة من التعدى والجسارة وهتك حجاب الوقار على وصيفنا القائد إبراهيم الأكراوى بما ارتكباه فى إيالته من الأفعال الشنيعة التى تمجـها الاسماع، وتنفر منها الطباع، من تعليق اليهودى والاستيلاء على ملك زوجته وغير ذلك مما قدمناه لك، وبينا لك ما دار بين كاتبنا الطالب ابن إديس وبين قونصو الفـرنسيس فى الدعوى، وما وقع به

الصلح بينهما فيها وتوجه به الحكم على النصرانى المعلق مما لا معنى له من الاكتفاء بسجنه أياما ودفع ٤٦٠ ريال ذعيرة لمخزنهم مما يستبعد فى هذه النازلة، ولا يسلم لما أوضحناه لك، وبينا لك وجه عدم تسليمه وما يترتب على قبوله وإمضائه، فذكرت أنك تكلمت فى ذلك مع باشدورهم بطنجة وشرحته له على نحو ما أمرناك به وصرحت له بأن ما حكم به قونصوهم بالصويرة فى هذه الدعوى غير مقنع عندنا، فأجابك بأن القونصو المذكور هو المتولى الحكم فى هذه النازلة بإذن من دولته إلا إذا تم الحكم منه فيها ولم نقبله فيكون لنا الحق فى طلب رفعها للحكم عليها عنده بطنجة وتمنى فصلها بالصويرة بوجه جميل، لما ظهر له من أن فصالها هناك أفضل من رفعها لطنجة، وذكر أن فيها دعوتين واحدة لهم والأخرى عليهم، وأن تعليق اليهودى لم يكن من عنقه للقتل، وإنما هو ربط من وسطه كالضحك عليه كما يفعلون ببلدهم بحيث إن لم يصبر المعلق واشتكى لمخزنهم بالمعلقين يعاقبون بسجن يسير وذعيرة لأجل المسخرة التى فعلوا، وأن طلب حسم مادة هذه الدعوى لما ذكر أنه ينشأ عن وصولها لدولته من إمعان النظر فيها والبحث فيما يدعيه التاجران وتوصلهما بما يثبت لهما لما وصفهما به.

ودار بينك وبينه فى القضية حسبما سطرته وطلبت فصلها على يد كاتبنا المذكور لما وصفته به وأثنيت به عليه وأشرت بتقليل المشاحنة مع هذه الدولة لما ظهر لك من أنها مهما تشعر بشىء من الإهمال والدوران إلا وتشعب، فتكون فى مطلب وترجع فى مطلب آخر، وصار ذلك منا على بال.

فاعلم أن الناس عندنا فى الحق سواء، لا نحب إبطال حق ولا تحقيق باطل، وحاصل أمر هذه القضية أن هذين التاجرين ثبت عليهما تعليق اليهودى ظلما وافتياتا على العامل كما ثبت عليهما إفساد دار اليهودية بما أحدثا فيها من الهدم والبناء بغير رضاها، مع ما آل إليه الأمر من الجسارة على جانب العامل حسبما

قدمنا لك، وكل ذلك بحجج وقف عليها نائب جنسهما بثغر الصويرة وسلمها غير أنه حكم عليهما بعقوبة لا تفى ببعض فعلهما، وللبحث فيها مجال، فلذا لم تقبل لأنهـا لو قبلت وعلم الناس قـبولهـا لتشـوف بعض من لا خلاق له بهـذه الإِيالة السـعيـدة لأن يفعل مـثل ذلك بتاجـر من تجـار الأجناس، وتهون عليـه العقـوبة المذكورة، فسد الذرائع متعين.

وقول الباشدور، إن التعليق لم يكن من العنق وإنما كان ربطا من الوسط هو على كل حال تعليق فى الهـواء ورفع على الأرض، سواء كان من العنق أو غـيره وأمره شنيع، وفعـله هائل فظيع لا صبر لليهـودى على ما هو أدنى منه، فكيف به ولو عاين البـاشادور هرجهم ومـرجهم وارتفاع أصواتهم فـى حارتهم وقت تعليق اليهودى، حتى إنه ربما تسـقط حواملهم ما استسهل الأمر وإنما يسـتسهل الأمر من اعتـاده وفيه اسـتخفـاف وافتيـات حتى بالدولة، لأن المعلوم بالتـعليق والشنق هو المخزن.

وكل من سمع هذا الفعل من الدول والأجناس يمجه ويستقبحه، وربما عيبوا حتى على من سـكت عنه، وأما ما يدعـيان به على العـامل الاكراوى فإن أثبـتاه بحجـج مسلمة فنـحن أولى بالانصاف ولا يسـعنا إهمال حـقهمـا، وإن لم يكن عندهمـا إلا مجرد القـول فغيـر خاف أن الدعـوى المجردة عن الحـجة لا توجب لصاحبها شيئا شـرعا وطبعا، ولو كان كل من ادعى بشىء ولا حجة له يمكن منه لضاعت الحقوق، وتسارع لأموال الناس أهل الفجور والفسوق، ولـم يبق لأحد بما فى يده وثوق، فالشرع والطبع مـتطابقان على أن الدعوى المجردة عن الحجـة غير ملتفت إليهـا، وحتى لو رفع التاجران أو البـاشادور القضية لـلدولة، فهذه الدولة الفرنصيصيـة بمكان من العقل والعدل فى الحكم، فإن بلغتها القضية عـلى تحقيقها فكيف تسامح التاجـرين فى قبيح فعلهمـا أو تطلب ما ليس من حقهمـا ولا حجة لهما عليه والله يعينك والسلام فى ١٢ من ذى الحجة عام ١٢٨٦».

ومن ذلك ما أصدره له أيضا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: فقد أخبر عامل الريف أن نفرا ثلاثة من أهل كلعية كانوا خارجين من أمليلية فتعرض لهم بعض العسكر على الباب يمازحهم فعمد أحد المسلمين إلى عسكرى وضربه بيده فأسرع إليهم العسكر وهرب النفر الثلاثة، فعثر العسكر على رجل آخر قرب الباب فضربوه بعمائر أربعة وقتلوه، وذكر أنه كتب لك فى القضية وأن حاكم أمليلية أجابه بأنه تأسف وتغير على ما صدر من العسكر من قتل هذا المسلم، وأنه قبض على قائد العسة والذى ضرب وسجنهما حسبما تقف عليه فى النسختين الواصلتين إليك فى طى هذا.

فانظر إلى هذا الفعل، وهذا الظلم والتعدى، وقد علمت أن المسلمين لا يصبرون على أخذ ثأر أخيهم المقتول، وعليه فلا بُدّ اكتب لباشادورهم بطنجة واشرح له القضية واسترع عليهم واجعل لهم خمسة عشر يوما أجلا، فإن أخذوا الحق لإخوان المقتول فى دم أخيهم فذاك، وإلا فلا ملامة على المسلمين إن أخذوا الحق لأنفسهم والسلام ٢١ صفر عام ١٢٨٦».

ونص كتاب عامل الريف المشار إليه المترجم:

بعد تقبيل حاشية سرادق بساط سيدنا نصره الله وأداء ما يجب للحضرة العالية بالله، ينهى لعلم سيدنا أعزه الله وخلد فى الصالحات ذكره أن أمس تاريخه كانوا ثلاثة من المسلمين المجاورين لمليلية من آل قلعية خارجين على باب البلد المذكور، فتعرض لهم بعض العسكر الذين فى العسة على الباب يمازحهم، وكان أحد المسلمين دون عقله، فضرب المسلم العسكرى بيده لا غير، فأسرعوا إليهم

جماعة من العسكر فهربوا الثلاثة من المسلمين فوجدوا العسكر مسلما آخر قرب الباب فضربوه بأربعة من العدة وقتلوه فى الحين، ولا أحد من المسلمين ضربهم ولا تعرض لهم بشىء، وآل كلعية يريدون أخذ ثأر أخيهم المقتول لا محالة حيث قتلوه ظلما وتعديا، والنظر لسيدنا نصره الله، وبطىّ هذا كتاب قائد مليلية بهذه القضية وقد كتبنا لنائب سيدنا الطالب محمد بركاش وأعلمناه والعبد على خدمة سيده طالبا صالح أدعيته والسلام عائد على حضرة سيدنا العالية بالله ورحمة الله وبركاته والسلام فى ٩ صفر عام ١٢٨٦ خديمك العربى بن عبد الصادق أمنه الله».

ونص كتاب قائد مليلية المشار إليه لعامل الريف:

«محبنا الباشا سيدى العربى بن عبد الصادق سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فليكن فى علمك أن فى عشية هذا اليوم فى السبعة أن أربعة أناس كانوا خارجين من المدينة وأرادوا أن يأخذوا المكوصلة لورضية الباب قهرا عليه، ولما رأى ذلك الورضية خرج فيهم بالمكوصلة وضرب من غير إذن أحد وقتل واحداً منهم اسمه على، والخليفة السيد محمد العسرى توجه أمام الرجل المقتول وفى الساعة المذكورة قبضت على قائد العسة والذى ضرب وجعلتهم فى السجن ليكون تحقيق الدعوة ونكتب به للكبرنوا وأنا مغير على هذا، وتأسفت على هذا الرجل لأنه رجل مسكين فى ٢١ ماى عام ١٨٦٩.

عن إذن بطر وبمنط».

وما أصدره له كذلك ونه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بأن عامل الريف كتب لك فى شأن قضية العسكرى الصبنيولى الذى قتله أهل كلعية داخل الحدادة، وبين لك السبب فى ذلك وهو قتلهم للريفى الذى تكرر منه إذايتهم والتعرض لهم، وذكر أن قتلهم إياه كان بإذن عامل مليلية فتعرض إخوان المقتول لعسكرهم وقتلوا منه واحداً فى أخيهم وما أشار إليه ابن عبد الصادق من أن ذلك المحل ينبغى أن يكون عامرا بالمخزن لينكف الناس عن مثل ذلك بهيبته، وعلمنا ما أجابك به باشادور الصبنيول حين أخبرته بما كتب به عامل الريف، وحاولت رد الملام على حاكم مليلية حين أمر بقتل الرجل الريفى وما احتج به من أن ذلك الرجل كان يقطع الطريق وتكرر منه ولم يقع فيه تصرف من العامل، وأن من يكون مثل ذلك حقيق بأن يضرب بالبارود وصمم على ما كتب به أولا، وذكر أنه لو كان هناك مدد المخزن يتقوى به العامل على المصالح لم يقع مثل هذا.

فاعلم أن الباشادور فيما كتب به فى هذه القضية رجح ما أخبر به حاكم مليلية على ما أخبر عامل الريف، مع أن عامل الريف أكبر مرتبة من حاكم مليلية، فبأى وجه يرجح خبره؟ وأنت ينبغى لك أن تحتج عليه بذلك وتقابله به وذلك شأن النائب الحازم، وليس الشأن أنه كلما احتج عليك بحجة تقبلها وتسلمها كيفما كانت، مع أنك تعرف أنهم إذا رد عليهم الإنسان بالحجج التى يقبلها القانون والعقل ينصفون وينصتون، فلا نترك من جهدك شيئا يمكنك فى مدافعته والله يعينك والسلام فى ٧ محرم عام ١٢٨٥».

وما كتب إليه به ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا أن ترجمان الصبنيول لم يقبل ما اعتذرت به عن وسق البقر الذى طلبوه، وأن باشدورهم كتب لك من طنجة بما يدل على تبديل سيرتهم ونيتهم بارتكاب ما يحصل منه الغيار، وأنه أمر ترجمانه الذى قدم معك بالسفر لطنجة على الحالة التى ذكرت أنها تشعر بقطع المعاملة، وأنه كتب مسترعيا بأن نصرانيين صبنيوليين قتلا بقبيلة بنى حسن، وأنه كتب لأعتابنا الشريفة بما تخوفت وقوع الشنآن من الجواب عنه، وأنه كتب لك أيضا يطلب دارا بالجديدة لسكنى قونصوهم بها، وكان كرر طلب الإنعام بها فتغافلت عنه كما يطلب خلاص كراء سكنى قونصوهم بدار بالجديدة اكتراها عن أشهر ٢٩، وكتب لك بأن ما يدخل لامليلية من الحطب والفاخر محصور وطلب الكتب للعامل بالتسهيل فى ذلك، ونبهت على أنك لم تكتب فى قضية البقر حتى بذلت المجهود فى المدافعة بما يمكن فلم تجد سبيلا للرد ولا لعدم الرفع، لما علمت من أنهم إن لم تقع لهم مساعدة فى طلب أمر يخوضون فى أمور شاقة ويكثرون المطالب الصعبة ليركبوا عليها الشنآن.

أما الدار التى طلب وخلاص الكراء فما كان منفذا لغيره فينفذ له، وأما النصرانيان الصبنيوليان اللذان ذكرت أنهما ماتا ببنى حسن فالقاعدة أن من يريد التوجه منهم لمحل لابد أن يعلم عامل المرسى المتوجه منها ويعطيه من يتوجه معه من المخازنية، ولأى شيء توجها، على أن توجه النصارى لبنى حسن غير معهود، فَلاَبُدَّ بيِّنْ المسألة بيانا شافيا، وأخبر بسبب توجههم لنأمر بالبحث فى القضية ويظهر ما يكون بعد إن شاء الله تعالى، وبيّن فى إيالة من وقع ذلك، ومن حقك أن تتثبت فى الأمور وتحققها وتتراجع معهم فيها، وتعرف السبب، بعد ذلك تخبر، لا أنك تقتصر على حكاية كلامهم والسلام فى ٨ شعبان عام ١٢٨٧».

وما كتب به للمذكور ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كنا كتبنا لك به من أن حضور خلائف نواب الأجناس بمجلس الشرع مع كون الدعوى إنما كانت ليهوديين أحدهما فى حماية الماركان، والآخر فى حماية الإصبنيول لا مستند له، وليس فى الشروط ما يقتضيه حسبما قدمنا لك، ونبهناك على ذلك مخافة احتيالهم على الدخول فى الأحكام الشرعية والمشاركة فيها.

وعلمنا اعتذارك عن ذلك بأنهم صيروا جميع الدعاوى على العمال والأشياخ كدعوى واحدة لأجل الاسترعاء المتقدم، مع ما ذكرت من أن بعضهم يحذر من بعض حتى فى التقديم والتأخير فى الدعاوى إلى غير ذلك مما ذكرت، فنحن نراهم يريدون تتبع الدعاوى والنظر فيها دعوى بعد أخرى، ولو صيروا جميع الدعاوى كدعوى واحدة لاكتفوا بوكيل من جهتهم ووكيل من جهة العمال والأشياخ، والتقديم فى الدعاوى والتأخير يكون له تأويل بقرعة أو شبهها كما يفعل بالمراسى فى دعاويهم على غير العمال والأشياخ، ولكنا نبهناك لتزداد فطنة وتيقظا لحيلهم، حتى لا يجدوا فيك بعد قابلية لارتكاب ما لا تقتضيه الشروط.

وذكرت أن أمر هذه الدعاوى ليس بهين وأنه لابد فيها من سياسة يخرج بها الإنسان منها فى عز وأن إجراءها على طريق الأحكام الشرعية يطول أمره جدا، وتلزم فيه صوائر لها بال، وأشرت على وجه السر بأن نأذن لك فى التماس طريق للصلح بنحو الربع أو الثلث فى جميع الدعاوى وتحسم مادتها بعد حيازة جميع الرسوم وخطوط الأيدى، والتزامهم عدم الرجوع للمخالطة مع العمال والأشياخ، فلا يخفى أن هذه الدعاوى من قبيل دعاوى المعاملات وهى شرعية الحكم فيها،

إنما هو بالشريعة المحمدية كما هو مصرح به فى الشروط، ولا علينا فى الطول الذى ذكرت نعم حين ينصرم الأجل وتتمحض المصلحة فى السداد الذى أشرت به أعلمنا لنجيبك بما يشرح الله له صدرنا فإن الله سمى الصلح خيرا والسلام فى ١٠ صفر الخير عام ١٢٨٩».

حرب تطوان

وإن أعظم النضال والدفاع ما قام به حين فاجأ جلوسه على العرش تشغيب جنس الإصبان وتكالبه على قلب عزة الإسلام طالبا الإتيان باثنى عشر مسلما من قبيلة الآنجرة وقتلهم صبراً بين أظهر المسلمين أمام الأجانب بثغر طنجة عقوبة على هدم بعض القبيلة المذكورة بيت العسة الذى بناه الإصبان فى الحدود - مخالفين ما جرت به العادة من اتخاذه من لوح - هناك مصمما على أحد أمرين، إما إجابة مطلبه وإما المناجزة وإشهار الحرب.

والحال أنه لا جيش وقتئذ منظم، ولا قوة حربية كافية فقابل المترجم ذلك بالثبات، ووازن بين المطلبين فتحقق أن الوبال على الإسلام والمسلمين بالمساعدة على أولهما، فصمم على رفضه لذلك وبعث خديمه الحاج محمد الزبيدى الرباطى لطنجة مندوبا عاليا مفوضا للنظر فى تلك المطالب، واستشارة الدول واستنابتهم فيها فكان آخر أمره معهم الانفصال على الحرب.

قال مولاى العباس بن السلطان مولاى عبد الرحمن أخ المترجم فيما كتبه بخطه: إن مقدمة هذا الأمر ومبدأه فيما بلغنا عمن كان يباشره أن آل آنجرة ذهبوا إلى محدة الرومى وكسروا له حجرا كان عنده هنالك فيه رسم طابعهم الذى يعبرون عنه بالرومية اكرونه، فمن حيث وقع ذلك جاء الرومى إلى محدته واشتغل يبنى برجا ليدفع به عن نفسه، فجاء المسلمون وكسروه وتربوه، فجاء الرومى إلى المكلف من قبل السلطان الوالد رحمه الله وشكا له بجرأة آنجرة عليه وإن لم يقع

عليـهم الأحكام يكون ذلك سـبب الفتن، فكتب لهم ذلك المكلف وهو مـحمـد الخطيب التطوانى، ووجـه لهم بعض السادات ينهـاهم ويأمرهم بالكف عن العـتو والفساد، فأجابوه بأقبح ما يسمع وقالوا له: إنه على نفس النصارى وعادوا لعتوهم وفسادهم، ووجه لهم عاملهم بعد ذلك من طنجة ينهاهم فما رفعوا له رأسا.

ثم رفعت القضية إلى سيدى محمد، فلما اطلع على مكاتب النائب الخطيب ببيان الواقع وطلب الإصبان قتل أنـاس من أهل الآنجرة بباب سبتة، وإعطاء طرف من بلادهم توسعة، استنكر ذلك وعرضه على غـيره فكبر ذلك على الجميع لما فيه من إهانة المسلمين المستلزمة لإهانة الدين.

فحينئذ اسـتنفر من الرعية للذب عن بيضة الإسلام من سارع لإجـابته فيه، ووجه القائد المأمون الزرارى إلى تطوان فى نحو مائة فارس وخمسمائة رامٍ فرابطوا خارج تطوان من ناحية سبتة، ولزم هو عاصمة ملكه لتدبير النجدة وإرسال الأموال والعدة والعدد، ولئـلا يختل ضبط الداخلية أو يحدث فـيها منتهز فرصـة تشويشا فيكون عونا باطنيا للعـدو، فبرز الإصبان فى حدود سبـتة فى جيش محكم النظام يحـتوى على عـشرين ألف مـقاتل وذلك فى ثالث ربيع الأول عـام ١٢٧٦ سلك بذلك الجيش مسلك إظهار القوة مع المطاولة وعدم المبادرة للمناجزة وقصد به جهة تطوان يتقدم مرة ويتأخر أخرى دام على ذلك مـدة أربعة أشهر، وقبائل الناحية من الانجرة تقابله وتعترضه فى المضايق وتناوشه القتال.

وفى أثناء ذلك جهز المتـرجم طائفة أخرى من الجيش بها خـمسة الاف من المتطوعـة أكثرهم من عـرب سفـيان وبنى مالك والحـياينة وخـمسمـائة من الودايا والعبيد بقيادة صنوه عم والدتنا المولى العـباس، ونزل بضواحى تطوان وقبائل آنجرة ومن ساعدهم من أهل الجبال الهبطية فى مناوشة مستمرة مع جيوش الإصبان التى تكاثرت بالتدريج وصارت تعد بخمسين ألفا.

وقد وقفت فى كناشة عالم البيت السودى فى عصره سيدى المهدى ابن سودة، على أن المترجم لما بلغه ما يقصده الإصبان من الاستيلاء على تطوان بعث لحفظه جماعة من ذوى النجدة والثبات برياسة أخيه المولى العباس، فلما كان الإصبان بجموعهم الكثيرة التى لا يفى بعدها ديوان على نحو الساعة من تطوان، تلقتهم البعثة المذكورة فى ألفين ومائتى فارس فانهزم الإصبان وقتل منهم نحو خمسة آلاف، ولم يفقد المسلمون فى الوقعة إلا خمسة وأربعين من رجالهم.

ثم وقع القتال ثانيا حسبما وقفت عليه بخط المولى العباس، وكان من الثامن والعشرين من جمادى الأولى، فتكبد الإصبان فيها ما استعظموه وأقلق راحتهم، وكان الفرار نتيجته، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو الخمسة، ثم أعادوا الكرة فى يوم الخميس ثالث جمادى الثانية فكان المآل عليهم أدهى وأمر ومات من المسلمين نحو الثلاثة.

ثم اتقدت نيران الحرب أيضا يوم الأحد سادس جمادى الثانية فقتل منهم نحو الثلاثة آلاف، ومات من المسلمين نحو الستة، وتمادى القتال بين الفريقين واشتدت الحرب، وأظهر المسلمون من البسالة ما أبهر أروبا وقضت منه بالعجب، حتى ذكروا فى بعض مكاتبهم أنهم كانوا يظنون أنهم يلقون رجالا كالرجال الذين يعرفون، فإذا بقوم مثل الجبال لا يضجرون من الحرب ولا يهابون الموت تحملهم شجاعتهم على مصادمة المدافع والقبض على رؤسائها باليد، حتى إن رجلاً من أولاد البقال قتل أربعمائة من الإصبان كما حكى ذلك عنه من شاهد الوقعة، وكذلك استمرت الحرب متوالية والإصبان فى انكسار إلى أن وقع ما سيذكر.

ثم بعث المترجم فى تلك الأثناء صنوه جدنا للأم المولى أحمد فى جيش من مكناس ونزل فى خامس رجب فى موضع يسمى فم الحبيرة - بالتصغير - وتواردت على المسلمين زرافات المتطوعة من سائر أنحاء المغرب وعواصمه وبواديه،

فمـا أفادت كـثرتهم مع النظام الذى ظهـر به الإصبـان لذلك العهـد، وكان أهل المغرب لا يعرفون إلا المناجزة إن أمكنت وطريقة الكر والفر.

ولما أحس جيش الإصـبان القوة مـن نفسه، ورأى أن حـالة أهل المغرب لا تتغير لا ماديا ولا أدبيا زحف على تطوان فى ستين ألف مقاتل على طريق الساحل يعضـدها الأسطول ويسايرها فى حـالة سيرها، إلى أن حل الجـيش بساحـة قلعة مرتيل بين تطوان والبحر بعد ما هلك من الجانبين خلق كثير.

ولما نزل الإصبـان هناك واختلط الحـابل بالنابل والمخلص بضده وكـثر نهب القبائل بعضـها بعضا وارتبكت الأمور واختل النظام، ورأى الجبليـون وكانوا عمدة أعيان جيش المسلميـن أن لا مطمع فى حفظ مدينة تطوان من العدو، وقل زادهم، دخل السفـهاء منهم عـامة ضـواحيهـا ومدوا أيديهم للسلب والنهب حـتى اضطر التطوانيـون للخروج إلـى قائد جـيش الإصبـان النازل بمرتيل وتخـابروا معـه فى الدخول للمـدينة دخولا سلميا خـوفا من هتك الأستار ومس الحـريم، فلبى قائد الجيش طلبهم ودخل المدينـة ضحوة الاثنين الثالث عشـر من رجب السنة فى كبار الجيش وأركان حربه ورغـما عن كمال استعداده ووافـر قوته لم ينل ذلك اليوم من احتلال تطوان المتصلة بحدوده إلا بعد أن تزود ممن حـضر لقتاله من المسلمين على غير تعبية ولا انتظام الخسائر الفادحة فى الرقاب والأموال، وبذلك صار أشد رغبة فى الصلح والسلم، عكس ما كان عليه ابتداء من الرغبة فى الحرب حين كان يظن الغلبة، حـتى إن جيشه بمـجرد إبرام الصلح كاد يطير فـرحا وصار يهنئ بعـضهم بعضـا، وكذا للمسلمين بقـبولهم الصلح، وأكبـر شاهد على ما ذكر من ابتـهاج الإصبـان بالصلح وشدة فرحهم به مـا شوهد مما أظهره القـائد الحربى اردنيل لدى مـقابلتـه للمـولى العبـاس للمـفاوضـة فى إبرام الصلح من الخـضوع والإجـلال والاحترام.

هذا مجمل أخبار تلك الوقائع والحوادث، وقد عثرت على تفصيل كثير منها فى الوثائق الرسمية السلطانية الصادرة فى شأنها فرأيت إدراجها هنا بنصوصها علي حسب تواريخهـا، ونص أولها فى التفويض للحـاج محمد الزبيدى فى مـفاوضة الإصبان فى مطالبهم بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله»:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله، أننا وجهـنا من حضرتنا العالية بالله تعالى خديمنا الأنجد الحـاج محمد الزبيدى للكلام مع نائب جنـس الصبنيول فى المطالب المسطرة فى كتابه، وإجرائها على القوانين المقررة، والطرق المبسطة، وفوضنا له فى ذلك والسلام فى ١٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص الثانى فى الإذن للمذكور باسـتشارة سفير الإنجليز فى القضـية بعد ما ذكر:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله أننا أذنا لخـديمنا الأنجد الحاج محمد الزبدى فى المشـاورة مع نائب جنس النجليـز والمفـاوضة مـعـه فيـمـا يرجع لنازلة جنس الصبنيول لمحبته فى جانب أسـلافنا الكرام، قدس الله أرواحهم، ونعم أشباحهم، والسلام فى ١٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص الثالث فى الإذن له باستنابة من أراد استنابته من السفراء فى القضية:

«يعلم من هذا أننا أذنا لخـديمنا الحـاج محـمد الزبدى فى اسـتنابة من أراد استنابتـه من نواب الأجناس مع نائب الصبنيول فى المطالب التى سطرها فى كـتابه والسلام فى منتصف ربيع النبوى الأنور عام ١٢٧٦».

ونص الرابع فى جـواب الزبدى عـن بعض مـا دار بينه وبين الإسـبـان من الكلام:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدى أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كـتابك أخبرت فيه أنك وجدت الـطالب محمد الخطيب تعين عليـه من جهة مـراعاة المصلحـة والسداد، أن يسلم لنائب جنس الصـبنيول المطالب الأربعـة التى وجهناك لأجلهـا، وأن دولة الصبنيـول أهلكها الله لما بلغـها ذلك لم تقنع به وطلبت أن تعطاها جبل موسى الذى ذكرت أن مـساعدتها عليه لا تمكن، ولو وقـفت عند مـطلبـهـا، وأن تكون عـقـوبة أهل لنجـرة بالقـتل أمـام عسكرهم، وأن يكون الجواب عن هذين المطلبين يوم التاسع عشر من شهر تاريخه وإلا يكسر سنجقه ويتوجه هو وجميع تعلقاته.

وذكرت أن ما طلبه من تعجيل الجـواب عنهما ليس من قانون البحر، وأنك استرعيت عليـه بكتبك بما دار بيننا وبينه كُتُبًا لجميع نواب الأجناس لتـوجهها إليهم إن لم يقف عند القانون المذكور، وأنه ساع فى الفتنة مستعد لها.

وطلبت لأجل ذلك توجيه محلة تنزل فى تبـهدارت والكتب على اثنى عشر من معلمى الطبجيـة بالعدوتين وتوجيههم لثغر طنجة لافـتقاره إليهم، وصار الكل بالبال.

أما ما طلب من قتل أهل لنجرة فـلا يحل فى شرعنا قتل مسلم إلا بموجب شرعى، نعم العقوبة التـامة تكون لهم فيعاقبون عقوبـة تامة إن شاء الله، وأما ما طلب من الجبل فلا نعطيهم بلاد المسلمين من غـير قانون، نعم ما ادعاه من لحوق المضرة له من الأماكن التى أراد، فنحن نتكفل له بعدم لحـوق مضرة له منها، وأما ما أشرت به من توجـيه محلة للنزول بالمحل الذى ذكرت فإنا نوجهـها إن شاء الله كمـا نوجه الطبـجيـة لذلك الثغـر المحروس بعناية الله ورب البـيت يحمـيه والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به فنعم المولى ونعم النصير.

وقد كتبنا لسائر المراسى بأخذ الأهبـة والاستعداد أولا، وأكدنا عليهم ثانيا، ولا تغيبوا عنا خبرا والله يعينك والسلام فى ٢٤ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص الخامس من الوزير بوعشرين للزبدى فى الجبل الذى يطلبه الإصبان والشروع فى أخذ الأهبة بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأعز الأمين الأرضى الأمين الحازم الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك بينت فيه اسم الجبل المذكور فى مطالب الكافر الصبنيولى خذله الله، وذكرت أنه لا يمكن إسعافه عليه لما عزم عليه من الخروج، وأشرت بالتعجيل بالمحلة والخفيف المفروغ، وذكرت أنك تفقدت جميع الأبراج وحرضت على عمارة أهلها، وأن ذلك الثغر السعيد فى غاية الخصاصة، وطلبت صدور الأمر الشريف للسيد محمد الخطيب بجعل المئونة للملازمين للأبراج ليتفرغوا لحراستها، فها سيدنا أيده الله كتب له بذلك وعلى المحبة والسلام ٢٧ ربيع النبوى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص السادس فى استعداد طنجة للحرب:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبيدى، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل كتابك أخبرت فيه أنك لما حققت بأن الكافر الصبنيولى دمره الله لا رجوع له عما أراده من الكرة، قمت على ساق ووجهت على العامل وتكلمت معه فى شأن الأبراج وتعاهد الآلات الجهادية، ففهمت من كلامه التراخى، وقويته بما لا ينفعه معه إلا القيام على ساق فى ذلك، وتكلمت مع الطالب محمد الخطيب فى شأن مئونة الطبجية والبحرية الذين يعمرون الأبراج

فنفذ لهم ثمان موزونات للواحد لضعف حالهم، وفرقت العدة على الجيش السعيد وأهل البلاد، وظهرت مخايل الخير والسعادة وسر جميع الناس بذلك.

وإن العدو المذكور لما رأى ما عليه الناس من الحزم والتيقظ لمحاربته، ظهرت فيه مخايل الفشل، وصار يقتصر على طلب الميلين فدون بعد ما كان يطلب العشرة أميال فأكثر، وفهمتم منه أنه يتعلق ببعض نواب الأجناس كالنجليز والنبلطان والماركان فى جعل سداد بيننا وبينه، وأن نائب الثالث منهم أشار عليكم بعدم مساعدته اليوم حتى يظهر صدقه، لأنه لا عهد له، وطلبت تعجيل توجيه مجلة للرباط بها فى حد الغربية وصار كل ذلك بالبال، وقد أصبت الصواب فيما فعلت من الإشارة بإعطاء المؤنة لمن ذكرت إعانة لهم على ما هم بصدده إذ ذلك واجب لابد منه، وكيف يقابل الإنسان الخدمة مع فراغ اليد من. . . كما أحسنت فى التنبيه على أهل ذلك الثغر أحسن الله لك وقد نفذنا لفرسانهم عشرة مثاقيل لكل واحد ولرجالتهم خمسة مثاقيل لكل واحد، ولنجباء الطبجية والبحرية عشرة مثاقيل، ولمن دونهم ستين أوقية لكل واحد، ولكبرائهم مقدمين وقواد على نسبة ذلك، وقد كتبنا بهذا كله لـلطالب محمد الخطيب وبينا له ما يفعل فى ذلك والسلام فى ٢٨ من ربيع النبوى عام ١٢٧٦».

ونص السابع من الوزير بوعشرين للزبدى صحبة الظهير السلطانى:

«محبنا الأعز الأرضى، الخير الأبر المرتضى، السيد الحاج محمد الزبدى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وها جواب سيدنا أيده الله يوافيك ففيه كفاية وعلى المحبة والسلام فى ٢٩ ربيع النبوى عام ١٢٩٦ .

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص الثامن من مولاى العباس كبير المحلة السلطانية للزبدى فى الإعلام بالوصول للقصر، وطلب تعيين محل الرباط بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأرضى وأمين مولانا الصديق الأرشد الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد حصلنا مدينة القصر وخيمنا بها بمحلة مولانا السعيدة ونحن على نية النهوض يوم الاثنين لنواحى طنجة، ولابد تلاقى مع الخطب على المحل الذى نربط فيه هل بالحد أو نزيد عليه، قدموا لنا ذلك لما فى المشاورة من المصلحة أعانك الله، وقمنا بالمحل المذكور لقضاء بعض المآرب ولا تغيب علينا خبرا والسلام فى ١ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص التاسع فى الاستعدادات:

«محبنا وأمين سيدنا الأنجب الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا ما ذكرت فيه من شأن الصلة الباقية موقفة، فها نحن نكتب لماسكها يسرحها وكذلك ما ذكر فى شأن حمل الشعير لتطوان ينزل على يد عاملهم من القصر وغيره، فها نحن إن شاء الله نكتب لمولانا يأمر بذلك، وأما قبائل الجبال فها نحن جادون فى جمعهم وعند كل منهم كتاب نأمره بالقدوم علينا وعلى من بقرب تطوان لتطوان، ومن فى إيالة العرائش للعرائش، وحين يحلوا ننفذ لهم المئونة لنشبتهم، وفهمنا ما ذكرت فى شأن البابور الانجليزى الذى رده صبنيول دمرهم الله وخروج الآخر له، وأن الله خلص المسلمين والحمد لله على سلامتهم وعافيتهم، وكتاب الخطيب نوجهه للحضرة العالية والكتاب الآخر

قرأته وها هو يرد عليك، وقد شافهنى بهذا الكلام رجل صبيحة هذا اليوم فحملته على التحامل.

لكن تحققت الآن وأن البعض واقع لا محالة ووصلونا الخزائن عدة[22] بركائزهم والعشرون الألف ذكر السيد عبد السلام بن عبد الكريم أنه ورد عليه الأمر بدفعها لابن عبد السلام لكن لما وصلت للخطيب وجه جوابه لسيدنا فصفا أمرها وسلمت، لأن الكل فى المصلحة والله يعينك والسلام فى ٦ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص العاشر فى استنفار الناس للحرب:

«محبنا وأمين سيدنا الأنجب الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتاب من السيد محمد الخطيب وفهمنا منه شدة خوفه وضجره، فلا مهول إن شاء الله، ونحبك أن تثبته وتقول له فلانا لا يهمل كلامه ولا يضيعه، وقد كتبنا لجميع قبائل الجبال ولقبائل غمارة واستنفرنا الناس وبرحنا بالجهاد، ومرت طائفة من أهل تطوان على الفندق ذاهبة لناحية مولانا نصره الله ولا تغيب علينا خبرا، وكلم ولد السعيدى على القبائل يوجهها أعنى الذين بالمدينة وكل ما تتوقف علينا فيه اكتب لنا فيه فإنك والحمد لله ثابت مثبت والله يعينك والسلام فى ٦ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به»

ونص الحادى عشر من بو عشرين للزبدى صحبة الظهير السلطانى:

«ومحبنا الأعز الأرضى السيد الحاج محمد الزبدى حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الكافر الصبنيولى دمره الله كسر سنجقه علامة على الكرة، وركب البحر بعد أن استناب نائب جنس الفرنصيص، وأنكم دفعتم نسخا من الكتب التى دارت بينكم وبينه للعلة التى بينت، وأنكم قائمون على ساق فى ترتيب العسة فى الأبراج والمرسى وتفريق العدة والبارود على أهل ذلك الثغر السعيد، وأنهم فى غاية الثبات والنشاط لملاقة الكافر دمره الله، إلى غير ذلك مما شرحته وبينته وصار كل ذلك.

وها جواب سيدنا يوافيك ففيه الكفاية، وما ذكرته مما أشير به عليكم من جمع قبائل الجبال للرباط بمحدة سبتة مع أهل لنجرة، وخروج معلمين طبجيين من تطوان بمهرازين بقصد التضييق على الكافر بسبتة وإرهابه فها سيدنا أجابك عن ذلك وعلى المحبة والسلام فى ٥ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص الثانى عشر فى قطع العلائق بين الدولتين، ومبارحة السفير الإسبانى أرض المغرب وما يجرى من الاستعداد على الحدود وتوزيع الزبدى كتب المفاوضات على سفراء الدول بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «محمد بن عبد الرحمن الله وليه»:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدى أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الكافر الصبنيولى خذله الله كسر سنجقه علامة على الكرة وركب البحر بعد أن استناب نائب جنس الفرنصيص، وأنكم دفعتم لنواب الأجناس نسخا من الكتب التى دارت بينكم وبينه ليعلموا منها كذبه وعدم صدقه فيما يظهره لهم من التظلم وعدم التوصل ببعض حقه، فطالعوها

واستحسنوها ووجهوها لدولهم وذكرت أنكم قائمون على ساق فى ترتيب العسة فى الأبراج والمرسى بعد أن سردتم الجيش السعيد وفرقتم عليهم ما فيه الكفاية من العدة والبارود والخفيف، وزدتم لهم -أى للعساسة- درهما واحدا على ما يقبضونه لضعف حالهم، وأن الجميع فى غاية الثبات والنشاط والاستعداد لمبارزة الكافر، وأنه خذله الله لا يهول ولا يهتم به لما سلط الله على عسكره من الوباء والجوع.

وذكرت أن المدافع الجديدة التى جلب مولانا قدس الله روحه مفتقرة لمعلمين طبجية نجباء عارفين بنيشان فرمتها، وأنكم كتبتم للطالب التهامى بن محمد بن عبد السلام فى شأن المعلم عبد النبى الشديد الرباطى ورفيقه لنجابتهما ولقربهما بالعرائش، فاستبطأتموهما.

وذكرت أن بعض أعيان قبيلة لنجرة قدموا عليك عازمين على الوفود على حضرتنا العالية بالله فغضضت عنهم الطرف، ووعدتهم بذلك، فأما ما ذكرتم من وقوفكم على ساق الجد فى ترتيب العسة إلى آخر ما ذكرتم من القيام فذلك الواجب أصلحكم الله ورضى عنكم، وأما ما ذكرته فى شأن الكافر فنسأل الله أن يعجل بالانتقام منهم آمين، وأما ما ذكرته فى شأن الطبجيين اللذين بالعرائش فها نحن أمرنا الطالب التهامى بن عبد السلام بالتعجيل بتوجيههما إليكم وأكدنا عليه فى ذلك غاية غاية، وأما ما ذكرته فى شأن أهل لنجرة فقد وردت على حضرتنا العالية بالله تعالى جماعة منهم على يد سيدى عبد السلام ولد سيدى الحاج العربى الوزانى وليتهم تأخروا لكن حيث وفدوا علينا لا يسعنا إلا معاملتهم بما ينبغى أن يعاملوا به، والطبجيان المشار إليهما أعلاه متوقف توجيههما إليكم على استغناء عامل العرائش عنهما، وإلا بأن توقف عليهما فإنه يبقيهما عنده، وفى الطبجيين اللذين وجهنا لكم من حضرتنا العالية بالله تعالى كفاية لنجابتهما وفطنتهما بهذا أمرنا العامل المذكور.

وما أشرت به من توجيــه معلمين من الطبجية بمهارس المرمى بهــا على سبتة وبالكتب لقبائل حوز تطوان بحصارها هو حــسن لو تيسر، فإن عامل تطوان كتب يطلب توجيه المحلة من هنا لتطوان وألفين من العدة والكتب لأهل تطوان وحوزها بضرب الكافر، وذكر من ضعف أهل البلاد وعــجزهم ما يقضى بقلة فائدته وعدم نجدته، وأين هذا مما أشرت به أصلحك الله: والذى ظهر لنا واقتضاه نظرنا هو أن نوجه عشرة فرسان بكتابنا لأهل لنجرة وجيرانهم من القبائل بالكون عينا وأذنا على الكافر بحــيث إن رأوه خرج من خربته قــاصدا جهة من الجــهات يجتمعــون عليه ويضربونه، فإنه لا يعجزهم بحول الله، ثم إن رد على عــقبه وظهر المسلمون عليه فيحــسن حينئذ أن يقصد بالرمــى المشار إليه بعد الاستــعداد له إذ له شروط، وإلا ففى قصده ابتداء بالرمى ما لا يخفى.

وها نحن وجهنا العــشرة المذكورين بكتابنــا لمن ذكر، وأعلمناك لتكون على بصيرة والسلام فى ٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الثالث عشر من بوعشرين صحبة الظهير:

«محبنا الأعــز الأرضى السيد الحاج محمــد الزبدى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصــلنا كتابك وعــرفنا ما فــيه، وها جــواب سيــدنا يوافيك بما فــيه الكفايــة، وقد نشط أيده الله ونصــره بما أخبرت به مــن أن المسلمين رمــوا الكافر فأصابوا، ورمى هو فأخطأ، لله الحمــد وله المنة والسلام ٨ ربيع الثانى عام ١٢٧٦
الطيب بن اليمانى عن عجل».

ونص الرابع عشــر فى مرابطة مولاى العــباس والقائد عــبد السلام بن عــبد الكريم وغير ذلك:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدى، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بأن أخانا مولاى العباس كتب لكم من القصر يستفهمكم عن تعيين محل رباط المحلة هل بحد الغربية كما قدمتم أو بغيره، فظهر لكم أن تربط بموضع يقال له ابن قلى قرب الوادى للمصلحة التى بينت، وأن يربط الطالب عبد السلام بن عبد الكريم بالحد المذكور حتى يظهر لكم ما تقتضيه المصلحة من إبقائه به أو انتقاله لغيره، لما ثبت لديكم من أن الكافر دمره الله يحمل عسكره المخذول بسبتة قاصدا تطوان حسبما جدد لكم الإعلام به نائب النجليز الذى تأخر عن السفر مع نواب الأجناس، وطلب أن يبقى بمدشر من المداشر التى بحوز المدينة فساعدتموه وكلفتم بحراسته بعض أصحاب العامل لكونه طلبهم أيضا، وأن القمح كان وصل إلى واحد وعشرين أوقية للمد هنا كم فساقت الأقدار مركبا منه وتعين نزوله هنا كم. وصار يباع قمحه بإحدى عشرة أوقية للمد، وأن الطالب التهامى بن عبد السلام وجه لكم المعلمين الطبجيين الرباطيين اللذين قدمت إعلامنا بهما.

أما ما ذكرته فى شأن الرباط فقد كتبنا لأخينا مولاى العباس حفظه الله بأن ما اقتضته المصلحة فى ذلك يفعله، وأما ما ذكرته فى شأن القمح فذاك من الألطاف الخفية، وأما ما فعلتموه مع نائب النجليز فذاك المراد وقد أحسنتم فيه، وأما ما ذكرتموه من وصول الطبجيين إليكم من العرائش صار بالبال، ولم تخبرونا هل وصلكم الطبجية الذين كتبنا عليهم للعدوتين ولا الذين وجهنا لكم من حضرتنا العالية بالله؟ فلا بد أخبرونا إن وصلوكم، فإن الأمناء أخبرونا أنهم زودوهم ووجهوهم إليكم، وبقى الخاطر متشوقا لخبرهم.

هذا وقد أمرنا عامل العرائش أن يوجه لأخينا الأرضى مولاى العباس حفظه الله خمسين ألف مثقال ليصيرها فى مئونة الجيش وغيره من المجاهدين، وإن قرب نفادها يزيده مثلهـا إن شاء الله، وسنوجه له ما تيسـر من الدقيق والبجماط شـيئا فشيئـا إن شاء الله، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة كما أمـرنا الطالب عبد السلام بالرباط بالمحل الذى أشرتم إليه والسلام فى ثامن ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الخامس عشر من مولاى العباس فى مسائل:

«خديم مولانا الأرضى، الحـاج محمد الزبيدى، السـلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعلمنا مـا ذكرت فيه فى شأن القبائل، وأنهم بلا أشيـاخ، وإن قدم علينا أحد منهم نعـين له شيخـا ضابطا حازمـا ولا نتراخى فى ذلك، وطالعنا كتاب سـعيد جسوس وعلمنا ما ذكر فى شـأن المعلمين، فان رأيتم أنكم فى الحاجة فيهم فلا بأس، فإن الشارع أباح لنا الاستعانة بالمشرك فى الخدمة، وكذلك كتـاب الفاسى وعلمنا ما ذكـر لك وما طلب منك من الشيخ لقبـيلة آنجرة فذلك عين الصواب إذ لا يـصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا حكام، وبالحكام تنظم الأحكام وتؤمن السبـيل، وهأنا فى انتظار ما يرد علينا من تطوان بأخـبار من وفد عليهـم من القبائل التى كتـبنا لها ترد عليهم، فعند ذلك يظهـر لى هل نقدم بنفسى نرتبهم ونجمعهم على من يـكون كبيرا فى وسطهم يظهر ذلك إن شاء الله، وأما ما ذكر فى شأن أحواز آصيلا فإن الطالب عبد السلام بن عبد الكريم هو الذى يكون هنالك، ولعله اليوم ينزل الحد أو نزل به وأهل العرائش جـميع قبائل إيالتها وجهناهم لها، والإعـانة بالله وحده، والقبائل الجبلية لا تمر ثلاثة أيام حـتى تجتمع كلها عندنا إن شـاء الله، وأما الخزائن فمـا وجهتم ها هو عندى وكتـبت للعرائش على مـا عندهم وساعـتئـذ نكتب لتطوان على مـا عندهم ونأمرهم بإنشـائهم ولا

نقصر، ولا نروا إن شاء الله إلا المسرات بفضل الله ورضاء مولانا الوالد رحمه الله وسعادة سيدنا المنصور بالله والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

وبطرته:

«وساعة كتبنا هذا سمعنا أربعة مدافع ما علمنا سبب ذلك ولا بد بين لنا أعانك الله».

ونص السادس عشر:

«خديم مولانا الأرضى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: يرد عليك الطبجيان الذى ذكرت، وذكر لك مولانا فى كتابه الذى طالعنا، وقد وصل المعلم وها هو عندى إلى غد إن شاء الله يصلح ويروح، وقد وجه لنا مولانا خمسين قنطارا فاروك وأشبار ومثلها خفيفا إن احتجنا إليها أو احتاجت القبائل.

فها هى عندنا وما ذكره سيدنا من أن الرأى أن لا تبدأ سبتة بالضرب هو الذى يظهر لى لأن أمر القبائل لا ثبات فيه بدون مخزن، ورباطها ليس بالسهل فيؤثر عمن تقدم أن مولاى اليزيد كان بعد وعدد ومع ذلك رأيت ونحن نرجو من الله خرابها إن شاء الله، وأن يبقى بقدر الله يبقى مذلولا لا شوكة له، وكتاب بوهلال تركناه عندنا لحاجة لا تخفاك والله يعينك والسلام.

ومنه أنه علمنا ما وجه لك الطالب التهامى وما وجهتم له من البنب فرمنٰة الكل فى سبيل الله وفى الجهاد والحمد لله، وبمثل ما كتب لك سيدنا جاءنا كتاب

من عنده، وأحوار مكناسة سالمة هانية والحمد لله، وكذلك غيرها من النواحى لله الحمد والسلام ثانيا فى ١٠ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

وبطرته:

«وقد جاء ناس من بلاد أحمر بقصد الجهـاد فى سبيل الله ساعتئذ صح به، وكذلك العشرة الموجهون لأنجرة باتوا اليوم عندنا وغدا يتوجهون والبهائم الواصلون عليها الطبجيان وجههما لنا غدا إن شاء الله.

والحاج عبـد الكريم إن لم تكن عليه مشقة وجـهه وأنت تعرف المناسب من حاله».

ونص السابع عشر فى وفود أعيان تطوان على مـولاى العباس واجتماعه مع الزبدى والخطيب:

«خديم مولانا ومحبنا الأمين اللبيـب، الحاج محمد الزبيدى، السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقـد وردوا حضرتنا آل تطوان كبـراؤهم وتلاقوا بما أتوا به فى يدهم وولد عاملهم من جملتـهم الحاج محمد الرزينى الكـبير، والحاج عبد المجـيد يعلا وكلمونا بأمور ولابد من الاجـتماع معك ومعهم والطالب مـحمد الخطيب، والآن إن كان لكـم أن تقدموا عندنـا تجدهم هنا فـلا بأس، وإن كان إبقاؤكم فـى البلاد أولى وأردتم أن أركب مثل يـوم دخلت هناك إلى محل قـريب كأنى وردت أطوف بأحواز البـلاد وتلتقى، فما هو الصـواب أشِرْ به أو افعله أعـانك الله والسلام فى ١٢ ربيع عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص الثامن عشر للخطيب والزبدى:

«خديمينا الأرضيين الطالب محمد الخطيب، والحاج محمد الزبدى، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أن الكرة إذا أريد عقدها لابد من اتفاق المتنازعين فى وقتها، بأن يجعل أجل لها وفى محل الخروج للقتال بأن يقال مثلا المحل الذى يخرج به الكافر هو المحل الفلانى لا غيره، فإن كان هذا الذى بلغنا صحيحا وقانونا فنحب أن يجعل مع الكافر أجل ريثما يأخذ الناس أهبتهم على الوجه الأكمل، وأن يعين هو المحل الذى يخرج فيه ليقابل بما يجب أن يقابل به، وإن كان ذلك غير صحيح فلا علينا فيه والاستعانة بالله، وما هذا إلا كلام بلغنا فأخبرناكم به والسلام فى ١٣ ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص التاسع عشر من بوعشرين جوابا للزبدى عن الاستعداد والاستنفار وحصار الإسبان للمراسى الثلاث بحرا:

«محبنا الأعز الأرضى، الأمين الحازم الضابط المرتضى، السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك واستفدنا منه وصول سيدى مولاى العباس حفظه الله ورباطه برمل ابن قلى، وما أشرتم به عليه من الكتابة لتلك القبائل للرباط بناحية تطوان وطنجة، وأن يرتب لهم ما يكفيهم من المئونة.

وذكرت أنه لابد لهم من الخزائن وطلبت توجيه محلة تربط بناحية تطوان، والأمر بجلب الشعير لها ولطنجة على بغال مولانا أيده الله لفقده هناك، وأشرت بحراسة ما بين طنجة وآصيلا، وأخبرت بالأجل الذى أخبرتم به أنه بقى لخروج العدو الكافر دمره الله، وأنه آخذ فى الاستعداد وما أخرج من المراكب لمنع دخول المراكب للمراسى الثلاث.

أما ما ذكرته من وصول سيدى مولاى العباس لطنجة، فقد أخبر أنه دخلها حفظه الله ووجدك فى غاية الحزم والضبط وترتيب أمور أبراجها وعستها، وأنهى لسيدنا جميع ما رأى من حزمك وضبطك، ودعا لك أيده الله بخير غاية.

وأما ما ذكرته فى شأن استنفار القبائل للجهاد، فقد كتب مولانا نصره الله لجميع القبائل الجبلية حتى أحواز فاس كإيالة ابن الطالب، والصنهاجى، وابن عوده ولم يقصر أيده الله فى وعظهم وتحريضهم على الجهاد، وتوجهت إليهم كتبه الشريفة صحبة القائد المأمون الرازى وغيره.

وأما ما ذكرته فى شأن المئونة للمرابطين، فقد كتب سيدنا أيده الله لسيدى مولاى العباس ولعامل تطوان فى شأن، وأمر أيده الله بجعل مائة خزانة، وفى الإثر إن شاء الله تصل ليد سيدى مولاى العباس.

وأما ما طلبته من المحلة لتطوان فقد وجه لهم سيدنا مددا معتبرا صحبة القائد المأمون المذكور، ووجه لهم نصره الله مددا آخر مع أهل تطوان الوافدين على حضرته السعيدة.

وأما ما ذكرته من فقد الشعير بتلك الناحية وأشرت بجلبه، فقد أمر مولانا قواد الشراردة بجلبه لتطوان وطنجة بقصد بيعه، وأكد عليهم فى ذلك غاية.

وأما ما ذكرته فى شأن الكافر وحصره الداخل للمراسى الثلاث، فقد أعلمنا به سيدنا وصار بباله، ونسأل الله أن ينتقم منه وينصر جيش الإسلام عليه آمين، كما أعلمناه بوصول الطبجية إليكم من العدوتين وبقدر ما يخرج فى الصائر اليومى هناك وعلى محبتك والسلام فى ١٤ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦ الطيب بن اليمانى».

«والله يجزيك خيرا على الاهتمام بأمور المسلمين آمين».

ونص العشرين فى توجيه البارود لآصيلا:

«خديمنا الأرضين الطالب محمد الخطيب والحاج محمد الزبدى وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا وجهنا خمسة عشر قنطارا من البارود الرومى لأخينا مولاى العباس أصلحه الله، بقصد ثغر آصيلا، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة والسلام فى ١٥ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الحادى والعشرين:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الزبدى أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه بما عليه أهل ذلك الثغر السعيد من الحزم والضبط والاستعداد، وأن أهل تطوان لما سمعوا بوصول مولاى العباس حفظه الله لتلك الناحية، وورد عليهم بعض القبائل الجبلية فرحوا وزال عنهم ما كان بهم من الخوف والجزع وحصل لهم من الحزم والتيقظ ما وصفته، وأن الطالب عبد السلام ابن عبد الكريم ربط بحد الغربية، وأن بذلك الثغر السعيد من المهاريس الجيدة والبونية المعتبرة ما يرغم أنف العدو ويكبته، وأنك وجدت بخزينه من طاكوس البونية عدداً فاسداً بالسوس فوجهت لتطوان مثالا منه ليخرطوا عليه عدد ١٠٠ ويوجهوه لكم، وأن المعلمين الطبجيين الواردين عليكم من ثغر العرائش مشتغلان بصنع التخليطة لتعمير الطواكيس المذكورة، وأنه ليس هناك من يحسنها ويتقن معرفة المهراس مثلهما، لافتقار ذلك الثغر لمن يحسن هذا الفن، وأن نجابة اللذين وجهنا لكم من حضرتنا العالية بالله مخصوصة بعلم المدفع فقط، ولم يبلغا مرتبة الأولين، وأنك لما ورد عليك أمرنا بإبقاء الطبجيين المشار إليهما بمحلهما بالعرائش

تحيرت فى امتثال الأمر وارتكاب المصلحة، ثم ظهر لك فوجهت أحدهما للعرائش ووجهت معه من ارتضاه من نجباء طبجية العدوتين، وأبقيت الآخر عندكم مع الباقين.

وذكرت أن الأخبار تواترت عليكم من جبل طارق بما حصل للكافر الصبنيولى دمره الله من الرعب والفشل لما رأى عليه المسلمون من الضبط والاستعداد، والقيام بأمور الجهاد، وتبين كذبه وفجوره، فيما كان زعمه من أن جنس الفرنصيص وعده بالأخذ بيده فيما يحتاجه، وأن نائب الفرنصيص ورد عليه الكتب من دولتهم بتكذيب الكافر الصبنيولى والتبرى من إعانته وإمداده، وظهرت ثمرة ما دفعته من نسخ ما دار بينكم وبينه لنواب الأجناس، وأنه دمره الله وخيب سعيه لما رأى ما عليه الشغور من التحصين طمع فى الإتيان لآصيلا لما علم من تفريطها فوجهتم من ينظر فى أمرها بما أشار به عليكم نائب النجليز، وأن طبجية الرباط أخبروك أن بها برجا صائنا وفيه عدد من المدافع بلا كراريط.

وأما ما ذكرته فى شأن ثغر طنجة وتطوان صار بالبال، وقد بلغنا عنك من الضبط والحزم ما كنا توسمناه فيك أصلحك الله ورضى عنك.

وأما ما ذكرته من توجيه أحد الطبجيين للعرائش مع الذى اختاره من طبجية الرباط وإبقاء الآخر عندكم لنجابته، فقد أحسنت فى ذلك وأصبت الصواب فيه.

وأما ما ذكرته مما حصل للكافر دمره الله فقد عرفناه زاده الله رعبا وهوانا، وهلاكا وخسرانا، آمين وصار بالبال ما كتب به دولة الفرنصيص لنائبهم.

وأما ما ذكرته فى شأن آصيلا عرفناه، وقد أحسنتم فى التنبيه عليه وها نحن وجهنا خمسة عشر قنطارا من البارود الرومى بقصده واصلة لأخينا الأرضى مولاى العباس حفظه الله والسلام ١٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الثانى والعشرين من بوعشرين صحبة الظهير:

«محبنا الأعـز الأرضى الأمين الضابط الأحظى السيد الحاج مـحمد الزبدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك ذكرت فيه افتقار آصيلا لعامل مستقل يضبط أمرها لعـدم نجدة الخليـفة الذى بهـا، وذكرت مـا وقع بين الكافر خـذله الله وبين أهل مرسى وادى التان وبين عسة المسلمين التى بقرب سبتة، كما وصلت نفولة الخطيب فى شأن ما أخـبر به نائب النجليز مما يتعلق بآصـيلة وزمام تسراد الجيش السـعيد، وطالع سيدنا ذلك وصـار بباله، وها جوابه الشريف يصلك بما فـيه الكفاية وعلى المحبة والسلام ١٨ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى».

ونص الثالث والعشرين:

«خديمنا الأرضى الحاج مـحمد الزبدى أعانك الله، وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عـما كتبنا لك به فى شأن الثلاثين ألفا التى تحت يد خديمنا الطالب عـبد السلام بن عـبد الكريم، وذكرت أنك بعد مـا كتب الطالب محـمد الخطيب بطلب الصائر اختـبرته فأجاب بأن تحت يده مـن الوفر ما ينيف على العشرة آلاف مثقال، وأن تحت يد القائد مـحمد بن العربى السعيدى ما يقرب للثلاثة عـشر ألفا من واجب القبائل زيادة على ما ينيف عـلى الخمسة آلاف مثقال الفاضلة من العشرين ألفـا التى دفعت منها صلة الجيش والطبجية، وأن هذا وفر معتـبر، والصائر اليومى إنما هو نحو المائتـين مثقالا، فلا يحتـاج للثلاثين ألفا المشار إليـها، وأن كتابتك مع الخطيـب فى جل كتبه إنما هى مـساعدة له لاقتـضاء

الحال لهـا، وأنك فى انتظار الجـواب عن الذين توجهـوا لآصيـلا، وأن أمرها لا ينضبط إلا بعامل مستقل، وأن المدافع التى بهـا مفتقرة للكراريط، وطلبت أن نأمر عامل العرايش بتوجيهها إليها، وأنك وجهت بطاقة مشتملة على ما أخبره به نائب النجليز الذى كان بآصيلا.

أما ما ذكرت فى شـأن الوفر وعدم الاحتياج للصائر فقـد بينته وكشفت عنه غطاءه، حتى صار كأنه بمرأى منا، وما قط سبـقك أحد لبيانه أصلحك الله، وأما مساعدتك للخطيب فى الكتابة معه فهى من تمام عقلك.

وأما افتقـار أصيلا إلى عامل مستقل وإلى الكراريط فقـد أمرنا أخانا مولاى العباس أن ينظر رجلا حازما ضابطا ويكلفه بها حتى يفوت أمر الكافر، ونتفرغ لها وننظر فى أمرها ولا نتركها مهـملة إن شاء الله، وقد أمرنا عامل العرايش أن ينظر كراريط يوجهها لها بما أمكن.

وأما البطاقة المشار إليها فقد وصلت وعرفنا ما فيها والسلام فى ١٧ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦».

ونص الرابع والعشرين من مولاى العبـاس للزبدى والخطيب فى تغيير رباط المحلة وما يصنع بالأسرى وغير ذلك:

«خديمى مولانا الأنصـحين الحاج محمد الزبيدى والطالـب محمد الخطيب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد بلغنا كـتابكما وعرفنا ما ذكرتما فيـه من القرب بالمحلة إلى البلاد إلى المحل الذى يعين لنا القائد العـباس امقشد وما ذكرتم من توجـيه مائتى فارس لاشقار تزيد على السعة هنالك، ومن أن عـدو الله صبنيول جد فى تنزيل عسكره

المخذول بعنايـة الله بسبتـة ومكاتب جبل طارق التى وردت عليكم بـتفصـيل أمر عسكره.

أما ما ذكرتم على المحلة فكذلك يكـون إن شاء الله، وما ذكرتم على المائتى فارس فسنوجـهها لاشقار، وما ذكرتم علـى عدو الله فنحن له إن شاء الله، والله أشد تنكيلا، وقد زدنا هذا اليوم بتطوان لأنهم كـانوا فى غاية الضيق التام حيث لم ترد عليهم جوارهم كبنى حسان وغمارة والأخماس وأرادوا خروج أولادهم، فهذا موجب قـدومى عليهم، وأنا أثبطهم وأرسـى بحلول الله أمره وبعـد تاريخه نروح للمـحلة بحول الله إن شـاء الله، وقد أخبـرنا قائد المحلة وأن بـنى عروس وردوا للمحلة، فها نحن أمرناه بإبقائهم هنالك يقبضون مئونتهم حتى نقدم يوم الجمعة إن شاء الله، وقد فـهمنا ما ذكرت من أنكم خرجـتم لاشقار وانتظرتمونا جمـيعا فلم نقـدم، لأنى قـدمت لما هو أهم وهو أمـر تطوان، ومـا ذكرتم من أنا إذا قـبـضنا الأسارى نبقوهم حـيا بذلك نوصى جميع القبائل المجـاهدين وهو السداد المعروف والله يعينكم والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص الخامس والعشرين من سفـير إنكلترا للنائب الخطيب فى شأن الأسرى بعد الحمدلة:

«خديم سلطان مراكش والنائب عنه أسماه الله فى الأمور الفقيه المحب السيد محمد الخطيب سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقـد كنا ذكرنا عن الأسرى إذا قبـضوا فلا يضر ويجـعلهم فى محل يأكلون ويشـربون إلى تمام القتـال بين الجانبـين، فبـذلك يسهل الفـصال ولا تزاد الفـتنة، وإلى الآن لم نسمـع بقبض الأسـرى من الإسبنيـول بسـبتـة، نعم بعض المساجين الذين هربوا من الاسبنيول وقتلهم لا كلام لنا عليهم.

وهذه الأيام سمعنا أن آل الريف بكلعية قبضوا فى القتال مع اسبنيول قرب مليلية خمسة وثلاثين عسكر، وأخذوهم ووجهوا بهم للحضرة الشريفة وفرحنا حيث سمعنا ذلك، إذ حيث يكن الأسرى بيد السلطان يسهل الأمر فى المستقبل.

ونحبك تكتب للحضرة الشريفة أنهم إذا كانوا ذلك الأسرى عسكر لا يجعلون فى السجن ولا يضر بحيث يجعلون فى محل يأكلون ويشربون إلى حين الفتح فيما يكون إن شاء الله، وكذلك إذا رضوا بالكتب لأهلهم وديارهم ويسموا جميعهم ففى ذلك الخير، وهو العادة فى الجرة بين الأجناس نعم تكون المكاتب مفتوحين، والذى فيه الضرر لا يوجه.

ونحبك توجه هذا الكتاب بظله عن خطرنا، إذا الاسبنيول يذكرون أن المسلمين بعد ما ذكروا لنا على مطلوبنا من رحمة الأسارى فإنهم لا يرحمهم بل يقتلوهم ويقطعهم أطرافا، ومن ذلك الكلام يسمعون الأجناس ويظنون بالمسلمين كل ما قبضوا من الأسارى بسبتة قتلوهم ويعيبهم الأجناس على ذلك، وحتى الأجناس الذى يحب لكم الخير إذا يثق بهذا الكلام يقلب خاطرهم، ونحب بشهادة المكاتب واسوم الأسارى يظهر الحق ويبطل الباطل، إذ لا نحب القول الذى فيه الضرر لهذه الإيالة.

ونحبك لا تغفل فى هذا الأمر وتخبرنا بالجواب عن هذا الكتاب حيث يرد من الحضرة الشريفة، وأنت عارف بهذه الكرة لا تطول، إذا فيها الضرر الكثير بهذه الإيالة لا يخرج منها فائدة على كل حال، والسلطان أيده الله من فور عقله يحب الصلح أولى من الفتنة، والاسبنيول هم الذين بحثوا فى ذلك لا المسلمين وعلى المحبة والسلام فى ٣٠ دجنبر سنة ١٨٥٩ عن إذن النائب المفوض فى أمور سلطانة اكريت ابرطن أيدها الله جان هى در منضو هى» وأسفله إمضاؤه الإفرنجى.

ونص السادس والعشرين من بوعشرين:

«محبنا الأعـز الأرضى الأمين الضابط الأحظى السيد الحاج مـحمد الزبدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعـد: وصلنا كتـابك واستـفدنا منه مـا حصل لأذل الأجناس مـن الحزن والدهش والحيرة لما رأى ما عليه قبائل تلك الجهـة من حراسة مراسيها والقيام على ساق الجد فى الذب عنها، زيادة على ما حل بالفـاجر قصمه الله من الجوع والوباء حسبما أخبـر به الذين كان أسرهم وأنقذهم الله من يده زاده الله الرعب والهوان، والهلاك والخسران، أضعافا مضاعفة وجعله غنيمة للمسلمين آمين.

وذكرت أن بتطوان من المقاتلة ما بينته ٧٠٠٠ ومن البارود ما ليس غيرها من الثغور، وأن مـا حصل لهم الجزع من عدم نجـدتهم، وبينت ما وجهه لـكم السيد التهامى بن عبد السلام من إمداد الزرع ١٣٧ ودفعتموه للعامل ليزيده على ما تحت يده من زرع المخزن، وأعلمنا سيدنا بذلك كله وصـار بباله، وما قط أطلعنا سيدنا على كـتـبك إلا ونشط بهـا ودعا لك غـاية غـاية، ونسـأل الله أن يجـازيك عن المسلمين خيرا آمين وعلى المحبة والسلام فى ٢١ ربيع الثانى عام ١٢٧٦ الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص السابع والعشرين من بوعشرين أيضا:

«محبنا الأعـز الأرضى الأمين الضابط الأحظى السيد الحاج مـحمد الزبدى أمنك الله، والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك واستفدنا منه أن الكافر خذله الله اشتغل بعمارة مراكبه بالعسكر وآلات الحرب وعزم على الخروج فى اليوم الذى ذكرت حسبما فى المكتب التى ورد بها البابور، ووجهـتها لسيدى مولاى العبـاس حفظه الله، وأشرت عليه

بالانتقال لقرب البلد للمصلحة التى بينت ووجهتهم على عدد من رماة الجيش وغيره لعسة اشقار، وركبت إليه أنت والخطيب والقائد العباس فوجدتم ببعض مراكب العدو قصمه الله قريبة من البر، ولم تقصروا فى التأهب والاستعداد وكتبتم لعامل العرائش وتطوان والسيد عبد السلام يأخذ الحذر، وصار كل ذلك بالبال فنسأل الله تعالى أن يعينك ويأخذ بيدك وينصر جيش الإسلام آمين وعلى المحبة والسلام فى ٢٤ من ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى».

ونص الثامن والعشرين من مولاى العباس:

«خديم مولانا وأمينه الأرضى الحاج محمد الزبيدى، السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وقرأنا مكاتب جبل طارق وما تحدث الكافر به نفسه خيب الله رجاه ومناه آمين، وها نحن كتبنا حذرنا الطالب عبد السلام بن عبد الكريم كما كتبنا لأهل تطوان ولأهل آنجرة وحذرناهم خروج هذا الفتان الكافر المهان، نسأل الله أن يبطل كيده وما ذلك على الله بعزيز.

وأما توجهنا لاشقار فلا يمكن غدا لأن الأشغال عندنا كثيرا وردت كمانية كثيرة من عند سيدنا ليلا، وغدا إن شاء الله ننظرها، ولابد تكلم مع القائد العباس امقشد على الدار التى أردنا بها الكمانية ولابد ولو بالكراء والله يعينك والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ونص التاسع والعشرين من بوعشرين:

«محبنا الأعز الأرضى السيد المجاهد المعتنى الخير الدين الأجل الحاج محمد الزبدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بما شرح الله صدوركم إليه من توجيه القائد العباس امقشد مع من ذكرت بما ذكرت للغرض الذى بينت بعد المفاوضة فى ذلك مع مولانا العباس حفظه الله، واستحسانه ذلك على الكيفية التى شرحت، بعد أن عرفك نائب النجليز بأوصاف البلاد التى خرج به عدو الله قصمه الله، وبأن القبائل الجبلية ترادفت على أهل آنجرة لما بلغهم خروج الكافر لناحيتهم واشتغالهم بالقتال معه حسبما فى كتبهم التى وجهت بطى كتابك بقصد إطلاع مولانا عليها، وأنهينا الكل لسيادته الشريفة فدعا لك بخير غاية تقبل الله منه كما دعا للمسلمين بالنصر والتأييد على أعداء الدين، وبالهلاك للكافرين نسأله جل وعلا أن يستجيب دعاءه آمين وعلى المحبة والسلام فى ٣ جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص الثلاثين من بوعشرين:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزبدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنكم أشرتم على سيدى مولاى العباس حفظه الله بالانتقال لبيانة، وبالكتب للسيد عبد السلام بالانتقال لشرف العقاب، وأن الكافر قصمه الله نزل بالعدد الذى بينت بالمحل الذى سميت فأمددتم أهل لنجرة ببنى مصور، واستنفر سيدى مولاى العباس ودارس ومن عطفت عليهم من

القبائل لإعانة أهل لنجرة وأشرتم عليه بالكتب لأحد رؤساء المحتلين اللتين بتطوان للرباط بقبيلة آنجرة، وتجتمع عليه القبائل وبالكتب لمولانا نصره الله فى شأن الشعير لتطوان وحـمله على البغال لـعجز الإبل عن السـفر به من كـثرة الوحل لتـحصل للناس الكفاية، ويتـقووا على العدو خذله الله، فـقد كتب سيدى مـولاى العباس بذلك لمولانا المنصور بالله وأجـابه أيده الله بما فيه الكفاية، ودعـا لكم سيدنا أيده الله غاية لوقـوفكم واعتنائك بأمور المسلمـين، فالله يجازيكم عنهم أحـسن الجزاء ويأخذ بأيـديكم لما فيه رضـاه آمين وعلى المحـبة والسـلام ٨ جمـادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى».

ونص الحادى والثلاثين من بوعشرين أيضا:

«محبنـا الأعز الأرضى الأمين الحازم الضـابط الأحظى السيد الحاج مـحمد الزبدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيـه أنك وجدت هناك عددا كثيرا من الكبريت وتخوفت أن تتولد منها الإذاية إن وقع ضـرب من الكافر خذله الله، وظهر لك أن توجهها لفاس على الإبل الواردة عليكم بالكمانية، وأعلمت سيدى مولاى العباس والسيد مـحمد الخطيب بذلك، وشرعتم فى توجـيهها وطلبت إعلام سـيدنا نصره الله بذلك، فقد أعلمت به سـيادته فاستحسن أيده الله فعـلك غاية، غاية، غاية، ودعا لك بخير وعلى المحبة والسلام فى ١٠ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى أمنه الله آمين».

ونص الثانى والثلاثين فى بعض الوقائع:

«خديمنا الأرضى الحاج مـحمد الزبدى أعانك الله، وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن المبارزة وقعت بين المسلمين والكافر يوم الجمعة واستشهد من المسلمـين مَنْ مَنَّ الله عليهم بالشهادة، ومات من الكفار عدد كثـير، واستلبت أسلحـتهم وآلة حربهـم وأسر منهم، وشرحت مـا صدر من أهل تطوان للبابور الفرنصـيصى المار بهم بقصد تبديل الهـوى وما قابلهم به المرابط من الضرب بالعدد ١٠٠٠ الذى بينت من الكور، وأنك باشرت أمر ذلك بمن ورد نائبا فى الكلام عنهم، واعـتـذرت عن أهل تطوان وتلطفت فـى الجواب عنهـم رعيـا للسـداد وعـدم الفـتنة، وأن المدفع الذى سـمع يوم السـبت من ذلك وذكـرت أن المجاهدين اتفـقوا على الضرب على الكافـر ليلة الثلاثاء، وأنه قصـمه الله يركب ببعض خـيله ليقطع على الكمـانية الواردة من تطوان فـأشرت على أخـينا مولاى العـباس حفـظه الله بالكتب لمولاى إبراهيم ومن مـعه من العـسكر بالرباط بالمحل الذى سميت ليحصروه، وأن الخبر ورد عليكم من جبل طارق أن الكافر حمل من بقالص من العسكر قـاصدا به سبتة وأشرت بتـوجيه عدد من رماة القبـائل وغيرها والخزائن والكمانية والشعير للخيل التى بتطوان خوف ضياعها.

أما ما ذكرته فى شأن الكافر فقـد صار بالبال، وسنوجه إن شاء الله ما يسره الله من الخـيل وفى الأثر يرد عليكم مـا تيـسر مـن البارود والخـفـيف والاشفـار والكمانية، وأما الشعير فقد كـتبنا لعاملى العرائش والغرب فى شأنه وأكدنا عليهم فى شأنه غاية.

وقد أحسنت فيما باشرت به أمر ما صدر من أهل تطوان للبابور الفرنصيصى أصلحك الله ورضى عنك، مع كـونهم لا ينبغى لهم أن يرتكبوا ذلك، إذ ليـسوا بجاهلـين بطرقة البـحر وقانونه، كـما أحـسنت فيـما أشرت به مـن رباط مولاى إبراهيم ومن مـعه بالمحل الـذى يحصـرون فيـه الكافـر عن التعـويض لما يرد من تطوان، وكان من حـقهم أن يركبـوا هم للتعرض للكـافر، لا أنه هو الذى يركب ويتـعرض لهم، لأنا لم نوجـههم للجلوس بتـطوان، وإنما وجهناهم ليكونوا عـينا

وأذنا على عـدو الله ويقـعـدوا له كل مرصـد والله يعـينك والسـلام فى ١٠ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦».

ونص الثالث والثلاثين فى الموضوع:

«خديمنا الأميـن الأرضى الحاج محمد الزبدى، وفـقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتـابك مخبرا بمـا فتح الله به على المسلمين فى جـهاد الكافر المخـذول عدو الدين حـيث قاتلوه يوم الأربعـاء الفارط، وأنهم مع قـتلهم وكثرته قتلوا منه عـددا كثيرا وغنموا من أسلحته كذلك، وهزمـوه إلى أشبار جامع بارباشن، وأخذوا له السنجق الذى عمل هناك بعـد أن مات من المسلمين من ختم الله له بالسعادة، فما على ميتة عز من ندم.

والحمد لله على إعزاز دينه وإظهاره على دين الصليب زاد الله المسلمين عزا وظهورا وفتح عليهـم فى قريب، إنه سميع مجيب، وعلمنا مـا ذكرت من تنبيهك على قدوم المجتمـعين بتطوان بلا طائل من المخزن والعسكر والقبـائل وكتابة أخينا مولاى العباس حفظه الله على قـدومهم، فلم تطب نفوس أهل تطوان بقدومهم، مع أن العـدو الكافر لازال يزيـد العسكر، وطلبت توجـيـه المدد من رماة الجـيش والقبـائل مع الخفيف والبارود الجـيد لا الفاسد كـالموجه من مكناسة، كـما طلبت توجيـه الكمانيـة والبغـال لحمل مـا عندك منها مع المعلمين الجـرارحيـة من فاس ومكناسة وغيرهما لمعالجة مجاريح المسلمين.

فأما ما أشرت به من توجيه المدد فقد وجهنا ما يسره الله، ولا زلنا نوجه إن شاء الله، وقد وجهنا عـدداً معتبرا من البارود وتوابعه لأخينا مـولاى العباس قبل التاريخ بأربعة أيام وكذا البغال، ووجهنا فى يوم التاريخ الجرارحية وقد أحسنت فى

الإشارة بقـدوم من بتطوان من المخازنـية والعسكر، ونـسال الله أن يعجـل بهلاك الكفار آمين والسلام ١٣ جمادى الأولى عام ١٢٧٦».

ونص الرابع والثلاثين كذلك:

«خديمنا الأرضى الحاج الزبدى أعانك الله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتـابك وفى طيه كتـاب خديمنا القائد العـباس امقـشد فطالعناه، واستفـدنا منه ما منّ الله به من الظفر والتأييد للمسلـمين وهزمهم أعداء الله الكافـرين، فسرنـا ذلك غاية، وودنا أن لو كنا مـعهم لنفـوز فوزا عظيـما، فالحمد لله حق حمده، وما كل خيـر إلا من عنده، وهو المسئول سبحانه أن يشفع هذه الواقعة بأختها أو أكثر منها حتى لا تقوم قائمة لأهل الكفر آمين.

وعرفنا مـا وجه أخونا مولاى العـباس أصلحه الله من رماة المخـازنية الذين وجهنا، ومن رمـاة الجيش لإعـانة المسلمين المجـاهدين، فالله يعينهـم ويظفرهـم، ويجـعل الألطاف تحفـهم، وما ذكـرت من نزول مطر غزير ووصـول ثمن المد من الشعيـر إلى خمس وعشرين أوقـيةو رطلبت توجيه الخـزائن من الشعير لاحـتياج المجاهدين إليهما غاية، فأما الخزائن فقـد وجهنا منها مائة وأمرنا بفصالة مئة أخرى وتوجيههـا بمجرد الفراغ من خياطتها، وأمـا الشعير فقد وجهـنا أمينا لاشترائه من أسواق أهل سوس أزغار، وعيناً من جمالنا التى بالغرب مائة لحمله، ولا تغفل من توجيـه غيـر ذلك مما يقوى جـانب المسلمين، ونسـأل الله أن يمنحهم تمام الـظفر بأعداء الله الكافرين، والسلام فى ١٩ من جمادى الأولى عام ١٢٧٦».

ونص الخامس والثـلاثين من النائب السلطانى بطنجـة الخطيب التطوانى فى شـأن مركب يريد الإتيـان بالبنادق للمـغرب ووصـول النجدات من الداخل بعـد الحمدلة والصلاة:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وأدام لنا والمسلمين وجوده.

وبعد: البارحة قدم علينا فارس من الحضرة العالية بالله بكتاب من عند مولانا نصره الله لنا ولك، يذكر لنا فيه بأن قائد بلاد آسفى كتب لمولانا أيده الله أنه قدم مركب مزر كان لمرضتهم بقصد الوسق، ثم إن رائسه ذكر إلى عامل آسفى إذا خصتكم لمكاحل يأتى لهم بما تتوقفون عليه، وقد أمرنا أيده الله فى كتابه الشريف لنا ولك إذا يتأتى قدومهم فى هذه الساعة نوجهوا على عشرين ألفا من المكاحل، وإذا لم يتأت قدومهم فى هذه الساعة قدومهم يعنى من أجل هذه الكرة فالله يختار منها، وهذا الذى ذكر عليهم إلى قائد آسفى هو الرومى الذى كنا ذكرنا قبل هذا بنحو خمسة عشر يوما، كان قدم من جبل طارق وتكلم معنا هنا لأنه كان ذكر لنا كان فى بلاد آسفى وتكلم مع عامل البلاد جاوبه يشاور سيدنا نصره الله على ذلك، والآن خبرناك بهذا وترانى نجاوب سيدنا نصره الله، ونعلمه بأنك اليوم سفرت مع سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله، ونذكر له بأنه هذا النصرانى قدم أيضا لهنا وتكلم معنا وخبرنا أنه تلكم مع عامل آسفى، ونذكر إلى سيدنا أننا كتبنا إلى هذا النصرانى يصحب زوج مكاحل وإلا ثلاثة مشترى، ولما يوجه لنا المشترى تبقى تحت يدنا حتى تقدم علينا بالسلامة، ويكون الفصال معه إن شاء الله. وأيضًا البارحة قبضنا كتاب من عند القائد العباس مقشاد خبرنا أنها قدمت عليهم قبيلة الأخماس بعدد ١١٠٠، وأيضا ذكر قدموا عليهم الزراهنة بعدد ٦٠٠ وذكر تخبار قدموا لتطوان من أهل الريف مع صنهاجة عدد ٢٥٠٠، نطلب الله يكون ذلك صحيح، ودخلنا من ذلك سرور كثير، ربنا سبحانه يزيد فى قوة المسلمين وينصرهم بجاه النبى وآله.

وقد ذكر لنا لقائد العباس مقشاد على حساب البارحة يضربوا على الكافر وذكر بحول الله ذلك تكون بهلاك الكافر إن شاء الله، ونحن نرتجوا فى هذا اليوم يأتوا المكاتب من عندهم نطلب الله يأتى الذى يسر الخاطر، لأن البارحة كان سماع المدفع كثير من سبتة لاشك أن المجاهدين دخلوا فى وسط محلته، وقد أكد على البارود يوم تاريخه متوجهة له برامل عدد ٢٤ مع صناديق الذى كانوا قدموا من فاس عد ٦ مع حمال خفيف، لأنه أكد غاية على البرود مع الخفيف وذلك حاجة لا يكون فيها تراخ، وسلم منا على سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس ونطلب منه صالح الدعا، وقد ترك علينا فيزة كبيرة والله يا سيدى ما بقينا من شوقكم إلا مثل الغريب الذى ليس له أحد من قرابته، ربنا سبحانه يكمل عليكم بخير وترجعوا على خواطركم، كما تريدوا بحول الله والسلام وفى ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٧٦.

محبكم محمد الخطيب وفقه الله» من تعبيره إلا أغلاطا خطية أصلحناها وكذا ما يأتى.

ونص السادس والثلاثين من الخطيب أيضا فى الموضوع:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمه الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: وصلنا كتابك جواب ما كتبناه لك على كتاب سيدنا الشريف الذى بعثه لنا ولك يأمرنى على شرى عشرين ألفا من المكاحل، وذكرنا لك أننا جاوبنا مولانا عن ذلك وعرفناك بما جاوبنا سيدنا نصره الله بأنك توجهت مع سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله، وأننا نكاتبوا على زوج من المكاحل، ولما يأتوا نعلمك ويكون فصال ذلك فيهم بمحضرك، هكذا جاوبنا سيدنا نصره الله

ونحن الجواب الذى جاوبنا سيدنا نيتنا لما كنت مسافر ذكرت لنا نكاتب مولانا ونعرفه بسفرك مع مولانا الخليفة.

وأما المكاحل فلا كانت نيتنا إذا قدموا زوج منهم حتى تنتظرهم أنت وتصفى أمرهم بنفسك، لأنك أعرف بذلك منا، والآن بعدما كنت كتبت كتاب للتاجر المذكور ثم به البابور هذه سبعة أيام من الذى سفر من هنا وإلى الآن لم قدم وجد الحال كتاب التاجر لم رسلته له ترانى عملت خيرة، فلا نرسله ولا نكاتبه حتى يأتى جوابك كيف يكون فى ذلك، وذكرت نوجه له كتاب سيدنا نصره الله بظله يوصلك داخل هذا وما ذكرت من أمر اليهود ترانى نجاوب بالذى ذكرته لنا عن عدم قدومهم، نطلب الله سبحانه يجيبنا وإياكم فى الصواب ويرزقكم الإعانة والنصر والظفر بعدو الله حتى لم يبق اسمه يذكر بجاه النبى وآله وهذا ما نعلمك به والسلام وفى ٣ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبكم محمد الخطيب وفقه الله».

ونص السابع والثلاثين منه فى شأن البارود:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، خديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: اعلم حفظك الله يوم تاريخه قدمت لعند صهركم الفقيه الأجل سيدى محمد بن خضراء وذكرت له نقدموا إلى دار البارود ننتظر الذى فيها من البارود قدمنا لها وجدنا خزين فيها عامر، لكن لا يصلح لشىء، كله تراب يعنى غبرة، ومن الملح الذى قدر لنا مشنين كبير الطبيجة ذكر نحو الستمائة برميل، فلما رأينا نحن مع الفقيه صهركم ذلك كتبنا لك على أن تعلم سيدنا الخليفة بذلك

ويكاتب عاجلا على سيدنا نصره الله على جميع البارود الذى عنده بفاس، والذى عنده بمكناس يأمر قائد الشرارضة وغيرهم من العرب الذى لهم جمال يحملوه جملة لهنا.

ويكاتب أيضا للرباط على البرود يأتى منها، لأن هذا الكافر ليس له قدرة للقدوم لمراسى الحوز، وإنما عدو الله قوته كلها جعلها فى سبتة، ويكاتب إلى مراكش، يأمر على البرود الذى بها كله يصحبوه أهل دكالة، لأنه يا سيدى أنت عارف الذى يخرج كل يوم من البرود، فلا تكن تأتى عشرين حملا ولا أكثر منها على مرتان فمن الواجب تأتى الأربعمائة حمال وخمسمائة فى رفقة وزوج، ويكون العجال الذى بفاس يأتى من يومه كله، والذى بمكناس كذلك، والذى فى الرباط يأتى عدد منه، ويكاتب مراكش كذلك فلا تكون المماطلة ولا تكون الكتابة لموضع واحد، وأنت تبارك الله عنك لا تقصار فى ذلك، لأن البرود هو مثل المئونة فأكثر ونحن كتبنا إلى سيدنا الخليفة مثل ما ذكرناه لك هنا مع هذا، والسلام وفى ٨ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبكم محمد الخطيب وفقه الله».

وبطرته:

«ويوصلك كتاب صهركم الفقيه البركة سيدى محمد بن خضراء على ما ذكر والسلام»

ونص الثامن والثلاثين منه فى شأن البارود والخفيف والنجدات:

«حبنا وخلاصة ودنا خديم مولانا وأمينه الأرضى سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته، عن خير مولانا نصره الله وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: وصلنا كتابك جواب ما كـتبناه لك فى أمر البرود، اعلم حفظك الله أنى جعلت البعض من معلمين فى خـدمة البرود بالقشلة التى تجاور رياض المخزن الذى أنت نازلا فيـه هنا ودفعنا لهم نحـو عشرة برامل من البـرود الذى ذكرنا لك فاسدًا فلمـا فتحناهم وجدوا وسط البـرميل مليح غاية، وأطرافه رجع غـبرة كاين البرميل الذى يجدوا نصفه مليح، وكاين البرميل الذى كان قرب الحائط ثلثه مليح، والثلثان غبـرة، وصحبوا غرائل المليح نجعلوه فى برامل ويشـاد البرميل والذى هو غبرة يفـتلوه والآن خدامين فيـه يخرج بحول الله عدد مليح مـثل الذى كان يأتى لكم، والغبرة تصلاح، وتكون مثله إن شاء الله.

وذكرت على فرغ الخفيف اعلم حـفظك الله بأن العامل كل يوم يأخذ أجرة ستـة أناس عنده ذكر يفرغـوا الخفيف، وذكـرت على عدو الله هو بحيـدة ومحلة المجاهدين مـقابلة له نطلب الله يأتى المدد الكثـير من سيـدنا نصره الله، ترانى يا سيدى من يوم خرجتم من هنا بالسلامـة رسلت إلى سيدنا نصره الله ما يزيد على أربعـة رقاصـة، وكلهم فى أجل المدد نؤكـد على سيـدنا نصـره الله يوجه العـدد الكثير.

وقد ذكرت له يوجـه عدد كثيـر من البربر ويأتوا القواد متاع كـل قبيلة لأنه العامل متاع القـبيلة إذا قدم يأتوا معه كبراء القـبيلة وإذا بعث عدد ولم يأت العامل متاعها بأمـر أشياخه يفرضوا له العدد الذى طلبه فلم يـأت سوى الخماسة والرعى بالكرى فلا تظهر منهم مزية، وإذا قدم عامل القبـيلة فلا يأتى معه إلا كبراء القبيلة وأيضا لما يـكونوا عمال القـبائل بأنفـسهم كل واحـد يريد يورى مزيتـه فذلك هو الصلاح، وأنت يا سيدى تأكد فى هذا الذى ذكـرناه عاجلا عاجلا لأن هذا الكافر جمع عسكره من أرضـه كلها وقدم به فى البحر لأرض غيـره، فلا يأتى إلا بالقوة الكبـيرة يوجب علينا جـميع القـوة التى عندنا نقابلوه بهـا، ذلك الذى عندنا فـيه الصلاح.

وأنت يا سيدى تأكد على سيدنا الخليفة سيدنا ومولانا العباس حفظه الله يكاتب مولانا نصره الله على المدد عاجلا عاجلا عاجلا، حتى إذا يأمر عليه سيدنا نصره الله يأتى بليل والنهار ويكون عدد كثير، ويكاتب مولانا نصره الله إلى عمال الحوز قبيلة الشاوية ودكالة وقبيلة السراغنة وغير ذلك من القبائل كل قائد يوجه جمال زرع وشعير ولو يوصل بما كان، لأننا هذه الساعة لا نجعلوا حساب اللهم لا تتوقف الناس على شيء هو الفائدة وكـ. . . سيدنا الحمد لله فلا تكون حاجة بعيدة فإنها ترجع قريبة، والله سبحانه يكمل بخير وهذا الكافر فلا يتكسر إلا بالعدد الكثير من المسلمين، وهذا ما نعلمك به وربنا يكون لنا ولك معين والسلام وفى ١٢ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبكم محمد الخطيب وفقه الله».

ونص التاسع والثلاثين منه فى نكبة الأسطول الإسبانى البحرية وما تكبده من البر وغير ذلك:

«حبنا الأرضى، وخلاصة ودنا المرتضى، خديم مولانا وأمينه، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: لا زائد على ما كتبنا لك به قبل هذا وخبرتاكم بما وقع لعدو الله فى مراكبه التى تكسرت له ما يزيد على عشرين مركب بين ببورات قراسيل ومزركان وفركاطة قرسان ولنشون بالمدافع ومراكب حاملين الكمانية، الحاصل أنزل الله عليه سخطه فالله يزيده ما هو أكثر، وذلك صحيح كأنك ترى ذلك فلو كانت لنا عمارة من المراكب فى البحر وقاتلت مراكبه فلا يوقع مثل هذا حتى لو غلبوه كان يهرب، وهذه قدرة الله سبحانه نفدت فيه كما يكون مع الباقى من عسكره ومراكبه يهلكوا جميعا عن قريب إن شاء الله.

وبعد وصلنا كتـابك خبرتنا على القتال الذى قـتلوا المجاهدين عدو الله يوم الثلاثة وتفرقوا المسلمين على ثلاثة مواضع ورزقهم الله سبحانه النصر، وقتلوا منه العدد الكـثير الذى لم يحص فـالله تبارك وتعـالى يزيدهم من القوة والنـصر على عدو الله حتى يفاصلوه، ولم يبق اسمه يذكر فى الدنيا، وقد كتبوا من جبل طارق إذا رزق الله الصبر والثـبات للمجاهدين وقـاتلوه جميعا فـإنه من يومه يهلك لأنه الكافر دخله الرعب الكبير، وهذا العـسكر الذى يأتيه الآن فلا يصلح لحاجة الأول الذى كان عنده هو كـان عنده عسكر من قـبل، ومع ذلك ذليل حقـير وهذا الذى يأتيه فلا يكون منه ما كان لا يصلح لشيء، والأول الذى كان عنده كثيره مات له.

وذكرت لنا سيدى على فرغ الخفيف، فقد زاد العامل ستة أناس آخرين، لأن الخفيف كله تحت يده البـارحة بعث أجرة اثنى عشر واحـد والآن يا سيدى يكاتب مولانا الخلـيفة على الخـفيف من فـاس وغيـرها، لأن الذى كان هنا برت مـائتين وخمسين تفـرق منها برت صحاح للقبائل على يد العامل شـيئا لما كان يعطى لهم البارود قـبل، وأنت باقى هنا بعد مـا تكونْ خرجت ذلك الساعـة خمسـين تبقى مائتين هى حاجة قريبة، يكاتب الآن مولانا الخليفة عليه إلى سيدنا ويذكر له يوجه منه مائة حمال فأكثر ليس يأتى القليل، فإنى نعرف قبل فلا كان يشتريه أحد سوى المخزن بفاس، لا بد يكون هناك كثيـر، والإنسان يكاتب على تاسع فى كل حاجة أفضل مما يتأنى حتى لم يبق منها شيء، لأن هذه الأمور هى الحجة وعليها العمدة اللهم تشـيط ولا تخص، وأنت تبارك الله أعـرف منا فى ذلك، ونحن يا سـيدى والله حالتنا فلا يعلم بها سوى الله يجوز النهار كله ونحن نرتجوا ما يأتى من الخبر من عندكم نطلب الله سبـحانه يعجل بهلاك هذا الكافـر فى قريب، ولا شك فى هلاكه إن شـاء الله، لأن الله سبحـانه سلط عليه جـميع المصائب، وكـمال ذلك

يكون بخرب ملكهم وتشتيت شملهم فى قريب إن شاء الله، وربنا سبحانه يكون لنا ولك خير معين والسلام وفى ١٨ جماد الثانى عام ١٢٧٦.

محبكم محمد الخطيب وفقه الله».

وبطرته:

«اعلم يا سيدى البجماط الذى كانوا يصنعوه قبل كان يوقع فيه الفساد من أجل يجعلوه قرصة صغيرة ولما يمشى للكوشة مرة واحدة لم يزيده الثانية، ثم ذكرت إلى مقشاد يجعله خبزا ولما يطيب يقصم الخبزة ويمشى مرة أخرى للفرن يتبجماط ذلك يبقى مليح».

ونص الأربعين منه فى مسائل:

«حبنا وخلاصة ودنا الأبر الأرضى، وخديم مولانا وأمينه المرتضى، سيدى الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وأدام لنا وللمسلمين وجوده.

وبعد: وصلنا كتابك ومعه كتاب سيدنا نصره الله الذى وجهه لنا ولك، وقد طالعته وجعلته فى موضع عندى محفوظ، كما ذكر نصره الله وذلك حاجة التى ذكر أيده الله على ما كتب به لأهل وجدة الكافر فلا يكون ذلك، وإنما فعل ذلك من غير إذن من دولته ولا يوافقوا له على شىء من ذلك، وبحول الله لما تصفى هذه الدعوة متاع الصبنيول ونتكلموا نحن وأنت مع نائبهم فإن دولتهم تعاقب صاحب ذلك الكتاب لأنه كتب بحاجة خارجة على القوانين، ولا تكون أصلا ولم يقبلها أحد، والآن نتأخروا ويأتى بحول الله وقت الكلام فى ذلك، ولا شك دولته يعاقبوه على ذلك الكتاب أشد العقوبة، وذكرت نعلمك عن أمر المكاحل إلى الآن لم قدم الببور ولما يأتى الجواب نعلمك بالذى يكون إن شاء الله.

وما ذكرت لنا بأنه مات واحـد من كبراء عسكر الصبنيول ومـاتت عليه ستة خيالة لأجل يحـملوه الله أعلم، هو ذلك الكافر الكبير الذى كتبـوا عليه من جبل طارق إذا يمـوت ذلك كـأنه مـات له نصف عسـكره، وخبـرتنا على مـا غنمـوا المجاهدين من بغـال وخيل وحميـر من محلة الكافر فـقد دخل علينا سرور كثـير بالأخبـار الذى تكاتبوا بها لنا، والله يا سـيدى ما كنا إلا من جـملة الأموات ولما كتبتم لنـا بجيوش المسلمين الحمد لله فى زيادة كل يوم مع أنهـا الحمد لله عندكم عدد كثـير بذلك يزاد لك الفرح الكثيـر لأنه يا سيدى هذا الملعون هـلاكه هو بقوة جيوش المسلمين، فالله تبارك وتعالى يرزقهم القوة الكبيرة والنصر بجاه النبى وآله، ويذكروا بأنه عدو الله دخله الرعب الكبير وجميع كبراء عسكره ماتوا عن آخرهم، والباقين الآن فلا يصلحون لشيء، إذا سخـر الله للمجاهدين فيه فإنهم يأكلوه عن آخره بحول الله وقوته.

وأنت فالله سـبحانه يزيد فى قـوتك ويعينك، فـإنك تجرى على هذا الدين الشـريف بحول الله وقـوته دائمـا يبقى الله سـتـره عليك وعلى أولادك إلى يوم القيامة، هنيئا لك بهذه الخدمة المباركة الـتى فيها خير الدنيا وخير الآخرة فى الدنيا دائما جميع المسلمين تدعو لك بخـير، وفى الآخرة النعيم المقيم، وهذا ما نعلمك به وربنا سبحانه يعجل بهلاك هذا الملعـون إنه على ما يشاء قدير، وهذا ما نعلمك به والسلام وفى ٢١ جماد الـثانى عام ١٢٧٦ محبكم محمـد الخطيب وفقه الله - وإذا ظهر خبر من جبل طارق نعلمك إن شـاء الله لأنه يأتى خبر هذا الكافر الذى مات والسلام».

ونص الواحد والأربعين من بوعشرين فى بعض الوقائع:

«محبنا الأعز الأرضى، الأمين الضابط المرتضى؛ الحاج محمد الزبدى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بوقعتى يوم الاثنين ٢٨ من جمادى الأخيرة ويوم الثلاثاء ٧ من رجب، وأن الله بفضله أظهر فيهما من قوة المسلمين وصبرهم وثباتهم ما أقر عيون أهل الدين، ونكس أعلام أهل الشرك المتعدين، حتى هزموا العدو الكافر وأوصلوه إلى داخل اشباراته وقتلوا منه وسلبوا عدداً كثيرا، فلله الحمد وله المنة، نسأله سبحانه كمال المراد.

ولقد شفيت بكتابك الغليل، واستوعب الخبر فيه، وبينته بيانا شافيا على عادتك، وأدخلت علينا بذلك غاية الفرح والسرور، فلا شلّت يدك ولا فض فوك، وقد أطلعنا سيدنا على كتابك ونشط بما أخبرت به ودعا لك أيده الله بخير، وصار بباله ما ذكرته من اتفاق الناس هناك على روجان الريال ٢٩ والدرهم٤/١ ٢ الثمانى بما بينته، وأشرت بأن الأولى أن يكون نفع ذلك لبيت الله وفره الله فادفعوه - أى الريال - هناك عن أمر سيدنا أيده الله بما يروج به، ولا بُدَّ ولا بُدَّ وهو تسع وعشرون أوقية وكذا الدرهم، وأما القبض فلا يقبض إلا بما كان يروج به سابقا، وقد أحسنت فى التنبيه على ذلك وعلى المحبة والسلام فى ١٥ من رجب عام ١٢٧٦.

الطيب بن اليمانى أمنه الله».

ونص الثانى والأربعين وفيه كلام على بعض ما تقدم فى كتاب الخطيب الأخير ووصول مولاى أحمد بن عبد الرحمن بمحلته وبعض الوقائع:

«خديمنا الأمين الأرضى الحاج محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بوصول كتابنا إليك وبطيه الكتاب الذى وجه المتنصر حاكم البيض لبنى كيل وأولاد فارس وذكر لهم فيه من أمر بنى يزناسن

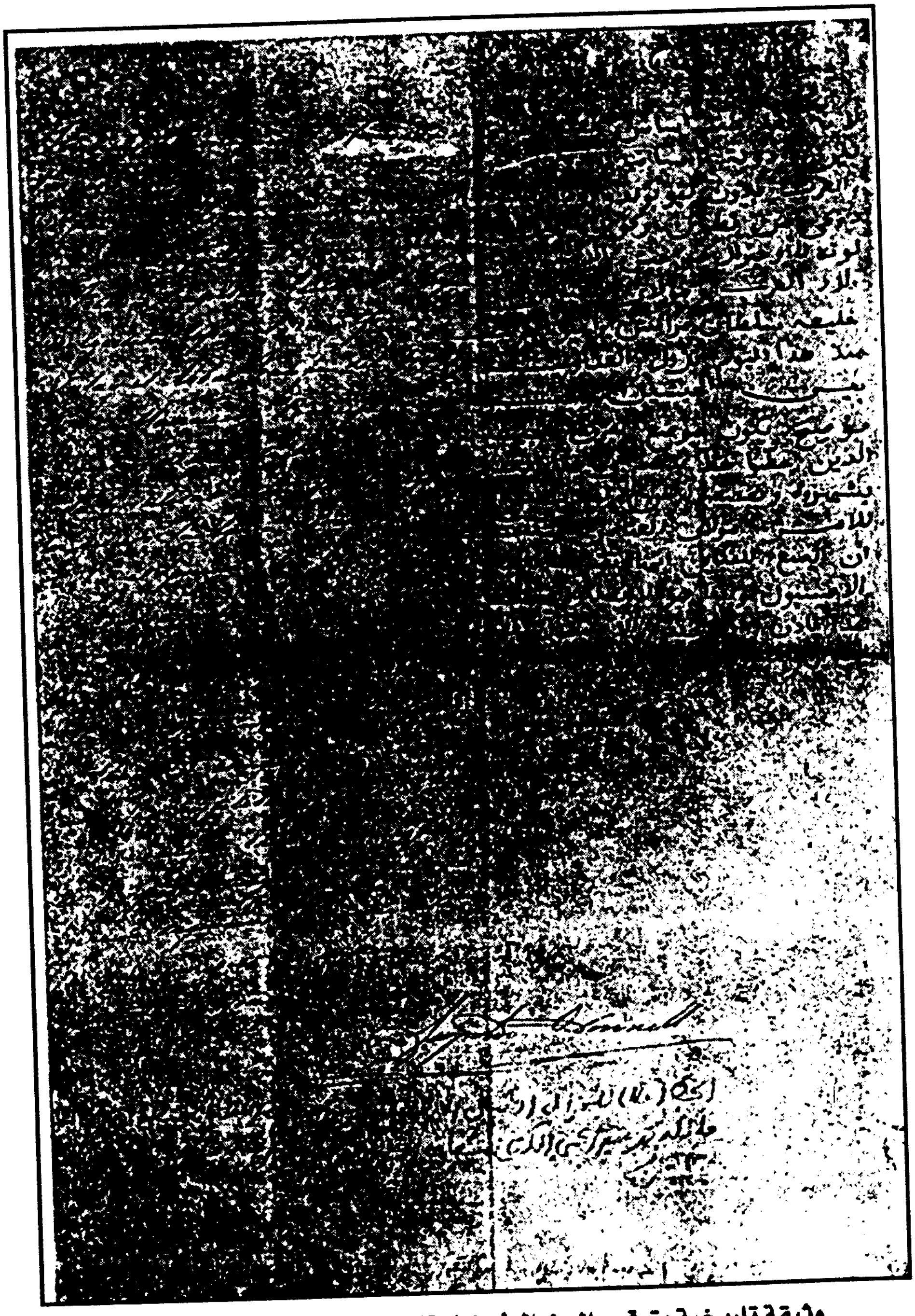
وغيرهم مع الفرنصيص ما ذكر، وذكرت أنك وجهت الكتابين معا للأمين الطالب محمد الخطيب، وكتبت له بأن يحتفظ بكتاب المتنصر المذكور ويبقى ما كان على ما كان حتى يريح الله الإسلام وأهله بسيف قهره من عدو الدين الاصبنيول، ويقع الكلام فى تجديد الشروط معه ومع غيره فيما هو خارج عن القوانين، فقد أحسنت فيما فعلت أصلحك الله والحاضر بصيرة يرى ما لا يراه الغائب وعلمنا ما ذكرت من توافر جيوش المسلمين وأنها مؤيدة محفوظة بعناية الله، وأن أخانا مولاى أحمد حفظه الله قدم عليكم بمحلته فى خامس شهر تاريخه وربط بها بفم الجزيرة مع محلة كانت هناك.

وفى سابع الشهر زحفتم لعدو الدين، وقاتله المسلمون قتالا يرضى الله ورسوله تسع ساعات، وكانت الدائرة عليه، وقتل منه المسلمون وغنموا كثيرا من خيله وأسلحته، وفلوا حد شوكته، فالحمد لله الذى أعز دين الإسلام، وأظهره على دين الكفرة اللئام، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون.

وذكرت أنك اليوم بالمحلة مع أخينا مولاى العباس لا يمكن لك أن تفارقه حتى يحكم الله بينه وبين عدو الدين، وأنكم غضضتم الطرف عن أهل لنجرة وصحبتم منهم طائفة لتطوان، وظهر منهم بعض النصيحة، فذلك الذى ينبغى تأنيسا لهم وتأمينا وإزالة لما عسى أن يختلج فى صدورهم والسلام ١٥ رجب عام ١٢٧٦».

ونص الثالث والأربعين من مولاى العباس:

«محبنا الأرضى الأجل السيد الحاج محمد الزبيدى السلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.



وثيقة تاريخية بتوقيع الجنرال أردنيل قائد الإصبان فى حرب تطوان

(ترجمة الكتابة الإصبانية)

«إن القواعد الأساسية لمعاهدة السلم الواقعة بن إصبانيا والمغرب قد اتفق عليها وأمضاها كل من (دون ليوبول دوق) تطوان القائد العام ورئيس الجيش الإصبانى بأفريقيا ومولاى العباس خليفة دولة المغرب وأمير الغرب. وابتداء من يوم تاريخه تحسم مادة المشاحنات بين الجيشين وتكون قنطرة أبى صخرة هى الخط الفاصل بين الجيشين على أن الموقعين يعطى كل واحد منهما الأوامر اللازمة القاطعة بحيث يعاقب المخالفون لها عقابا صارما. هذا وإن مولاى العباس ملتزم بحسم مادة المشاجرات بين القبائل وإذا وقع ذلك رغم إرادته فإنه يسمح للجيش الإصبانى بمعاقبة القبائل المذكورة من غير أن يكون ذلك محلا بشروط الصلح والسلام».

وبعد: فعند توجهك من عندنا كنا أوصيناك بإعـمال سرج جيد أخضر تام، والآن ولا بد ادفـعه لأخـينا مولاى أحـمد، وإن كنت جـعلت له شكارة المهـماز والمهاميز فوجه الشكار والمهاميز لحضرتنا، والله يعينك وبين لنا صائره والسلام فى ٦ ذى قعدة عام ١٢٧٦.

العباس لطف الله به».

ثم بعد ما تقدم كله من الحرب والاختـلال والاحتلال فتحت أبواب المخابرة بين قـائد الإصـبان والمولى العـبـاس فى شـأن الهدنة والصلـح وشروطه، وبعـد مـراجعـات انعقـدت الهدنة والصلح بين الـدولتين على أن ترجع إصـبانيـا على حدودها وتدفع لها دولة المغرب فى الغرامة الحـربية مائة مليون من البسيطة، وهى عشرون مليونا من الريال، فقبضت نصفـها معجلا بحيث لم تبرح من تطوان حتى حازته، وذلك بعد مـرور سنة من عقد الصلح، والنصف البـاقى مؤجلا من شطر مستـفادات المعشـرات بمراسى المغرب، وعين الإصبـان القبضة والمراقـبين بالمراسى المفتوحة لقبض نصف محصولها فدام الأمر على ذلك خمسة وعشرين عاما بحيث استوفت إصبانيا الخمسين مليـونا المؤجلة، وزادت عليها خمسة وعشرين مليونا فى مقابلة الربا وأجور القبضة والمراقبين وأمور أخرى.

غير أنه مـا التزم المترجم لهم بهذه الغـرامة الحربية إلا بعـد أن تحقق أنها لا تفى بخـسائرهم وبما نـاله المسلمون فـيهم وبمـا بنوه وشيـدوه وقت الاحتـلال فى تطوان، وبأنه لا نسـبـة بين تلك العـدة وبين اسـتخـلاص مـدينة من عليـة المدن الإسلامـية وأعظم ثغوره، جـمعت بيوتا بذكـر الله وتلاوة كتابه عـامرة وشيـوخا ركعـا، وصبيانا رضـعا، وعائلات كثـيرة نشأت وشبت وشـابت فى الإسلام، لم تعرف غيـر التوحيد وإقامـة شعائر الدين، والعاقل البـصير لا يذهب عنه أن ذلك يضمحل فى شأنه ما يتراءى فى ظاهر القضية من ربح الإصبان لتلك الغرامة، وإن

كان قاصر النظر يرى فيها نقمة وملامة وتقصيرا من ولاتها فهى فى الحقيقة منقبة لما تقدم عن أنها فاجأت على غير استعداد ولا إعذار لميعاد، لا سيما والعدو كان بمرأى منه ومسمع ما عليه مَنْ برز لقتاله مِنْ قلة العدد والعُدّة وعدم النظام، وكون قوتهم لا نسبة لها بالنسبة لقوته، ومع ذلك فقد تأبط منهم خسائر فادحة فى جيشه وعدته وماله، وما نال الصلح إلا بعد أن مسته منهم من الرزايا ما ادخره ذكرى.

والظن أن المترجم صار بذلك عند الله وعند رعيته وجيها حيث لم يعط يدا فى ذلة الإسلام، ولم يدخر فى نصرته والذب عنه ما فى وسعه مع القيام والثبات فيما يحفظ جمع الكلمة وضبط مصالح الداخلية، وجعله ذلك عظة وذكرى للانتهاض لتنظيم الجيوش والعساكر الحربية والاستعداد بها وبما يتبعها من القوة لمثل ذلك اليوم، فنظم العسكر وجلب المعلمين الماهرين لتعليمه وتدريبه على الأساليب المستعملة عند الدول الراقية، فكان أول من نظم العسكر المغربى على الطرز الأوروبى.

وإليك نصوص الوثائق الصادرة فى أثناء الصلح ودفع التعويضات، أما المعاهدات والاتفاقات فستأتى فى باب العلائق السياسية.

فمن ذلك كتاب مولاى العباس لأخيه السلطان المترجم ونصه من خطه وإنشائه بعد الحمدلة والصلاة:

«أدام الله عز مولانا وعلاه، ومتعنا بحياته ورضاه، آمين، هذا وأُنهى لعلم مولانا أسماه الله أنى لما عقدت الصلح مع عدو الله صبنيول على ما وجهنا به لمولانا من الشروط لم يكن لعدو الله توكيد إلا فى المطلب المالى، وأما غيرها فكلها تساهل فيها، ولما ذكر العدد المذكور وصمم على ذلك وما وصلناه إلى العدد المذكور إلا بعد لأى وشدة، لأن عدو الله كان قصده المدينة وقال لنا إن القبائل أحبوا ولايته عليهم واشتغل عدو الله بفسادها وهدم دورها وأسواقها ليفصلها على شاهيته مثل بلدانهم يصل الطرق بجر الكراريس، وإذا وليه جامع أو زاوية أو دار

أو سوق هدمه حتى أفسد منها حومات، وحيث قال إن القبائل أحبته رأينا مصداق ذلك، فليس أحد من هؤلاء القبائل جوار المدينة إلا ويريد البيع والشراء مع عدو الله لكونه يبذل لهم ويظهر لهم الأموال، وأهل الجبال هم أطمع خلق الله، واتخذ منهم جواسيس بعد أن حرسنا جهدنا.

ولما تزحزح عدو الله من تطوان لم تكن لهم شاهية فى ضربه ولا فى الدفاع عن البلاد، إنما تسابقوا لحمل أولادهم وتركوا له الطريق حتى كاد يصل إلى المحلة، وقام الروع فى الجبال كلها بسبب رحيل هؤلاء الناس، وكل قبيلة تقول أنا لا أفعل معه العيب لئلا يفعل بى كذا.

والقبائل غير المجاورة التى لم تحضر يوم دخول تطوان إنما كانت شاهيتهم كسر المحلة وتفريق الأمر بالتريتيل، وإذا رأينا القبائل والمحال نقول إذا خرج الرومى لا يبقى له عسكر ولا فرس، وربما أخذناه بما معه، فإذا انتشب البارود لم يجد الإنسان النصف ولا العشر مما كان يرى ومن حضر مع هذا لا يقاتل كله، ومن قاتل صباحا بقى تجاه العدو حتى يفنى ما معه من البارود والخفيف ولم يجد من يشد معه ولا يشد عليه، ومن ذهب لينهض الناس أتعبوه إن وجدهم، وإنما شأن الناس أخذ شواهق الجبال بقدر رؤية العين، وليس هذا شأن المقاتلة، والعدو آخذ فى البلاد كثيرا، وحيث يزيد العدو شبرا يكتفى به ويظهر له فى حاله أكثر مما كان قبله، وقد عاينت كل الناس هذا الأمر وعايناه من جميع الناس حتى إن اليوم الذى ذهبت لمحلة الرومى دمره الله لم يكن أحد يصل معى إلا بمشقة عظيمة، وحين أشرفنا عليه ورأيناه حاملا على بهائمه وإبله وكراريسه قاصدا ناحيتنا، وجهنا للمحلة تأتى خيولها ورماتها لربما يصدر من هذا العدو أمر منكر، فلما بلغهم خبرنا هرب من هرب ومن بقى كان على أهبة للفرار، فحملنا هذا على الصلح ما أمكن، وكل ما كان من مال أو غيره الله يخلفه لمولانا ومن أعناق البغاة يخرج.

ومولانا يستعد إن شاء الله وعلى الله البلاغ، واليوم سيدنا هذا العدو التزم بالخروج من هذه المدينة ولا ضرر علينا أكثر من بقائه ولو ساعة فيها، وحين طلب المال قال لى لا أخرج إلا بعد تمام اللزمة، قلت له: هذا أمر منكر، لأنه ربما يصدر أمر ونعود للعيب ونحن قصدنا قطع العيب والإصلاح. فقال لى: لا بد من ذلك، ثم بعد أن لاطفته النصف[1]، وعلى كم تقدرون على أدائه من الأيام واليوم سيدنا هذا العدو أخذ فى تفريق عساكره، وحمل أثاثه فى مراكبه، ونقص من محاله ولا يتسنى إلا الجواب عن المال وعن الحال منه، فإذا توصل به ولو فى مدة قليلة يخرج من حينه، وسيدنا وإن كان هذا العدد كثيرا ضربنا مثل من يعطى مخ عظمه، والله أظن هو أشد على من ذلك، لأنه لا يمكن إلا بعد كسر العظم، لكن بقاؤه هناك أشد وأفظع وأضر بالإيالة وبجانب المملكة.

وحين يخرج يتفرغ سيدنا لأمور عظام كالاشتغال بالعسكر، والنظر فى أمر هذه القبائل الذى هو آكد من ضرب العدو وغيره لعدم غيرتهم على الدين، وإنما كان يأتى بالناس أخذ الدراهم فقط فلا يأتى عدد من قبيلة إلا ناقص، ومع ذلك لا نية له إلا فى سلب الرومى يظنه سهلا، هذا ما رأينا فى أواخر الأمر.

وقبل هذا طلب منا نائب الإنجليز الملاقاة معنا، فقلنا له: لا بأس، فجاء هو والخطيب وتكلم معى وقال لى: ما فعلت مع عدو الله اصبنيول؟ لأنه يكرهه، فقلت له: صفيت معه بكذا وكذا وشرط ويخرج من المدينة قريبا ويحمل عساكره قريبا، ولا يتعدى المدينة.

فقال لى: كاتبْ مولانا أمير المؤمنين بهذا، وأخبره أن بقاء هذا العدو هو المضرة، لأن القبائل طمّاعة، وقل له يبادر بما أمكن حتى يخرج هذا العدو، فإن

---

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل ولعل المراد لاطفته فى إسقاط النصف فقال وعلى ...هـ. مؤلف».

بمجرد خروجه يستريح من كل كلفة ويستريح المغرب كله، وتفصيل الدفع أن يكتب مولانا للسيد محمد الخطيب يكترى مركبا بابورا كبيرا من مراكب الكرة موثق من جبل طارق، ويأمر مولانا بحمل المال من الصويرة ومن آسفى بشرط أن يذهب معه أمناء إلى القنصو لجانب مولانا بجبل طارق، وينزل فى داره ويعد وتدفع لكبير اصبنيول اطرة يأخذه من هنالك، ويكون فى ذلك تموه أن مولانا لم يخرجه من عنده، وإنما ذلك من ذمم التجار، ويبادر مولانا بذلك، هذا تمام لفظه، لأنى واجب على أن أخبر مولانا بالشاذة والفاذة وكل ما أسمع.

ولما تم هذا الكلام قال لى: أزيدك مسألة أخرى، إنى لما كنت أنا مع كبير اصبنيول والمترجم بينى وبينه مسلم ورومى قال للترجمان كبير اصبنيول: قل لفلان يكون على بال من كرة أخرى مع جنس آخر فى الربيع، ثم إن هذا الترجمان كتم عنى وأنا كنت فهمت من وجهه أنه قال له شىء ولم يقله لى، وقال ذلك لنائب الإنجليز هو يكتب لدولتهم لعلهم يخبروه بما كان إن وقر ذلك سماعهم لربما يكون هذا العدو اصبنيول قصد بذلك شغل بالنا بهذه الكلمة.

ثم قال لى: كاتب مولانا أمير المؤمنين وأخبره بهذا، وقل له: لا بأس أن يكتب لحاكم وجدة ويقول له: إن المال الذى كان يعطون للفرانصيص فى هذه المدة يصفون حسابهم معه لئلا يكون هو سبب هذا العيب من هذا العدو، على تقدير أنه هو المقصود، ثم ذكر لى أن مولانا لا يقطع مسألة من الموسوقات مثل الذرة والقمح وغير ذلك، فإن ذلك ليس فيه إلا دخول المال والزيادة وتكثير التجارة وغير هذا من الكلام لا يكتب، إنما نشافه به، ثم إن مولانا لا يعد هذا منى فضولا ولا شطنا للبال، لأنى لا ينبغى لى أن أكتم عنك ولو لفظة واحدة لأنه شأن الخدمة والنصيحة، وعلى خدمة مولانا والجواب عزما، واعلم أنى ما سمع منى أحد مما كان عليه الفصال إلا بعض من حضر، وأعلم مولانا أنا أمرنا عامل طنجة بالخروج

إلى محـدة سبتة وتحـديد الأمر على ما يرضى مولانا، ووجـهنا معه غيـره، وعيناً أناسا من أهل البلـد لذلك، وعيناً من يجلس هنالك، وفـرح الرومى بذلك غاية، وعين هو لعنه الله من يقف من جـانبهم كذلك، وحمل كثيـرا من عسكره وأموره وعلى خدمة مولانا والسلام فى ٨ رمضان عام ١٢٧٦ العباس لطف الله به» بلفظه بلا زيادة ولا نقصان.

ومن ذلك التفويض السلطانى لمولاى العـباس والنائب الخطيب التطوانى فى المفاصلة مع الإصبان على الجلاء عن تطوان ونصه:

«يعلم من هذا أننا بحول الله وقـوته فوضنا لأخينا الأرضى مـولاى العباس حفظه اللـه ولخديمنا الأنصح الطالب مـحمد الخطيب فى المفـاصلة مع نائب دولة الصبنيول فـيما سطرته دولتهم من الشـروط الخمسة التى علقوا عليـها الخروج من تطوان بما فيه مصلحة لكونهما مطلعين على أحوال الرعية، وحريصين على السعى فيمـا يديم المحبة بين الدولتـين والوقوف فى الأمور المرعيـة، والسلام فى ٦ ربيع النبوى عام ١٢٧٧».

ونص ظهير المترجم لأخيه المولى العباس فى شأن دفع التعويضات:

«أخانا الأعز الأرضى، مولاى العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتـابك أخبرت فـيه أنك لما ورد عليك كتـابنا بالإعلام بتوجيـه ابريشة لحمل مليونين من مراكـشة للصويرة وجدك فى مشقـة فادحة، مع نائب الصبنيول، فـأخبرته بأننا يسرنا ما كان بقى عندنا ومـا بقى سنيسره بالسلف، ثم طلب منك توجيه مراكـبه لحمل المال المذكور فأخرته إلى خمسـة وعشرين يوما من الشهـر، وبأنك لم تجد سبـيلا لأكثر من ذلـك، وطلبت أن لا تجعل كل سكة

على حدتها لتطول مـدة الحساب ريثما يظهر الخـبر من الذين ذهبوا للسلف، وبأن نكتب لك بأن الإذن توجه للصويرة ليدفـعوا لهم المال بها لا للجديدة، وذكرت أن عامل آزمور منع من تعليق سنجقهم إلا بإذن.

أما تعليق سنجـقهم فها نحن أمرنا عـامل آزمور بمساعدتهم فـيه، وأما المال فقـد قدمنا لك أن ابريشـة توجه لأجل حـمله للصويرة، وليس بخـاف عليك أن التثـبت فى أمره مطلوب، وأن لابد من تحـقق عدم إعـمال حيـلة فى أمره، وإلا فنكون قد زدنـاه على الخمسـة الملايين الأولى التى دفعت وأفـرغنا يدنا من المال، ونرجع معه للكلام الأول، لأنـا إن دفعنا له هذين المليونين ولم يتيـسر دفع الباقى الذى يطلب التعجيل به يقول: إنه ينزل سنجقـه ويتوجه لبلاده ويذهب جميع المال فى غير شىء.

وهم أهل حيل ومكايد وتلونات، ويكفى ما رأيت من ذلك النائب، فالدفع حينئـذ يكون على وجه لا يخشى معـه ذهاب المال فى غير طائل، وبقـاؤنا فارغى اليد على أن المال له بال، ففى حـمله مشقة وفى السفـر به فى وسط القبائل الذين حالهم كما علمت مشقة، فلا بد من توجيـهه فى رفقات على كيفية تطمئن النفس بهـا وتأمن معـها، ولا بد فى ذلك من الطـول، وفى توجيـه المراكب لحمله قـبل وصوله للصويرة عجلة، وفتح لباب الكلام، لأنهـا إن وصلت ولم تجده ميسراً بها يقولون: إنكم قلتم لنا إن المال ميسر، وقد ذهبت مراكبنا فلم تجد شيئا، وفى ذلك ما لا يخفى، نعم لو طلب النائب أن يوجه مـن قبله للصويرة من يرى هل لما قلته له من توجيه المال إليهـا أصل لتسكن نفسه إن وجد ذلك صحـيحا لكان له وجه، وهو وإن كان لا يجده تاما بها لكن يجد أوله وصل أو كاد أن يصل.

وأما توجيه المراكب لحمله فـذاك فرع عن وصوله للصويرة، والفرض أن فى وصـوله إليهـا ما ذكـرناه من المشاق التـى لا بد فيـها من طول ولو فى الجـملة،

والحاصل أنه لا بد من دفع المال فى الثابت، وإلا ذهب هدرا ورجعنا للكلام الأول ووجدنا أنفسنا لا نـحن بالمال ولا نحن بحصول المراد، فتثبت ولابد وأمعن النظر فى هذا الأمر، فإن الكفرة لا يوثق بهم.

وقد صرحت فى غير ما كتاب بما رأيت منهم من الخروج عن العهود والمواثيق، وبما رأيت منهم من التلونات والمكايد والروغان، ونحن على يقين من نباهتك، لكن الباعث الذى فى القلب لا يتركنا نسكت عن التنبيه ونتكل على نباهتك، والتذكار صيقل للأفكار، ومطلق الإشارة يكفى لمثلك لاسيما التصريح لا سيما التأكيد.

ونسأل الله أن يرزقك تأييدا وتسديدا بجاه رسوله صلى الله عليه وسلم، واستعجالهم للمال مجرد تضييق وروغان ليتوصلوا لمرادهم الذى أشرنا إليه، لأنهم حيث علموا أنا وجهنا الأمناء للسلف من الأجناس يحققون أنا مصممون على دفعه وعدم الرضا بتأخيره المؤدى للكلام، مع أنا لم نستعجل خروجهم من تطوان، فهم فيها حتى يقبضوا المال ويخرجوا إن شاء الله، والله أسأل أن ييسر أمر السلف لنستريح من تعبهم ونتفرغ لغيرهم إن شاء الله.

وأما إن لم يتيسر فلا محالة يرجعون للكلام الأول ويجدهم الحال توصلوا لمرادهم من استخراج المال من يدنا وفوزهم به، وما يقال للرعية حينئذ إن قالت أعطيت مالنا للنصارى فلا هو بقى عندنا نستعين به عليهم ولا الغرض الذى دفع فيه قضى فنكون كأنا خناهم والسلام فى ٢٧ ربيع النبوى عام ١٢٧٧».

ومن ذلك ظهير آخر لبركاش فى الموضوع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك، وعرفنا محصل ما تضمنه خطابك، وما ذكرت من أن المصلحة اقتضت توجيه طرف من المال يشتغل به الصبنيول ريثما يتيسر ما يوجه له، فاعلم أنا أحرص الناس على ما ينقطع به كلامه ولو تيسر ما أخرناه ساعة واحدة، وفى علمكم أنا دفعنا ما كان عندنا ببيت المال هنا بفاس، وما كان ببيت مال مراكشة حتى لم يبق تحت يدنا إلا ما نقضى به حاجة مع الجيش، إذ لا يمكن صبرهم على الخدمة بالجوع والعرى، ومع ذلك فهو قليل لا يقنعون به، وما تحصل بالمراسى فى ثمن الزرع وغيره بعد ما وجه أمناؤها ما كان فيها للصويرة فدفع لهم من جملة المال الأول الذى كملنا به الملاين الخمسة، إن كانوا يقنعون به ننفذه لهم.

وقد شرعنا فى الكلام مع الرعية فى شأن الإعانة، ولو كنا عرفنا أن أمر السلف يتعذر لخاطبناهم من قبل، ولكن لما كنا طامعين فيه أخرنا الكلام معهم إلى أن نفرغ إلى الكلام مع الصبنيول ونتصدى حينئذ للكلام مع الرعية لنرد به المال المسلف، وأعلمناك بالواقع لتأخذ فى الكلام مع قونصو الفرنصيص الذى كنت أخبرت أنه لا يقصر فى الوقوف إن دعت الحاجة إليه، فتكلم معه ليعين على ما ينفع، ولابد ولا تقصر فإن الاهتمام بأمور المسلمين متعين، والله يعينك والسلام فى ١١ رجب الفرد عام ١٢٧٧».

ومن ذلك آخر لمولاى العباس نصه:

«أخانا الأعز الأرضى، مولاى العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وعرفنا ما أجبت به عن الإعانة التى خاطبنا بها خدامنا أهل فاس، وموجب البداية بهم وما تمنيته فى ذلك، وعلمنا ما دار بينك وبين نائب الصبنيول لما تكلم معك فى انتهاء الأجل المضروب لدفع المال، وأنك لما

خيرته فى دفع الميسر من مستفاد المراسى على نحو ما كتبنا به، ذكر لك أنه لازال باقيا على الشروط، وأنه يقدر أن يسقط طرفا من الملاين ٢/١ ١٢ المذكورة فيها، وطلب منك بيان عدد المال الموجود بالمراسى والإذن فى حيازته، ودخول تطوان فى القبض من مرساها، وضرب أجل للمال المشار إليه، فأجبته عن ذلك كله بما سطرته وبينته، وأعلمته أنك إنما تتكلم معه على سبيل الإخبار لا غير، وذكر لك أن من هذا الكلام ما تقبله دولته وما لا وأنه بصدد إخبارهم به، وأن شاهيتهم فى تمام الأمر بيننا ليكون الخير بين الجانبين.

وظهر لك أن هذا المال فرض الإعانة على تلك الإيالة لوجود المحلة هناك ليحصل منها نصيب إن شاء الله.

وأشرت بالكتب لكل مدينة وقبيلة بما يناسب من المواعظ المبكية التى ينفعل لها الناس، ويذهب عنهم بحول الله الباس، وصار الكل بالبال.

وأما الإعانة التى أشرت بفرضها على تلك الإيالة فلابد من المفاوضة مع أهل الدين من أهلها فى القدر الذى يليق أن يفرض على كل قبيلة، فتفاوض مع من تعرفه دينا عارفا بأحوال قبائل تلك الجهة وأعلمنا بما أشار به على سبيل التفصيل، لنكتب لهم به ولابد ممن يباشر القبض منهم أن يكون فقيها إما من تلك الجهة أو من هنا ليصل الشىء محله، ولا يكون عرضة للأكل والنهب، والله يرعاك والسلام فى ٢٨ رجب الفرد الحرام عام ١٢٧٧».

ومن ذلك كتاب مولاى العباس لسفير الإصبان ونصه من خطه:

«نطلب الله أن تكون بخير بدوام المحبة والموافقة السالمة بين الجانبين.

أما بعد: فقد ثبت عندكم بالمشاهدة والأدلة الواضحة أن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين نصره الله جد وبالغ فى تمام الأمور المشروطة، وهو أعانه الله ونصره

لازال جادا فى وفاء ما استلزم به من الأمور التى تضمنتها الشروط المختومة بمدينة مدريد قاعدة ملك إصبانية مضمن مفاد الشرط الثانى والثالث والخامس المذكورة، وها نحن دفعنا لكم نسخة شروط التجارة المصححة بخط مولانا نصره الله، ودفعنا لكم أوامر مولانا على أخذ نصف مستفاد مراسيه المحروسة لدولة إصبانيا و. . . مضمن الفصل الأول من الشروط المذكورة أمرنا لكم بتمكين المليونين المسلفين من ريال من نكلاطرة باطرة على التاجر لويز فورط ومكن دولتكم من ذلك، كما أخبر الوكيل المذكور أمس تاريخه وهو ٨ عيد الفطر والمليون الثالث الوارد من حضرة مولانا تسرعون فى حسابه وحيازته غدا، وهو ١٠ من الشهر المذكور لأنه كامل عندنا بطنجة هذا.

وأما تسليم حدود مليلية، فإن مولانا نصره الله ما قصر مع عتاة أهل قلعية وراودهم بما يذعن له صم الحجر، وإلى الآن ما أيسنا من إجابتهم وإذعانهم، ولكن ها نحن نفعل معهم ما هو الواجب من تعويض بلادهم لهم بالمال كما أشرتم علينا، ووجهنا ذلك فى مركبكم مع أناس تخيرناهم لذلك لصدقهم وعقلهم السالم، ولتطيب خواطر أهل ذلك البقعة، ويعين إراءة المال على انقيادهم وإجابتهم لأمر مولانا والدخول فى طاعته، بامتثال أوامره الشريفة، كما وجهنا لكم مكاتيب مولانا الشريفة يزيدهم أمرا ويواعدهم بالنكال على الامتناع.

وحاصله ما قصرنا كما فى علمكم، والمعوض به هو ثلاثون ألف ٣٠٠٠٠ ريال كبيرة، فإن حضر لهؤلاء الناس عقول وحضرت عقلاؤهم وأجابوا فذلك غاية ما نريد منهم، وإن هم استمروا على امتناعهم فمولانا نصره الله يوجه لهم عساكره تقودهم لمطلبه وتدفع المحادة لكم رغما على أنوفهم، لأن مولانا نصره الله سلمها تسليما كليا، وإنما أهلها أنفوا ولابد من انقيادهم أحبوا أم كرهوا حتى

تمكنوا منها وتكون فى حيازة إصبانية فى تصرف سلطانتها أعانها الله وأكرمها إذ لها الحق فى ذلك. . . ما شرط فى حياة سيدنا الوالد قدس الله روحه آمين.

وما خاطب عليه مولانا نصره الله ولا يخافكم ولا يغب عنكم ما هو حال المغرب من أمور صارت فيه يشيب لها الرضيع، وهجوم السفلة على الشريف والوضيع، وتواعد الباغية على حصون المملكة وقصدها بالجموع مثل مراكش ومكناسة، ولولا عناية الله وإعانته التى هى قوتنا لما عاد الشىء إلى مقتضاه ولا زالت الفتن تروج والناس فى فتن حال بعد حال، ولما طغت البغاة فى الأرضين كان ذلك سبب خروج مولانا أمير المؤمنين بنفسه ولم يتكل على أحد، وهو نصره الله بقبيلة بنى حسن يسدد أمرها ويردهم عن هواهم المضر بهم وعن حولهم من البرابر، وقد سررنا والحمد لله لتمام الصلح والوفاء بما هو مشروط، إذ به تحصل المحبة بين الدولتين، وتكون المزية للواسطتين.

ولم تبق إلا حدادة مليلة، وهى إن شاء الله تكون كما بمضمن الشرط الرابع وحضرة سلطانة إصبانية حيث علمت وتحققت ببذل مجهود مولانا المنصور بالله على الوفاء بما شرط، نريد منها أن تعيننا على حصول المهادنة فى الرعية وبقاء العافية فى الملكة فإنها تسير على النهج القويم، وقد بلغنا هذا المطلوب على يد نائبها المفوض النبيه الأمثل الساعى فى الخير المشير به القنصو فرانسيسكورى وكلوم الذى هو المخاطب بهذا الكتاب فى ١١ مارس الموافق ٩ رمضان عام ١٢٧٨، وإذا بلغ هذا فنحن ننظر الجواب عزما بدوام محبتنا وتم فى ٨٠٠٠ عام ١٢٧٨» بلفظه من خطه.

ومن ذلك الظهير السلطانى الذى وجه لعمال المراسى وأمنائها بتمكين نواب الإصبان من نصف مستفاد أعشارها ونصه بعد الخطاب:

«أما بعد: فإنا أذنا لدولة الإصبنيول فى حيازة النصف من مستفاد مراسينا السعيدة، فإن ورد عليكم الذى عينوه من قبلهم للكون بمرساكم فاقبله واجعله مع أمنائنا، وأول مركب يأتى بعد وصوله إليكم يأخذ النصف من مستفاده والسلام فى ١٣ رمضان عام ١٢٧٨».

وقد وجهت نظائر هذا الظهير للصويرة وآسفى والجديدة والدار البيضاء والعدوتين والعرائش وطنجة وتطوان التى كانت لا تزال محتلة، وسيأتى بيان بعض ما حازه من كل واحدة من تلك المراسى الثمان، وقد استمر أمناء الإصبان بالمراسى إلى دولة السلطان مولاى الحسن كما تقدم فى ترجمته.

ومن ذلك أيضا ظهير شريف لبركاش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا وجهنا من المليون الثالث الذى تقدم لكم الكلام فى شأنه خمسمائة ألف ريال فرنك وخمسة وعشرين ألف ريال ذهبيا، وبهذه الخمسة والعشرين تكمل خمسمائة ألف ريال من الذهب، فنأمرك أن تدفع لحملته الواردين بالمال مئونتهم حتى يسافروا وزادهم عند سفرهم وعلف البغال مدة إقامتها هناك، وأعط للمكلف بها ما يصيره عليها فى الطريق وليقيموا هناك يوما واحدا ولا يزيدوا عليه والسلام ١٧ رمضان عام ١٢٧٨».

ومن ذلك كتاب مولاى العباس لسفير الإصبان فى شأن خرق نصوص المعاهدة التجارية الآتى ذكرها فى باب العلائق من خطه بلفظه:

«هذا وقد أخبرنا الباشا أنك أمرت أحد أصحابك بصيادة العلق وأمرته ألا يتعرض له أحد وما علمنا موجب ذلك ولا سببه ولابد بيّنه لنا لأنى حيث جعلت

الشروط مع الـوزير بمادريد لم يتعرض لـكندرة العلق ولا لكنطرة الدباغ، ولا هي مذكورة في المعشرات، وهي محوزة لجانب السلطان نصره الله، وأنت حيث أمرت الناس بالصيادة لابد أن يكون لذلك سبب، مع أن مولانا نصره الله أعطاكم نصف الكمرك من غـير حـدوث شيء في مراسيـه ولا وفي إيالته، وإذا كـان هذا الأمر كذلك إنا لا نوافق، لأن الـشروط ليس فيـها خروج كنطردة العـلق من يد مولانا نصره الله، ويشهـد لذلك عدم ذكره في المعشرات، والذي تكلم فـيها الوزير هي كنطردة المرجان فقط، ومن المعلوم أن هذا الأمـر حدث لسبب، وإن كانت كنطردة كل ما يوسق في المستـقبل لك فيه النصف وفي شروط الإنجليـز استثناء الكطردتين لجانب مولانا وأنتم عـملتهم مثلهم، واعلم أن هذا الأمر لا نـوافق عليه ولا نقدر على سماعـه، وإن أردت أن تحدث لنا مضرة من جانب مولانا لكونه غـير موافق ولا دولتك ذكـرت لنا ذلك فـأنت الظـن بك أن لا تجلب لنا مـضـرة مـثل هذا، والجواب ولابد وختم في ٧ شوال عام ١٢٧٨».

ومن ذلك كتابه إليه في شأن دفع التعويضات من خطه بلفظه:

أما بعد: فإن المال الذي ورد من عند مـولانا نصره الله هو مليون من الريال تام، ورأينا مركبكم ورد في هذا اليوم وظننا أن الحسـابين وردوا فيه، وأنا أخبركم أنكم إذا أردتم أن تشـرعـوا في الحسـاب والقـبض ولو من الآن فنحن مـيسـرون موجودون لذلك.

واعلم أن البابور متـاع الإنجليز الذي ورد البارحة أتانا بخـبر السلك من عند التاجر لويز فـورط على يد باشدور الإنجليز الذي بمادريد، يذكر لـنا فيه أنه تلاقى مع أرباب الدولة الإصبنيولية على سبيل الكنبي وتفاصل معهم فيه في الكنبي على ٤٩٤ إذا كـان يدفع لهم في الحـين هنـاك، وإذا لم يدفـعـه لهم في الحـين يكون بالزيادة، وحين أخذنا هذا الجواب أجبناه بأنا كنا ذكرنا لنائب الإصبنيول أن ندفعوا

له الاطرة هاهنا وهو يوجـههـا لدولته على يده، حـين نعرف كـيف تكون الاطرة موافقة للجميع.

وحيـن ذكر لنا فـورط فى جوابه هذا الكلام، وأنه بأمـر دولتكم أى الدولة الإصبانيلية كتبنا له وأجـبناه، فإن كانت دولة الإصبنيول يقول لابد يكون الدفع فى مادريد فى الحين ساعدهم فى ذلك، والدولة الإصبـانيلية تخبر نائبهم بطنجة أنهم طلبوا دفع ذلك عندهم، وإذا أرادوا الدفع لنائبهم هاهنا بطنجة، بيّن أنت لنا كيف كتبت الأطرة حـرفا حرفا على موافـقة خاطر دولة الإصبنيول ومـوافقة أهل البنك حيث لا يكون منع قيدت فى ٨ شوال عام ١٢٧٨».

ومن ذلك كتاب مولاى العباس أيـضا للنائب بركاش فى المشكلة الناشئة عن امتناع قبيلة قلعية من تسليم الحد الواقع عندهم للإصبان، وقد تقدمت الإشارة إليه فى كتاب مولاى العـباس للسفير، وأن المخزن قد عوض القـبيلة عنه بالمال وسيأتى ذكر الاتفاق الخاص بها:

«نائب مولانا الأرضى الطالب مـحمد بركاش، السلام عليـكم ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد ورد علينا الحاج أحمد اليعقوبى وشفانا بخبر أهل قلعية فى شأن الحدادة، وذكر لنا أنهم عالجوا أمرهـم بكل ما يمكن فما رأوا الامتناع من الكل ولا أجابوا بالقـبول، تارة يظهرون أنهم سـامعون مطيـعون، فإذا طالبـوهم بالوفاء بما سمعوا منهم تمردوا كل التـمرد، وبسبب هذا لم يظهر منهم انقياد ولا مـفيد يعول عليه.

وحيث رأينا الأمر قد طال من غير فائدة ظهر لنا أن نوجه على من هناك من المهندسين والطبجية مما كنا وجهناه للفـصال، لأن نهاية المدفع حضر عليها كل من

أصحابنا ومن الإصبنيول، وعلموا نهاية الحدادة وعلمها الإصبنيول، وعليه فإن المحل الذى وصلته رماية المدفع بمحضر أصحابنا وأصحابهم أعطاه سيدنا لهم كما هو مشروط وكما فى كتب مولانا التى أعطيناهم النسخ منها، وكما هو فى الفصال الأخير الذى تفاصلنا به مع الإصبنيول عن إذن وزيرهم الذى وجهنا منه نسخة لحضرة سيدنا نصره الله، فإن نائب الإصبنيول يعرفه فيأخون القدر المشترط عليه فقط، لأنه هو الذى وقع الاتفاق عليه من السلطان ومنا، ومن تعرض له من أهل الريف فبينه وبينهم.

وأما ما ذكرت من أن نائب الإصبنيول طلب توجيه نحو المائة أو المائتين من الخيل لتقف على الحد، فاعلم أن الحاج أحمد اليعقوبى ذكر لنا وأن نهاية الحدادة علمت نهايتها، وحينئذ لا يحتاج إلى من يقف عليها وقد كان كتب لنا سيدنا نصره الله قبل هذا حيث كنا بطنجة، أنه كان عازما على توجيه محلة معتبرة للريف لتخليص الحدادة، لكن لما ظهر ما ظهر من الثائر الفاسد حتى تزعزع الغرب بسبب ذلك، لم يتأت لسيدنا أن يوجهها حينئذ فى ذلك الوقت، وكنا شافهنا بهذا الأمر نائب الإصبنيول وبسببه وقع الاتفاق الأخير أنه إذا فرغ تطوان وامتنع أهل قلعية من إعطاء الحدادة يأخذونها والآن بنفس ما فرغ سيدنا نصره الله من أمر المغرب وقع ما وقع بمراكش، فبسبب ذلك ذهب سيدنا نصره الله مستعجلا بجميع من معه من الجيش والعسكر، ولم يبق بفاس ومكناس إلا من هو ملازم للبلادين ولا سبيل إلى خروجه خوفا من وقوع مثل ما وقع، ولا يمكن توجيه طرف منه إلا على تقدير لو كان السلطان بفاس أو مكناس أو لازال بالرباط أو كان خليفته بفاس أو مكناس.

والآن لما طلع سيدنا مستعجلا لم يعين خليفة إنما ترك العمال كل واحد يحكم فى إيالته وما توقفوا فيه، يرفعون الأمر فيه إليه نصره الله، وعليه فلا نقدر على توجيه لا ما قل ولا ما جل، لأن سيدنا لم يفوض لنا فى شىء إلا فى الفصل مع الإصبنيول وأتممنا فيه العمل.

وإنما كتبنا لك هذا لتعلم أنا حيث كنا هناك بطنجة وكنا نتكلم فى أمر الإصبنيول، كنا مأذونا لنا فى ذلك، وأما الآن فإنما أنا كأحد الناس ليس عندى إذن فى الدخول فى شيء أصلا حتى منذ سافر مولانا أيده الله من الرباط، ولم يأتنى كتاب من عنده أصلا فى أمر من الأمور إلا الكتاب الذى فيه إذا تم أمر الريف اذهب لدارى، وقل لنائب الإصبنيول: إن الفصال الذى وقع بينى وبينه وهو فى كتاب سيدنا نصره الله عليه العمل، ولم يتبدل الأمر فيه، وقوفا من الشرط.

وأما أمر الريف فلا دخل لى فيه، وإن وقف لك أمر من الأمور فاكتب فيه لسيدنا، وإنما أحلناه على الفصال الواقع فى الشروط المعلومة فالأمر لازال عليه، لأن النظر فى إصلاح أمور عامة المسلمين خير من النظر فى مصالح قلعية بخصوصهم، وتطهير لجانب سيدنا نصره الله فيما هو مشروط لأنهم أجابوا بحضرته، وحيث بلغوا بلادهم امتنعوا كما فى الكتاب الذى وجهنا لك فى هذه الساعة لتطالعه، وتعلم منه أنهم أجابوا بالقبول، ثم حصل منهم الامتناع بعد ذلك.

واعلم أنا وجهنا للطالب محمد بن العربى السعيدى، والحاج عبد القادر احرضان ومن معهما من المهندسين والطبجية ليأتوا ويصبحوا معهم المال الذى كنا وجهناه لينزل ببيت المال بطنجة على يدك ويد الأمناء، وأمرناهم أن يقولوا لأهل قلعية استرعاء عليهم أنهم إن كانوا طائعين للسلطان يمكنون الإصبنيول من الحدود، وإن كانوا لازالوا فى طغيانهم فإنى لا أدخل لهم فى أمر وينظرون لأنفسهم وبينهم وبين الإصبنيول.

ومن هداه الله وأراد أن يبيع أرضه يكتب له العامل كتابا ليأتى إليك وإلى الأمناء ويأخذ الثمن الذى فى رسمه، وها نحن إن شاء الله نكتب لك وللأمناء

كتابا مستقلا فى هذا الأمـر، وأعلم نائب الإصبنيول بهذا ليوجه هذه المكاتب التى تصلك لمن هو بالمليلية ليأتون ويصحبون المال الذى فى أيديهم هناك.

وأما بقاؤهم هنالك فلا طائل تحته، وقد كنت عارفا قبل هذا أننى إن وجهت لهم المال إلى بلادهم لا يستـقيم أمر، لأن كـبراءهم يستـقلون بالمال ويأخذونه ولا عليهم فى أحد من أصحاب الأرض، لكن إنما ساعفنا فى ذلك الأغراض ويصلك نسخا مما كتـبنا لأصحابنا وللقائد عبد الصـادق فطالعه واردده لنا، ولو قدرنا على فعل شىء آخر لـفعلناه لكن هذا الذى قدرنا عليه، والله يعـينك والسلام وفى ٢٤ حجة الحرام متم عام ١٢٧٨ العباس بن أمير المؤمنين رحمه الله.

لطف الله به»

ثم بعد هذا بمدة أراد الإصـبان التوسع فى ذلك الحـد فأجيـبوا عن ذلك بما يتضمنه كتاب المترجم للنائب بركاش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فلما كتب باشدور الصبنيـول ما كتب فى شأن إحداث تحويل الوادى ظننا أن ذلك لا بأس به، فـوجهنا من قـبلنا من يتكلم مع أهل كلعـية فى ذلك، فبـمجرد مـا وصلهم قاموا وقـعدوا واحتـجوا بأنهم ما سلمـوا تلك الأرض حتى شرطوا على الصبـنيول لا يحدثوا بها شيـئا وذلك على عين أخينا مـولاى العباس وكبير مـدينة امليلية، فكتبنا بذلك لأخينا مولاى العبـاس فصدقهم ومن المعلوم أن أصل هذه التوسعة التـى أنعم بها عليهم مولانا قدسه الله إنما كـان لما كان يلحقهم من أهل كلعـية من التـضييق بهـم بسبب وصول الـرصاص إليهم، حـتى لا يكاد أحدهم يخرج من باب المدينـة، ولما ألحوا على سيدنا رحمـه الله وقدس روحه فى طلب ما يـرفع عنهم ضرر كلعـية حيث كـانوا لا يقدرون على الخـروج من امليلة

وطلبوا من سيادته التوسعة عليهم، من أجل ذلك ساعدهم بعد مشقة ثم إن الله تعالى لما استأثر به وتكلموا معنا فى الوفاء بما أنعم به قدسه الله لهم بقصد التوسعة فقط ساعدناهم فى التوسعة، فوقع الفصال فيها بمحضر أخينا مولاى العباس وكبراء كلعية وكبير امليلية على أن لا يحدثون فيه ما يشوش على أهل كلعية وقوفا مع الفصال الذى حضر له أخونا وكبراء كلعية وكبير امليلية، فبوصول هذا إليك قرر لباشدورهم هذا المعنى وبينه له بيانا شافيا ليستحضر القضية وسببها وامتناع كلعية من المساعدة فى إعطاء الأرض إلا بعد وقوع الفصال على عدم إحداث شىء فيها والسلام فى ١٨ ربيع الأول عام ١٢٨٦».

ونص آخر فى الموضوع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن وادى امليلية، من أن العمل على ما كنا كتبنا لك به قبل من أن أهل كلعية لم تطب أنفسهم بإعطاء البلاد إلا على أن لا يحدث فيها شىء كما وقع الاتفاق عليه بذلك بين كبرائهم وكبراء الصبنيول بمحضر أخينا مولاى العباس، وذكرت أنك لما وصلت طنجة وتكلم معك باشدور الصبنيول فى النازلة أجبته بمضمن كتابنا الشريف فلم يقبل منك، وطلب توجيه كتابه، وحين ورد الجواب عليك بإحالته عليك فى الجواب أعدت له الجواب بعينه فلم يقبله معتمدا على ما فى الشروط، قائلا: إنه لا يمكنه قبول ما يصادمها بحال، ثم أخبرك بأنه كتب لحضرتنا الشريفة فى القضية، وطلبت أن يكون الجواب لينا متضمنا للإحالة عليك إن اقتضاه نظرنا، ويبقى التردد ومراجعة الكلام بينك وبينه فى النازلة حتى يظهر لجانبنا العالى بالله ما يكون فيها.

فقد كتب لجانبنا العالى بالله ذلك ولم نجب عنه، إذ ليس بقانون أن نجيب النواب بما يكتبون له، وقد وجهنا لك كتابه على حاله لتجيب عنه أنت، وقد بينا

لك ما تجيبه به بيانًا شافيًا وشرحنا لك القضية لتكون على بصيرة فيما تجيبه به والسلام فى ٢٩ جمادى الأولى عام ١٢٨٦».

ومما يتعلق بدفع التعويضات تقييد وقفت عليه يتضمن بيان ما حازته اصبانيا من المال لآخر سنة ١٢٨٠ ونصه:

وقع الفصل مع جنس الإصبنيول فى قضية تطوان بعشرين مليونا من ريال الذهب هكذا:................. ٢٠٠٠٠٠٠٠

دفع منها سيدنا أيده الله ثمانية ملايين أولا:......... ٨٠٠٠٠٠٠

خمسة من فاس واثنان من السويرة، وواحد مع الحاج محمد بن المدنى بنيس ودفع له بواسطة النجليز أى من سلفه اثنان ٢٠٠٠٠٠٠ فصار جميع ماحازه أولا عشرة ملايين هكذا ١٠٠٠٠٠٠٠ والباقى لإكمال العشرين المذكورة، وهى عشرة خرج يقبضها من مستفاد المراسى الثمانية فحصل له فى حظه من مستفاد المراسى عن سنتين تامتين مليون واحد من الريال الذهبى وثمانية وعشرون ألف ريال وأربعمائة ريال وريال واحد وثلاثة بليون ونصف وثمن هكذا ٨/ ٢١/ ١، ٣، ١٠٢٨٤٠١:

١ فمن تطوان فى عامين آخرهما ٢٢ قعدة عام ١٢٨٠ هكذا ريال ١٨٥٥٤

٢ ومن طنجة عن مدة خمسة وعشرين شهرا واثنين وعشرين يوما آخرها ٢٣ قعدة عام ١٢٨٠ ريال............... ٤/ ١ ٢/ ١ ١٥٤٣٦٥

٣ ومن العرائش عن أشهر ٢٤ وأيام ٢٣ آخرها ٢٣ قعدة عام ١٢٨٠ ٤٢٦١٨

٤ ومن العدوتين عن أشهر ٢٤ وأيام ١٤ آخرها ١٥ قعدة عام ٨٠-٨١٨٤٤

٥ ومن الدار البيضاء عن أشهر ٢٥ وأيام ١٢ آخرها ٢٢ قعدة عام ١٢٨٠.................. ٥/ ١ ١٣٤٢٣١

٦ ومن الجديد عن أشهر ٢٥ وأيام ١٢ أخرها ٢٢ قعدة عام ٨٠ ٧
٢٠٦٨٧٠

٧ ومن آسفى عن أشهر ٢٤وأيام ٢٠وآخرها ٢٣قعدة عام ٨٠/١ ١١ ١١
١١٠٥٧٧

٨ ومن السويرة عن أشهر ٢٥وأيام ١١آخرها ٢٣قعدة عام٨٠ ١٨ ٢٧٩٣٣٩

٨/١ ٢/١ ٣، ١٠٢٨٤٠١

وقيد فى ١٩ غشت سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف ١٨٦٣ الموافق ٣ ربيع الأول عام ١٢٨٠».

كما وفقت على التقييد الذى بعثه الحاج محمد الزبيدى من طنجة للنائب السلطانى السيد محمد بركاش بباريس لما ذهب لمداواة عينه هناك وقضاء بعض المآرب السياسية فى شعبان سنة ١٣٠١، وهو يتضمن ما حازه نواب الإصبان فى مدة عشرين سنة ونصه:

«تلخيص ما حازه نواب الصبنيول من المراسى الثمانية وذلك عن مدة أولها إبريل سنة ١٨٦٢ وآخرها متم دجنبر ١٨٨٣ عجمية، وتقسيط الباقى له من كل مرسى على نسبة المحرز منها فى المدة المذكورة أعلاه.

فمما:

	سنتيم	بليون	ريال كبير
حازه من مرسى الصويرة:	٥٤	١٢	٢٠٣٧٥٨١
ومن آسفى.	٩	٤	٩٢١١٤٣
ومن الجديدة.	٥٢	٠	١٥٣٢٠٢٩
ومن الدار البيضاء.	٥١	٨	١٦٦٦٠٦٧
ومن مرسى الرباط.	٢٦	٤	٤٨٦٩٠٠
ومن العرائش.	٤	٨	٦٢٠٩٩٦
ومن طنجة.	٥٤ ١/٢	١٦	٢٠٣٦٥٣٥
ومن تطوان.	٨٢		١٥٨٢٥٣
جملة المحوز فى المدة:	٣٢ : /٢	١٥	٩٤٥٩٥٠٦

تقسيط الباقى له على نسبة ما حاز من كل مرسى:

	سنتيم	بليون	ريال كبير
الباقى له من الصويرة على نسبة المحوز منها	٢٧	٩	١١٦٤٢٢
الباقى له من آسفى	٩٨	٢	٥٢٦٣٢
الباقى له من الجديدة	٣٢ : /٢	٣	٨٧٥٣٦
الباقى له من الدار البيضاء	٩٩ : /٢		٩٥١٩٥
الباقى له من مرسى الرباط	٩٠	٥	٢٧٨٢٠
الباقى له من العرائش	٥١	٤	٣٥٤٨٢
الباقى له من طنجة	١٨	١٤	١١٦٣٦٢
الباقى له من من تطوان	٥١ : /٢		٩٠٤٢ ٣
جملة المحوز فى المدة:	٦٧ : /٤	٤	٥٤٠٤٩٣

التقسيط على نسبة مـا حاز من كل مرسى هو المسطر أعلاه، لكن ينبغى أن يضم الكسر من البليون والسنتيم ودار العشرات لمرسى طنجة.

فمن الصويرة ريال كبير...............	١١٦٤٠٠
ومن آسفى ريال كبير................	٥٢٦٠٠
ومن الجديدة ريال كبير................	٨٧٥٠٠
ومن الدار البيضاء ريال كبير...............	٩٥١٠٠
ومن مرسى الرباط ريال كبير................	٢٧٨٠٠
ومن العرائش ريال كبير.................	٣٥٤٠٠
ومن طنجة ريال كبير...............	٢/ : ٦٧ ٤ ١١٦٦٩٣
ومن تطوان ريال كبير.................	٩٠٠٠
	٢/ : ٦٧ ٤ ٥٤٠٤٩٣»

من كناش مبيضات دار النيابة.

ومن ذلك كتاب الأمين ابن المدنى بنيس للوزير بوعـشرين فى مقدار الداخل على الإصبان من مال المراسى ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيـدنا الفقيه الأجل، ومـحل والدنا البركة المبـجل، العلامة القدوة الخـير الأكمل، سـيدى الطيب بن اليمـانى رعاك الله، وسلام عليك ورحـمة الله، عن سيدنا أيده الله.

وبعد: فإنك كنت أعـزك الله كتبت لنا عن أمر مـولانا نصره الله بأن نطالع كنانيش المراسى لنستفيد منه القـدر الداخل على الصبنيول من المال من أول شروعه فى القبض إلى تاريخ الكـتاب الذى كتبت لنا فـيه ما ذكـر وتاريخه ١٨ من رجب

عام تـاريخه، وصادف الحـال وقت ورود هذا الأمـر علينا أن بعض المدة لم يصل حـسابهـا من المراسى وعملنا لوجـود منهـا تحت يدنا حسـابه، ووجهناه لشـريف الحضرة ومضمنه ريال ذهب ٢/١، ٩٠١٣٣٢ كما بورقة الحساب التى وجهنا، ثم بعده استدركنا الإعلام بما حازه من طنجة فى ٨ أيام أخيرة شهر شوال من عام ٧٩ وقدره ريـال ذهب ٣/، ٥٤٦، كمـا قدمنا لسـيادتكم أنه حـين يرد علينا حـساب المراسى نكمل ما بقى بتمام المدة التى هى شهر رجب تاريخ الكتاب الذى أمرنا فيه بهذا العمل، وقد وصل حـسابهما فعملنا فيه مـثل عملنا فيما قبله، فتجـمل فيما حازه فـيما ذكر على حـسب ما فصلناه بورقـة الحساب الواصلة إليك فى طيـه ما اجتمع فيه من المثاقيل ٦/١١، ١٨٧٨٦٧٤ عنها ريال صغير ٣/٤، ٥٧٨٠٥ عنها بليون ٦٣/٤، ١٠٩٨٣٠.

وقد وصـلنا من الصويرة حـساب عـدد البليون الذى حـازه الصبنيـول فى الثمانية أشهـر الأخيرة من خدمة السيد عبد السـلام جسوس، وهى التى كتبنا فى شأنها لمولانا أيده الله ليـأمرهم بتوجيههـا لنا لنستخرج منها ما يجب فى فـرينسية الدرهم، وحيث وصلتنا ألفينا من فرينسيتها أربعة عشر ألف بليون وأربعمائة بليون وتسعة بليون، كما استخرجنا من السبـعة أشهر بعدها فى الفرينسية المذكورة اثنى عشـر ألف بليون وستـمائة بليون واثنين وثمـانين بليونا، يزاد على مـا فى الورقة الواصلة صـحبتـه فيـجتـمع من عدد البليـون ٣/٤، ١١٢٥٣٩٢ عنه ريال ذهب ١٢٣/٤، ٥٦٢٦٩ تجمل فيما حازه الصـبنيول من أول جلوسه بالمراسى إلى انتهاء تواريخ الورقة الواصلـة صحبة هذا فـى شهر رجب عام تـاريخه من ريال الذهب ١٧، ٩٥٨١٤٧ تسعـمائة ألف ريال وثمـانية وخـمسون ألف ريال ومـائة وسبـعة وأربعون ريالا وسبـعة عشر بليونا، فطالع شريـف العلم به بارك الله فيك وهذا ما وجب به الإعلام والسلام ختام فى ٢٩ رمضان المعظم عام ١٢٨٠.

محمد بن المدنى بنيس لطف الله به»

ومن ذلك تقييد وقفت عليه بخط الشريف العلامة سيدى محمد بن الحسنى الرباطى الذى كان عدلا بمرسى الدار البيضاء فى العهد الحسنى والعزيزى يتضمن بيان ما حازه الإصبان من أمناء تلك المرسى ونصه:

«الحمد لله هذا بيان ما حازه نائب الإصبنيول من مرسى الدار البيضاء من أمنائها فى الشطر عن مدة أولها فى شهر شوال عام ١٢٧٨ فحاز فى خدمة الأمينين ج محمد بن عبد المجيد بن جلون الفاسى، والسيد محمد بن ج الطاهر بوحدو، السلوى عن سنة وشهر، إلا أن الشهر الأخير منها الزائد على السنة دفعه ابن جلون المذكور مع ج محمد بن المكى الحارثى السلوى بدلا عن بوحدو السابق.

ففى مدة خدمتهما دفعا له: ٢٠٨٣٧٣٠ ٦٤

وبعدهما ج المدنى الديورى والسيد محمد التازى ابتداء عام ٧٩ وجها فى شوال من السنة المذكورة............ ١٥٨٩٠٨٧ ١٤

وج حفيظ برادة وج مصطفى جسوس عن سنة فى قعدة عام ٦٢٨٠
١٦٤١٠٩٨

ثم ج محمد الحلوى والسيد محمد بن ج العربى معنينو عن سنة ٦٢
١٧٤٢٠٩٩

ثم ج عبد الكريم بن زاكور الفاسى وج أحمد الرجراجى «: ٣٠
١٨٢٦٤٧٥

ثم ج محمد مكوار الفاسى وج مصطفى جسوس عن خمسة عشر شهرا
.... /: ٩٨ ٢٠٧٨٦٣١

ثم ج عبد الرحمن أقصى وج العربى افرج فى جمادى ١ عام ٨٥ إلى جمادى ١ عام ٨٦...................... ١٥٩٣٨٧٧ ٧٣

ثم الطيب بن كيران والأمين التازى عن ثلاثة عشر شهرا ١٥ ٨١ ١١٢٠٠

ثم الطيـب الغـربى والطالـب أحـمـد الـتـازى الفـاسـى عن سنة / : ٨٩ ٢٥٦٩٧١٦

ثم ج محمـد بن عبد الكبيـر التازى وج عبد السـلام بلافريج سنة ٢/ ١٢٠ ٤٧٣١٠١٨

ثم ج أحمد بنانى السـميرس والأمين التازى عن مدة مبـدؤها قعدة عام ٨٩ وأخرها ربيع النبوى عام ٩١ / : ٣٦ ٦٦٤٥٨٩١

ثم ج المدنى بن عبد الكريم بن جلول والسى محمد بن ج على مرسيل عن شهور ١٤ أخرها جمادى ١ عام ١٢٩٢ / : ٩٩ ٤١٢١٥٤٩

ثم حفيظ برادة وعبد الله حصار عن شهور ١٠ / : ٥٥ ٢٨٣٨٠٧٠

ثم ج محـمد بن عـبد القـادر ابن كيـران الفاسى والسى مـحمـد بوصوف الطنجوى عن ثمانية أشهر / : ٩٥ ٢٩٩٣٧٩٤

ثم عـبد السـلام بنانى وج مـحمـد بن العربى الـطريس تسعـة أشهـر ٤١ ٣٩٩٦٠٣٧

ثم ج محمـد ابريشة وج محمد بن ج الـعربى القباج عن تسعـة أشهر/ : ٥ ٣٣٣٤٠١٣

ثم السى محمـد بن عبد القادر بنانى والسى العربى بن المهـدى بنونة شهور ١١ / : ٠ ٣٤ ١٣١٨٠٦٢

ثم الغنمية وبرادة عن عشرين شهرا آخرها صفر ٩٨ / : ٠ ٣٥ ٢٧٧١٨٧٩

ثم ابن المليح والرزينى عما بعد ذلك إلى مـتم رجب عام ١٣٠٠ عن شهور ٤٣ ١ ٨٧١٣٠٤٦

٤/ ٠ ١٩ ٥٤٧٢٠٨٣٥»

ومن ذلك ما كتب به سفير الإصبـان للقناصل ونواب إصبانيا الواقفين على قبض الأعـشار بالمراسى بما يكون عليه عـملهم فى ذلك، ونصه نقلا عن النسـخة التى وجهها من ذلك لمولاى العباس من كناشته بلفظه:

«القنصوات أو الخلفـاء المكلفين أو الواقفـين على القبض يستـقرون فى ديار الأعشـار وفى كل وقت الذين يشتغلـون فيهم فى وسق المراكب، ويأخـذون زمام مسـتويا مع زمام أمناء السلطان ويكون لهم كنـاش من الداخل والخارج من السلع ومن الأعشـار المؤديان فى كل عشية حـيث تسد دار الأعشار والنائب الإصـبنيولى يقابل كناشه مع كناش الأمير متاع مراكش إلى أن تحصل لهم الموافقة فيها.

فى مراسـى مراكش إذا كانت الـعادة فى أداء الأعشـار عاجـلا على السلع الداخلة والخارجة فى ذلك اليوم الذى يكون فيه القبض النائب الإصبنيولى، يحوز فى كل عشيـة النصف فى ذلك الأعشار المقبوض ويدفع خط يده مخـتوم ومطبوع بيد الأمين متاع مراكش.

فى اليوم الأخيـر من كل شهر النائب الإصبنيـولى يحوز خطوط يده المعطاة منه فى كل يوم، ويمكن للأمين مـتاع السلطان مراكش خط يده من جـميع العدد المقبوض فى ذلك الشهر حسبـما هم مذكورون فى خطوط يده فى مراسى مراكش التى هى عـادتهم هى قبض الأعشـار بعد أجل قـريب، وذلك بالاطرة على المدن التى يتوجه لها السلع، فنواب الإصبنيول فى كل عشـية كما ذكرناه قبل فى مقابلة كناشـه مع كناش أمـين مـراكش إلى أن تحصـل لهم الموافـقة ويتـمـسكون نواب الإصبنيول بـرسم مختوم من أمين الـسلطان مراكش ذاكراً فيـه أن الأعشار الداخل اليوم هـو كذا والنصف الواجب للاصـبنيول هو كـذا، وفى اليوم الأخيـر من كل شهرين يجمعون المحصل ونائب الإصبنيول فى ذلك اليوم يحوز ما وجب له دراهم سكية النصف من جـميع الأعشار من الشـهرين، ويدفع خط يده مختـوم ومطبوع

من ذلك العدد بيد الأمين المسلم، ويرد ذلك الأمين جميع خطوط اليد التى مكنهم منها.

حيث المنفعـة متاع إصبانية ومـراكش، هو أن يكون الوقوف والنظر فى هذا الأمر مع استـقام مباشرته حيـث تعلم بفساد فى الأعشار تعلم بذلك الأمـين متاع السلطان ليكف ذلك وينقـطع حتى يكون الاسـتقـام فى مراسى الإِيالة، ويحـصل حينـئذ المنفعـة لصبـانية وكـذلك الخيـر للسلطان إذا بهذا يؤدى عـاجلا ما عـليه الإصـبنيـول وينتـقل حـينئـذ الـنصف فى الداخل فى المراسـى الذى هو اليـوم للاصبنيول.

لا شك أنك وأمين السلطان تسيرون فى هذا على الموافقة لتحصل المنفعة فى خدمة سلطانتنا وفى خدمة سلطان مراكش.

دولة سلطانتنا لها الصدق فى وقـوفك وصدقك وعدلك فى ولايتك فى هذا الأمر المهم.

نسخة ثابتة النائب المفوض لجنس الاصبنيول مختوم.

افرنسيسكومرى وكلوم».

ومن الباب جواب السفير المذكور لمولاى العباس عن بعض المطالب ونصه:

«سعادة الـشريف الأرضى مولاى العبـاس، لا زال السؤال عنك نطلب الله تكون بخير.

وبعد: فـإنى قد حـصل لنا غاية الســرور بالبيان لديكم أن ســعادة حـضرة مولاتنا الـسلطانة أيد الله علاها قـبلت ما طلبـته منها بـامليلية على اسم حـضرة السلطان فى خروج آل الريف من الثغر المذكور، نـرغب منكم توجيه لمكاتب السيد محمد بركـاش ليمكنهم وقت قدومهم بالدراهم الواجبة لهم وبالأرض لمعـيشتهم،

كما طلبنا ذلك منكم بعد قبولنا المكاتب يذهب مركب قرصان لامليلية ويجلب لطنجة هؤلاء الريف كما تريد حضرة السلطان لتقوية الصلح والمهادنة والسلام فى ١٨ انابر سنة ١٨٦٤.

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة إسبانيا قرب الحضرة الشريفة.

فرنسيسكومرى وكلوم».

ونص آخر:

«السيد الذى عظم قدرا الشريف الأرضى مولاى العباس، بعد إهداء السلام نطلب الله تكون بخير وقد أنهينا لحضرة مولاتنا السلطانة ما شافهتنا به بامليلية عن اسم الحضرة الشريفة فى شأن مستفاد غياب هذه المملكة، ووافقت ما قصدته الحضرة العلية، وأمرتنا بالتأخر يحبى فى هذا الأمر الصعيب ونبذوه إلى أن تقابلوا حضرة السلطان وتتفاوض معها، وحيث ذلك لم يعمل على ما وجهنا من الاسترعاء للسيد محمد بركاش، وهذا أقوى دليل على محبة سعادة مولاتنا السلطانة فى الحضرة المنيفة وبحول الله لما يوجب تفاوضنا فى هذه القضية مع حضرة السلطان ناولوا أمرها على وجه العدل والحق، وبما يناسب الجانبين، وهذا ما أمرتنا به سعادة مولاتنا السلطانة الحاصل لنا به غاية السرور فى إنهائه لديكم والسلام فى ٢٦ انابر سنة ١٨٦٤.

الوزير الوجيه لسعادة حضرة مولاتنا سلطانة إسبانيا قرب الحضرة الشريفة.

فرانسيسكومرى وكلوم».

ونص آخر:

«جناب الشريف العلوى الأعز المحترم الأرفع مولاى العباس خليفة سلطان مراكش وباقى المغرب، السلام على من لا حال له عن المحبة.

وبعد: فإن غدا حلول ميجال الثلاثين يوم الموسوم لتنفيذ المطالب الموضوحة من دولة حضرة السلطانة المفخمة لدولة الحضرة الشريفة سلطان مراكش، فالمطلوب من فضلكم أن تقولوا لنا إذا دولة حضرة سلطان مراكش لا زالت على ما وضحت لنا به فى آخر مدة والأمر أدها فى بلوغ ما أشرنا به فى كتابنا المؤرخ بميو ١٩ المنصرم فورا والسلام فى ٢٣ يونيا سنة ١٨٦١.

حررها النائب المفوض والقنصل العام لحضرة سعادة سلطانة إسبانيا.

فرنسيسكومرى وكلوم».

ونص بطاقة وقفت عليها بخط ترجمان السفارة تتعلق بإخلاء تطوان:

«هذه نسخة من أمر موجه من الأمثل سيدى الوزير أمور البرنية للنائب المفوض لحضرة سلطانة اسبانية مضمنه:

فراغ تطوان سيقع من غير إمطال حتى كاد يكون حينا واحدا بعد وفاء المشروط فى أمورنا السابقة، وحالة وقت التاريخ إذن ببدء خروج الأثاث وتأهيب جميع الأمور لتسليم الثغر فى الوقت المذكور وهذا الكلام تحققه للخليفة والتمام.

مترجمة عن إذن النائب المذكور أعلاه.

فليب ريثو».

وقد أدت هذه الحوادث الحوالك بالمترجم إلى الاستقراض من الدول الأجنبية، فعقد مع الإنجليز قرضا يشتمل على مليونين اثنين من الريال الكبير الذهبى حسبما مرت بك الإشارة لذلك فيما تقدم من الوثائق، وإليك بيان ما يتعلق بذلك كما وجدته منصوصا:

«بيان كيفية السلف الذى أخذه سيدنا أيده الله من تجار النجليز فكان عدده مليونين اثنين من الريال الكبير المعروف بالريال الذهبى . . . . . . ٢٠٠٠٠٠٠.

فوجب فيها أربعمائة وستة وعشرون ألف ليرة نجليزية هكذا ٤٢٦٠٠٠ .

جعلت كلها كـواغد وصار كل كاغد الذى فـيه مائة ليرة يعطى فيه خـمسة وثمانون ليرة فكسـر العدد المذكور خمـسة وسبعين ألفـا ومائة وستة وسبـعين ليرة ونصف ليرة هكذا ٢/١ ٧٥١٧٦.

فتزاد على الأربعمائة وستة وعشرين ألف ليرة فيصير المجموع خمسمائة ألف ليرة ومائة وستة وسبعين ليرة ونصفا هكذا ٢/١ ٥٠١١٧٦ .

يجب فيـها من عدد الريال الكبيـر مليونان وخمـسمائة ألف وخمـسة آلاف وثمانية واثنان وثمانون ريالا ونصف ريال هكذا ٢/١ ٢٥٠٥٨٨٢ .

فيجب علـيها انطريس فى مدة من عـشرين سنة بحساب خمـسة زيادة على المائة مائتان وستة وخمسون ألفا وثمانمائة واثنان وخـمسون ليرة وسبعة عشر شيلين ونصف شيلين هكذا ٢/١ ١٧ ٢٥٦٨٥٢ .

فيجـب فيها من الريال الكبـير مليون ومائتـان وأربعة وثمانون ألفا ومـائتان وأربعة وستون ريالا وأربع بلاطات ونصف هكذا ٠/ ٤، ١٢٨٤٢٦٤ .

فيزاد هذا العدد على المليونين والخمسمائة ألف وخمسة آلاف وثمانية واثنين وثمانين ريالا ونصف المذكورة أعلاه فيصير جميع ما يدفع سيدنا نصره الله فى مدة من عشرين سنة من عـدد الريال الكبير ثلاثة ملايين وسبعمـائة ألف ريال وتسعين ألف ريال ومـائة وسـتـة وأربعين ريـالا وعشـر بلاطات ونصـفـا هكذا ٨/ ١٠ ٣٧٩٠١٤٦.

يجب فيها ليرات سبعمائة ألف وثمانيـة وخمسون ألفا وتسعة وعشرون ليرة وسبع شيلين ونصف هكذا ٦، ٧، ٧٥٨٠٢٩.

فهـذا العدد هو الذى يكمل دفـعه فى مدة عـشرين سنة حسـبما هو مـبين انتهى.

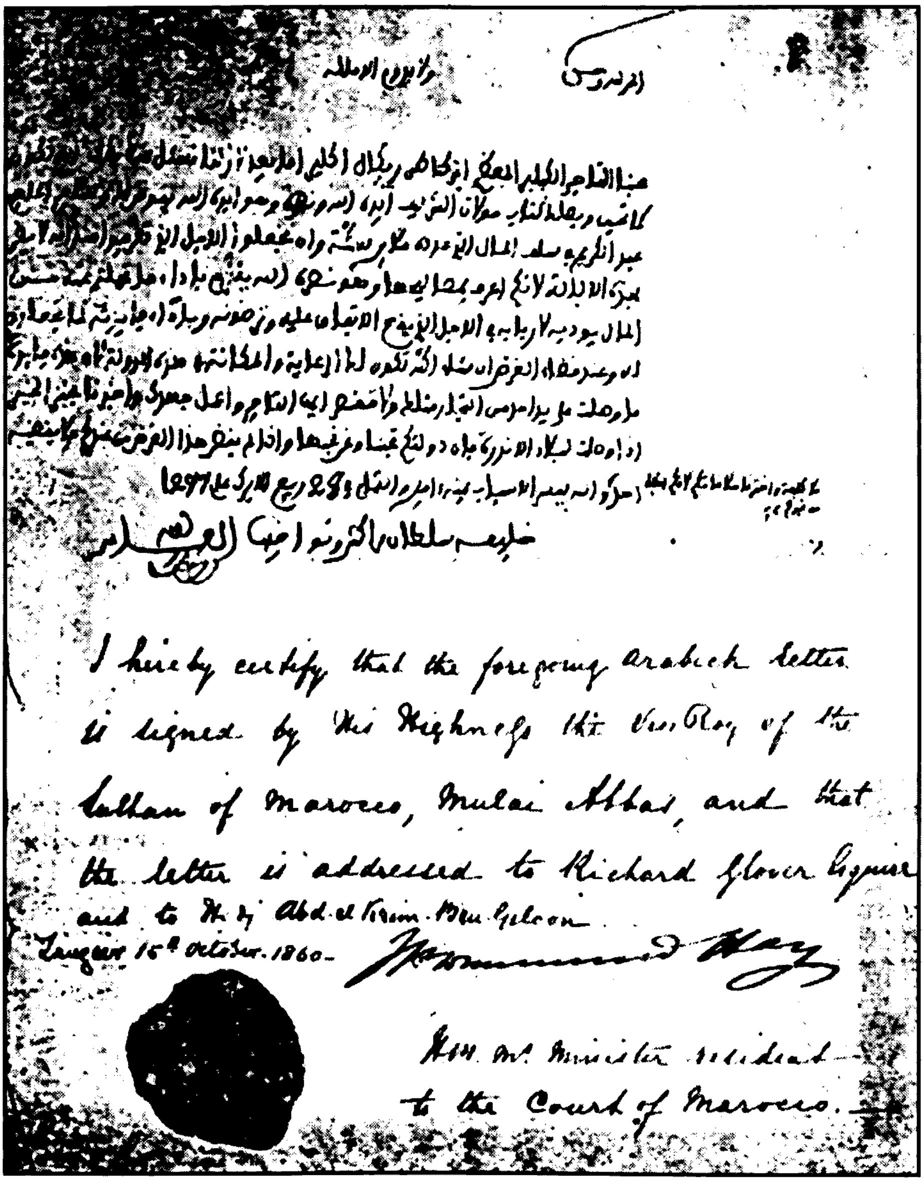
بيان ما يدفع فى كل سنة:

	بينيكى	شيلين	ليرات
ما يدفع فى ٦ الأشهر الأولى ليرات هكذا:	٦	١٩	٢٥٠٥٨.
ما يدفع فى ٦ الثانية	١٠	١١	٢٤٧٤٥.
ما يدفع فى ٦ الثالثة	١٠	٧	٢٤٤٣٢.
ما يدفع فى ٦ الرابعة	٤	٢	٢٤١١٩.
ما يدفع فى ٦ الخامسة	٨	١٧	٢٣٨٠٠.
ما يدفع فى ٦ السادسة	١١	١٢	٢٣٤٩٢.

وهكذا كل ستة أشـهر تنقص عن التى قبلها بيسيـر كما هو مبين فـيما ذكر أعلاه إلى أن ينتهى العمل فى الستة أشهر المكملة أربعين والسلام».

وكـان المال المـدفـوع من هذا الدين يوجــه أولا لطنجـة من أمـناء المراسى والحضرة الـشريفة وبيوت الأمـوال بفاس ومراكش، ويجتـمع هناك فإذا حل أجل دفعة من الدفعات دفع مـنه مقدار، وهكذا حسبما وقفت على قـائمة ما كان يوجه من ذلك وما كان يدفع منه مشاهرة مؤرخا بالهجرى والمسيحى فى بعض أوراق دار النيابة، وكانت الدفـعة الأولى عن ستة أشهر حلت فى أول صـفر عام ٧٩ موافق أول غشت العجمى سنة ١٨٦٢ إلى سنة ٩٧ موافق عام ١٨٨٠ وجلب ذلك بنصه يؤدى إلى التطويل الممل وفى الإشارة كفاية.

وإليك نص الكتاب الذى أسند فيـه مولاى العباس بالنيابة عن أخـيه المترجم عقد السلف المشار إليه لريشار فلوبير والحاج عبد الكريم ابن جلون



I hereby certify that the foregoing arabick letter is signed by His Highness the Vice Roy of the Sultan of Marocco, Mulai Abbas, and that the letter is addressed to Richard Glover Esquire and to Hadj Abd el Krim Ben Geloon.

Tangier 15th October. 1860. J. H. Drummond Hay

H.M. Minister Resident to the Court of Marocco.

كتاب مولاى العباس فى التفويض لريشار فلوفير اسكير والحاج عبد الكريم بن جلون فى عقد قرض مع الإنجليز وتحته تعريف سفير الإنجليز بخط مولاى العباس

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه،

محبنا التاجر الكبيـر المعظم المركناطى ريكال اكلير أما بعد لازلنا نسأل عنك نطلب الله أن تكون كما تحب ويصلك كتـاب مولانا الشريف أيده الله ونصره وهو أيده الله يفوض لك وللتاجر الحاج عـبد الكريم فى سلف المال الذى عدده ملايين سـتة وأن تجـعلوا الأجل الذى تعرفـوا منه أنه لا يضـر بهذه الإيالة لأنكم أعـرف بمصاليـحهـا وهو نصره الله يلتـزم بأداء ما تحـملتم عنه من المال يؤديه لأربابه فى الأجل الذى يقع الاتفـاق عليه وترضونه وبـأداء فائدته[1] كمـا تجعلون له، وعند قـضاء الغـرض إن شاء الـله تكون لك الرعايـة والمكانة فى هذه الدولة، لأن هذه فائدة ما وصلـت على يد أحد من التجار مـثلك، ولا تقصر أيها التـاجر، واعمل جهـدك وأخبرنا بخـبر الخـير إذا وصلت لبلاد الاندرة، فـإن دولتكـم تحبنا ونحن نحبها، وإذا لم يقـض هذا الغرض من عندكم فلا يقضيه أحد بـلا كلفة، واخترنا ملاقاتكم لأنكم أفـضل من غيركم، والله ييسر الأسباب بمنـه آمين والتمام فى ٢٨ ربيع الأبرك عام ١٢٧٧».

خليفة سلطان مراكش ونواحيها العباس لطف الله به».

من خطه، وبعده تعريف سفير الانجليز بذلك الخط ونص تعريبه:

«يشهـد الواضع شكله عقب تاريخه بأن الرسـالة فوقه المكتوبة بالعـربية هى ممضاة من سمو الخليفة السلطانى المولى العباس وهى موجبة للمسمى ريشار فلوفير اسكير وللحاج عبد الكريم ابن جلون.

طنجة - ١٥ - اكتبر ١٨٦٠.

دريموماى الوزير الإنجليزى المقيم ببلاد المغرب».

---

(١) فى هامش المطبوع: «إنا لله وإنا إليـه راجعون ولكن للضرورة أحكام والـضرورات تبيح المحظورات. هـ. مؤلف».

ونص ظهير شريف لمولاى العباس فى ذلك:

«أخانا الأعز الأرضى مولاى العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد قدمنا لك كلام المليون الذى أرادت دولة النجليز أن تسلفه لجانبنا العالى بالله تعالى، فإن طلب نائبهم الفصال فيه بالفعل حيث يراد دفعه فتعاط معهم الخطوط فيه بأن تعطيهم خطك فيه على الكيفية التى طلبوا، وهى أن يدفعوه ويعينوا من يقبض أربعين فى المائة من كمرك الصويرة حتى يستوفوه إن شاء الله، ويعطوك خطهم بذلك أيضا، والله يرعاك والسلام فى ٦ من صفر الخير عام ١٢٨٧».

ونص ظهير آخر لبركاش فى دفع ما حل من ذلك الدين:

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا نفذنا من وفر مرسى الصويرة أربعين ألف ريال لتدفع فى مشاهرة سلف دولة النجليز الحالة إن شاء الله، وأمرنا الأمناء بها بتوجيهها واصلة لأمناء آسفى ليوجهوها بواسطة خليفة الطالب محمد بن بومهدى البوعريزى لأخينا الأرضى مولاى رشيد أصلحه الله، وهو يوجهها واصلة إليك فإذا وصلتك فادفعها على يدك على العادة والسلام فى ١٥ صفر عام ١٢٨١».

كما أدت هذه الحوادث أيضا بالمترجم إلى طلب الإعانة من رعيته لما شدد الإصبان فى طلب الاقتضاء، وأوشكت الحالة أن تعود لما كانت عليه، مما جعل المترجم يأمر بالتأهب والاستعداد مرة أخرى، فلذلك كتب إلى عمال المدن وقواد القبائل بذلك حسبما مرت بك الإشارة لذلك فيما تقدم ذكره من الوثائق، ومن ذلك ما كتب به لعامل سلا ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب عبد العزيز محبوبة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن أهل سَلا مِنْ خدامنا، الذين لهم كمال المحبة فى جانبنا، وممن نعتقد أنهم يهتمون بأمر الإسلام، غاية الاهتمام، وممن لا نشك أنهم يبذلون أنفسهم فى مرضاة الله تعالى ويدخرونها ليوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فضلا عن المال، الذى لا يلقى له عند أهل الإيثار والخصوصية بال، هذا وفى علمكم ما أصاب المسلمين من أمر الكافرين الذين أرادوا خراب الدين وما قاسيناه معهم من الشدائد التى تشيب الطفل قبل المشيب، حتى رأينا أن لابد من الصلح لأمور يطول شرحها وإيضاحها، وإن كنتم تعلمون بالسماع الفاشى جلها أو كلها معتمدين على ما أفتى به الأئمة فى ذلك، سالكين فيه أحسن المسالك، وإلا استولوا على ثغور المسلمين، وأفسدوا الدين وصار الناس منقادين لهم ومسالمين، فصالحناهم على مال دفعنا لهم منه ما كان ببيت المال، ثم شددوا الآن فى الاقتضاء، واستعجلوا، وراموا نقض ما عقدناه معهم ليتوصلوا لما فاتهم أولا من الاستيلاء، لا أبلغهم الله ما أملوا، فتعين حينئذ الكلام هنا مع خدامنا أهل فاس فى هذا المعنى.

فسارعوا إلى بذل الاعانة، غيرة على الدين وحرصا على أن لا يصل لإخوانهم المؤمنين ذل ولا إهانة، وقد اقتضى ما نعلمه من غيرتكم وكمال محبتكم أن يذكر لكم ما آل إليه الأمر مع الكافرين، ليقوم خدامنا المذكورون بما قدروا عليه من إعانة المسلمين، وليسوا بدون هؤلاء الذين بذلوا مالهم فى مرضاة الله دينا ومحبة وخدمة وإيثارا، والظن بهم جميل فليكونوا عند الظن بهم،، وليشتروا بذلك مرضاة ربهم.

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الارضى الكاتب عبد العزيز محبوبة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فان اهل سلا من خدامنا الذين لهم كمال المحبة في جانبنا ومن نعتقد انهم يتصفون بالامتثال
غاية الامتثال ومما لا نشك انهم يبذلون انفسهم في مرضات الله تعالى ويبذرونها لينزع الكل النصر
فاعملت مرضيتهم معنا مطالع الحال الذي يبلغ له عند امثل الايثار والخصوصية بالمساواة عليكم
ما اصاب المسلمين من امر الكافرين الذين ارادوا خراب الدين وما فاسد الامة معهم من الشدائد التي تشيب
الاطفال من قبل الشيب حتى رأينا ان لا بد من القيام بامور يطول شرحها وبيانها وايضاحها وان كنتم
تعلمون بالسماع الشائع جلها او كلها معترفين على ما اشترته الايمة في ذلك فالكل من اهل
الساحل والاسلوا على نفوس المسلمين واحترام الدين وطال الناس ينتادون ويتفانون في الحزام
على قدر فعندا لم نجد ما كان يبقيه المال الذي اخرجوه والان في الانتظار واستعملوا ورأوا النفع ما عرفوه
معهم من شروطها ما لابد لهم من الاستيلاء لا بد لهم الله ما امكنوا فتعين في هذا الكلام منا مع
خدامنا امثالا ما مر في هذا المعنى وبادروا الى بذل الاعانة غيرة على الدين ومرضاة مولاه لا يصل
اخوانهم المومنين وهذا امر ما نعلمه من غيرتهم وكمال محبتهم ان يذكر لكم هذا الا
اننا نرى مع الكلام خدامنا المذكورين بما قرروا عليه من اعانة المسلمين وتسوا بدون مع اولائك
الذين بذلوا ما لهم في مرضات الله دينه ومحبته وخدمة وايثارا والفخر في جميل عند الله
جميعهم وليتم اوبلك مرضات ربهم ولا شك ان الله تعالى يخلف لهم ما يبذلونه ويقبلهم بايثارهم وحسن
قصدهم كل ما انا منوته ولم نفرض في ذلك حدا ولا المراد ان يعطي كل واحد على قدر حاله من غني
او ضال اخرج عليهم في ذلك ولا مشقة ومن كان في خدمة وظهرت عليه اثار النعمة جهرا وفي بالقضى
والفعل والاعتبار شكرا للمنعم سبحانه على الانعام والسلام في 25 شعبان الابرك عام 1277

كتاب السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن

لعامل سلا محبوبة فى شأن الإعانة

ولا شك أنه تعالى يخلف لهم ما يبذلونه، وينيلهم بإيثارهم وحسن قصدهم كل ما يأملونه، ولم نحد لهم فى ذلك حدا لأن المراد أن يعطى كل واحد على قدر حاله من غير إدخال حرج عليهم فى ذلك ولا مشقة ومن كان فى خدمة، وظهر عليه أثر النعمة، فهو أولى بالصبر والقيام، وإظهار شكر المنعم سبحانه على الإنعام، والسلام فى ٢٥ شعبان الأبرك عام ١٢٧٧».

ونص ما خاطب به أهل فاس:

«الحمد لله الذى لا يضيع عمل عامل، ولا يخيب فى فضله العميم أمل آمل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد أصدق قائل، وقائد الخلق إلى ما فيه السعادة الأبدية فى عاجل وآجل، وملجئهم المنيع الذى يأوون إليه عند كل أمر هائل، وعلى آله وصحبه، وعترته وحزبه.

أبناء عمنا الشرفاء، وخدامنا أهل فاس أخص منهم العلماء، والأعيان والعرفاء، أنجح الله فى مرضاته أعمالكم، وبلغكم من فضله آمالكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ومرضاته وتحياته.

أما بعد: فغير خاف عليكم أن الكافر جنح لسلم المسلمين بسبب جهادهم، وتقلصت أطماعه بامتداد ظلال إمدادهم، فسالمناه، عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأنفال: آية ٦١]، وللصلح فصالحناه، عملا بما نص عليه الأئمة، ومصابيح الأمة، من جواز الصلح لمصلحة وإن عن مال ريثما يستعد المسلمون ويرجعون لأحسن أحوالهم، ويسفر الحزم والعزم عن وجه جمالهم، ارتكابا لأخف الضررين، وأخذا بأيسر الأمرين.

وما برحنا من يومئذ نحالف الأسا، ونتدارس فى جمل أمور الكافر باب لعل وعسى، فتارة نستفتح وجوه الصبر وهى جميلة، ونتعلل بما نرجوه من النصر

فى مدة قـريبة قليلة، وتـارة نفوض الأمر إلى من بـيده الألطاف العجـائب، ونمد المسلمين من الدعاء بأعظم الكتائب، حتى رأيناه كـاد أن يجمح فى ميدان الجسارة هواه، ويعود إلى غـدره وخداعه ومكره لينـال من مراده ما كان نـواه، فَتَلَوْنا عند ذلك: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ... ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنفال: آية ٦٢] وتعين علينا أن نعلم المسلمين بأمره قبل أن تدب عقاربه، وتعم مصائبه، خصوصا من كان فى الأقطار البعـيدة ليأخذوا فى الأهبـة والاستعداد، للتقـدم للجهاد، إن حقـقوا غدر الكافـر من غير توقف على اسـتنفار، وهذا الغـرض لا يحصل على التمـام إلا بمشاركـة منكم فى هذا الأمر تسـوغه، وإعانة عليـه بالأنفس من ذوى الفضل والدين تؤديه وتبلغـه، وأخذكم فيه بالسهم الأكـبر، والحظ الأوفر، لأنكم معـشر أهل هذه البـلاد التى لا يعد فضلهـا ولا يحصى، قـدوة لأهل هذا المغرب الأقصى، فبكم يقتـدون، وبهديكم يهتدون، ومثلكم لا تقرع لـه العصا، ولا ينبه بطرق الحصا، فقوموا لهذا الأمر قيام أمثالكم، واجعلوه من خير أعمالكم، وكونوا عند الظن بكم فى هذا الأمر لأنه بكل خير كفيل، وظننا بكم جميل، وافرضوا له عددا معتبـرا، وادخروه ليوم تجد فيه كل نفس ما عملت من خـير محضرا، وأهل الدين والفضـل منكم بهذا الأمر أولى، إذ هـم لما خصهم الله به مـن مزيد الدين والغـيرة على المسلمـين أجل وأعلى، ونحن نحـقق أنكم لم يلذ لكم شـراب ولا طعام، منذ استولى عبدة الأصنام، على بلاد أهل الإسلام.

واعلموا أنا على نيـة النهوض لمكناسة إن شـاء الله عن قريب، مسـتنصرين بالسميع المجيب، مستشفعين بالحبيب ﷺ، ومجد وعظم، فى كشف هذه الغمة، عن هذه الأمة، ومنتظرين ما يـجيب به الكافر عما أمرنـا أن يخاطب به من جانبنا العالى بالله عما شـدد من الاقتضاء، فإن سالمنا سـالمناه، وكان أجرنا وأجركم فى الاستعداد على الله، وإن أراد حربنا حاربناه بحول الله.

ولم نرد أن نستعجل المجاهدين منكم بالنهوض صحبة ركابنا، بل أردنا تأخيركم رفقا بكم لتستعدوا على سعة وتلحقوا بنا، وإن طيرنا الخبر بنكث الكافر لكم، هذا وقد ندبنا القبائل كافة، للاستعداد للجهاد ليقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلون المسلمين كافة. وحذرناهم مما تقدم من التساهل فى أمر الكفار، وأرشدناهم إلى سلوك طريق الجد التى سلكها فى الجهاد من قبلهم من الأخيار، ليفوزوا من العز الدنيوى والأخروى بما فازوا به، ويحرزوا ما أحرزوه من اتباع ما نص عليه الشارع فى ذلك ويتمسكوا بسببه، فنسأل الله العظيم، بجاه رسوله المصطفى الكريم، أن يوفقنا وإياهم، ويبيض يوم تبيض الوجوه محياكم ومحياهم، آمين والسلام فى ٢٤ شوال الأبرك عام ١٢٧٧».

ونص ما خاطب به قبيلة بنى ليث:

«خدامنا الأمجاد قبيلة بنى ليث وفقكم الله وأعانكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فإن جنس الصبنيول ضيق فى اقتضاء المال المعقود عليه الصلح معه ولم يقصر فى التضييق، وجعل للاقتضاء أجلا ضيقا لا يمكن فيه حتى دفع بعض البعض من المال، ولما رأينا منه ذلك وجوزنا أن يصدر منه نقض للصلح، أعلمنا المسلمين بهذه النواحى بما آل إليه الأمر معه ليكونوا على أهبة واستعداد لمقابلته بحول الله وقوته إن سبق منه نقض وحل لما أبرمناه معه، وتعين إعلامكم بذلك لتكونوا على أهبة واستعداد له إن حل عقد الصلح، وأما إن جعل مسلكه وبقى على ما عقدناه معه فإنا لا ننقضه فكونوا عند الظن بكم، واشتروا بمقابلته مرضاة ربكم، وقابلوه مقابلة يرضاها الله تعالى ورسوله ﷺ ريثما ترد عليكم قبائل هذه الجهة، فإنها ميسرة موجودة، وإياكم أن تمدوا له يداً أو تحركوا معه ساكنا ما دام باقيا على الصلح والسلام فى ١٠ شوال عام ١٢٧٧».

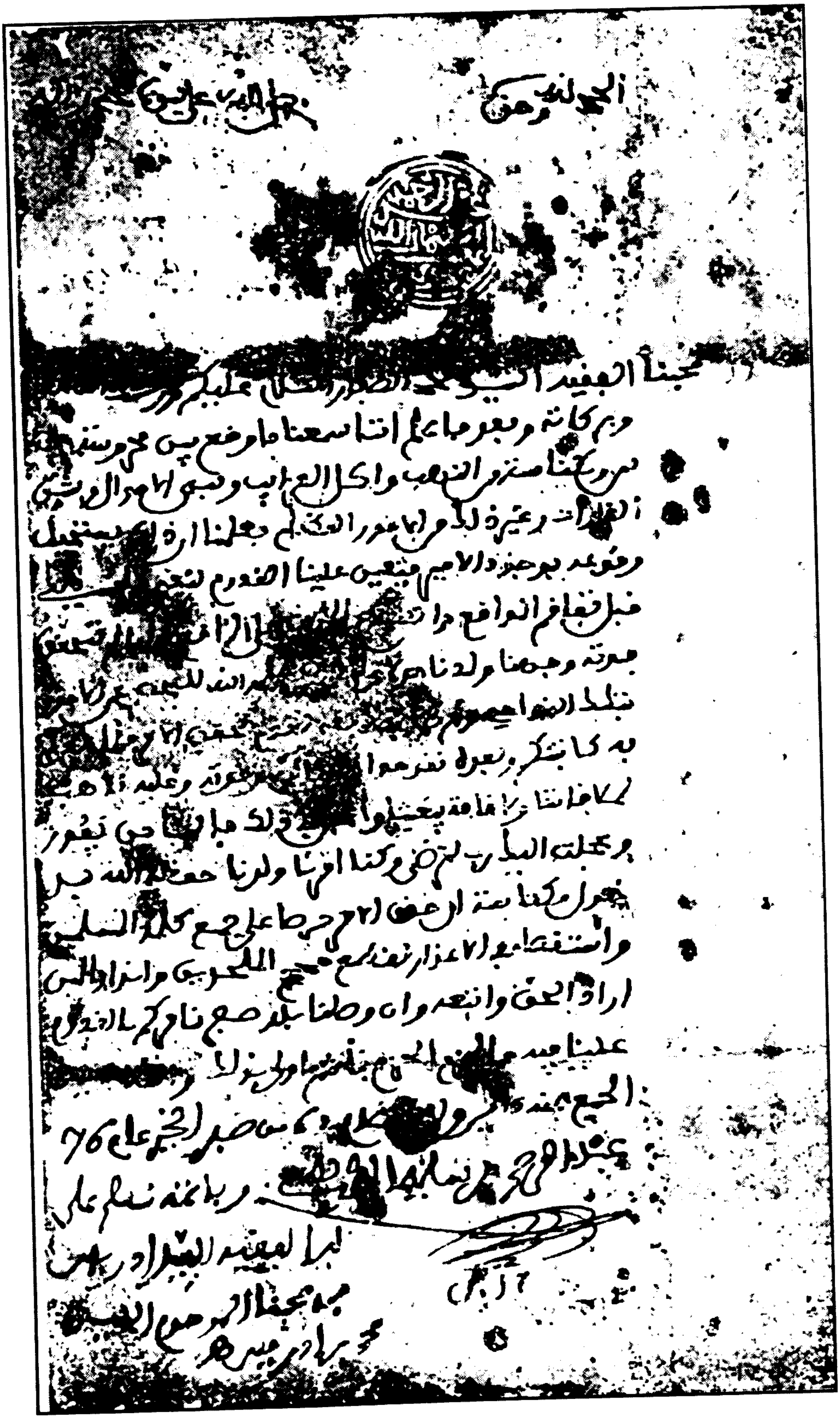
ومثله حرفيا لقبيلة بنى سعيد كافة.

هذا وفى أثناء مـا تقـدم ورد أبو زيد عـبـد الرحـمن بن المـولى أبى الربيع السلطان السابق سـليمان من سجلـماسة يريد الوثوب على الملك الذى كـان لأبيه باستدعاء بعض أمراء البيت الملوكى بـفاس ومكناس وبعض رؤساء الجيش البخارى وآيت أدراسن له، ولما وصل لفـاس هم بحصـارها ولكنه لم يظفر بشـىء بوقوف الوزير الصدر أبى عبد الله محمد العربى الجامعى - وكان يومئذ على شراقة - فى وجهه برجال قبـيله وأحلافهم من شراكة وغيرهم، فصـدوه حتى رجع على عقبه رغما على من أجلب بهم من البربر أهل فازار الذين واعدوه النصرة والإعانة على شأنه، وبقى يتردد بنواحى جبل العياشى إلى أن اضمحل أمره، وقد عثرت له على رسائل كان يبعثها لبعض كبـار الدولة يدعوهم فيها للدخول فى حزبه، والانضمام إلى سربه، فمن ذلك ما كتبه للوزير أبى عبد الله الصـفار يدعوه لإقامة بيعته وقد ختم الكتاب بطابعه من أعلى، وألحق به إلحاقا بخطه من أسفل ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن سليمان غفر الله له»:

«محبنا الفقيه السيد محمد الصفار السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـاعلم أننا سمـعنا ما وقع بين محـروسة فاس ومكنـاسة من النهب وأكل العزائب وسبى الأموال وشن الغارات وغـير ذلك من الأمور العظام، فعلمنا أن ذلك يستحيل وقـوعه بوجود الأمير، فتعين عـلينا القدوم لندرى ما سبب ذلك قبل تفـاقم الواقع، واتساع الخرق على الراقـع، ولما لم يتحقق فـوته وجهنا ولدنا مولاى الكبير(١) أصلحه الله للفحص عن الأمور بتلك النواحى، ولم نكاتبك معه

(١) فى هامش المطبوع: «اسمه سليمان وقد جـرت العادة أخيرا فى العائلة المالكة أن من كان اسمه من البيت السليمانى سليمان لا يقولون له إلا مولاى الكبير وفى البيت الهشامى لا يخاطبون من اسمه عبد الرحمن إلا بسيدى الكبـير ومن اسمه محمد يطلقون عليه سمى سيدى ومن اسمه حسن يقولون له سمى سيدى سيدى حسن تعظيمًا وإجلال وإكبارا ومن ثم يشكل على من لا معرفـة له بهذا الاصطلاح مخاطبة بعض الناس لى بعـبد الرحمن والبعض بالكبير هـ. مؤلف.».



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الفقيه السيد [illegible] الفاضل عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد فيعلم اننا سمعنا ما وقع بين [illegible]
من [illegible] التعب واكل [illegible] وقبض [illegible]
[illegible] وغيرة لكم من امور [illegible] فجعلنا [illegible] يستقبل
وفوقه [illegible] الايام فتعين علينا القدوم [illegible]
قبل [illegible] الواقع [illegible]
[illegible] وجهنا ولدنا [illegible] الله [illegible]
[illegible]
به كما [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] البلد [illegible] وكنا [illegible] ولدنا [illegible] الله [illegible]
[illegible] وكنا [illegible] على جمع كلمة المسلمين
واستقضاء [illegible] الملحوظ [illegible]
اراد الحق واتبعه وان وصلنا [illegible]
علينا [illegible] الحق [illegible]
الجميع [illegible] صفر الخير عام 76
[illegible]
[illegible] نسلم على
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لعدم تحقق الأمر، فلما نعى به كاتبكم وبعـده نقدموا بحول الله وقوته عليه تأهب لملاقاتنا، ولإقـامة بيعتنا، وأعـجل فى ذلك، فالسابق يفـوز، وعجلت إليك رب لترضى.

وكنا أمرنا ولدنا حفظه الله بدخول مكناسة إن حقق الأمر حرصا على جمع كلمة المسلمين، واستقصاء فى الأعذار لقطع حجج الملحدين، وإنذارا لمن أراد الحق واتبعه، وإن وصلنا بلد صفرو، نأمركم بالقدوم علينا فيه فالحزم الحزم، فأنتم أولى بذلك والله يعـين الجميع بمنه آمـين والسلام فى ٦ من صـفر الخيـر عام ٧٦ عـبد الرحمن بن سليمان لطف الله به آمين وبأتمه نسلم على ابن الفقيه السيد إدريس بن محبنا المرحوم السيد محمد بن إدريس».

ونص آخر كـتبه لما وصل صـفرو للعربى الجـامعى المذكور وشـراكة وأولاد جامع يدعوهم لطاعته بعد الحمدلة والهيللة والطابع:

«خالنا الأرضى الفقيـه السيد العربى بن المختار وكافـة أخوالنا اشركة وأولاد جامع خصوصا وعموما أصلحكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فقد حللـنا بصفرو، بقصد درء المفاسد وإطفـاء نار الفتنة وهذه نحو الثمـانية أيام، ونحن مـجدين فى إصـلاح هذه النواحى حتى أصلحنا بيـن البرابر واجتمعت كلمتهم على أن لا يقربوا ساحة الفساد ويكونوا عند الأمر والنهى.

والآن إن أردتم أن تتبـعوا سبيلهم وتتـعاونوا على البر والتقـوى فذاك، وإلا فكل واحد لا يلوم إلا نفـسه، وما حـملنا على هذا إلا أننا رأينا الفسـاد شاع فى الأرض، وكثـر نهب المساكين وأكل أموال الـناس بالباطل، ولا ذاب يذب عنهم، وحينئذ تعين علينا القيام، حسـبة لله الملك العلام، وأنتم والحمد لله اختاركم الله وجعلكم جيش الإسلام، فنحبكم أن تكونوا فى إعانتنا، وإن لم يظهر لكم الاتباع

فإننا نكف لساننا وأيدينا، وتروا الفساد الذى يقع من أهله، ويكفينا ثوابا وأجرا أننا أصلحنا هذه الطريق التى كانت شائعة الفساد من هنا إلى سجلماسة، فمن أراد اليوم بها المرور فليمر ولا يضيع له بحول الله وقوته قلامة ظفر، وقد حسمنا مادة الفساد قبل أن يتسع الخرق على الراقع، فكونوا فى إعانتنا لأنكم أخوالنا وخدامنا بارك الله فيك والسلام فى ١٢ صفر الخير عام ١٢٧٦».

وقد أسلفنا فى الترجمة الحسنية بعض أخباره وأخبار ولده المولى سليمان المدعو الكبير الذى خرج على مولاى الحسن لأول ولايته.

ثم فى عام سبعة وسبعين كانت فتنة الدجال المارق الجلالى الغرباوى المعروف فى لسان العامة بالروكى، وهو من عرب سفيان كان له رأى من الجن أو معرفة بضرب من السحر، فتن العامة بذلك فتنة عظيمة، اهتزت لها الأرض وربت، وكان المترجم يومئذ برباط الفتح، ثم لما أراد الله فضيحة هذا الفتان وإبطال سحره وشعوذته، هيأه للتوجه للزاوية الإدريسية من زرهون، فدخلها يوم الجمعة والناس فى الصلاة وقصد الضريح الإدريسى وبقبته كان مكثه أولا ربما طلع لمناره للإشراف على البلد، وشاع عنه ادعاء النسبة الإدريسية، ولأجل ذلك مع احترامه بالضريح المذكور كان يتعصب له بعض مَنْ لاَ يؤبه له من بلد الشرفاء الأدارسة.

وكان العلويون القاطنون هنالك على الضد من ذلك يريدون الإسراع بالفتك به ويتحينون الفرصة الموصلة لهم إليه خشية تفلته، وكانت تحدث بين الفريقين فى ذلك خصومات ومنازعات أفضت إلى إخراج الفتان من قبة الضريح وإدخاله للقوس الذى كان بباب مدارج الضريح المذكور وإغلاقه عليه خشية الفتك به، ريثما ينظر السلطان فى أمره، فاحتال الشريف أبو العباس أحمد بن المأمون العلوى الإسماعيلى أحد سكان الزاوية المذكورة بأن أتى متجردا فى قميص غير متمنطق ولا لابس لرداء إظهارا لكونه غير حامل لسلاح، وطلب أن ينظر حال المتدجل فى

محبسه هناك وعضده إخوته وأهل عصبيته، فلم يسع حرسه إلا مساعدته، ففتح له فدخل وأسرع بالغلق عليه لئلا ينضاف إليه غيره، فلم تمض عليه هنيئة هنالك حتى شاهد الحرس وغيرهم الدم خارجا على باب القوس ففتحوه، فوجدوا الشريف المذكور فتك بالمتمرد أجهز عليه بمدية صغيرة كان خبأها فى عمامته، فأسرع العامة إلى جثته فأخرجوها مجرورة إلى آخر أبواب الضريح وحزوا رأسه، وهيأوا وفدا للذهاب به للمترجم للرباط، وجرت جثته إلى باب الحجر أحد أبواب الزاوية وعلقت هنالك عظة وذكرى لكل باغ، وبقيت معلقة مدة، وإليك نص ما كتب به المترجم فى ذلك بعد المقدمات:

«وبعد فإن فتانا من سفيان مرق من الدين، وفتن بأمور شيطنته من اغتر به من المسلمين، وجمع عليه أوباشا من أمثاله، وأضرابه وأشكاله، وتقدم بهم لدار خديمنا ابن عودة فقاتلوه، ثم تقدم بهم للشراردة فقاتلوه، ثم تقدم بهم لزاوية مولانا إدريس فقاتلوه قتالا يرضى الله ورسوله ولم يحصل لهم من قتاله ضجر، ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر، وأغلقوا الأبواب بعد ذلك على من دخل معه من أتباعه، وأنصاره وأشياعه، فقبضوا عليهم وجعلوهم فى السلاسل والأغلال.

ونحن على نية إقامة الحد عليهم إن شاء الله تعالى جزاء وفاقا على ما ارتكبوه من الفساد وقبيح الأعمال، وما كان منهم حينئذ خارجا عن الباب تختطفه الأيدى، وجنوا إثما وما سعوا فيه من البغى والتعدى وقطع دابر جمعهم فالحمد لله حق حمده، وما كل نعمة إلا من عنده، وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة، إذ ربما يبلغ المرجفون على عادتهم النازلة على غير وجهها والسلام فى ثامن عشر شعبان المعظم عام ثمانية وسبعين ومائة وألف».

وفى مدة مقام المترجم بمكناس للنظر فى شئون محاربة الإصبان ثار الرحامنة بالحوز، وتحزبوا على تفريق الكلمة وتوطيد عرى التهافت على أكل أموال الناس بالباطل، فشنوا الغارة على سوق مراكش ونهبوه وسلبوا المارة وعتوا فى السابلة، ولم يتركوا بابا من أبواب التعدى والإفساد إلا وطرقوه، فاشتد الأمر وضاق النطاق، وارتفعت بسبب ذلك الأسعار والناس بين نارين بل نيران، نار فتنة الإصبان ونار فتنة الروكى وفتنة المفسدين من الرحامنة.

ولما أطفأ الله تلك النيران نهض المترجم لزجر المتمردين المذكورين، ولما علموا بذلك أجمعوا أمرهم بينهم وصمموا على محاربته، ولكن لم تغن عنهم تحزباتهم من سطوة الله شيئا، فأذاقهم أليم النكال جزاء على ما أجرموا ووجههم لسجون مراكش مقرنين فى الأصفاد، وبعد أن أوقع بهم كتب لأخيه المولى الرشيد بما نصه:

«الحمد لله الذى تدارك الأمة باللطف الكفيل بتمهيد أقطارها، وتيسير أوطارها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الذين نصروا الدين بالصفاح والأسنة، وأوضحوا أحكام السنة، أخانا الأعز الأرضى مولاى الرشيد أصلحك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنه لما تواترت الأنباء المحققة بعد التباسها، وتواردت الأخبار التى يغنى نصها عن قياسها، بما ارتكبه ظالموا أنفسهم الرحامنة، من أنواع الفساد التى أذاعوها، وأظهروها وأشاعوها، وقد كانت فى صدورهم كامنة، صرفنا الوجهة إليهم، وطوينا المراحل من أجلهم.

ولما حللنا ببلادهم أرسلنا عليهم سيل العرم من العساكر المنصورة، والجيوش الموفورة، فما كان غير بعيد حتى أتوا منهم برءوس كثيرة محمولة على أسنة الرماح، وأسارى من مقاتلتهم مجردين من الثياب والسلاح، ومن نجا منهم رجع

مجردا إلا من خيبة سعيه، وما سقى إلا بكأس بغيه، واستولت العساكر والأجناد، على جميع ما كان من أهل الفساد.

ومن المعلوم أن من سل سيف البغى يعود إلى نحره، ومن ركب متن... يغرق فى بحره، وأن الفتنة نار تحرق من أوقدها، والمخالفة صفقة تعود بالخسارة على من عقدها.

ولما أردنا معاودتهم لقطع دابرهم. وتشتيت ما بقى من رماد أثرهم، تعلقوا بالمرابطين من ذوى الوجاهات، وأكثروا من الذبائح على المحال وتوجيه العارات، وقاموا بواجب السمع والطاعة، فى كل ما أمرناهم به جهد الاستطاعة، فأبقينا عليهم وإن عادت العقرب عدنا بحول الله لها وكانت النعل لها حاضرة.

فالحمد لله الذى خيب آمالهم، وأبطل أعمالهم، وأركد إعصارهم، وخذل أنصارهم، لما أعمى أبصارهم، وردهم ناكصين على الأعقاب، بعد سلب الأموال وقطع الرقاب.

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب، ونعوذ بالله من الآراء المعكوسة، والحظوظ المنكوسة، وسوء الفعل الذى يورد المهالك، والحرمان الذى يجعل البصير كالأعمى فى دجنة الليل الحالك.

هذا ويصلكم ما قطع من رءوس قتلاهم لتعلق بباب المدينة ويعتبر بها المعتبرون، ويتذكر بها المتذكرون، والله أسأل أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأن يكون لنا وللمسلمين بما كان لأوليائه، وأحبائه وأصفيائه، وأن يوفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه ويختم للجميع بخير والسلام فى ذى الحجة الحرام عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف».

وفى سنة ثمانين ومـائتين وألف كانت هدة البارود بجـامع الفنا من مراكش بسبب نار وقعت فى خزين مملوء بارودا، فـهدت بسبب ذلك دور وتلفت نفوس، وعظم البوس.

وفى سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف كمل بناء القصر المحمدى الذى أنشأه بالثغـر الرباطى، واستدعى لوكيـرته علماء العدوتين سَـلاً، والرباط خصص لكلٍّ يوما، فختموا فيه صحيح البخارى وشفاء القاضى عياض.

قال صاحـب الاستقصا: فـدخلنا من جملتهم وتقـصينا منازلها ومقـاعدها فرأينا مـا ملأ أبصارنا حـسنا وإتقانا وعجـيب صنعة هـ وفيـها ظهر بآنكاد الفـتان بوعزى الهبرى المتقدم ذكره فى الترجمة الحسنية.

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف كانت سـفارة أبى عبد الله محمد بن عبد الكـريم الشرقى والباشا أبى عـبد الله محمد بـن سعيد السلوى لبـاريس كما سيمر بك، وفى شوال منها اعتـرى السلطان مرض شديد حتى أشاع المرجفون فى الأرض موته فـشبت الأهوال، واضطربت الأحوال، ولـكن الله سلم وفيهـا كتب لبعض خدامه بما نصه:

«خديمنا الأرضى الحاج قـاسم حصار وفقك اله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بوصول أبان بيع مستفادات الرباط، ونبـهت على العربى بوعـياد والعـدلانى اللذين يكثـران اللغط فى أمر المبـيعـات ويدعيان الخـسارة آخرا ولو ربحا، وأشـرت بالكتب للأمناء بعدم قبـول زيادتهما، فقد كتبنا لهم فى ذلك وحذرناهم منهما والسلام ٢٤ صفر عام ١٢٨٢».

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ظهر بالمغرب جراد منتشر أكل النجم والشجر وباض وأنتج.

وفى سنة أربع وثمانين ومائتين وألف وقع بالمغرب غلاء مفرط أرخ الناس به.

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين وألف عم الوباء، وفيها صدر أمر المترجم بضرب الدرهم الشرعى وأن لا يذكر فى عقد ولا معاملة غيره وشدد فى ذلك وأوعد.

فمن ذلك ما كتب به فى الإعلان بذلك ونصه:

«وبعد فإن أمر السكة من الأمور الواجبة المتعين رد البال إليها والاهتمام بشأنها، والنظر فيما يصدر سببها، من النفع والضرر للمسلمين وبيت ما لهم، وقد كان أسلافنا رحمهم الله اعتنوا كثيرا بشأنها وبضبط مصالحا ودفع مفاسدها وجعلوها على قدر شرعى معلوم لضبط أمرها والتبرك بتلك النسبة، إذ بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده، فتجب عليه فيه الزكاة التى هى من دعائم الإسلام أو عدم كماله، فلا يكون مخاطبا فيه بشىء.

ولما رأينا ما حدث فيها من التغير وعدم الضبط ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد، اقتضى نظرنا السديد ردها لأصلها الأصيل، الذى أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة وألف، إذْ لَنَا فيهم أسوة حسنة على الإجمال والتفصيل، فرددنا الدرهم الكبير المسكوك على وزن الدرهم الشرعى، والمنهاج المرعى، كما كان على عهد جدنا سيدى الكبير قدسه الله، وجدد عليه وابل رحماه، بحيث تكون عشرة دراهم منه هى المثقال، كما هو معلوم أن عشرة دراهم من الدراهم التى كانت تروج قبل على عهد أسلافنا رحمهم الله هى المثقال، وبهذا العدد الذى هو عشرة منه فى المثقال تكون جميع المعاملات والمخلطات فى البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة فى كل البوادى والحواضر.

وبه أمرنا جميع العمال، ومن هو مكلف بعمل من الأعمال، وإشاعته ليبلغ الشاهد الغائب وبه يقبل لجانب بيت المال، وأمرناهم بالعمل بهذا الأمر الذى أصدرناه، وأبرمناه بحول الله وأمضيناه، وأن يعاقبوا كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك، وبأن يسلكوا به أضيق المسالك، جزاء وفاقا على مخالفته، وتعديه الحد وافتياته.

نعم ما سلف من المعاملات بجميع أنواعها فيما تقدم قبل تاريخ هذا الكتاب فحكمه حكم ما تقدم فى السكة، فلا يكلف أحد بزيادة ومن كان بذمته شىء فيما سلف يؤديه بحساب ما كانت تروج به السكة فى الريال والدرهم، والعمل بهذا الذى أمرنا به هو من الآن لما يستقبل إن شاء الله، وبهذا يزول الإشكال فيما تقدم بين الناس فى المعاملات، ونسأل الله أن يخلص العمل فى سبيله ومرضاته، ويجازى من فضله وكرمه على قصده وصالح نياته، والسلام فى شوال عام ١٢٨٥».

وفيها كتب للنائب بركاش بما نصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مجددا فيه الإعلام بنازلة الفاسد عيسى ورفيقه وما كتب به لأهل تطوان من التخويف والتهديد إن لم يخرجوا العامل منها، وما نشأ عن ذلك من الفتنة والهرج والترويع، حتى دار بينك وبين نواب الأجناس بسبب ذلك ما سطرته زيادة على ما قدمت الإعلام به، وأشاروا بتوجيه رجل عاقل حازم وعدد من الخيل بكتاب شريف لأهل تطوان وجيرانهم بما يحملهم على القيام على ساق الجد فى حسم مادة فساد هذين الفاسدين، وأكدت فى ذلك لما أشرت إليه ورأيته من حال نواب الأجناس، فها نحن نعين من يتوجه لحسم هذه المادة بحول الله وقوته وهو واصل فى الإثْر إن شاء الله، وهو الذى يباشر هذا الأمر أولا ويرجع للوقوف على نازلة جرش إن شاء الله والسلام فى ٢٨ محرم عام ١٢٨٥».

وفيها كتب لبعض قواده على البربر بما نصه:

«خديمنا الأرضى القائد محمد بن محمد بن أحمد الشبلى وعزيز، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما دار بينك وبين وصيفنا الطالب إدريس بن المكى وما آل إليه الأمر من الصلح والمهانة ورجوع كل لمحله، كما علمنا ما ذكرته من انحياش القبيلة إليك واجتماعها عليك بسبب ما وقع من البارود حتى من كان فارا منهم بالجبال أو نازلا بالقبائل، وأنهم لما رجعوا للقبيلة أعطوا مساجينهم كما فعل إخوانهم.

وذكرت أنك غير مقصر وتباشر الأمر برفق ولين مهما أمكنتك فرصة تنتهزها حتى لا يكون إلا ما تحمد عاقبته إن شاء الله.

وأخبرت أنك بصدد التهيؤ للعيد معنا وصار كل ذلك بالبال، إلا أن آيت ولال لا زالوا على فسادهم، فلا بدّ اشدد الوطأة عليهم حتى تقضى الغرض فيهم بحول الله وقوته والسلام فى ٢٤ قعدة عام ١٢٨٥».

وفى سنة سبع وثمانين كتب لبعض قواده بما نصه:

«خديمنا الأرضى القائد الغزوانى الموسوى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فنأمرك بالتهيؤ للنهوض للحركة السعيدة بجميع خيل إخوانك الصحيحة كلها إن شاء الله، وعجل بها عزما ليجدكم العيد متأهبين، ويكون عيدا وحركة بحول الله وقوته، والعزم له بركة، وحين ننهض بحول الله تكون ملاقاتكم لنا بوادى أم الربيع، وسنعين لكم المشرع الذى يكون عليه عبورنا إن شاء الله تعالى والسلام فى ١٣ من صفر الخير عام ١٢٨٧».

وفى سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف وقع بآكدير ما وقفت عليه فى نسخة من كتاب لعله صدر من مولاى الحسن لبعض عمال أبيه المترجم ونصه:

«وبعد: فبعد ما كتبنا لك بما أخبر به وصيف سيدنا بوتيش من ورود الفاسد الحسن انكزرين مع مسكينة لآكدير وإرادتهم الدخول له والاستقرار فيه بقصد الفساد والإفساد، ومضاربة سكانه وجسمية معهم حتى منعوهم من الدخول له أعاد الفاسد المذكور غر مسكينة وأغراهم، وزين لهم ما يعود عليهم وباله فى دنياهم وأخراهم، وصاروا معه إخوانا، وعلى الشر أعوانا، ونهبوا جميع مواشى أهل آكدير وزاوية أبى القناديل ونازلوهم وحاصروهم وشدوا عليهم الطرقات والمسالك، حتى إنهم لا يجدون ما يقتاتون به وعزموا على الرحيل منه لأجل ذلك.

وعليه فبوصوله إليك شمر عن ساعد الجد فى ترويع سربهم، وتشتيت حزبهم، وحذرهم من شؤم عاقبة ما تصدوا لارتكابه ووخيم مآله، واسترع عليهم بأن آكدير إنما هو زاوية وسطهم فيها عدة المخزن وبيت ماله، وأهله لا يقدرون على الكر ولا الفر، وإن غرم ما فيه أن نهب إليهم يئول وعليهم يقصر، ولا يسامحون منه فى قلامة، ويلامون ويؤاخذون عليه أشد مؤاخذة وملامة، ومرهم برد ما أخذوه لسكانه ولأهل الزاوية المذكورة، إن أرادوا لنفسهم السلامة.

وقد وجهنا حامله ابن عمنا مولاى المهدى والطالب عبد المالك الردنى للوقوف مع من توجهه من قبلك على تشتيت عشهم وتفريق جموعهم ورد ما أخذوه لأربابه، والإشهاد على كل منهم بتوصله به، وإن حاز أحدهم شيئا مما نهب له ولم يشهد عليه فإنا لا نسلم رده إليه.

وقد كتبنا لخديم سيدنا الدوبلالى بمثل هذا فى شأن حاحا، فامض على ما أمرناك به وأنذر كبراء مسكينة وأعيانهم وسلهم هل صدر ذلك من رعاتهم بموافقتهم وإشارتهم أم لا، وما موجب سكوتهم إن لم يكونوا موافقين عليه، وهل

أيقنوا السلامة من المؤاخذة به كلا والله إن المصيبة لتعم، وكم من قوم هلكوا بسفهائهم، فليستيقظوا ويتداركوا ويتلافوا هذا الخرق، ولقد أعذر من أنذر، اللهم هل بلغت، ألهمهم اللهم رشدهم والسلام فى ٢٧ ذى القعدة الحرام عام ١٢٨٨».

وفى سنة تسع وثمانين أوقع ببنى موسى من تادلا لخروجهم عن طاعة عاملهم.

كما وقفت على نسخة من ظهبر تدل على أنه وجه فى السنة محلة للتسول للقضاء على فتنتهم ونص ذلك:

«وبعد فإن قبيلة الدسول طالما جمحوا فى ميدان الجسارة والطغيان، واتبعوا سبيل الشيطان، واشتغلوا عن أداء ما تعلق بذممهم من الواجبات والحقوق، والسلوك فيها مسلك العقوق، وارتكبوا من إذاية جيرانهم مركبا صعبا، وساموهم بأسا وحربا، وكثرت بهم الشكايات إلى على بابنا، وشرح مساويهم لشريف جنابنا، فأمرنا بإنذارهم وتذكيرهم، وتخويفهم من سطوة الله التى هى لكل ظالم بالمرصاد وتحذيرهم، وأعذرنا لهم رحمة بصبيانهم وضعفائهم وإشفاقا، وطلبا للهداية وإرفاقا.

فلما لم ينجح معهم عمل، وغرهم الإمهال والأمل، ولم يرد الله بهم خيرا لفساد نيتهم، وخبث طويتهم، وتعين زجرهم وقمعهم، وحملهم على الواضحة وردعهم، أمرنا المحلة السعيدة النازلة عليهم بالأخذ بمخنقهم وحصرهم، والتنكيل بهم والتضييق، والزحف إليهم وضربهم والمبالغة فى النهب والتحريق، فرجعت إليهم العساكر المنصورة، التى لم تزل ولا تزال بحول الله ألوية الفتح أمامها منشورة، وأحدقت بهم من كل جهة، وناوشتهم القتال من كل وجهة، واقتحموا عليهم الأوعار، والنجود والأغوار، ودخلوا عليهم فى أعز أماكنهم، ولم يقصروا من تحريق مداشرهم، وبقوا فى أيديهم بين قتيل وأسير، وجريح وكسير، وقطعت

منهم رءوس، وأتلفت مهج ونفوس، وشفى الله منهم داء، وأخذهم أشد ما كانوا اعـتدادا واعـتـداء، سنة الله فى كل من طـغى وبغى وحـاد، عن سبـيل الهـدى والرشـاد، وكل ذلك بقوة الله وحـوله، وفضله السـابغ وطوله، فلله الحمـد حق حمده، ولا نعمة إلا من عنده.

وأعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفرح بما منح الله سبحانه من النصر العزيز، والظفر الذى له فى الأقطار دوى وأزيز، ليعـتبر بما وقع بهم المعتبـرون، ويتذكر به المتذكرون، والسلام فى متم محرم الحرام ١٢٨٧».

وفى سنة تسعين كانت جـائحة النار بكثير من بلاد المغرب اجتـاح فيها خلق وضاعت أموال.

هذا وكانت أيام المترجم فى أولها أيام شدة وأهوال، ثم تبـدل عسرها باليسر واتسع الحال، وكثر البـذخ وعمت الخيرات وانتشرت العلوم والمعـارف بين طبقات رعيته، بسبب ما اختص به من الشغف بـذلك حتى صارت أيامه مثلا مضروبا بين الناس.

علائقه السياسية

من الضرورى أن العلائق السياسية هى أصل الدفاع الحبى ومركزه الأساسى، وقد وقـفت للمترجم من ذلك علـى ظهائر ووثائق مهـمة تنبئ عمـا وراءها فمن علائقه:

مع الدولة الإصبانية

معاهدة حدود مليلية المنعقدة بين النائب السلطانى السيد محمد فتحا الخطيب التطوانى والدون «خـوان بلنكودى البـاليا» فى تطوان يوم ٢٤ غـشت سنة ١٨٥٩ الموافق ٢٤ محرم سنة ١٢٧٦ (أى قبيل بيعة المترجم بأيام) حسبما وقفت على ذلك

بخط ترجمان سفارة إصبانية بطنجة، وسيأتى ذكرها فى المعاهدات الآتية بعد كما أنه تقدم ذكرها فى معاهد سنة ١٣٠٨ المذكورة فى الترجمة الحسنية.

ومن ذلك عقد المهادنة الواقعة عقب الوقائع الحربية المتقدمة الذكر وتعرف عند الإصبان بمعاهدة ٢٦ إبريل سنة ١٨٦٠ على ما يأتى فى الاتفاقيات الأخرى الموافق رابع شوال سنة ١٢٧٦ كما بخط الترجمان المذكور، وتشتمل عن مواد وشروط هذا مضمنها على ما عند صاحب الحلل البهية، فى ذكر ملوك الدولة العلوية:

الأول: خروج الإصبان من تطوان وتسليمها مع ما والاها من الأرض ويدفع لهم السلطان عشرين مليونا من الريال.

الثانى: يزاد للإصبان شىء يسير فى المحدة على سبيل التوسعة.

الثالث: تعيين جمعية من الجانبين للوقوف على الحدود عند الاحتياج لإصلاحها.

الرابع: أن يعين السلطان عاملا بمليلية وسبتة لمداومة المهادنة.

الخامس: أن يبنى الإصبان تحصينات على الحدود كيف شاءوا.

السادس: أن يلتزم السلطان بالإنعام على الإصبان بأرض تكفى للصيد والقنص بها على ساحل البحر المحيط (سنط كروز الصغرى) ليصطادوا بها وتعيّنها جماعة من الجانبين بحدها المتفق عليه[١].

(١) فى هامش المطبوع: «تأخر البت فى أمر هذه الأرض إلى عهد مولاى الحسن وكانت إسبانيا تطالب بتنفيذ هذه المادة فيطلب منها التأخير إلى أن كتب للنائب بركاش بأن كويدر الرجيلة هو المراد بسانط كروز وليس هو يفنى ونظرا لاتصال الدولتين ومحبتهما من قديم حتى أن جده مولاى عبد الرحمن آثر بالحجرة ووالده المترجم أنعم بكويدر الرجيلة فإن لها أن تبنى محلا لصيادة الحوت بيفنى على وجه الخير والإحسان لا على وجه الشرط=

السابع: المساعدة علـى تأسيس بناء دار للفرايلية (القسيـسين) بفاس وغيرها من البلاد التى يريدونها.

الثامن: إعطاء قطعة من الأرض بسـاحة القنصلية بتطوان لبناء[1] كنيسة بها قرب القنصلية.

التاسع: التزام توقير وتعظيم سكان ديار الرهبان والقسيسين فى المصارفة.

العاشـر: عقد وفق تجارى وإجـراء رعية إصبـانية على القواعـد التى يجرى عليها غيرهم من الدول الحائزين لتصرف الامتياز.

الحـادى عشـر: إذا تحرر الوفق الـتجـارى فإنه لا ينـتقض مـبرم الشـروط المذكورة.

=لأن «محالنا مـحالها ومحالهـا محالنا» فحينئـذ وجه النائب المذكور كتابا بذلك لسـفير الإصبان هذه نسخته:

«وبعد فقد أخبر المعينون من قبل سـيدنا أعزه الله للبحث عن السنط كروز ادرماريكيبا المتوجهـون مع المعينين من قبل دولة إصـبانيا الفخيـمة أنهم بحثوا فى تـلك المحال وذكر المعينون من قـبل إصبانيا أن أفنى هو اللائق لهم مع كـونه ليس هو بالسنط كروز حقـيقة والسنط كروز المحققة هى كويدر الرحيلة مـن غير شك ولا احتمال، وأما أفنى فليس هو السنط كروز من غير شك ولا احتمال كما كـان قرره السيد عبد السلام السويسى، حيث كان توجه سفيـرا لدولة إصبانيا فى شأن ذلك ولم تقع معارضة فـيه لكن من حيث مراد حضرة السلطان مولاى الحسن إظهار شهيـته فى حفظ المخالطة الحسنة الحبية وازديادها مع حضـرة السلطان ضن الفنس فلا يقع تردد فى تحـقيق السنط كروز ويسـاعد أيده الله لأن يجعل فى أفنى المحل لـصيادة الحوت المذكـور في الشرط الثامـن من شروط الصلح على مقتـضى ما هو مذكـور فى الفصل المذكور فلا شك عندنا أن دولة إصـبانيا ستـقدر هذا السلوك الحسن الحبى الصادر من الحضرة الشريفة لنحوها حق قدره والسلام فى ١٨ حجة ١٣٠٠».

(١) فى هامش المطبوع: «وقد بنيت بالفدان منها».

الثانى عشر: لا يمنع الإصبان من وسق الخشب من مراسى المغرب.

الثالث عشر: تسريح الأسارى من الجانبين.

الرابع عشر: القيام بأمر المهادنة.

الخامس عشر: إصلاح الحدود من جهة إصبانية(١).

السادس عشر: تعرض هذه الشروط على دول أوربا ليروا رأيهم فيها بالتسليم وعدمه وتنفذ بعد عشرين يوما من وقوعها.

وذكر أن الذى وافق عليها وأمضاها من الجانبين السيد محمد الخطيب، والسيد محمد بن عبد الملك الجبلى المفوض إليهما فى ذلك (ولويس غرشية) (وطماس لخليس بردجى) المفوض إليهما كذلك من دولتهما، إلا أن ترتيب المواد على هذه الكيفية وقع له فيه خلط وغلط حسبما ستفهمه من الإحالة على هذا الاتفاق فى المعاهدات الآتية بعد.

وبعد ذلك انعقدت المعاهدة التجارية المشار إليها بين الخليفة مولاى العباس والدون كلدرون عضو مجلس الشيوخ وأحد الوزراء السالفين بإصبانية، وهى تشتمل على أربعة وستين شرطا ونص عقدها بلفظه على ما فيه نقلا عن كناشة مولاى العباس:

«بسم الله القادر على كل شىء

إن جناب الأميرين العظيمين حضرة سلطان المغرب الشريف وحضرة سلطانة إصبانية الفخيمة أرادوا تسهيل مخالطة التجارة بين رعيتهما بغاية الاجتهاد على قدر احتياج الرعية المذكورة ومنافع بعضها ببعض، والملكين المعظمين المذكورين ظهر لهم موافقة ثابتة على ما يجب للقناصل الإصبنيول من الخصوصية فى أحكامهم

(١) فى هامش المطبوع: «وقد أصلح من جهة آنجرة حد سبتة وجانب البحر».

والاحترام والتبجيل المنعم لرعية إصبانية فى إيالة المغرب، حسبما وفق بالفصل الثالث عشر والرابع عشر من شروط المهادنة الموثوق بتطوان يوم السادس والعشرين إبريل سنة ستين وثمانمائة وألف، وبالفصل الخامس من الشروط المقررة بمدريد يوم ثلاثين أكتوبر سنة التاريخ.

فالمفوض من جانب الحضرة الشريفة سفيره المكلف بغاية تفويضه خليفة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين مولاى العباس، والمفوض من جانب حضرة السلطانة الكتولكية دون سترنين كلدرون كليانتس وزير الأمور الداخلية وأمور التجارة والعلم والمنافع البلدية كان وأحد أعضاء مجلس مشيخ الملكة والمفتخر بالنواشن العظام من الأصناف السلطانية لكرلوص الثالث ولاليسبات الكتولكية ولللجيون ذى انور الفرنصارية ولليوبلد البلجيكى وللحبر الأعظم بيو التاسع ولليس الهاس درمستادى ولدنبروك الدنماركى وللنجمة القطبية السويدية وللمقدس جنار ذو الاسقليتين وللكنثبثيون البليابسيوسية البرتقيسية وللقولفين الانبرية وغيرهما وأول وزير المملكة فهؤلاء شرفاء المقام بعد إظهار بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الانفصال على وفق ما بالفصول الآتى ذكرها حوله:

الشرط الأول:

إن الصلح والمحبة تكون دائما مؤبدة بين حضرة سلطان مراكش وحضرة سلطانة إصبانية وبين رعيتهما.

الشرط الثانى:

إن جانب سلطانة إسبانية تقدر تعين قنصوا عام أو قونصوات آخرين أو خلفاء أو خليفة الخلفاء فى إيالة الغرب كله، وهذه النواب المذكورين يقدروا يسكنوا فى أى مرصة كانت أو مدينة من المدن الذى تختارها الدولة الصبنيولية أو تناسب أخيار خدمة السلطانة.

الشرط الثالث:

أن نائب المفوض الصبنيول أو نوابهم الذى يأتى بأمر سلطانته بكتابها لسلطان مراكش والقـونصوا العام أو القونصـوات الآخرين أو خلفائهم أو خلفـاء خلفائهم الصبنيـولين الذين يسكنون فى ناحية الغـرب، يكون لهم الاحترام ومـوقرين على قدر مرتبتهم هما وعيالهم وأصحابهم وخدامهم موقرين محترمين فى الحماية، ولا يقدر أحـد يصلهم بمكروه فى أقل المسائل لا بالفعل ولا بالكلام، وإن خـرج أحد على مـا ذكرناه تلزمه الـعقوبة الشـديدة ويتربى بـه غيره، والنائب المـفوض وهو قونصـوا العام يقـدر يجعل الـترجمـان والخدم من المسلمـين أو غيـرهم ولا يلزم الترجمان عنه والخدام له شيئا من الجزية والغرامة ولا ما يشبه ذلك.

وأما القونصوات الذين هم خلاف النائب المـذكور المستقرين بالمراسى لهم أن يختاروا ترجمـانا واحدًا وبوابًا واحدًا واثنين متعلمين من المسـلمين أو من غيرهم، ولا تلزمهم الجزية أو الغرامة أو ما يشبه ذلك، وإذا جعل النائب المذكور خليفة فى خـدمة قـونصوات بمراسى سلـطان مراكش من رعـية السـلطان يكون هو وعيـاله الساكنين بداره موقرين محترميـن، ولا تلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، ولا يكون له أحدا تحت حمايته من رعيـته هذه الإيالة الإعياله فقط، ويأذن النائب المذكور للقـونصوات المذكورين فى اتخاذ مـوضعا لصـلاتهم، وفى جعل السنجق لجنسهم فى كل وقت بأعلى ديارهم الذى تكون بأيديهم داخل المدينـة أو خارجها، وفى زورقهم إذا ارتحلوا فى البحر.

ولا يلزم النائب والقـونصـوات المذكورين صـاكة علـى حوائجـهم وأثاثهم ومسـائلهم التى ترد عليـهم لإيالة السلطان مراكش لأنفـسهم ولأهل أقـاربهم فى الإيالة المذكورة وللنـائب والقونصوات المذكـورين حيث يصلوا حوائـجهم وأثاثهم للمرسى يحتاجـون أن يوجهوا إلى الأمين خط أيديهم بالتاريخ، يذكر فـيه عدد ما

يريدون جـوازه من حـوائجـهم، وهذا الإنعـام لا يكون إلا للقنصـوات الذين لا يتجـرون، وإذا دعتهم خدمـة سلطانهم أو وجه آخر إلى خروجـهم لا يمنعون من ذلك بوجه من الوجوه، ولا يثقفوا لاهُما ولا خُدّامهم ولا حوائجهم ولا أمتعتهم، بل هم على حريتهم فى ذهابهم وإيابهم موقـرين مكرومين، وللنائب والقونصوات المذكورين لهم مـا يكون فى المسـتقبل لنواب وقونصـوات الأجناس من الزيادة فى ذلك.

الشرط الرابع:

رعية حضرة سلطانة إصبانيا لهم أن يـسافروا ويستقروا ويسكنوا حيث شاءوا بإيالة سلطان مـراكش دون تعرض ولا منع من أحـد نعم يتبـعوا فى ذلك قـانون حاكم البلاد مثل رعية خاصة الأجناس.

الشرط الخامس:

إذا اشتـرى أحد من جنس الصبنيـول دارا أو مخزنا أو أرضـا بإيالة سلطان مراكش، وأذن له الولاة فى ذلك يتصرف فى ملكه كيف شاء بأنواع التصرفات ولا يمنع، وكذلك إذا اكترى أحدهم حانوتا أو دارا أو غيرهما إلى أجل فلا يخرج قبل تمام مدته بزيادة عليه أو بغـير زيادة حتى يكمل أجله، وكذلك المسلمـين من رعية سيدنا إذا اشـتروا أو اكتروا بأرض إصبانيـة ورعية الصبنيول لا يغصـبهم أحد ولا يقبض منهم ذعيرة ولا تلزمهم خـدمة المخزن برا أو بحرا، ولا يطلبون منهم سلف كرها أو إعطاء شـيئا دون خـاطرهم وديارهم ومخـازنهم. وجميع مـا ملكوه وما قربهم للسكنى أو للتجارة، يكونوا موقرين.

وعامل البـلاد الذى يكون بها لا ينزل عندهم أحـد ولا يسكنوه فى ديارهم كرها، ولا بحث ولا تفـتيش فى ديار الصبنيول ولا فى كنانشـهم ولا فى تجارتهم

ومكاتبهم وكـواغطهم إلا بإذن القونصوا وبموافـقته أو نوابه فـقط، وعلى كل حال عهد سلطان مراكش بأن رعية الصبنيول المستقرين بإيالته ونواحيه لهم الحق والأمان على أنفسهم وأمتعتهم مـثل ما يكون لرعية سلطان مراكش فى حكم أرض سلطانة إصبانيـة، كما عهدت سلطانة إصـبانية بأن رعية سلطان مـراكش يكون له بإيالتها الحماية والإعانة مثل ما يكون لرعية خاصة الأجناس.

الشرط السادس:

رعيـة سلطانة إصـبانيـة لا يقدر أحـد يمنعهم من صـلاتهم فى ديارهم أو جوامـعهم فى شـأن دينهم فى أى موضع يكون بهـا، ويكون لهم فى المحل الذى يكون به موضعا لمقابرهم ولا يتعرض لهم أحد من حكام رعية سلطان مراكش فى ترتيب دفن مـوتاهم ذهابا وإيابا ومـقابرهم يكونوا مـوقـرين من جمـيع الرعيـة، وكذلك رعيـة سلطان مراكش القاطنين فى إصبانيـة لا يمنعهم أحد من دينهم ولا من صلاتهم فى ديارهم مثل ما صار الآن.

الشرط السابع:

أن رعية إصبانيا تقدر تجعل خديما أو شريكا وتبعثه أين ما أراد بقصد تجارته برا أو بحرا فلا يمنعهم أحد من هذا ولا يتعرض له أحد، وإذا أراد تاجر من رعية الصـبنيول وأراد أن يذهب لمركب فى مـرسى من مـراسى سلطان مراكش وكـانت المركب خارجة المرسى، فله أن يطلع لها بنفســه أو بمن من أصحابه لا تلزمه غرامة على ذلك لا هو ولا أصحابه.

الشرط الثامن:

كل من هو من رعيـة سلطانة إصبانيـة أو من هو فى حمايتـها لا يلزم بأداء دين ترتب على غيـره من أهل جنسه إلا ما كـان ضامنا له من ذلك برسم أو بخط

يد، وكذلك ما يكون من الديون لرعية سلطان مراكش القاطنين فى إصبانية لا يلزمهم مثل ما ذكر.

الشرط التاسع:

إن كان أحد من رعية سلطانة إصبانيا بالغرب وصدر منه ظلم لأحد مثل السب والجراحات وهتك المروة او قتل أحد يرفع لقونصوا العام أو لخليفته أين ما كان هو يزجره، وله النظر فيه على مقتضى حكم بلاده أو يبعثه إلى إصبانية مقيدا.

الشرط العاشر:

أن أحدا من رعية إصبانية إذا وقع بينهما خصام فقونصوا العام أو خليفته هو يتصرف فيهم، ولا يتكلم فى شأنهم أحد من ولاة سلطان مراكش لا قاضى ولا عامل ولا أحد من رعيته.

الشرط الحادى عشر:

فإن جميع الدعاوى والشكايات وجميع خصومات الشرع أو أسباب الخصام الذى يصدر بين رعية سلطان مراكش ورعية سلطانة إصبانية ففصالهم كما سيذكر فيما هو آت، وذلك إذا كان الشاكى من رعية سلطانة إصبانية والمشتكى به من رعية سلطان مراكش، فإن حاكم البلاد ونواحيها أو القاضى حسبما هو لائق بالدعوى، يكون له الحكم فيها فقط.

وعليه فإن كان صاحب الدعوى من رعية سلطانة إصبانية يرفع شكواه للحاكم أو للقاضى لمن يكون له الأمر بواسطة صاحب قونصوا العام أو وكيله، ولهم الحضور فى محل الحكم على الدعوى، ومثل ذلك إذا كان الشاكى من رعية سلطان مراكش والمشتكى به من رعية سلطانة إصبانية يرفع لمحل الحكم والفصال

لقونصـوا العام أو لخليفتـه أو نائبه فقط، بواسطة صاحب العـامل أو القاضى من رعية المغرب، فـإن لم يرضون بحكم الحاكم والقاضى والقونصو والخـليفة فالحكم الواقع عليهم يرفع أمرهم لنائب السلطانة أو نائب سلطان الغرب.

الشرط الثانى عشر:

إذا أحد من رعيـة الصبنيول طلب أحد من رعـية سلطان مراكش لدى ولاة إيالته على دين ترتب عليه من أحكام سلـطانة إصبانية، فإنه ينبغى يسـتظهر بحجة كتابة بالعجـمى أو بالعربى، ونزل عليها صاحب دعواه خـط يده أمام القونصوا أو خليفـته أو نائبه المتـولى من جانب سلطان مراكش، وشـهد عليه بذلك القـونصوا المذكور، أو لدى شهيدين من أى جنس كانوا ومعرفا بالقونصوا المذكور أو نائبه فى الحين أو بعـد الحين، أو بشهادة عـدل من إصبانية حـيث تكون المعاملة بأرض لم يكن بها قونصوا ولا خليفة من سلطان مراكش.

وهذه الحجة المذكـورة حيث يكون شاهدا عليها القونصـوا أو نائبه أو العدل على خط يد عامـر ذمته كـما ذكر، فإنهـا تكون جارية مقـبولة لدى الولاة المدعى عندهم، وإذا أحد المديانين من رعية مراكش فر وهرب لبلد من إيالة مراكش وليس بها قونصوا من إصبانية ولا خليفتـه فإن دولة الغرب تبحث عليه وتوجهه لطنجة، وإلا لمرسة أخرى غصبـا عليه باقتضاء نظر الدعوى لأى مرسة شـاء، وفيها يصفى أمره على يد عامل البلد، وكـذلك إذا جر أحد من رعية إصبـانية بدين لأحد من رعية سلطان مراكش وتوجه إلى إصبانية فـيجب على قونصوا العام أن يبحث عليه ويقبض منه الدين ويدفعه لصاحبه.

الشرط الثالث عشر:

إذا قونصوا الصبنيول العام أو خلفائه احتاجوا من دولة الغرب إعانة لهم فى القبض أو الحمل لأحد من رعية إصبانية، فإن الولاة يعينهم بالمخازنية والعسة والفلائك بسلاحهم لذلك وتكون سخرتهم مثل ما يعطون رعية سلطان مراكش.

الشرط السادس عشر:

إن كل دعوة كبيرة أو خصومة أو أسباب الشكايات التى تصدر بين رعية الصبنيول أو رعية الأجناس، لا يدخل ولا يبحث فى دعواهم قواد ولا قضاة ولا غيرهم من ولاة مراكش، نعم إذا ظلم أحد من رعية مراكش فى ذلك الدعوى فى نفسه أو فى متاعه فلهم الدخول حينئذ ويكون حاضرا أحدا من ولاة المسلمين أو من ينوب عنه لمحل الحكم بموضع القونصوا، وجميع هذه الدعاوى يكون الفصل فيها لدى القونصوات فى محل خدمتهم فقط دون دخول ولاة مراكش فى ذلك، ويكون الفصال والحكم على مقتضى القوانين المعلومين أو بما يقتضيه نظر القنصوات المذكورين.

الشرط السابع عشر:

وقع الفصال وانعقد بين الجانبين العظيمين بأن لا يقبلوا فى خدمتهم ولا يستقر بإيالتهم أحد من رعية الجانبين الذى كان فى خدمة جنسه وفر منها، سواء كانت خدمته بالبر أو البحر عسكرا أو بحرية أو خدام بالكراكه وفر منها لما يهرب أحد من هؤلاء من إصبانية للغرب يقبض عليه عامل البلاد ويدفعه ليد قنصوا العام، أو القنصو يتصرف فيه بما عنده من الدولة الصبنيولية، وإذا دفع عامل البلاد شيئا على الفارين المذكورين لأعوانه أو ما صرفه عليهم فى أكلهم فإن القنصو يدفع له ذلك نعم إذ قدم أحد من هؤلاء المذكورين وأراد الدخول فى الإسلام فإن عامل

البلاد لا يقبله منه بهذا وقع الفصال وانعقد بين الجانبين، فإذا سمعوه رعية الصبنيول أن الشرط بين الدولتين أن لا يقبل أحد منهم ولا يتركوه يدخل فى الإسلام يكفوا عن الهروب والخروج من أوطانهم.

الشرط الثامن عشر:

إذا ورد مركب الصبنيول لمرسى من مراسى المغرب وفر منها بحرى من إيالة الصبنيول وبحث عليه قنصو العام أو خليفته فعامل ذلك الثغر يعينه على قبضه إلى أن يمكنه له، ولا يحمى ولا يعينه أحد وكذلك، مركبا من الغرب إذا قدمت لبر إصبانية وفر منها بحرى مسلما وبحث عليه رايس المركب أو القنصوا إن كان للمسلمين هناك يعينه عامل البلاد حتى يقبضه ويمكنه للرايس أو القنصو، ولا يحمى ولا يعينه أحد.

وكذلك وقع الفصال بين الجانبين الدولتين أن بحرى من رعية الصبنيول كان يخدم فى مركب من مراكب الغرب وقدم لمرسى من مراسى الصبنيول وفر بنفسه، فإذا طلبه قنصو الغرب أو خليفته فعامل البلاد يعينه ولا يمكنه له ويذهب حيث شاء، وكذلك بحرى من رعية المسلمين إذا كان خدام فى مركب من مراكب الصبنيول وقدم لمرسى من مراسى المغرب وفر بنفسه فإذا طلبه قنصو الصبنيول أو خليفته فعامل البلاد يحميه ولا يمكنه منه ويذهب حيث شاء، ومثلهم الوصيف المغربى إذا فر لبر إصبانية يمنع نفسه.

الشرط التاسع عشَر:

رعية سلطانة إصبانية كائنا من كان إذا كانوا فى إيالة سلطان مراكش فى وقت الصلح أو فى وقت الحرب، فلهم الحرية الكاملة فى ذهابهم لبلادهم أو لبلدة أخرى، وفى ركوبهم فى أى مركب من مراكب الصبنيول، أو مراكب الأجناس،

ولهم أيضا التصرف كيف شاءوا فى سلعهم وأموالهم وغير ذلك من أنواع التصرفات، ولهم أن يصبحوا معهم جميع المسائل المذكورة ويحملون معهم عيالهم وخدامهم.

وإن كانت نشأتهم وتربيتهم فى بر المغرب أو فى موضع خارج عن إيالة إصبانية من غير أن لا يتعرض لهم أحد بمنع وتثقيف، لكن بشرط أن لا يخرج من المحل الذى يكون فيه حتى يعلم القنصو أو خليفته بسفره، ليختبر القنصو أمره هل بذمته دين أو مخالطة مع أحد يلزمه الجلوس بالمحل الذى كان به إلى أن يصفى أمره ويذهب حيث شاء، والقنصوات والخلائف لا يؤدوا شيئا على أحد من رعية الصبنيول إلا إذا كان بخط يد القنصو أو الخليفة، ومثل ما ذكرناه فى هذا الفصل كله يكون لرعية سلطان مراكش القاطنين بحكم إصبانية.

الشرط العشرون:

جميع رعية سلطان مراكش إن أراد أحد منهم يسافر لبر إصبانية لا بد لقنصو العام أو الخلفاء يجعلوا له البسبرط ليقبلوه فى إصبانية، وإذا ذهب من غير بسبرط لا يقبلوه أصلا ولا يلزمهم شيئا على البسبرط.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا وقع نقض لهذا الصلح والمحبة التى بين الجانبين وجاء من ذلك حرب، فجميع إيالة إصبانية ورعيتها ومن فى حمايتها ممن هو داخل إيالة سلطان مراكش فى أى مرتبة كان يكون لهم الذهاب لأى ناحية ارتضوها من الدنيا، ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم وخدامهم، سواء خلقوا بإيالة سلطانة إصبانية أم لا، ولهم الركوب فى أى مركب أرادوا من مراكب الأجناس، ويكون لهم الأجل فى ذلك ستة أشهر لمن طلبه لصلاح أمورهم، وبيع سلعتهم، أو يفعلوا بها ما شاءوا فى

خاطرهم، ولهم فى خلل تلك المدة الحرية الكاملة والأمان التام على أنفسهم وأموالهم من غير أن يتعرض لهم بمكروه أو منع بسبب ما ذكر من الحرب أو غيره، وللولاة إعانتهم ومساعدتهم فى صلاح أحوالهم والوقوف معهم فى قبض ديونهم من غير مماطلة ولا مكافحة ولا مهلة فى شيء من ذلك.

ومثل ذلك كله لرعية سلطان مراكش فى جميع حكم سلطانة إصبانية، وإذا وقع الحرب بين الدولتين وقبض أحد فى مدة الحرب أو العسكر أو البحرية ويتخذوهم أسارى فيكون لهم التوقير من الجانبين، ويرد بعضهما لبعض من غير اختيار، سواء كان كبيرا أو صغيرا، وهذا الرد الذى يكون بين الجانبين فى رد الأسارى يكون فورا، وهذا الرد المذكور يكون قبل السنة طال الحرب أو انقطع من يوم قبضهم، ومن رد أسيره يقبض خط يد الدولة به إلى أن يقع بين الدولتين الاعتدال، ولا يقع فيهم بيع ولا شراء من الجانبين.

وأما الكهال والنساء والصبيان لا يعدون من الأسارى بمجرد قبضهم يعتقوهم من حينهم، ويجعلوهم فى مراكب ليس لنا ولا لهم مثل الأرض المحرومة، ويذهب كل واحد إلى أرضه، وجميع ما صرف على هذه المعتوقين تؤديه دولتهم عنهم، وكذلك واعدت سلطانة إصبانيا أنها وافقت على الشرط المذكور، وبهذا وقع الفصال بين السلاطين وعقد كلامهم عليه، وإذا انقطع الحرب وبقى الزائد من الأسارى عند أحد من الدولتين من عنده خط يد بأسير يرده من غير نزاع ولا مطالبة، وبهذا انقطع الكلام.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا مات أحد من رعية سلطانة إصبانية فى إيالة سلطان مراكش فجميع أموالهم وأمتعتهم لا يتصرف فيها أحد من قبل عامل البلاد المتوفى بها على أى وجه كان، ولا يثقف عليه، ولا يبحث فى أموره، بل جميع أموال الميت وما كان

تحت يده وفى حوزه من الأمتعة يحوزه ويأخذه وصيه الذى سماه فى وصيته واختاره لذلك كورثته إن كانوا حاضرين، فإن كان الواصى أو الورثة غير حاضرين، فإن قنصوا العام أو خليفته هما يأخذوا ذلك جميعا بعد أن يحصيه فى رقام مبين فيه كل مسألة بعينها، ويجعل ذلك فى حوزه حتى يدفعه لورثته أو لأقاربه، وإذا ترك الميت دينا على أناس من رعية المغرب، فإن عامل البلاد أو غيره ممن له التصرف فى تلك البلاد يقوم المديانين أن يدفعوا الدَّين الذى عليهم للقنصو أو نائبه، وكذلك إذا كان على الميت دين لأحد من رعية المغرب، فالقنصو أو نائبه يقف له على متاعه حتى يقبضه.

وإذا مات أحد من رعية المغرب فى حكم إصبانية فالعامل أو خليفته فى البلاد الذى توفى بها هو يقوم بأمره ويحفظ جميع متروكه، ويخبر به قنصو العام الذى بالمغرب، ويوجه له نسخة من متروكه والقنصو يخبر ورثته بوفاته ومتروكه إلى أن يتوصل كل وارث بواجبه من غير أن يضيع لهم شيء.

الشرط الثالث والعشرون:

أن مراكب الدولتين يقدرون يرسون فى أى مرسة شاءوا من مراسى إصبانية أو مراسى المغرب، ولا يتعرض لهم أحد من الجانبين، وأما مراكب بزرقان من الجانبين لهم لما يريدون السفر يحملون معهم كواغيط العادة من عمالهم ويقدر يرسى فى المراسى المذكورين قدر ما يحتاجوا فى أمور تجارتهم.

الشرط الرابع والعشرون:

أن جميع مراكب المغرب الحاملين السلعة من مراسى المغرب إلى مراسى إصبانية لازم عليهم يقيد الرايس جميع ما وسق فى مركبه من المرسى الذاهب منها فى قائمة، وينزل عليها خط يده، والقنصو يجعلها فى غشاء ويختم عليها باثنين

طوابع، وينزل عليها شكله ويدفعها للرايس ليقابل بها أمين المرسة الذاهب لها، ويقبض من القنصو أو الخليفة البطينطة ليسافر بها.

الشرط الخامس والعشرون:

اتفق سلطان مراكش وسلطانة إصبانيا أن رياس القوارب من أهل الريف لا يقدرون يسافرون فى البحر حتى يذهب لثغر من ثغور الصبنيول الذين هم فى ساحل البحر الصغير، ويقبضون منه البسبرط، وإذا كان قارب من أهل الريف خارجا عن بلاده فى مرسى أخرى فإذا كان قنصو الصبنيول فى تلك المرسة يأخذ منه البسبرط ويسافر، وإذا ما كان بها قنصو يذهب للمرسى التى بها القنصو القريبة إليه ويقبض منها البسبرط ويسافر لبلاده، وهذا كله إذا ظهر فى ثغر من الثغور المذكورين لا يتعدى عليه أحد وبهذا ينقطع عنهم الفساد والبسبرط الذى يقبضوا من العمال أو من القنصوات أو الخلفاء لا يدفعوا شيئا عليه.

الشرط السادس والعشرون:

جانب سلطانة إصبانية وسلطان مراكش اتفقوا أن يصرفوا جهدهم فى البحث فى جميع الطرقات على قطع الزمنطوط، وخص بهذا سلطان الغرب ذكر أنه يبالغ جهده فى البحث عن هؤلاء المذكورين المشتغلين بالفساد برا أو بحرا، ولما يقبض عليهم يؤدبهم ويزجرهم على قدر فعلهم ويكون إعانة لسلطانة إصبانيا عليهم.

الشرط السابع والعشرون:

لقدر دوام محبة الدولتين اتفقوا على أن من ركب من رعية سلطانة إصبانية فى مركب لجنس آخر هو فى الحرب مع سلطان مراكش وقبضها قرصان المسلمين، فما وجد فى تلك المراكب المغنومة من رعية الصبنيول وأمتعتهم ودخل بها لمرسة

من مراسى الغرب، فبوصوله يقدم عند قنصو العام أو خليفته ويدفع له ما وجد فى ذلك المركب المذكورة، وإذا كانت فيها بضاعة من غير صاحبها كل ذلك يدفعه للقنصو، وإذا وافقته الطريق على بر إصبانية ينزلهم فى أى مرسة كانت قربه ويدفعهم لعامل ذلك المرسة.

وإذا لم يساعده الحال لا يذهب إلى المغرب ولا إلى إصبانية ينظر مرسة من مراسى الصلح الذى يجدها فى طريقه أمامه وينزلهم بها هما وبضاعتهم وأمتعتهم على وجه الأمان والحفظ.

ومثل ذلك تفعل سلطانة إصبانية برعية الغرب هما وأمتعتهم وبضاعتهم على خط السواء، كذلك إن وجد أحد فى مركب الصبنيول من الجنس الذى نحن معه فى الحرب يوفره من جانب الذى هو تحت السنجق متاعهم، ونحن فى الصلح لكن إن كان بيده البسبرط صحيح وسلعته كذلك ليس عنده السلعة الممنوعة فى وقت الحرب.

الشرط الثامن والعشرون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول عنده بطينطة صحيحة وغنم مركبا وامتنع بها إلى مرسة من إيالة سلطان مراكش فلهم أن يبيعوا ذلك المركب المغنوم والسلعة المغنومة من غير أن يمنعهم أحد من ذلك، ولهم أن يذهبوا بغنيمتهم ويخرجوا بها إلى حيث شاءوا.

الشرط التاسع والعشرون:

وإن كانت مركبا قرصان أو بزرقان للجانبين فى ثغر من ثغور إصبانية أو ثغور المغرب المحصنين وقدم لها مركبا هو معها حينه فى الحرب، فإن الثغر الذى هو فيه يحميه بمدافعه ويمنع مراكب العدو من الخروج من ذلك الثغر عن المحاربة حتى تخرج المركب أو القرصان من ذلك ويبقى امرسى بعده أربع وعشرين ساعة، وبعدها يخرج إلى ما شاء.

وكذلك الجانبين اشترطا إذا كانت مركبا امرسيه بساحل إصبانية أو سواحل المغرب، وكان ذلك الساحل قصير ولا تقدر تدخل للمرسة وأراد يغنمها قرصان العدو من أحد الجانبين داخل الثلاثة أميال أو قرب الشط، فإن جنس ذلك المركب المغنومة يطلبها لجنس ذلك الساحل، لأن المركب كانت تحت رمايته.

وإذا قدم العدو لمرسى من مراسى إصبانية أو المغرب وصحب فى يده مركبا قبضها فى وسط البحر قرصان وأراد بيعها فى تلك المرسة فلا يبيعها، ولا يبيع ما فيها المركب الذى كانت مرسية فى قرب الشط المذكورة وكتمت ودخل بها لمرسة من مراسى الجانبين وثبت أنه أخذها، وهى مرسية يمنع منها ولا يتصرف لا فيها ولا فيما هو بداخلها.

الشرط الثلاثون:

إذا مركب الصبنيول قرصان أو بزرقان رست بمرسى من مراسى سلطان مراكش أو بساحل إيالته واحتاجت إلى المئونة ما يكفيها لبحريتها فقط بالسعر المعلوم لا يزاد عليه فى ثمنها، ولا تلزمه صاكة عليها، وإذا لم يقدر يخرج من المرسة يأخذ ما يكفيه فى مدة إقامته بها من المكولات والمشروبات مثل ما ذكر إلى أن يسافر.

الشرط الحادى والثلاثون:

مراكب الجانبين قرصان أو بزرقان لما يكونوا فى جو البحر وتلاقوا بينهما واحتاجوا إلى الأكل والشرب أو حاجة أخرى لإقامة سفرهم وهى عنده فلا يمنعه منها بثمنها المعلوم.

الشرط الثاني والثلاثون:

المراكب المكتريين على أمر الدولة الصبنيولية لحمل المكاتب المخزنية أو غيرها تكون موقرة محترمة مثل القرصان إذا لم يصحبوا معهم السلعة بقصد التجارة ذهابا وإيابا من مراسى المغرب، وإذا صحبوا معهم السلعة يلزمهم ما يلزم البزرقان.

الشرط الثالث والثلاثون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول توجهت لساحل من سواحل المغرب ولا أرادت تدخل المرسة ولا تبيع وسقها، فلا يلزم عليه أحد أن يبحث فيه ولا يفتشه بوجه من الوجوه، لكن تقع عليه العسة بإذن أمين القمرق، ما دام رامى مخطافه لئلا يقع منه الكنطربانض.

الشرط الرابع والثلاثون:

إذا مركبا من مراكب سلطانة إصبانية قدمت لمرسة من مراسى المغرب وهى موسوقة، فإن أرادت تنزل البعض من الوسق المعين لتلك المرسى لا يلزمها القمرق إلا على الذى أنزلته بتلك المرسى، وأما ما بقى فيها لا يطالب فيه القمرق وتذهب به لأى مرسة شاءت ببقية الوسق الذى بها ورايس المركب لازم عليه يدفع لنواب أمين القمرق قائمة الوسق الذى فى مركبه عند وصوله للمرسى من مراسى مراكش، فبمطالعته يقع البحث فى المركب فى الدخول والخروج والعساس يكون بها من أجل الكنطربانض.

وكذلك مراكب إيالة مراكش لما يذهبوا لمراسى إصبانية يكون لهم مثل ما ذكرنا على خط السواء، ورياس مراكب الصبنيول لما يريدون السفر من مرسى من مراسى المغرب يأخذ من القنصو أو الخليفة الشهادة بالوسق الذى عنده فى مركبه ليظهر ما عنده، فإذا رسى بمرسى أخرى من مراسى المغرب وذكر له نائب المرسى

أن يطالعه على الشهادة الذى بيده لئلا يكون عنده الكنطربانض فيطالعه عليها الرايس، وهذا كله فى انقطاع الشك من أجل الكنطربانض.

الشرط الخامس والثلاثون:

لا يلزم رياس مراكب سلطانة إصبانية فى مراسى المغرب، ولا يلزم رياس مراكب سلطان مراكش فى مراسى إصبانية أن يحمل أحدا من الناس ولا من السلعة كائنا من كان بوجه من الوجوه إلا بخاطره، وكذلك لا يلزمه أن يسافر إلى بلد لا يريد السفر إليها ولا يثقف مركبه بوجه من الوجوه.

الشرط السادس والثلاثون:

إذا اكترى أحد من رعية سلطان مراكش مركبا من مراكب رعية الصبنيول، على أن يحمل فيه سلعة أو أناسا من بلد إلى بلاد أخرى من إيالة المغرب، وهاج عليها الريح والبحر ذلك المركب فى حال سفره ودخل إلى مرسى، فإنه لا يلزم رايس المركب إعطاء واجب مخطاف ولا صاكة ولا غير ذلك بسبب دخوله لتلك المرسى ما لم ينزل شيئا أو يحمله، فإذا نزل شيئا أو حمله يلزمه ما يلزم مراكب الوسق.

الشرط السابع والثلاثون:

مراكب رعية سلطانة إصبانية التى وقع بها مضرة فى البحر ودخلت لمرسى من مراسى سلطان مراكش بقصد الإصلاح، فإنهم يقبلوها ويعينها بكل ما تتوقف عليه من الآلات فى مدة مقامها بتلك المرسة، وسفرهم للبلاد التى قصدوها إن كانت الآلات موجودة فى تلك المحل، ويشترونها أهل المركب لأنفسهم كما يشتريها غيرهم، ولا يثقفون ولا يمنعون من سفرهم بوجه من الوجوه.

الشرط الثامن والثلاثون:

إذا مركبا من مـراكب الصبنيول قرصان أو بزرقان حـرث أو تكسر فى ناحية من نواحى إيالة سلطان مراكش فـله الاحترام والإعانة فـيما يحتـاج إليه بما يوافق المحبـة، وهذا المركب كله بجـميع ما فـيه يكون فى الأمن والحـفظ إلى أن يرجع لأربابه أو القنصو أو خليـفته أو نائبـه حتى لا يتبدد ولا يضـيع شيئـا منه والسلعة المغروقة إذا طلعهـا صاحبها للبر وأراد بيعهـا هناك أو فى ناحية مراكش فله ذلك، ولا يتعـرض له أحد بمكروه ولا يدفع على ذلك لا قـمرق ولا غيـره، وكذلك إن أراد وسق سلعته لبلاد أخـرى فله ذلك، ولا يلزمه شىء، ورايس المركب وبحريته يذهبون حيث شاءوا ولا يمنعهم أحد فى أى وقت أرادوا.

ومراكب المغرب قرصان أو بزرقان لما يحرث لهم شىء فى ناحية من نواحى إصبانية يكون لهم مثل ما ذكـرناه على مراكب الصبنيول، وإذا غرقت أو انكسرت مركـبا أو قرصـان من إيالة الصبنيـول فى ناحية من نواحـى وادنون، فإن سلطان مراكش يبالغ جـهده فى منع رائسه وبحريته، ويكون لهم الاحـترام إلى أن يذهبوا إلى بلادهم، وللقنصو والخليفة بموافقـة سلطان مراكش يبحثون على من حدث له ذلك من رياس أو بحرية، ويكون له معينا إلى أن يمنعـوا، وكذلك عمال مراكش وخلفائهم يكونوا أيضا معينين فى البحث لقدر المحبة.

الشرط التاسع والثلاثون:

أن مراكب الصبنيول بزرقان لما ترسى فـى مرسى من مراسى المغرب يلزمهم على المخطاف من عشرين بليون إلى ثمـانين من البليون، لكل واحد على قدر كل مركب حسبما نذكره أسفله فيـما يدفعه الرايس على مركبه من طنلدات واحدة إلى خمـسين يـدفع عشـرين من البليون، ومن الخـمسـين إلى مائة يدفع أربعـين من

البليون، ومن مائة إلى مائـة وخمسين يدفع ستين بليون، ومن مـائة وخمسين إلى أعلاها يدفع ثمانين بليون.

الشرط الأربعون:

أن مراكب الصبنيـول لما يقدمون لمراسى مراكب المغرب لا يطالبون بـأكثر ما يدفعونه للبلوط أو لقائد المرسى مراكب المغرب أو رعية خاصة الأجناس، ولا يقدر يزاد شيئـا على هذا القانون الذى سنذكره، وإن زاد جنس آخر على مـا نذكره فلا علينا فيه، إن قدمت مـركبا من رعية الصبنيول لثـغر الرباط والعرائش لابد لعامل الثغـر يبعث البلوط للمـركب ليدخلها للمـرسى، ولما يرسى لازم على الرايس أن يدفع للبلوط أجرته على كل طنلادة ثمانين جزءا من البليون والبليون من مائة جزء ومثله فى الخروج.

وإذا ظهر فى مرسى أخرى من مـراسى المغرب وأراد يدخله البلوط فليخرج إليه، ولما يدخلـه يقبض منه أربعين جـزءا من البليون، ومـثله فى الخروج ورايس المرسى يقبض على كل مركب صغيرة أو كبيرة ثمانية بليون لا غير فى مرسى رسى فيها من مراسى المغرب.

الشرط الحادى والأربعون:

مـراكب الصبنيـول لما يدخلون لمرسى من مـراسى المغـرب من كثـرة الريح وهيجان البحـر لا يلزمهم شىء لا مخطاف ولا غيره إن لم يبيـعوا ولم يشتروا فى الدخول ولا فى الخروج، وفى شأن ما يلزم البلوط العـمل فيه على ما فى الفصل الذى قبله، وأما فلانك الحواتة لا يلزمهم شىء مما ذكرناه.

الشرط الثانى والأربعون:

قراصين الصبنيول وقـراصين المغرب إذا دخلوا لأى مرسى شاءوا من نواحى

الجانبين، فلا يلزمهم شيء لا مخطاف ولا قائد المرسى ولا غيره، وجميع ما يطلبونه من الأكل والشرب والحطب والبياض والفريشك وما يحتاجوه لمئونتهم لا يلزمهم شيء على ذلك.

الشرط الثالث والأربعون:

أن من الممارسة ثبت أن قلة الضوء فى أشقار كيقع من ذلك ضرر كثير للمراكب المسافرين فى البحر وكذلك فى البيع والشراء من أجل الخسارة التى تقع للتجار حين ترد المركب ولا تجد ضوءا يحدث لها تكسير أو غيره، فينبغى لسلطان مراكش أن يكف هذا الضرر الذى كيحدث للمراكب وأمتعة الناس، أن يجعل على أشقار منارا للضوء يشعله كل ليلة على الدوام والاستمرار.

الشرط الرابع والأربعون:

تكون التجارة جارية مستوية فى أرض المغرب وأرض إصبانية وتجار إصبانية لما يريدوا يبيعوا ويشتروا فى أرض من أرض المغرب الذين يدخلون لها ويخرجون من أجناس آخرين، فلهم أن يبيعوا ويشتروا فى السلعة التى ليس هى ممنوعة على الرعية سواء بالقليل أو بالكثير لمن شاءوا بما شاءوا، ولا يقع لهم ضرر فى أمتعتهم من أجل الكنطردات يميز سلطان المغرب أحد على غيره، وكذلك رعية الصبنيول تكون لهم المنفعة والتخصيص فى تجارتهم مثل خاصة الأجناس فيما يأتى.

ورعية المغرب فى أرض إصبانية تكون لهم مثل ما يكون لخاصة الأجناس مثل التجارة والمنفعة والتخصيص والاحترام.

الشرط الخامس والأربعون:

أن رعية سلطان مراكش لهم الحرية فى المخالطة مع بعضهم بعضا فى ثغر سبتة وثغر المليلية ونواحيهم، ولهم أن يبيعوا ويشتروا فى أقل المسائل من الأقوات والملبوس والأمور الغريبة الذى ليس فيها منع فى الدخول ولا فى الخروج من

سلطان مـراكش، وولاة المغرب وولاة إصـبانيـة الذين فى سبـتة واملليلـيـة لهـم أن يحموا رعية الجانبين فى أمورهـم.

الشرط السادس والأربعون:

لا يلزم زيادة على القمرق المعلوم المذكور فى الفصـل الخمسون اشتروا ذلك لأنفسهم أو نوابهم من رعية الصبنيول بقصد الوسق، لكن السلعة المذكورة وغيرها المتنشئة فى المـغرب يخرجوها ويوسقوها من أى مرسـى شاءوا من مراسى المغرب ويذهبوا بها لأى مـرسى شاءوا من مراسى المغرب، باع أو لم يبع لا يلزمـه قمرق آخر ولا غيره قليلا ولا كثيرا.

لكن يجب على صاحب السلعة أن يقبض كتابا من أمناء المرسى الذى وسق منها إلى أمناء المرسى الذى أراد الوضع بها يخبروهم أن تلك السلعة تخلصوا فيما وجب عليها من القمرق، وحينئذ لا يلزمه قمرق آخر.

وجمـيع ما يشتـرونه من داخل الغرب من المدن أو من أسـواق البادية وأراد بذلك يذهب لمراسى المغرب، فـلا يتعرض له أحد من خدام العـامل أو من الرعية وقبضوا منه شيئا قليلا أو كثيرا على أى وجه كان فى شأن السلعة المذكورة، يؤدب وتلزمه العقوبة الشديدة، وتلزمه الخسارة الواقعة لرب السلعة من أجل المماطلة.

الشرط السابع والأربعون:

تجار رعية إصـبانية القاطنين بالمغرب لهم الاشتغـال بأنفسهم فى أمورهـم أو يعينوا لمن شاءوا بالنيـابة والتوكيل فى أمورهم، وأن يختاروا من شـاءوا لأنفسهم، ولا يلزمهم أداء شىء لأحد إن حتم عليهم لخدمتهم.

نعم إن كان أحد خديمـا من رعية المغرب هو تحت حكم عامله يتـصرف فيه كيف شاء على قدر جريمته، والبائع والشارى لا يتعرض لهم أحد فى مخالطتهم،

ولا مدخل للولاة فى أمور تجارتهم، وإذا تعرض لهم قائدا أو خديما فى قدر الثمن من أمور البيع والشراء بين الرعيتين أو يمنعهم من البيع والشراء فى الداخل والخارج، فإن سلطان المغرب يزجر خديمه عن فعله على قدر جريمته إن كانت تجارتهم على وجه الحلال.

الشرط الثامن والأربعون:

وإذا حدث لسلطان مراكش أن يمنع وسق القوت أو القطانى أو نوع من أنواع السلع الخارجة من المغرب، فإن رعية الصبنيول يحملوا ويوسقوا ما هو بمخازنهم أو بمخزن لأحد من رعية المغرب، أو مشتريا على أيديهم قبل ظهور المنع، ويستمروا على عملهم فى الحمل والوسق، ولا يقع لهم ضرر ولا خسارة فى جميع تجارتهم ومثل هذا يكون لرعية سلطان مراكش فى إيالة إصبانية.

الشرط التاسع والأربعون:

السلعة وجميع أمور التجارة الواردة على يد رعية الصبنيول من أى موضع كانت يدخلون بها لمراسى المغرب، ولا يمنعهم أحد من ذلك إلا ما هو ممنوع دخوله من جانب سلطان مراكش، والقمرق يلزمهم ما يلزم رعية المغرب ورعية أجناس آخرين لا غير من أول تاريخ هذه الشرطات، وجميع أنواع سلعة المغرب يحملوها ويوسقوها رعية الصبنيول من أى مرسى شاءوا من مراسى المغرب، ولا يلزمهم فيها أكثر مما يلزم فى ذلك رعية المغرب أو رعية الأجناس دون تخصيص، ولا تمييز لأحد على الآخر.

الشرط الخمسون:

ولمقتضى النفع والرفق الأحق لأنواع السلع الموسوقات من إيالة سلطان مراكش فى أعشارها حالة دخولها لإيالة سلطانة إصبانية، وكون المراد هو تقوية

التجارة بين الإيالتين سلطان مراكش وسلطانة إصبانية واستواء النفع بين الجانبين، اقتضى نظر سلطان مراكش أن أعشار السلعة الداخلة لمراسى إيالته على يد رعية الصبنيول لا يؤدوا عليها أكثر من عشرة فى المائة على تقويمها بالمال بالسعر الواقع بمراسى نزولها، كما أن السلعة الخارجة من إيالة سلطان مراكش على يد رعية إصبانية لا يؤدوا فى صاكتها أكثر مما هو مسطر فى الزمام الآتى:

	دراهم	ريال
القمح لكل فنيقة ممسوحة.		١
الزقور والذرى لكل فنيقة مقببة.		١/٢
الشعير لكل فنيقة ممسوحة.		١/٢
جميع حبوب أخرى لكل فنيقة مقببة.		١/٢
الدقيق لكل قنطار.	٣٠	
الزوان أيضا.	١٢	
الثمر أيضا.	٤٠	
اللوز أيضا.	٣٥	
اللشين والليمون إلى الألف.	١٢	
الزعتر لكل قنطار.	١٠	
الكمون أيضا.	٢٠	
الزيت أيضا.	٥٠	
العلك أيضا.	٢٠	

الحنة أيضا ١٥

الشمع أيضا ١٢٠

الروز للقنطار ١٦

الصوف المصبنة أيضا ٨٠

البطانة الودحة أيضا ٥٥

البطانة والعنزى أيضا ٣٦

الفلالى والغشنى والزوانى أيضا ١٠٠

الأنصاب إلى الألف ٢٠

الشحمة للقنطار ٥٠

البغال للواحد ٢٥

الحمير للواحد ٥

الغنم للواحد ١

المعز للواحد ١٥

الدجاج لكل زينة ٢٢

البيض لكل ألف ٥١

البلغة لكل مائة ٧٠

شوك الضربان إلى الألف ٥

الغسول للقنطار ١٥

ريش النعام للرطل ٣٦

القفف للمائة	٣٠
الكروية للقنطار	٢٠
الشعر أيضا	٣٠
الزبيب أيضا	٢٠
المشاطى للمائة	٥
الحرازى للمائة	١٠٠
تكوت للقنطار	٢٠
الهياضر للقنطار	٣٦
القنب أيضا	٤٠

وسلطان مراكش له النظر فى منع جميع الموسوقات الخارجة، فإذا منع واحدة من الموسوقات وبعد ذلك أراد تسريحها تكون صاكتها مثل ما كانت، ولا يقع فيها زيادة ولا نقصان، وأما القمح والشعير إذا اقتضى نظره منع وسقهما وأراد بيع ما فى مخازنه للتجار مثل ما كيجعلوه كافة الأجناس فله ذلك، وإن اقتضى نظره الرفق والتخفيف فى الصاكة، ولا يميز عليهم أحد من رعية الأجناس ورعية المغرب لما يريدوا يخلصون القمرق على الداخل والخارج من سلعتهم بأرض إصبانية يخلصون مثل ما يخلصون خاصة الأجناس ما عدا السلعة الممنوع دخولها.

الشرط الحادى والخمسون:

بمقتضى ما وفق بالفصل الخامس عشر من شروط المهادنة المقررة فى تطوان فى ٢٦ إبريل عام ١٨٦٠ حضرة سلطان مراكش أراد أن يصرف جهده فى استهال

وسق الخشب لعمارة خزائن المراسى أى الطراسيـن حضرة سلطانة إصبانية، ولذلك وفق أن رعية الـصبنيول المعينين قـصدا عن إذن سلطانة إصبانيـة لقطع الخشب من غيب مملكة المغرب من الموضع الذى يمكن قص الخشب منه يكون لهم التخصيص فى ذلك، وفى نصب ما يقيهم من الحر والبرد ويجعلوا فيه آلاتهم ولا يقربهم أحد بسوء، بل تكون لهم الحرية التـامة مع الحماية من جانب ولاة الناحيـة المستوطنين بها.

فالاتفاق الواقع بين رعية حضرة سلطانة إصبانية المعينين بقصد قص الخشب المذكورة وبين دولة مراكش لثبوت ثمن الخشب وتعيين شروط قص الخشب لابد أن يكون على يد نائب حضرة سلطانة إصبانـية القاطن بإيالة المغرب، وللنائب المذكور أن يقف على تمام وفاء ما شرط بين الجانبـين، وإذا وقع بينهما الاختلاف ولم تقع المساعدة يكون الفصال بين الدولتين بموافقة بعضهم لبعض.

الشرط الثانى والخمسون:

إذا أحد من رعية الصبنيول أو وكيله أراد توجيه سلعة معشرة من مرسى إلى مرسى من مراسى حكم حضرة سلطان مراكش بـحرا، فتلك السلعة لا يلزم عليها دفع الأعشـار مرة أخرى عند وسقـها ولا عند هبوطها إن كـان بيد حاملها وثـيقة بتحقيق دفعه ما ذكر من أمين قمرق المرسى المغربية الوارد منها.

الشرط الثالث والخمسون:

إذا أحد من رعيـة الصبنيول أو وكيله اشتـرى سلعة من أى جنس كانت من السلعة المتنشئة أو المصنوعة بوطن المغرب بقصد خروجها، فلا يلزمه عليها الأعشار ولا غيره من الأداء إلى وصولها لمكان دخولها للمرسى التى مراده يسقها منها، ولما يقع الخروج لا يدفع إلا الأداء المحدود بالقائمة المسطرة بالفصل الخمسين.

الشرط الرابع والخمسون:

رعية الصبنيول الذين يسقون السلعة فى المراكب الواردة لمراسى المغرب ألا يسقها إلا على ظهر الفلائك أى اللنشون للدولة المغربية، وبالأمثال عند الهبوط فإذا الدولة لم تجد بعد اليوم الثانى الفلائك المذكورة ثم رعية الصبنيول بيدها أن تخدم فلائك آخرين من عامة الناس، فحينئذ لا يدفعوا إلى أمين المرسى إلا نصف المعلوم لفلائك الدولة، ولا يزاد على الأداء المعلوم دفعه الآن فى مراسى مملكة مراكش عند نقول السلعة من مركب إلى مركب، ويلزم أمين كل مرسى أن يدفع للقنصو الصبنيول أو خليفته أو نائبه نظيرة قائمة الأداء المعلوم دفعها ليكون فى علمهم ذلك.

الشرط الخامس والخمسون:

فصول هذه الشروط تعم على جميع ثغور المغرب المنصوبين لتجارة الأجناس الآن، سواء كانوا فى البحر الأبيض أو فى البحر المحيط.

الشرط السادس والخمسون:

إذا أحد من رعية الصبنيول دخل خفية سلعة ممنوعة أو ظهرت عليه أو كنطربانض من أى جنس كان من السلع فى أرض المغرب، فالسلعة الممنوعة تثقف عليه وربها المخالف للحكم يمكن بيد القنصو أو الخليفة أو نائبهم ليؤدبوه على قدر جريمته.

ومثل ذلك يفعل فى إصبانية مع رعية المغرب إذا فعلوا ما ذكر أعلاه، فعامل البلاد يوجههم مكتفين ليد نائب حضرة سلطانة إصبانية بالمغرب، أو لخلفائه القنصولية ويخبره بما وقع لتحكم فيه دولة المغرب.

الشرط السابع والخمسون:

كـافة الرعـية سـواء كان من أهل الجـزيرة أو من جـزور الكناريا‌س أو من الخالديات أو من حصون حضرة السلطانية بوطن إفريقية، لهم أن يصيدوا بسواحل المغرب.

الشرط الثامن والخمسون:

فإن مراكب الصبنيول المعدين للصيـادة بسواحل المغرب ينبغى لهم أن يرفعوا التساريح من ولاة إصبـانية البحرية، وإذا وضحوا تلك التـساريح أصحاب المراكب لعمال مراكش الغربية للمكان الذى يقصدوا فيه الصيادة فلا بأس بذلك.

الشرط التاسع والخمسون:

إذا مركبا من مراكب الصبنيول المعدة للصيادة كان يشتغل فى السلعة الممنوعة أو الكنطربانض فى سواحل المغرب، فـعمال حضرة السلطان يخـبروا به القنصو أو خليفته الصبنيول القريب، وبعد ثبوت دعوته يطلق أو يزجر رائسها على يد حاكمه بمقتضى أحكام وترتيب القائمة فى إصبانية.

الشرط الستون:

أن لأجل تسهيل صيـادة المرجان المولعين بها أهل إصبانـية بسواحل مراكش بسـبب أن حضـرة سلطان المغرب يقـبض ما يجب من الأداء المعـلوم، قد وفـقوا الجانبين المعظـمين أن مراكب الصبنيول يقـصدون تلك الصيادة فى جـميع سواحل مملكة المغرب ويدفعون أعداداً معلومـة مؤبدة وقدرها مائة وخمسون ريال دورو فى السنة عن كل مـركب من تلك المراكب المعـدة لصيـادة المرجان، ورؤسـاء المراكب القـاصدين الصـيـادة المذكورة لابد أن يوجـهـوا مطالبهم لنائـب جنس الصبنيـول بالمغرب، والنائب المذكور يبـلغ المطالب المذكورة ليد نائب الأمور البرانيـة بحضرة

سلطان مراكش ونائبهم المذكور يمكنهم بالإذن المستحق من غير منع ولا عكس فى ذلك، ويقبضون من يد الرؤساء المذكورين الأداء المعلوم، وإن قبض مركبا من غير إذن نائب الحـضرة يدفع لـقونصـوه مثـل الذى قبله الحق بيـن السطرين فى السنة السادس والخامس.

الشرط الحادى والستون:

هذه الشروط المذكورة تبطل جـميع الشروط القديمة بين إيالة مـراكشة وإيالة إصبانية، ولا يبقى عمل بغيـر الوفق المرسوم بتطوان فى أربعة وعشرون غشت سنة تسعة وخمسون وثمانمائة وألف، والشروط الموثوقة بالمدينة المذكورة وبحضرة مدريد يوم السادس والعشرون من شهر افريل من عام ستين وثمانمائة وألف، ويوم ثلاثين أكتوبر من سنة التاريخ التى باقية فى غاية حولها وقوتها فى جميع الموافق بهذا.

الشرط الثانى والستون:

هذه الشروط ستشـهر ليعلم بها جميع رعية المملكتـين لئلا يخفى على أحد منهم المشروط بها، وسـيوجه نسخ منها للعمـال وللولاة الواجب عليهم علم ذلك للوفاء به على التمام.

الشرط الثالث والستون:

فالجـانبان العاليـان الموافقان على هذه الشـروط إن شاءوا فى المستـقبل زيادة شروط أخرى لتـسهيل مخـالطة بعضهم بعض لتفـوز بها تجارة رعيتـها، فلهم أن يشرطوا بينهما بعد مضى عشر سنين من يوم تصحاح هذه الشروط، وكل منهم له الطلب من الآخر فى تغيير ما بهذا لكن إلى أن يثبت بينهما الوفق العمل باق على هذه الشروط إلى تجديد شروط أخرى.

الفصل الرابع والستون:

فهـذه الشروط تصـحح بخط يد حضـرة سلطان مراكـشة وحضـرة سلطانة إصبانيـة، وتبديل تلك التصحاح سيـقع بطنجة فى مدة خمسين يومـا أو قبلها إذا أمكن، وسيحرروا أربعة نظائر من هذه الشروط مختومة مطبوعة، فأحدهما لحضرة سلطان مراكـشة، وثانيهمـا لحضرة سلطانة إصـبانية، وثالثهـا يبقى تحت يد وزير الأمـور البرانيـة لإيالة مراكـشـة، والرابع يوضع بين النائب الإصـبنيولى القـاطن بالمغرب، وكل أحـد من المليكين المعاهدين له بالوفـاء ما فى فصـول هذه الشروط بغاية الثبوت، وشهد على ذلك المفوضـان الخاتمان والواضعان طابعهم أسفله بمدينة مدريد ختم هذا الوفق فى ١٧ ربيع الثانى عـام ١٢٧٨ من الشهر العجمى فى ٢٠ نونبر عام ١٨٦١».

هذا نص تلك المعاهدة التى لم تعقد مع المغـرب معاهدة أقسى منها، إذ جل موادها كمـا ترى هو فى مصالح إصبانيـا فقط، ولعل من لا خبرة له يفـوق سهام اللوم للرجل المقدام صنو جلالة السلطان مولاى العـباس الذى فوض له فى عقدها ومن علم الحالة التى كان عليها المغرب، وقتئذ وأحاط علما بتلك الظروف الحرجة التى منها احتـلال العدو لثغر من أرفع ثغور البلاد، يقـرب من النقطة المحتل لها، ومنها جنوح الرعـية وتحفزها للثـورة اغتناما لفرصـة اشتغال المخـزن بتلك الحادثة المؤلمة، ومنها إظهار بعض القبائل الجبلية الميل للعدو والتفاخر بحسن معاملته، كما يرشد لذلك جواب مولاى العباس لسمو الأمير المتقدم نقل نصه على أن هذه أمور كلها موجبـة لحسم مادة الحرب التى لا يوافق على خوض معامـعها إذ ذاك عاقل، ولولا حسن سيـاسة النائب المفوض مولاى الـعباس لعظم الأمر واستـفحل الداء، ولله فى خلقه شئون.

وقد وقفت على معاهدة أخرى مكملة لما سبق وقد وقعها مولاى العباس مع ممثل إصبانيا ونصها بلفظها من كناشة المولى العباس:

بسم الله القادر على كل شىء

«هذه الشروط المنعقدة ما بين السلاطين العظيمين جناب الشريف سيدى محمد مالك المغرب وجناب ملكة إصبانيا دونيا اليسبات الثانية الفخيمة بقصد إصلاح الاختلاف الواقع فى شأن شروط المهادنة المبرمة ما بين الدولتين تاريخها سنة تسع وخمسين وثمانمائة وألف وعام ستين وثمانمائة وألف الفارطة، فالمفوض من جانب السلطان الشريف سفيره المكلف بغاية تفويضه خليفته أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين مولاى العباس والمفوض من جانب حضرة السلطانية الكسولتية (دون سترنين كلدرون كليانتس) وزير الأمور الداخلية وأمور التجارة والعلم والمنافع البلدية كان واحد أعضاء مجلس مشيخ المملكة والمفتخر بالنواشن الأعظام من الأصناف السلطانية لكارلوص الثالث ولاليستبات الكتوليكية وللجيون دى أنور الفرانصوية ولليوبلد البلجيكى وللحبر الأعظم بيو التاسع وللبيس الهاس درمستادى ولدنبروق الدنماركى وللنجمة القطبية السويدية وللمقدس جناردو الاسقليتين وللكنتبثيون البليابتيوسية البرطقزية وللقولفين الانبرية وغيرهما وأول وزراء المملكة، فهؤلاء شرفاء المقام بعد إظهار بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الانفصال على وفق ما بالفصول الآتى ذكرها:

الفصل الأول:

عسكر الصبنيول سيرحل من تطاون وأرضها لما يتم دفع ثلاثة[(١)] ملاين فى الريال الدورو مسكوكة بيد المعينين لقبضها من دولة حضرة سلطانية إصبانيا الفخيمة.

---

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل مع أن المدفوع عشرون مليونا».

الفصل الثانى:

العشرة ملايين من الريال الدورو الباقية لكمال معاوضة الحرب حسبما وفق شروط المهادنة فيكون دفعها من نصف أعشار كمارك جميع مراسى مملكة المغرب التى سلمها حضرة السلطان لحضرة السلطانة للقبض على يد ولاتها المعينين بقصد ذلك، والنصف الآخر من الأعشار المذكورة أعلاه يتصرف فيه حضرة السلطان.

الفصل الثالث:

المتوسعين والقابضين المعينين من حضرة سلطانية إصبانية لقبض نصف الأعشار المذكورة سابقا، سيشرعوا فى تصريف أمرهم شهرا واحدا قبل يوم توت حلول تطوان.

الفصل الرابع:

رسم حدود حصر امليلية سيجعل حسبما بالوفق المقرر يوم أربعة وعشرون غشت عام تسعة وخمسون وثمانمائة وألف المثبتة بشروط المهادنة المرقوم بالسادس والعشرين من شهر افريل سنة ستين وثمانمائة وألف، بتسليم الحدود المذكورة بين دولة حضرة سلطانة إصبانية المنصورة بالله، ستقع من كل بلد ولابد قبل حلول تطوان.

الفصل الخامس:

شروط التجارة المذكورة بالفصل الثالث عشر من شروط المهادنة، يختم بخط يد المفوضين، ويصحح كذلك قبل فراغ تطوان وأرضها.

الفصل السادس:

حضرة سلطانة إصبانية أيدها الله لها أن تأمر بجعل دار سكناه رهبان أى قسيسين بمدينة تطوان مثل الموجودة الآن بطنجة، ومثل الذى حسبما بالفصل

العاشر من شروط المهادنة بيدها أن تنشأ، وهؤلاء الرهبان المرسلين لا يمنعهم أحد تقديس أمور دينهم أبدا فى أى موضع كان من نواحى مملكة المغرب ودواتهم وديارهم ومدارسهم الساكنين فيها يكونوا فى غاية الأمان والحماية الخصوصية من جانب حضرة السلطان وولاته.

الفصل السابع:

أن الشروط المنبرمة فى الفصول السابقة سيتم بحول الله فى أجل خمسة أشهر منصرمة، التى مبدؤها يوم مدواح جناب الخليفة الواضع اسمه عقب تاريخه بثغر طنجة، لكن إذا وقع وفاء الشروط المذكورة على التمام قبل الأجل المذكور فيقع حالا بعد ذلك فراغ تطوان وأرضها.

الفصل الثامن:

ففصول شروط المهادنة المحررة فى ستة وعشرون إبريل سنة ستين وثمانمائة وألف الذين ليس وقع فيهم غيار ولا تبديل أو إبطال بما وفق بهذه الشروط، باقية فى غاية قوتها وحولها، فتصحح هذه الشروط المذكورة يكون فى أقرب وقت وتبديل تلك التصحاح سيقع بطنجة فى مدة عشرين يوما، ولثبوت ذلك المفوضين الخاتمين أسفله قد حرروا هذه الشروط باللغتين أى العربية والصبنيولة وأربعة نظائر، فأحدها للحضرة الفخيمة مالك المغرب، والثانى منهم لحضرة السلطانة الكتولكية، والثالث يبقى تحت يد نائب الأمور البرانية بالمغرب، والرابع يبقى تحت يد نائب أمور الإصبانية القاطن بمملكة مراكش والنواب المفوضين المذكورين أسماؤهم عقب تاريخه وضعوا شكلهم وختموه بطوابعهم بحضرة مدريد يوم خمسة وعشرون ربيع الثانى عام ١٢٧٨ المقابل تاريخ المسيح عام واحد وستين وثمانمائة وألف» بلفظه من الكناش المشار له على ما فيه.

كما عثرت فى كناشة مولاى العباس أيضا على اتفاق آخر وقعه فيما يتعلق بحدود مليلية ونصه بعد البسملة:

«الخاتمين أسفله الشريف الأرضى مولاى العباس المفوض من حضرة مراكشة ودون فرئنيسكومرى وكلوم الوزير الوجيه لسعادة سلطانة إسبانيا المأذونان من دولتهما كما يجب بمقتضى الشروط لتأول المشاحنات الصادرات فى شأن حدود أرض ولاية إسبانيا بإحاطة امليلية اتفقا فى الصور الآتية:

أول ذلك تحديد وضع العلامات فى الأماكن الموسومة من مهندسين إسبانيا ومراكشة قبل برسم الشهادة من الجانبين سنة اثنين وستين وثمانمائة وألف الفارطة، بمقتضى ما بالفصل الثانى من وفق سنة تسعة وخمسين وثمانمائة وألف المثبت بالفصل الخامس من شروط صلح تطوان، ومن أقلع أو هدم تلك العلامات يزجر زجرا شديدا، والعلامة المنقضة يقيمها عامل الريف بمحضر والى امليلية أو نائبه.

الثانى: لما ظهر لحضرة السلطان دفع العوض لأرباب الأملاك الداخلين فى الأرض المنعم بها لإسبانيا المصيرين لها وتحت ولاية مملكتها التامة، ووفق أن جميع رعية حضرة مراكشة من الأرباب المذكورين يخرجون الأرض الإسبنيولية ويسلمونها تسليما تاما وتصير ملكا لجنس الإسبنيول ورعية المغرب ينفوا حالا من أرض إسبانيا وولاة إسبانيا بامليلية لا يساعدونهم بتجديد القرار فى الديار والأراضى المذكورة بأى وجه كان، لأن ذلك يمكن أن ينشأ منه ما يخوض الحدود وفى هذا تبقى الأمور مش ما هو بسبتة.

الثالث: أن بسبب حسم المشاحنات الواجب وقوعها لأجل دخول المسلمين بقصد زيارة الجامع التى بداخل الحدود بالموضع المسمى بجنادة فتلك الجامع يهدم ويقطع الكرم والهندى المحيط بها وآل المخزن أو آل الأقحاذ يهدمون الجامع المذكور وينقضون الأرض المحيطة بها.

الرابع: رعية المغرب لا يدخلون مسلحين بـأرض إسبانيا التى بحدادة امليلية على أى وجه كان، واعترف الوزير الوجيه لإسبانيا إن خالف أحد ذلك بعد إمضاء هذا الوفق يضيع سلاحه ويبقون به ولاة إسبانيا.

وشهـد عن ذلك الخاتمين أسفله بوضع يدهـما بنسخـتين ورسم بمحل يدعى بزرع الزيات برابع عشر نومبـر سنة ثلاث وستين وثمانمائة وألف الموافق ثالث ثانى الجمادين الموالى عام ثـمانين ومائتين وألف عمله بمقتـضى لفظه الظاهر منه العباس لطف الله به».

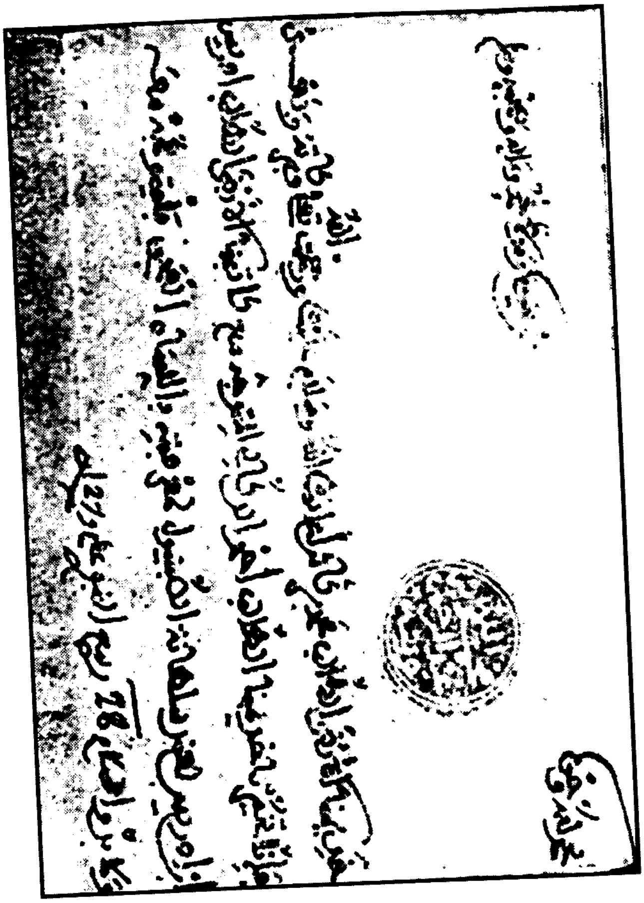
وقبل هذا الاتفاق وجه السلطان كاتبه ووزيره الشاعر المجيد السيد إدريس بن الوزير الكبـير، الأديب الشهـير، السـيد محـمد بن إدريس السـابق الترجـمة فى الأدارسة سفيرا لملكة الإصبان، ووجه معه السيد أحمد الدكالى لمعرفته بلسان القوم حسبمـا يدل على ذلك ما فى هذين الظهيرين الشريفين ونـص الأول بعد البسملة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنا تخيرنا خديمنا الطالب أحـمد الدكالى للتوجه مع كاتبنا الأرضى الطالب إدريس بن إدريس لعند سلطانة الصبنيول لمعرفته بـاللسان العجمى فليتوجه معه ولابد والسلام ٢٨ ربيع النبوى عام ١٢٧٩».

ونص الثانى فـيما يتـعلق بما زوده السفـير المذكور من المطالب بشـأن حدود مليلية، وقد أسلفنا لك فى وثائق مفاوضات الصلح ما وقع فى ذلك:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.



ظهير سيدى محمد بن عبد الرحمن لبركاش فى توجيه السيد أحمد الدكالى مع ابن إدريس السفير لإصبانيا

وبعد: وصلنا كتابك متضمنا لما ذكره نائب دولة الصبنيول من أنهم استبطأوا الجواب عن قضية امليلية التى تضمنها الكتاب الذى قدم به الطالب إدريس بن إدريس، وأوضحوها له بمالقه، فاعلم أنا قدمنا لك جوابه صحبة فارس توجه به من حضرتنا العالية بالله ورقاص راجل ورد من عندكم ولا يكون الآن إلا وصلك، وحاصله أنا لم نقصر فى قضاء مرادهم لا فى جهة المال الذى وجهناه صحبة أمناء أربعة لأرباب البلاد، ولا فى تذكيرهم ووعظهم ولا فى غير ذلك، وأن موجب تأخير توجيه المدد لجبرهم على تسليم الحدود هو ما نحن فيه من إصلاح قبائل الحوز، وأنا بمجرد رجوعنا للغرب نبعث عددا معتبرا يقضى به الغرض فى أولئك الممتنعين، وأوضحنا لك العذر فى ذلك بأبسط من هذا، والمحبة تقتضى قبول الأعذار ولا يفوتهم شىء من ذلك بحول الله وقوته والسلام ١٩ رمضان عام ١٢٧٩».

وقد أجابت الملكة عن هذه السفارة المغربية بسفارة إصبانية وجهتها من قبلها كما يدل على ذلك هذا الظهير:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أن نائب دولة الصبنيول رجع من عند دولته لطنجة باشدورا وصحب معه كتابا لجانبنا العالى بالله من عند سلطانته ليدفعه بيده وعزم على السفر بإذن دولته من طنجة للصويرة بحرا، ومنها يقدم على حضرتنا العالية بالله فى التاريخ الذى بينت صحبة من فى التقييد الذى وجهت من أعيان ٦ النصارى والأعوان ١٢، بقصد تجديد المحبة القديمة التى بين أسلافنا الكرام وبين دولتهم وطلب منك إعلامنا بذلك لنيسر له ما هو معلوم للباشدورات المحبين لدينا المقبولين عندنا، كما طلب أن لا يقيم بالصويرة إلا يوما واحدا وأن يرفق به فى

الطريق منها لحضرتنا السعيدة وظن أن ما شافهته به من الخيل ٦ وبغال السريجة ٢ والروام ٢٠ لا تحصل له به الكافية لعدم تقدم السفر له فى البر، فاعلم أنا وجهنا من يقدم به على مهل من الصويرة لحضرتنا العالية بالله تعالى وأصحبناه ما فيه كفاية من المراكب والروام، وأمرنا أمناء الصويرة وقائدها بالقيام به وبمئونته أحسن قيام وبإنزاله بمحل مناسب له، وبأن يعتنوا به وأمرنا العمال الذين فى طريقه بالملاقاة له والسلام فى ٦ قعدة الحرام عام ١٢٧٩».

وأما علائقه:

مع الدولة الفرنسية

فقد وجه لها فى السنة الأولى من ولايته كاتبه ابن إدريس المتقدم ذكره فى ثالث عشر قعدة الحرام سنة ١٢٧٦، فوصل باريس متم الشهر وقابل الإمبراطور لويس نابليون الثالث، وألقى بين يديه خطبة هنأه فيها بالمناداة به إمبراطورا على البلاد الفرنسية، ودفع له الكتاب السلطانى الذى توجه به، ثم شرع بعد ذلك فى مفاوضة وزير الخارجية فى الشئون التى ذهب من أجلها حسبما تقدم لنا ذكر ذلك فى ترجمة ابن إدريس السالفة، وقد ألف فى وجهته هذه رحلته المسماة بتحفة الملك العزيز، وهى مطبوعة بفاس فى صحائف ١٠٩، وبعد أوبته من هذه السفارة كتب الإمبراطورالمذكور لصاحب الترجمة معزيا فى والده ومعربا عن انشراحه لهذه السفارة وعلى رئيسها بالأخص وإليك فحوى كتابه:

«العظمة لله

من نابليون

إمبراطور فرنسا

بعناية الله وإرادة الأمة

إلى المقام الأعلى والجناب الأسمى السلطان ذى الشوكة العظمى

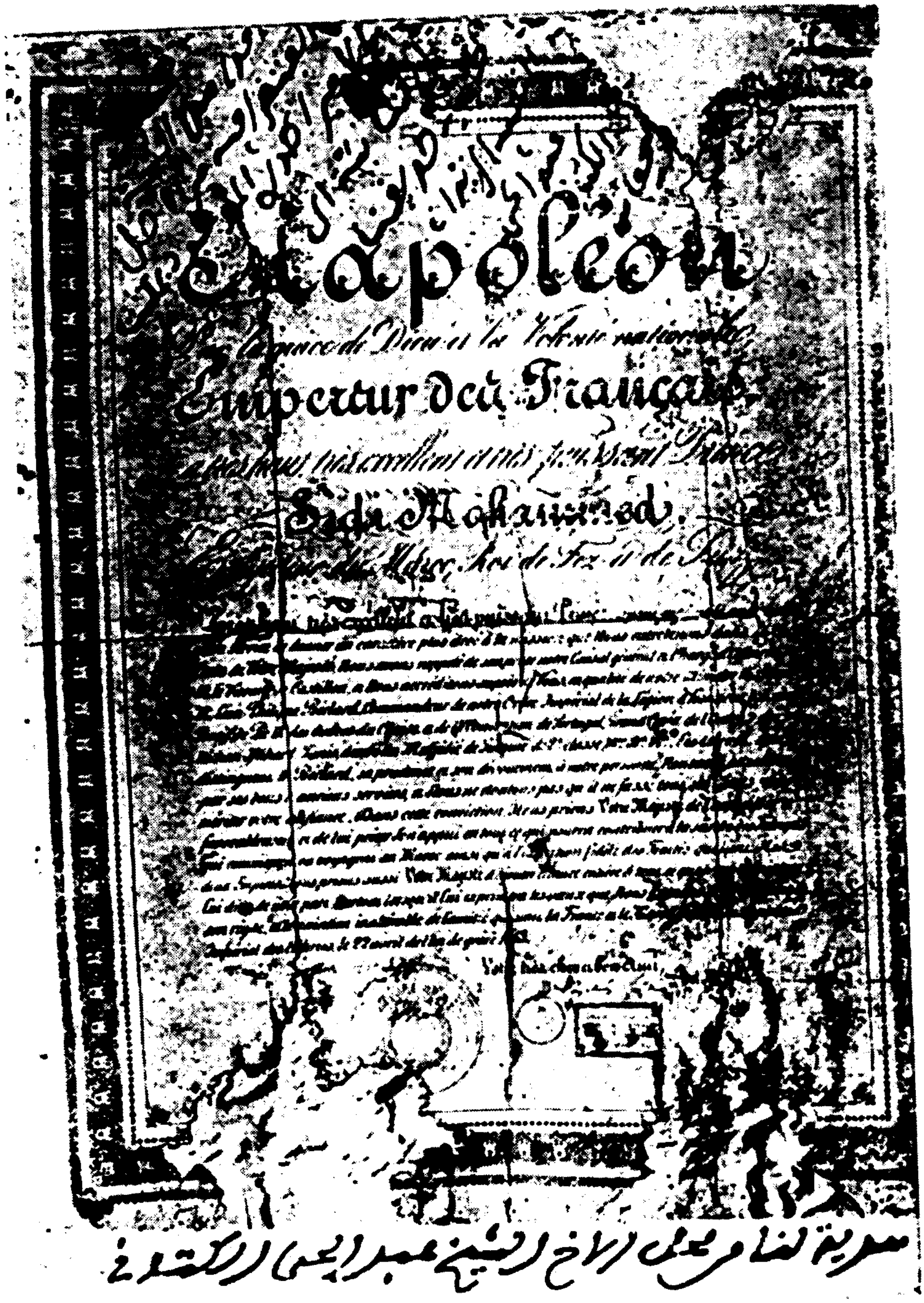
سيدى محمد

إمبراطور المغرب وسلطان فاس وسوس

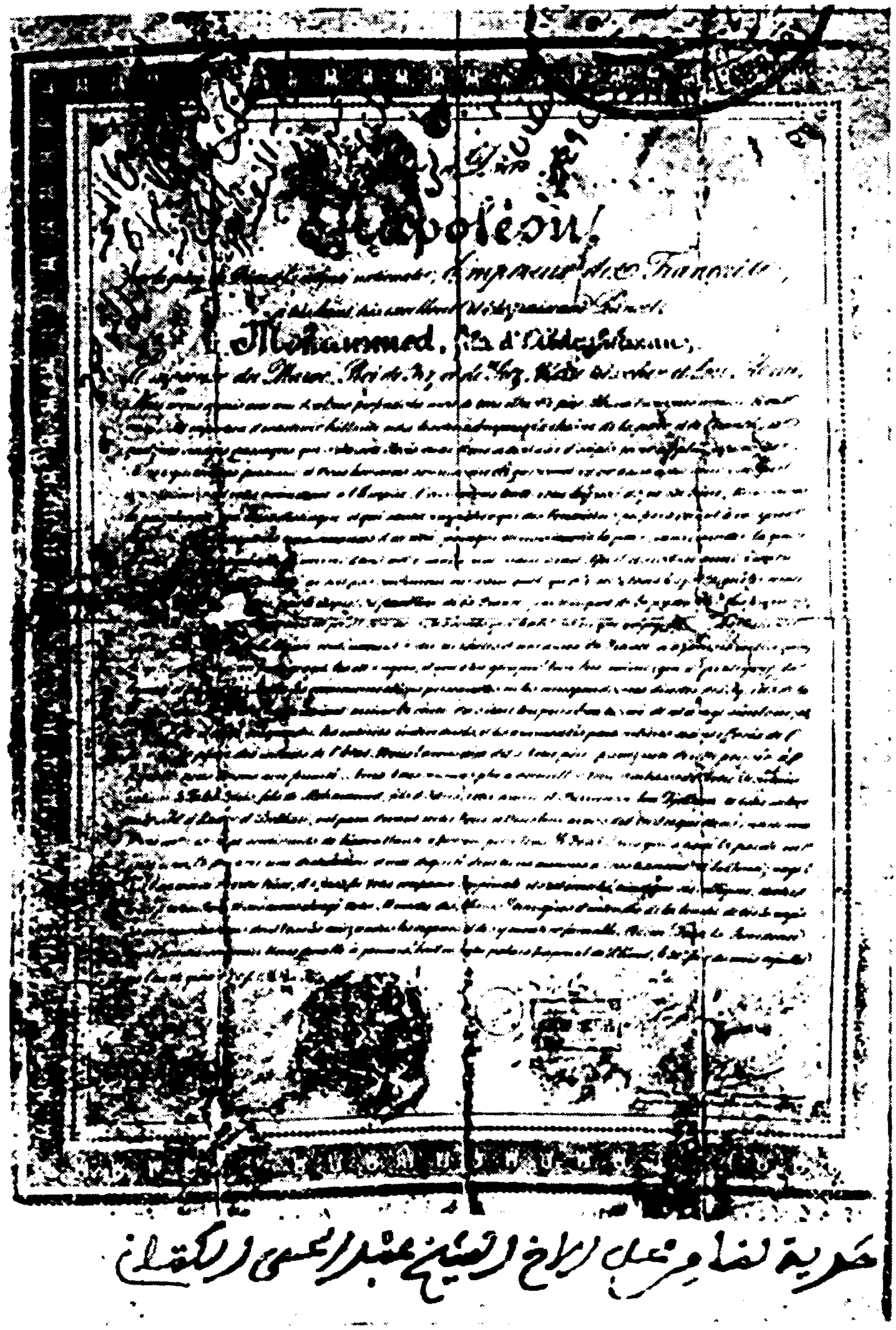
صديقنا الأعز الحميم: لقد ألمنا خبر وفاة والدكم الجليل القدر، وقد كان متحققا مثلنا بلزوم تثبيت العلائق بين الدولتين وشد عرى حبل السلم والمودة بين الشعبين، وقد كانت بدت بعض السحب فى سماء صداقتنا ولكن انقشعت بكل سرعة ولن تعود للظهور أبدا، وها نحن نأسف على شخصه ونكرم ذكره، والذى يسلينا عن فقده ويلهم قلبنا بعض السلوى عنه هو قبضكم على عنان إمبراطورية المغرب، ولا يخفى عنا ما لكم من الأمانة التى أهلتكم لتبؤ عرش الملك، كما أننا على خبرة بما لكم من الفراسة التى تمتازون بها والتى ستكون باعثة على عدم استماع النصائح التى يبديها لكم المظهرون خلاف ما يبطنون، قصدا منهم لستر الحقائق عن نظركم.

وقد وقعت منا عبارات تأكيد الصداقة بيننا موقع القبول لكوننا نحب السلم من غير أن نخاف الحرب، ولكوننا نرتاح غاية الارتياح عندما نضع يدنا فى يد صديق لنا، فلتكن إذا علائق الصداقة رابطة بيننا، ولا ينبغى أن تكون تلك الصداقة اسما بدون مسمى، بل ينبغى أن تكون فى المعاملات وتظهر فى احترام المعاهدات فى احترام علم فرنسا فى احترام أشخاص وأملاك جميع من يستظل بها.

ثم إن رعاياكم القاطنين بإقليمنا أو بالجزائر لن يزالوا ضيوفًا لدينا وأصدقاء لنا، لن تنس فرنسا قط أن إمبراطورية تتشرف بحماية الأجانب عنها، وأن اتباع العدل والتخلق بالأمانة من الإقرار بعظمة الله.



كتاب الإمبراطور نابليون الثالث للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن باعتماده م ليون فيليب بكلار نائبا ووزيرا مفوضا عن دولة فرنسا بالمغرب بدل دوكاستيون


Napoléon,
Empereur des Français,
Mohammed, fils d'Abderrahman,

كتاب إمبراطور فرنسا نابليون الثالث للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن يعزيه فى أبيه ويثنى على سفارة ابن إدريس إليه

ولقد كانت قديما المواصلة الشخصية ومكاتبات قناصل فرنسا مع عرشكم تتكفل بإيصال الحقائق إليكم، وقد كانت تلك الوسيلة المتقادمة وسيلة مرضية بين الطرفين، ومنذ توقفت العلائق حسب تلك الوسيلة أخذت الأغراض الشخصية والشهوات النفسية تحاول أن تقوم مقام مصالح الدولة، وقد كنا عرفنا بذلك والدكم فخذ هذه الوصية لأننا نعض عليها بالنواجذ، وقد انشرحنا لاقتبال سفارتكم وكاتبكم الخاص الطالب إدريس بن محمد بن إدريس، وأمينكم البرنوصى بن جلول وعبدكم الأسود عبد القادر البخارى، وقد استقبلهم أهل بلاطنا، وصرحنا لهم بما تكنه قلوبنا من عواطف المحبة فى جانبكم.

وأما الطالب إدريس الذى تكلم بحضرتنا نيابة عنكم فقد قام بذلك قياما امتاز به عن غيره مع تؤدة، نجد نفسنا تنشرح بإبلاغكم خبرها، ولذلك فإنه يستحق من عرشكم الجزاء، وقد أظهر كونه أهلا لثقتكم به واستحق هو ورفقاؤه إنعامكم الخاص عليهم.

وقد أمرنا وزير خارجيتنا بسماع ما كلفتم به سفراءكم إبلاغنا إياه ومقابلة ذلك بالقبول، وعسى العناية الربانية تجعل الصداقة بيننا دائمة للأبد، وحرر فى قصرنا الامبراطورى سان كلود فى ٣٠ من شهر يليز سنة ١٨٦٠ نابليون».

ثم إمضاء وزير الخارجية وطابع لم يقرأ.

وقد وقفت على كتاب آخر من نابليون الثالث لصاحب الترجمة وهو ما بعثه إليه عند إرسال سفير جديد للدولة الفرنسية ونصه:

«من نابليون

إمبراطور فرنسا

بعناية الله وإرادة الأمة

إلى المقام العالى والجناب الأسمى وصاحب الشوكة العظمى الأمير

سيدى محمد

إمبراطور المغرب وسلطان فاس وسوس

إلى المقام العالى والجناب الأسمى والسلطان صاحب الشوكة العظمى.

وبعد: فقد رأينا أن من مصلحة العلائق التى بيننا أن نعطى مندوبيتنا بإيالة جلالتكم أهمية أعظم مما كان لها، ولذلك استرجعنا قنصولنا العام المكلف بشئون دولتنا المسيو لوفكنتوت دو كاستيون وبعثنا بدله صفته وزيرا مقيما بطرفكم مسيو ليون فليب بكلار الحائز على وسام جوقة الشرف من رتبة كمندور ونيشان البابابى التاسع ونيشان المسيح ونيشان كفنصيون البرتغال والحائز على الرتبة العظمى من نيشان الافتخار للدولة التونسية، والنيشان المجيدى للدولة التركية من الطبقة الثانية.

هذا وإن الخدمات الجليلة التى تقدمت للمسيو بكلار تشهد لنا بالمواهب التى يمتاز بها وحسن تدبيره وإخلاصه لجنابنا، وإننا على يقين من أنه سيبذل غاية مجهوده ليكون أهلا لثقتكم، واعتمادا على هذا اليقين فإننا نرغب من جلالتكم أن تقبلوه اقتبالا حسنا، وأن تمدوا إليه يد المعونة فى كل ما يكون فيه زيادة أمن رعايا الفرنصيص الذين يتعاطون التجارة أو يتجولون بالمغرب، وكذلك فى تنفيذ جميع المعاهدات التى تربط بلادنا ببلادكم تنفيذا كليا: كما نرغب أيضا من جلالتكم أن تثقوا كل الثقة بكل ما يصرح لكم به وزيرنا نيابة عنا، وخصوصا عند ما يعبر لكم عما نتمناه لملككم من العظمة وما نوده من استمرار الصداقة التى تربط دولة فرنسا بدولة المغرب، وحرر بقصره الإمبراطورى التويلرى فى ٢٢ إبريل من سنة ١٨٦٣.

صديقكم العزيز الحميم

نابليون»

وقد عثرت على تقييد ببعض دفاتر دار النيابة هذا نصه:

«فى ١٩ غشت عام ١٨٦٣ الموافق ٣ ربيع الأول عام ١٢٨٠.

تقييد فى الحماية التى يجب أن يسير عليها نواب الفرنصيص الذين هم فى إيالة المغرب:

الحماية تكون للشخص المعين لها فى وقت تعلقه بالخدمة.

وهذه الحماية لا تشمل أقارب الشخص المحمى ونائبه وإنما تقدر أن تشمل الأشخاص مدة عمره كله، فإذا مات انقطعت ولا تورث، ما عدا دار موسى بن سمول المكنى بريرو التى هى موروثة عندهم أبا عن جد تولدت منها سماسرة وتراجمة فى نيابة طنجة.

الحماية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أولاد البلد الذين يخدمون فى دار الباشدور وديار القنصوات نوابه مثل الكتاب والمخازنية والمتعلمين وشبههم.

والقسم الثانى: السماسرة المستخدمين عند التجار الفرنصويين فى أمور تجارتهم، هؤلاء التجار المشار إليهم لا يسمى أحد منهم تاجرا إلا الذى يكون يتجر تجارة كبيرة وتكون تجارته بالداخل والخارج فى المرسى، سواء كانت تلك التجارة له أو كان نائبا فيها من غيره، عدد السماسرة الذين يكونون فى الحماية لا يزيد على اثنين فى دار كل متجر نعم الدار التى تكون لها دار أخرى فى مرسى أخرى فيكون لها فى كل دار سمساران محميان.

حماية دولة فرنسا لا تشمل أولاد البلد المستخدمين فى البادية فى مثل أمور الحراثة والفلاحة ورعى الغنم وشبه ذلك.

ولكن باعتبار ما هو جار الآن وذلك بالاتفاق مع حكام مراكش الحماية لهؤلاء المذكورين، تكون جارية لهم مدة شهرين أولها فاتح شتنبر الموالى لتاريخه.

ومعروف أن هؤلاء المستخدمين فى البادية مع الفرنصيص حين تجب مطالبتهم بالأحكام فيعلم عاملهم نائب الفرنصيص ليأمر صاحب الغنم أو الحرث بتوجيه من يقف على متاعه ليلا يبقى للضياع.

زمام من هو فى حماية الفرنصيص يعطيه نائبهم لعامل البلد التى هو فيها، وإذا حدث تبديل أو تغيير فى بعض الأشخاص المحميين فيعلمه بذلك.

كل من هو فى الحماية تكون بيده بطاقة مذكور فيها اسمه وتعيين الخدمة التى هو بها، وتكون هذه البطاقة مكتوبة بالعربى وبالفرنصيصى وهذه البطاقة لا يعطيها إلا الباشدور المقيم بطنجة».

ولعل ما بهذا التقييد هو المراد بوفق عام ١٨٦٣ فى الفصل الأول والسادس من وفق مؤتمر مدريد الشهير، وكذلك ما فيه من حماية السماسرة لعله المراد بوفق ١٢٨٠ الذى كتب السلطان مولاى الحسن للنائب بركاش بإبطاله فى ظهيره المؤرخ بـ٢٣ جمادى الأوى عام ١٢٩٧، فلما عرضه بركاش للمناقشة فى المؤتمر عارضه ممثل فرنسا معارضة شديدة، كادت تؤدى إلى إحباط أعمال المؤتمر، ثم انتهى الأمر بإبقاء ما كان على ما كان، حسبما هو منطوق الفصل العاشر من وفق المؤتمر المذكور فى الترجمة الحسنية.

ثم أرسل المترجم بعد ذلك للدولة الفرنسية خديمه الحاج عبد الرحمن العاجى للكلام فى أمر السيد الشيخ بن الطيب وأولاده الذين كانوا يشاغبون بالحدود المغربية الجزائرية، فلقى الإمبراطور وقدم إليه الكتاب السلطانى الذى أجيب عنه بعد ذلك حسبما يدل على ذلك هذا الظهير:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وصحبته كتاب باشدور الفرنصيص الذى كتب لك صحبة جواب سلطانهم عن الكتاب الذى توجه له به الحاج عبد الرحمن العاجى، وعلمنا ما أشار إليه الباشدور المذكور مما لـه من الغرض فى القدوم لحضرتنا العالية بالله، كمـا علمنا ما كتب لك به فى شـأن الغلط الذى وقع للحاج عبـد الرحمن فيما ذكره فى أمر أولاد السيد الشيخ بن الطيب، وأن الكلام الذى وقع منه إنما هو فى شأن والدهم يسأل عنه فى أى مـحل هو، وما مرادنا فيه وأن قصـدهم توسعته من نواحـيهم كـما تقـدم له فى ذلك فـالحاج عـبد الرحـمن ثابت وما ذكـره عن سلطانهم وقع منه مشافهة.

وقدومه الذى ذكر إن كان بإذن من سلطانهم فذاك، وإن كان من عنديته فلا يحتاج لقدوم وما يريـد ذكره يذكره لك مشافهة أو كتابة، والسـيد الشيخ لا يقر له قرار لأنه صحراوى يبيت ببلاد، ويبيت إن شـاء ببلاد أخرى، وقوله وما مرادنا فيه لو وجدنا السبيل له لأدخلناه لداخل الإيالة، ومـا تركناه هناك أصلا ولأجله قبضنا على ولده وأقاربه والسلام فى ١٥ صفر عام ١٢٨٢».

وقد عثـرت على بعض كتب المترجم لأحـد أولاد السيد الشيخ ولغـيره فى أمرهم وأمر سليمان بن قدور الذين كـانوا يحدثون المشاكل على الحدود فمن ذلك ما كتب به لبركاش:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد وصلنا كتـابك مخبـرا بورود باشدور جنس الفـرنصيص عليك بالمكاتيب التى وردت عليه من حكومة الجزائر بالشكاية بذوى منيع وعمور الصحرا وأولاد جرير وإيوائـهم ولد حمزة وقـبوله وإعـانته بالنفـوس والعدة والميـرة، وما أخبروا به عن الشيخ بن الطيب من رجوعه لما كان عليه سابقا من الخوض فى إيقاد

نار الفتنة وطلبه الكتب لأولئك القبائل بالنهى عما هم مشتغلون به من ذلك لكون ذلك ينفع فيهم.

فقد كنا كتبنا لهم قبل، وها نحن أعدنا لهم الكتب فى ذلك وحذرناهم وأنذرناهم وتوعدنا من عاد منهم لمداخلة ولد حمزة أو إعانته، وبينا لهم ما يلحقهم من شؤم ذلك، وكذلك الشيخ بن الطيب أعدنا له الكتب فى ذلك وندبناه لما فيه صلاحه إن أراد الخير لنفسه، ونطلب الله التوفيق للمسلمين والهداية والسلام فى ٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٨٢».

وكتب لأهل اتيوت:

«خدامنا الأنجاد أهل اتيوت كافة، وفقكم الله وأرشدكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم مذكرين لما كان لكم مع أسلافنا الكرام قدسهم الله من الخدمة والانتماء، وما كان لكم منهم من المراعاة والاعتناء، فنحن على إثرهم فى ذلك إن شاء الله لا نسلمكم ولا نفوتكم ونراعى لكم خدمتكم ومحبتكم أصلحكم الله ورضى عنكم، وعلمنا ما لحقكم من الأضرار والإذاية من النصارى وسليمان بن قدور، فها نحن كتبنا لعامل وجدة بالكلام مع المتولى هناك يكفون إذايتهم عنكم والسلام ١٩ جمادى الأولى عام ١٢٨٨».

وكتب لمعمر ولد السيد الشيخ:

«خديمنا الأرضى الحاج معمر ولد السيد الشيخ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بأنكم لما رجعتم من قتال الفتان ولد حمزة أنتم ورعية الفرنصيص بعد قضاء الغرض فيه من رد ما كان نهبه لكم وزيادة، ورجع

فارا بنفسه لناحية القليع خائبا، ألفيتم النصارى حملوا أولادك وأخاك وأولاده وأناسا من بنى عمك وأنزلوهم فى ناحية المعسكر وصاروا يخاطبونك بالقدوم عليهم والانتظام فى سلكهم، وزعموا أنك من إيالتهم، ووعدوك بفعل الخير معك والامتياز عن غيرك إن أنت ساعدتهم، وإن امتنعت من ذلك منعوك من أولادك ومن معهم فتركتهم بيدهم وفررت بنفسك وأجبتهم بأنك من إيالتنا المحمية بالله، ولا نرضى بالدخول فى حزبهم وتحت حكمهم، وطلبت الكلام معهم فى شأن خلاص أولادك وشيعتك ذاكرا أن ما وقع بينكم وبينهم فى العام الماضى إنما هو على وجه الإكراه من القبائل وولد حمزة، وكانوا قبل ذلك غدروكم وقتلوا أخاك وأبناء عمك ونهبوا أولادكم، فإنا أمرنا عامل وجدة بالكلام معهم على رد من ذكرت من أولادك وأولاد أخيك والوقوف عند الشروط المجعولة مع جنسهم وإنا لا نسلمكم بحول الله وقوته والسلام فى ١٤ من المحرم عام ١٢٨٩».

وكتب له أيضا:

«محبنا المرابط الأرضى السيد معمر بن الشيخ بن الطيب وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما لم تجد من قبائل المغرب من يعينك على الأخذ بالثأر من ولد حمزة حيث فعل فى جانبكم ما فعل من القتل وغيره، اتفقت مع رعية النصارى على الأخذ بالثأر وحركوا معك إليه ولم يحضر معكم نصرانى واحد، وحيث سمعوا بما حل به نقلوا أولادكم الذين كانوا نازلين بالحدود وأخذوا مالهم وأسروهم وأنزلوهم بناحية وهران والقبيلة فى ناحية سعيدة، وتكرر طلبهم لقدومك عليهم والكون من رعيتهم وإنزالك منزلة العز والحرمة عندهم، فأبيت إلا البقاء على ما أنت وأسلافك عليه من الكون من رعيتنا المحمية بالله، وطلبت السعى فى خلاص أولادك وفكهم من الأسر لأنك اليوم نازل إزاء فجيج

تنتظر أمرنا الشريف بما يكون عليه عملك، فقد أمرنا بالكلام معهم فى قضيتك ولا زال جوابهم لم يرد والسلام ٨ صفر عام ١٢٨٩».

وكتب له:

«خديمنا الأرضى الحاج معمر بن السيد الشيخ وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بنزولك مع قبيلة العمور قرب فجيج، منتظراً صدور أمرنا الشريف لدولة الفرنصيص فى شأن خلاص ما أسروه لك من العيال غدرا لما حل بولد حمزة ما حل، مع أنك لا تسعى إلا فى الصلاح بين الدولتين.

وذكرت أن الفتان المذكور فر لناحية اتوات، ولم يبق معه أحد من شيعته وصار يخاطب قبائل الصحراء بالرجوع إلى ناحية الصحراء، ويكاتب من كان مشتغلا معه بالفساد بالعود إلى قبيح حالهم الأول.

وطلبت أن نأمر جميع قبائل الصحراء بطرده وإبعاده ليستريح المسلمون من شره ومكره، كما طلبت تعيين طريق تسلك فيها عين الصواب مع جانبنا العالى بالله، حيث لا تعرف الصواب فى ذلك.

فأما أمر ولد حمزة فإنا أكدنا على تلك القبائل أن لا يقبلوه بل يطردوه من ناحية بلادهم ويبعدوه من هذه الإيالة السعيدة.

وأما الطريق التى تسلكها والسير الذى تسير به هو أن تلزم الاشتغال بما يعنى والإقبال على ما هو من شأن المرابطين من الركون إلى السكينة والسعى فيما يحبه الله وعباده، وأن تقوموا على الساق فيما عسى أن نأمركم به من أمور الخدمة الشريفة والصلاح جريا على عادة أسلافك رحمهم الله والسلام فى ٢٩ صفر عام ١٢٨٩».

ثم فى سنة ١٢٨٢ أوفد أيضا سفارة أخرى لباريس فى مطالب منها مسألة ولد حمزة ولد الشيخ بوشماحة المعروف بسيدى الشيخ الذى كان يغير على عمالة الجزائر.

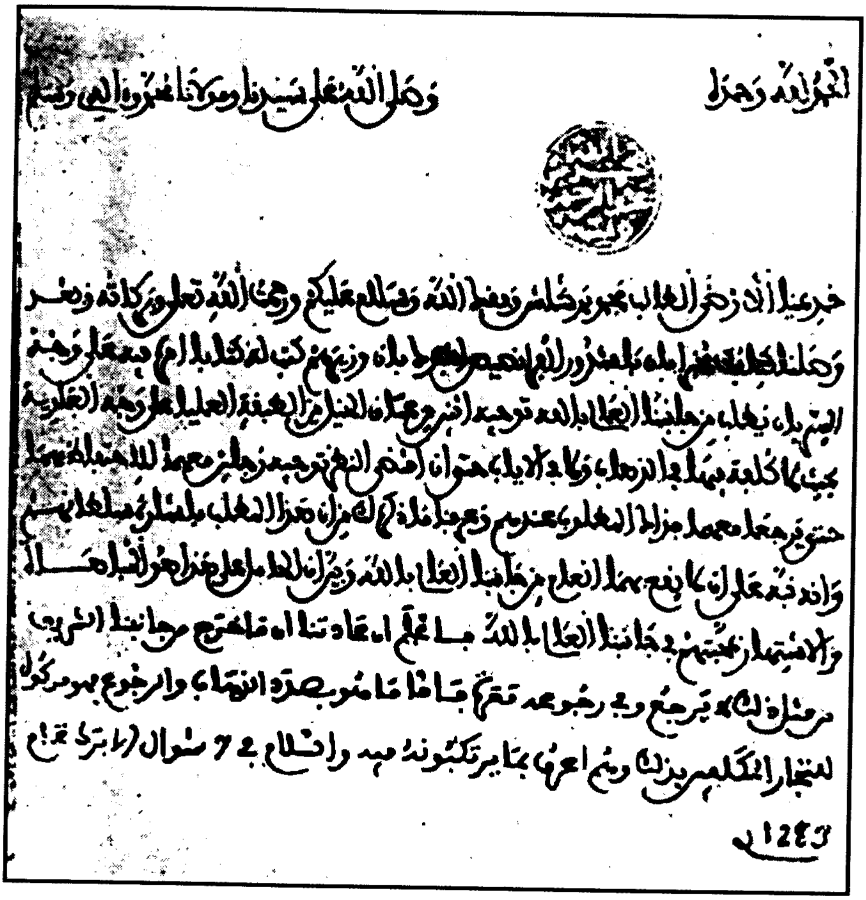
ومنها مسألة السفراء الذين يأتون من الدولة الفرنسية للدولة المغربية، واقتراح أن يكونوا منتخبين من بيوت أعيانهم وممن يتصف بالتأنى وحسن السيرة والوقوف عندما حد[1] لهم، يرأس هذه السفارة القائد محمد بن عبد الكريم الشرقى خال المترجم، ومعه قائد سلا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الصنهاجى من صنهاجة سوس السلاوى المتوفى سنة عشر وثلاثمائة وألف بسلا، ومعهما العلامة أبو عبد الله محمد السدراتى السلوى حفيد شارح موطأ الإمام مالك بصفة كاتب للسفارة، وقد قابل هذه السفارة ملك فرنسا نابليون الثالث بغاية الإجلال والاعتبار، وأعطى رئيسها وسامات عديدة وأقام بباريس أكثر من سنة حضر فيها المعرض الباريسى الشهير سنة ١٨٦٧ على ما أخبرنى به مؤرخ العدوتين صديقنا العلامة السيد محمد بن على الدكالى الأصل السلوى الاستيطان مكاتبة، وقد أورد صاحب الاستقصا الظهير الصادر فى هذه السفارة وقال: أقامت هذه السفارة بباريس شهرا فانظره.

وقد وقفت على ظهير شريف يتضمن الجواب عن طلب فرنسا من صاحب الترجمة أن يوجه إليها باثنين من عتاق الصافنات الجياد، فانظر هل المقصود من ذلك عرضهما فى ذلك المعرض ونص الجواب:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

(١) الاستقصا ٩/١١٦.


الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
وصلنا كتابك تخبر فيه بأن باشدور الفرنصيص طلب منك بأن تكتب له كتابا يتضمن فيه على وجه
المحبة بأن يطلب من جانبنا العالي بالله توجيه اثنين من عتاق الخيل من العتبة العلية على وجه الهدية
بحيث لا كلفة فيهما على الدولة ولا حد لا يلتفت حيث أن أمضى الأمر توجيههما على ... للاحتياط فيهما
حتى يرجعا معهما من الخيل المغربي عند من زعم بأن ذلك من أن هذا الطلب بالمنزلة ...
وأنه نبه على أن لا يقع بها التعلق من جانبنا العالي بالله ... على هذا أمر ...
والاستعمال بجنسهم في جانبنا العالي بالله فأعلم أن عادتنا أن ما خرج من جانبنا الشريف
من مثل ذلك لا يرجع ولا رجوع فيه فتقدم فأما ما هو بصدد الانتهاء والرجوع فيه ممن يكون
للتجار المتكلمين بذلك ومن أعلمهم بما يترتب عليه والسلام في 7 شوال الأبرك عام
1283

جواب سيدى محمد بن عبد الرحمن لبركاش فيما طلبه سفير فرنسا من توجيه ٢ من الخيل المغربية

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بأن باشدور الفرنصيص أخبرك بأن وزيرهم كتب له كتابًا أمره فيه على وجه السر، بأن يطلب من جانبنا العالى بالله توجيه اثنين من عتاق الخيل من الطبقة العليا على وجه العارية بحيث لا كلفة فيها فى الذهاب ولا فى الإياب، حتى إن اقتضى النظر توجيه رجلين معهما للاحتفاظ بهما يرجعا معهما فذاك المطلوب عندهم، وعرفنا ما ذكره لك من أن هذا المطلب بإشارة سلطانهم، وأنه نبه على أن لا يقع بهما إنعام من جانبنا العالى بالله، وبين أن الحامل على هذا هو المباهاة والاشتهار بمحبتهم فى جانبنا العالى بالله.

فاعلم أن عادتنا أن ما خرج من جانبنا الشريف من مثل ذلك لا يرجع، وفى رجوعه معرة، فأما ما هو بصدد الذهاب والرجوع فهو موكول للتجار المكلفين بذلك وهم أعرف بما يرتكبونه فيه والسلام فى ٧ شوال الأبرك عام ١٢٨٣».

ثم بعث لفرنسا بعد ذلك نائبة بطنجة السيد محمد بركاش سفيراً وزوده بهذا الظهير المخاطب به الإمبراطور نابليون ونصه:

«الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين وهو: (الطابع الكبير).

أبد الله نصره، وزين بالخيرات عصره، إلى المحب العزيز الملحوظ لدينا بعين الاعتبار والتعظيم، والمخصوص عندنا بمزيد الأثرة والتقديم، الذى أعطته الرياسة قيادها، وأدركت به السياسة اعتيادها، عظيم جنس الفرنصيص المفخم المكرم السلطان نابليون الثالث.

أما بعـد: فمـوجب تحرير هذا المرسـوم إلى جنابكم تجديد العـهود المشـيدة المبانى، وتأكيد أسباب الود التى يستوى مـعها البعد والتدانى، وتهنئتكم بما خولتم فى هذه النزهة العظيـمة، من السعـادة والكرامة، وما حـزتم بها من الفـخر الذى نشرتم فى الخافقـين أعلامه، فقد تناقلت أحاديثهـا الركبان فى الأقطار، وتدارست أخبـارها البوادى والأمصـار، ونسخت عجـائبها مـستلذات الأسمـار، وكيف لا وبرأيكم المصيب، كان إيرادها وإصدارها، وعلى مركزكم العجيب، كان مدارها.

وقد أخـذنا من الفرح بها السـهم الوافر، واستـجلينا من محاسنهـا البدور السوافر، لأن المحب بفرح حبيبه يتم له النشاط، وبما يلذ فى خاطره يكون له مزيد الاغتـباط، ولأجل ذلك وجهنا خـديمنا الأرضى الأنجد، ونائبنا العاقل الأسـعد، الطالب محـمد بركاش وزير الأمـور البرانية بحـضرتنا العاليـة بالله لينوب عنا فى تهنئـتكم، ويأخـذ حظه من الفرح والسـرور بحـضور نزهتـكم، والظن بجنابكم مقابلته بعين القبول والإقبال، وتوليـته جانب الاعتبار والاهتبال، حتى يرجع قرير العين برؤيتكم، منشرح الصدر بما تولونه من حسن طويتكم، والتمام فى ٢٢ ربيع الأول عام ١٢٨٤».

وأما علائقه:

مع الدولة الأمريكية

فقد وقفت من ذلك على تعزيته لدولتهم فى وفاة رئيسها المقتول حسبما جاء فى ظهيره الصادر لنائبه ووزير خارجيته بركاش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وصحبتـه الكناش الذى وجهه لجانبنا العالى بالله تعالى نائب جنس المركان متضمنًا لذكر كل من بلغهم عزاؤه فى عظيمهم الذى كان مات مغدوراً، وذكرت أنـهم وجهوا مثله لكل من عزاهـم من الملوك والدول حسـبما فى كتـابه الذى وجهت، ونبـهت على أنك كنت وجـهت لهم العزاء مـشافهـة على مقتضى القانون حين بلغك موته، وصـار كل ذلك بالبال، فاعلم أنا كتبنا له بنحو ما أشرت به، ولا بأس بذلك، فإن أسـلافنا قدس الله أرواحهم كانت بينهم وبين هذا الجنس محبة ومواصلة، وكان مولانا سليمـان قدسه الله يصافيه ويستعمله فى بعض أموره المهمات، والله يعينك والسلام فى ٢٧ جمادى الأخيرة عام ١٢٨٥».

ولما وافقت الحكومة الأمريكية على رجوع سـفيرها المستر «جس مك ماص» إجابة لطلبه وأرادت تعويضـه بغيره أرسل رئيس الجمهورية كتابًا لصـاحب الترجمة فأجابه عليه بما نصه بعد البسملة والحوقلة:

«من عبد الله المتـوكل على الله المفوض أمره إلى الله أميـر المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمـير المؤمنين بن أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى وهو (الطابع الكبير).

أدام الله عـلاه، وكان لـه وتولاه، إلى المحب المعظم، عظيم جنس المركـان المحترم، البرزدنط السن سمسر كرنط.

أما بعد: حمداً لله تعالى فقد ورد على حضرتنا المحروسة بالله كتابكم المنبئ عن طلب خـديمكم الناصح مـسطر جس مك مـاص القائم بحـسب النيـابة عن جنسكم بهـذه الإيالة السعـيدة - الرجـوع لبلاده، مـسقط رأسـه، ومحل أنـسه، وموضع طـارفه وتلاده، لطول غـيبتـه عن وطنه، وإلفه وسـكنه، فساعـدتموه فى طلبتـه، وأجبتموه إلى رغـبته، وأمرتموه بإنهـاء ما أنتم عليه من المحبـة فى جانبنا العـالى بالله المؤسسـة بين الدولتين على أوثق أسـاس، المعروفـة بين المحبـين من

الناس، خصوصًا بين أسلافنا وأسلافكم، ورؤسائنا ورؤسائكم، حتى امتزجت بينهم وأورثوها لمن بعدهم من بينهم، وأقاربهم وذويهم.

فبلغ ما أمرتموه به قيامًا بعهد المحبة والأخذ بأقوى سببه وذلك معروف عندنا ومقرر لدينا نعرفه ظاهرًا كظهور الشمس، ويعرفه أسلافنا وأسلافكم، وما قصر هذا النائب مدة مقامه فى نيابته فى القيام على ساق الجد فى تجديد العهد وما قط رأينا منه إلا الخير التام، فمثله من يكون نائبًا عن الدول، فى إحياء ما أسسه الأسلاف الأول، فنحبكم تراعون له ذلك، وتسلكون به أحسن المسالك، فإنه أهل لكل ما تعاملونه به من الإحسان، والبرور والامتنان، وإن تأتى رجوعه لإيالتنا فهو أولى لعقله ومروءته، وحسن سيرته.

وإن كان لكم غرض أردتم قضاءه به ووجهتم مكانه آخر فنحبكم أن توصوه بأن يجرى على سيرته وتجديد المحبة وإحياء عهدها كما فعل هذا النائب العاقل.

وبالجملة فلم يقصر فيما كان معروفًا بين أسلافنا وأسلافكم من المحبة حتى رجعت أقوى مما كانت، وأنت قطب رحا هذه المحبة المجددة بيننا وبينكم، وعلى سيرتك كانت أسلافكم مع أسلافنا، ونحن نحب أن نزيدها تأكيدًا ونحيى ما أسسه الأسلاف فإن أسلافنا كانوا يقدمون أسلافكم فى أمورهم لشدة محبتهم وصدق وفائهم وعهدهم وأمانتهم، وكذلك نحن نحب إحياء ذلك بيننا وبينكم حتى تصير أكثر مما كانت بين الأوائل، وكل ذلك لصدقكم وكثرة محبتكم ووفور عقلكم حتى عرف ذلك عند جميع الناس، وحصلت بسببكم الألفة والاستئناس، والتمام ٢٣ ربيع الثانى عام ١٢٨٦».

ولنختتم فصول باب العلائق بذكر رسائل كان يبعثها بعض ممثلى الدول لرجال دولة صاحب الترجمة تتميمًا للفائدة، فمن ذلك ما كتب به سفير الإنجليز لمولاى العباس من أصله الممضى بخطه العربى بعد الحمدلة:

الحمد لله وحده [illegible]

من جانب موسي دو سيليون نائب الجنرال من جنس قنصل جنرال
دولة فرانسة في ممالك الغرب الى حضرة الأكرم المكرم الفقيه العامل
الأجل الأعظم السيد محمد الخطيب خديم مقام العالي بالله [illegible]

بعد السؤال عن عزيز الخاطر انسه اتم نخبر الى سيادتكم هو ان [illegible]
صارت الذاعرة به فرحمو بعلكم تتأملوا بفعله موسي كشير وانير والانطاون
من تجار السارد وفي امرا ويتكلفوا ذلك لأجل الأشياء لأجل التسريح
بمنزلة [illegible] للحبوب الموجودة اليوم تحت يدهم من العطل والهدا والحمص
من غير زيادة وكما ذكرنا الى حضرتكم ولو ان التاجر للذعور وبعضهم
يدعون ان بوقتو المنع لا استفعوا منهم ما عندهم من هذا الصنف
وان في السويرة والجديدة صارت المساعدة للبعض في وقت جانب
من ذلك واخيرا انه داخل مسكين هو وبعضهم وتحصل لهم الخسارة الكبيرة
في أمرهم ان لم تعطيهم التسريح مع كل ذلك نحن نغيروا عليه وعليهم
ونصبروا نبلغهم ان من هنا لفكام لا ينعطوا شي يكون خالف أمر
السلطان ايده الله عوضنا لم نصير نقبل به عذر وللزمو كذلك من فضلكم
حين تكاتبوا عن هذه القضية يكون الامر لاهينا امرى حين وروده التسريح
للذعور يحققوا حالا ما عند كل من تجار المذكورين ولا يكون الوسق
إلا ما الذي تحت يدهم ولا غير وهذا ما نطلبه منكم والسلام

9 آوشت عام 1861

كذلك النائب العمومي لدى قونصو الساردو
بحسب الوكيل

كتاب قنصل فرنسا نائب سفيرها ووكيل دولة الساردو للخطيب وزير الخارجية المغربية

«إلى الحضرة الشريفة سيدنا ومولانا خليفة السلطان أيده الله مولاى العباس، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: هذا التقييد لم هو منا مثل كلام من منسطر سلطانة اكرت ابرطن، إنما هو محض المحبة ومرادنا فى الخير لهذه الإيالة، ولا يخفى منا صعب هذا الوقت وقدر ما يصعب الأمر يصعب دواؤه، والله يعين لمن تسبب، والحمد لله عقل سيدنا كبير، ويميز ما يكون فيه المنفعة فى هذا الأمر، والله عالم لم تكلمنا فى هذا ولم سعينا فيه إلى حيث مرادنا هو تخرج بخير من هذا الأمر حتى لا يضعف السلطان ولا بيت المال وعلى المحبة والسلام فى ٢ نونبر سنة ١٨٦٠.

عن إذن منسطر سلطانة اكرت ابرطن بإيالة مراكش

جان هى درمنض هى».

ومن ذلك كتاب سفير فرنسا ونائب دولة الساردو فى شأن بعض التجار ونصه على ما به من عوج فاق الحد:

«الحمد لله وحده، لا شريك له:

من جانب موسى ده عيتليون نائب المفوض له وقنصل جنرال دولة فرنسا فى ممالك الغرب إلى حضرة الأكرم المكرم الفقيه العاقل الأجل الأفخم السيد محمد الخطيب خديم مقام العالى بالله نصره الله، بعد السؤال عن عزيز الخاطر إن شاء الله أنتم بخير المبدى إلى حبكم، هو أن بموجب صارت المذاكرة به نرجو فضلكم تتأملوا لقضية موسى كمبرد واثنين والثلاثين من تجار السارود وفى أصفى، وتبلغوا ذلك لمحل الإيجاب لأجل التسريح بمقدار فقط الحبوب الموجودة اليوم تحت يدهم من الفول والضرا والحمص من غير زيادة، وكما ذكرنا إلى حضرتكم، ولو أن التاجر المذكور ورفقاءه يدعون أن بوقت المنع لاستقصوا منهم ما عندهم من هذا

الصنف، وأن فى السويرة والجـديدة صارت المساعدة للبـعض فى وصق جانب من ذلك، وأخيراً أنه راجل مسكين هو ورفقاؤه وتحصل لهم الخسارة الكبيرة فى أمرهم إن لم عظى لهم تسريح، مع كل ذلك نحن تغيرنا عليـه وعليهم ونصير نبلغهم أن من هنا لقدام لا يتـعاطوا شىء يكون مخـالف أمر السلطان أيده الله لكوننا نصـير نقبل به عذر.

والمرجو كذلك من فضلكم حـين تكاتب هذه القدية يكون الأمر لامنا صفى حين ورود التسريح المذكور يحقـقوا حالا ما عند كل من تجار المذكورين ولا يكون الوسق إلا بالذى تحت يدهم ولا غيـر، وهذا ما نطلبه منكم والسـلام ٢ اوت عام ١٨٦٠» ثم إمضـاء عجـمى وتحته: كـذلك النائب المفوض له من جـنس السارود حسب التوكيل انتهى بلفظه وحروفه.

ومن ذلك كتاب الكولونيل حاكم تلمسان إلى عامل وجدة بعد الحمدلة:

«من حضرة سـعادة الكرونيل حاكم عمـالة تلمسان ونواحيـها أيده الله إلى محبنا الفقيه السيد أحمد بن الداودى عامل وجدة ونواحيها، عليك السلام مع دوام الرحمة والبركة.

وبعـد: قـد دركنا كـتـابك على شـأن أولاد انـهـار وأولاد على بالهـامل المهاجرين، وقد اسـتنجزنا وفرحنا غاية، بأن سيدك السلطان أيده الـله أمر قبائلكم أن يبعـثوا من عندهم العرب المـهاجرين وهم المذكـورين أعلاه، وتحقـقنا غاية بأن مرادك فى الخير معنا إن شاء الله جزاك الله خـيراً على ما فعلت معنا فى الدعوة، وعزمت ببعث نسخة من بطاقتك لسيدنا الجنرال دولينى.

وكتب لنا فى خـيط تيليغراف وأمـرنا بالكتب إليك ونجاروك عنه خـيراً عن إصلاح أفـعالك، فلذلك نحب منك أن تجمع حـذوك جماعـة أولاد انهار وأولاد



كتاب من حاكم تلمسان إلى ابن الداودى قائد وجدة

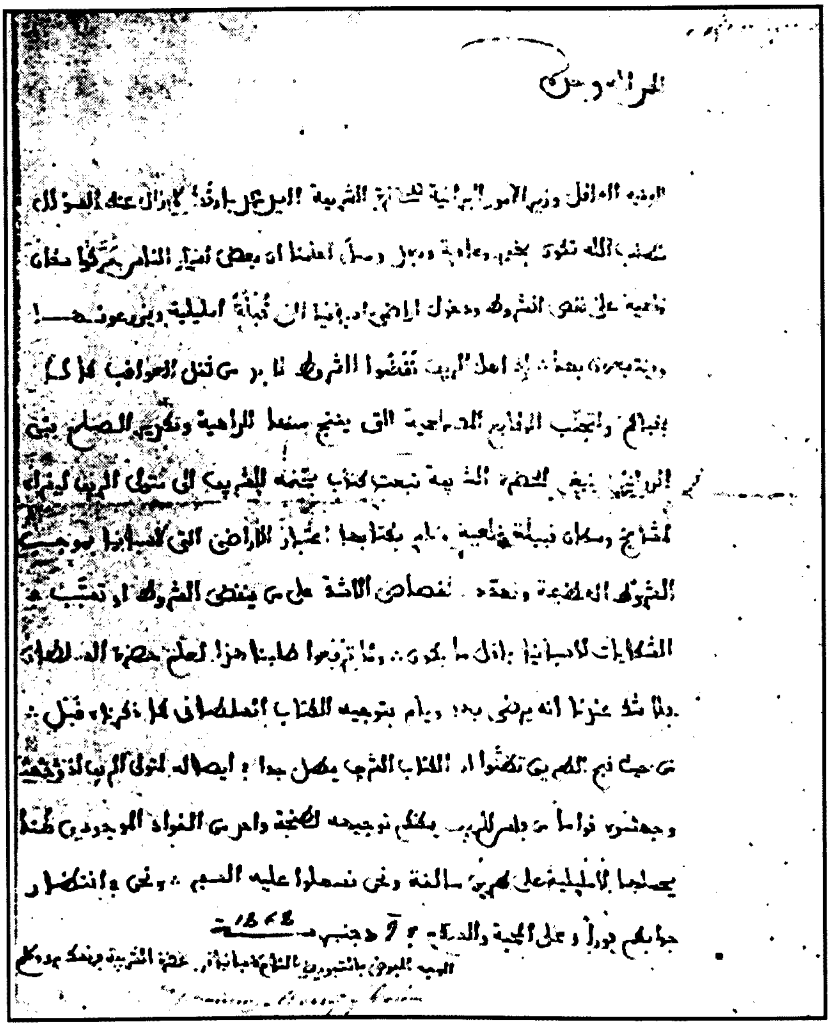
على بالهامل، وتخبرهم بأن جميع إخوانهم المسجونين فى وهرانه وفى افرانصه قد أنعموا عليهم بالتسريح لأجل عيد سيدنا ومولانا السلطان أعزه الله ودام نصره.

واليمانى ولد الموفق فتراه مطلوق بوهرانه ويتنزه فيها، مع ولد أخيه الماحى، وابن رقية ولد محمد وتراه يـرجى فى خلوط المسرحين من افرانصه، وتلك الناس يكونون فى وهرانه البابور أو فى البـابور متاع يوم السبت الآتى بغـير شك، وحين يجتمعوا كلهم بوهرانه يبعثونهم مطلوقين لتلمسان ومن هنا إلى سبدو، وجميع ما ذكرناه لك يكن عندك حقًا وصديقًـا من جانب سيدنا الجنرال دولينى، ومن جانبنا ولذلك أبعث أولاد انهار وأولاد على بالهامل يتـقربون بلادهم ويكونون موجودين لجمعهم مع إخوانهم حين يقدموا، فالله يجازيك خيراً ونحبك أن تعود تشتهد فى الخير بين الدولتـين بتاريخ خمسة وعـشرون من ربيع الأول عام ١٢٨٢ المطابق ١٨ اوت عام ١٨٦٥».

ومن ذلك كتاب سفير الإصبان للنائب بركاش:

«الفقيه العاقل وزير الأمور البرانية للحضـرة الشريفة السيد محمد بركاش لا زال عنك السؤال، نطلب الله تكون بخير وعافية.

وبعد: وصل لعلمنا أن بعض أشـرار الناس حركوا سكان قليـعة على نقض الشروط ودخول أراضى إسبـانيا التى قبلة امليلية ويزرعونها وينتـفعون بها إذ أهل الريف نقضوا الشروط، لابد من ثقل العواقب، كـما لا يخفاكم، ولتجنب الوقائع المضـاهية التى ينتج منهـا الداهية وتكديـر الصلح بين الدولتين، ينبـغى للحـضرة الشريفة تبعث كتاب بختمه الشـريف إلى متولى الريف ليقرأه لمشايخ وسكان قبيلة قليعـة، وتأمر بكتابهـا اعتبـار الأراضى التى لإسبانـيا بموجب الشروط العظيـمة، وتهدد بالقصـاص الأشد على من ينقض الشروط أو تسبب فى الشكايات لإسـبانيا بأقل ما يكون.



الوجيه العاقل وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بركاش لا زال [illegible]
[illegible] الله تكون بخير وعافية وبعد وصل اعلمنا ان بعض [illegible] الناس [illegible]
ناحية على نقض الشروط ودخول الاراضي الاصبانية الى قبالة امليلية ويزرعونها
ويحصدونها [illegible] اهل الريف نقضوا الشروط [illegible] العواقب [illegible]
[illegible] والتجنب [illegible] التي ينتج سخط للراحة وتكدير الصلح بين
الدولتين ينبغي الحضرة الشريفة تبعث كتاب [illegible] الى عامل الريف [illegible]
المشايخ وسكان قبيلة قلعية [illegible] اعتبار الاراضي التي لاسبانيا بموجب
الشروط الواضحة [illegible] الاشد على من ينقض الشروط او تسبب في
الشكايات لاسبانيا [illegible] حضرة السلطان
ولا شك عندنا انه يرضى بذلك ويأمر بتوجيه الكتاب السلطاني [illegible]
[illegible] ان الكتاب الشريف يصل جدا [illegible] لعامل الريف [illegible]
[illegible] للريف يمكن توجيهه [illegible] واحد من القواد الموجودين [illegible]
يحملها لامليلية [illegible] ونحن [illegible] عليه [illegible] ونحن في انتظار
جوابكم [illegible] وعلى المحبة والسلام في 7 دجنبر سنة 1868
[illegible]

كتاب سفير إسبانيا لوزير الخارجية المغربية

السيد محمد بركاش فى شأن الحدود

ولما ترفعوا طلبنا هذا لعلم حضرة السلطان فلا شك عندنا أنه يرضى بها ويأمر بتوجيه الكتاب السلطانى كما ذكرناه قبل من حيث قبح الطريق تظنوا أن الكتاب الشريف يطل جداً فى إيصاله لمتولى الريف إذ وجهتموه قواماً من فاس للريف، يمكنكم توجيهه لطنجة واحد من القواد الموجودين هنا يحملها لامليلية على طريق مالقة، ونحن نسهلوا عليه السفر ونحن فى انتظار جوابكم فوراً وعلى المحبة والسلام فى ٩ دجنبر سنة ١٨٦٨.

الموجه المفوض بالتفويض التام لإسبانيا قرب الحضرة الشريفة.

فرنسيسكو مرى وكلوم».

ومن ذلك كتاب قنصل البرتغال للخطيب:

«الحمد لله وإليه يرجع الأمر كله.

إلى حضرة المكرم الأرضى، النائب عن المقام الشريف الواسطة فى الكلام مع نواب الأجناس الفقيه الوزير السيد محمد الخطيب، فالله يدوم مقامك بخير وعافية.

وبعد: فاعلم وأنه بلغنى من حضرتك الكتب الأول بتاريخ ١٨ والثانى بتاريخ ٢٨ من ذى القعدة شهر التاريخ وتعرفت بجميع ما ذكرت لنا فيهما على أجل تلك البحرية من آل جنسنا الذى عرفتك بهم من قبل، وبما قد كان توقع لهم.

ومن مكاتبك هذه قد بانت لنا المساعدة والخاطر معنا فى شأن ما تكلمت معك به من أمر ذلك القضية، وقد ورد الأمر الشريف بأن تعرفنى بالتأكيد الصادر بالبحث على الفعال وعقابهم، مع أن ما لنا من غاية القصد والمراد هو أن تبقى مخزنية جنسنا مقررة من غير تكدير الخاطر، حيث الملزوم على أن نعرف وكنت

عرفتـها بما جرى من قـبل والله يجازى المقام السعـيد عنا خيراً على مـا أمرك بأن تعرفنى به فى ذلك، وكـذلك سيادتك والله يبـارك فيك ويبقى واسطتك السعـيدة بخير دائمًا وعلى صفاء المحبة والتمام فى يوم ٣٠ من ذى قعدة الحرام عام ١٢٧٥.

الخديم جرجى كلاص قنص خنرال لجنس البرطقيز بمحروسة طنجة».

ومن ذلك كتاب «فرنسيسكو اميـريكية» الأسير الإسبانى بواد نون من سوس ترجمته: «واد نون فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٦٣.

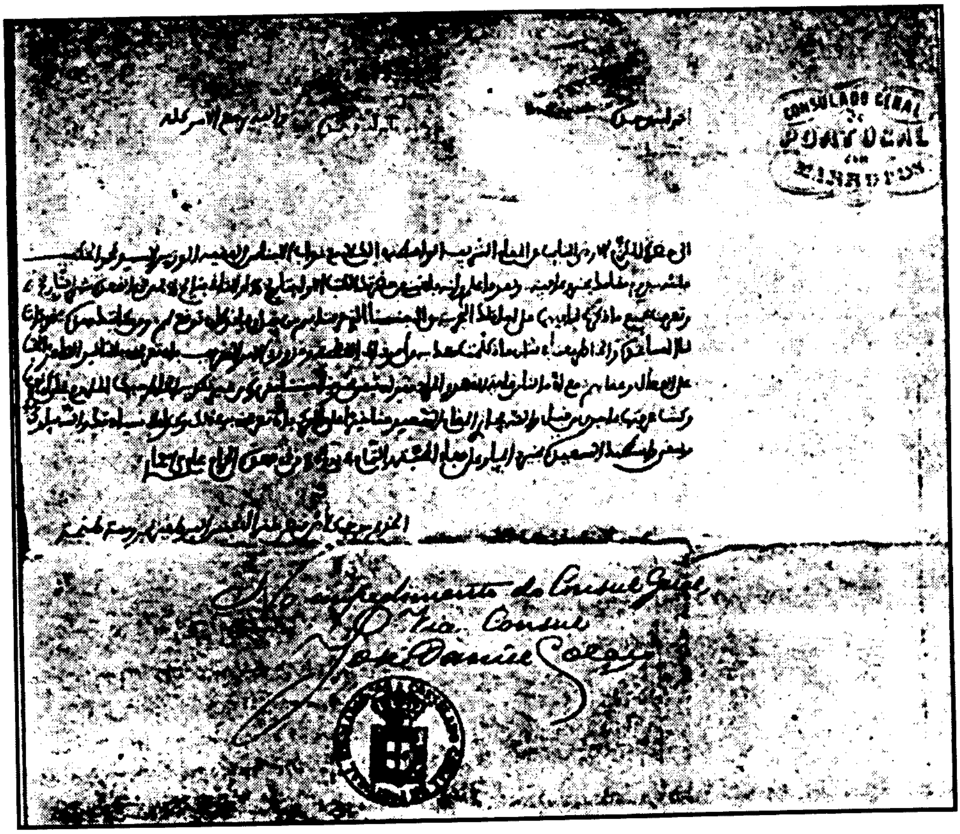
إلى قائد الجيش المغربى(١).

بعد تقديم سلامنا إلى سيادتكم والدعاء لكم بتمام الصحة والعافية، نخبركم أنه قد ألقى القبض علينا فى هذه القرية ونحن الآن بهـا ٢٥ أسيراً نصرانيًا، أما ٦ منا فقد أسـروا هذه مدة تناهز السنة و ٨ قد سجنوا هـذه ستة شهور بعـد ما غرق بهم المركب، وأمـا ١٢ الآخرون فهـذه ثلاثة شهـور، ولهذا السبب لا يـنبغى أن يأخذكم العجب حـيث تجاسرنا على الكتابة إليكم ولم تتقـدم إلينا إلى الآن المعرفة بجنابكم، وعليه قد بلـغنا بواسطة أحد أتباعكم أنكم وصلتم صحبـة حضرته إلى المدينة التى نحن مـسجـونون بهـا، فعـزمنا إذًا أن نكتب إليكم على يد خـادمكم المذكور وكـذلك لسموه طالبين منه أن يـبذل كل رخيص وغال لديه ليـخرجنا من هذه الغربة، وكمـا نطلب منكم أن تعملوا كل ما فى وسـعكم وسنحفظ لكم هذا الجميل ما حيينا.

وأما إعـداد تخليصنا فقد بـيناه فى الكتاب الذى وجهناه لحـضرته ونعلمكم أيضًـا أن الدكـتـور لويز كارسـيل رئس المـركب المسمـى بلاكولـط بوليكاربو من الخزيرات قد أسر معنا، وكان هذا المركب يبحر على طريق الرباط، وقد كان خرج

---

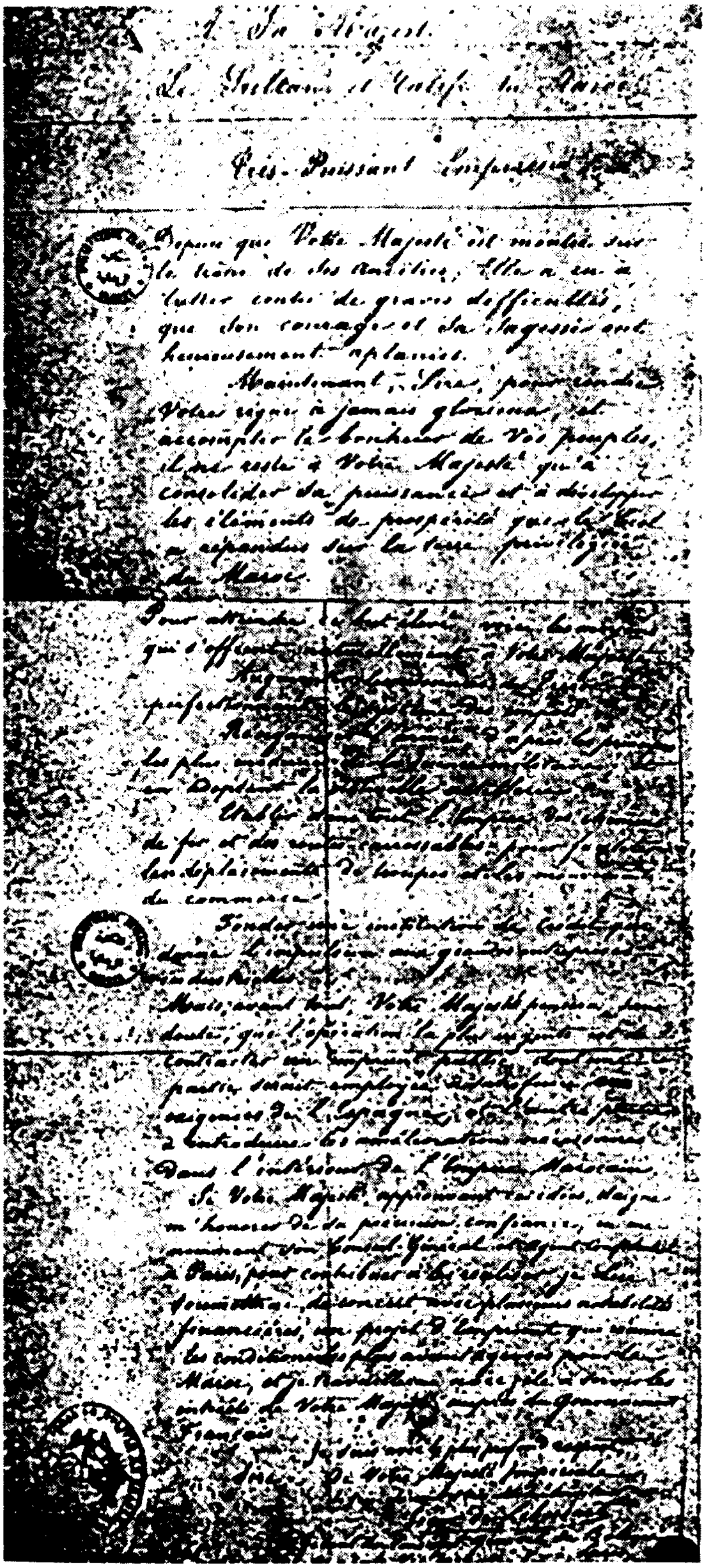
(١) فى هامش المطبوع: «لا يعرف هذا القائد على المحلة المغربية المتوجه لتلك الناحية».



CONSULADO GERAL
PORTUGAL

impedimento do Consul Geral
Vice Consul
José Daniel Colaço

كتاب جرجى كلاص قنصل البرتغال بطنجة للسيد الخطيب وزير الخارجية المغربية



A Sa Majesté

Le Sultan et Calife du Maroc

Très-Puissant Empereur

Depuis que Votre Majesté est montée sur le trône de ses Ancêtres, Elle a eu à lutter contre de graves difficultés, que son courage et sa sagesse ont heureusement aplanies.

Maintenant, Sire, pour rendre Votre règne à jamais glorieux, et accomplir le bonheur de Vos peuples, il ne reste à Votre Majesté qu'à consolider sa puissance et à développer les éléments de prospérité que le Ciel a répandus sur la terre privilégiée du Maroc.

[illegible]

كتاب وكيل قنصلية بوليفيا بباريس للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن

من آسفى موسوقًا زرعًا قاصدًا الجزائر الخالدات (كنرية) فغرق فى ٢٧ مايو بعد ما امتلأ ماء وفى ٢٩ أمكن هذا الرئس أن يصل إلى الشاطئ دالميانو مع ٧ من البحرية فألقى القبض عليهم.

وخلاصة الكلام فنؤكـد على جنابكم أن تبذلوا الجهد الجهـيد فى إنقاذنا من هذه الغربـة، وأن تتفاوضـوا مع الأميـر فى شأننا واعلمـوا أن جل هؤلاء الأسرى متزوجون وأن عائلاتهم الآن يتقلبن احتياجًا عادمين يد المئونة.

ها مـا وجب به الإعلام اليـوم وانظروا حـالة هؤلاء الأسرى الذين يقـبلون يدكم.

الكاتب: فرانسيسكو اميريكه.

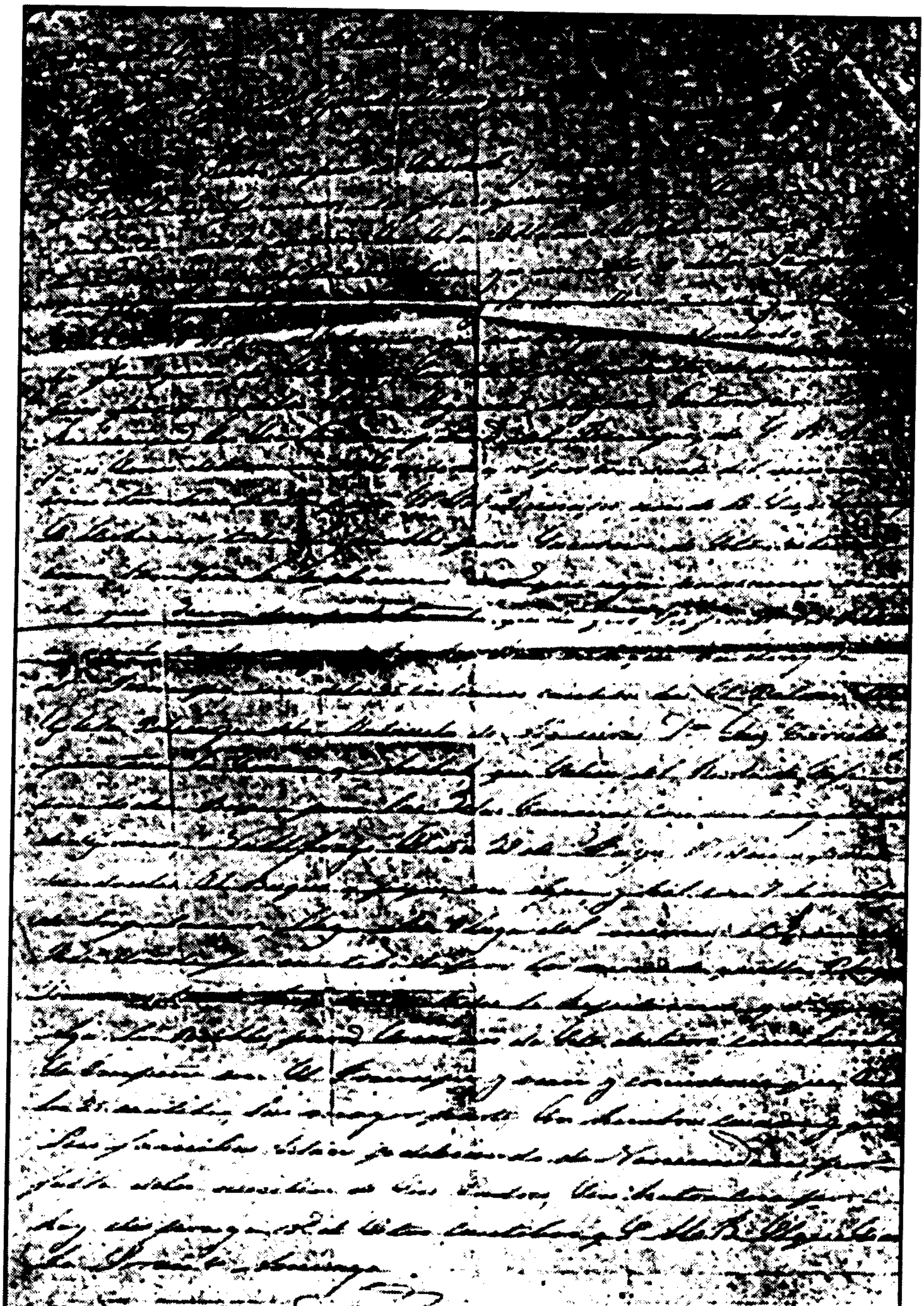
ومن ذلك كتاب وكيل قنصل بوليفيا بباريس للمترجم:

«إلى جلالة السلطان والخليفة بالمغرب الإمبراطور العظيم.

منذ ارتقاء جلالتكم على عـرش أسلافها الكرام ما فتلت تحـارب الصعوبات الخطيرة التى أزحـتموها بفضل شـهامتكم وحسن تدبيـركم، والآن يا جلالة الملك لأجل الحصول على عظـمة دولتكم بصفة دائمة والقـيام بسعادة رعـيتكم، فإنه لم يبق لجلالتكم إلا تقوية دعائم سلطتكم ونشر أصـول الثروة التى أفاضها الله تعالى على البلاد المغربية المخصوصة بكل خـير ولأجل الحصول على هذا المقصد السامى فها هى الطرق المؤدية طبعًا لذلك وهى:

تكثير دخل بيت المال بتحسين طرق الجبايات.

تنظيم الجـيش على مقـتضى أحسن أصـول الفن العسكرى الحـديث وذلك باستعمالكم للمدافع الجديدة.



كتاب فرانسيسكو أميريكه البحرى الإسبانى الأسير بواد نون

إحداث السكك الحديدية وطرق العربات بسائر أصقاع المغرب لتسهيل انتقال الجنود والحركات التجارية.

تأسيس مركز مالى يكون باعثًا ومقويًا للمشاريع الصناعية.

ولكن قبل كل شىء فإن جلالتكم سترى بلا شك أن أول عمل مستعجل، هو عقد سلف عام يخصص قسط منه لإرضاء مطالب إسبانيا والقسط الآخر يصرف فى الإصلاحات الواجبة بداخل الإيالة المغربية.

هذا وإذا قبلت جلالتكم هذه الأفكار فلتتفضل بتشريفى بثقتها النفيسة بتسميتى قنصلها العام ووكيلها السرى بباريس لأعينها على تحصيل ذلك، وأعرض عليها مشروع سلف بعد مفاوضة جماعة من الدور المالية، يكون جامعًا لسائر الشروط التى تفيد المغرب، كما أنى سأعمل غاية مجهودى للقيام بمصالح حكومتكم لدى الدولة الفرنسوية وأقدم لجلالتكم واجب الاحترام.

الإمضاء: سيجير دوليبصار.

وكيل القنصلية العامة لحكومة بوليفيا.

بشارع لافيكطوار عدد ٧ بباريز.

باريز فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٦١».

وحوله طابع مكتوب بداخله «القنصلية العامة لحكومة بوليفيا».

ومن ذلك تقييد مطالب سفير الإنجليز ونصها بإمضاء العربى بعد الحمدلة.

«أوله ما كان واعد به السلطان المقدس من قبض وعقوبة السيد مسمى وأولاد سيدى الشيخ وطردهم من محادة الفرنصيص فلا من وفاء ما ذكر أو تصدر منه مشقة.

فالجسارة الصادرة لخليفة اكرت ابرطن بثغر آسفى من عاملها بهجم محل الخليفة المذكور وحوز أمتعته، وهذا العامل المذكور فالواجب هو عزله من الخدمة عن هذه الجسارة المهمة، ويرجع للخليفة الأمتعة المذكورة وقد أمرتنى دولتنا بطلب الحق التام عن هذا الأمر.

والمطالب الكائنة المتعلقة بالمراسى فلا بد من فصالهم دون تعطل، والفقيه السيد على المسفيوى أو كاتبًا آخر يؤمر بفصال هذه الأمور ويجعل الحق.

والمكس المجعول على الأبواب ينبغى زواله وتركه حيث يصدر منه الغير الكثير لرعية السلطان أيده الله، وخلافًا لمراد دول الأجناس حيث فالسلع يتأدى عليها عشرة فى المائة وقت نزولها، وفى السلع الخارجة يتأدى عليها من ١٩ إلى ٢٩ فى المائة، ولهذا يكون مكس آخر على ذلك مخالفًا لمضمن الشروط، وذلك مستنبط من رأى لا عقل له من أحد من أهل فاس، والكثير من المستفاد المذكور يدخل بصناديق الخدام ولم يدخل بيت المال.

وديون العمال لرعية الأجناس فلا بد من فصالهم ويصدر كثير الغيار من هذا التعطل.

وما كان واعد به السلطان المقدس فى أمر جعل المون لمرسى طنجة وحصر البحر بدار البيضة، وجعل الطلكراف، وهو الكلام فى السلك فلا بد من وفائه أيضًا.

فخدام مرسة الصويرة يشتكون منهم مراراً فيما يجعلون من المشقة لقونص اكرت ابرطن وقونص الفرنصيص هناك ولغيرها من قنصوات الأجناس من العكس الصادر منهم فى الأمور الصغار، وعن جعل الحق ومن ظهور الخصوصية منهم فى الأعشار، فالمستحق لهذا الخدام التوبيخ التام أو العزل بالكلية أو تصدر منهم المشقة الكبيرة.

ويقع النهب مراراً لرعية اكرت ابرطن ولغيرها من رعاية الأجناس بثغر الصويرة أيضًا، قبل وفاة السلطان المرحوم ولم ينفضحون النهاب ولم رجعت الأمتعة المنهوبة لأربابها، والظاهر وأن عاملها يقسم معهم ويذكرون وأن العامل.. (بتر). ولا بد من البحث فى هذا النهب الواقع المذكور وصدور الحق عليه.

والأمور الأخر المتعلقة أيضًا فلا بد من فصالهم والسيد بوبكر بيده التقييد عن ذلك وخبر الجميع وفى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٧٣.

جان هى درمنض هى».

وقد أتينا لك بهذه الوثائق الرسمية والمعاهدات الدولية بنصوصها على ما بها من ألفاظ عامية، وتراكيب سقيمة، هى الأمثلة العليا للركاكة والفهاهة، بحيث لا يقبلها ولا يسيغها ذوق المتأدب فضلاً عن الأديب، ولكنا آثرنا ذكرها على ما ذكر من اعوجاجها لما فيها من الفائدة التاريخية التى هى المقصد الأهم عندنا، ولأنها صادرة عن رجال مسئولين عن تلك الحوادث وقد كتبوها بخطوطهم، أو أمضوها بتوقيعاتهم، فأقوالهم أصدق الأقوال فى موضوعها، ورواياتهم أقوى الروايات، والله الموفق فى الماضى والآت(١).

حساب الموازنة والدفاتر المالية فى عصره

كان نظام بيت المال أو حساب الموازنة المالية لصندوق الدولة فى عصره على أتم وأضبط ما يكون، بل إن من يطالع ويفحص ما بمكتبنا من الدفاتر التى لا تزال ناطقة بحسن النظام وترتيب حساب الموازنة فى هذا العصر والذى قبله وبعده، يدهشه ما يعثر عليه من دقتها ونظامها، ولا يكاد كثير من غير المطلعين يدرون شيئًا منها، فبيت المال كان عهده وعهد سلفه سائرًا تحت نظام لا يختلف فى شىء من أصوله ومؤسساته عن نظام الموازنة المالية العصرية المعمول بها فى هذا الوقت.

نجد بين أيدينا دفاتر حسابات الموازنة العمومية، وهذه تشتمل على أقسام ودفاتر متنوعة بتنوع وجوه المدخولات والمصروفات المالية من حساب الجيش

(١) حافظنا على الأسلوب هنا وفيما مضى ليكون شاهدا على لغة عصره فى مثل هذه الوثائق والمعاهدات الدولية.

بأقسامه وحـامياته المرابطة بكل ناحية على حدة نأت أو قـربت، وحساب المصالح المخزنية والوزارت والعمـالات، وحساب النفقات الخاصة والعامـة، لمختلف شئون ومصالح المملكة والتابعـة لها والمتعلقة بها، كنفقات السفـراء والواردين والمتوجهين لخدمـة الأغراض السـياسـية والتجـارية، بينه وبين سـائر الممالك، ونفـقات الدار السلطانية مفصلة بكل ضبط، فمنها للسلطان نفسه ولخدمه وخاصته وحرسه و و و وهكذا قـسم المدخولات وأبوابهـا المرتبـة ونظامهـا المتقن الـبديع المتـبع فيـه نفس النظامات الماليـة بعينها وذكر كل وارد عـلى حدة وبابه وقسمـه وطريقه الوارد منه وإلحاقه بمحله اللائق به.

ومن لى بأن يعرف المطالع أو يقف بنفسه على هذه الأسفار الحسابية نفسها، فإن قليلاً من إرسـال رائد النظر يدرك معه ما كانت عليـه حسابات الدولة العلوية العليـة من النظام الذى لا أخشى أن أردد عـنه ما قلت من أنه لا يقل شـيئًـا عن حساب الموازنات المالية فى هذا العصر، إن لم نقل إن ذلك عنا أُخذ.

ومع كون الحسابات مضبوطة أتم ضبط ومرتبة أحسن ترتيب، نشعر أن الدقة كانت تتناول ما عدا الحـسابات اليومية والشهرية ومجـموعة السنوية ترتيب الأرقام وإحكام وضع أعـدادها المنضبطة إزاء كل فـصل من فصول الخـارج والداخل، ثم وضع مجموعاتها حاشـية الصحيفة بضبط مع جعل شبهه مجمـوعة عامة اختبارية فى الآن نفـسه أسفل كل ورقـة، وقبل نقل ذلك ومـتابعـة العمل فى الصـحيـفة الموالية.

فنفقـات التراتيب المخزنيـة وحواشى الدار ونفـقات ما فـوق العادة والطارئة والفصول التى لا تندرج تحت قائمة أو باب معـينة، كل ذلك كان معروفًا ومذكوراً بحساب الموازنة الماليـة المغربية على هذا العهد، وكان السـلطان يطلع عليه ويعلمه ويدققـه احتـفاظًا بحـقوق الأمة تصـرفًا بالحق والعـدل فى مال الدولة والرعـية،

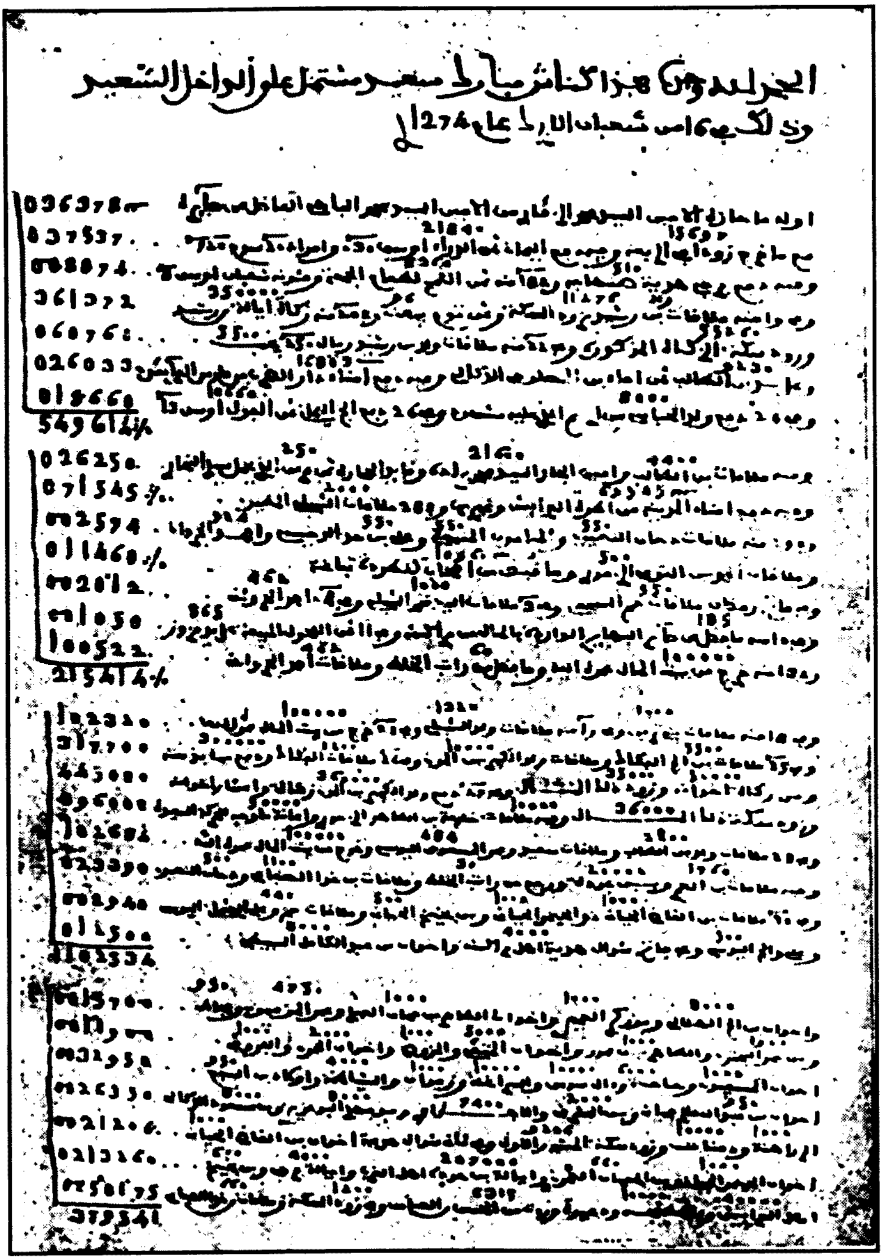
واستعمالاً لذلك فى وجوهه الشرعية والقومية التى يصرف فيها، ومن أجلها وقعت جبايته وتحصيله.

وهل تظن أن إصلاح عربة السلطان والتنصيص على فرشها وإقامتها وكل أجزائها، مهما كان ذلك صغيراً أو مهم، وذكره فى حساب النفقات الخاصة بالسلطان، وجعله فى موازنته ليطلع عليه كان لغير معنى أو سبب من الأسباب التى نومئ لها من توخى الدقة والمراقبة التامة على جليل الأشياء وصغيرها مع إحكام النظام والحسابات على نمط يشبه أحدث الطرق العصرية المستمدة من علم الحسابات ومسك الدفاتر وفنون التجارة والاقتصاد.

وهل لك أن تعيرنى سمعك فأحدثك كيف كانت الدولة تسلف التجار والقبائل سواء بالحاضرة أو بالبادية إذا ألمت بهم ملمة مالية أو همت بالوثوب عليهم أزمة اقتصادية على نحو ما نشاهده الآن من صنيع الحكومات الراقية، واعتنائها بمد يد المساعدة إلى الرعية كلما حدث موجب ذلك من شتى الأحداث والنوائب، وقد كان هذا السلف يدفع لأربابه ومستحقيه من غير فرق فى ذلك بين أهل البلاد من المسلمين وأهل الذمة من اليهود الذين كانت أشغالهم التجارية متسعة النطاق على ما هو معهود منهم.

وليس ذلك فقط ففى هذه الدفاتر المرتبة المنظمة تجد أنواعا من التراتيب التى كانت تشمل هذا وغيره من الفصول الشاهدة بدقة الحسابات وتنظيم المالية إلى حد واسع مديد، ليس بعده من مزيد.

وما ورثته عن سلفى من ذلك إنما هو نقطة من بحر، وجزء من ألف، ولو وقع الاحتفاظ بدفاتر الدولة وأوراقها التى فرقت أيدى سبا وأوقدت بها الأفران والحمامات ولفت التوابل فى البقية الباقية - وليس ذا ببعيد - لكانت آية إعجاز للرائين والسامعين ومادة أبحاث للباحثين والمؤرخين:



الحمد لله وحده هذا كناش مبارك سعيد مشتمل على الداخل السعيد

في 16 من شعبان الابرك عام 1274

الصفحة الأولى من كناش الداخل السعيد فى ١٦ شعبان عام ١٢٧٤

فـمن تلك الدفاتر كناشـة من الجرم المـستطيل نصـفهـا الأول يشتـمل على الداخل السعيد بمكناس فى مدة الأمين السيد محمد الزكارى، ثم ما دخل فى مدة الأمين الحاج مـحمد بن جلوان، ثم الأمين السيـد عبد السلام ودان، ذكر فـيه ما دخل على كل واحـد منهم يوميا ابـتداء من الزكاوى فى ١٦ شـعبـان الأبرك عام ١٢٧٤ مع بيان كل يوم وما دخل فيه، وبعد أن ذكر جميع الداخل عليه أسقط منه جميع ما صيره وحـسب الباقى على خلفه ابن جلوان، ثم جمع ما دخل على هذا وأسقط منه ما صيره وحسب الباقى على خلفه ودان.

ونصفها الثانى يشتمل على بيان الصائر السعيد بمكناس مياومة وما صيره كل واحد من الأمـناء المذكورين، فالـزكارى ابتدأ من الـتاريخ المذكور إلى فـاتح ربيع الثـانى عام ١٢٧٥، وابـن جلون منه لمنتـصف ذى القعـدة من العـام، وودان منه لخـامس جمـادى الأولى عام ١٢٧٦، وذلك مـع ذكر اسم كل يوم وتاريخـه من الشهر وبيان قيـمة كل شىء مما يصير فيه فوقه، وإذا كـان ذلك الشىء متعددا ذكر عدده عن يسار اسمـه، وإذا امتلأ الوجه من الصحيفة وأريد الانتـقال لما بعده ذكر أوله جمـيع الصائـر يمينه، فـإذا انتهى صـائر اليوم الواحـد جمع أسـفل الأعداد المصفوفة، وربما خط خط عن يمين تلك الأعداد المصفوفة وذكر جمعها فى الوسط منها بعد الخط على الهيـئة المعروفة اليوم، ومثل ما قلـناه فى قسم الصائر يقال فى قسـم الداخل، وقد بلغ جـميع مـا دخل على الأمين الزكـارى فى هذا الدفـتر: ٥٠٧٤٣١١ وكسور

أسقط منه جميع ما صيره مدة خدمته وهو:	٤٧٠٢٣٥٤ وكسور
الباقى الذى حازه الأمين ابن جلون	٣٧١٩٥٧ وكسور
جميع الداخل عليه	٢٧٩٩١٧٣ وكسور
أسقط جميع ما صيره	٢٤٨٥٦٥٤

ما وجد نقصا عنده	٣٤٨,٠٠٠
الباقى الذى حازه الأمين ودان	٣١٣١٧٠
الداخل عليه	٥٩١٤٣٨٤ وكسور
صائره	٥٤٤٥٢٥٥ وكسور

فالداخل يجتمع ماله من الأعشار والزكاة والمستفادات والجزية[١] والهدايا والملاقاة التى يقدمها الموظفون والعمال، وما يقبض من أصحاب كنطردة تبغة وما يجتمع من متخلف البعض وما يفضل عن الرواتب والصوائر المقررة فيرجع، وما تباع به بعض الحبوب أو الحيوانات وما يخرج من بيوت الأموال والدعائر والمصادرات والسلف المقضى ومتخلف المنقطعين وما يبعثه بعض العمال من الإعانة للحركة وما يرسله أمناء المراسى وغير ذلك.

والصائر يصرف ماله فى أُجرة الرقاصين أصحاب البريد والحمَّارة والمسخرين، وإصلاح الأدوات والأماكن والشعير وطلبة الحساب وأمناء المدينة والكتب وهدية الطلبة والمئونة الملزمة، وأصحاب العمال والأمناء والخلفاء وغيرهم، ومعونة بعضهم وحجاج الجيش البخارى، وطرافة مجلدى بيت المال، وما يدفع لبعض الأشراف وطلبة بعض المدن والقبائل، وأصحاب اللطيف، والنساء والمتزوجين، والجيش الفاسى، وبعض الإعانات والعطايا والصدقات والكنانيش، والمداد والكاغد، وثياب اللباس، والرايات وفضة دار الضرب ومئونة الجيش اليومية من خيل ورماة ومقدمين وقواد الأرحى والمشفع والنفار فى رمضان، وطبجية الثغور والعريفات والمعلمات والوصيفات والفرايجية، ووفود المدن والقبائل فى الأعياد وتجهيز موتى الجيش والطبجية، وصدقات طريق المسجد فى الجمع، وما

(١) فى هامش المطبوع: «بلغت جزية أهل الذمة بالرباط ٢٦٦٦٦ من المثاقيل وأهل الذمة بسلا ٥٢٠٠ ومن مكناس ١٠٠٠ ومن آزمور ٣٥٠٠».

يدخل لبيت المال، وما يدخل للحضرة الشريفة، وراتب أهل آزغار من خيل ورماة ومقدمين وغيرهم والخلط سكان مكس كذلك ونقش الطوابع، وجيش أهل الريف، والأوداية، وصلة ليلة المولد بيد الفقهاء والأشراف والقضاة وصائر الوحوش والمكلف بها، وما يدفع للمؤذنين والموقتين وما يدفع للأمين قدر إن صائرا على الدار العالية بالله وعلى الكشينة السعيدة أو على يد الفقيه المحتسب عن كل خمسة أيام، وعلوج الأجنة وللنساء بباب السوائى كل خميس، وخبز قيالة الأسبوع، والسلف لبعض الناس، وما يعطى للممنون عليهم بالإسلام، والوافدين من الحرم، ومئونة الدار العلية بالله شهريا، وإصلاح الكدش السعيد، وصدقة الطلبة والمساكين وغيرهم عند موت السلطان المولى عبد الرحمن، وللقاضى والعدول الذين كتبوا بيعة المترجم، وصلة أيتام الجيش البخارى والمتأيم منه، وما دفع لأصحاب القصائد والأطباء إلى غير ذلك من وجوه الصرف المتعددة.

ومن ذلك كناشة أخرى تقع فى مجلدين مربعين ذكر فيها ما دخل للجناب العالى بالله من ربيع الأول عام ١٢٧٨ إلى جمادى الأولى عام ١٢٨٧ من السلف، ومستفادات الأبواب، والموازين، والبارود، وكنطردة تبغة والاطرات والكبريت، والحوافر، والأعشار والزكاة والدعائر كل شهر على حدة، كما قيد بها الصائر السعيد للدار العلية بالله بمكناس، وما أضيف إليها من التاريخ المذكور إلى شعبان عام ١٢٨٦ مبينا فيها ما كان يوجه لها من اللوازم المعاشية السنوية والشهرية واليومية من خليع وزيت ودقيق وخالص وكسكسون ولحوم وخضر وتوابل وغير ذلك من حاجات المنازل، كما ذكر فيها ما كان يخرج صائرا يوميا لغير ما ذكر كمئونة خبز الملزومة والصدقة ومئونة الجيش والشعير والنخالة وطعام باب منصور العلج، وللذاكرين اسم الله اللطيف بضريح المولى إدريس الأكبر، ولذاكريه بمكناس، وما صير فى غير ذلك من الأمور الحوادث كطلبة الهندسة والفرايلى

وصاحبه، وصدقة جامع الزيتونة كل جمعة وتجهيز الشريفات والوصيفات والوصفان والمستولدات، ومئونة المساجين وتقطير الورد إلى غير ذلك مما تقدم ذكر مثله فى صائر الكناشة السابقة.

ومن ذلك دفاتر رواتب الجيش السعيد ومئونته، منها دفتر فى مجلدين مربعين أولهما صغير الجرم يتضمن بيان توزيع الراتب الشهرى وتفريقه على الجيش كل شهر على حدة بحسب ٢٥ للفارس، ونصفه للراجل، والربع للكبار والطلبة، والثمن للصبيان، ثم أبدل ذلك بحسب ٣٠ للفارس والنصف للرماة، والثلث للصغار، والربع للكبار والطلبة، والثمن للصبيان على هذا الترتيب: (عبيد الزنقة، سعادة، الجوارم، الزمرانى، سعود، تفيلالت، المسخرون، الفرايجية، أصحاب سيدنا، اجراى، الطبجية، الأعلاج، مجاط) وربما أسقط أرباب المراتب الثلاث الأخيرة أو آخرهم إلى أن حذف ذكره وربما زيد على ما ذكر أصحاب القائد إدريس والعسكر، وراتب أهل سوس سكان فاس وآزغار ومئونة الباشا والقواد والعلافة، وللجدعان الفطام ومئونة العسكر النظامى والداخلين فيه، وذلك مع بيان الصلات التى ينعم السلطان بها أحيانا عليهم وعلى قواد المائة والأرحى والمقدمين.

وابتداء هذا الجزء الأول من الدفتر من شهر ربيع الثانى عام ١٢٥٢ ومنتهاه جمادى الأولى عام ١٢٦٧ وأول الثانى جمادى الثانية عام ١٢٦٧ وآخره ربيع الأول عام ١٢٩٤ فهذا الدفتر بجزأيه يتضمن راتب الجيش على عهد الملوك الثلاثة المولى عبد الرحمن وولده المترجم ونجله المولى الحسن.

وقد زيد فى الثانى على الأصناف المذكورة فى الأول المسخرون الذين مع الخليفة وأصحاب العباس والبوابة، وأبدل اسم الصغار بالشويردات ـ وأسقط اسم العسكر، وربما زيد عبيد البخارى الواردون من الغرب والكدارة والخلط وسكان مكس وأصحاب الطالب إدريس وعسكر أهل المدينة.

ولما تولى المترجم صار واجب من ذكر بحسب ٥٠ للفارس، ونصفها للراجل إلى آخر المراتب، ثم عاد لما كان عليه قبل وتقرر اسم العسكر والطبجية والخلط وأهل تولال زيادة على ما كان، ولما تولى المولى الحسن زيد اسم الشرفاء والوصفان وصار يدفع لهم تارة ١٢٠ وأخرى ٦٠ وآونة ٣٠.

ومنها دفتر المُؤَن اليومية للجيوش والحواشى والحناطى والمسخرين الذين كانوا برسم الخدمة مع صاحب الترجمة زمن خلافته، وكذلك غيرهم يقع فى مجلدين مربعين.

وقع ابتداء الأول من يوم الاثنين ثالث ذى الحجة الحرام عام ١٢٧٠، وانتهاؤه متم ذى الحجة عام ١٢٧١.

وأول الثانى من فاتح محرم عام ١٢٧٢ إلى متم ذى الحجة منه.

وترتيب الأصناف فيه على هذا النحو: (الجيش البخارى، المسخرون منه، مسخرو القائد إدريس، أصحاب ابن قدور، أهل سوس المنشية، زرارة وتكنة والشبانات، جيش دليم، المسخرون منهم، مسخرو الأوداية، مسخرو المغافرة، مسخرو الرباط، الطلبة، الفرايجية، أصحاب الأتاى، الفراش، السجادة، الطبالة، الوضوء، الجزارة، الأروى، الفرادة، المكاحل، المظل، المشاورية، الطبجية، الحمارة، عسكر الحاج أحمد، عسكر مصطفى، الرقاصة، الخلط، أصحاب سيدى محمد بن الميمون، الجمالة، الأوداية).

وقد ينقص بعض ما ذكر وقد يزاد عليهم غيرهم من الواردين والعيادة وأصحاب الهدايا كوصفان بربيرة وأهل العرائش وطنجة وزمور وآيت يزدك وآيت يوسى، ووصفان الأحلاف وادالة مكمان، وولد حماد كروم، والسيد على بن الجناوى، وأولاد إدريس، وآيت أسدى، وأولاد الحاج وزيان، وادالة الرصانى

وأصحــاب ابن عبــد الصادق، وطلبة اكــراى والطلبة المخــتاريون، وأصــحاب ابن الشليح وغيرهم، ثم أبدل عسكر مصطفى بعسكر على والطالب.

ومن ذلك كناشة كنطردة تبغــة عن سنة فى مدة أمينيها السيــد محمد الديرى والسيد عبد القادر الشعشوع وذلك من تاريخ ذى الحجة عام ١٢٨١ إلى ذى القعدة عام ١٢٨٢، ذكر فيهــا ما يباع من تبغة والعشبة على اخــتلاف الأنواع وما يضاف لذلك وما يتــعلق به ومن أخذها وفى أى تاريخ أُخذت ومــا صير عليهــا من أجرة أجيــر، وثمن متعــلقات وغيــر ذلك، فإذا انتهى الشــهر أمــضى على ذلك عدلان بشكلهما.

وما ذكرناه عن دقة تنظيم دفاتر الدولة وترتيبها وضبطها وجريانها على قانون مرعى لم يكن خاصا بالدفاتر المالية وحــدها، ولا بهذا العصر المحمدى وحده، بل هو تابع لما تقدمه وما بعده تابع له كمــا تدل على ذلك الأدلة التى منها دفاتر عبيد الجيش البخارى فى العــصر الإسماعيلى، ولا زال بعضها مــدخرا بخزانتنا، ومنها الدفتر المذكور سالفا فى فصل التراتيب الماليــة من ترجمة السلطان سيدى محمد بن عبد الله، وقد نقلنا منه فوائد. ومنها دفتــر المعاهدات فى عهد المولى عبد الرحمن يتضمن الاتفاقــات التى عقدها مع الدول الأروبية والأمريكية وغــيرها من اتفاقات أسلافه كالمولى عبد الله وولده سيدى محمد ونجله المولى سليمان.

وقد وقفت على دفــتر مرسى ثغر الصويرة فى عهــد المولى الحسن من شوال ١٣٠٨ إلى أواخر ١٣١٠ يبدأ فيــه بذكر الموضوع يوميا مع ذكر الشــهر والسنة وما يوافقهما من التاريخ المسيحى وبيان اسم المعشر واسم الباخرة أو المركب التى وردت فيــها سلعــته ونوعهــا وبيان عددها ووزنــها وسومــها، وما يجب فــيهــا، ثم يتبع بالموسوق كذلك، ويجمع ما تحصل فيهما ويزاد عليه واجب المخطاف للباخرة أربع ريالات، وللمركب اثــنان، وتعد المراكب والبواخــر الواردة، ويذكر مــا قبض من

السلف الذى عند بعض الأفـراد ثم يشهد الشـهود على ما اجـتمع فى داخل ذلك كله.

وفى الصفحة الموالية يذكر صائر ذلك الشهر من مؤن يومية، ورواتب شهرية ومنجـرة القوارب الجـديدة والقـديمة، وإصـلاح السـور والمون إذا أفسـده البحـر والبناءات والأمور الحادثة، وإصلاح الرباع ومؤن المحلات الموجهة لسوس، ويجمع ذلك الصائر كله ويشهد عليه العدول.

ثم تذكر نسخ الظهـائر السلطانية أو رسائل الحاجب أو أمـين الأمناء الموجهة للأمناء بدفع بعض ما فى أيديـهم وصرفه فى وجوه مـعينة، ويشهد الشـهود على مقابلتها ومماثلتها لأصلها، ويجرى العـمل كذلك فيما يليه من الشهود، وأعلى ما بلغه الداخل الشـهرى فيه ١٨١٢٩ من الريال وأدناه ٣٥١٤، وأعلى مـا وصل إليه الخارج الشهرى فـيه ٤١٦٣٠ ريالا بانضمام مئونة المحلـة الموجهة لسوس، ووادى نون والرقم الذى يليه ٣٢٨٧١ بانضمـام مئونه المحلة ويليه ٢٧٢١ بانضمـام كسوة العسكر الموجهة لرودانة والمحلة وأدناه ٢٩٢١ ريالا.

ومن ذلك كناشة القوس السـعيد وقد أسلفنا الكلام عليـها فى فصل السكة من الترجمة الحسنية ونقلنا أمثلة منها للإيضاح.

ومن ذلك دفتر كان معدا فى الدولة الحسنية أيضـا لتقييد ما يصاحب الفراش السعـيد من صناديق الكتب واللباس والأدوات وغـيرها عند انتقـال الجناب العالى بالله بين عواصمه، وما يبقى من ذلك فى قبـاب القصور السعيدة، وما يحول عن محلـه لغرض، وكذلك مـا يوجه من الهـدايا للدول، والهـدية التى كانت مـعدة للسلطان العثمانى وغير ذلك.

ومن ذلك دفتر آخر يشتمل على ما تعلق به الغرض من نسخ المكاتيب التى كانت توجه أصولها من باشا فاس عبد الله بن أحمد للحضرة الحسنية وغيرها من مكاتيب الوزير والحاجب وأجوبتهم عن ذلك.

وكذلك عثرت على بعض دفاتر دار النيابة السلطانية بطنجة فى هذا العهد، وفيها نسخ ومبيضات ما كان يوجه من الرسائل للحضرة الشريفة والوزراء والأمناء والعمال وسفراء الدول، إلى غير ذلك مما يطول تعداده.

آثاره

منها معمل السكر الهائل الضخم البناء المحكم الوضع، الذى أحدثه بأخريات جنان أجدال بمراكش الحمراء، وأنفق فى بنائه أموالا طائلة، وجلب إليه العملة وما يتوقف عليه صنع ذلك من الأوانى والآلات، وأمر بغرس القصب الحلو واستنباته وتهيئة المزارع الطيبة له، وأتى بمن يحسن عصره من أوربا بأجور عظيمة، ولما عجز أولئك الأوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر وتصفيته وإخراجه من القوة إلى الفعل عن إتمام عمليتهم جلب الصناع المهرة من مصر القاهرة.

وقد وقفت على كثير من رسائل السلطان مولاى الحسن بإمضائه كان يكتبها لحاجب أبيه لما كان خليفة عنه بمراكش فى موضوع هذا المعمل وإشغاله نص أولها:

«محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فإن المعلم النصرانى قد أكمل عمل الكير الكبير الذى أمره سيدنا نصره الله باختراعه فجاء عجيب الصنعة غريب الشكل، وقد دفعناه لأمناء العتبة

الشريفة إلى أن يأمر سيدنا نصره الله فيه أمره المعتبر العالى بالله وعلى المحبة والسلام فى ٧ ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٨٥ .

حسن بن أمير المؤمنين» .

ونص الثانى:

محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فإن القائد إبراهيم الأكراوى قد أخبر أن النصرانى معلم الفبريكات الذى كتبنا قبل بإلحاحه على السفر قد عيل صبره واستبطأ الجواب، وطلب الإذن له فى التوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها حتى يرد الجواب الشريف بالاحتياج إليه أو الإذن فى ركوبه، فأجبناه بتثبيطه إن أمكن أو مساعدته بعد حوز خط يده بالتزام المقام بالثغر المذكور إلى ورود الأمر المولوى فى شأنه، فأجاب بأنه أبى إلا ما عزم عليه من التوجه فأذن له وحيز خطه بما ذكر، وها هو مع كتابى القائد إبراهيم بذلك طيه وعلى المحبة والسلام فى ٨ ربيع الأول النبوى الأنور عام ١٢٨٥ .

ومنه وقد كتبنا لأمناء الثغر المذكور بإجراء حكم مئونة مدة إقامته هناكم على العادة المقررة صح به وبتاريخه.

حسن بن أمير المؤمنين»

ونص الثالث:

«محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك عن أمر سيدنا أعزه الله بإنزال حامله النصرانى معلم فبركة السكر، وتنفيذ ما يكفيه من المئونة مع ما لابد منه كالفراش والغطاء، وتكليفه

باختبار فبركة عصر السكر، ونظر ما تتوقف عليه فبركة تسحيره وخدمة المتيسر منه هنا، وأشرت بالإعلام بإشرافه على تمام خدمة ذلك حين يبقى له فيها القدر الذى يوجه فيه الكتاب ويرد الجواب عنه لتطالع به شريف علم مولانا أعزه الله.

فقد ورد مع ترجمانة وصاحبه وأنزلوا بالدار التى كان ينزل بها من تقدمه من المعلمين أمثاله، ونفذت لهم المثونة وفراش مثل ما ورد به من عند أمناء الجديدة على وجه العارية بعد رد المعار لهم، وذلك لحاف بتلميطة، ووسادة، وحائك صوف، وإزار كتان وهو آخذ فى اختبار الفبركة ونظر ما تتوقف عليه، وكأنه أحاط علما بذلك، وإن أظهر خلافه لكونه طلب توجيه ترجمانه للجديدة لغرض له بها واستشعرنا منه أنه قصد تسبيق خبرها لمن وجه فأشرنا عليه بالتأنى على توجيه من ذكر حتى يترجم لنا عما يقيده من أمرها، فأخره وتمادى على عمله مجدا فيه من غير شعور له بإطلاعنا على قصده الأول، وبمجرد استيفائه الغرض من النظر فيها أطير الإعلام به لمولانا نصره الله ليأتى الجواب عنه قبل فراغه من خدمة السكر، فإنا كتبنا لحاحة على قصبه، وأما ما كان منه هنا فقد ألفاه الحال عصره القائد إبراهيم الأجراوى وكنا وجهنا شيئا من غبرته وعلى المحبة والسلام فى ٩ المحرم فاتح عام ١٢٨٦».

حسن بن أمير المؤمنين»

ونص الرابع:

«محبنا الأعز الأرضى، الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد توجهت بنفسى لتفقد فابركة السكر لما سمعت بفرار عبد الله العلج الذى كان يباشر خدمتها فوجدتها مغبرة من عدم المباشرة، فكلمت وصيف

سيـدنا القائد إبراهيم فـأجاب بأن المكلفيـن بها لما قطعت عنهم المئـونة تراخوا فى خدمتـها، فكلفته بتـوجيه المعينين قـبل لخدمتها من الوصـفان وغيرهم ووجـهتهم لمباشـرتها، وتعاهد خدمـتها، فوردوا بعـد اختبارها مـخبرين بأن كل مسـألة منها يخصها حـاجة قد أخفاها العلج المذكور لما تقاشح مـعه القائد إبراهيم على المئونة وعزم على الفرار.

فلم أصدقـهم ظانا أن هذا محض اعتـذار منهم عن الخدمـة، وتوجهت مع عبد الرحمن العلج حتى طاف بها، فأخبر أن الحوائج المقيدة فى الزمام طيه خاصة فيها حقا، وعليه فالعلج المذكور يحـتاج للتحيل عليه حتى يرد المسائل، وبعد ذلك إن اقتضى نظر سيدنا زجره يزجر، وذلك بأن يقال له بلغنا أن الفابركة منذ فارقتها وقع فيها تفريط، وسيدنا نصره الله أمر برجوعك إليها على القائد إبراهيم إلى غير ذلك، ولا تظهر له سرقته لئلا يفر أو ينكر الأخذ، إذ من الجائز أنه لا يتوجه بتلك الآلات معه ويكون أخفـاها هنا، ثم بعد ردها وتسريح خدمتها كـما كانت يقبض عليه عـقوبة وزجراً له على جسـارته وعلى المحبة والسلام فى ٣ المحـرم فاتح عام ١٢٨٨ ومنه والعلج المذكور بلغنا أنه بمكناسة

حسن بن أمير المؤمنين»

وقد زاد مولاى الحسن فى هذا الكتاب بخطه ووقع والده المترجم عليه بخطه بما نصه:

«يحتال عليه حتى يظفر به ويؤمر برد ما أخفاه ولابد».

ونص الخامس:

«محبنا الأعز الأرضى، الفقيه السيـد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: وافى كتابك جوابا عما كتبنا لك به فى شأن ما ألفى خاصا من حوائج الفبركة المبين فى الزمام الموجه لك، وعرفنا ما ذكرته من أنك أطلعت شريف علم سيدنا بذلك، فساعد أيده الله عليه وبحثت عن مختلسها وخاطبته بالرجوع لمحله وواعدته بالإحسان منا فقبل، ووجهته صحبة صاحب وصيف سيدنا القائد إبراهيم، وأوصيته عليه، وأشرت بأن يظهر له ما تطمئن به نفسه حتى يرد الحوائج لمحلها، فقد استخبر بعد قدومه بمدة واطمئنان نفسه حتى يرد الحوائج لمحلها، فقد استخبر بعد قدومه بمدة واطمئنان نفسه بها غاية الاطمئنان عن ذلك، فأخبر أن البريمة بآلتها مع المطرقة وأحد المرابيع المعدودة للقطيع وأحد الدابدين والزيار الصغير المعد لحل الأوشاك كانت وجهت على يده لفبركة السكر بإذن سيدنا نصره الله لقضاء غرض بها هناك، فكلف بالإتيان بالجميع ورده لمحله بفبركة السكر ففعل، وطلبة المخرطة والستة مرابيع المعدة للخرط وأحد الدابدين والمرشمان وجدت بفبركة السكر داخل صندوق بها، ولم يلف خاصا إلا غطاء بريمة العقيد مع تشطيبة البابور والقابضة للرحى، وقد صنعهما من الصفر. وليس فيهما من قبل تعطيل الفبركة كبير فائدة إلا من قبل الثمن، حيث كانوا من الصفر، فدل ذلك على أن الخائن لهما المتعلمون وبيان ما وجد بفبركة البارود وما وجد بالصندوق المذكور وما صنع جديدا من الصفر بتقييد طيه، وقد أقام بها العلج المذكور وبفبركة القطن أحسن قيام وعلى المحبة والسلام فى ٢٣ شوال الأبرك عام ١٢٨٨.

حسن بن أمير المؤمنين»

كما عثرت على العقد الذى اتفق عليه السيد محمد الدكالى الرباطى مع بعض مهندسى الإنجليز الميكانيكيين على القدوم للمغرب لتركيب الآلات اللازمة

لصناعة السكر، وغير ذلك مما يطلب منه، ولعل هذا المهندس هو المراد فيما تقدم بالعلم النصراني ونص تعريب العقد:

«مذكرة عقد محرر في ٨ أكتوبر سنة ١٨٦٢ بين السيد محمد الدكالي بالرباط المغرب (الفريق الأول) ومستر جوهن كلاركسون جي بلندن المهندس الميكانيكي (الفريق الآخر):

بناء على أن السيد محمد الدكالي التزم مع مسئوليته أمام الملك بتنمية مؤسسات الأشغال العمومية المختلفة ذات الأهمية بالمغرب، وبما أنه على استعداد ليوجه إلى هذه البلاد جميع أدوات الآلات اللازمة لصناعة وتصفية قصب السكر، ومن جملة تلك الآلات رحى بخارية من النوع ويلسن (من النوع المجاز عنه ماديا وأدبيا) لتصفية قصب السكر وكذلك الآلات الأخرى.

وبناء على أن جوهن كلاركسون جي مهندس ميكانيكي مدني ذو مقدرة ومهارة وله معلومات تمرينية في فن صناعة وتصفية السكر تلقاها في ظرف سنين عديدة أثناء إقامته بالبرازيل، وله اطلاع كبيرع كبير على خرائط وتركيب آلات السكر التي سيجلبها السيد محمد الدكالي.

وبناء على أن جوهن كلاركسون جي موافق على السفر للمغرب لتركيب تلك الآلات والشروع في استعمالها كما يجب، والقيام بمهمته بصفته مهندسا ومستشاراً نائبا عن أمين صوائر السيد محمد الدكالي على مقتضى الشروط والفصول التي ستقرر.

وعليه فعملا بما ذكر وبهذا العقد اتفق الفريقان وهما متضامنان على ما سيذكر:

المادة الأولى: يتوجه جوهن كلاركسون جى المذكور إلى المغرب حينما يأمر بذلك السيد محمد الدكالى، وبمجرد وصوله يشرع فى القيام بمهمته حالا طبق هذا العقد.

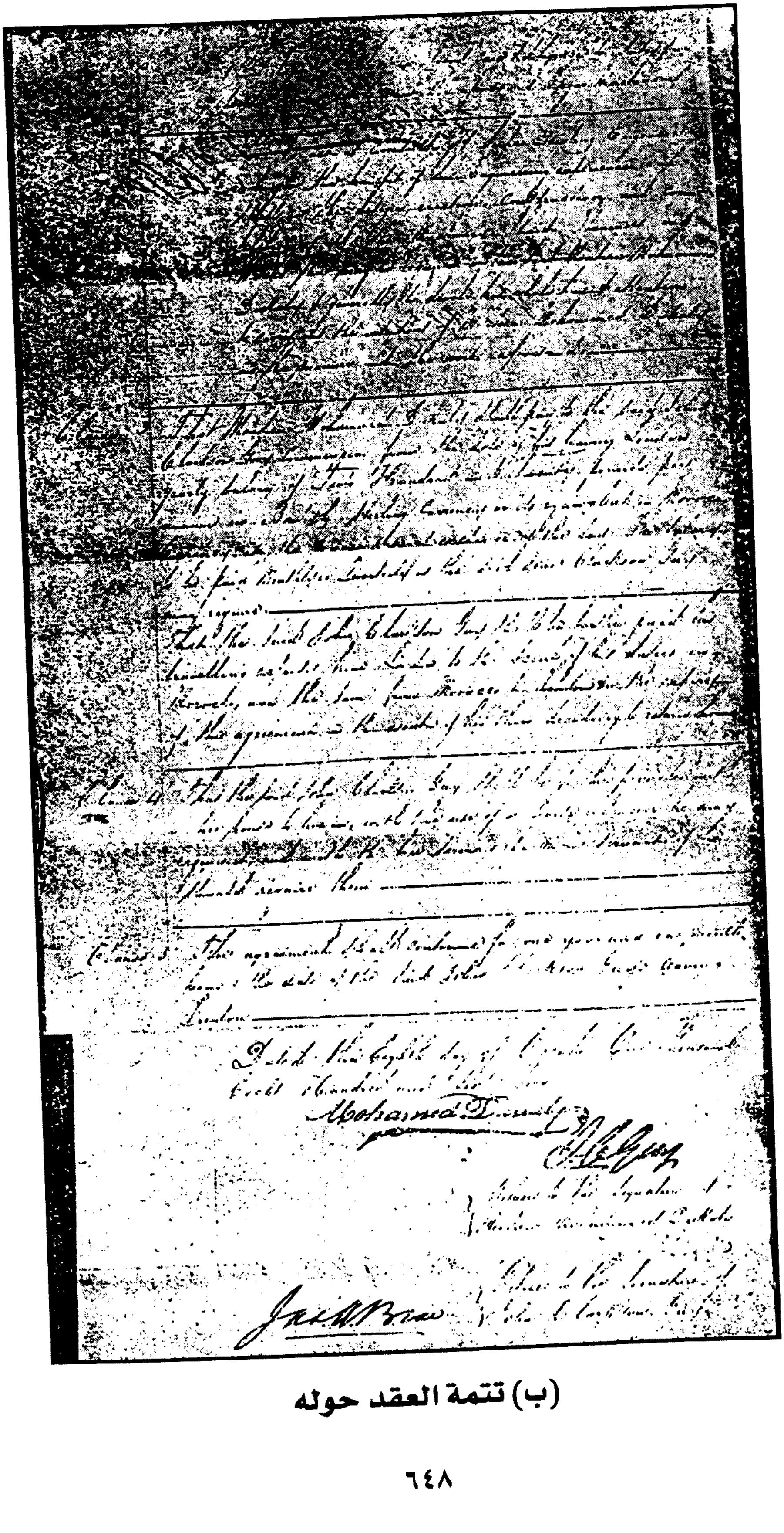
المادة الثانية: أما الأشغال التى سيقوم بها جوهن كلاركسون جى المذكور فهى:

أولا: أن يعمل ما فى وسعه وأن يبذل مقابلته بدون تراخى فى تركيب آلات السكر المشار إليها أعلاه والشروع فى استعمالها على أحسن ما يرام.

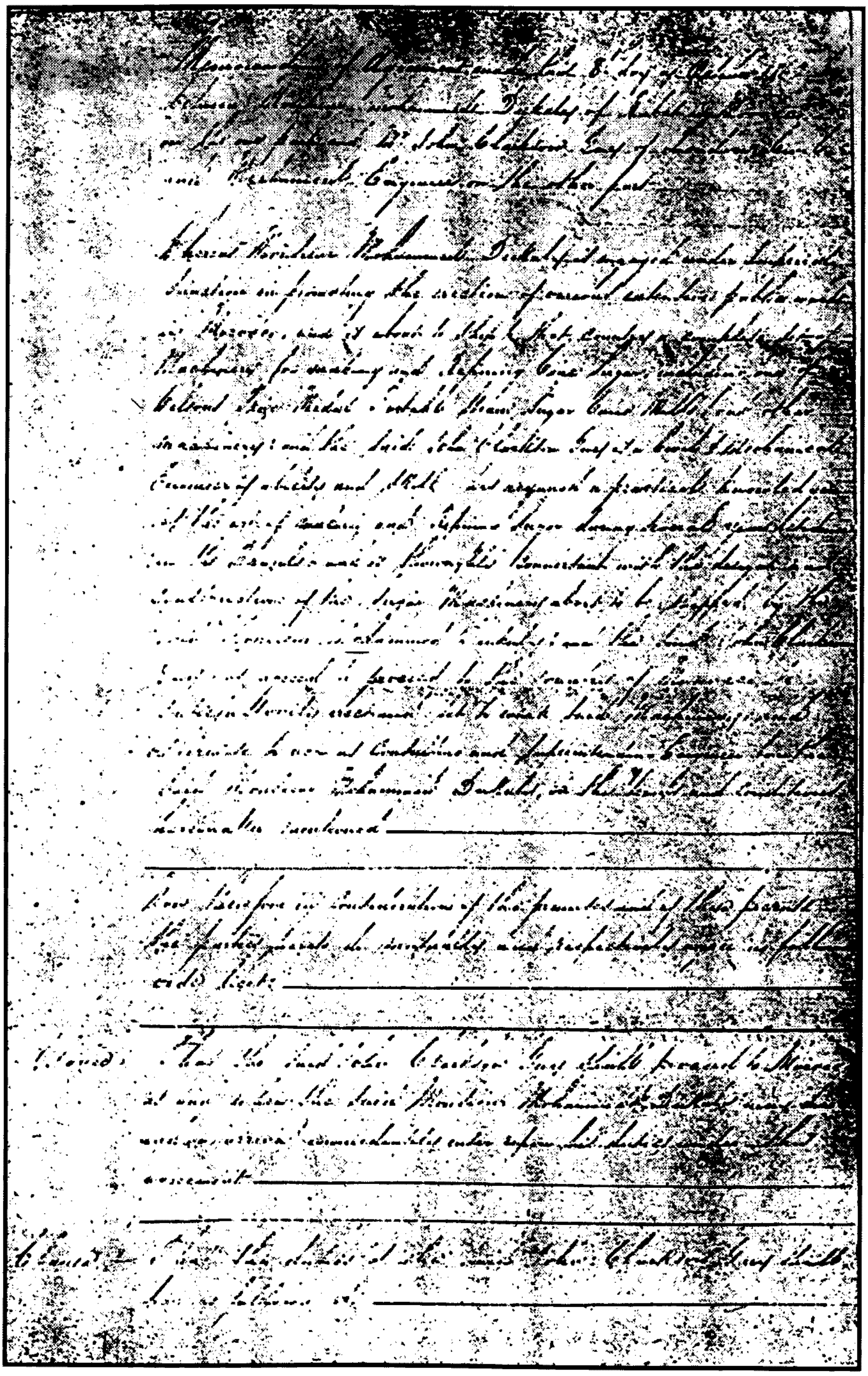
ثانيا: أن يقوم بصفته مهندسا مستشارا ومراقبا عاما وأن يبرهن عن ثمار تجاربه ونباهته الهندسية فى وضع الخرائط وتأسيس المعامل وتركيب جميع الآلات كيفما كانت، وتتميم ذلك كله وفق ما يطلبه السيد محمد الدكالى، وبالجملة يصرف وقته ونظره فى تنفيذ اقتراحات السيد محمد الدكالى المذكور التى لها مساس بالأشغال الموما إليها.

ثالثا: وعلى السيد محمد الدكالى أن يؤدى لجوهن كلاركسون جى المذكور اعتبارا من يوم مغادرته للندن أجرا سنويا قدره مائتان وعشرون ابرة دراهم سكة التاريخ الإنجليزية أو ما يماثلها من السكة المغربية حسب قيمة الصرف يوم الدفع، أما أداء الأجر فيقع شهريا أو على رأس كل ثلاثة أشهر باختيار جوهن كلاركسون جى المذكور، كما أنه يعفى من الصوائر التى يستوجبها سفره من لندن إلى محل مهمته بالمغرب، وكذلك من هنا إلى هنالك عند انصرام المدة المتفق عليها بهذا العقد أو حينما يقرر الإياب لوطنه.

المادة الرابعة: ولجوهن كلاركسون جى التصرف فى دار للسكنى وفرس مهما طلبه ويعطى له مجانا خادم إن أراده.



(ب) تتمة العقد حوله



الاتفاق المنعقد بين السيد محمد الدكالى والمهندس جوهن كلاركسون الإنجليزى على القيام بشئون معمل السكر وهندسة أشغاله

المادة الخامسة: يقع العمل بهذا العقد مدة سنة واحدة وشهر واحد ابتداء من يوم مغارة جوهن كلاركسون جى للندن.

تحريرا فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٢٦

الإمضاء: محمد الدكالى وجوهن كلاركسون جى

الشاهد بتوقيع السيد محمد الدكالى

ثم الشاهد بتوقيع جوهن كلاركسون جى».

ومنها قنطرة من الحديد باكورة ما اخترع فى ذلك العصر كان رام نصبها على وادى أم الربيع، وكان المرشح للوقوف على اصطناعها وجلبها من أوربا هو التاجر ولد مصطفى الرباطى، وقد صرف فى سبيل تحصيلها وجلبها أموالا عظيمة، ومع الأسى والأسف فإن هذه القنطرة لما وردت على حضرته السلطانية سعى بعض الحسدة ومن فى قلبه مرض من أهل الوجاهة فى إبطال العمل بها، وقالوا: إنها لا تصلح ولا تناسب، وأنها يختل نظامها فى أقرب مدة. فحمل المترجم كلامهم على الحقيقة فألقاها فى زوايا الإهمال وصمم على بناء قنطرة، وأمر من زعم أنه يحسن النظر فى ذلك بالتوجه لاختبار المحل الصالح لما ذكر، وتهيئ ما تدعو إليه الحاجة من الأنقاض والمقومات، وتقدير ما تحصل به الكفاية وإعلام جنابه بذلك ليأمر بتنجيره، والحال أن ذلك الموجه كذوب خئون سيئ النظر فلم تنجح مساعيه وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ومنها الرحى الذى جاء بها إلى ثغر طنجة فإن الأحاديث عنها من الأعاجيب، ويذكر أنها كانت تطحن عددا كثيرا من الأوسق فى ليلة واحدة.

ونص الظهير الذى أصدره للنائب السلطانى فى حيازتها لجانب المخزن:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فنأمرك أن تحوز الأرحا التى جلبها الطالب أحمد الدكالى من بر النصارى لطنجة، على أن يقتطع له ولولد أخيه ثمنها مما بذمتهم من الدين القديم لبيت المال، وكن تستعملها فى طحن الزرع بقدر ما يتوقف عليه أهل البلاد، ولابد ورد بالك للثمن الذى اشتروها به ليلا يدعوا أنهم اشتروها بأكثر منه والسلام فى ٢٩ من قعدة الحرام عام ١٢٧٩».

ومنها مكينة القطن التى جلبها من أوربا حسبما جاء فى الكتاب الذى أصدره لبركاش فى جلب أخرى ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فبوصول كتابنا إليك وجه على مكينة جيدة للقطن تأتى من البلاد التى أتت منه المكينة التى وجهتم لحضرتنا الشريفة، واكتب عليها تخرج برباط الفتح، فإنا أردناها للانتفاع بها هناك إن شاء الله، ووجه على معلم من بر النصارى ليبنى هذه التى وصلت لحضرتنا فى محلها ويعلم غيره كيفية عملها وما تصلح به إن عرض فيها شيء فى أثناء العمل إن شاء الله والسلام فى ٢٠ من ربيع الثانى عام ١٢٧٩».

كما وقفت على كتاب من مولاى الحسن للحاجب السلطانى فيما يتعلق بإصلاح معمل القطن بمراكش ونصه:

«محبنا الأعز الأرضى الفقيه السيد موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر خديم سيدنا الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس بتوقف إصلاح فبركة القطن على اثنتين وعشرين قنطرة من الصفصاف طول كل منها اثنان

وعشـرون شبـرا وما يكفيـها من يقى الغليظ، ذاكـرا أنه بحث عنها بالـسوق فلم يجدها، وأن جعل القناطر والجـائزة والورقة لذلك من الصنوبر أولى وأفضل لطول مكثه أكـثر من الصـفصاف ويقى، وأن المـعلمين قدروا لما يكفـى لذلك من أفراد الصنوبر أربعين فردا فلابد طالع شـريف علم سيدنا نصره الله بذلك والنظر لمولانا أيده الله فيه وعلى المحبة والسلام فى ١٦ ذى القعدة عام ١٢٨٨.

حسن بن أمير المؤمنين»

ومنها برج الفنار الذى بناه على ساحل البحر باشـقار قرب طنجة يسرج فيه ضوء قوى ساطع يظهر للسيارة فى البحر ليلا من مسافة بعيدة، وصار عليه مال له بال، وكانت المراكب تنشب بذلك الساحل كـثيرا إذ لم يكن لها علامة تـهتدى بها فى البحر، ولما اتخذ المترجم هذا الفنار أمنت من تلك الآفة، ثم جلب لهذا الفنار مكينة للاستصباح بواسطة وزير خارجيته الطالب محمد بركاش.

وإليك نص الظاهر الصادر بالأمر بصنع المكينة بعد الحمدلة والصلاة والطابع المحمدى بداخله محمد بن عبد الرحمن الله وليه:

«خديمـينا الأرضيين الحاج بوجنان البـاردى والحاج عبد الكريـم احرضان، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقـد دعت الحاجة إلى صنع مكينة للفنار المبنى باشـقار ولابد منها، وقد أمرنا خديمنا الطالب محمد بركـاش بالكتب عليها، وعليه فنأمركم أن تدفعوا ثمنها على يده والسلام فى ٢٨ ربيع النبوى عام ١٢٧٩».

ومنها معـمل تزديج البارود بالمحل المعروف بالسجينة من مـراكش الحمراء، ولعله المراد بهذا الكتاب الصادر من مولاى الحسن الخليفة لحاجب أبيه ونصه:

«محبنا الأعز الأرضى الفـقيه السيد موسى بن أحمـد، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فيرد عليك طيه تقييدا تجربة ١٠٠٠٠ البارود الذى دفعه أهل صناعته بمراكش لخديم سيدنا الحاج محمد بن عـبد الوهاب بنيس، على يد من ذكر فيهما كما عهد وعلى المحبة والسلام فى ٢٠ من جمادى الأولى عام ١٢٨٨

حسن بن أمير المؤمنين»

ومنها داره الكبرى بأجدال رباط الفتح والسور الكبير المحيط ببسيطها وجلب الماء إليها بعد أن صير مالا له بال.

ومنها إحياء جامع السنة قرب داره المذكـورة، وكان بائدا يعشش فيه الصدى والبوم، وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة.

ومنها إحيـاء المسجد الصغـير هنالك المعروف بمسجد أهـل فاس، واعتنى به وزخرف سقوفه، وفى هذا المسجد يقيم إمام عصرنا المؤيد صلاة الجمعة.

ومنها انتهاج الطريق من الدار المذكورة إلى الوادى أسـفل من حسان تسهيلا على المارة وتقريبا عليهم.

ومنها المسجد الجامع بالسوق من الدار البيضاء.

ومنها الحمام القديم هنالك أيضا.

ومنها إصلاح أسوار الجديدة وأبراجها.

ومنها اعتناؤه بشأن الثغور وبعثه كل آونة من يتفقد أحوالها من نوابه.

ومنها فى زمن خلافته تكملة غـرس أجدال بحضرة مراكش، وكان فى زمن الصيف يناله الجدب من قلـة الماء لأن بركه التى كان يختزن بهـا الماء كانت معطلة لامتلائهـا بالتراب والطين الذى تجلبه السيـول إليها، وأعظمها البـركة الكبرى التى بدار الهناء، وكان يقال لها البحر الأصـغر، فجاء من بنى فى وسطها قرية بدورها

وأزقتها وأسواقها، فأمر المترجم بإخراج من فى تلك البرك والصهاريج كلها وتنقيتها من الطين المتحجر، فاجتمع على ذلك عالم من الناس فكنسوها وعادت إلى حالها الذى بنيت لأجله، وهو اختزان الماء لوقت المصيف، وبذلك كمل المراد من أجدال وصار آمنا من الأمحال والعطش.

ومنها إحياء عين أبى عكاز خارج باب الطبول من مراكش، وكانت لها بركة بائدة على الوصف المذكور، فجر لها عينا ثرة وماء غدقا وأجراه إلى البركة المذكورة بعد أن أمر بتنقيتها وإصلاحها، فعاد البسيط الذى حولها مزارع نفاعة تغنى الزارعين وتبهج الناظرين، وبنى حولها قلعة يأوى إليها الأكرة والحراثون بأنعامهم ومواشيهم، واتخذ هنالك من إناث الخيل المعدة للنتاج عددا كثيرا.

ومنها إحياء عين المنارة وبركتها العظمى التى تقرب من البحر الأصغر بدار الهناء وكانت قد عطلت منذ زمان.

ومنها إجراء النهر المسمى بتاركى المستمد من وادى نفيس.

ومنها إجراء النهر الذى جلبه من تاستاوت إلى البسيط الذى بين بلاد زمران والرحامنة والسراغنة، وهو المسمى بفيطوط، وبنى فيها قصبة يأوى إليها الوكلاء والفلاحون فصارت آهلة عامرة.

ومنها تأسيسه مسجد ضريح جده المولى عبد الله بفاس وصومعته وذلك فى حدود أربعة وسبعين ومائتين وألف.

ومنها بناؤه مسجد أبى العباس أحمد الشاوى، وجعله مسجدا جامعا تقام به الجمعة وذلك فى حدود اثنين وثمانين.

ومنها بناء سوق المجادليين أمام ضريح الشيخ أبى العباس أحمد السبتى دفين حومة الزاوية من مراكش الحمراء، وكان بناؤه لذلك على عهد السلطان والده زمن خلافته عنه، وشاهد ذلك ما هو مرقوم أعلى الباب هنالك ولفظه:

هذا المقـــام هو المقـــام الأحـــــمد

جـــادت به يمـــنى زمان يحـــمد

فى عام (رشــــــد[١١٦٦] ناجح) قد زانه

تاج الخــــلافة ذو الوفـــاء محـمد

رمز للتاريخ المذكور فى لفظتى رشد ناجح من مـجموع مائتين للراء، والألف للشين، وأربعة للدال، وخـمسين للنون، وواحد للألف، وثلاثة للجـيم، وثمانية للحاء.

وصاحب الترجـمة أول من نظم الجيش واتخذ العسـكر على الطرق الحديثة بالمغرب، وكــان ابتداء ذلك أيام خلافتـه عن أبيه عقب واقـعة إيسلى، وذلك يدل على أصالة رأيه ورجـحان عقله رحـمه الله، ثم اجتـهد فى ذلك بعد مـوت أبيه عقب قـضية تطوان لما علم أن السبب الأهم فى الوقـعتين هو اختــلال أمر الجند، فجمع منه مــا تيسر جمـعه من القبائل ونظمه ورتبـه ونقل أهل تولال الذين كانوا بفاس إلى نواحى مكـناس، وأدرجهم فى الجيش البـخارى، كمــا جمع الخلط من البلاد التى كانوا فيها وأضافهم للجيش المذكور تقوية له.

وقد كــان لباس عسكره من أعلى طراز من الملف وكـسوة رؤسائه مزركــشة ومرصعــة بخيوط الذهب، ونعالهم من جلد أحمــر، وسلاحهم من أعلى نوع فى ذلك العهــد، وكان ينقسم إلى قســمين: خيالة، ورماة. وكل طابور يشــتمل على تسعمائة جندى، فيه عدد من حملة الشواقير.

وفى دولته أنشئت المطبعة الحجرية بفاس وذلك سنة ١٢٨٤ وطبع فيها شرح الخرشى على المختصر، وكان تمام طبعه فى ذى الحجة سنة ١٢٨٧ فى ستة أجزاء، وكذلك طبع مـيارة الصغـير، والأزهرى على الآجروميــة طبعا مـتقنا بأرفع خط، وأجود ورق وأصــقله لم يطبع مثل ذلك بعــد، وله رحمه اللــه آثار أخر مما يطول تتبعه.

كيف كان نهوض ركابه

كان إذا هم بالسفر من بلاد لأخرى أول ما يبدأ به مسح الكتب ومباشرتها، فيصدر الأمر لوزير الشكايات وكاتبين وعالمين لمباشرة ما ذكر ويكون الشروع فى ذلك كالتنبيه على السفر، ثم يصدر مكاتب للقبائل والولاة يذكرهم ويعظهم ويوصيهم بقرى الضيف واتخاذ المساجد والمواظبة على الصلاة فى الجماعة والرفق بالرعية ومراقبة المولى فى السر والعلانية، ثم يقع البحث فى الهوائر جمال وبغال وخيل، يذهب لمعاينة ذلك موقت وأمين وكاتب للقبائل المعدة لصيانة ما ذكر والاحتفاظ به، فإن مات شىء من ذلك عوض، ثم يصدر الإعلام للقبائل بالتأهب للحركة، ثم يتوجه الموقت وخليفة أفراك لتعيين الطريق المسلوكة وتعداد مراحلها والنظر فى المحال ذات المياه الكافية للمحال السلطانية، وكم بين المرحلة والمرحلة، ثم إصدار الأمر للقبائل بالقدوم على شريف أعتابه، فإذا وردوا أطلق كل قادم طلقات بارودية إعلاما بقدومهم، فيخرج إليهم لاستقبالهم رئيس المشور، فيهنئهم بسلامة القدوم، ويأمرهم بالنزول بالمحل المعد لنزولهم، ثم تصدر الأوامر بتهيىء المئونة والعلف وما يلزم من مؤن السفر على نحو ما قدمنا فى ترجمة نجله المولى حسن، ثم يسافر الحرم الملوكى، وربما وزع على فرق يتوجه تباعا ويعرفون بالسابقين ثم ينهض الركاب السلطانى.

وزراؤه

كان وزيره زمن خلافته عن أبيه شيخه الطيب بن اليمانى بوعشرين مار الترجمة، ثم صرف عنها عقب وقعة إيسلى، وتولاها السيد محمد بن محمد غريط الآتى الترجمة، فلما أفضت الإمامة للمترجم أسند الصدارة العظمى لشيخه الطيب المذكور، وبعد وفاته ولى مكانه ولده أبا العلاء إدريس المترجم فيما سبق، والفقيه السيد محمد بن الحاج عبد الله بن عبد الكريم الصفار الجيانى الأصل

التطوانى الدار على وزارة الشكايات والقضايا الشرعية، وهو الذى كان يختبر القضاة لمعرفته بالنوازل وحفظه للمختصر، وكان المولى عبد الرحمن قد استوزره فاتح عام السبعين، ثم لما تولى المترجم جعله على سماع المظالم، والمترجم أول من أحدث هذه الوزارة مستقلة فى دولتنا العلوية، والصفار أول من تسنم هذا المنصب فيها واستمر على عمله فى الخدمة إلى أن مات عام ١٢٩٨ ودفن بمراكش داخل قبة سيدى يوسف بن على خارج باب الرب، وأبو محمد عبد الله بن أحمد وزير الحربية.

حاجبه وقائده مشوره

حاجبه أبو عمران موسى بن أحمد الآتى الترجمة، وقائد مشوره القائد الجيلانى بن حم السابق الترجمة ثم نقله لعمالة مراكش وولى على المشور الحاج محمد بن يعيش.

كتابه

منهم الأديب السيد محمد بن إدريس نجل الوزير الشهير، وكان مكلفا بالأشغال الخارجية من غير استقلال، ومنهم السيد محمد غريط ولد المتقدم ذكره فى الوزراء، والسيد عبد الرحمن بن محمد الشرفى.

سفراؤه

لفرنسا الكاتب بن إدريس، والحاج عبد الرحمن العاجى، وابن عبد الكريم الشرقى، وابن سعيد السلوى، والنائب بركاش، ولأسبانيا ابن إدريس أيضا، ولإنجلترا عبد الرحمن الشرفى.

خلفاؤه

بفاس ولده المولى إسماعيل، وبالرباط أخوه المولى الرشيد صاحب الدار المشهورة هناك، وبتافيلالت ولده المولى الرشيد، وبمراكش ولده المولى الحسن.

نوابه بطنجة

السيد محمد فتحا الخطيب التطواني، الذى كان أيام أبيه، فالسيد محمد فتحا بركاش الرباطى، الذى استمر على عمله إلى الدولة الحسنية.

قضاته

منهم بمكناس الشيخ العباس بن كيران، فالشيخ المهدى بن سودة، وستأتى ترجمتهما، وبالرباط أبو زيد عبد الرحمن البريبرى الكبير، وبسلا أبو عبد الله محمد العربى بن منصور، فأبو بكر بن محمد عواد، وبآزمور أحمد بن الطالب ابن سودة.

نظاره

منهم بمكناس الحاج الطيب بن عبد الرحيم غريط، وبفاس الحاج المهدى بنانى وامتدت ولايته من دولة سيدنا الجد ابن هشام إلى دولة المولى الحسن، وبالرباط الحاج أحمد غنام.

محتسبوه

بمكناس السيد أحمد بادو، فالسيد إدريس النسب، وبمراكش المولى عبد الله المدعو السواريت، وبالرباط أبو عبد الله محمد بن العباس الزكى، وبسلا عبد الهادى قبطين.

نقباؤه

منهم بمكناس عم والدنا أبو العباس أحمد بن على ابن زيدان، وبعده أخوه سيدنا الجد أبو زيد عبد الرحمن بن على بن زيدان.

عماله

منهم بمكناس الباشا الحاج المجذوب بن الغنيمى الذى كان متوليا على عهد السلطان والد المترجم، ولما لبى داعى مولاه ولى مكانه الباشا محمد بن أحمد خنيشيش الذى كان قبل قائد المائة على فرقة الجيش البخارى التى كانت بقصبة تمارة - إذ العادة كانت جارية بتوجيه ثلاثمائة من الجيش البخارى من مكناس للرباط والقصبة المذكورة، منها مائتا رام تنزل بقصبة الأوداية وتكون عضدا للخليفة السلطانى هنالك، ومائة فارس تكون حرسا وعيونا ساهرة على تأمين المارة بتلك الجهة - وبمراكش الباشا أحمد بوستة، ثم أبو العباس أحمد بن الطاهر، ثم أبو عبد الله محمد بن داود والقائد الجيلانى بن حم، وبالمنشية منها الباشا إبراهيم الأجراوى، وبفاس الجديد الباشافرجى، وعلى قبيلة شراكة ومن يسكن منهم بفاس، وبفاس البالى إدريس بن عبد الرحمن السراج، وعلى قبيلة أولاد جامع أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشركى، وبسوس أبو محمد عبد الله بن عبد الملك بن بيهى الحاحى، وبسلا عبد العزيز محبوبة، وأبو عبد الله محمد بن سعيد، وبآسفى الطيب بن هيمة، وبالدار البيضاء محمد بن إدريس الجرارى.

قواده

على المسخرين الطالب إدريس بن المكى البخارى السالف الترجمة، وأما قواده على العسكر النظامى فعلى طابور أهل سوس الحاج أحمد التطوانى، وعلى طابور خيالة مكناس الخوجه، وعلى طابور أهل فاس الحاج عزوز، وعلى البواخر الحاج عبد القادر البخارى.

أمناؤه

أمين المستفادات ابن المدنى بنيس، ومن أمناء صائره بمكناس السيد المدنى الحلو، والحاج عبد الرحمن النسب، وأمين العتبة بها الطالب بوعزة بن العربى

الفشـار المتقدم الترجـمة، ومن أمنائه أيضا الحاج عـبد الرحمن القصـبى الفاسى، والحاج عبد الكريم بريشة التطوانى، والسيد بلقاسم جنون الفاسى، والحاج محمد ابن الحاج مـحمد فـتحا ابريشة التـطوانى، والحاج عبد الـقادر عشعـاش، والحاج محمد بن عبد المجيـد بن جلون الفاسى، وغيرهـم ممن تقدم ذكرهم فى أمناء الدار البيضاء الذين حاز منهم الإصبان تعويضه.

أولاده

السلطان مولانا الحسن، وأشقاؤه السيدة أم كلثوم، والسيدة سكينة، والسيدة آمنة، أمهم السيدة فاطمة حرة جامعية.

المولى إسماعيل(١)، وأشقاؤه المولى أبو الغيث(٢)، والمولى إدريس والمولى على(٣)، والسيـدة فضيلة، والسـيدة عائشة أمـهم ميمـونة الشاوية أم ولد، المولى عثـمان(٤)، وأشقاؤه المولـى أحمد(٥)، والمولى الرشيد(٦)، والسيدة هنـية أمهم زهراء أم ولد.

المولى الصديق(٧) وشقيقه المولى المأمون أمهما شريفة هى السيدة صفية بنت المولى المأمون بن السلطان سيدى محمد بن عبد الله.

---

(١) فى هامش المطبوع: «ولى الخلافة بفاس على عهد والده وأخيه وبها كانت منيته».

(٢) فى هامش المطبوع: «نقل لتافيلالت وسكن الفيضة بها إلى أن لقى ربه».

(٣) فى هامش المطبوع: «ولى خلافة فاس على عهد السلطان أبى فارس عبد العزيز».

(٤) فى هامش المطبوع: «ولى خلافة مراكش على عهد أخيه الأمير أبى على الحسن».

(٥) فى هامش المطبوع: «ولى خليفة بفاس قبل صنوه إسماعيل».

(٦) فى هامش المطبوع: «ولى خـلافة تافيلالت وسكن بأولاد عبـد الحليم منها إلى أن توفى وهذا من عـجيب الاتفـاق الذى لم يقع لغيـرهم من أبناء ملوكنا العلويين حـيث لم يبق واحد من الأشقاء وقد ولى الخلافة».

(٧) فى هامش المطبوع: «نقل لبنى ميمون من تافيلالت وبها توفى».

المولى الحسن الصغير ويدعى لحسن بفتح اللام وسكون الحاء وشقيقته السيدة فاطمة والسيدة جمالة والسيدة مليكة أمهم السيدة هنية حرة عامرية من بنى حسن.

المولى إبراهيم[١] وشقيقتاه السيدة حليمة والسيدة ربيعة أمهم زهراء الدكالية أم ولد، المولى العربى[٢] وشقيقه المولى عبد الله[٣] أمهما هنية الشلحة أو ولد، المولى الحسين[٤] وشقيقه المولى العباس[٥] أمهما أم ولد، المولى عبد العزيز[٦] وشقيقته السيدة صفية أمهما خويرة أم ولد، المولى عبد القادر[٧] أمه أم ولد، المولى أبو النصر[٨] أمه أم الخير مستولدة، المولى عرفة[٩] أمه تسمى غزالة أم ولد، المولى محمد فتحا أمه رحيمو أم ولد، المولى أبو بكر أمه الغالية أم ولد، المولى جعفر[١٠] أمه السعيدة أم ولد، المولى المهدى، المولى الطاهر أمه السعيدة أم ولد، المولى الطيب[١١] والمولى عبد السلام[١٢].

السيدة السعدية أمها آمنة بنت القائد ابن رشيد، السيدة زبيدة وشقيقتها السيدة زهور أمهما فارحة أم ولد، السيدة فاطمة الزهراء أمها الضاوية الفاسية أم

---

(١) فى هامش المطبوع: «لا زال حيا يرزق بفاس».

(٢، ٣) فى هامش المطبوع: «نقلا لتافيلالت واستوطنا بالدار البيضاء منها وبها كانت منيتهما».

(٤، ٥) فى هامش المطبوع: «نقلا لتافيلالت وسكنا الفيضة منها وبها توفيا».

(٦) فى هامش المطبوع: «لا زال بقيد الحياة بفاس».

(٧) فى هامش المطبوع: «نقل لأولاد عيسى بتافيلالت وبها توفى».

(٨) فى هامش المطبوع: «ممن نقل لتافيلالت وسكن الدار البيضاء منها ثم فى آخر الدولة العزيزية رجع لفاس وبها مات».

(٩) فى هامش المطبوع: «ولى خلافة فاس».

(١٠) فى هامش المطبوع: «لا زال بقيد الحياة بمراكش».

(١١، ١٢) فى هامش المطبوع: «ماتا فى حياة والدهما».

ولد، السيدة ستى، السيدة أم هانى، السيدة عتيكة، السيدة مريم وشقيقتها السيدة فخيتة، السيدة بانى، السيدة حفصة، السيدة شريف[1] أمها عبلة أم ولد.

بعض ما قيل فيه من المديح

من ذلك قول العلامة أبى عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس صاحب الجيش العرمرم الخماسى الذى جمعه بأمر صاحب الترجمة الممدوح:

هذى لعمرك راية مرفوعة — بيد السعود يقلها التوفيق
رفعت على خير الملوك (محمد) — ملك إلى كل الجمال سبوق
خضل البنان بنائل من دونه — وجه يجول البشر فيه طليق
ورث الأمانة كابرا عن كابر — عالى المجادة بالعلاء خليق
أفضت إليه خلافة نبوية — من دونها للمشرفى بريق
فرحت ببيعته القلوب فلم يمل — منها إلى أحد سواه فريق
فاختال منبرها به وسريرها — وكلاهما طرب إليه مشوق
فالآن قرت فى معرسها الذى — يسمو به نسب أغر عريق
ومناقب يزداد طولا عندها — باع بتصريف الأمور لبيق
وشمائل رسخت بهن من العلا — فى منبت الشرف الأصيل عروق

وقول بعضهم:

حوى العلويون المعالى كلها — وما منهم إلا ذرى المجد صاعد
ولكن أمير المؤمنين محمد — هو البدر فى العليا وهن الفراقد

(١) فى هامش المطبوع: «لا زالت حية ترزق بفاس».

وقول السيد التهامى المدغرى المسعودى صاحب الأزجال الشهيرة، المتوفى بفاس ضحوة يوم الأحد ٢١ محرم فاتح ١٢٧٣ فيه لما ختم كتاب إقليدس فى الهندسة عام ١٢٧١ على ما سبق صدر الترجمة:

برزت على قدر لنا أشكالها ... من صدرها فى طيها أشكالها
وحكت مقالتها المقادر بعدها ... صحت نتائجها وصح مقالها
أشكالها تحكى قباب محلة ... تحت الخليفة خيلها ورجالها
أو خلتها شجرا صغيرا مثمرا ... فاجن الثمار ولو بدت عذالها
أو خلتها خيلا بدت عربية ... برباطها قبل العدا أبطالها
ما شئت من قوس رنت أوتارها ... ترمى البغاة سهامها ونصالها
رنت وأنت فى فنا أقطارها ... وحمت مناشرها الحمى ونضالها
لكنها قد خيمت بمعاقل ... صفت بمشكلها فعز وصالها
واستوطنت قنن الجبال صعابها ... فعلت بها بين الجبال جبالها
ورقت مفاخر مجدها فى منعة ... فتكبرت وتجبرت أقيالها
ظنت بأن الجو خال من مدى ... ظفر البزاة فلا تطيش نبالها
فعلت معاقلها الرجال وفلها ... سيف الحجا فتمزقت أوصالها
بل لو رأت ليث الكتائب خلفها ... ضاقت مذاهبها وضاق مجالها
أو لو رأته لدرسها متهيئا ... خضعت لديه سهولها ورمالها
يا هند غرتك السنية أوضحت ... برموزها عجبا فبان جمالها
قد جئتنا فى همة شماء فى ... أوج العلا مرفوعة آمالها

فـهـوت بهـا أطيـار ذهن ثاقب   من جـوها يا حـبـذا إرسـالهـا
وأتت به ليث الـوغى مـأسـورة   حلت غنـائمـهـا وحل منالهـا
فاقـتضـتهـا قهـرا وكانت قـبله   رتقـاء لم تفـتح إذاً أقـفـالـهـا
فغدت حضيضا صفصفا فى كفه   لم يخف عـنه حـالهـا ومـآلهـا
وغـدت فـتوح سـرها طوعـا له   إذ بايعـتـه يمـينهـا وشـمـالهـا
فـانظر لهندسـة تلاشى حصنهـا   لولا الخليـفـة مـا بدت أظلالهـا
لولا الخليـفـة بـثـهـا فى أرضنا   غربت حـقيقـة شمسـها وخيـالها
لولا الخليـفـة معـرقـا فى فنهـا   مـحـيت معـالمهـا وقـد شكالهـا
لولا الخليـفـة لم تـزل بغطائهـا   لولا الخليفـة ما استـضاء جمـالها
لولا الخليفـة ما سمت شرفـاتها   فـوق الثـريا واسـتنار هلالهـا
لولا الخليـفة مـا علت أعلامـها   كـلا ولا انتشـرت لديك ظلالهـا
لولا الخليـفة مـا عـلا مقـدارها   لولا الخليـفـة ما صـفا مـنهالهـا
لولا الخليـفـة عطلت رايـاتهـا   وعـدت على حـذاقهـا جـهالهـا
لولا الخليـفـة مـعتن بدليـلهـا   ضلت على وجـه الفلاة جـمالهـا
لولا الخليـفـة قادها عـن خبـرة   تاهت على لجـج الظلام رحـالهـا
لولا الخليفة جـد فى إحـيائهـا   هلكت فـما ظفـرت بهـا سؤالهـا
لولا الخليفـة ما استجاد نـظامها   كف الزمـان ولا بدا إقـبالـهـا
لولا الخليـفـة صـانها بمراحـهـا   ضـجت نجائبـهـا وضاع عـقالهـا
لولا الخليـفة بالسـياسـة راضهـا   ضاعت على موج الفضـا أحمالها

لولا الخليفة قيدت أقلامه | شراؤها قدت به أغلالها
لولا الخليفة حدها بحدودها | كثرت طرائفها وطال جدالها
قل للخليفة حزت سبقا فاحتمت | بحمى علاك نساؤها ورجالها
ظهرت علينا بالهنا أسراركم | عند الختام مفصلا أجمالها
خذها إليك خريدة أهدى لها | مسك الختام جنوبها وشمالها

وفاته

توفى رحمه الله زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومائتين وألف، بسبب مسهل كان استعمل، ودفن ليلا بضريح جده المولى على الشريف بمراكش، قرب ضريح القاضى عياض، من باب آيلان ونقش على رخامة ضريحه ما لفظه:

أمستعبرا حولى رويدك أننى | ضريح سعيد حل فيه سعيد
هو العلوى الهاشمى محمد | إمام له فى الملك سعى حميد
أبوه أبو زيد وقد ذكره | فقد كان يبدى فى العلا ويعيد
ترحم عليه واعتبر بمصابه | فعقد نفيس قد أصيب فريد
ومن رام تاريخ الوفاة فقل له | بـ(شعـ ١٢٩٠ ـرك) أرخ ما عليه مزيد

١٨٠ - محمد بن عيسى بن القاسم الصدفى من أهل طليطلة يكنى أبا عبد الله.

حاله: فقيه عارف بالوثائق أديب شاعر، استكتبه ابن الملجوم فى قضائه بمكناسة واستخلفه، وسكن بآخر عمره مدينة فاس.

١٨٠ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ١/٣٥١.

أورده ابن الأبار فى تكملته وغيره.

مشيخته: سمع أبا على ابن سكرة الصدفى، ولازم مجلسه لسماع الحديث ومسائل الرأى.

وفاته: توفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

١٨١ - محمد بن حماد بن محمد زغبوش المكناسى.

حاله: فقيه خير علامة نقاد دراكة، قرأ بقرطبة وغيرها، وصحب جلة من أهل زمانه، امتحنه والى مكناسة يدربن وجلوط بالسجن فى سبعة من قرابته فى دار، وجعل عليهم حرسا، ولم يزالوا مثقفين إلى أن أصبحوا مقتولين ذبحا، وفى الدار نقب نفذ السور حكى أنه دخل عندهم أمس اليوم الذى أصبحوا فيه مقتولين شاب من أخوال أحدهم من بنى علالة، وكان حسن الصوت حافظا لكتاب الله العزيز مجودا لقراءته، وكانت عادته إذا دخل عليهم يؤنسهم بقراءة القرآن فسألوه فى ذلك اليوم قراءة عشر فقرأ اقتربت الساعة فكان ما ذكر من حكم الله فيهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وسبب محنتهم المذكورة أن عبد الله ولد الممتحن كان يقرأ بفاس حين نزل الموحدون مدينة فاس وسنه يومئذ نحو خمس وعشرين سنة، فتشوق أحد الأيام للإشراف على محلة الموحدين، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس إلى ديارهم والأسوار خالية إلا من حراسها، فطلع السور ليطلع منه عليهم، فبينما هو يمشى على السور حدثته نفسه بالهبوط إليهم فارتاد موضعا خاليا خفيا عن الحرس وربط عمامته فى إحدى شرفات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة وكانت ضعيفة، فلما ثقلت انقطعت وسقط فى الأرض واعتلت إحدى قدميه، وتسارع إليه الموحدون ورفعوه فى درقة ووضعوه بين يدى عبد المؤمن بن

على وأكرمه الموحدون وأحسنوا إليه، وكتب له عبد المؤمن صكًا بتسويغ ماله ومال أبيه وأقام معـهم يظعن لظعنهم ويقيم بإقامتهم مبرورا لـديهم عزيزا عليهم، وكانوا يلحظون من يمت إليـهم بسابقية مـفخرة، فلمـا نزلوا مكناسة ظهر عـبد الله بن زغبوش المذكور بمحلتـهم، واتصل ذلك بالوالى من قبل المرابطين وهو يدر المذكور ففعل بوالده وقرابته ما ذكـر، وكان فتح الموحدين لفاس ونزولهم على مكناس عام أربعين وخمسمائة.

١٨٢- محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجى نسبة المكناسى داراً ووفاة.

حاله: إمام جليل فقيـه علامة فاضل شاعر مجيـد نادرة نابغة أديب شهير، أستاذ مقرئ، كاتب بارع ذكره صـاحب «الذخيرة السنية، فى تاريخ الدولة المرينية» ممن توفى فى قعدة عـام تسعة وخمسين وسـتمائة بمكناسة، ووصفـه بأديب وقته، وشاعر عصره، دخل مدينة فاس وكان شاعر العدوة.

شعره: من ذلك قوله:

إن تفـتـخر فـاس بما فى طيـهـا ... وبأنـهـا فـى زيهـا حـسـناء
بكفـيك من مـكناسـة أرجـاؤها ... والأطيـبـان هواؤهـا والماء

وقوله فى مصباح:

تلالا مـصـبـاحنا فـاكـتـسى ... بهـيم الدجى مـن سناه نحـول
كـأن الـذبـالـة نـوارة ... ومن حـولهـا الدهن مـاء يجـول
إذا رويت نـعـمت نـضـرة ... وإن ظمـئت أخـذت فى الذبول

١٨٢ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٨٤.

وقوله فى الشيب:

لما تراءت لـلمــشــيب بمفــرقى ... شهب أغرن علـى شبابى الأدهم[(١)]

أبدى التـجــشم من أحب أمـادرى ... أن الديـاجى حــسنهـا بـالأنجم

وقوله فى نهر وردته عصابة طير:

أمـا ترى النـهـر فـى انصــبـابه ... كـأنه الطـل فى انســيـابه[(٢)]

قـد انتــحــتــه ظـمــاء طيــر ... مـقـتحـمـات[(٣)] على حـبـابه[(٤)]

تـنقـع من مــائه أوامــا ... وتلـقط الحـب من حـبـابه

وفاته: قال فى الجذوة توفى بمكناسة سنة ثمان وخمسين وستمائة هـ، وتقدم عن الذخيره السنية أن وفاته عام تسعة وخمسين.

١٨٣- محمد بن قاضى مكناسة أحمد بن أبى العافية المكناسى يعرف بالأحول.

حاله: كان فقيهًا خيرا صالحًا نافعًا ورعًا ناسكًا، وعرضت عليه خطة القضاء بمكناسة بعد أبيه فرغب عنها وزهد فيها، ووليها أخوه أبو العز، حلاه ابن غازى بشيخ شيوخنا.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام القورى، وانتفع به كثيرا وكان عيبة نصح له وغيره.

(١) جذوة الاقتباس ١/ ٢٨٥.

(٢) جذوة الاقتباس ١/ ٢٨٥.

(٣) فى المطبوع: «مقحمات» ولا يستقيم به الوزن والتصحيح من الجذوة».

(٤) فى الجذوة: «جنابه».

١٨٣ - من مصادر ترجمته: نيل الابتهاج ٢/ ٢١١.

مؤلفاته: منها موضوع فى المسائل الواقعة فى المدونة فى غير مواضعها، وقد كان بقيد الحياة سنة أربع وثمانين وستمائة.

١٨٤- محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى المالقى الشهير بابن قاسم الضرير.

حاله: فقيه أستاذ علامة، ناقد مفوه جليل، تعرض له فى درة الحجال وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله المكناسى اليفرانى وغيره من نقاد الأعلام.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة سبع وسبعمائة.

١٨٥- محمد بن ورياش - بفتح الواو وسكون الراء وفتح الياء مشبعة - قاضيها أبو عبد الله.

حاله: فقيه صالح، معتقد متبرك به، إمام محدث، مطلع متضلع، تولى خطة قضاء بلده الحضرة المكناسية، وكان يدرس الموطأ بها، وكانت طريقته فى التدريس يبدأ بذكر الله تعالى أولا، ثم يأمر خاصة طلبته فيعرضون عليه الدرس، ثم يتكلم على الكتاب كلاما حسنا يعتمد على كلام أبى عمر بن عبد البر فى الاستذكار، وأبى الوليد الباجى، ويضيف إليهما شيئا من تعاليق المحدثين، وكان من عباد الله الصالحين.

قال فى درة الحجال: وكان يروى الحديث بها سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى غالب ظنى.

---

١٨٥ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٢/١٠٧.

١٨٦ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجي عرف بابن الحداد المكناسي.

حاله: قدوة الزمان في أحواله، محدث فاضل، ذكي نبيه، أديب أريب، كان يقرض الشعر، ثم نزع عن ذلك ولزم التصوف في لباسه وأكله وعبادته، رحل للمشرق لأمر قام عليه فيه الطلبة لخطبة خطبها ببلده مكناسة، قال: أحمد الله الذي خلق الإنسان على صورته، وذكر اسم الله الرحمن الرحيم في ملاك شريف من شرفائها فكان سبب خروجه، وكان إذا ذكر له شيء من شعره الذي مدح به الملوك في شبيبته يستغفر الله عند ذلك ويتمثل بقول بعضهم:

ولما رأيت الناس طرا تكالبوا ... ولم يسمحوا إلا بكذب من الوعد[1]

ولم يُجْدِ مدحهم[2] فتيلا وزادني ... عناء وحار[3] القصد عن سنن الرشد

نبذت بهم نبذا وعدت لخالقي ... وما فوق من قد عاذ بالصمد الفرد

فمن يملك الأشياء لا رب دونه ... ويرضى بإلحاح السؤال من العبد

فيا خالقي عطفا على ورحمة ... تعود[4] بها من لا يعيد ولا يبدي

وفاته: قال في درة الحجال كان حيا في غالب الظن سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وكانت وفاته بمكناس وقبره بمسجد الشجرة معروف كما في الروض الهتون.

---

١٨٦ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٢/١٠٨.

(١) درة الحجال ٢/١٠٨.

(٢) في المطبوع: «ولم يجدهم مدحي» والمثبت رواية درة الحجال».

(٣) في المطبوع: «وخار» والمثبت من درة الحجال.

(٤) في المطبوع: «تقود» والمثبت من درة الحجال.

١٨٧ - محمد بن أبى الفضل بن الصباغ الخزرجى المكناسى.

حاله: علامة حافظ مشارك، ناقد مطلع متضلع بصير، نزيه فاضل، مبرز فى المنقول والمعقول، عارف بالحديث ورجاله إمام فى معرفة كتاب الموطأ وإقرائه، أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث: أبى عُمَيْر، ما فعل النُّغَير؟ أربعمائة فائدة، زاد ابن غازى فى بعض كتبه كبغية الطلاب؛ فى شرح منية الحساب؛ إذ قال فيه: وقد مر بنا أن بعض العلماء استنبط من هذا الحديث ثلاثمائة فائدة، وحدثنى بعض من لقيته أن بليدينا أبا عبد الله ابن الصباغ الخزرجى المكناسى تكلم فى مجلسه بمكناسة الزيتون على هذا الحديث فأملى فيه أربعمائة فائدة، أظنه قال: وكان آخر ما قرأ بها أو آخر ما أقرأ بها، فلم ينشب أن استدعاه السلطان أبو الحسن المرينى أن يصحبه فى وجهته إلى إفريقية فلم يجد عن ذلك مندوحة، فكان أحد من غرق من العلماء ببحر الأندلس جدد الله تعالى عليهم رحمته بمنه ووددنا لو وقفنا على الفوائد مسطورة فى كتاب هـ ونقله فى نيل الابتهاج.

وقد انتقد على ابن عبد السلام التونسى أربع عشرة مسألة أقر فى جميعها بالخطأ وقوفا مع الإنصاف، الذى هو من شيم الأشراف، قال الإمام القورى: لم نزل نسمع من شيخنا ابن جابر حكاية ظريفة وقعت لابن عبد السلام التونسى مع ابن الصباغ، وذلك أن ابن الصباغ اعترض عليه فى أربع عشرة مسألة لم ينفصل عن واحدة منها بل أقر فيها بالخطأ إذ ليس ينبغى اتصاف بالكمال، إلا لربى الكبير المتعال(١)، هـ وكم له من تحارير تبهر العقول.

ذكره أبو عبد الله بن مرزوق الجد فى مؤلفه فى مناقب أبى الحسن المرينى وابن خلدون فى كتاب العبر وابن الخطيب السلمانى فى بعض فهارسه.

---

١٨٧ - من مصادر ترجمته: التعريف بابن خلدون - ص٤٦، كفاية المحتاج ٢/ ٥١، نيل الابتهاج ٢/ ٦٤.

(١) نيل الابتهاج ٢/ ٦٥.

اختـاره السلطان أبو الحسن المرينى وكـان من كـبـار جلة العلمـاء الذين استصحبهم معه فى حركتـه إلى إفريقية، ولم يزل معه حتى هلك غريقا فى جملة من غرق من الأئمة الأعلام بأساطيل المرينى المذكور على ساحل تونس فى الواقعة الشنيعة التى هى من أعظم الدواهى التى أصيب بها المغرب الأقصى.

غرق فيها نحو أربعمائة عالم من أكابر علماء المغرب الأقصى كالإمام محمد ابن سليمـان السطى شارح الحـوفى، والأستاذ الزواوى أبـى العباس، وكـان عدد الأساطيل نحو الستمائة أسطول، لم ينج منها غير السلطان أبى الحسن على لوح، وكانت هذه الواقعة بعد عيد الفطر سنة خمسين وسبعمائة.

قال أبو عبد الله الأبى لدى الكلام على أحاديث العين من صحيح مسلم ما معناه أن رجلا كان بتلك الديار معروفا بإصابة العين، فسأل منه بعض القالين لأبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعـين، وكانت كثيرة نحو الستـمائة، فنظر إليها الرجل العائن فكان غرقهـا بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء، ونجا السـلطان بنفسه، وجرت عليه محن.

قال فى الروض وحدثنى بعض الأعـيان الأصحاب، أنه بلغه أن الفـقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمقصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه:

يا قلب كيف وقعت فى أشراكهم	ولقـد عـهدتـك تحذر الأشـراكـا
أرضىً بذل فى هوى وصـبـابة	هذا لعـمـر الله قـد أشـقـاكـا

انتـهى من أصله بخط مؤلفـه، والذى صدر به فى الجـذوة أن المترجـم كان ينشد البيتين على لوح من ألواح السفينة والأمواج تلعب به(١).

مشيخـته: أخذ عن فطاحل أعلام مكناسة بلده ومشـيخة فاس، وباحث ابن

(١) نقله التنبكتى فى نيل الابتهاج ٢/ ٦٥.

عبد السلام وابنى الإمام التلمسانيين، وابن هارون، ولقى أبا عبد الله الآبلى ولازمه، وأخذ عنه العلوم فاستفاد بقية طلبه عليه.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عفيف المكناسى.

شعره: من نظمه قوله جامعا علاقات المجاز:

يا سائلا حصر العلاقات التى ... وضع المجاز بها يسوغ ويحمل
خذها مرتبة وكل مقابل ... حكم المقابل فيه حقا يحصل
عن ذكر ملزوم يعوض لازم ... وكذا بعلته يعاض معلل
وعن المعمم يستعاض مخصص ... وكذاك عن جزء ينوب المكمل
وعن المحل ينوب ما قد حله ... والحذف للتخفيف مما يجمل
وعن المضاف إليه ناب مضافه ... والضد عن أضداده يستعمل
والشبه فى صفة تبين وصورة ... ومن المقيد مطلق قد يبدل
والشىء يسمى باسم ما قد كأنه ... وكذاك يسمى بالبديل المبدل
وضع المجاور فى مكانة جاره ... وبهذه حكم التعاكس يكمل
واجعل مكان الشىء آلته وجئنى ... بمنكر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبه انتهت ... ولجلها حكم التداخل يشمل
وبكثرة وبلاغة ولزومه ... لحقيقة رجحانه يتحصل

وقد وضع الشيخ المنجور السابق الترجمة شرحا لطيفا على هذه الأبيات بطلب من بعضهم لذلك.

ومن شعره قوله على ما أفادنيه بعض الأعلام من الأصحاب بأنه وقف عليه منسوبا له فى بعض الكنانيش الموثوق بصحة ما فيها:

تنعم بذكر الهاشمى محمد فـفى ذكره العيش المهنأ والأنس
أيا شاديا يشدو بأمداح أحمد سماعك طيب ليس يعقبه نكس
فكرر رعاك الله ذكر محمد فقد لذت الأرواح وارتاحت النفس
وطاب نعيم العيش واتصل المنى وأقبلت الأفراح وارتفع اللبس

إلى أن قال:

وقوفا على الإقدام فى حق سيد تعظمه الأملاك والجن والإنس
له جمع الله المعانى بأسرها فظاهره نور وباطنه قدس
فكل له عرس بذكر حبيبه ونحن بذكر الهاشمى لنا عرس

وهى طويلة انتهى من إملائه على.

مؤلفاته: وجدت فى بعض التقاييد المظنون بها الصحة أن له شرحا عجيبا على الجرومية.

وفاته: توفى شهيدا كما تقدم بعد عيد الفطر عام خمسين وسبعمائة.

١٨٨- محمد بن أحمد بن أبى عفيف المكناسي.

حاله: فقيه نبيه عدل رضى، فاضل نبيل خير له جملة حسنة من أصول الفقه أشفى بها على كثير من نظرائه قراءة منه إياها على أبى محمد بن أبى الفضل ابن الصباغ، وشاركه فى قراءتها على شيخهما الآبلى، وتصدر لقراءة كتاب الشفا النبوى، وهو من جملة الأعلام الذين لقيهم لسان الدين بن الخطيب بمكناسة الزيتون، قال ابن غازى فى روضه: وهو - يعنى المترجم - جدى أبو أم أمى رحمهم الله تعالى هـ من خطه.

مشيـخته: أخذ عن أبى عبـد الله محمد بن أبى الفـضل بن الصباغ، وعن الإمام الآبلى وغيرهما.

وفاتـه: لم أقف على من تعرض لهـا بيد أنه كـان بقـيد الحـياة عـام واحد وسبعين وسبعمائة، وهو عام اجتماعه بابن الخطيب بمكناسة.

١٨٩- محمد بن الشيخ الشريف أبى حامد أحمد بن إبراهيم الحسنى المكناسى.

حاله: شريف جليل، حسيب أصيل، فاضل نبـيل، فقيه معظم موقر، عدل مبرز، كامل متقن، محرر متبحر.

مشيخـته: أخذ عن الخطيب ابن رشيد والمقرئ أبى الحـسن على بن سليمان وأجاز له، وعن الخطيب أبى محمد يحيى بن أبى عبد الله بن رشيد.

الآخذون عنه: منهم مسند فاس أبو زكرياء السراج، قال فى فهرسته: قرأت عليه وسمعت وأجاز لى، إجازة عامة، وأرخ سماعه عليه عام سبعين وسبعمائة.

وفاتـه: توفى ببلده مكناسة الزيتـون، وغالب الظـن أن وفاته كانـت أواخر القرن الثامن.

١٩٠- محمد بن موسى بن محمد بن معطى العبدوسى - بفتح العين وسكون الباء وضم الدال.

حاله: فقيه مدرس، عالم زكى، صـالح خير ورع، وهو والد الإمامين عبد الله وموسى، وأخو أبى القاسم، وستأتى تراجم هؤلاء بحول الله، وبيت العبادسة بيت كبيـر شهير من بيوت الـعلم بمكناسة، رأس العلم فى دورهم دهرا طويلا من المائة السابعة إلى المائة التاسعة، وآخـر علمائهم أم هانئ بنت أبى محمد كان العلم حتى فى نسائهم، وقد كان المترجم حيا بعد التسعين وسبعمائة.

---

١٩٠ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ٢/ ١١٨.

١٩١ - محمد بن عمر بن الفتوح التلمسانى أصلا المكناسى المقام والوفاة.

حاله: عـلامة ورع ناسك زاهد منقطع للعبـادة، يأوى إلى المساجد الخـالية ويعمرها بـتلاوة القرآن العظيم، حسن المنظر، نظيف الثـياب، وهو أول من أدخل مختصر خليل لهذه البلاد عام خمسة وثمانمائة، انتقل من تلسمان إلى فاس، وكان يدرس ألفية ابن مالك بالمـدرسة المتكولية، ويقيم أوده بالجامكية المتـرتبة عليها، ثم عرضت عليه رياسة التدريس للفقه بمدرسة العطارين، وكان يسكن ببيت على بابها يشرف على السوق.

فاسـتخار الله تعالـى فرأى فى المنام عجوزا شـمطاء سيقت له فى عـمارية بأنواع الملاهى، فعلم أنهـا الدنيا فلم يقبلهـا، وكان يقول سبب ارتحـالى لفاس فى طلب الفقه مسألتـان سئلنا عنهما فلم يحضرنا جواب مع شهرتهـما، مسألة المكثر من النذور وهى فى كتـاب الأيمان والنذور من المدونة، ومسألة من اشـترى جارية فشرط أنهـا ثيب فألفاها بكرا، مـا حضر أصحابنـا فيها شىء غيـر أنهم قالوا هذا كمن تلف له قب ووجد حماما، وهى منصوصة فى نوازل ابن سهل، أنه إن شرط ذلك لغرض كمـا إذا كان شيخـا كبيرا لا يطيق الافتـراع، أو كان حلف أن لا يطأ بكراً وأن لا يملكها فله ردها وإلا فلا.

قال ابن غازى: حـدثنى شيخنا أبو زيد القرمونى وكـان ارتحل إليه من فاس والى رفيقه عبد الله بن حمد فخدمهـما تسعة أعوام، وأن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان من نجبـاء طلبتها وكان شـابا حسن الصورة مليح الشارة، فـمرت به امرأة جميلة فجـعل ينظر لمحاسنها من طرف خفى، فقـالت: اتق الله يابن الفتوح يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، فانتفع بكلامها، فزهد فى الدنيا فخرج من وطنه ولحق بفاس هـ.

وكان يضيق ذرعه من مخالطة من لا يحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها من كلام الهجر، ويتمنى أن لو وجد رفقاء يعينونه على الخير، فدله بعض الناصحين على الشيخ الصالح أبى محمد عبد الله بن حمد وأصحابه، فارتحل إليه بمدينة مكناسة فظفر ببغيته، وصار كما قيل وافق شن طبقة، وافقه فاعتنقه.

وقرأ البخارى بمكناسة عند خزانة الكتب من مسجدها الأعظم، وكان بينه وبين شيخ الجماعة أبى محمد عبد الله العبدوسى وُدٌّ وَإخاء، وكل منهما يفيد صاحبه.

قال ابن غازى: حدثنى شيخنا القورى أنه - يعنى المترجم - مرضت إحدى يديه فلم يتمكن له مسح أذنيه إلا باليد الصحيحة، فمسح اليمنى وأراد مسح اليسرى فأشكل عليه الأمر فى استئناف الماء، ولم يذكر فيه نصا وجدد فكتب لصاحبه العبدوسى يخبره بما فعل، وهل عنده فيها نص فأجابه لا أذكر فيها نصا، ولو نزل بى مثله لفعلت فعلك.

مشيخته: أخذ عن فحول علماء بلده تلمسان، وعن شيخ الجماعة بفاس أبى موسى عيسى بن علال المصمودى، وعن الولى الصالح المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن محمد بمكناس.

الآخذون عنه: منهم العلامة أبو زيد القرمونى وجماعة.

مؤلفاته: منها الوثائق المجموعة فى جزءين.

وفاته: توفى مطعونا عام ثمانية عشر وثمانمائة طعن وهو يقرأ البخارى بالمسجد الأعظم، فحمل لبيته فى المدرسة فلقن عند الموت، فقال لمن لقنه: الشغل بالذكر عن المذكور غفلة.

١٩٢- محمد أبو عبد الله بن سعيد بن محمد المكلاتى المكناسى.

حاله: علامة جليل، ولى قضاء مكناسة الزيتون، قال فى الروض الهتون: فقد كان شيخنا الفقيه الحافظ أبو عبد الله القورى يحكى أن السلطان أبا عنان استقدمه - يعنى المترجم - من مكناسة فقدم عليه ومعه أتباعه وأعوانه، فلما بلغ باب المشور بالبلد الجديد تركهم مع بغلته ودخل على السلطان فعزله عن خطة القضاء بسبب عدم مبالاته به فى تنفيذ الحق، فخرج فوجدهم فروا عن بغلته، ثم بدا للسلطان لوقته فاسترجعه واستعطفه وأعاده لخطته، فلما خرج وجدهم دائرين بالبغلة وهو شأن الناس كما قيل:

الناس أعوان من واتته دولته ... وهم عليه إذا خانته أعوان

هـ من خطه.

١٩٣- محمد المكناسى.

حاله: وقفت على تحليله بالشيخ الفقيه العدل الفاضل المعلم الفرائضى عند الإمام ابن جابر الغسانى المكناسى فى شرحه على المنظومة التلمسانية، وصرح بأنه مكناسى، وذكر أنه أثنى له كثيرا على كتاب الإيضاح لابن ثابت فى الفرائض، ولم أقف له لا على مشيخة ولا ولادة لإبهام اسم أبيه ونسبته، فيحتمل أنه عن ترجمناهم، إلا أن الإبهام لم يعرفنا بحقيقته، ويحتمل أنه لم يذكر، وقد ذكرناه زيادة فى الفائدة والله أعلم.

١٩٤- محمد بن أبى غالب بن أحمد بن على بن أحمد المكناسى نسبة للقبيلة ثم العياضى عرف بابن السكاك من أبناء أبى العافية.

---

١٩٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٣٨، درة الحجال ٢/ ٢٨٤، شجرة النور الزكية ٢/ ٧٦، كفاية المحتاج ٢/ ١٢٠، لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٣٣، نيل الابتهاج ٢/ ١٥٠، وفيات الونشريسى فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٣٢.

حاله: إمــام أصولى، بيانى مـفسر، مــحرر متـبحر، نحــرير نقاد، خطيب مفت، مؤرخ نسابة، ورع زاهد صالح، من أهل الفضل والعلم والدين.

تولى قضاء الجماعة بفاس فحمدت سيرته، وقد تبرأ من فعل جدهم موسى وشنع عليه فى ســوء فعله، ولم يرض ذلك، تعرض لذكره الونشــريسى فى وفياته وغيره.

وحكى صاحب نيل الابتهــاج عن صاحبه المؤرخ محمــد بن يعقوب الأديب أن المترجم بات عند شيخه الشــريف التلمسانى ليلة مع أبى زيد بن خلدون، فولد للشريف التلمسانى تلك الليلة ولد فسماه عبد الرحمن باسم ابن خلدون، وكناه أبا يحــيى كنية ابن السكــاك تبركــا بهمــا، فخــرج الولد عــالما جليلا وهو أبو يحــيى الشريف.

مشيخته: منهم أبو عبد الله الآبلى، والشريف التلمسانى، والعبدرى، وابن العباد، وكان يقول فيه شيخى وبركتى وغيرهم.

الآخــذون عنــه: منهم صــاحب الكــوكب الوقــاد، والقــاضــى ابن عــلال المصمودى، ويعقوب الحلفاوى وغيرهـم من الأعلام.

مؤلفاته: له شرح على الشفا للقاضى عياض أجاد فيه ما شاء وأفاد، ونصح ملوك الإسلام، بالتعريف بما عليهم من حــقوق أهل البيت عليهم السلام، وتأليف فى الأدعية وهو فى مجلد وسط، قال شيخنا ابن جعفر فى سلوته: وقفت له على تأليف آخر فى نصح ملــوك الإسلام أكبر من النصح المشــهور، وفيــه زيادات عليه وفوائد جمة، وفى آخره التنبيه على أنه النصح الأوسط.

وفاته: توفى بفــاس العشاء الأخــيرة من ليلة الثلاثاء ثانى عــشر ربيع الأول سنة ثمان عشر وثمانمائة.

وكان الحال عليه سهلا طلق اللسان يقرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، وورد أبى الحسن الشاذلى وهو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا الله إلخ، يكرر جميع ذلك، وأوصى أن تدفن أسماء أهل بدر معه، وكان كتبها بخط يده، وصلى عليه تلميذه أبو يوسف يعقوب الحلفاوى، وأدخله قبره وألحده ودفن كما ذكر غيره واحد بروضتهم التى بكدية البراطيل داخل باب الفتوح مع شيخه ابن عباد قريبا منه.

ترجمه فى الجذوة، والدرة، والكفاية، والنيل، والسلوة، وغير ذلك.

١٩٥- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرنى الشهير بالمكناسى الفاسى يكنى أبا عبد الله.

حاله: فقيه فرضى مؤلف.

ولادته: ولد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة.

وفاته: توفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة، كذا ترجمه فى الجذوة.

١٩٦- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغسانى المكناسى الدار كذا هو بفهرسة ابن غازى، وبآخر ورقة من شرح المؤلف على التلمسانية، وما يوجد من زيادة محمد بين جده وجد أبيه يحيى لا يصح، شيخ شيوخ ابن غازى.

حاله: فقيه عالم ناظم ناثر شاعر مجيد محسن، حافظ لافظ، ثبت ذكى، واعية متقن، متضلع نقاد، أستاذ مقرئ، نحرير نظار، حجة بارع مطلع، مدرس نفاع، راوية ذو دين متين، واطلاع كبير، ورسوخ وتضلع زائد، واقتدار وإمامة كاملة فى المعقول والمنقول، وعارضة عريضة، ونبل وذكاء ودهاء، وفضل زائد.

---

١٩٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٣٩.

١٩٦ - من صادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣١٧.

قال ابن غازى فى حق المترجم: ما نصه شيخ شيوخنا الأستاذ المقرئ الشاعر المجيد المحسن ذو التصنيف الحسان والقصائد العجيبة.

مشيختـه: أخذ عن الشيخ الحاج المجاور الحافظ الواعظ الفقـيه أبى عبد الله محمد بن على الذكوانـى الأندلسى، والشيخ ابن قاسم بن داود السلوى، والشيخ الإمام محمـد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات، والشيخ الفـقيه العلم رافع راية الشعـر والأدب فى عصره القـدوة الأجمل، المتـفنن الأكمل، كاتب الخـلافة العلية، المخصـوص لديها بالمزايا السنية، محل الوالد المعظم أبو العبـاس أحمد بن يحيى بن أحـمد بن يحـيى بن أحمد بن عـبد المنان، والشـيخ الفقيـه الأعدل أبو محمد عبـد الله بن الحسن اللخمى المعروف بابن الأصفر، والشيخ الفـقيه العددى الفرضى أبى الحـسن على بن يوسف التلاجدوتى، والشـيخ الفقيه الأعـدل الحاج الصالح أبى عبد الله محمد بن أبى إدريس وغيرهم. رأيت هؤلاء الشيوخ بحلاهم فى مواضع متفرقة، من شرحه على التلمسانية فى الفرائض.

الآخذون عنه: منهم الحـافظ القورى، وولده أبو عبد الله الآتى التـرجمة، وعبـد الرحمن بن محمـد العبدوسى، روى عنه المصـافحة تمام مسلسـلات الشيخ صالح الرضوى البخارى وغيرهم.

مؤلفاته: منها نظم المراقبة العليا، فى تعبير الرؤيا، قال فى أولها:

يقول راجى فـضل ذى الإحسان ... مـحـمـد بن جـابر الغـسـانى
الحـمـد لله الذى قـد ألهـمـا ... من شـاء علم غـيـبـه وأفـهـمـا
وأوجـد الأشـيـاء بـعـد العـدم ... وعلـم الإنسـان مـا لم يعـلم
ثم صـلاة اللـه والسـلام ... عـلى الـذى انجلـى به الـظـلام
نبـينـا مـحـمـد خـيـر الورى ... من جـاءنا مـبـشـرا ومنذرا
يخـبـرنا عن ربنـا سـبـحـانه ... بعلم مـا لم نسـتطع عـيـابه

صلى عليــه الله مــا لــذ منام — وسرحت فى الـغيب أرواح الأنام

وآلـه الذيـن هم أكـــــرم آل — وصـحبـه الأعـلام سادة الرجـال

وبعـــد فــاعلم أن علـم الرؤيا — علم يريـك خـافيـات الأشـــيـا

لأنه جــــزء من الـنبـــوة — كــمـا أتى عـن سيــد البـرية

روى أبـو هـريـرة عن الـنـبـى — خـيـر الأنام الـطاهر المنتـخب

حـديث صدق جـاء فى كلامـه — فـيــمـا يـرى النائم فى منـامـه

وأنه جــزء صـــحـيـح يرءا — من ســتــة وأربـعــين جــزءا

وفـيـه حكمـة لمـن يفـهـمـهـا — فـهـاكـهـا منى كــمـا أعلمـهـا

وذاك أن مــــدة الـوحى الـتى — أوحى فــيـهـــا لنبى الرحــمـة

كـانت ثلاثا قل وعـشـرين سنة — أولهـــا وحـى المَرائى البـــينة

ســتـة أشـــهـر وبعــدها نزل — جبـريل بالذكـر الذى قد استـقل

فـــإن نســبت مـــدة الأيام — وذاك بالتــحـقــيق نصف عـــام

من مـدة الوحى الذى حـسبت — وجـــدت جــزءك الذى نســـبت

قـال الإمام الحـافظ ابن العـربى — هذا حـــــديـث دلنـا أن النـبى

كـــان بأنـواع العلـوم عــــالما — وبحــــقــائق الأمـــور قــائمــا

انظر ترى كــيف أتى بالنســبـة — والجـزء من علم الحـساب المثبت

قـال ابـن جـابر وبالحق يـقـول — نعم الذى قال الإمـام فى الرسول

ومنها نزهة الناظر رجز بديع فى التعريف ببلده مكناسة الزيتون، وتأليف فى رسم القرآن، وتسميط البردة للبوصيرى، ونـظم رجال الحلية، ومنها شرحه الحفيل

على منظومة التلمساني في الفرائض ملأه فرائد ودررا مما يستحسن إيراده ويستطاب ذكره.

فمن ذلك ما نسبه إلى الحلية في ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه تزوج امرأة ذات جسدين في صورة واحدة بوجهين وصدرين وأربعة أيدي وبطنين ورجلين اثنين وفرج واحد، ومنها ما رآه بمكناسة قال: شاهدت بها بنتين بوجهين وأربعة أرجل وفرجين اثنين في جسد واحد افترقت فيه من أسفل البطن ومن عند الصدر، والبنتان المذكورتان ميتتان وكان ذلك بقرب ولادتهما لصعوبة وضعهما وذلك في عام واحد وثمانمائة.

شعره: من ذلك قوله:

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت أيدي الزمان رسومها فلربما أبقت هناك حروفا

وقوله في مطلع قصيدة:

يا بديعا فاق البديع بنظم في عروض من الخفيف ووزن

وقوله مخمسا لبيتي ابن الخطيب[1]:

يا سائرا لضريح خير العالم ينهي إليه مقال صب هائم
بالله ناد وقل مقالة عالم:
يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
بثناك قد شهدت ملائكة السما والله قد صلى عليك وسلما
يا مجتبى ومعظما ومكرما

(١) جذوة الاقتباس ١/ ٣١٧.

أيروم مـــخلوق ثناك بـعـد مــا | أثنى عـلى أخـــلاقـك الخـــلاق

وقوله:

على قــدر نيـة أهل الـتـو (م) | كل يعـطيـــهم الله منـه المعـــونة
فـإن صـــحح العـــبـد إيقـــانه | كــفـاه المهـــيـــمن هو المئـــونة

وقوله:

إذا كـان ظنـى بربى جـمـــيـلا | ولم أتخـــذ غـيـره لى وكـــيـلا
أتـتنـى لطـائـفــــــــه بالـذى | رجـوت وكـان بأمـرى كـفـيـلا

وقوله:

نظرت إلى الوجـود بـعـين قلبى | فلم أر فـــيـه غـيـر الـله وحـده
فكن بـالله وارج اللـه واعـــمل | للقــــيـــا الله تأمـن كل شـــده

وقوله:

قـل للحـــــــريـص تـفكـر | إذا كـنــت فـى بــطـن أمــك
أكنـت أعـــــددت رزقــــا | يقـــيـم نشـــأة جـــســـمك
وعـــنـــد خـــلـــقـــك لمـــا | أصـــبـــحت أضـعف قـــومك
هـل قــــمـت تـنشـى ثديـا | يـدر رزقـــا بـرســـــمـك
حـــتى فطمـت فـاضـــحى | أبوك يـســـعى لـطعـــمك
والأم تجـــهـــد مـــعــــه | فــــيك إلـى وقت حـلمـك
فـــحــين صـــرت قـــويا | أخــا احـــتــيـــال بزعـــمك
خـــفت الضـيـــاع فـأضـــحت | دنيــــاك أكـــبــــر هـمك
هذا لـعـــمـــرى ســـفـــاه | قـــضى به ســـوء فـــهـــمك

وقوله:

تالله بعد أحبائي الذين مضوا وخلفوني رهين الشوق والشجن(١)

ما أبصرت مقلتي من بعدهم حسنا ولا نظرت إلى شيء فأعجبني

وقوله وقد كتبه على زاوية الحجاج ببلده مكناسة:

هذا مقام الزائرين لأحمد من جاء بالقرآن والآيات(٢)

يا ليتني أسعى إلى خير الورى وأقبل الآثار والجدرات

يارب جاز القائمين بحقه بتوابع الإحسان والحسنات

واغفر له ولمن أراد بناءه والسامعين وناظم الأبيات

وقوله:

أيامن أراد التخلص من دناه لخوف إذاياتها(٣)

إذا شئت تسلم من شرها فسلم لما في حويجاتها

وفاته: توفي بمكناسة بلده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وإلى وفاته أشار صاحب نظم الإعلام، بوفيات الإعلام، بقوله:

محمد بن جابر في (أو كتت) وفاته القلوب مزنا أو كتت

الألف من أو كتت بواحد، والواو بستة، والكاف عشرون، والتاء أربعمائة وكذا التي بعدها.

---

(١) جذوة الاقتباس ١/ ٣١٨.

(٢) جذوة الاقتباس ١/ ٣١٨.

(٣) جذوة الاقتباس ١/ ٣١٨.

١٩٧- محمد بن أحمد بن أبي يحيى التلمساني شهر بالحباك.

حاله: فقيه عالم عدل رضى جليل صالح فرضى عددى، له معرفة بعلم الارتفاع بالأسطرلاب كاملة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام السنوسى كثيرا من علم الأسطرلاب، وكذا الملالى وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرحه على تلخيص ابن البناء، ورجز التلمسانى، ونظم رسالة الصفار فى الأسطرلاب.

وفاته: توفى سنة سبع وستين وثمانمائة كما فى وفيات الونشريسى.

١٩٨- محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد القورى اللخمى نسبا المكناسى مولدا ودارا ومسكنا، الأندلسى أصلا الفاسى نقلة وقرارا.

شهر بالقورى - بفتح القاف وسكون الواو ثم راء - نسبة لبلدة قريبة من إشبيلية.

حاله: كان حامل راية النص والقياس، ولواء المعاريف بين فطاحلة العلم وخصوصا بفاس ومكناس، له الشأو البعيد فى النزاهة وإخلاص العمل، إمام علامة مفت محقق، فقيه نزيه بركة، معظم مفيد، صدر جامع أوحد، مشار إليه فى سماء تحقيق العلوم العقلية والنقلية، رفيع القدر والشان، لم يختلف فى فضله

---

١٩٧ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٧٧٢، وفيات الونشريسى فى الموسوعة ٢/ ٧٧٢.

١٩٨ - من مصادر ترجمته: توشيح الديباج - ص٢٠٢، درة الحجال ٢/ ٢٩٥، الضوء اللامع ٨/ ٢٨٠، كفاية المحتاج ٢/ ١٨٩، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٧٧٩، نيل الابتهاج ٢/ ٢٣٣، وفيات الونشريسى فى الموسوعة ٢/ ٧٧٩.

وسعة علمه اثنان، تاج الأئمة الحفاظ، ممن تكل عن ذكر أوصافه العلمية الألفاظ، سيف أقطع، وبدر أسطع، قدوة وأس العلماء والناس، فقيه مكناس وفاس ومفتيهما مبرز فى تحقيق العلوم، منطوقها والمفهوم، آية فى نوازل الفقه وقضايا التواريخ، مجلسه كثير الفوائد مليح الحكايات له قوة عارضة، ومزيد ذكاء مع نزاهة وديانة، وحفظ مروءة.

كان يدرس المدونة وينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء والموثقين ويطرز ذلك بذكر موالدهم ووفياتهم وحكاياتهم وضبط أسمائهم، والبحث فى الأحاديث المستدل بها فى نصر آرائهم، مجلسه نزهة للسامعين، وآية إعجاز للمعتبرين، وكان لا يتنفس إلا بالفوائد، وكان لسانه رطبا بلا إله إلا الله، تسمع جارية على لسانه أثناء حديثه.

مشيخته: أخذ عن أبى موسى عمران الجاناتى راوية أبى عمران العبدوسى وعليه اعتمد فى قراءة المدونة، وأبى الحسن على بن يوسف التلاجدوتى أخذ عنه العربية والحساب والعروض والفرائض، وابن جابر الغسانى أخذ عنه القراءات السبع، وأبى عبد الله عزوز أخذ عنه الحديث والتاريخ والسير والطب، والشيخ ابن غياث السلوى علم الطب وكان مجيدا فيه، وأبى القاسم التارغدرى، وأبى محمد العبدوسى باحثه كثيرا واستفاد منه مشافهة ومكاتبة، وهو الذى أجلسه للتدريس بفاس، كما أجلسه للتدريس بمكناس ولى الله تعالى عبد الله بن حمد.

الآخذون عنه: منهم إبراهيم بن هلال، وأحمد زروق، وعبد الله الزمورى شارح الشفا، وأبو الحسن الزقاق، والقاضى المكناسى، والمفتى أبو مهدى الماواسى، والإمام ابن غازى، والحافظ الونشريسى مؤلف المعيار وغيرهم.

مؤلفاته: ذكـر أبو الحسن المنوفى شارح الرسالة فى شرح خطبـة المختصر أن القورى شرحه فى ثمان مجلدات انتهى لكن قال فى نيل الابتهاج لم أره لغيره ولا ذكر له ألبتة عند أهل فاس والله أعلم.

فائدة: قال الشـيخ ابن غازى حدثنى صاحب التـرجمة عن شيخـه أبى عبد الله بن عبد العـزيز أنه قال: سمعت العالم المحدث الحـافظ الربانى البلالى بمصر، يقول: حديث الباذنجان لما أكل له، أمـتن إسنادا من حديث ماء زمزم لما شرب له، قال شيخنا القورى: وهذا عكس المعروف هـ.

قلت: ولعل النقل انقلب على ناقله سهوا، وإلا فـالذى نقل البلالى المذكور فى مخـتصر الإحـياء خلافـه، بل صرح بأن حـديث الباذنجان مـوضوع وضعـته الزنادقة، وأن حـديث ماء زمزم صحـيح، وقد استوفـيت كلامه وكلام غـيره فى تقييدى على المختصر فى كتاب الحج والله أعلم هـ.

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون أول القرن التاسع حسـبما أفصح بذلك تلميذه ابن غازى، وقال غيره ولد سنة أربع وثمانمائة.

وفاته: توفى بفاس آخـر القعدة على ما ذكره تلميذه أحـمد زروق عام اثنين وسبعين وثمانمائة ودفن بباب الحمراء وترجمه أبو عبد الله ابن غازى، وأبو العباس الونشريسى فى فـهرستيـهما، وصـاحب الجذوة، والدرة، وكفاية المحـتاج، ونيل الابتهاج، وتوشيح الديباج، وسلوة الأنفاس وغيرهم.

١٩٩ - محمد القطرانى أبو عبد الله.

حاله: كان حافظا جليلا، دراكه نبيلا، يستظهر كتاب ابن يونس أو اللخمى شك أبو عبـد الله القورى، ولم أقف على من ترجـمه غـير ما ذكـره به صاحب الروض.

---

١٩٩ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١٠١.

٢٠٠ - محمد بن أبى البركات الحسنى الحاج المجاور.

حاله: علامة شاعر مجيد، قال ابن غازى: رأيت له نظما بليغا فى علاقات المجاز.

٢٠١ - محمد بن سعيد الحباك القيجميسى المكناسى أخو أحمد بن سعيد المتقدم الترجمة.

حاله: فقيه صالح زاهد ناسك ورع ربانى مربى، قال ابن غازى: كان والله أعلم فى مقام الحلال، لأن الغالب عليه القبض، وكان معاصره أبو محمد بن حمد فى مقام الجمال، لأن الغالب عليه البسط هـ وهو من القرن التاسع.

الآخذون عنه: منهم أخوه أبو العباس المتقدم الذكر.

٢٠٢ - محمد بن عيسى بن عبد الله بن حرزوز، ابن منصور المكناسى.

حاله: علامة مشارك نقاد.

مؤلفاته: منها اختصاره لصحيح الإمام البخارى المعنون بالكوكب السارى، حذف فيه الأسانيد والمكرر فجاء فى مجلد وسط، وهو بمكتبتنا.

٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز الصنهاجى المكناسى.

حاله: فقيه متفنن ذكى حجة، رحالة حاج، مجود للقرآن، حافظ للحديث والتاريخ، نابغة فى الطب، جيد القريحة فى الشعر، رحل إلى المشرق واستفاد من أعلامه، ورجع لبلده مكناسة، وأفاد بها، ثم رحل ثانية فمات هناك.

قال ابن غازى: حدثنى عنه شيخنا القورى أنه نزل ببعض المشارقة فقدم له طعاما عندهم يقال له البازين، فلم يصب منه كبير شىء، فقال له مالك لا تأكل؟ فقال: إنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه كما قال النبى ﷺ، فعلم أنه من أهل الحديث فبالغ فى إكرامه هـ.

مـشيـختـه: أخذ عن الأسـتاذ ابن جـابر تجويد القـرآن والحديث والتـاريخ والطب، وعن ابن مرزوق الحفيد، وعن جماعة من أعلام المغرب والمشرق.

الآخذون عنـه: منهم الإمام القـورى وانتفع به كـثيرا، ومنـهم زوجه - أى المترجم- رحمة بنت الجنان وجماعة.

شعره: من ذلك معاتبا شيخـه ابن جابر وقد خرج بتلامذته لينزههم بعرصة كانت له بواد أبى العمائر وأغفل تلميذة المترجم لم يدعه فيهم:

ليت شـعـرى وذاك لـيس بمغنى	مـا يرد الفـوات حـرف تمنى
أى ذنب قـرفـتـه ياعـمـادى	فـحرمـنا من قربكـم قرب عـدن
ومنحنا الإعـراض إذ عـرض النا	س فـأعظـم بذلك الذنـب منى
وهب الذنـب فـيــه يعـظم هلا	منكم كـان حـسن عـفـو وظن

وقوله من قصيـدة راثيا ومعرضا بطبيب طب صديقـا له من أبناء أبى العافية بالكى بالمحور فمات، وكان اسم الطبيب ابن سالم:

ولقـد كـوى قلبى فراقـك كيـة	كـادت تكون كـما كـواك المحـور

لم يذكر فى الروض ولا فى درة الحجال منها غير هذا البيت.

٧٠٤- محمد بن على بن أبى رمانة المكناسى قاضيها أبو عبد الله.

حاله: شـيخ فقيه خـير فاضل، من أهل الحيـاء والحشمة، وذوى السـذاجة والعفـة، تولى القضاء بمـكناسة الزيتون وهو من جـملة الأعلام الذين لقـيهم ابن الخطيب بها، ووقعت بينـهما مداعبة، وله فى المعـيار أسئلة ومشاورات فـيما ينزل بين يديه من النوازل تنبئ عن كامل معرفة وغزير اطلاع.

٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد.

على ما صوبه فى السلوة، وهو الذى لابن القاضى فى الجذوة والدرة ولقط الفرائد وغيره وهو اليَفْرنى المكناسى الشهير بالقاضى المكناسى.

حاله: فقيه فرضى عددى، ذو سياسة وعدل فى أحكامه، فاضل نزيه نبيل، من بيت علم، ومن ذرية أبى الحسن الطنجى، ولى قضاء فاس سنة خمس وثمانين وثمانمائة وبقى عليه إلى أن توفى بضعا وثلاثين سنة، وكان يقول: من طلب منى خطة الشهادة فكأنما خطب منى ابنتى إذ كان يعز الشهادة ويضن بها، ولما زوج أبو العباس الونشريسى ولده السيد عبد الواحد قال القاضى المذكور هديتى لعرسه هو إطلاق يده على الشهادة لأهليته.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله القَوْرِىّ، والقاضى محمد بن عيسى بن علال المصمودى، وغيرهما من أوعية العلم النقاد.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس الونشريسى صاحب المعيار كان يحضر مجلسه بعد قدومه لفاس، وولده عبد الواحد الونشريسى، وعلى بن هارون المطغرى وخلق.

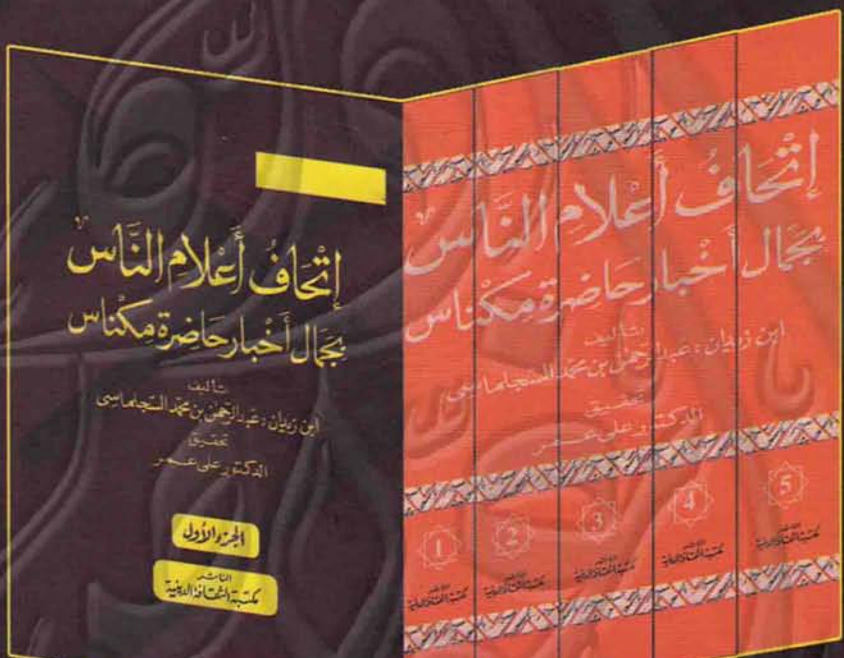
مؤلفاته: منها كتاب التنبيه والإعلام، ومجالس القضاة والحكام، فى الأحكام متداولة بين أيدى الطلبة فى سفر وسط، والتنبيه والإعلام، فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام.

ولادته: ولد سنة تسع وثلاثين وثمانمائة.

وفاته: توفى قاضيا بفاس سنة سبع عشرة وتسعمائة. هـ.

---

٢٠٥ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٤٤، درة الحجال ٢/ ١٤٦، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٨٢٧.



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
ت: ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١
فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧ ص.ب: ٢١ توزيع الظاهر
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
١٩٦- محمد بن يحيى بن جابر الغسانى.	٣/ ٦٨٠
١٩٧- محمد بن أحمد التلمسانى شهر بالحباك.	٣/ ٦٨٦
١٩٨- محمد بن قاسم بن محمد القورى.	٣/ ٦٨٦
١٩٩- محمد القطرانى.	٣/ ٦٨٨
٢٠٠ - محمد بن أبى البركات الحسنى.	٣/ ٦٨٩
٢٠١ - محمد بن سعيد القيجميسى.	٣/ ٦٨٩
٢٠٢ - محمد بن عيسى بن حرزوز.	٣/ ٦٨٩
٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج.	٣/ ٦٨٩
٢٠٤- محمد بن على بن أبى رمانة.	٣/ ٦٩٠
٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد اليفرنى.	٣/ ٦٩١
٢٠٦- محمد بن أحمد بن غازى العثمانى.	٤/ ٧
٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفَهْدى السفيانى.	٤/ ٢٠
٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى.	٤/ ٣١
٢٠٩- محمد بن قاسم الكتانى الحسنى.	٤/ ٣١
٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن أبى العافية.	٤/ ٣٢
٢١١- محمد بن محمد بن غازى الملقب غازى.	٤/ ٣٤
٢١٢- محمد بن حسين العبدلى السهلى شهر بأبى الرَّوَايَن.	٤/ ٣٥
٢١٣ - محمد بن قاسم بن أبى العافية الشهير بابن القاضى.	٤/ ٣٩
٢١٤- محمد بن محمد بن أبى العافية الشهير بابن القاضى.	٤/ ٣٩
٢١٥- محمد بن عبد الرحمن بن بصرى المعروف بسيدى بصرى.	٤/ ٤٠
٢١٦- محمد بن فتحا بن أبى المحاسن.	٤/ ٤٦
٢١٧- محمد فتحا بن محمد المدعو العشير.	٤/ ٤٧
٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى.	٤/ ٤٧